غلاف الكتاب

من إصدارات: مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان



أول كتاب في المكتبة العربية خاص بنقد أقدم شبهة للمنصرين والمستشرقين



العلامة د. صلاح الخالدي   العلامة د. فضل حسن عباس

د. إبراهيم عوض   د. حاتم جلال








﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾
﴿آل عمران: ١٩٣-١٩٤﴾



الإهداء

❀❀❀❀❀

في زمن عزّ فيه النصير على الحق والرفيق في وحشة الدرب .. أهدي هذا الكتاب:

إلى **أهلي** .. مؤنستي في طريق الدعوة اللاحب .. إلى التي بذلت من راحتها لراحتي، ومن فراغها لفراغي، وصرفت عني الكثير من شواغل الدنيا؛ لأتمّ هذا الكتاب..

تراه اذا ما جئته متهللاً *** كأنك تعطيه الذي أنت سائله

إلى أخي الذي لم تلده أمي (**أبي مالك**) .. فيض عطاء لا ينضب .. وسيلُ بذل لا يركد ..

ما قال: (لا) قطُّ إلا في تشهدِهِ ... لولا التشهدُ كانت لاءَه نعمُ

إليهما .. أقول:

جزاكما الله خيرا

g

الفهرس

كلمة رئيس [مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان]
الأستاذ (فيصل عازر)

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل .. والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين ..

أما بعد .. فهذه دُرّة جديدة من عِقد العلم النافع المؤصَّل الذي تقدمه مؤسستنا العلميّة الدعوية للباحث (سامي عامري) يرد فيها على إحدى أهم الشبهات التي يرددها النصارى العرب، ومع أن هذه الشبهة قديمة قِدم بدء الدعوة المحمدية الا أنه لم يصدر قبل هذا الكتاب –فيما نعلم– مؤلّف موسوعي يثبت بطلانها وزيف دعواها.

إنّ هذا الكتاب هو رسالة علميّة موجهة إلى المسلمين حتى يزدادوا إيمانًا بما حباهم به الحق سبحانه من هدى .. وأداة دعوية نقدمها إلى دعاة الأمة كمشعل جديد ينيرون به دروب التائهين في أقطار الأرض .. وهو دعوة لغير المسلمين حتى يبصروا الحق عيانًا .. وحجة جديدة على المتأبين على الإذعان لرسالة القرآن العظيم ..

إننا نقدّم هذا الكتاب إلى القارئ وفاءً بواجب بذل العلم إلى طالبيه .. وهي أمانة نضعها في يد القرّاء لتبلغ من خلالهم من يبحثون عن الحق ..

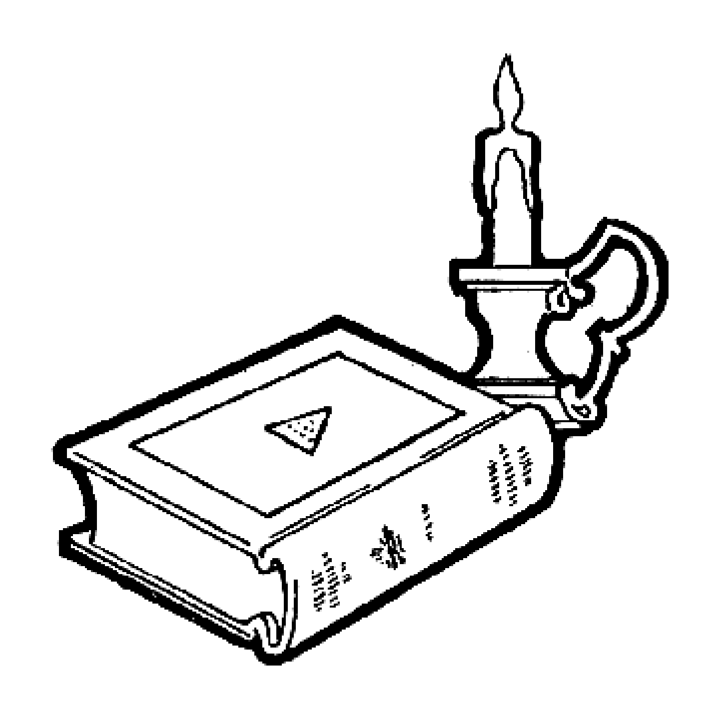
وإلى موعد جديد مع كتاب جديد من [مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان] بإذن الله!

محرم- ١٤٣٢هـ/ ديسمبر- ٢٠١٠م

***

قالوا عن الكتاب

***



العلامة د. صلاح عبد الفتاح الخالدي
أستاذ علم التفسير- كلية الدعوة في جامعة البلقاء / الأردن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد:

فإن الشبهات التي أثارها الأعداء ضد القرآن قديمة، بدأت منذ نزول القرآن على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّ نقض تلك الشبهات وإبطالها قديم، بدأ في آيات القرآن نفسه، حيث ذكر القرآن بعضها، وتكفل بنقضها ودحضها.. وإن كتب الانتصار للقرآن، ومواجهة مطاعن وشبهات أعداء، والقيام بإبطالها وإزالتها عديدة، صاغها علماء مسلمون بصيرون، غيورون على القرآن، وبلغت تلك الكتب العشرات في القرون الماضية، لعل في مقدمتها كتاب «الانتصار لنقل القرآن» للباقلاني، وكتاب «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار الهمداني..

وإننا نشهد في هذا الزمان هجمة شرسة على القرآن من قبل اليهود والنصارى والمستشرقين والمستغربين تثار فيها الشبهات على القرآن ومصدره الرباني، وتشكك في صدقه وإعجازه، وتتهمه في أحكامه وموضوعاته وحقائقه، وتزعم أنه (بشري) الفكرة والصياغة، كتبة محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه، أو كتب له، وأنه مقتبس من كتب اليهود والنصارى وغيرهم.

وهذه الشبهات قديمة جديدة متجددة، حتى القرآن نفسه تكفل بذكرها وإبطالها. ولكنها في هذا الزمان اتسعت وانتشرت وتكاثرت، وصدرت بشأنها كتب وأبحاث، وكتبت فيها مقالات، وذكرت في محاضرات، وأذيعت عبر فضائيات، ورددها أعداء القرآن بمختلف اللغات..

وقد انبرى لدحض هذه الاتهامات رجال من أهل القرآن وبينوا زيغها وباطلها. وكان لي شرف الانتصار للقرآن، وتفنيد أباطيل أعدائه، حيث أصدرت في ذلك كتابين:

الأول: «تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن» .. واجهت فيه أباطيل المتنبئ الأمريكي «أنيس شروش» في كتابه «الفرقان الحق» الذي ادعى فيه النجاح في معارضة القرآن والإتيان بمثله، بل بأحسن منه.

الثاني: «القرآن ونقض مطاعن الرهبان» .. الذي فندت فيه شبهات مجموعة من الرهبان في كتابهم «هل القرآن معصوم» والذي زعموا فيه وجود حوالي مائتين وخمسين خطأ في القرآن، وقد نقضتها كلها ولله الحمد.

وأمامي الآن كتاب مهم وعظيم يتولى نفس المهمة، ويقوم بنفس الواجب: الانتصار للقرآن، ونقض شبهات أعدائه من اليهود والنصارى والمستشرقين. إنه كتاب «هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟» وتحته عنوان جانبي (نقض شبهة المنصرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم).

تأليف الأستاذ سامي عامري جزاه الله خيرًا.

لقد ناقش الأستاذ «عامري» هذه الشبهة مناقشة علمية موضوعية، وبحثها بحثًا علميًا أكاديميًا، وأثبت بطلانها بالأدلة العلمية، والبراهين العقلية المنطقية، والحقائق التاريخية اليقينية، وصاغه بلغة هادئة، تخاطب العقل الانساني المنصف، الباحث عن الحقيقة.

وقد جاء هذا الكتاب العلمي الموضوعي التاريخي الرائع في خمسة أبواب مترابطة متكاملة، يأخذ بعضها برقاب بعض، للوصول إلى الحقيقة العقلية التي يسلم بها كل عقل بشري محايد منصف: القرآن كلام الله.

ناقش الأستاذ عامري في الباب الأول احتمالات أخذ آيات القرآن من أسفار اليهود وأناجيل النصارى، وبين مصادمتها لحقائق التاريخ، وكتب القوم.

وعرض في الباب الثاني بعض مظاهر الاتفاق والاختلاف بين القرآن وبين أسفار أهل الكتاب، فإذا كان القرآن مأخوذًا من تلك الأسفار فلماذا اختلف معها؟

وقارن في البابين الثالث والرابع بين حديث القرآن وحديث الكتاب المقدس عن قصص بعض السابقين، كقصة يوسف عليه السلام. واتفاق القرآن مع حقائق التاريخ في حديثه عنها. ومخالفة روايات الكتاب المقدس لحقائق التاريخ.

أما الباب الخامس فقد سجل فيه أن أسفار الكتاب المقدس هي المأخوذة من ديانات الآخرين من الفرس واليونان وغيرهم، فكيف يزعمون أن القرآن مقتبس من أسفارهم. وهم الذي اقتبسوها و(اختلسوها) من كتب غيرهم؟ (رمتني بدائها وانسلت) كما يقول المؤلف! وقد كان الأستاذ «عامري» باحثًا موضوعيًا جادًا، واعتمد في كتابه على مراجع عديدة، ويكفيك أن تعلم أنها زادت على مائة مرجع في اللغة العربية، وقاربت ثلاثمائة مرجع في اللغة الانجليزية، وهذا يدل على أهمية الكتاب وضرورته. أرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب العلمي الموضوعي الجيد، وأن يجد فيه المسلمون ما يفيدهم. وأن يتعرف منه الآخرون على حقيقة القرآن، ليوقنوا أنه كلام الله، ويدخلوا في الإسلام دين الله.. وإن المكتبة القرآنية لتفتخر بهذا الكتاب الذي انضم إليها، والذي سد ثغرة خطيرة فيها. وأرجو الله أن يجزي الباحث الأستاذ سامي عامري على كتابه الرائع خير الجزاء.

العلامة أ.د. فضل حسن عباس

أستاذ التفسير وعلوم القرآن وعلوم اللغة-الجامعة الإسلامية/ عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا» (الكهف ١) أحمدك ربي حمدًا يليق بجلالك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على خير خلقك حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم كما تحب أن يصلى عليه وبعد،

فإن القرآن الكريم كما يقول أستاذ المقاصد الإمام الشاطبي: «كلية الشريعة وعمده الملة، وينبوع الحكمة». أو هو بحسب ما يقول الإمام الشاطبي: «مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها». أو هو كما وصفه الأستاذ الرافعي: «آيات منزلة من حول العرش، فالأرض بها سماء، هي منها كواكب أغلقت دونه القلوب، فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه أعراف الضمائر فابتزّ أنفالها»، وإذا كان القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه ومضمونه بين قصيد في اللفظ ووفاء في المعنى، وبين خطاب للعامة وخطاب للخاصة، وبين إجمال وبيان، فإن فيه ما يقنع العقل ويمتع العاطفة، وفي النفس الإنسانية —كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز– قوتان: قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم.

أولًا ترى القرآن في معمعة براهينه وأحكامه، لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق وتهويل وتعجيب، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتي حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا.

ولقد كان من فضل الله علي أن دفع إلي الأستاذ سامي عامري بكتابه هذا الذي وسمه بسؤال يستدعي نظر من وقع عليه: «هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟»؛ فوجدته قد جمع فعلًا بين هذين الجناحين ما يقنع العقل ويمتع العاطفة، وعندما قلبت صفحات هذا

الكتاب وجدته بحرًا لا ساحل له، فصاحبه قد أوتي حظًا من العلم، قد جمع أصول مادته العلمية من مظانها المبتغاة، فمصادره متنوعة، جمعت قواميس وموسوعات وترجمات ودراسات علمية للكتاب المقدس، من لغات مختلفة كالانجليزية والفرنسية وغيرها، فضلا عن المصادر القرآنية والتاريخية اللازمة له في تقرير ما يراه حقًا، زان ذلك كله أن الرجل قد أوتي نصيبًا وافرًا من الموضوعية فيما يقرأ ويكتب، فهو يتحرى الدقة والنزاهة والانصاف في كل خطواته، ولعمري إنها لصفات حريّ بالعلماء أن يتزينوا بها في كل شؤونهم، وصاحبنا هنا يناقش الشبهات والأباطيل المفتراه حول القرآن الكريم وحول الأنبياء عليهم السلام، من خلال مقارنات علمية جادة بين ما جاء في هذا القرآن وبين ما ورد في الكتاب المقدس والأسفار الموجودة في العهدين: القديم والجديد، ولا أعلم أحدًا قدّم جهدًا في هذا المجال وبهذا الأسلوب كما فعل الأستاذ سامي، فقد اثبت بالاستقراء التاريخي وبشهادة المنصفين من الغربيين أن السجلات التاريخية فضلا عن القرآن والسنة تُنكر وجود ترجمات عربية للكتاب المقدس قبل البعثة النبوية، وبذلك يزول الوهم وتسقط الدعاوى بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفاد من أهل الكتاب فيما قرأه على قومه من القرآن، وهكذا فإن الدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات فأصحابها أدعياء. ولقد أثبت الأستاذ سامي دلالة هذه الأسفار والكتب على ربانية القرآن بل إنه كشف عن الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية فيما يخص ولادة المسيح عليه السلام وطفولته وما يتعلق بقضية الصلب وغيرها، من خلال عودته للمصادر التاريخية المعتبرة والدراسات الغربية المنصفة التي صوّبت الأخطاء التاريخية للكتاب المقدس، لا سيما ما يتعلق بصفات الأنبياء وقصصهم.

وضرب أنموذجًا على ذلك بقصة يوسف عليه السلام من خلال ما جاء في القرآن الكريم مع ما جاء في تلك الأسفار ليثبت بوجه قطعي أن الحق هو ما قرره القرآن، وأن مصادر أهل الكتاب ملوثة وقائمة على الوهن والظن الذي لا يثبت ولا ينهض أمام الحق.

لقد استطاع الأستاذ سامي عبر مناقشاته الهادئة المطولة، ومن خلال سعة اطلاعه على المصادر الأصيلة لكل قضية قررها، ومن خلال ما وهبه الله إياه من موضوعية وإنصاف أن يصل إلى ما أراده وأن يقرر ما أوصله إليه العلم القائم على التأصيل والتقعيد والاستدلال.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعه وأن ينفع به، وأن يجزيه عن القرآن وعن المسلمين حسن الجزاء إنه سميع مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. فضل حسن عباس
الجامعة الإسلامية/ عمان

يوم الجمعة في الثاني والعشرين من غرة شوال
للعام ١٤٣١ من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم
الموافق للأول من شهر تشرين أول للعام ٢٠١٠ ميلادي

د. إبراهيم عوض

من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر في مجال نقض دعاوى المستشرقين والتغريبيين

بعث لى صديق كريم منذ عدة أيام عن طريق البريد المشباكى بكتاب رائع عنوانه «هل القرآن الكريم مقتبَسٌ من كتب اليهود والنصارى؟» لمؤلف شاب هو الأستاذ سامى عامرى، مكتوبٍ بأسلوب قوى جميل. وقد تصفحتُ الكتاب على عجل انتظارًا لفرصة أخرى أرجو ألا تتأخر كثيرا فأقرأه بما يليق به من اهتمام نظرا لما يشتمل عليه من مباحث تبدو لى جديدة، أو على الأقل: قد تناولها المؤلف الشاب المبدع تناولًا جديدا، إذ رأيته يتوقف أمام كل تهمة وجهها الكذابون من المستشرقين والحاخامات والمبشرين إلى سيد الأنبياء والمرسلين على مدار الأربعة عشر قرنا الماضية يزعمون فيها أنه أخذ من المصدر اليهودى أو النصرانى الفلانى أو العلانى هذه الفكرة أو تلك وأودعها القرآن المجيد، فيدرس التهمة دراسة مفصلة راجعًا إلى كل المصادر المتاحة: إسلامية كانت أو كتابية، بما فيها، ولعله أهمها والجديد فيها، التلمود، وكذلك الأناجيل التى لا تؤمن بها الكنيسة مما يسمى بالأناجيل الأبوكريفية، فيقارن بين ما جاء فى تلك الكتب وبين القرآن الكريم ليخرج فى نهاية كل مقارنة بما يقطع أن تهمة النقل غير واردة البتة. ثم لا يكتفى بهذا، بل يمضى خطوة أبعد فيبين على نحو علمى موثق أن القرآن الكريم فى كل حالة من هذه الحالات قد أصاب الحقيقة، على حين أن المصدر الكتابى الذى يزعمون أنه هو المصدر المسروق يعج بالأخطاء التاريخية والعلمية.

والكتاب يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ومملوء بالمراجع الإسلامية والكتابية، وكثير من المراجع الأخيرة مكتوب بالإنجليزية، فضلا عن استعانة المؤلف ببعض المراجع العبرية والسريانية اللغوية التى من شأن الاستعانة بها حَسْم التهم الباطلة السخيفة وهَدْمها نهائيا وإلى غير رجعة، تلك التهم التى يتقولها المدلّسون الكذابون من أهل الكتاب ممن درجوا على إطلاق سخافاتهم فى صياح عالٍ يحسبون أنه يرهب المسلمين ويُصِمّ آذانهم فلا يعودون يَقْوَوْن على الرد، فضلا عن التفنيد، وهو ما استطاع المؤلف المتمكن هتك الستر عما فيه من ضلال ووهم سخيف، إذ

كيف يعجز واحد من حواريى محمد صلى الله عليه وسلم صَحَّ منه العزمُ وسار على خطا قائده العبقرى العظيم أن يعجز عن الانتصار فى مثل تلك المعركة، وهو على الحق، وغريمه على الباطل؟

ولقد كان هذا الكتاب حافزًا لى على تناول موضوع كان يشغلنى منذ زمن بعيد، وإن لم أفكر يومًا فى معالجته فى دراسة منفردة، ألا وهو موضوع الاتهامات المضحكة التى أرسلها المدعو بيوحنا الدمشقى، ذلك القسيس الذى كان يعيش فى كنف الدولة الأموية، ثم ألف كتابًا تطرق فيه إلى الحديث، فى نحو عشر صفحات، عن الإسلام بوصفه بدعة نصرانية استعان فيها محمد صلى الله عليه وسلم براهب نصرانى هو الراهب بحيرا واتكأ على بعض كتب أهل الكتاب، إذ دفعنى ما كتبه الأستاذ المؤلف عن بحيرا، وهو قليل بسبب كثرة المسائل التى كان عليه أن يغطيها فى كتابه هذا، دفعنى إلى البحث عن نص ما كتبه يوحنا الضلالىّ المفترِى وتناوُله فى دراسة مستقلة تجاوزت مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، ربما لأول مرة فى تاريخ الفكر الإسلامى من حيث التفصيل الذى تناولته به، مما يسره الله للعبد الفقير إلى ربه فى غضون أيامٍ معدودة. فللمؤلف الشاب منى كل الشكر على أن جعله الله سببا فى كتابتى البحث المذكور.

وبعد، فينبغى أن يكون الشاب المسلم، كما تبدَّى لى الأستاذ سامى عامرى فى كتابه هذا الممتع، محبا لدينه العبقرى، مهتمًا بالمعالى، واثقًا بربه ودينه ونبيه ونفسه، مقبلًا على البحث والدراسة، حريصًا على أن يكون أسلوبه قويًا محكمًا منسابًا، بعيدا عن الإنشائيات، ملتصقًا بالمنهج العلمى، باذلا أقصى ما أنعم الله به عليه من جهد وموهبة فى سبيل إنجازِ كل ما ينفع أمّتَه وإتقانِه. بارك الله فى الأستاذ سامى عامرى، ونفع بكتابه الرائع الذى نرجو له الرواج فى سوق القراءة والقراء، فإنه يستحق ذلك استحقاقًا كبيرًا.

د. حاتم جلال التميمي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم- جامعة القدس/ فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أرسله الله للعالمين هداية وفرجًا، وارض اللهم عن أصحابه الأبرار الأطهار، كانوا للعالمين أئمةً وسرجًا.

وبعد....

فإن حكمة الله تعالى قد اقتضت أن يختم رسالاته إلى الناس كافةً بكتابٍ شاملٍ كاملٍ، يبين للناس أمور العقيدة، والأحكام، والأخلاق. وما دام أنه الكتاب الخاتم فلا بد أن يُصان عن أيِّ تحريفٍ، وعن أيَّةِ زيادةٍ أو نقصانٍ؛ لأنه سيبقى الدستور الخالد للناس كافةً؛ إذ لا كتاب بعده، فضمن الله جلت قدرته لكتابه الخاتم أن يُحفظ فلا يتطرق إليه شكٌّ ولا ريبٌ؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

واقتضت حكمة الله تعالى أيضًا أن يكون هذا الكتابُ هو الدليلَ على صدق من أنزله عليه، فلم تكن معجزةُ هذا النبي معجزةً حسيةً ماديةً؛ لأن آثار المعجزات المادية محصورةٌ فيمن يعاصرونها ويشاهدونها، ولكن كانت معجزةُ هذا النبيِّ معجزةً عقليةً باقيةً ما بقيت الدنيا، تحمل بين أسطرها الدليل على أن هذا الكتابَ هو كلامُ ربِّ العالمين. وكم من منصفٍ –قديمًا وحديثًا– قرأ في هذا الكتاب بعين بصيرته قبل أن يقرأ بعين بصره، وسمعه بقلبه قبل أن تسمعه أذناه، فلم يكن أمامه خيارٌ سوى أن يقرَّ بأن هذا الكتابَ هو كتابُ الله تعالى، وأنه هو الحق الذي يجب اتباعُه، وأنه كلَّ ما فيه حقٌّ وصدقٌ.

غير أن فئةً من الناس تنكروا للحق لما جاءهم، فاندفع فريقٌ منهم بدوافع شتى للوقوف في وجه هذا الكتاب العظيم؛ بالتشكيك فيه، واتهامه بتهمٍ لا أساس لها من الصحة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن ينطبق ما قالوه على القرآن الكريم. فمِنْ هؤلاء مَنْ دفعه إلى ذلك عدم التدبر، وعدم التثبت في فهم النص، أو نقل المعلومة. والخطاب لهؤلاء أن يعودوا إلى القرآن الكريم مرة تلو المرة؛ وأن يقرأوه قراءةً متأنيةً، متجردةً عن أيَّةِ أحكامٍ مسبقةٍ، وسيهتدون بأنفسهم إلى أن نظرتَهم السابقةَ عن القرآنِ الكريمِ لم تكن في مكانها، وأنهم تعجلوا في إصدار الحكم عليه. والتاريخُ والواقعُ شاهدان على وجود أناسٍ كثيرين ثابوا إلى رشدهم، ورجعوا عن طعنهم في القرآن الكريم.

وأما مَنْ وقف مِنْ هذا الكتابِ موقفَ الطاعنِ والمشككِ عن عمدٍ وعن قصدٍ بعدما تبين لهم أنه الحقُّ، وظهر لهم بالبرهانِ أنه الكتابُ الذي لا مِريةَ فيه، فالنصيحةُ لهم أن يتركوا هذا المسلك، وأن يعودوا إلى صوابهم، فإن هذا الكتاب محفوظٌ من ربِّ العالمين، وأنهم مهما بذلوا من الجهود لطمسه، وصد الناس عنه، فإنهم لن يستطيعوا الوصول إلى غايتهم؛ فقد كان لهم في هذا أسلافٌ كثيرون، سلكوا ذات المسلك، وحاولوا ذات المحاولة، ولكن هيهات هيهات؛ ذهبت محاولاتُهم أدراجَ الرياح، وبقي القرآنُ عزيزًا شامخًا أبيًّا أن يُنال منه، أو أن يتطرق إليه تحريفٌ أو تبديلٌ.

وعلى الرغم من كون القرآنِ هو الحقيقةَ الساطعةَ الوضوح، الحقيقةَ التي لا لبسَ فيها ولا غموض، فإنَّ بيانَ وجهِ الحقِّ فيه لمن أراد هذا البيانَ، وتوضيحَ ما أشكل منه على من وُجد عنه شيءٌ من هذا القبيل، هو أمرٌ تدعو الحاجةُ إليه أحيانًا؛ ردًّا للشاردين عن الحقِّ إلى صوابِهم، وإزاحةً لهم عن الشبهاتِ التي ربما علقت في أذهانهم من بعض المشككين الطاعنين في هذا الكتاب العظيم.

ومن هنا فقد انبرى كثيرٌ من الغيورين على القرآن الكريم للردِّ على ما يُثار ضده من الشبهات، وكان من بين هؤلاء الأخُ الفاضلُ الأستاذُ سامي عامري جزاه اللهُ كلَّ خيرٍ؛ فقد بذل جهدًا واضحًا في تفنيد زعمٍ باطلٍ بأن القرآن الكريم مقتبسٌ من كتب اليهود والنصارى، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذه عن أهل الكتاب. فعرض المؤلفُ الكريمُ لهذا الزعم، واستعرض جوانبه وما يتفرع عنه، ثم بيَّن بطلان ذلك الزعم. كلُّ هذا بأسلوب علميٍّ مُدَعَّمٍ بالدليل والبرهان، وحجةٍ واضحةٍ مقنعةٍ لمن كان مبتغاه الحق، وكان يبحث عنه. وقد تنوعت الأدلة التي اعتمد عليها المؤلف تَنَوُّعًا يفي بالغرض من هذا الكتاب؛ فكان منها أدلة من القرآن الكريم، وأدلة من التاريخ، وأدلة من العقل، وغيرها من الأدلة، كلها تشهد ببطلان ما زعموا. ورافق ذلك أسلوبٌ شيِّقٌ في العرض والتسلسل، ولغةٍ واضحةٍ تُفْصِحُ عن المراد. فجزاه الله عن القرآن الكريم خير الجزاء، وبارك الله فيه وفي أمثاله ممن يذودون عن كتاب الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. حاتم جلال التميمي

القدس الشريفة- ٢/٩/٢٠١٠م

القديم المتجدّد

تعتبر (الكتابات الكنسيّة) في السجال العقدي الفكري بين الإسلام والنصرانيّة، إحدى أجلى الأوجه التي تكشف مناهج التدليس (العلمي) التي تلبّس بها من يرفعون شعار الحوار الموضوعي بغير حق، ويتخذونه مِجنًّا لمخططات تنصيريّة لا ترعى للعقل الإنساني حرمة.

والناظر في السيل الجاري لإصدارات المنصّرين منذ «يوحنا الدمشقي»[1] إلى «عادل تيودور الخوري»[2]؛ يرى أنّ القرآن الكريم كان غرضًا محبذًا لنشاطهم التأليفي ولعملهم الدعوي التلبيسي .. والمتتبّع لأدبيّات هؤلاء، لا يجد حرجًا ولا يلقى مشقة في أن يلاحظ أنّ عمدة شبهاتهم، وذروة سنام تحريشهم على كتاب الله، هما الزعم أنّ القرآن ليس وحيًا من الله سبحانه إلى عبده محمد ﷺ، وإنما هو اقتباس بشري –صرف– من أسفار أهل الكتاب، حِيكت أحداثه في ظروف لازالت آثارها باقية منحوتة في سجلاّت التاريخ المحفوظ...

إنّ دعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب؛ هي الشبهة القديمة المتجددة، والتهمة الطافية المكرّرة، قد شطّت فيها الأوهام وزلّت فيها الأقلام .. وهي تعود إلى جذر واحد، وتسعى إلى هدف فرد .. الجذر هو العلم بأنّ التشابه بين القرآن الكريم والكتاب المقدس إذا لم يُفسَّر بأنّ الرسول ﷺ قد أخذ من أسفار أهل الكتاب مباشرة أو بطريق واسطة، فإنّه **لا دلالة أخرى له غير الإقرار أنّ مصدر هذا التشابه هو الوحي الربّاني** .. وإذا كان لا مجال عند

[1] يوحنا الدمشقي (٦٧٦م-٧٤٩م): سوري. أحد قدّيسي الكنيسة، وآخر الآباء –حسب الكنيسة الكاثوليكيّة–. كان راهبًا وقسيسًا، متعدد المعارف (لاهوت، فلسفة ...). خدم عند الخليفة المسلم. أهم شخصيّة شرقيّة أثّرت في صياغة التصوّر الذهني الاستشراقي عن الإسلام، وقد امتد هذا التأثير إلى الغرب في القرون الوسطى.

[2] عادل تيودور الخوري (ولد سنة ١٩٣٠م): لاهوتي كاثوليكي لبناني. رَأَس قسم اللاهوت في جامعة مانشستر بألمانيا. له اهتمام بالحوار الإسلامي–النصراني. معروف بنزعته المعادية للإسلام في كتاباته.

القوم للتسليم بربّانية القرآن .. فلا محيص عندها عن إعلان الاقتباس القرآني المدّعى .. والهدف هو إسقاط ربّانية القرآن وافتراء بشريته المزعومة.. فكانت نهاية الدعوى؛ هي مبتدأ الفكرة!

وقد مرّت هذه الشبهة بطباق متعددة وأطوار متأرجحة، وأخذت ألوانًا غير منتظمة، ووُجِّهت وجهات متباعدة، حتّى إنّ بدايتها على يد «يوحنا الدمشقي» في زعمه أنّ الرسول ﷺ قد حاور راهبًا آريوسيًا[٣] –حوارٌ لا تَلمذة، وأريوسي لا نسطوري..– قد صارت قطعة من التاريخ القديم، وصارت الشبهة أوسع، وأعقد، وأكثر ضبابيّة رغم ما أريد لها من وضوح، وصرنا نقرأ عن مصادر يهوديّة، ونصرانيّة، ومجوسيّة، وحتّى هندوسيّة، وفرعونيّة[٤]..

لقد صيغت مؤلفات عديدة بجميع اللغات الأوروبيّة في تغذية عروق هذه الدعوى بالبراهين المركّبة، دون أن يخضع (البرهان) إلى (الفحص) و(التقويم)، في استحضار للواقع (الفكري) القروسطي الذي لخّصه لنا قول «نورمان دانيال»: «كلّ الكتاب (النصارى في القرون الوسطى) يميلون إلى التمسك بخرافات غريبة حول الإسلام ونبيّه .. **استعمال دليل باطل لمحاربة الإسلام كان أمرًا شائعا في العالم.**»[٥]

لقد كان القول باقتباس القرآن من أسفار الأوّلين ذائعًا منذ قرون، وقد استقرّ في القرون الوسطى على الصورة التي رسمها كلّ من «بطرس المبجّل»[٦] و«بطرس الطليطلي»[٧] .. إلاّ أنّ

---

[٣] انظر؛ Saint John of Damascus، 'the Fount of Knowledge,' in *The Fathers of the Church, St. John of Damascus Writings*, tr. Frederic H. Chase , CUA Press, ٢٠٠٠, , p.١٥٣

[٤] انظر؛ Ibn Warraq, ed. *What the Koran Really Says: Language, Text, and Commentary*, NY: Prometheus Books, ٢٠٠٢, pp.٢٤٥- ٣١٨

[٥] Norman Daniel, *Islam and the West,* Oxford: Oneworld, ١٩٩٣, p.٢٦٧

[٦] بطرس المبجّل Peter the Venerable (١٠٩٢م- ١١٥٦م): أهمّ من حرّض على النقض العلمي للإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، وقد بذل جهدًا كبيرًا في ترتيب عمل مترجمي القرآن الكريم إلى اللاتينيّة. أكّد في كتابيه «خلاصة كامل هرطقة السرسيّين» «*Summa totius heresis Saracenorum*» و«نقض فرقة أو هرطقة السرسيين» «*Liber contra sectam sive heresim Saracenorum*» على ما

كتاب المستشرق اليهودي الألماني «أبراهام جايجر»[8] «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة؟» «*Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*»[9][10] قد فتح لهذه الفرية الطريق إلى المنصّات الأكاديميّة ودراسات أعلام المستشرقين[11]؛ فقد استنسخ جوهر هذا البحث «نولدكه» «Nöldeke»[12] -الصديق الحميم «لجايجر»-، وتابع هذا المنهج الذي رسمه

استقرّ في الذهنيّة الأوروبيّة القروسطيّة من أنّ القرآن ليس إلاّ مجمع هرطقات كثير منها مقتبس من الأريوسيّة والنسطوريّة والمانويّة ...

[7] بطرس الطليطلي Peter of Toledo (القرن الثاني عشر): أحد أهم العاملين في إعداد أوّل ترجمة لاتينيّة للقرآن الكريم، ومترجم مناظرة «الكندي» مع «الهاشمي»، ومؤلّف أحد الردود على الإسلام، وهي مؤلّفات شكّلت موقف النصرانيّة -الأوروبيّة- اللاتينيّة من الإسلام في القرون الوسطى.

[8] أبراهام جايجر (١٨١٠م-١٨٧٤م): لاهوتي يهودي ألماني، شغل وظيفة حبر. من أعلام اليهود الإصلاحيين.

[9] ألّف الكتاب أولًا باللغة اللاتينيّة تحت عنوان «*Inquiratur in fontes Alcorani seu legis Mohammedicae eos, qui ex Judaismo derivandi sunt*» وشارك به مؤلّفه في مسابقة في كليّة الفلسفة في بون سنة ١٨٣٢م، ثم ترجم إلى الألمانيّة ليكون أطروحة دكتوراه في ماربورغ سنة ١٨٣٤م.

[10] كتب «أبراهام جايجر» بعد هذا المؤلّف بثلاثين سنة كتابًا لإثبات أنّ النصرانيّة تعود في أصولها إلى اليهوديّة الفرّيسيّة، وفي حين استقبل كتابه ضدّ القرآن بترحاب غامر في أوروبا، لقي كتابه عن النصرانيّة ردودًا عنيفة وقاسية. (انظر؛ Susannah Heschel, *Abraham Geiger and the Jewish Jesus*, Chicago: University of Chicago Press, ١٩٨٨, p.٥٢)

[11] لقي الكتاب مع ذلك معارضة من عدد من النقاد؛ فقد طعن المستشرق «هنريخ لبرخت فليشر» «Henrich Lebrecht Fleischer» في موضوعيّة مؤلّفه معتبرًا أنّ عقيدته كانت حاسمة قي صياغة الكتاب، وقال المستشرق «دو ساسي» «de Sassy» إنّ المؤلّف قد بالغ في ادّعاءاته؛ إذ إنّ الكثير من الأفكار المشتركة بين الإسلام واليهوديّة التي أوردها «جايجر» تتبنّاها جلّ الأديان في العالم. (انظر؛ المصدر السابق، ص٥٩)

[12] تيودور نولدكه (١٨٣٦م-١٩٣٠م): من أعلام المستشرقين الألمان. له اهتمام بدراسة الإسلام واللغات الساميّة.

«جايجر»، «جولدتسهير» «Goldziher»[13] و«غوستاف فيل» «*Gustav Weil*»[14] و«جوزف هوروتز» «Josef Horovitz»[15] و«أبراهام كاتش» «*Abraham Katsh*»[16]... ثم خرج «ويليام سنت كلير تسديل» «*William St. Clair Tisdall*»[17] على القرّاء بكتابه «*The Original Sources of the Qur'ân*» ؛ ليفتح الباب على مصراعيه لنسبة قصص من القرآن الكريم إلى النصرانية الهرطقيّة، ووجد مؤلّفه رواجًا كبيرًا رغم أنّه ليس بحثًا علميًا، وإنّما هو «**مُزَعٌ** رديئة من الدعايات التنصيريّة» على حد تعبير الناقد «فرنسوا دو بلوا» « François de Blois»[18] ...[19]

---

[13] إغنتس جولدتسهير (١٨٥٠م-١٩٢١م): مستشرق يهودي هنغاري. من أهم من اشتغل في التشكيك في السنّة النبويّة، وقد نسب الفقه الإسلامي إلى القانون الروماني.

[14] غوستاف فيل (١٨٠٨م-١٨٨٩م): مستشرق يهودي ألماني. له مؤلّفات في القرآن والسيرة وتاريخ الخلفاء.

[15] جوزف هوروتز (١٨٧٤م-١٩٣١م) حبر يهودي أرثودكسي. مستشرق ألماني. أسّس قسم الدراسات الشرقيّة في الجامعة العبريّة في القدس، وكان رئيسه.

[16] أبراهام كاتش (١٩٠٨م-١٩٩٨م): يهودي. كان والده وجده من الأحبار. متخصص في اللغة العبريّة. أدخل تدريس اللغة العبريّة الحديثة في مقررات الجامعات الأمريكيّة.

[17] ويليام سنت كلير تسديل (١٨٥٩م-١٩٢٨م): منصّر بريطاني، كانت له عناية باللغات الشرقيّة.

[18] François de Blois, "*Review of Ibn Warraq's The Origins Of The Koran: Classic Essays On Islam's Holy Book*", in *Journal Of The Royal Asiatic Society*, ٢٠٠٠, Volume ١٠, Part ١١, p. ٨٨ (Quoted by, M S M Saifullah & Imtiaz Damiel, *Comments On Geiger & Tisdall's Books On The 'Sources' Of The Qur'ân*)

[19] حصر «ه. شفارزبوم» بيبليوغرافيًا عناوين الدراسات التي تناولت موضوع اقتباس القرآن الكريم من مصادر يهوديّة ونصرانيّة حتى سنة ١٩٨٢م، انظر؛ H. Schwarzbaum, *Biblical and Extra-Biblical Legends in Islamic Folk Literature*, Waldorf-Hessen: Verlagtur Orientkunke, ١٩٨٢

وتكاد الدراسات الحاليّة القائلة بهذا الاقتباس، تتوقّف –فيما يتعلق بالأصول الكتابيّة– عند المصادر التي حدّدها كلّ من «جايجر» و«تسديل»؛ لتبقى أصول الشبهة دائرة في مجال كتابيهما، مع تعديلات طفيفة للإيحاء بطرافة البحث وجديّته.

من أهمّ المؤلفات التي نشرت لاحقًا وروّجت لنفس الدعوى:

الأثر اليهودي الحاسم في صناعة القرآن:

Arent Jan Wensinck, *Mohammeden de Joden te Medina (١٩٠٨)*

Ch. C. Torrey, *The Jewish Foundation of Islam (١٩٣٣)*

الأثر النصراني الحاسم في صناعة القرآن:

J. Wellhausen, *Reste Arabischen Heidentums (١٨٩٧)*

Tor Andrae, *Der Ursprung des Islams and das Christentum (١٩٢٦)*

Richard Bell, *The Origin of Islam in its Christian Environment (١٩٢٦)*

Karl Ahrens, *Muhammmad als Religionsstifter (١٩٣٥)*[٢٠]

ظهر اليوم تيّار آخر لا يرى مذهب الأوّلين ولا الثانين؛ لاعتقاده أنّ **نسبة نبيّ الإسلام إلى هذه المعرفة العميقة والملوّنة لثقافات أهل الكتاب وغير ذلك من معارف معقدة، لا يمكن قبولها**؛ ولذلك نسب القرآن إلى الأجيال اللاحقة للرسول ﷺ (!!)، ومن أبرز المنافحين عن هذا المذهب، «جون ونسبروغ» «*John Wansbrough*»[٢١] في كتابيه «*Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*» (١٩٧٧م) و« *The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History*» (١٩٧٨م).

---

[٢٠] Oliver Leaman, *The Qur'an*, New York, Routledge, ٢٠٠٦, p.٤٧٧

[٢١] جون ونسبروغ (١٩٢٩م-٢٠٠٢م) : مؤرّخ ومستشرق أمريكي. درّس في جامعة لندن.

يَعتبر «ونسبروغ» أنّ القرآن قد أُلّف في القرن الثاني الهجري، وأنّه نتاج الجدليات الدينية الإسلاميّة- اليهوديّة. وقد تبنّى هذا المذهب عدد من تلاميذ «ونسبورغ»؛ «كأندرو ربّن» «Andrew Rippin»[22] و«نورمان كالدر» «Norman Calder»[23] و«جيرالد هاوتنغ» «Gerald Hawting»[24]. وهو ما قاله أيضا كلّ من «كرون» «Crone»[25] و«كووك» «Cook»[26] في كتابيهما الشهير: «The Hagarism: The Making of the Islamic World» (١٩٧٧م)[27].

يقف هذا التيّار أمام حقائق تاريخيّة ماديّة كثيرة وصلبة تمنعه من الخروج من دائرة كتب المستشرقين الشاطحين ومقالاتهم التي لا تستهوي الراغبين في الجدال المباشر مع المسلمين!

أمّا في العالم العربي؛ فلم يخل عن المستشرقين القائلين بأصول يهوديّة/نصرانيّة للإسلام، هذه الدعوى غير قلّة قليلة ممن يدورون عامة في فلك (التنصير) أو (التغريب)، ولعلّ أشدّ هؤلاء جرأة- إلى درجة الوقاحة- في تبنّي هذا المذهب والاستعلان به، الكاتب المسمّى: «هشام

---

[22] أندرو ربن: أستاذ التاريخ وعميد إحدى الكليّات في جامعة فكتوريا. متخصص في التاريخ المبكّر للإسلام والتفسير (التقليدي) للقرآن الكريم.

[23] نورمان كالدر (١٩٥٠م-١٩٩٨م) أستاذ الدراسات العربيّة والإسلاميّة في جامعة مانشستر. حصل على الدكتوراه تحت إشراف «جون ونسبروغ». كان له اهتمام بالجانبين التشريعي والفقهي في الإسلام.

[24] جيرالد هاوتنغ (ولد سنة ١٩٤٤م): مستشرق بريطاني. أستاذ متقاعد لتاريخ الشرق الأدنى والأوسط في مدرسة الدراسات الشرقيّة والإفريقيّة.

[25] باتريسيا كرون (ولدت سنة ١٩٤٥م) ولدت في الدنمارك. مؤرّخة ومستشرقة مهتمة بأصول الإسلام وتاريخه المبكّر. من أشهر دعاويها، قولها في كتابها المشهور «Meccan Trade and The Rise Of Islam» إنّ محمدًا (صلّى الله عليه وسلّم) لم يعش في مكّة التي نعرفها اليوم، وإنّما في منطقة أخرى تبعد عنها بأكثر من مئة ميل! وقد ردّت عليها الدكتورة «آمال الروبي» -أستاذ مشارك في قسم التاريخ اليوناني والروماني- في كتابها «الرد على كتاب باتريشيا كرون: (تجارة مكة وظهور الإسلام» -وهو ردّ علمي قيّم-.

[26] مايكل كووك (ولد سنة ١٩٤٠م): مؤرّخ ومستشرق إنجليزي-إسكتلندي. عضو الأكاديميّة الأمريكيّة للفنون والعلوم. من تلاميذ المستشرق «برنارد لويس».

[27] Oliver Leaman, *The Qur'an*, p.٤٧٧

جعيط» في كتابه: «تاريخية الدعوة المحمدية في مكة»، وهو كاتب غرّ فكريًا إلى درجة الإحساس بفقدان الذات؛ قد أوقعه ضمور الحسّ النقدي عنده، وأميّته المعرفيّة البائسة في باب المعارف النصرانيّة –سواء المكتوبة بلسان كنسي أو المحرّرة من طرف منتقدي الكنيسة!، في ارتكاب عمايات علميّة، وإطلاق إجمالات بدائية تشفّ عن نفسيّة متشنجّة تسعى للشهرة ولو (بالتجمّل) بأطمار الجهل الفاضح![٢٨]

وإذا كان المستشرق «وات» «*Watt*»[٢٩]، يقول إنّ المستشرقين الغربيين يسيئون استعمال القالب العلمي لتأكيد أفكارهم المسبّقة[٣٠]، فإنّ «جعيط» وأضرابه، يستغلون البداوة العلميّة لتلاميذهم للترويج لنقولهم غير الأمينة!

لا ريب أنّ الاستشراق التنصيري –كما كان– هو المصدر الأوّل لدعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب؛ فهو الذي اختلقها، وهو الذي رعاها نطفة، فجنينًا، فوليدًا، وهو الذي وظّف كتابات الاستشراق غير الكنسيّ لخدمة هدفه، وهو الذي يروّج لهذه الدعوى بكثافة في كلّ اللغات المتاحة لديه– وهي كثيرة جدًا–.

---

[٢٨] يتميّز كتاب «جعيط» في السيرة النبويّة –والحديث أساسًا عن الجزء الثاني– بثلاث ميزات هامة؛ أولها– أنّه قد «سطا» على كتابات المستشرقين وجمع بينها في صورة فجّة مشوّشة، ولا يكاد يُعرف له في كتابه قول لم يسبق إليه، رغم أنه قد خرج على الصحافة بعد أن أثار كتابه موجة استنكار ليقول بكلّ (توقّح) إنه لولا ما في كتابه من طرافة وإبداع لم يكن لينشره، وتتميّز هذه (التوليفة)، أنها قد جمعت أشد الاعتراضات المتطرّفة ضد القرآن الكريم، بما يعطي للكتاب نكهة (تنصيريّة) حيث ينشغل الكاتب في (لملمة الشبهات وجمع الاعتراضات ولو كانت متشاكسة)، إلاّ أن كاتبه ليس على قبلة النصرانيّة عقيدة، أمّا الأمر الثاني– فهو الفقر الشديد في مراجع كتابه والعجز (المرضي) عن الإحاطة بجوانب الموضوع، والعرض (الباهت) لنتائج الأبحاث التي سطا عليها دون أن يبدي مقدماتها وأدّلتها، وثالث هذه الأمور–، جهله الظاهر بالدراسات الكتابيّة التي اقتحم بابها دون زاد من قراءة ناقدة، بل من قراءة مجرّدة، ولذلك وردت في كتابه أخطاء علميّة (ساذجة) ودعاوى فجّة (فاقعة) لا يقع فيها مبتدئ في العلم، سنعرض لها لاحقًا في هذا الكتاب.

[٢٩] ويليام مونتغمري وات (١٩٠٩م–٢٠٠٦م): مستشرق إسكتلندي. كان أستاذًا للغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة في جامعة إدنبرة. عمل فترة من حياته قسيسًا.

[٣٠] Oliver Leaman, *The Qur'an*, p.٤٧٧

ولما كان الذبّ عن كتاب الله سبحانه، هو من الفروض التي حثّ الشرع على القيام لها، والقيام بها .. فإننا سنتولى في هذا الكتاب الردّ على هذا الطعن مستضيئين بنور العقل الواعي، والتاريخ القاطع، والعلم اليقيني .. جاعلين الحقائق الموضوعيّة التي تستوي المناهج العلميّة في التسليم بحجيّتها والثقة في دلالتها، الفيصل في الحكم في هذه الدعوى. ولن يكون القرآن الكريم فيصلًا في إعلان الحكم النهائي من هذه الدراسة؛ لأنّه الخصم الذي لا يُسَلَّم له المخالف بالحجيّة، بل ويتخذه مرمى لشبهاته، فإن استدللنا بالقرآن الكريم فإنّما من باب أنّه (وثيقة تاريخيّة) معتبرة عند مخالفينا، وهذا أمر لا يمكن لمن لا يسلّم بربّانيّة القرآن الكريم أن يردّه.

وإنّ من غايات هذه الدراسة أن تفيد القارئ العربي بما يعينه على استيعاب آخر ما كتبه المستشرقون والمنصّرون مع ما تراكم سابقًا في المكتبتين الاستشراقيّة والتنصيريّة من دراسات كثيرة .. وإنّي لأرجو للقارئ الذي يستوعب مباحث هذا الكتاب أن يكون قد أحاط بأهم ما يتداوله الأكاديميون الغربيون في هذا الموضوع، وأن يكون قادرًا على أن يجادل في دقائق هذا الموضوع بعلم وبصيرة بما يجلو عن القرآن الكريم ران المحرّفين.

وإنّي لأرجو –بكرم الله جلّ وعلا– أن أكون قد وفّيت هذا الموضوع حقّه؛ فقد كان يراود ذهني منذ زمن بعيد، وما تهيّبت التأليف في بابه إلاّ لسبب وحيد؛ وهو ألاّ أجد سعة من الوقت لأحيط بأهم عناصره؛ فمثل هذا الموضوع لا يؤدّيه حقّه العرض السريع لمباحثه، ولا يقال في أمر فيه بالظن المجرّد، ولا يطلق فيه القول دون توثيق من أمّهات الكتب والمراجع المتخصصة التي هي عمدة الباحثين في الغرب والشرق. وقد كنت أرجو أن يتناوله غيري في دراسة علمية يستفرغ فيها الوسع، غير أنني لما رأيت التجاهل (الغريب) لهذا الموضوع في المكتبة العربيّة، رغم أنّه مادة ثابتة في كتابات الطاعنين في القرآن الكريم [٣١]؛ توكّلت على الذي لا يخيّب رجاء عبده

---

[٣١] انظر تعليق المستشرق «برنارد لويس» على تجاهل علماء المسلمين لما كُتِب عن الأثر اليهودي في صياغة القرآن الكريم، وقوله إنّ دعوى أنّ القرآن الكريم متأثر بكتابات اليهود لم تثر غير حفيظة النقّاد غير المسلمين الذين يرون أنّ القرآن الكريم متأثّر بالنصرانيّة لا اليهوديّة!!؟ (انظر؛ Bernard Lewis, *The Jews of Islam*, New Jersey: Princeton University Press, ١٩٨٤, p)

ولعلّه من أكثر ما يأسف له المرء هو أن يرى أنّ الذين يردّون على أهم الشبهات المحدثة حول القرآن الكريم اليوم هم من غير المسلمين، لا رغبة منهم في الانتصار لربّانيّة القرآن الكريم، وإنّما لأنّهم يقدّمون –في رأيهم– وجهًا أقوى للطعن في كتاب الله سبحانه؛ فهم إذًا (يتخاصمون) في أمر (أقوى) الطعون !!.. وأمّة الإسلام بكتّابها المتكاثرين و(خرّيجي) جامعاتها الشرعيّة المتراكمين تراكمًا لم يزدهم إلاّ ضعفًا، في غيبة عن شهود هذه السجال التي ينال فيه المخالفون من قداسة كتابها؛ ألا ترى أننا نعيش في زمن سيطرت فيه عقلية (النقل) و(النسخ) عن المتقدمين؛ فلسنا (نحسن) إلاّ ما أحسنوه (!) ... ومن الأمثلة التي (يحزنني) و(يدمي قلبي) أن أذكرها، ما شاع في الكتابات الغربية على مدى قرون أنّ اسم والد «إبراهيم» عليه السلام كما هو في القرآن الكريم: «آزر»، مأخوذ خطأ من كتاب مؤرّخ الكنيسة «يوسابيوس»: «تاريخ الكنيسة» حيث ورد أنّ اسم والد «إبراهيم» عليه السلام هو «Αθαρ» (آثر). وقد قال أصحاب هذه الشبهة إنّ تحويرًا بسيطًا في هذا الاسم سيجعله ينطق «آزر»، واستمر تداول هذه الشبهة في عشرات الكتب منذ القرن السابع عشر، حتّى (تفضّل!) المستشرقون بالقول إنّ الكلمة اليونانيّة الأصليّة الواردة في كتاب «يوسابيوس» هي «ατας» (أتار) لا «Αθαρ» (آثر)، وأنّ النص في حقيقته لم يذكر والد «إبراهيم» عليه السلام أصلًا؛ فالنص يقول (الترجمة الإنجليزيّة: Of these, some excellent men lived before the flood, others of the sons and descendants of Noah lived after it, among them Abraham, whom the Hebrews celebrate as their own founder and forefather) (Eusebius, *The History of the Church*, tr. Arthur Cushman McGiffert, K.S.: Digireads, ٢٠٠٥, p.١١)، (الترجمة الفرنسيّة: Plusieurs d'entre eux ont vécu avant le déluge; d'autres ont existé plus tard, tels les fils et les descendants de Noé, tel Abraham que les fils des Hébreux se glorifient d'avoir pour chef et pour premier père) (Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, Paris: Alphonse Picard, ١٩٠٥, pp.٤٥،٤٧)، ثم اخترع المستشرقون احتمالات أخرى لتفسير أصل وجود اسم «آزر» في القرآن الكريم، كلّها تطعن في ربّانيّة كتاب الله (انظر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, Oriental Institute Baroda, ١٩٣٨, pp. ٥٣-٥٥).. والأمثلة أكثر من أن تحصر .. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم!

وليس (للكسالى) هنا محل للكلام باستعراض حجّتهم البليدة بالقول إنّ هذه الشبهات (سخيفة) ولسنا في حاجة إلى الرد عليها؛ فإننا لم نر هؤلاء يردّون على الشبهات (الذكيّة) ولا (السخيفة) ولا (ما بينهما!)، وإنّما هي حجّة القاعد المستسلم (لرخاوة) عقله. إنّ الشبهات لا تقسّم إلى (سخيفة) و(جادة)؛ فالباطل هو الباطل، وإنّما تقسّم إلى شبهات (رائجة) وأخرى (غير رائجة)، ومن هذه النقطة يكون مبتدأ العمل الفكري في دفع الأباطيل؛ ألا ترى أنّ

الضعيف، وسطّرت من الكلام ما أرجو به أجر الكريم المنان، وردّ الفتنة عن أبناء المسلمين، ودفع عادية الطاعنين في كتاب الله المبين ..

وقد قسّمت هذا البحث إلى خمسة أبواب ..

الباب الأول، وفيه نعرض للاحتمالات التي تفرزها دعوى الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب، فيما يتعلّق بمصدر تلقي هذه العلوم من طرف نبي الإسلام ﷺ، واضعين إياها في ميزان المنطق التاريخي السوي، مستضيئين بحقائق التاريخ وكشوفه.

القرآن الكريم يزخر بالآيات التي تنفي ألوهيّة الأصنام وقدرتها على النفع والضر، رغم أنّه لا يستريب أحد اليوم أنّ عبادة الأصنام دين مسف في الضلال، وما جاءت الآيات في نقض هذه العقيدة الباطلة إلاّ لأنّها كانت رائجة زمن نزول القرآن الكريم.

وإنّ أمانة الكلمة تدفعني لأقول إنّ الخطاب العلمي الإسلامي لم يلامس إلى اليوم ساحات النشاط الأكاديمي الغربي؛ فلازالت عامة الكتابات التي تتحدث عن الغرب باللغة العربيّة، متشبّعة (بالهلاميّة) في التصوّر والطرح والنقد، ومسرفة في الإجمال المخل الذي يقصر عن طرح (مشروع) علمي دعوي متكامل. كما أنّ الكتابات الإسلاميّة المترجمة من العربيّة إلى اللغات الأوروبيّة أو المؤلّفة باللغات الأوروبيّة ابتداءً، متوجهة فقط إلى مخاطبة عوام الغربيين، ويكاد يقتصر الخطاب الذي يريد دفع الشبهات الكبرى عن الإسلام في الدوائر الأكاديميّة الغربيّة على بعض الكتّاب الغربيين غير المسلمين –المتعاطفين مع الإسلام– كـ«جون إسبوزيتو» «John Esposito» و«كارن أرمسترنج» « Karen Armstrong» –إلاّ استثناءات قليلة جدًا من المسلمين– !!.. فمتى ندرك أنّنا نعيش اليوم في عالم لا يرحم (الكسالى)، ولا يحترم (مدمني البطالة الفكريّة)، ولا يعترف بـ (محبي الاسترخاء العقلي)؟!!

لقد كان سلفنا من أهل القرون الهجريّة الأولى هم الذين أسّسوا علم مقارنة الأديان، وكان اليهود عالة عليهم في الجدل الديني ضد النصرانيّة، وهم –أولئك الأجداد– الذين قدّموا لأوروبا العناصر التي بدأت منها في –ما يسمى– (بعصر النهضة) بتأسيس الدراسات الكتابيّة العلميّة (كلّ ذلك باعتراف المستشرقة الإسرائيلية « Hava Lazarus-Yafeh» – انظر؛ Hava Lazarus-Yafeh, '*Some Neglected Aspects of Medieval Muslim Polemics against Christianity*,' in *The Harvard Theological Review*, Vol. ٨٩, No. ١ (Jan., ١٩٩٦), pp. ٦٥-٧٠)، لكننا في القرون الخمسة الأخيرة (من السادس عشر إلى العشرين) عشنا خارج (تاريخ) علم مقارنة الأديان .. فهل من عودة؟! وهذا هو الأمل!

الباب الثاني، وفيه نعرض لدلالة كلّ من الاتفاق والاختلاف بين القرآن الكريم وأسفار أهل الكتاب، على ربّانية القرآن الكريم وأصله السماوي.

الباب الثالث، وهو مخصص لتناول أوجه التصحيح والسبق القرآنيين في باب القصص التاريخي، مقارنة بما ورد في أسفار أهل الكتاب.

الباب الرابع، وفيه نختبر من خلال نموذج عملي، دعوى الاقتباس، من خلال المقارنة بين الرواية القرآنية والرواية التوراتيّة لقصة نبي الله «يوسف» عليه السلام..

الباب الخامس، وفيه إثبات مختصر لاقتباس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من ديانات الوثنيين وفلسفة اليونان ..

والله الموفق .. وهو من وراء القصد ..

«اللهم اجعل هذا الكتاب ذخرًا لمؤلفه والناشر له -بكل سبيل-، في القبر .. وعند الصراط .. وعند تطاير الصحف! واغفر لي حظ النفس فيه!»

«اللهم ارحمني وأهلي والمسلمين فوق الأرض .. وتحت الأرض .. ويوم العرض! »

«ربّ اشرح لي صدري .. ويسّر لي أمري .. واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي!»

رغم افتقاد النصرانيّة لأدنى الأصول العلميّة السليمة التي تسمح لها أن تطأ بقدمها أرض التدافع الديني، ورغم أنّ (دلائل صدق النصرانية) كما يقدمها أئمة التنصير؛ هي نفسها عند العقلاء (دلائل بطلان النصرانية)[٣٢]؛ فإنّ المنصّرين إذا ما ولّوا أمرهم إلى الطعن في الإسلام، فإنهم يصنعون من الخاطر العابر أسطورة شائكة، ومن الأثر الساقط رواية متواترة، ومن الظنّ المرجوح حقيقة قاطعة ..

والذي يعجب له الناظر في مصنّفات الدفاعيين[٣٣] النصارى يرى أنّ هؤلاء الكتّاب إذا كانوا بصدد الردّ على الطعون في أسفارهم وعقائدهم؛ يعمدون إلى أبعد الفروض وأغرب الاحتمالات لدفع التناقض وردّ الزلل عن مقدساتهم[٣٤]، لكنهم إذا ما أنشبوا أقلامهم في صحائف القرآن الكريم، تبدّل الحال وتهيّجت النفوس؛ فينكر القوم على المسلمين أوضح البراهين، وأصحّ الأسانيد، وأنقى المتون، متشبثين بأوهى اعتراض، وأوهن شبهة، وأرق احتمال..

ولما كنّا في هذه الدراسة قاصرين جهدنا على شبهة الاقتباس، فإننا لن نرسل القلم في تتبعهم في غير هذا الباب، وإنما سنقصر الأمر على ملاحظة الدعاوى التي يسوقونها لإثبات زعم النقل القرآني عن أسفارهم التي يقدّسونها.

---

[٣٢] أشهر هذه (الدلائل) نبوءات العهد القديم بظهور (يسوع المسيح)، ولا يكاد يخلو كتاب تنصيري من ذكرها أو ذكر بعضها، وقد فندتُ كلّ هذه النبوءات التي ادعاها مؤلفو الأناجيل الأربعة، في كتابي «محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة» ص ١٨٨-٢٢٩ (مكتبة النافذة ٢٠٠٧م)، وهي في حقيقتها، قاطعةٌ أن كتّاب الأناجيل كانوا بشرًا مسوقين باجتهاداتهم الشخصية التي تعارض العقل والوحي.

[٣٣] (Apologists)، يسمون أيضًا (الاعتذاريين).

[٣٤] انظر مثلًا؛ «منيس عبد النور» في كتابه «شبهات وهميّة حول الكتاب المقدس» الذي يعتبر (إنجيل المنصّرين العرب).

وبالنظر إلى أصول شبهة المنصّرين وعناصرها، فإنّه من الممكن أن نلاحظ أنها مبنيّة على عدة دعاوى .. تحتاج كلّ واحدة منها إلى دراسة، وتحليل، وتفنيد ..وهي:

- محمد ﷺ كان يقرأ، بل هو صاحب مطالعات دينيّة جمّة!
- محمد ﷺ كان مطّلعًا على الأسفار المقدسة لأهل الكتاب، من يهود ونصارى!
- محمد ﷺ كان مطّلعًا على الكتب المقدسة الأبوكريفية[٣٥] التي لا تعترف بها الفرق اليهودية والنصرانية الكبرى، وكان عميق المعرفة بالكتب الدينيّة التي هي أدنى في قداستها من الكتاب المقدس -مع حجيّتها عند أهلها-!
- كانت بلاد العرب تعيش ثقافة كتابيّة مزدهرة!
- استفاد محمد ﷺ من رؤوس الطوائف الدينيّة في زمانه، آخذًا عنهم الكثير من المعارف الدينية الدقيقة!
- عكف محمد ﷺ على مراجعة أسفار أهل الكتاب؛ بحذف أخطائها، وجبر نقصها!
- كان محمد ﷺ مع ذلك حريصًا على مراعاة الإعجاز في النظم القرآني!
- كان محمد ﷺ يتحدى بهذه المعارف الشخصية، العرب الوثنيين وأهل الكتاب على السواء!
- كان محمد ﷺ يردّ -من كيس ثقافته الخاصة- على أسئلة أهل الكتاب واختباراتهم، باقتدار وإتقان!

هذه الادعاءات لم يملك المستشرقون والمنصّرون لإثباتها دليلًا صحيحًا واحدًا، وإن كانوا قد بنوا عليها مزاعم طويلة عريضة منتفشة، ومع ذلك فإننا سنناقشها كلّها بعد أن نردّها إلى أصولها الثلاثة:

---

[٣٥] الأبوكريفية، من الكلمة اليونانيّة «ἀπόκρυφος» «أبوكريفوس» أي مخفي، اصطلاحًا: النصوص والأسفار المرفوضة من طرف الفرق النصرانية (الأرثوذكسيّة):(الأبوكريفا النصرانيّة)، أو اليهوديّة: (الأبوكريفا اليهوديّة).

- إنكار أميّة محمد ﷺ.
- الأسفار النصرانية كانت متاحة بين يدي محمد ﷺ للنقل عنها.
- كانت مكة مرتعًا تعليميًا راقيًا للدراسات الدينيّة المقارنة.

أمية الرسول ﷺ

تنبني دعوى الاقتباس المزعومة على عناصر أساسيّة لا بدّ منها لتكتمل شروط صحّة الإدانة – على فرض أنّ الرسول ﷺ قد أخذ عن أسفار أهل الكتاب مباشرة–؛ من أهمها امتلاك محمد ﷺ للأدوات العلميّة المكتسبة للاطلاع المباشر على الأسفار المقتبس منها. ويعتبر التأكيد الإسلامي على أميّة الرسول ﷺ عقبة تقف دونها ركائب المنصّرين وعامة المستشرقين، فلا يمكن أن تعبر إلى إثبات الدعوى، إلاّ بإبطال حقيقة هذه الأميّة!

وأوّل ما يواجه المنصّرين والمستشرقين في هذا الشأن هو أنّ مصنفات الحديث والسيرة بالإضافة إلى القرآن الكريم، هي المصادر التاريخيّة الوحيدة المعتبرة لمعرفة خبر محمد ﷺ فيما يتعلّق بكلّ أمره .. وليس للمنصّرين والمستشرقين مدخل آخر لهذا الموضوع ولا أدوات أخرى موضوعية حاسمة للبحث فيه..

والناظر في منهج هؤلاء المخالفين؛ يرى بوضوح أنهم يعمدون إلى الضعيف من النقول، أو إلى المتشابه من الأقوال، أو البعيد من الاحتمالات التي لا تطيقها النصوص.. ويتركون في مقابل ذلك نصوص صريحة، صحيحة، محكمة، مباشرة ..

ويبدو أنّ من أسباب هذا النهج أمرين؛ أولهما: الرغبة المستحكمة في الوصول إلى النتيجة المرادة التي هي إدانة محمد ﷺ وإنكار ربّانية القرآن الكريم.. وثانيهما : التأثّر بالمناهج الغربيّة في نقد النصوص الدينية حيث يرفض الباحث النصوص الدينية منطوقًا ومفهومًا ويتعلّق بهوامش تاريخية ولغوية يبني عليها فهمه للشأن الديني والتاريخي كلّه. ولئن كان الناقد الغربي له شيء من العذر في نهج ذلك المسلك مع تلك الأسفار التي ثبت قطعًا أنها ساقطة تاريخيًا وأنها كتابات ظرفيّة متشبّعة بالكثير من المعائب العلميّة والأدبيّة، حتّى اختفت معالم الوحي فيها وراء الدخيل الكثيف، فإنّ الأسفار الإسلامية (قرآنًا وسنة) لا تحمل من تلك الأوضار شيئًا، وإنما هي في طهرها التاريخي ناصعة نقيّة ..

لقد جاء أمر نسبة الرسول ﷺ إلى الأميّة في الكتاب والسنة في مواضع عدة، والمنصّرون ومن شايعهم من المسشرقين، يعمدون أمام هذه النصوص إلى أحد نهجين:

أ – ردّ النصوص واعتبارها افتعالًا إسلاميًا لا حقيقة تاريخيّة. وهو موقف أيسر تكلفة من ناحية ترتيب المصادر والتوفيق بينها، لكنه الأعسر في نفس الآن من حيث علمية المنهج وحجيّة المصادر ..

ب قبول مجمل النصوص التاريخية (الإسلاميّة)، ولكن مع رفض مضمونها المباشر، وإنّما استنطاقها خارج الحقل الدلالي النبوي، والأثري عامة.

ولما كان النزاع مع المنصّرين هو في فهم عبارة (الأميّة)؛ فإنّه علينا أن نفسّر هذا الاصطلاح في إفراده اللغوي، ثمّ في سياقه القرآني والنبوي؛ حتّى نكون قد استنطقنا بحق وعدل المرجع العلمي الوحيد في هذا الشأن.

شهادة اللغة

لا يَسلم التعريف اللغوي للفظ العربي من الخطأ، إلا أن نعود إلى أهل اللغة الذين تتبعوا استعمالات العرب للألفاظ المراد تبيّن معناها؛ لاستخراج نقشها الدلالي في الذهن الجماعي زمن الخطاب. وقد شطّ في الطرح وتكلّف في الاستدلال، من جنح إلى تفسير اللفظ العربي خارج سياقه بين أهله؛ وإنّما بالعودة **ابتداءً**[٣٦] إلى مقابله الكتابي –متجاهلًا تمايز الدلالة الاصطلاحيّة حين وجودها– أو استنطاقه في مشتركه السامي، بالعودة أساسًا إلى اللغة السريانيّة أو العبريّة اللتين تشاركان اللغة العربيّة الجذر السامي الأوّل، حال وجود تمايز دلالي محكم ..[٣٧]

---

[٣٦] اللغات الساميّة مفيدة في فهم ما غمض من الألفاظ العربيّة، إذا كانت هذه الألفاظ دخيلة على اللسان العربي أو كانت من المشترك السامي، لكنّها غير معتبرة إذا ثبت لنا من خلال التصريح أو الاستقراء معنى مُحكمٌ في العرف اللساني البياني العربي ضمن السياق الزمني المقصود.

[٣٧] لعلّ هذه (الموضة) هي الأكثر رواجًا هذه الأيام في المكتبة الاستشراقيّة بين أصحاب (الفانتازيا) الفكريّة و(التقليعات) النقديّة الحديث؛ ولو كان رصيدها من الواقع شديد الهزال؛ ولذلك لا نستغرب أن نقرأ قول «جبرائيل

وفي ما يتعلّق بمبحثنا هنا، نلاحظ ربط الكتابات الاستشراقيّة/ التنصيريّة بين الكلمة القرآنيّة «أمي» والكلمة الكتابيّة «أممي»؛ إذ يتم في الأغلب رد هذه الكلمة العربيّة القرآنيّة إلى المصطلح اليهودي العبري: «جويم» «גוים» الذي يطلق على غير اليهود؛ بمعنى «أمم» كمقابل «لأمّة بني إسرائيل» المصطفاة، ومفردها «جوي» «גוי» أي «أمّة (غير يهوديّة)». وظاهر من استعمال هذا اللفظ، دلالته السلبيّة على (غير الإسرائيليين)؛ فهم «أمم» في مقابل الإسرائيليّين «الأمّة»، ولسنا نجد هذا المعنى في وصف الرسول ﷺ لنفسه أو وصف القرآن له، وإنّما قد وضع وصف الأميين للعرب باعتبارهم أمّة لا تعرف الحق والهدى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[38]

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[39]

فضبطُ الدلالة القرآنيّة «للأمي» و«الأميين» بمعنى من ليسوا من أمّة (الإسرائيليين) أي الأغيار، لا تستنيخ له الآيات القرآنيّة التي تأبى سياقاتها حصر معنى هذا اللفظ ضمن إطار الدونيّة

صاوما» «Gabriel Sawma» في كتابه: « *The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated and Misread : the Aramaic Language of the Qur'an*» ص ١٠٣، مخاطبًا (الكائن الغربي) في سبيل إثبات أنّ القرآن كتاب (سرياني اللفظ والدلالة) (!): «اليوم، من يتكلّمون السريانيّة أقدر على فهم معاني القرآن أكثر ممن يتكلّمون العربيّة؛ رغم أنّ الكثير من الألفاظ القرآنيّة قد تمّ تعريبها على مدى الأربعة عشر قرنًا الماضية.» .. لا شكّ أنّه لا يمكن أن يجهر هذا المؤلّف بمثل هذه الدعوى (الموؤودة) في بيئتنا العربيّة .. علمًا أنّ هذا الكاتب الذي زعم أنّه يفسّر القرآن بالسريانيّة (!) والذي يحسن فهم لغة القرآن أكثر من أصحاب اللسان العربي(!)، قد عجز في بعض الأمثلة التي عرضها، عن قراءة اللفظ العربي أو نقحرة (transliteration) الآيات وأسماء الأعلام .. (إلاّ الحماقة أعيت من يداويها!)!!

[38] سورة الجمعة/ الآية (٢)

[39] سورة آل عمران/ الآية (٢٠)

الدينيّة أو العرقيّة. وهو ما أكّده «كيرلس جلاسي» «Cyril Glasse» [٤٠] في موسوعته «موسوعة الإسلام الموجزة» «*The Concise Encyclopedia of Islam*» بقوله في مقالة (أمي): «لقب للنبي. رغم أنّ كلمة أمي قد فهمت من المسلمين على أنّها تشير إلى أنّ النبي كان أميًا، فإنّ بعض النقّاد الغربيين نازعوا في إتيمولوجيّة الكلمة لزعمهم أنّها تعني (gentile) وذلك بربط كلمة أمي بكلمة أمّة، ويقولون إنّ ذلك بسبب أنّ محمدًا قد دعى إلى الوحي الإبراهيمي الـ (gentiles) أو غير اليهود. إنّ كلمة أمّة لا تعني (nation) بالمعنى العبري لكلمة «جوي»، وليس الإسلام ديانة منبثقة من اليهوديّة، على خلاف المسيحيّة ... وليس فهم المسلمين لكلمة أمي كفهم المستشرقين لها.» [٤١]

إنّ نكارة الأمر من الناحيتين الإتيمولوجية [٤٢] والفيلولوجيّة [٤٣] ترجع إلى:

- التجاهل المتعمّد للعرف اللغوي للكلِم العربي.
- اللجوء إلى اللغة العبريّة لتحقيق الدلالة المعنويّة للفظ القرآني، مع وجود ثروة لسانيّة هائلة من الشعر والخطب والأمثال العربية السابقة للإسلام.

---

[٤٠] كيرلس جلاسي (ولد سنة ١٩٤٤م): مستشرق أمريكي من أصل روسي. اهتدى إلى الإسلام في شبابه. تخرّج في كليّة كولومبيا. درّس مقارنة الأديان في العديد من البلاد (نيويورك، وموسكو، ولاهور ...)

[٤١] Cyril Glasee, *The Concise Encyclopedia of Islam*, San Francisco: Harper and Row, ١٩٨٩, p.٤٠٩

[٤٢] إتيمولوجيا Etymology: لغة: نتاج إدغام كلمتين يونانيتين: (ἔτυμος) أي (حقيقة) و(λόγος) أي (خطاب/كلمة) .. . اصطلاحًا: نسق علمي تاريخي في اللسانيات لدراسة أصول الكلمات يعتمد أساسًا على ملاحظة التطوّر الصوتي للكلمات في اللغات المختلفة ودلالاتها.

[٤٣] فيلولوجيا Philology: لغة: نتاج إدغام كلمتين يونانيتين: (φίλος) أي (حب)، و(λόγος) أي (خطاب/كلمة) ... اصطلاحًا: علم يهتم بدراسة اللغة من ناحية تاريخيّة انطلاقًا من النصوص المكتوبة بالنظر إلى التعبير اللساني شكلًا ومضمونًا. (وهذا من أوسع التعريفات)

- الإعـراض عـن تفسـير اللفـظ القـرآنيّ مـن خـلال (العـرف) القـرآني والنبـوي لـنفس الكلمة!
- تجاهـل نظـرة العـرب إلى اللغـة العبريّـة على أنّهـا لغـة أجنبيـة يُتعامـل معهـا عـن طريـق الترجمة.

إنّ استكشاف البيان العربي، يحتاج إلى استنطاق العرف اللغوي العربي القديم، خاصة الجاهلي منه الذي شكّل المعجم اللساني في القرن السابع ميلاديًّا.. وقد جمع علماء اللغة في معاجمهم الموروث اللغوي القديم، وقدّموا لنا ما يلي:

قال «ابن منظور»: «معنى الأمي المنسوب إلى **ما عليه جَبَلَتْه أمه** أي لا يكتب فهو أمي لأن الكتابة مكتسبة؛ فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه.»[٤٤]

وقال «أبو حيان»: «الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب، أي لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحقّقوا ما فيها.»[٤٥]

أما «ابن قتيبة» فقد نسب كلمة أمي إلى أمة العرب التي لم تكن تقرأ أو تكتب، فقال: «قيل لمن لا يكتب أمي، لأنه نسب إلى أمّة العرب أي جماعتها، ولم يكن من يكتب من العرب إلاّ قليل؛ فنسب من لا يكتب إلى الأمّة ...»[٤٦]

ومن الشهادات المبكّرة في تفسير معنى كلمة «أميّ»؛ قول المؤرّخ «محمد بن إسحاق بن يسار المديني» (ت١٥١ هجرية) صاحب السيرة النبوية المشهورة: «كانت العرب أميين لا يدرسون كتابًا، ولا يعرفون من الرسل عهدًا.»[٤٧] ..وقول الحافظ «يحيى بن معين» (ت٢٢٣ هجرية):

[٤٤] ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت، ٣٤/١٢.

[٤٥] أبو حيان، تفسير البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٤٤٢/١

[٤٦] ابن قتيبة، غريب الحديث، ت/ عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ، ٣٨٤/١

[٤٧] ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ت/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت، ٦٢/٢

«كان جعفر بن برقان أميًا، لا يكتب و لا يقرأ». وقال أيضًا: «كان أبو عوانة أميًا يستعين بإنسان يكتب له.»[48]

لقد كانت كلمة «أميّ» بين أهل اللسان العربي مرادفة للعجز عن القراءة والكتابة، وكان العرب (أميّين) لغلبة الجهل بالقراءة والكتابة عليهم ..

شهادة القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾.[49]

تنفي هذه الآية الشريفة المحكمة عن الرسول ﷺ دراسة أسفار أهل الكتاب.. كما تنفي عنه نسخ هذه الكتب —وبدلالة التضمّن، تداولها—؛ وفي هذا ردّ صريح مباشر على الزعم أنّ الرسول ﷺ كان على علم واطلاع عميقين بأسفار القوم ..

إنّ هذه الآية تقرّر أنّ محمدًا ﷺ لا علم له بأسفار أهل الكتاب، وجعلت سكوت مخالفيه دليلًا على صحة هذه الحقيقة وصواب هذه الدعوى .. ولكن يأبى (المولَّدون) إلا الجدال في ما لم يجادل فيه ألدّ خصوم هذا النبي ﷺ من المعاصرين له، ممن لم يتورعوا عن محاولة سفك دمه وإهدار عرضه!!

وتؤيّد آيات أخرى علم أهل مكّة بعدم دراية محمد ﷺ بأسفار أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾[50] وقوله: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[51]

---

[48] ابن معين، تاريخ ابن معين، رواية الدوري، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ، ٤١٩/٣

[49] سورة العنكبوت/ الآية (٤٨)

[50] سورة الشورى/ الآية (٥٢)

[51] سورة يونس/ الآية (١٦)

وفي مقابل جحد المعاندين لمنطوق هذه الآيات التي تبطل أصل دعاويهم، يقول من استقام عندهم منطق الاستدلال، أمثال الإمام «النحاس»: «وذلك **دليل على نبوته**، لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب؛ فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك.»[٥٢]

شهادة السنة

شهادة السيرة: تعددت الوقائع والأحداث الثابتة في السيرة، المظهرة لأميّة الرسول ﷺ، كما **غابت المواقف التي تكشف ارتياد الرسول ﷺ مجالس التعلّم والكتابة، أو استعماله للقرطاس والقلم، وهي مواقف لا يمكن أن تغيب عن حياة رجل يحسن القراءة والكتابة في بيئة عمّها الجهل واستوطنتها الأميّة.**

وقد كانت المرحلة المدنيّة من الدعوة متميّزة بالحاجة إلى الكتابة بصورة خاصة، مع ظهور مراسلات الملوك، وتنظيم الجيش، والدولة، حتّى إنّه كان للرسول ﷺ واحدٌ وستون كاتبًا[٥٣]، ومع ذلك لم تظهر في هذه المرحلة (المعرفة المزعومة) للرسول ﷺ بالقراءة والكتابة.

كما أنّ طفولة الرسول ﷺ كانت على درجة كبيرة من الشدة والقسوة ممّا يمنعه من تقصّي أسباب التعلّم بما تتطلبّه من تفرّغ ولين عيش في تلك البيئة القاسية والحياة المرهقة.

وهل التعلّم يكون من غير معلّم؟ فأين سيرة من علّم الرسول ﷺ في أخبار الصحابة عن نبيّهم، **وقد عُلِم أنّهم كانوا يعظّمون كلّ أمره**، ويبجّلون كلّ من كان عظيم الصلّة به؟ أليس معلّم الرسول ﷺ أحرى الناس بالتعظيم؟!!

---

[٥٢] الشوكاني، فتح القدير، بيروت: دار الفكر، د.ت، ٢٠٧/٤

[٥٣] حقّق أمر هذا العدد من الكُتّاب، الدكتور «محمد مصطفى الأعظمي» في كتابه: «كتّاب النبي صلّى الله عليه وسلّم» (انظر؛ محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م ، ص أ)

والأمر كما قالت المستشرقة «كارن أرمسترونج» «Karen Armstrong»[٥٤] : «يبدو أنّه من **الانحراف في الرأي** تحدّي التراث الإسلامي التفسيري لكلمة (أمّي). لا توجد أيّة إشارة في المصادر الأولى إلى ممارسة محمّد للقراءة أو الكتابة. كان محمد يملي كلامه على غيره، كَعَلِي المتعلّم، إذا ما أراد إرسال رسالة. إنّها **لخدعة كبيرة** أن يكون محمد قد أخفى طوال حياته قدرته على القراءة والكتابة. بعيدًا عن أنّ ذلك **ليس من الأمور المعهوده**، فإنّه يبدو من العسير جدًا المحافظة على هذا الغش؛ نظرًا **للتقارب الشديد** في المعيشة بين محمد وقومه.»[٥٥]

وقد أقرّ بأميّة الرسول ﷺ عدد من المستشرقين مثل «مرتشي» «Marraci»[٥٦] و«بريدو» «Prideaux»[٥٧] و«أوكلي» «Ockley»[٥٨] و«جروك» «Gerock»[٥٩] و« أرمون–بيير كوسن دو

---

[٥٤] كارن أرمسترونج (ولدت سنة ١٩٤٤م): كاتبة بريطانيّة لها عناية بالحضارات الشرقيّة والأديان الكبرى. تعتبر عامةُ كتبها من أهم المؤلّفات مبيعًا في الغرب.

[٥٥] Karen Armstrong, *Muhammad: a biography of the prophet*, New York: HarperCollins, ١٩٩٣ , p.٨٨

[٥٦] لودفيجيو مرتشي (١٦١٢م–١٧٠٠م): قسيس كاثوليكي إيطالي. درّس اللغة العربيّة في جامعة سابينزا بروما. ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينيّة. صاحب نزعة عدوانيّة اتجاه الإسلام.

[٥٧] همفري بريدو (١٦٤٨م–١٧٢٤م): ناقد وأستاذ دين. ألّف كتاب «حياة محمد» «*Life of Mahomet*»، وهو مؤلَّف مشحون بالافتراء والطعن.

[٥٨] سيمون أوكلي (١٦٧٨م–١٧٢٠م): مستشرق بريطاني. درّس اللغة العربية في جامعة كمبردج. اشتهر بكتابه «*The History of the Saracen Empires*»

[٥٩] ك. ف. جروك: مستشرق. صاحب كتاب « *Versuch einer Darstellung der Christologie des Koran*» في التصوّر القرآني لطبيعة المسيح.

برسفال» «Armand-Pierre Caussin de Perceval»[60] و«ج. م. أرنولد» «J. M. Arnold»[61] و«بالمر» «Palmer»[62][63].

شهادة الرسولﷺ: قال الرسول ﷺ: «إنا أمة أمية لا **نكتب ولا نحسب**، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة والشهر هكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين.»[64]

قال «المباركفوري» : «قال ﷺ إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب؛ أراد أنهم على أصل ولادة أمهم؛ لم يتعلموا الكتابة والحساب؛ فهم على جِبلّتهم الأولى.»[65]

لقد ورد هاهنا الشرح المحكم لمعنى الأميّة على لسان الرسول ﷺ بما يمنع من الدخول في مماحكات تأويليّة، وبما يدفع عن هذا اللفظ أيّ غموض أو اشتراك دلالي موهم .. إنّ الأميّة التي كان عليها الرسول ﷺ هي عدم الدراية بالكتابة والحساب ..

---

[60] أرمون-بيير كوسن دو برسفال (١٧٩٥م-١٨٧١م): مستشرق فرنسي. درّس اللغة العربيّة في (كوليج دو فرُنس). أشهر مؤلّفاته: «بحث عن تاريخ العرب قبل الإسلام وأثناء عصر محمد» «*Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme, pendant l'époque de Mahomet*»

[61] ج. م. أرنولد (توفي ١٨٨٢م): منصّر إنجليكاني.

[62] إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠م-١٨٨٢م): مستشرق بريطاني. درّس اللغة العربيّة في جامعة كمبردج. تعتبر ترجمته الإنجليزيّة للقرآن الكريم أشهر أعماله.

[63] انظر؛ Samuel Marinus Zwemer, *The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition*, New York: Young People's Missionary Movement, ١٩٠٥, p.٩٢

[64] رواه البخاري ، كتاب الصوم، باب قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: لا نكتب ولا نحسب، ح/ (١٩١٣)، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، ح/ (١٠٨٠)

[65] المباركفوري، تحفة الأحوذي، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت، ٢١٢/٨

اتخاذ الرسول ﷺ كتابًا للوحي ولشـؤونه الأخـرى: كان للرسول ﷺ عدّة كتّاب «كأبي بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» و«زيد» و«معاوية» –رضي الله عنهم– يكتبون الوحي، ويكتبون العهود، ويكتبون كُتُبَه إلى مَن بعثه الله إليهم مِن ملوك الأرض ورؤوس الطوائف، وإلى عُمّاله، وولاته، وسعاته. ولم يذكر التاريخ الصادق أنه ﷺ قام بكتابة الوحي بنفسه أو أنّه تولّى كتابة أيّ من رسائله ..

الاصطلاح في البيئة العربية زمن البعثة النبوية: قال المؤرّخ «ابن خلدون» إنّ الكتابة في العرب كانت أعزّ من بيض الأنوق، وإنّ أكثرهم كانوا أميين، ولاسيما سكّان البادية، لأنّ هذه الصناعة من الصنائع التابعة للعمران[٦٦]، ولذلك ما كان العرب يشيرون على الأميّ بالأميّة، **وإنما كانوا يشيرون على من يعلم القراءة والكتابة، بالعلم في هذا الأمر**؛ إذ إنّ علم القراءة والكتابة كان الاستثناء لا الأصل في الناس؛ وصمت نصوص الوحي وكتب التاريخ الإسلامي عن وصف محمد ﷺ بالقراءة والكتابة يكفي لإلزام الباحث أن يستصحب الأصل في ذاك الزمان؛ وهو أنّ هذا النبيّ ﷺ لا يقرأ ولا يكتب.[٦٧]

حجم المعرفة العلميّة المشترطة: إنّ دفع الأميّة عن الرسول ﷺ لا يجدي — في حقيقته– المنصرين والمستشرقين في شيء؛ لأنّ العلم بخط الحروف ورصف الكلمات لا يثبت شيئًا من دعاوى الاقتباس؛ إذ إنّ إثبات علم الرسول ﷺ بدقائق الأسفار المقدّسة السابقة لا يستقيم إلاّ بإثبات (ثقافة موسوعية) للرسول ﷺ في أسفار أهل الكتاب وعقائدهم وفرقهم ولغاتهم .. وقد صدق الدكتور «عبد الرحمن بدوي» في قوله: «ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلا بد أنّ محمدًا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة

---

[٦٦] أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، الردّ الشافي الوافر على من نفى أميّة سيّد الأوائل والأواخر، ضمن مجموعة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي رحمه الله، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ٢٤٨/٦

[٦٧] انظر في شأن الأميّة في الأمم القديمة؛ William Harris, *Ancient Literacy,* MA: Harvard University Press, ١٩٨٩

اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس- والمذاهب المسيحية.» [٦٨] !!

إنّ التاريخ يخبرنا أنّ ذاك الزمان **لم يعرف رجلًا من أهل الكتاب أنفسهم، يحمل هذه العلوم الجمّة، بسعته ودقّتها وتلوّنها!**

شبهة:

روى «البخاري» في قصّة الحديبية عن «البراء» رضي الله عنه قال: «لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، أبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

قالوا : لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله!

فقال ﷺ :أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله!

ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «امح رسول الله!»

قال علي: لا والله لا أمحوك أبدًا.

فأخذ رسول ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، **فكتب:** هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب.»

الردّ:

أولا: ليست كلمة «كتب» في هذا الحديث قاطعة في الدلالة على أنّ الرسول ﷺ قد كتب الكلام التالي بنفسه؛ فإنّ العرب كانت تنسب الفعل إلى الرجل، إذا كان قد جاء به من ائتمر بأمره فيه؛ من ذلك ما رواه «أنس بن مالك» رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ اتّخذ «خاتمًا من فضّة،

---

[٦٨] عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ت/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العالميّة للكتب والنشر، ١٩٩٩م، ص٢٤

نقشه محمد رسول الله.»[69]، ومعلوم أنّ الرسول ﷺ لم يباشر ذلك بنفسه، وإنّما باشره غيره بطلبه ﷺ.

ثانيا: جاءت الرواية عن «البراء» في صحيح ابن حبان مصرّحة أنّ الرسول كان آمرًا بالكتابة لا مباشرًا لها: «فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب **فأمر** فكتب مكان رسول الله محمدًا ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.»

ثالثا: روى هذا الحديث «المسور بن مخرمة» و«مروان» و«أنس بن مالك» رضي الله عنهم أجمعين، واتفقت تلك الروايات كلها على أمر النبي ﷺ لعلي بالكتابة، فقد روى البخاري عن «المسور بن مخرمة» و«مروان» يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : «..فقال النبي ﷺ:والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله»[70]، وكذلك قال «أنس بن مالك» رضي الله عنه في صحيح مسلم ما نصّه: «فقال النبي ﷺ: اكتب من محمد بن عبد الله.»[71]

أما رواية «البراء» رضي الله عنه، فنلاحظ أن الرواة الذين نقلوها قد اقتصروا على بعض الألفاظ دون بعض، ومن هنا حصل اللبس والإيهام في هذه الرواية.[72]

رابعا: جاء في رواية البخاري أنّ الرسول قد قال: «**فأرنيه**»؛ وفي ذلك دلالة على أنّه لم يكن يعرف القراءة، فكيف سيجيد الكتابة؛ إذ إنّ من لا يقرأ لا يكتب؟!

---

[69] رواه البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، ح/ (٥٨٧٢)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي صلّى الله عليه وسلّم خاتمًا لما أراد أن يكتب إلى العجم، ح/(٢٠٩٢)

[70] رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط، ح/(٢٧٣١)

[71] رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ح/ (١٧٨٤)

[72] خالد كبير علال، أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبيّ الإسلام، دار المحتسب، نسخة الكترونيّة

خامسا: نفس الحديث الذي يحتجّ به المنكرون لأميّة الرسول ﷺ، قد جاء فيه قول الراوي: «**وليس يحسن يكتب**»؛ وهو مُثبت –بدلالة قاطعة– لأميّة الرسول ﷺ.

سادسا: لو قبلنا الزعم أنّ الرسول ﷺ قد باشر في هذه القصّة الكتابه بنفسه، فإنّ ذلك لا يرفع عنه الأميّة؛ قال الإمام «العيني»: «الأمي من لا يحسن الكتابة لا من لا يكتب» [٧٣]، وقال الإمام «ابن حجر»: «وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة **أن يصير عالمًا بالكتابة ويخرج عن كونه أميًا**، فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها وخصوصًا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا ككثير من الملوك.» [٧٤]

أمّا عامة الأحاديث الأخرى التي استُدلّ بها لردّ أميّة الرسول ﷺ، فهي لا تصحّ، قال الإمام «ابن حجر» بعد أن أوردها: «وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث.» [٧٥]

وقفات مع دعاوى «زويمر»

«صاموئيل زويمر» [٧٦]، أو كما يُكنّى: «الرسول إلى الإسلام» «*The Apostle to Islam*»، وَتَد من أوتاد **الاستشراق التنصيري**، وهو من أهم من عمل على تأكيد الارتباط بين (العمل

---

[٧٣] العيني، عمدة القاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٦٣/١٧

[٧٤] ابن حجر، فتح الباري، ٥٠٤/٧

[٧٥] ابن حجر، فتح الباري، ٥٠٣/٧-٥٠٤

الأحاديث هي:

–ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ.

– أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة، فقال عيينة: أتراني أذهب بصحيفة المتلمس؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال : قد كتب لك بما أمر لك.

– ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك.

– ألق الدواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم.

– لا تمد بسم الله.

الأكاديمي) و(العمل التنصيري) من خلال مجلّته الشهيرة «العالم الإسلامي» التي استقطب لفريق الكاتبين فيها أئمة الاستشراق .. وقد اخترنا مقالًا له من هذه المجلّة بعنوان «النبي "الأمي"، هل كان محمد قادرًا على القراءة والكتابة؟» «The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?»، للعرض والنقد؛ لمقام صاحبه بين المنصِّرين، ولأنّ أسلوب كاتبه يمثّل الخط (الكلاسيكي) (الكنسي) المتجدد في تناول هذا الموضوع، بالإضافة لما تميّز به هذا المقال من استفادة من الأبحاث الاستشراقيّة السابقة وحشد للأدلة المتراكمة. وهو مقال ذائع بين المستشرقين، بل هو من أهم ما كُتِب منهم في هذا الموضوع.

العرض: صدر هذا المقال في مجلة العالم الإسلامي سنة ١٩٢١م، ورغم قِدَمه إلاّ أنّه لم يستجدّ عند المستشرقين بعده جديد في هذا الموضوع؛ فهو نفس الكلام المكرّر وذات الاستدلالات المستنسخة قديمًا وحديثًا.

قسّم «زويمر» مقاله الذي امتد على مساحة عشرين صفحة إلى مدخل وأربعة مقاطع. وسنقدم ملخّصًا لعناصر المقال ثم نعرضه على ميزان العلم والتحقيق.

***

تحدّث «زويمر» في المدخل عن أهميّة هذا الموضوع، وذكر استدلال عامة المسلمين بأميّة الرسول ﷺ لدعم قولهم بإعجاز القرآن، مشيرًا إلى أنّ أميّة نبي الإسلام ﷺ قضيّة خلافيّة بين المسلمين، وأنّه سيركّز فقط على قول القائلين بأميّته.

ثم ذكر أنّه على (وعي) أنّ مصدر هذا الموضوع: (التراث المحمدي)، ما عاد حجّة من الناحية العلميّة بعد أن أثبتت أبحاث «كايتاني» «Caetani» والأب «لامنس» «Lammens» أنّه حتى المسائل التي كان يُظن أنّها موضوعيّة من ناحية النقل في هذا التراث، قد تبيّن أنها مجرّد اختلاق! ثم أضاف أنّه وإن كان هذا التراث يقدّم معرفة ضئيلة متواضعة، فإن دراسات

---

[٧٦] صاموئيل زويمر (١٨٦٧م-١٩٥٢م): منصّر أمريكي، مؤسسّ العمل التنصيري البروتستانتي في العالم الإسلامي، في صورته الحديثة. عمل في التنصير في عدد من البلاد الإسلاميّة. له عدد كبير من المؤلّفات –كتب ومقالات– حول الإسلام وتنصير المسلمين. درّس تاريخ الأديان في (Princeton Theological Seminary).

«فلهاوزن» و«فستنفلد» و«شيخو» و«لامنس» و«هوار» وغيرهم مكنتنا أن نعرف أكثر حول الوضع في البلاد العربيّة ومكّة.

النقد:

أولاً: القول السائد عند أهل السنّة –طائفة الحق والحجّة– هو إثبات أنّ الرسول قد مات أميًّا؛ ومن خالف من أهل العلم (وهم قلّة شاذة) فإنّهم لم يثبتوا ما تُوهمه عبارة «زويمر» من أنّ الرسول ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة من أوّل أمره، وإنما قالوا إنّه اكتسب القراءة والكتابة في آخر سنيّ عمره، وكانوا في ذلك على قولين؛ (الأول) أنّه اكتسب ذلك بالطريق البشري المألوف، و(الثاني) أنّه اكتسب ذلك على سبيل الخارقة دون جهد تعلّم[77]؛ والحجّة الأساسيّة لأصحاب هذين القولين هي حديث الحديبيّة، وقد دفعنا هذا الفهم من هذا الحديث في ما مضى؛ فقولهم إذن لا يلتقي مع زعم المنصّرين أنّ الرسول ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة بما أهّله للاطلاع على الكتب الدينيّة الأخرى قبل أن يخرج على الناس معلنًا نبوّته؛ فقول هؤلاء غير قول أولئك!

وأمّا الاستدلال بكتب الشيعة؛ فلا يعنينا في شيء؛ لأسباب:

أ –روايات الشيعة لم تؤسس على منهج علمي في النقل والتمحيص؛ ولذلك تكثر في كتبهم الروايات المتناقضة؛ حتى قال أحد محققيهم «الطوسي» –شيخ الطائفة–: «لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه»[78]؛ وليس يصحّ في بدهيات العقول أن يرد المنصّر أو المستشرق روايات «البخاري» و«مسلم» التي محّصت تمحيصًا في حين يقبل روايات الشيعة التي هي مجرّد (تدوين) و(تجميع)!

---

[77] انظر في عرض هذين القولين؛ قحطان الدروي، أميّة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص ٣٣–٦١

[78] الطوسي، تهذيب الأحكام، ١/٢ (نقله؛ ناصر القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عرض ونقد، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط٢، ١/٣٦١)

ب – لم يستدلّ الشيعة بمحْكم من القول أو بنقل عن رسول الله ﷺ أو كلام من عاصره، وإنما عمدتهم ما نسبوه إلى رجل من آل البيت ممن لم ير رسول الله ﷺ؛ وليس عند الشيعة حرج في قبول هذه الأقوال لأنهم يعتقدون عصمة هؤلاء الرجال؛ وهو ما لا يرضاه –بداهة– المنصّرون والمستشرقون.

ت – النص الأساسي الذي يستدلّ به الشيعة من روايات الآل–والذي نقله «زويمر» في موضع آخر من مقاله– هو أنّ «محمد بن علي الرضا» –رضي الله عنه وعن الآل والأصحاب– (١٩٥هـ–٢٢٠هـ) لما سُئل: «يا ابن رسول الله، لِمَ سمي النبي: الأمي ؟»، قال: «ما يقول الناس؟» فلمّا قيل له: «يزعمون إنما سمي النبي الأمي لأنه لم يكتب»؛ قال: «كذبوا عليهم لعنة الله أنّىٰ يكون ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٧٩]؛ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟! والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو قال بثلاثة وسبعين لسانًا، وإنما سمي الأميّ لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٨٠].»[٨١].. فهذا النص:

- ✓ ليس رواية تاريخيّة مُسندة إلى الرسول ﷺ؛ وإنما فهم خاص من رجل عاش بعد قريب من قرنين من وفاة الرسول ﷺ.
- ✓ الفحش الشديد في عبارته: «**كذبوا** عليهم **لعنة** الله»، لا يلتقي مع ما أُثِر عن الآل من عفّة لسان وخلق طيّب؛ بما يقطع أنه مكذوب على «محمد بن علي الرضا».

---

[٧٩] سورة الجمعة/ الآية (٢)

[٨٠] سورة الشورى/ الآية (٧)

[٨١] الصفار، بصائر الدرجات، باب ٤ في أن رسول الله كان يقرأ ويكتب بكل لسان

✓ تهافت هذا التفسير أظهر من أن تقام عليه الأدلة؛ فهو يزعم أنّ الرسول ﷺ كان يعرف ٧٢ أو ٧٣ لغة**!!**

✓ إثبات معنى (الأمي) بأنه من كان من مكة أم القرى يعارضه القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[٨٢]؛ فلا سبيل هنا لربط (الأميّة) بالسكن في «مكّة» أم القرى؛ إذ هو وصف لفريق من **اليهود** بأنهم أميين على خلاف الطائفة الأخرى من اليهود التي أوتيت العلم[٨٣]، كما أنّ هذ الآية ترد على الذين يقولون إنّ «الأميّين» هم من كانوا من غير «أمّة إسرائيل».

ومما يعجب له القارئ أنّ «زويمر» يستدل بما لا يعرف عنه شيئًا؛ فقد نقل عن غيره أنّ رجلاً اسمه «محمد بن محمد بن النعمان» —متوفى سنة ٤١٣هـ- قد كتب كتابًا في ردّ أميّة الرسول ﷺ، دون أن يعلم «زويمر» أنّ هذا الكاتب هو من كبار الطائفة الشيعيّة؛ فصورة الكلام موهمة أنّ الكاتب سنيّ لأنّ «زويمر» انتقل إلى الحديث عن موقف الشيعة من أميّة الرسول في الفقرة التالية لخبر «محمد بن محمد بن النعمان»**!**

ثانيا: حال «زويمر» مع هذا الموضوع كحال من وصفه الشاعر بقوله:

(عَقَدَ الرِّهان،

ودعا إلى نصر الحوافر بعدما قتل الحصان) (!)

---

[٨٢] سورة البقرة/ الآيات (٧٥-٧٨)

[٨٣] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ٥٧٣/١

فقد عقد (رهان) نفي أميّة الرسول ﷺ، ثم قتل مطيّته إلى ذلك، وهي مسانيد الأخبار الإسلاميّة؛ إذ لا طريق إلى سيرة الرسول ﷺ إلا ما جاء في كتب التراث الإسلامي!!
لقد (عَقَر) «زويمر» على هذا المدخل دابة مسيره إلى غاية بحثه؛ فكان فيه حتفه!

ثالثًا: لم تقدّم دراسات الأب المتعصب «لامنس» وإخوانه شيئًا من الحقائق المذكورة خارج كتب التراث الإسلامي؛ وإنّما أعملت فيها يد (التجديع) و(التلفيق) و(الانتقاء) غير المخلص للحقيقة، وأعجب من ذلك أن يستدل «زويمر» بأبحاث الأب «لويس شيخو»[٨٤] رغم أنها قد ولدت ميتة، ولم تلق القبول من يومها إلى يومنا؛ فصاحبها قد (قلب) التاريخ و(رفس) الجغرافيا حتى بدت جزيرة العرب زمن البعثة النبويّة -في صحائف أبحاثه- قلعة النصرانية الكبرى؛ وكما اعترف بذلك «ويلارد أوكستوبي» «Willard Oxtoby»[٨٥] فقد «انتقِد [عمله] بصورة حادة في أوروبا»[٨٦]، وأمّا «فلهاوزن» فلا سبيل له إلى أن يبلغ مصادر بديلة عن كتب الحديث والسيرة؛ فهو مستشرق أداته الوحيدة هي دراسات فقه اللغات الساميّة؛ وهي لا ترقى به إلى (شيء) في هذا الباب، وأمّا «فستنفلد» «Wüstenfeld» فإنّه متخصص في اللغات الشرقيّة وجل مؤلفاته هي تحقيقات لكتب تراثيّة، ولم تشتهر له نظريّة مميّزة في طرح بدائل جديدة لقراءة

---

[٨٤] لويس شيخو (١٨٥٩م-١٩٢٧م): أديب ولاهوتي كاثوليكي ولد في العراق وعاش جل حياته في لبنان، زار أوروبا حيث درس اللاهوت في بريطانيا. له اهتمام خاص بالنصرانية العربيّة المشرقيّة. أهم مؤلفاته: «شعراء النصرانية قبل الإسلام» و«النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» حيث جعل جل شعراء الجاهلية وبعض شعراء الإسلام من النصارى، وقد رد عليه شططه بعض أبناء ملّته كالأب «أنستاس الكرملي» في مجلة (لغة العرب) ٥: ٣٠٢ والأب «كميل حشيمه» اليسوعي في كتابه «لويس شيخو وكتابه النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية».

[٨٥] ويلارد أوكستوبي (توفي ٢٠٠٣م): أستاذ الأديان المقارنة في جامعة تورنتو.

[٨٦] Willard Gurdon Oxtoby, '*Reviewed work*: *Louis Cheikho et Son Livre "Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam," Étude Critique* by Camille Hechaïmé,' in *Middle East Journal*, Vol. ٢٣, No. ١ (Winter, ١٩٦٩), p. ٩٨

السيرة! والأمر أطم مع «هوار»؛ إذ ليس له في هذا الشأن غير بحثه (الظريف!) حول المصدر الجديد للقرآن الكريم[٨٧] (!) الذي هو –في رأيه– شعر «أميّة بن أبي الصلت»؛ وهي دعوى لم يستحلّها –بل لم تخطر على ذهن– أشدّ العرب بغضًا للرسول ﷺ، ولم يدّعها «أميّة» نفسه!! كما أنّ هذا المستشرق قد صحّح نسبة مجموعة من الأشعار إلى «أميّة بن أبي الصلت» الشاعر الذي لم يحفل مؤرخو الإسلام بأمره –وهم الذين نقلوا قصائده–؛ فكيف يردّ مع ذلك الأخبار التي فحصها المؤرخون ذاتهم فحصًا ونخلوها نخلاً، إلاّ أن تكون (مزاجية) هذا المستشرق!

***

- ذكر «زويمر» أنّ التراث الإسلامي يزعم أنّ «حرب بن أميّة» هو من أدخل الكتابة إلى مكة حوالي سنة ٥٦٠م، ثم ذكر روايات كثيرة تثبت أنّ أهل مكة كانوا يعرفون الكتابة، جلّها روايات تتحدث عن صحابة كانوا يعرفون الكتابة في آخر العهد المكي أو بداية العهد المدني!
- قال: «أعان صعود الإسلام –بلا شك– على انتشار المعرفة بالكتابة، لكنّه لم ينشئها.»[٨٨]
- ذكر أنّ الرسول ﷺ كان تاجرًا؛ وادّعى أنّ ذلك حجّة على أنّه كان يعرف القراءة والكتابة.
- ذكر مختصر حديث «عبيد الله بن مسلم»: «كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبيّ ﷺ يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم

---

[٨٧] انظر؛ Clément Huart, '*Une Nouvelle Source du Coran,*' in *Journal Asiatique*, Juilet- aout, ١٩٠٤, pp. ١٢٥-١٦٧

[٨٨] Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?,*' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤, p. ٣٤٦

منهما، فأنزل الله تعالى ما كذّبهم به، فقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [89] »

- ختم حديثه بقوله: «ربما تعلّم فن [القراءة والكتابة] من زوجتين من زوجاته[يقصد «عائشة» و«حفصة» رضي الله عنهما وعن أبويهما.]»
- كان قد خلص قبل ذلك إلى أنّ «التراث الإسلامي في هذ الشأن غير موثوق فيه.» [90]

النقد:

أولاً: ما جاء من أنّ أوّل من أدخل الكتابة مكّة هو «حرب بن أميّة»، هو من كلام الأخباريين الذين لا يُحتج بهم في هذا المقام، وقد روي عن الأخباريين غير هذا النقل أصلاً، وليس من ذلك كلّه شيء محكم السند ..

ثانيا: ليس بإمكاننا أن نخالف قول «زويمر»: «أعان صعود الإسلام –بلا شك– على انتشار المعرفة بالكتابة، لكنّه لم ينشئها»، لكنّ ذلك لا يغيّر من الأمر شيئًا لأننا نخالفه في أميّة الرسول ﷺ بعينه، وانتشار الأميّة في أهل مكّة أيام الجاهليّة ..

ثالثا: كلّ ما نقله «زويمر» لا يرتقي إلى أن ينقض أنّ العرب أمّة أميّة لا تكتب كما هو ثابت عن الرسول ﷺ .. فإنّ أصل أميّة العرب لا ينقضه أن يحسن بعض أفرادها القراءة والكتابة!

رابعا: معرفة بعض المسلمين الأوائل القراءة والكتابة لم تؤهلهم لأن يحوزوا المعرفة التي نسبها المنصّرون إلى الرسول ﷺ.. فهو إذن استدلال بما ليس حجّة؛ فهذه الروايات تتحدث عن أفراد كانوا يحسنون قراءة الكلام ونسخه، لا غير .. فليست هاهنا قراءة لمطولات ولا تنقيب في بطون أمهات الكتب!

---

[89] سورة النحل/ الآية (١٠٣)

[90] المصدر السابق، ص٣٤٧

خامسا: كيف يُسقط (التراث الإسلامي المحفوظ) لأنّ خبرًا روي بلا إسناد متصل لم يصح؟!

وكيف يُسقط (التراث الإسلامي المحفوظ) لأنّ (التراث الإسلامي المحفوظ) أثبت عكس ما ادعاه (التراث الإسلامي المحفوظ) من أنّ القراءة كانت في مكة قبل «حرب بن أمية»؟!

الإجابة على هذين السؤالين كامنة في رحم داء (الهوس بإدانة الإسلام)!

سادسا: لم يمارس الرسول ﷺ التجارة إلاّ لفترة قصيرة، ولم يثبت لنا من طريق واضح أنّ التجارة التي مارسها الرسول ﷺ كانت تحتاج معرفة بالقراءة والكتابة، بل لم يثبت لنا من النظر التاريخي أنّ التجارة التي كان يمارسها أهل مكّة في الداخل والخارج كان تقتضي تعلّم القراءة والكتابة .. فهو إذن احتجاج (عائم) (مائع) (سائل)!

سابعا: حديث «عبيد الله بن مسلم»: «كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبيّ ﷺ يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما.. الحديث» ليس بحجّة؛ لأسباب:

(١) الحديث مروي عن «عبيد الله بن مسلم الحضرمي»، وهو من المختلَف في صُحْبَتِهِ؛ قال فيه الحافظ «مغلطاي» في كتابه «الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة»: «عبيد الله الحضرمي **تابعي** روى عن: معاذ ابن جبل»[٩١]؛ فالحديث بذلك مرسل لا يصح!

(٢) صِغر سن الغلامين[٩٢] وعجمة لسانهما ينفيان أن يكون لهما فضل أو أثر على النبي ﷺ.

---

[٩١] مغلطاي، الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة، ت/ محمد عوض المنقوش ومن معه، الرياض: مكتبة الرشد، د.ت، ٢/٤٤

[٩٢] قال الطبري: حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن حُصَين، عن عبد الله بن مسلم الحضرميّ: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يُقال لأحدهما يسار والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى: لِسانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِينٌ.

(٣) قال الشيخ «ابن عاشور»: «كان في مكّة غلام روميّ كان مولى لعامر بن الحضرمي اسمه جَبر كان يصنع السيوف بمكّة ويقرأ من الإنجيل ما يقرأ أمثالُه من عامّة النصارى من **دعوات الصلوات**، فاتّخذ زعماء المشركين من ذلك تمويهًا على العامة، فإن **معظم أهل مكّة كانوا أمّيين فكانوا يحسبون من يتلو كلمات يحفظها ولو محرّفة، أو يكتب حروفًا يتعلّمها، يحسبونه على علم**، وكان النبي ﷺ لما جَانبه قومه وقاطعوه يجلس إلى هذا الغلام، وكان هذا الغلام قد أظهر الإسلام؛ فقالت قريش: هذا يعلّم محمداً ما يقوله.»[93]

(٤) لا تعلّق لهذا النص بمعرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة.

ثامنا: إذا كان الرسول ﷺ قد توفي ولـ«عائشة» رضي الله عنها من العمر ١٨ سنة[94]؛ فمتى تعلّم منها، وقد بدأ نزول القرآن الكريم قبل ولادتها بخمس سنوات؟!! ومتى تعلّم من «حفصة» رضي الله عنها، وقد تزوّجها في السنة الثالثة للهجرة[95]، كما أنّها –رضوان الله عليها– لم تدّعِ ذلك، ولم ينسب ذلك أحد إليها مع قيام مقتضيه عند المخالفين، ولم يرِد ذلك في أي من الروايات الصحيحة أو الضعيفة أو الموضوعة؟!!

تاسعا: من أبرز ما يلحظه القارئ لما ساقه «زويمر» من شهادات أنّ جلها لم يكن نقلاً عن أصول وإنّما كان نسخًا من كتب المنصّرين/المستشرقين! ولذلك تجد أنّ «زويمر» –زعيم المنصرين الأكاديميين– يقع في أخطاء (باردة)؛ فهو –مثلاً– يقول: «نجد ذكرًا لأبي العباس، عم محمد،

---

[93] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨٦/٧

[94] انظر؛ أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت/ محمد إسماعيل ومسعد السعدني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ١٥٠/٥

[95] انظر؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت/ عادل مرشد، عمّان: دار الإعلام، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص٨٨٣

وقد ترك وراءه حمل جمل من المخطوطات» محيلاً في الهامش إلى كتاب «موير» « *The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed*» الصفحة (١١٤)؛ وهي إحالة (غير أكاديميّة) وإنما على طريقة (الهواة) الذي يحيلون إلى غير الأصل –لغير عجز–، بل وإلى ما لا يحيل إلى أصل، وبمراجعة كتاب «موير» نجد أنّ «موير» الذي لم يحل أصلاً إلى مرجع لكلامه يقول: «نجد ذكرًا لابن عباس (عم محمد) وقد ترك وراءه حمل جمل من المخطوطات»[٩٦] .. لاحظ أنّ «زويمر» –المنصّر المتشنج– لم يحسن النقل عن هذا المرجع الذي لا يحيل إلى مرجع؛ إذ لم يدرك أنّ «موير» كان يقصد أنّ الحديث هو عن **ابن** «العباس» الذي هو ابن عم الرسول ﷺ؛ فجعل الحديث عن «العباس» نفسه**!** **فهل بمثل هذا (الحرص) المفقود و(الدقة) المهدرة، يُكتب عن الإسلام؟!**

***

- تساءل «زويمر»: إذا كان ما سبق، صحيح–قلت (ليس ذلك كذلك كما أتى لك**!**)–، فليس هناك إذن من سبب لنسبة محمد ﷺ إلى الأمية غير (١) ورود كلمة «أميّ» في القرآن، متعلّقة به، (٢) وحديث بدء الوحي حيث قال جبريل للرسول ﷺ: «اقرأ**!**»؛ فأجابه الرسول ﷺ: «ما أنا بقارئ!». وقد رددنا في ما سبق على ما تعلّق بعبارة «أميّ» القرآنيّة، وسيأتي الرد على التشكيك في معنى كلمة «قرأ» في حديث بدء الوحي، في المقطع التالي الذي أبان فيه «زويمر» عن وجه التشكيك في معنى هذه الكلمة.
- ادّعى «زويمر» أنّ (الأميّة) تعني الانتساب إلى غير بني إسرائيل، وأنها تقابل «جويم»، وأنّ هذا يشهد له المعجميون العرب، وقد سبق نقض هذه الدعوى.

---

[٩٦] William Muir, *The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed*, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٩٧, p.١١٤

- استدلّ بآية ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾[٩٧] وقصة إسلام «عمر» رضي الله عنه التي جاء فيها أنّه كان عند أخت «عمر» رضي الله عنهما شيء من القرآن في صحيفة؛ ليقول «زويمر» إنّ هذا القرآن المكتوب ربما كان بخط محمد ﷺ!

النقد:

أولاً: نحن لا نقول إنّ بعض القرآن الكريم كان مكتوبًا إبّان حياة الرسول ﷺ، وإنما نقول إنّ القرآن كلّه كان مكتوبًا، ومع ذلك نعجب أن يستدل رأس التنصير بما ليس بدليل على كتابة شيء من القرآن الكريم؛ إذ إنّ الآية التي ساقها هي عند التحقيق في الملائكة المطهّرين والصحف التي بين أيديهم وليست متعلقة بالقرآن الذي كان بين أيدي الصحابة[٩٨]، وأمّا قصّة إسلام «عمر» رضي الله عنه المشهورة، والتي فيها أنه دخل على أخته وزوجها وأحد الصحابة وكانت عندهم صحيفة فيها سورة طه، وأنّه ضرب زوج أخته ثم ندم وأراد أن يقرأ من الصحيفة فرفضت أخته لأنه مشرك نجس إلا أن يتطهّر؛ ولما تطهّر وقرأها ذهب إلى الرسول ﷺ وأسلم، فهي قصة ضعيفة الإسناد لا تصحّ[٩٩].. فانظر أين يقود العجز المنصّرين؛ فلا يحسن زعيمهم إثبات الصحيح الذي تواترت دلائل ثبوته!

أمّا ما استنبطه من وجود سور مكتوبة؛ فهو من عجيب الاستدلالات، إذا علمنا أنّ «زويمر» يقرّ أنّ للرسول ﷺ كتّابًا كان يكتبون له ما شاء!؟

ثانيًا: من منكرات ما أورده «زويمر» عند نقله كلام المفسرين في معنى كلمة «أمي»، قوله إنه قد جاء في التفسير المسمّى (الخازن) (the commentary called *al-khazin*) في تفسير الآية ١٩ من سورة آل عمران، كذا وكذا .. لكننا نعلم أنّ «الخازن» هو (لقب) صاحب

---

[٩٧] سورة الواقعة/ الآية (٧٩)

[٩٨] انظر؛ ابن تيمية، شرح العمدة في الفقه، ت/ سعود العطيشان، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ، ١/٣٨٤

[٩٩] كل الروايات المتعلّقة بإسلام «عمر» رضي الله عنه، لا تصحّ (انظر؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٥هـ، ١٤/٧٤)

التفسير الذي اشتهر به، وقد أُطلق عليه لأنّه كان أمينًا لمكتبة في دمشق، واسمه الحقيقي هو: «علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي»، وأمّا التفسير فاسمه: «لباب التأويل في معاني التنزيل»[100]، والنص الذي ساقه موجود في تفسير الآية ١٥٧ من سورة الأعراف[101]، وقد نقله نقلاً غير حرفي رغم وجود علامتي التنصيص! .. فهل اطّلع «زويمر» –حقًا– على هذا التفسير؟!!

***

- اعترف «زويمر» أنّ أمر أميّة الرسول ﷺ محلّ خلاف بين المستشرقين؛ إثباتًا ونفيًا.
- نقل عن المستشرق «نولدكه» قوله إنّ كلمة «أمي» قد استُعملت في القرآن بما يقابل أهل الكتاب، علمًا أنّ «نولدكه» نفسه لم يستطع أن يحسم الأمر؛ لزعمه تضارب الروايات الإسلامية. وقد سبق الرد على هذه الدعوى.
- نقل «زويمر» خلاصة دراسة «نولدكه»؛ وهي أنّ: (١) الرسول ﷺ كان يخادع قومه موهمًا إياهم أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل وكان يجعل كتّابه يقرؤون ما تأتيه من مراسلات، لنفس الغرض. (٢) لم يُتح للرسول ﷺ الاطلاع على الأسفار المقدسة للنصارى. (٣) استعمل الرسول ﷺ التراث اليهودي- النصراني الشفوي المتداول بين قومه.
- نقل «زويمر» اتهام الكفّار للرسول الله ﷺ الوارد في القرآن: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾[102]، وأحال أيضًا إلى سورة النحل، الآية (١٠٥)، ويبدو أنه يقصد الآية (١٠٣): ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**

---

[100] لو قال: «تفسير الخازن» بنسبة التفسير إلى صاحبه؛ لأصاب، لكنّه سمّى التفسير بـ«الخازن» ظنًا منه أنّه اسمه!

[101] انظر؛ الخازن، تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ٢٩٧/٢

[102] سورة الفرقان/ الآيتان (٤-٥)

لّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ، وعقّب على ذلك بقوله إنّ محمدًا ﷺ لم يرد على أيٍّ من التهمتين بالقول إنه لا يحسن القراءة والكتابة.

- استدل بمجموعة من الروايات هي:
  - ✓حديث: «ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم»
  - ✓حديث رواه «ابن أبي شيبة»: «ما مات النبي حتى كتب وقرأ. سمعت أشخاصًا أكدوا ذلك.»[١٠٣]، وأضاف أنه إذا كان هذا الأثر صحيحًا فلا بدّ أن يولى أهميّة كبيرة لأنّ «ابن أبي شيبة» قد توفي سنة ١٠٥هـ.
  - ✓ما نسبه المستشرق «موير» إلى «الواقدي» من أنّ الرسول ﷺ قد كتب في أسفل صحيفة صلح الحديبية كلامًا من عنده.
  - ✓قول الرسول ﷺ عند مرضه الذي قبض فيه: «هلمّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده.»
  - ✓حديث بدء الوحي وقول جبريل للرسول ﷺ: «اقرأ»، وردُّ الرسول ﷺ: «ما أنا بقارئ»؛ فقد ادعى «زويمر» أنّ هذا النص ليس إلاّ صياغة عربيّة لنص سفر التكوين ٨/١٢ مع وصله بنص تكوين ٢٦/٤، كما أنّ «ابن إسحاق» و«البغوي» و«البيضاوي» وغيرهم قد اعتبروا هذه الحادثة مجرّد منام! وأضاف «زويمر» أنّ قول الرسول ﷺ: «ما أنا بقارئ!» لا يعني أنّه لا يحسن القراءة وإنما يعني: «أنا لا أقرأ الآن!».
- استدل بحادثة صلح الحديبية، وما جاء في حديث بدء الوحي من كتابة «ورقة بن نوفل» للإنجيل، وقد رددنا على هاتين الشبهتين سابقًا.

---

[١٠٣] عرّبت الصيغة التي أوردها «زويمر» ولم أنقل الحديث كما رواه «ابن أبي شيبة»؛ لغرض سيتبيّن لك لاحقًا.

■ حاول أن يوهم القارئ أنّ واقع الجزيرة العربيّة كان يقتضي وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس؛ لوجود نصارى في بعض مناطقها، وهي دعوى سيأتي الرد التفصيلي عليها لاحقًا في كتابنا هذا إن شاء الله.

النقد:

أولاً: الزعم أنّ الرسول ﷺ كان يخادع قومه؛ موهمًا إياهم أنه أميّ لا يحسن القراءة والكتابة، لا يستند إلى دليل نقلي ولا يركن إلى اشتباه عقلي، وإنّما هو تعبير عن حالة مرضيّة تسمى في علم النفس (بالوسواس القهري) (Obsessive–compulsive disorder)، وهو مرض كثيرًا ما يصيب المستشرقين دافعًا إيّاهم إلى البحث عن كلّ احتمال –دون النظر إلى تهافته أو تفاهته– لردّ ربانية القرآن الكريم[١٠٤]؛ وإنّنا لو فتحنا الباب لمثل هذه الفرضيات؛ فلن يبق في عالم الناس (يقين) ولا (حقيقة)؛ فكل (شيء) يحتمل عندها أن يكون على غير (كينونته)؛ ليستقر بنا المقام في بيداء (اللاأدريّة) البائسة ..

السؤال (الجاد) هو: هل في السيرة ما يفتح الباب للقول إنّ الرسول ﷺ كان يخفي عن أصحابه تمكّنه من القراءة والكتابة؟ الإجابة: ليس في السيرة شيء من ذلك!

ثانيا: ما قيمة كلّ ما سرده «زويمر» من (أدلّة) لصالح الزعم أنّ الرسول ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة ويفعلهما بمحضر من أصحابه، إذا كان الرسول ﷺ (مع ذلك) يخفي علمه بالقراءة والكتابة عن أصحابه؟!!

ثالثا: جلّ الذين اتهموا الرسول ﷺ أنّه افترى القرآن من عنده، أسلموا بعد ذلك وفتحوا الأمصار .. فكيف لم ينسخ إيمانهم تهمتهم القديمة للرسول ﷺ؟!

رابعا: الآية التي نقلها «زويمر» هي نفسها ترد على دعواه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ

---

[١٠٤] العرض المرضي الوحيد للوسواس القهري الذي لم يتلبّس به عامة المستشرقين هو (نفرة المريض من هذا الشعور المرضي)؛ إذ يُعتبر هذا الشعور المرضي –في المقابل– من أهم الدوافع (العلميّة) للكتابات الاستشراقيّة!

تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[105] .. إنّ هذه الآية لم تنسب إلى الرسول ﷺ إتقان القراءة فضلاً عن أن تنسبه إلى إجادة الكتابة؛ إذ هي تخبرنا أنّ المشركين قد قالوا إنّ الرسول ﷺ قد (**اكتتب**) ما أورده في قرآنه؛ فهو **لم يكتبه**، وإنّما **كُتب له**. كما أنّ آية سورة النحل لا علاقة لها بتهمة معرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة؛ فإنّ التهمة في هذه الآية قائمة على الزعم أنّ الرسول ﷺ كان (يسمع) أو (يستمع) إلى أعجمي يرطن بلغته وليس فيها نسبته ﷺ إلى القراءة أو الكتابة.

خامساً: لم يكن كفّار مكّة يرمون الرسول ﷺ بتهمة (قراءة الكلمات أو رصفها)، وإنّما كانوا يريدون إثبات معرفته (الكسبيّة) بما جاء في الكتب المقدسة للسابقين؛ ولذلك جاءهم الرد القرآني الحاسم الذي يليق بسياق الأحداث: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[106] .. لم يكن الرسول ﷺ يقرأ الكتب السابقة، ولم يعهد الناس عنه نسخها بيده .. فما جاء في القرآن من خبر السابقين إنّما هو -إذن- وحي من ربّ العالمين!

سادساً: حديث: «ألق الدواة، وحرف القلم، وانصب الباء، وحسن الله، ومد الرحمن الرحيم» ضعيف؛ ففي إسناده من لا يُعرف بتعديل، وفيه أيضًا «الوليد بن مسلم» وهو مدلّس، وفي السند انقطاع بين «مكحول» و«معاوية» رضي الله عنه[107]، وقد قال فيه الإمام «ابن حجر»: «باطل»[108].

---

[105] سورة الفرقان/ الآيتان (٤-٥)

[106] سورة العنكبوت/ الآية (٤٨)

[107] انظر؛ عبد الله الجديع، المقدمات الأساسيّة للقرآن الكريم، ليدز: مركز البحوث الإسلامية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م ، ص١٥١

[108] ابن حجر، لسان الميزان، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١٣٨/٧

سابعا: حديث «ابن أبي شيبة» أنّ الرسول ﷺ ما مات حتى قرأ وكتب:

١ -ضعيف؛ ففيه «مجالد بن سعد بن عمير الهمداني»، وقد ضعفه أئمة علم الرجال كـ«ابن معين» و«يحيى القطان»...[109]

٢ -توفي «ابن أبي شيبة» سنة ٢٣٥ هـ وليس سنة ١٠٥هـ، وهو إمام شهير من أئمة الحديث، بل ولقّب (بإمام الحفّاظ)؛ فكيف يجهل منصّر سخّر حياته لدراسة الإسلام خبر هذا الإمام؟!!

٣ -لم يكن «ابن أبي شيبة» -في هذا الأَثَر- هو من قال إنّ الناس قد أكّدوا له أنّ الرسول ﷺ قد مات وهو يعرف القراءة والكتابة، وإنما هو في هذه الرواية «الشعبي» -وهو الذي قيل إنه قد مات سنة ١٠٤هـ- !

٤ -حتّى لو فرضنا صحّة الرواية إلى «الشعبي»، فإنّه مع ذلك لا يُعتد بها؛ لأنّها رواية عن مجاهيل، وهي بذلك ساقطة إجماعًا عند علماء الحديث.

وقد أخرج «البيهقي» هذا الحديث، وقال فيه: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين»[110]

ثامنا: لم يحل «زويمر» إلى مصدر رواية «الواقدي»، واكتفى بالإشارة إلى أنّه نقل ما ذكره «موير» في هامش كتابه دون أن يحدد اسم الكتاب وصفحة الإحالة! وبالنظر في ما كتبه «موير» تبيّن أنّ الإحالة هي إلى المجلد الرابع من سلسلة «حياة محمد»: « *The life of Mahomet and History of Islam, to the era of the Hegira*»، الصفحة ٣٤، وقد ذكر فيها أنّه كان ينقل عن (سكرتير) «الواقدي» (!)؛ وهو يقصد تلميذ «الواقدي» وكاتبه: «ابن سعد»، وبالنظر في كتاب «الطبقات» «لابن سعد»، وجدنا أنّ الرواية ليست عن

---

[109] انظر؛ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ٦/٢٤١٤-٢٤١٧

[110] البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب لم يكن له أن يتعلم شعرًا ولا يكتب، ح/(١٣٢٩٠)(ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ط٣، ٦٨/٧)

«الواقدي»[111]؛ فلَم يفهم «زويمر» حتى إحالة «موير» الذي نسب الرواية إلى (سكرتير) «الواقدي» لا إلى «الواقدي» نفسه!!

رواية «ابن سعد» تقول: «... وكتب رسول الله ﷺ في أسفل الكتاب: ولنا عليكم مثل الذي لكم علينا» .. والاحتجاج بها مردود من أوجه:

١ -نسبة الكتابة إلى الرسول ﷺ لا تعني مباشرته لها بصورة شخصيّة كما سيأتي في الوجه الثامن من الرد.
٢ -متن هذا الحديث مخالف لما جاء في الأحاديث الصحيحة من أنّ شروط العقد لم تكن تمنح المسلمين ومشركي مكّة نفس الحقوق؛ فقد ثبت أنّ على المسلمين أن يردّوا إلى قريش من يأتيهم منها، وليس على قريش أن تردّ من يأتيها من المسلمين.[112]
٣ -الحديث ضعيف لا يصح من جهة الإسناد؛ فهو مرسل عن «عكرمة» مولى «ابن عباس».

ومن (عجيب) ما قال إمام المنصّرين في تمهيده لهذه الشبهة: «بالنسبة لما يتعلّق بالاتفاق الذي كان بين محمد وقريش في الحديبية والمعروف باسم بيعة الرضوان (oath of Ridhwan) ...»[113] .. فانظر كيف أظهر تعالمه (البارد) ليقنع القرّاء أنّه مدرك لدقائق السيرة، بل ويعرف حتى الكثير من خبرها باللفظ العربي!؟ رغم أنّ (بيعة الرضوان) هي غير (صلح الحديبية)؛ فما

---

[111] ابن سعد، الطبقات الكبير، ت/ علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، ٢/ ٩٧

[112] ثبت ذلك في الصحيحين؛ البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح/(٤١٨٠-٤١٨١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية؛ ح/(١٧٨٤)

[113] Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤, p. ٣٥٩

كان بين الرسول ﷺ وقريش هو (صلح الحديبية)، أمّا (بيعة الرضوان) فكانت بين الرسول ﷺ والصحابة على قتال المشركين بعد أن بلغهم قتل «عثمان بن عفّان» رضي الله عنه لما ذهب إلى مكة ليخبر كبراءها أنّ الرسول ﷺ يريد العمرة[١١٤] .. وهذا المسلك في التعالم (الأجدب) معروف عند المنصّرين الأعاجم، وقد رأيت منه نماذج (سخيفة) وأشكالاً (طريفة)؛ خاصة عند رغبتهم في إقناع بقيّة (الخواجات) أنهم يحسنون اللغة العربيّة؛ إذ تخرج منهم كلمات – لا أراك الله (مطحونًا)– قد لفظتها أرحام المعاجم .. ومن شابه «زويمر» فما ظلم!

تاسعا: قول الرسول ﷺ عند مرضه الذي قبض فيه: «هلمّ أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده.» صحيحٌ، مخرّج في الصحيحين وغيرهما، وفي نفس الحديث أنّ الرسول ﷺ لم يكتب شيئًا لكثرة اللغط من الصحابة رضوان الله عليهم حوله. وقد أورد «زويمر» نفسه الرد الأمثل على هذه الشبهة بما نقله عن المستشرق «نولدكه» في قوله إنّ كلمة «كتب» عند العرب تستعمل أحيانًا بمعنى «أملى»[١١٥] .. ولا شكّ أنّ هذا هو المعنى الصحيح بدلالة سيرته ﷺ حيث ثبت أنه كتب إلى الملوك، مع إيراد مؤلفات السيرة نفسها أنّه كان للرسول ﷺ كتّاب يكتبون له مراسلاته..

عاشرا: نص تكوين ٨/١٢: «ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب.»

نص تكوين ٢٦/٤: «ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش. حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب.»

---

[١١٤] انظر؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ت/ عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٣، ٢٦٢/٣

[١١٥] انظر؛ Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤, p. ٣٥٥

قلت:

(١)لا علاقة سياقيّة بين هذين النصين وحادثة بدء الوحي في غار حراء، وهذا أمر لا يحتاج إلى إقامة برهان لأنّ المخالف لم يقم البرهان على خلافه؛ و(البيّنة على من ادّعى)!!
(٢)تشبَّث «زويمر» –في متابعة للمستشرق «هيرشفيلد»– بالمشابهة اللفظيّة بين ما جاء في سفر التكوين وما جاء في نص حديث بدء الوحي، دون أن يبيّن وجه التشابه؛ وذلك لأنّ «زويمر» مجرّد قَمَّاش، متكثّر من (الرقع)؛ يجمع الشبهات دون فهم لها!
جلي أنّ «هيرشفيلد» كان يحتج بالأصل العبري لما جاء في سفر التكوين:

تكوين ١٢/٨: «ودعا باسم الرب»، أصله العبري «**ויקרא בשם יהוה**» (وَيِّقرا بشيم يهوه).

تكوين ٤/٢٦: «يدعى باسم الرب»، أصله العبري «**לקרא בשם יהוה**» (لِقْرو بشيم يهوه).

يبدو أنّ القشة التي تعلّق بها «هيرشفيلد» هي فعل «**קרא**» (قارا) الذي يزعم أنه نفسه في حادثة بدء الوحي «قرأ».. وليس الأمر كذلك إذ إنّ هذه (القشّة) ليست إلاّ سرابًا؛ فإنّ هذه الكلمة في العبريّة الكتابيّة لا تعني «قرأ» كما في اللغة العربيّة إلاّ في مواضع محدودة في العهد القديم؛ فمعناها الأكثر تداولاً هو «نادى» و«دعى»[١١٦]، والمعنى الثاني هو المقصود في النصين المشار إليهما في سفر التكوين، بدلالة السياق وشهادة كلّ الترجمات..

إنّ الصلة السياقية واللغوية منعدمة بين سفر التكوين وحادثة بدء الوحي، فضلاً عن أنّ الرسول ﷺ لم يقرأ سفر التكوين في شكله العبري، ولا حتى العربي .. وهو ما يجعل هذا الاستدلال –بحق– من الإسفاف الاستشراقي في أجلى سفوره!

---

[١١٦] انظر؛ William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, tr. Edward Robinson, Boston: Crocker and Brewster, ١٨٥٨, p.٩٣٧-٩٣٩

الحادي عشر: تشكيك «زويمر» في أنّ حادثة الوحي كانت يقظة لا حجّة له:

(١) ابن إسحاق: رواية «ابن إسحاق» لقصّة بدء الوحي وأنّها كانت في المنام، ضعيفة لا تصحّ؛ فهي مروية عن «عبد الملك بن عبد الله» عن **مجاهيل!**[١١٧]

(٢) البغوي: روى «البغوي» حادثة بدء الوحي بإسناده إلى الإمام «البخاري» إلى أم المؤمنين «عائشة» رضوان الله عليها في تفسيره للآيات الأولى لسورة «العلق»: «أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا **محمد بن إسماعيل** (أي البخاري)، حدثنا يحيى بن بُكَيْر، حدثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي.. الحديث»[١١٨]؛ فكيف يكون «البغوي» قد خالف ما جاء في رواية «البخاري» التي تثبت رؤية جبريل يقظة، رغم أنّه قد نقل نفس الرواية لبيان سبب نزول الآيات القرآنيّة المتعلقة بتلك الحادثة.

(٣) البيضاوي: لم يُحدث «البيضاوي» ذكرًا لنسبة هذه الحادثة إلى المنام في تفسيره لسورة العلق، ولا وجود لهذا القول في تفسير «الكشاف» «للزمخشري» الذي هو الأصل الذي اختصره «البيضاوي». ولو فرضنا –جدلاً– أنّ «البيضاوي» قد ذهب إلى هذا القول، فليس لقوله قيمة لأنّه لم تكن عنده مرويات بإسناده؛ فليس له إذن أن يأتي برواية تنقض الرواية الصحيحة الثابتة في الصحيحين؛ فالخلاف هنا بيننا وبين «زويمر» هو حول ثبوت الروايات وليس حول فهمها.

الثاني عشر: القول إنّ رسول الله ﷺ قد قال لجبريل عليه السلام: «ما أنا بقارئ» بمعنى أنّه ليس بصدد القراءة، لما قال له: «اقرأ»، لا معنى له البتة في سياق ذلك الحوار؛ فالسياق حجّة في كشف دلالة اللفظ!

---

١١٧ ابن إسحاق، السيرة النبوية، ت/ أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص١٦٧

١١٨ البغوي، معالم التنزيل، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٤٢٠

الثالث عشر: من الغريب نسبة «زويمر» رواية خبر الحديبية بإفاضة إلى كتاب «المواهب اللدنّية» «للطبري»؛ إذ ليس «للطبري» كتاب بهذا الاسم، والصواب هو أنّه كتاب «للقسطلاني»، وعنوانه الكامل: «المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة» وهو في السيرة والشمائل النبويّة حيث أطال الحديث عن كتابة صلح الحديبية وأميّة الرسول ﷺ.[119]

***

استدلّ «زويمر» برسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس التي عثر عليها في إحدى الأديرة للقول إنّ الرسول ﷺ قد كتبها.

النقد:

أولا: لا تتضمن هذه الرسالة ما يدلّ على أنها قد كتبت من طرف الرسول ﷺ؛ فليس فيها اسم من كتبها تصريحًا أو تلميحًا!

ثانيا: الثابت –باعتراف «زويمر»– أنّه كان للرسول ﷺ من يكتبون له الرسائل؛ فلماذا استثنى هذه الرسالة منها؟!

ثالثا: قال الباحث المحقّق د. «أكرم ضياء العمري» في كتابه القيم في السيرة النبوية الذي صاغه على منهج المحدِّثين في توثيق الأخبار: «وقد أخرج البخاري في صحيحه نص كتاب الرسول ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصري فدفعه إلى هرقل، وهو **النص الوحيد** الذي ثبتت **صحته** وفق **شروط المحدثين** من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الملوك والأمراء التي ينبغي أن تنقد من جهة المتن والسند معًا قبل اعتمادها تاريخياً »[120]؛ فأمر هذه الرسالة لا يصح من ناحية التوثيق التاريخي؛ مما يفقد تلك المخطوطة قيمتها العلميّة.

---

[119] انظر؛ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ت/ صالح الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط٢، ١/٤٩٦-٥٠١

[120] أكرم ضيام العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ٤٥٦/٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. الكلام هنا منصرف إلى مضمون الرسائل، وهذا لا ينفي مراسلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حكام البلاد المجاورة.

رابعا: من دلائل الموضوعية العلمية (المهدرة) عند «زويمر» أنه قد انتصر للقول إنّ التراث الإسلامي كلّه غير أمين في نقل التاريخ الإسلامي المبكر، غير أنّه يقول هنا: «**لا يوجد شكّ** أنّ النبي قد أرسل مثل هذه الرسالة إلى المقوقس حاكم الإسكندريّة، لقد ذُكِر في **كل كتب السيرة النموذجيّة** أنه من بين الملوك الذين أرسلت إليهم مثل هذه الرسائل المتعلقة بالدعوة إلى الإسلام»[١٢١] .. إنّ كلام «زويمر» هنا –أيضًا– ليس علميًا؛ فكم من مسألة تواتر ذكرها في كتب السيرة النموذجيّة، ولم يتواتر إسنادها بل لم يصح لها حديث فرد[١٢٢]؛ فتكرُر نقل الرواية في كتب السيرة، ليس بحجّة عند أهل العلم المسلمين على صحّة النقل؛ لعلمهم أنّ (فقه الرواية) عند كتّاب السيرة غير (فقه الرواية) عند المحدّثين؛ ولذلك لا بد أن (تفحص) الرواية الواردة في السيرة متنًا وسندًا قبل أن تكون حجّة في دين الله تُؤخذ منها العقائد وتُستنبط منها الأحكام!

***

ختم «زويمر» مقاله بقوله: «بالنظر في الأدلة المعروضة سابقًا؛ يبقى هناك **شيء من الشك** حول ما إذا كان بإمكان محمد أن يقرأ ويكتب»[١٢٣] .. لقد جمع «زويمر» النصوص التي لها تعلّق لها بموضوع النقاش وزاد عليها روايات باطلة واجتهادات لا تسعفها الأدلة التي ساقها .. ثم هو رغم ذلك عاجز على أن يجزم بصواب استنباطاته!!

*

خلاصة الكلام: من العسير أن يصف القارئ مقالة «زويمر» الشهيرة بغير القول إنّها: (ركام من أخلاط الكلام) .. إنّها تجميع (قلق) لكلّ ما (قيل) –وما أكثر القِيلَ– دون النظر في

---

[١٢١] Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤, p. ٣٦١

[١٢٢] انظر أمثلة من هذه الروايات، محمد العوشن، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، الرياض: دار طيبة، د. ت

[١٢٣] Samuel Zwemer, '*The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?*,' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤, p. ٣٦٣

صوابه أو حتى انسجامه مع بقيّة (الأدلة!) المعروضة .. وقد كشف هذا (التجميع اللاهث) الواقع العلمي للاستشراق التنصيري؛ فقد تبدّت (عورة) الجهل وسقطت ورقة التوت رغم نبرة الثقة المفتعلة .. ولم تستطع (بزّة الأكاديميّة) التي تدثّر بها «زويمر» أن تغطي أنفاس جاهلية القرون الوسطى الأوروبيّة التي نفثت في حروف مقاله روح الكلام .. ورغم كل هذه (الحماسة) (المتشنجّة)، لم يجد «زويمر» في ما حشده من (نقول) حجّة حاسمة لنفي أميّة الرسول ﷺ .. ويبقى (همّ) نفي أميّة محمد ﷺ النبي (الأمي)، بعد ذلك، (أمنيّة) و(رجاء)، تستعذبهما (أحلام) المنصّرين!

هل كان الكتاب المقدس معربا زمن الرسول ﷺ؟

يمثّل الكتاب المقدس النصراني «The Bible» المصدر الأوّل للاقتباس القرآني المدّعى. وإنّ إبطال وجود ترجمة عربية للأسفار المقدسة لليهود والنصارى زمن البعثة النبوية، هو حجة كافية في ذاتها لتفنيد مزاعم المخالفين.

ويعتبر أمر التحقيق في معرفة وجود ترجمة عربيّة لأسفار اليهود والنصارى، مسألة تاريخيّة استقرائيّة بعيدة عن التشهّي أو الحماسة النقديّة أو التنبؤ والرجم بالغيب، وليس لنا أن نبحثها في غير المظان التاريخيّة المعتبرة، وليس هناك أقوى حجة ضد المنصّرين ومن شايعهم من المستشرقين، من أن ندعم قولنا بشهادات الأكاديميين الغربيين أنفسهم، وإقرارات المخالفين لنا ممن لا تحوم حولهم شبهة التعاطف مع الإسلام، وذلك بعد استنطاق أهم المصادر المباشرة: القرآن والسنة.

شهادة القرآن الكريم والسيرة النبوية

إنّ الناظر في ما جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية —المصدران التاريخيان الوحيدان المعتبران لدراسة حياة محمد ﷺ– ليلاحظ غياب أيّ دليل على وجود ترجمة عربية للكتاب المقدّس، بل يفهم ممّا جاء في القرآن الكريم والسيرة النبوية النفي المباشر لوجود هذا النصّ ..

ولعلّ من أوضح البراهين لإثبات ما نحن بصدده؛ عدم إحالة أعداء محمد ﷺ إلى هذا النصّ العربي لما أرادوا نفي حقيقة النبوّة عنه؛ إذ إنّ أهل مكّة لما ضاقت عليهم الحيل وسُدّت أمامهم فُرَج التشكيك؛ زعموا أنّ فتى أعجميًا هو الذي كان يعلّم محمدًا ﷺ ما كان يدعو إليه غيره. ولو أنّ هذا النصّ العربي المزعوم كان موجودًا؛ لقال المناكفون لهذا النبي ﷺ إنّك قد قرأت هذا النصّ أو إنّ من أهلك أو رفاق الطفولة أو الشباب من قرأ عليك هذه النصوص، ووعيتها عنه، ثم جئتنا تتلوها علينا!!

ولو كان هذا النصّ متداولًا، لقال له العرب: إنك تتحدانا بمعارف مشاعة عندنا، وتزعم أنّ كتابك يُعلِمنا بما لا نعلم، مع أنّ ما تخبر به موجود في كتاب عربي قريب من أيدينا، لنا أن نخبرك بما لا تعلم منه .. لكنهم لم يفعلوا!

ولو أنّ هذا النصّ العربي كان متاحًا؛ لاتخذه العرب وسيلة لمحاجحة هذا النبيّ ﷺ وسبيلًا لمحاولة نقض ما جاء به وإبطال ما يدعو إليه .. ولكنهم لم يفعلوا!

كما أنه يفهم بصورة قاطعة من الحديث الذي أخرجه «البخاري» في صحيحه، أنّ العرب لم يعرفوا نصًا عربيًا لأسفار اليهود .. فقد قال «أبو هريرة» –رضي الله عنه– متحدثًا عن مصدر اطّلاع المسلمين أصحاب اللسان العربي زمن البعثة النبوية على مضمون (التوراة) : «كان أهل الكتاب **يقرؤون** التوراة **بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية** لأهل الإسلام؛ فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم، وقولوا : «آمنا بالله وما أنزل إلينا.» »[١٢٤]

لقد كان يحول بين العرب وبين معرفة ما تتضمنه التوراة، أنّ لغة أسفار اليهود عبرانية لا يعرفها سكان الجزيرة من الوثنيين، وهو ما دفع أهل الكتاب إلى أن يقرؤوا نصوصهم أولًا باللغة العبريّة، ثم يقوموا بتفسيرها في غير لغتها .. ولو أنها كانت بلغة العرب ابتداءً لما كلّف اليهود أنفسهم عنتًا.[١٢٥]

---

[١٢٤] صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، ح/٤٤٨٥

[١٢٥] قد يستدلّ البعض بحديث «جابر بن عبد الله» رضي الله عنه أن «عمر بن الخطاب» أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ، فغضب النبي ﷺ وقال: « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني.» .. وهو حديث ليس بحجّة للمخالف لثلاثة أسباب:

(١) ليس الحديث محكم الدلالة أنّ «عمر» رضي الله عنه كانت عنده ترجمات عربية لأسفار الكتاب المقدس، ولعلّها–إن صحّ الحديث جدلًا– بعض الحِكم المنقولة منها.

(٢) معارضة فهم المخالف للثابت من غياب ترجمة عربيّة.

(٣) هذا الحديث لا يصحّ عند التحقيق:

وإنّ في نهي محمد ﷺ عن سؤال أهل الكتاب، دلالة على احتكار أهل الكتاب لهذه المعارف؛ فقد روى البخاري في صحيحه، في كتاب «قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب»، عن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم أحْدَثُ الأخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ اَنَّ أهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أنْزِلَ عَلَيْكُمْ.»[١٢٦]

ولو أنّ مضمون أسفار أهل الكتاب كان متاحًا بين يدي العرب باللغة العربيّة؛ لما احتاج العرب إلى أن يسألوا أهل الكتاب؟!

ويفهم من قوله تعالى عن اليهود: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١٢٧] أنّ اليهود يعلمون ألاّ سبيل للمسلمين لمعرفة ما جاء في الكتب اليهودية إلاّ ما أخبروهم به، وهو المعنى الذي أقرّ به الحبر اليهودي «جايجر»![١٢٨]

قال الإمام «ابن مفلح»: «وهو مشهور رواه أحمد وغيره. وهو من رواية مجالد وجابر الجعفي وهما ضعيفان» (الآداب الشرعيّة، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م ، ٢/١٠٠)

قال الهيثمي: «فيه مجالد بن سعيد ضعّفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما» (مجمع الزوائد، ت/ عبد الله محمد الدرويش، بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ١/٤٢٠)

[١٢٦] صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لاَ يُسْأَلُ أهل الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ، وَغَيْرِهَا، ح/ (٢٦٨٥)

[١٢٧] سورة البقرة/ الآية (٧٦)

[١٢٨] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, New York: Ktav Publishing House Inc, ١٩٧٠, p. ١٧

ويكشف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٢٩] أنّ اليهود لما كانوا يلوون ألسنتهم أثناء ذكرهم بعض الخبر الديني إيهامًا أنّ قولهم هذا نقل لما جاء في الأسفار المقدسة، كان المسلمون في عجز عن مراجعة الأسفار لمعرفة صحة النقل عنها، وكان اليهود مطمئنين ألاّ سبيل للمسلمين إلى هذه الأسفار، وما ذلك إلاّ لأنّ أسفار أهل الكتاب لم تكن متاحة بلغة العرب.

وقد قرّر الناقد «آرثور فووبوس» «Arthur Vööbus»[١٣٠] في بداية بحثه عن أقدم ترجمة عربيّة للعهد الجديد في كتابه «الترجمات المبكّرة للعهد الجديد» «*Early Versions of the New Testament*» أنّ المحاولة التي ادُّعِي من خلالها معرفة محمد ﷺ ببعض كتب العهد الجديد في اللغة العربيّة، وأنه استعمل هذه الكتب في تأليف القرآن، محتجين (باقتباس) (!) القرآن الكريم من إنجيل متّى والمزامير والأسفار الخمسة، هو احتمال «خاطئ وليس فيه تحقيق. ولا يفيدنا القرآن هنا، ولا بد أن يُترك خارج النقاش.»[١٣١]

ويحتج كثير من المنصّرين –دون عامة المستشرقين–، لإثبات وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس في مكة بما أخرجه الإمام «مسلم» عن أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها في حديث بدء الوحي الطويل، إذ قد جاء فيه أنّ «ورقة بن نوفل» «كان يكتب الكتاب العربي **ويكتب من الإنجيل بالعربية** ما شاء الله أن يكتب.» .. والردّ من أوجه:

أولا: الحديث الذي ورد فيه النص الذي يحتج به المنصّرون، صحيح، فقد أخرجه البخاري ومسلم، إلا أنّ هذا النص الذي نحن بصدده، والذي يشكل جزءًا صغيرًا من حديث «عائشة»

---

[١٢٩] سورة آل عمران، الآية (٧٨)

[١٣٠] آرثور فووبوس: أستاذ العهد الجديد والتاريخ المبكّر للكنيسة في «*The Lutheran School of Theology at Chicago*». له عناية خاصة بالدراسات السريانيّة والنصرانيّة المبكّرة.

[١٣١] Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament: Manuscript Studies*, Stockholm: ١٩٥٤,*pp.* ٢٧٤-٢٧٥

رضي الله عنها الطويل، قد جاء على أكثر من صورة، رغم أنّ مخرجه واحد، وكلام عامة الشرّاح فيه، فيه نظر؛ حتّى قال الإمام «العيني»: «لم أر شارحًا من شرّاح البخاري حقّق هذا الموضع بما يشفي الصدور.»[١٣٢]، وقال الإمام «ابن حجر»: «ووقع لبعض الشرّاح هنا خبط لا يعرج عليه.»[١٣٣].

لفظ النص المحتج به من الحديث:

- جاءت الرواية في البخاري عن: (يونس) و(معمر) عن: ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: يكتب الكتاب **العربي** ويكتب من الإنجيل **بالعربية** ما شاء الله أن يكتب.

وهي في مسلم عن (يونس) فقط.

- وجاءت الرواية في البخاري عن: (عقيل) عن: ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: وكان يكتب الكتاب **العبراني**؛ فيكتب من الإنجيل **بالعبرانية** ما شاء الله أن يكتب.

لقد حاول كثير من أهل العلم الجمع بين هذه الألفاظ، لكن يؤخذ على ذلك أمران:

- في الجمع بينهما تكلّف ظاهر لأنّ ألفاظهما متباعدة دلالة.
- في الجمع تعسف شديد؛ لأنّ **مخرج الحديث واحد**[١٣٤]؛ فكلّ أسانيد الحديث في الصحيحين تسوق هذا الحديث عن «الزهري» عن «عروة» عن

---

[١٣٢] العيني، عمدة القاري، ٥١/١

[١٣٣] ابن حجر، فتح الباري، ٢٥/١

[١٣٤] ذهب الإمام «ابن حجر» رحمه الله إلى الجمع بين اللفظين رغم أنّه هو نفسه قد ضعّف اللفظ الوارد في صحيح مسلم لنفس الحديث: «فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيْ عَم»، واحتج لتضعيفه (شذوذه) بقوله: «قولها "يا ابن عم" هذا النداء على حقيقته. ووقع في مسلم "يا عم" وهو وهم؛ لأنه وإن كان صحيحًا لجواز إرادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد، فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين، فتعين الحمل على الحقيقة.» وأضاف: «وإنما جوزنا ذلك فيما

«عائشة» رضي الله عنها، فهل روت «عائشة» رضي الله عنها، وروى «عروة» و«الزهري» هذا الجزء من الحديث بهذه الألفاظ المختلفة؟! هذا أمر غريب على منطق الرواية!

ثانيا: يعسر أن نجد **معنى غير متكلّف** لعبارة (الكتاب العربي)؛ فما هو الكتاب العربي؟! هل كان عند النصارى سفر مقدس عربي؟! إنّ هذا اللفظ دال على وهم كلّ من (يونس) و(معمر)، أمّا رواية (عقيل) فهي قريبة للإدراك؛ إذ العهد القديم هو الكتاب العبري، وكان «ورقة بن نوفل» يترجم الإنجيل من اليونانيّة إلى العبرانيّة لتمكنه من اللغة العبرية.

ثالثاً: قال الإمام «ابن أبي حاتم» في كتابه الجليل «الجرح والتعديل»: «سألت أبي (أي الإمام الجليل: أبي حاتم الرازي) عن **عقيل بن خالد أحبّ إليك أم يونس؟** فقال: **عقيل أحب إلي من يونس**، وعقيل لا بأس به ... سئل أبي عن **عقيل ومعمر**، أيّهما أثبت؟ فقال: **عقيل أثبت**؛ كان صاحب كتاب.»[135]. وهذا ما يرجّح كفّة «عقيل»، خاصة أنه كان يروي من كتابه لا من حفظه؛ فتكون رواية «العربيّة» شاذة؛ لأنّ راويها وإن كان ثقة إلاّ أنه خالف من هو أوثق منه.

رابعًا: رواية «عقيل بن خالد» تدلّ على أنّ «ورقة» كان متمكنًا من اللغة العبريّة حتى إنه كان ينسخ التوراة العبريّة، ويترجم الإنجيل اليوناني إلى العبريّة، أمّا رواية «معمر» فمفككة؛ فهي تقول: «وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل»؛ إذ الصلة منقطعة بين (كتابة الكتاب العربي) و(يكتب بالعربيّة من الإنجيل)؛ فما دلالة الفاء هنا؟!

مضى في العبراني والعربي؛ لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة، واختلفت المخارج فأمكن التعداد، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه» (المصدر السابق)، وهو قول لا يخلو من نظر؛ إذ إنّ اتحاد المخرج ثابت للقولين، وحجّة التمييز بينهما فيها مقال!

[135] ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ت/ عبد الرحمن المعلمي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م، ٤٣/٧. هذا اختيار الإمام «أبي حاتم»، وهو ما نميل إليه.

خامسًا: رواية «يونس» و«معمر» التي يتشبّث بها المنصّرون، تقول إنّ «ورقة بن نوفل» لم يكن يكتب بالعربيّة **غير الإنجيل!**

سادسًا: رواية «يونس» و«معمر» التي يتشبّث بها المنصّرون، لم تُثبت كتابة كامل الإنجيل باللغة العربيّة، وإنما أثبتت تعريب **بعضه**: «يكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب.»، ووجود بعض النصوص المعرّبة ليس هو محلّ النزاع هنا، فقد يثبت وقد لا يثبت، وعلى فرض ثبوته لا يعدّ حجّة لوجود (ترجمة عربيّة للكتاب المقدس)؛ إذ المسافة هائلة بين (نصوص متفرقة فيها بعض الصلوات والمواعظ) مستخرجة من الأسفار المقدسة، وبين (كتاب يضم نصوص أسفار العهدين بلغة العرب)!

سابعًا: يقول الكثير من **المنصِّرين** إن «ورقة» كان ينتمي إلى طائفة الأبيونيين.

قلت: طائفة الأبيونيين ترفض العهد الجديد (كاملًا) إلا إنجيل متى، فلها منه نسخة خاصة محذوفة الفصلين الأوّلين. وعلى هذا القول؛ يكون «ورقة» قد عرّب أجزاء من إنجيل واحد بنكهة هرطقية!!

الحكم على «ورقة» أنه أبيوني ليس عليه دليل قاطع، لكن بإمكاننا أن نستشف من خلال رد فعله لما التقاه رسول الله ﷺ أنه لا يحمل تصور جمهور النصارى المتأخرين (الأرثودكس)؛ بما يرجح أنه كان ينتمي إلى فرقة تعتبر عند الأرثودكس مهرطقة، وربّما كانت هي الأبيونيّة! علمًا أنّ إثبات أبيونيّة «ورقة» يزيد رواية «عقيل بن خالد» وضوحًا؛ إذ إن الأبيونيين —كما يقول قديس الكنيسة (إبيفانيوس)، كانوا يتبنون إنجيلًا باللغة العبريّة[١٣٦]؛ فيكون «ورقة» «يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب» كما في رواية «عقيل» أي: يستنسخ من نصوص الإنجيل العبري، نسخًا أخرى عبريّة —فعلى هذا المعنى يكون معنى (يكتب): (ينسخ) لا (يعرّب)—.

ثامنًا: ما الحاجة التي من الممكن أن تدفع «ورقة» إلى أن يقوم بهذا الجهد العلمي الهائل والذي يحتاج كفاءات عالية جدًا– ومنها الإتقان التام للعبريّة الكتابيّة التي كانت قد ماتت في تلك الفترة، واستغنى عنها عامة اليهود بالترجومات الآراميّة– والمتمثل في ترجمة الكتاب المقدس

---

[١٣٦] انظر؛ Brooke Foss Westcott, *An Introduction to the Study of the Gospels*, Cambridge: MacMillan, ١٨٨١, ٦th edition, p.٤٧١

إلى العربيّة، **رغم غياب مجتمع نصراني في مكة، وعدم وجود عمل تنصيري فيها؟!!**

تاسعًا: لماذا اختفت تمامًا ترجمة «ورقة بن نوفل» إن كان لها وجود سابق، فهي ولا ريب قيمة علمية هامة؟!

عاشرًا: لماذا لم يقل كفار مكة للرسول ﷺ إنك قد أخذت من «ورقة» أخبار أهل الكتاب معرّبة، واكتفوا بنسبة هذا التعليم إلى فتى أعجمي؟!

الحادي عشر: لم يتعرّف الرسول ﷺ على ورقة إلا في تلك الحادثة، مع نزول الوحي، ومات «ورقة» بعدها **سريعًا**، وكان عند التقائه بالرسول ﷺ أعمى، كبير السن!

ولعلّ إعراض المستشرقين عن الاستدلال بهذا الحديث لصالح ترجمة عربيّة للكتاب المقدس زمن البعثة النبويّة، ممّا يقال فيه: (الصمت في معرض الحاجة إلى البيان؛ بيان)؛ فهو صمت يحمل اعترافًا (فصيحًا) بأنّه لا حجة فيه لما زعمه المنصّرون!

شهادة الاستقراء التاريخي

شهد لغياب الترجمة العربية لهذه الأسفار، العديد من الأكاديميين المحقّقين، وأقرّت بذلك الموسوعات المتخصّصة التي لم تحمل همّ دعوى نقض أصالة القرآن الكريم، وذلك بعد أن ثبت بالاستقراء التاريخي غياب الترجمة العربية للكتاب المقدس زمن البعثة النبوية، ولعلّ أهمّ من كتب في موضوع تاريخ ترجمات الكتاب المقدس في لغات العالم، البحّاثة «بروس متزغر» «Bruce Metzger»[137]، أستاذ لغة العهد الجديد وآدابه، في كتابه المرجعي «*The Bible in Translation*» المتعلّق بصورة مباشرة بتاريخ ترجمات الكتاب المقدس؛ فقد قال في هذا الشأن:

---

[137] بروس متزجر (١٩١٤م-٢٠٠٧م): أحد أئمة دراسات النقد النصي للعهد الجديد. له مؤلّفات متنوعة في موضوعات متعددة في الدراسات الأكاديميّة المتعلّقة بالعهد الجديد. شارك في إعداد أهم نص يوناني قياسي للعهد الجديد في القرن العشرين. كما شارك في تحرير العديد من الترجمات الإنجليزيّة للعهد الجديد والتعليق عليها. تعتبر مؤلّفاته مراجع أساسيّة في الدراسات المتخصصة في الجامعات الغربيّة.

«من الراجح أنّ أقدم التراجم (العربيّة) للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثامن.»[١٣٨] . وكتب المستشرق المنصّر «توماس باتريك هوغز» «Thomas Patrick Hughes» في معجمه الذي خصّه للمصطلحات الإسلاميّة «*The Dictionary of Islam*» –نقلًا عن المستشرق «ج. م. رودويل» «J. M. Rodwell»[١٣٩] –: «**لا توجد حجة على أنّ محمّدًا قد اطّلع على الأسفار المسيحيّة المقدسة... لا بد أن يُعلم أنّه لا توجد آثار واضحة على وجود ترجمة عربيّة للعهدين القديم والجديد سابقة لزمن محمد** ... أقدم ترجمة عربيّة للعهد القديم بلغنا أمرها، هي ترجمة الحبر سعديا الفيومي»[١٤٠] . واحتج بالاختلاف الثابت في الصياغة الأدبيّة بين الترجمات العربيّة المتأخرة لأسفار العهدين واختلافها أيضًا في رسم أسماء الأعلام؛ للقول إنّها لا تعود لترجمة عربيّة قديمة سابقة للإسلام، وإنّما هي ترجمات متأخرة عن ذلك، من أصول لغويّة مختلفة (السبعينيّة، والفولجات، وسريانيّة، وقبطيّة).[١٤١]

وخلص الباحث الإنجيلي المصري «ألبرت إستيرو»[١٤٢] في خاتمة أطروحته للدكتوراه حول (الترجمة العربيّة) التي اعتمدها «ابن قتيبة» في اقتباساته من الكتاب المقدس: «الاقتباسات

---

١٣٨ Bruce Metzger, *The Bible in Translation*, Grand Rapids: Baker Academic, ٢٠٠١, p. ٤٦

١٣٩ جون مدوز رودويل (١٨٠٨م–١٩٠٠م): مستشرق إنجليزي.

١٤٠ Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam, being a cyclopaedia of the doctrines, rites, ceremonies, and customs, together with the technical and theological terms, of the Muhammadan religion*, London: W.H. ALLEN, ١٨٩٥, pp.٥١٦-٥١٦

١٤١ انظر؛ المصدر السابق، ص٥١٦

١٤٢ يكتب بالحرف اللاتيني (Albert Isteero)، والمقابل العربي تقريبي إذ لم أعثر على اسمه كما يكتب باللغة العربيّة. جاء في مخطوطة الدكتوراه تعريفه أنه من مواليد سنة ١٩٣٠م، في (بورسعيد) بمصر. رسّم قسيسًا سنة ١٩٥٨

الكتابيّة لعبد الله مسلم بن قتيبة ومصدرها: التحقيق في شأن أبكر الترجمات العربيّة للكتاب المقدس» «*'Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations*»[١٤٣] إلى القول: «**ربّما ظهرت الترجمات العربيّة للكتاب المقدس في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي- في بداية القرن الثامن.**»[١٤٤]، ومما استدلّ به لغياب ترجمة عربيّة قبل ظهور الإسلام؛ عدم حاجة يهود البلاد العربيّة لهذه الترجمة في لغة العرب؛ إذ دلّت النقوش على استعمالهم للآراميّة، أمّا النصارى فيشهد عدم وجود مجتمع نصراني في الحجاز، **واعتماد الليتورجيا على اللغات الأخرى،** على أنّه من غير المعقول أن يواكب ذلك وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس.[١٤٥]

ولعلّه من الجيّد أن نفصّل في هذه القضيّة؛ دفعًا للوهم عمّن يحسب أنّ ما نقرّره مخالف لما انتهى إليه من صنّفوا في هذا الموضوع من أعلام الكتّاب الغربيين المتخصصين في هذه الدراسات الدقيقة، ولِيعْلَم القارئ من وافق المحقّقين من الباحثين، ومن أسلم نفسه إلى انفعاليتها وأتبع نفسه هواها.

الترجمة العربيّة للعهد القديم:

ذكر الدكتور «إيرا موريس برايس»«*Ira Maurice Price*»—أستاذ اللغات الساميّة والآداب في جامعة شيكاغو –في كتابه الخاص باستقراء تاريخ مخطوطات الكتاب المقدس ونصوصها

في الكنيسة الإنجيليّة. انتخب سنة ١٩٦٥م كسكرتير عام لمجلس كنائس الشرق الأوسط. وهو يدرّس الأدب الكتابي في إحدى مدارس الكنيسة الإنجيليّة المصريّة.

[١٤٣] ناقشها سنة ١٩٩٠م في جامعة (*Johns Hopkins*) الأمريكيّة.

[١٤٤] Albert Isteero, *'Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations*, p.٢٣٦, manuscript

[١٤٥] انظر المصدر السابق، ص ٧-١٧

وترجماتها أن الفتح الإسلامي العربي لسوريا ومصر حيث تمّ تثبيت اللسان العربي هو الذي أوجد الحاجة لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربيّة.[١٤٦] ووافقته على ذلك «موسوعة المسيحيّة» «*The Encyclopedia of Christianity*» بقولها إنّ «**الترجمات العربيّة تعود إلى الفترة الإسلاميّة.**»[١٤٧]

ولما تحدثت «الموسوعة الكاثوليكيّة» «*The Catholic Encyclopedia*» —طبعة سنة ١٩١٣م– عن التراجم العربيّة للكتاب المقدس، لم تُحدث ذِكرًا لترجمة قبل القرن العاشر؛ وإنّما جاء فيها أنّه: «توجد ست أو سبع ترجمات لأجزاء من العهد القديم طبق الترجمة اليونانيّة السبعينيّة، بعضها يعود إلى القرن العاشر.»[١٤٨]

والأمر كما قال أحد أعلام النصارى المحافظين البارزين، «هورن» «*Horne*» فإنّ: «الترجمات العربيّة للعهد القديم لا تمتد إلى ما وراء القرن العاشر.»[١٤٩]

وممّا يؤكد صدق هذه الشهادة، ما قاله المفسّر اليهودي «ابن عزرا» (توفي ١١٦٤م) في تعليقه على نص تكوين ١١/٢ من أنّ «سعديا الفيومي»[١٥٠] قد ترجم الأسفار الخمسة لموسى إلى

---

[١٤٦] انظر؛ Ira Maurice Price, *The Ancestry of Our English Bible*, Philadelphia: The Sunday School Times Company, ١٩٢٠, ٧th edition, p.١٠٨

[١٤٧] Geoffrey W. Bromiley, ed. *The Encyclopedia of Christianity*, Tr. Erwin Fahlbusch, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٩, p.٢٤٢

[١٤٨] *The Catholic Encyclopedia*, New York: The Universal Knowledge Foundation, INC., ١٩١٣, ١٥/ ٣٦٩

[١٤٩] Thomas Hartwell Horne, *An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scriptures*, New York: R. Carter & Brothers, ١٨٥٢, ١/ ٢٧٤

[١٥٠] سعديا الفيومي (٨٨٢–٩٤٢م): حبر وفيلسوف يهودي. يعتبر رائد الكتابات اليهوديّة–العربيّة. تأثّر بالمناهج والمباحث الكلاميّة الإسلاميّة.

«لغة إسماعيل وكتاباتهم ليظهر أنّها لا تضمّ أمورًا غير مفهومة.»[١٥١] .. أي أنّ بداية النص العربي للأسفار الخمسة قد كانت مع «سعديا الفيومي» في القرن العاشر.[١٥٢] وهو ما أقّر به

[١٥١] Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, New Jersey: Princeton University Press, ١٩٩٢, pp.١١٧

[١٥٢] لا يبدو أنّ ما ذكره «المسعودي» من وجود ترجمة عربيّة من النص اليوناني السبعيني في القرن التاسع يعكّر على ما قرّرته في المتن؛ فإنّ قوله في كتابه: «التنبيه والأشراف» (ت/ م. ج. دو غوج، ليدن: بريل، ١٨٤٣) ص ١١٢: «ابطلميوس الكصندرس ملك اثنتين وعشرين سنة، وهو الذي نقلت له التوراة نقلها اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اليونانية. وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق (٨٠٩م-٨٧٧م) وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس.» فيه نظر؛ لأسباب : (١)لا توجد أدنى شهادة من المخطوطات على هذه (الترجمات) (انظر؛ Meira Polliack, *The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation*, Leiden: Brill, ١٩٩٧ , p.١٨) رغم أنّه قد عرفت «لإسحاق بن حنين» ترجمات لكتب كثيرة منها عشرات الكتب للطبيب «جالن» (انظر؛ Samir Johna, *Hunayn ibn-Ishaq: A Forgotten Legend*, American Surgeon, ٠٠٠٣١٣٤٨, May٢٠٠٢, Vol. ٦٨, Issue ٥, p.٤٩٨ .)؛ فكيف يذكر التاريخ ترجماته لكتب الطب، ويغفل الكل-إلا المسعودي- ذكر ترجمته للتوراة؟!- (٢) قال «المسعودي» بعد هذا النص مباشرة (ص١١٢-١١٣): «فأمّا الإسرائليون من الأشمعث وهم الحشو والجمهور الأعظم والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية التوراة والأنبياء والزبور وهي أربعة وعشرون كتاباً وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائليين المحمودين عندهم قد شاهدنا أكثرهم منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني إشمعثي المذهب وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمائة ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي إشمعثي المذهب أيضاً»، وهذه دعوى لا دليل عليها، كما أنّها مستبعدة جدًا؛ لأنّها تنفي عن ترجمة «سعديا» -الذي سماه هنا «سعيد» — مبررات إصدارها؛ إذ كيف يعرب الأسفار العبريّة مع ما في ذلك من مشقة وحرج علمي، مباشرة بعد أن قام بذلك أستاذه «أبو كثير يحيى بن زكريا»، ولماذا لا نرى ذكرًا لترجمة الأستاذ، ولم يبق في الخبر غير ذكر ترجمة التلميذ مع توافر الدواعي لذكر الاثنين معًا؟!، (٣)«المسعودي» متهم عند علماء المسلمين بنقل الروايات المكذوبة؛ قال فيه شيخ الإسلام «ابن تيمية» في كتابه «منهاج السنة» (ت/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ) ٤/٨٤: «وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى، فكيف يوثق في كتاب (يقصد «مروج الذهب») قد عرف بكثرة الكذب.»، كما أنه كثيرًا ما

الدكتور القس «صموئيل يوسف خليل» في كتابه «المدخل إلى العهد القديم» بقوله: «أوّل وأهم هذه الترجمات المأخوذة من اللغة العبريّة هي التي قام بها سعاديا الجاوون[١٥٣]، وهو رجل يهودي متعلم ومثقف جدًا. كان رئيسًا للمدرسة اليهوديّة في سورا في بابل ومات عام ٩٤٢م.»[١٥٤]

وممّا لا بد من إضافته هنا هو أنّه رغم ظهور ترجمة عربيّة للعهد القديم بعد انتشار الإسلام، إلاّ أنّ هذه الترجمة –وغيرها إن وجدت– لم ترج بين المسلمين في قرون الإسلام الأولى، إلاّ ما قد يمكن أن يستثنى في بلاد أوروبا – في الأندلس–[١٥٥]. وقد كان النقل في الكتابات الإسلاميّة عن الكتاب المقدس في تلك القرون أساسًا من الزاد الشفهي غير المباشر[١٥٦]، كما كانت

ينقل دون إسناد (انظر؛ عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، الاسكندرية، منشئة المعارف، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٢٧) بما يضعف نقله بلا ريب.

لا ينفي ما سبق أن تكون هناك بعض الترجمات العربيّة لمقاطع من الكتاب المقدس (خاصة المزامير التي تستعمل في الليتورجيا) أو لأسفار صغيرة.

[١٥٣] هو نفسه «سعديا الفيومي»

[١٥٤] صموئيل يوسف خليل، المدخل إلى العهد القديم، القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م ، ط٢، ص٦٨

[١٥٥] وجود ترجمة عربيّة للعهد القديم زمن «ابن حزم» في الأندلس لا يزال محلّ جدل بين النقاد لغياب الدليل المباشر والحاسم لصالح مذهب الإثبات أو النفي. (انظر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.١٢٤). وقد ذهب بعض النقاد إلى أنّ «ابن حزم» قد اعتمد ترجمة عربيّة من اللاتينيّة عرّبت في القرن العاشر على يد «Ishaq ibn Balask» (انظر؛ Ann Christys, *Christians in Al-Andalus, ٧١١-١٠٠٠*, Richmond: Curzon Press, ٢٠٠٢, p.١٥٥)

[١٥٦] لعلّ الإمام «أبا جرير الطبري» يعدّ من أهم الأمثلة في هذا الباب، فقد أكثر من النقل عن أهل الكتاب، لكنه كان في القليل النادر يوافق النص الحرفي للعهد القديم. ومن الملاحظ أنّ المهتدي «علي بن ربن الطبري» في القرن التاسع ميلاديًّا، وإن تميّز بالحَرفيّة في كتابه «الدين والدولة» إلاّ أنّه –على ما تدلّ عليه القرائن الداخليّة– كان يستعمل ترجمة سريانيّة لا عربية. (انظر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.١١٢-١١٣)

كتب المؤرّخين الأخباريين «كاليعقوبي» وغيره، تخلط في نقلها عن اليهود بين نصوص الأسفار المقدسة والكتابات المدراشيّة، بما ينفي –كما تقول المستشرقة «هفا لازاروس يافه» « Hava Lazarus-Yefeh»[١٥٧] – أن تكون هناك ترجمة عربيّة رائجة بين المسلمين في تلك الفترة.[١٥٨]

وتؤكّد الحقيقة التاريخيّة الاستقرائيّة السالفة عسر التعامل مع النصوص الكتابيّة لما كانت بأيدي أهل الكتاب، وإن كانت بلغة العرب .. فكيف يفترض أن تتاح بين يدي رسول الله ﷺ ليأخذ منها ويذر بيسر، لما لم يكن لها وجود في اللسان العربي**!؟**

الترجمة العربيّة للعهد الجديد:

قال الباحث النصراني **المحافظ** الشهير، والذي شغل منصب مدير المتحف البريطاني، «فردريك ج. كنيون» «*Frederick G. Kenyon*»، عند سرده للترجمات المتاحة للعهد الجديد: «عدة ترجمات عربية يُعلم وجودها (اليوم)، بعضها ترجمات عن اليونانية، وبعضها عن السريانية، وبعضها عن القبطية، في حين أن ترجمات أخرى هي مراجعات قامت على بعض (تراجم) اللغات السابقة أو كلّها. **لا ترجع أيّ منها إلى ما قبل القرن السابع**، وربما لا توجد واحدة في ذاك الزمن المبكّر.»[١٥٩]

---

[١٥٧] هفا لازاروس يافه: إحدى أهم من عملن في الحقل الاستشراقي من (الإسرائيليين) اليوم. حاصلة على جائزة (إسرائيل) للتاريخ. توفيت منذ فترة قصيرة.

[١٥٨] انظر؛ المصدر السابق، ص ١١٤

[١٥٩] "Several Arabic versions are known to exist, some being translations from the Greek, some from Syriac, and some from Coptic, while others are revisions based upon some or all of these. None is earlier than the seventh century, perhaps none so early." (Frederick G. Kenyon, *Our Bible and The Ancient Manuscripts*, London: Eyre and Spottiswoode, ١٨٩٨ , ٣rd edition, p. ٦٥)

وقد عدّد «بروس متزغر» في دراسته المعنونة بـ«ترجمات عربيّة مبكّرة للعهد الجديد» « *Early Arabic Versions of the New Testament*» الشخصيات التي نسب إليها القيام **بأوّل تعريب** لنصّ العهد الجديد:

١- زعم «ميخائيل السرياني» (توفي سنة ١١٩٩م) في تاريخه أنّ «الأمير العربي» «عمرو» ابن الصحابي «سعد بن أبي الوقاص» (رضي الله عنه) قد طلب من البطريرك اليعقوبي «يوحنا» أن يعرّب الأناجيل من السريانيّة إلى العربيّة على أن يحذف المواضع التي تشير إلى ألوهيّة المسيح والصلب والتعميد، ونظرًا لإصرار البطريرك «يوحنا» على رفض حذف ما طلب منه من نصوص الأناجيل؛ فقد تمّت الترجمة على يد مجموعة من الأساقفة، دون إقصاء أيّ من النصوص.[١٦٠]

٢- قام الأسقف الإسباني «يوحنا الإشبيلي» «*John of Seville*» في بداية القرن الثامن بترجمة الأناجيل من لاتينيّة الفولجات إلى العربيّة.[١٦١]

٣- جاء في كتاب «الفهرست» «لابن النديم» –ألّف سنة ٩٨٧م- قوله إنّ رجلًا اسمه «أحمد بن عبد الله بن سلام» مولى الخليفة «هارون الرشيد» قد عرّب التوراة والإنجيل.[١٦٢]

تقويم[١٦٣] هذا التراث:

١-كلّ هذا التراث يردّ الترجمات العربيّة إلى **ما بعد ظهور الإسلام**، ويثبت بذلك غياب دليل تاريخي على وجود ترجمة عربيّة سابقة للبعثة النبويّة.

٢-سواء صحّ هذا التراث أو بعضه، فإنّ فيه دلالة قوّية على غياب دلائل مسندة –ولو ضعيفة- على ردّ الأمر إلى ما قبل البعثة النبويّة الشريفة.

---

١٦٠ انظر؛ Bruce Metzger, '*Early Arabic Versions of the New Testament*,' in Matthew Black and William A. Smalley, eds. *On Language, Culture, and Religion: In Honor of Eugene A. Nida*, Paris: Miton, ١٩٧٤, p.١٥٨

١٦١ انظر المصدر السابق، ص ١٥٩

١٦٢ ابن النديم، الفهرست، بيروت: دار المعارف، د. ت، ص ٣٢-٣٣

١٦٣ يكتبها البعض (تقييم)، وهو خطأ!

٣- لا نجد أثرًا لما زعمه «ميخائيل السرياني» في المؤلّفات العربيّة والإسلاميّة، رغم أهميّته، ولعلّه أراد من خلال هذه القصّة تمجيد هذا البطريرك أنّه رفض التنازل عن ولائه للأسفار المقدّسة، رغم أنه كان يعيش تحت سلطان المسلمين.

القصّة تحمل نكارة بارزة في متنها بدعواها أنّ أميرًا عربيًا في التاريخ الإسلامي المبكّر قد طلب تعريب الأناجيل. وأوجه النكارة هي:

- **غياب الحاجة الدينيّة لذلك.**
- **مخالفة ذلك للشرع** الذي منع من النظر في كتب أهل الكتاب لغير نقضها وإثبات دلالة بعض ما فيها على ربّانيّة الإسلام[١٦٤].
- حاجة هذا (الأمير) إلى ترجمة محذوفة الإشارات إلى ألوهيّة المسيح والصلب والتعميد لا تملك مبررًا تاريخيا أو دينيا أو منطقيًا، فالمسلمون لا يرون حجيّة الأناجيل، ويؤمنون — ديانة–بتحريفها، فلِمَ يُحتاج إلى تعديل ما ليس بحجّة؟!!

وممّا يؤكد بطلان قصّة «ميخائيل السرياني» الذي عاش في القرن الثاني عشر، أنّه قد جاء في كتاب تاريخ سرياني يعود إلى القرن الثامن أنّ لقاءً جمع قائدًا مسلمًا اسمه «عمرو» والبطريرك اليعقوبي «يوحنا الأول»، عرض فيه الطرف المسلم تساؤلاته حول مضمون الإنجيل[١٦٥]. وليس في هذه الوثيقة إشارة إلى الطلب الغريب الذي نسب لاحقًا إلى القائد «عمرو». ولا شك أنه

---

[١٦٤] قال «البهوتي» في «كشاف القناع» (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١/٤٣٤): «ولا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب ... ولا النظر في كتب أهل البدع، ولا النظر في الكتب المشتملة على الحق والباطل، ولا روايتها، لما في ذلك من ضرر إفساد العقائد.»، وقد نصّ أهل العلم على إباحة النظر في هذه الكتب لنقضها لا للاستدلال بها!

[١٦٥] انظر؛ M. J. Nau, '*Un colloque du patriarche Jean avec* l'émir *des agaréens et faits divers des années* ٧١٢ *a*٧١٦,' in *Journal Asiatique* ١١th Series, ٥ (١٩١٥), pp.٢٢٥-٢٧٩ (Quoted by, Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, ١٩٨٥ Volume ٦٩, p. ١٣٥)

حري بالمؤرخين أن يشيروا إلى طلب هذا القائد تعريب الإنجيل؛ لقيمة هذه الواقعة ودلالاتها، وهو ما لم يكن؛ وفي ذلك دلالة على أنّها لم تقع!

ويرى «لويس لوبلوا» «*Louis Leblois*» أنّ هذه القصّة ما هي إلا خرافة (*légende*)، وأكّد أنّه لم تكن هناك ترجمة عربيّة للكتاب المقدس زمن الرسول ﷺ[١٦٦]، ووافقه «ترمنغهام» «Trimingham»[١٦٧] بقوله: «لا يمكن أن نمنح غير القليل من الثقة لهذه القصة»[١٦٨]، كما أثار الناقد «جورج غراف» «*Georg Graf*» عددًا من الاعتراضات الأخرى على تاريخيّتها.[١٦٩]

٤- اختلف النقاد في أمر ترجمة الأسقف «يوحنا»؛ إذ تذكر عامة المراجع أنّ هذا الأسقف قد عاش في القرن الثامن ميلادي سنة ٧٣٧م تبعًا لما نقله المؤرخ الإسباني «ماريانا» «*Mariana*»، في حين ذهب «*Simonet*» و«*Tisserant*» إلى أنّ «يوحنا» المذكور قد عاش في القرن التاسع[١٧٠]، أمّا «جيلدمايستر» «*Gildemeister*» فقد قرّر أنّ الأسقف «يوحنا» المعروف قد

---

[١٦٦] "Il est certain qu'il n'existait point de traduction arabe de la Bible au temps de Mohammed" Louis Leblois, *Les Bibles et les Initiateurs Religieux de L'Humanite*, IV.٢٠٧, Paris, Librairie Fischbacher, ١٨٨٨

[١٦٧] جون سبنسر ترمنغهام John Spencer Trimingham: أستاذ اللاهوت في مدرسة الشرق الأدنى ببيروت. كانت له عناية بدراسة الإسلام في إفريقيا.

[١٦٨] "Little credence can be given to this story" Trimingham, *Arabs*, p.٢٢٥ (Quoted by, Yoel Natan, *Moon-o- Theism: Religion of a War and Moon God Prophet*, Yoel Natan, ٢٠٠٦, ١/٥٩٥)

[١٦٩] انظر؛ Georg Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur, Studi e testi* ١١٨, Citta del Vaticano, p.٣٥

[١٧٠] انظر؛ Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. *The Literature of Al-Andalus*, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٠, p.٤٢٣

عاش في القرن العاشر.[171] كما أنّ أوّل من تحدّث عن قصّة هذه الترجمة هو أسقف تولندو «Rodrigo Ximenes» (توفي: ١٢٣٧م) الذي عاش أثناء حكم «ألفونصو الثامن»، وقال إنّ العرب كانوا يسمون «يوحنا» هذا بـ«سعيد المطران»، ثم كرّر هذا الزعم في كتاب « *Primera Cronica General*» أثناء حكم «ألفونصو العاشر»، وهو ما ردّده أيضًا وبصورة أوسع «ماريانا» في القرن السادس عشر.[172]

يكشف الفارق الزمني بين القصّة المدّعاة وزمن ذكرها، رخاوة الإسناد بل هشاشته. وممّا يضاف في هذا الشأن أنّ أقدم ترجمة عربيّة متاحة في الأندلس تعود إلى القرن العاشر وتضمّ الأناجيل الأربعة والمزامير.[173]

٥-لا يُعلم متابع «لابن النديم» في قوله، من غير طريقه، وهو ما يضعف شهادته بصورة كبيرة. والكلام الذي نقله فيه مبالغة: «قرأت في كتاب وقع إلي قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه، فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه على لفظ الكتاب: «قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون -أحسبه الرشيد - ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه وهو كتاب فيه طول إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول ﷺ وعن أصحابه وعن من أسلم من أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام ويامين بن يامين ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن التيهان وبحيرا الراهب.

---

١٧١ انظر؛ William Smith, ed. *A Dictionary of the Bible*, ٣/١٦١٥, London, John Murray, ١٨٩٣

١٧٢ انظر؛ Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. *The Literature of Al-Andalus*, p.٤٢٣

١٧٣ انظر المصدر السابق، ص ٤٢٣

قال أحمد بن عبد الله بن سلام: «ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية -وهي لغة أهل كل كتاب- إلى لغة العربية حرفًا حرفًا ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف...».[١٧٤]

إنّ ضياع هذا العلم الضخم الناتج عن جهد علمي هائل في تلك الفترة المبكّرة، وغياب كلّ ذكر له -حتى لاسمه- في غير هذا الكتاب المغمور الذي نقل عنه صاحب «الفهرست»؛ لمن الأمور التي تلقي بظلال قاتمة من الشك على صدق هذه الدعوى، كما أنّ الحديث عن أتباع نبي الله «إبراهيم» عليه السلام وأسفارهم المقدّسة هو أمر يجمع بين الإبهام المريب والغرابة، خاصة أنّ المسمّى «أحمد بن عبد الله بن سلام» لم يكن يذكر أمرًا عارضًا قد يحدث فيه التباس عفوي، وإنّما كان يتحدّث عن أسفار ضخمة قام هو نفسه بتعريبها! وزاد عدد من النقاد في إضعاف هذه الشهادة بإظهار شكّهم بمعرفة هذا الرجل باليهوديّة واللغة العبريّة من خلال ما ذكره عن منهجه في الترجمة.[١٧٥]

وممّا يزيد القول بوجود ترجمة عربيّة للعهد الجديد زمن البعثة النبويّة، نكارة، أنّ الترجمات العربيّة الأقدم المتاحة، فيها ركاكة وسوء تعبير باللسان العربي — رغم أنّها صادرة عن نفس الدوائر الكنسيّة التي كتبت في الجدل الديني ضد الإسلام بأسلوب عربي بليغ- حتّى إنّ الناقد «بلو» «Blau» يرى أنّه من العسير القول إنها تراجم عربيّة[١٧٦]. ولا ريب أنّ ذاك يعود للنقل الحرفي عن مخطوطات يونانيّة وسريانيّة، وغياب ترجمة أو ترجمات عربية قديمة تصل إلى عصر البعثة النبويّة.

---

[١٧٤] ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢-٣٣

[١٧٥] انظر؛ Meira Polliack, *The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation*, p.١٨

[١٧٦] انظر المصدر السابق، ص ٥

ومن الملاحظات الأخرى الهامة التي تؤكّد النقطة السابقة، ما لاحظه الناقد «بومستارك» «Baumstark»[177] من أنّ «ابن قتيبة» و«الجاحظ» و«ابن ربن الطبري» –وقد عاشوا في القرن التاسع ميلاديًّا– قد اقتبسوا نصوصًا من الأناجيل، باللغة العربيّة؛ ممّا أظهر أنّ أصل هذه الاقتباسات نصوصٌ أصلها سرياني، وهو ما يَظهر بأدلّة جوهريّة في هذه الاقتباسات ذاتها، ومنها تضمنّها كلمات سريانيّة.[178] وفي ذلك دلالة على غياب جذر عربي للترجمات العربيّة التي وجدت بعد انتشار الإسلام.

ويزداد الأمر وضوحًا من خلال ما يخبرنا به الناقد «بول دو لاجارد» « Paul de Lagarde»[179] من أنّ عدد الترجمات العربيّة للأناجيل أكثر مما يرغب فيه طلبة اللاهوت(!)، فهي ترجمات متنوّعة إلى درجة مزعجة جدًا، وذاك ناتج عن تعدد مصادرها، حتّى إن بعض الترجمات يعتمد جزء منها على أصل سرياني، وجزء آخر على أصل قبطي، وثالث على أصل يوناني. وكان الناقد «جراف» «Graf»[180] قد عمّق تأكيد هذه الحقيقة من خلال تصنيفه للترجمات العربيّة.[181]

وأشار «سدني هـ جريف» «Sidney H. Griffith»[182] إلى ملحظ علمي آخر له دلالة عظيمة على تأخر تأريخ أقدم الترجمات إلى ما بعد البعثة النبويّة؛ إذا كشف أنّ أقدم الترجمات العربيّة المتاحة لكتب العهد الجديد ظاهرة الصلة بمؤلفات الاعتذاريين النصارى المؤلفة باللغة العربية–

---

[177] أنتون بومستارك (١٨٠٠م–١٨٧٦م) : عالم فيلولوجي ألماني.

[178] انظر؛ Anton Baumstark, *Arabische Ubersetzung*, p.١٦٩ (Quoted by, Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament* : *Manuscript Studies*, pp.٢٧٦-٢٧٧)

[179] بول دو لاجارد (١٨٢٧م– ١٨٩١م): مستشرق وناقد كتابي ألماني.

[180] جورج جراف (١٨٧٥م– ١٩٥٥م): مستشرق ألماني. من أهم النقّاد الذين درسوا الشرق النصراني.

[181] انظر؛ Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament* : *Manuscript Studies*, pp.٢٨٧-٢٨٨

[182] سدني غريفث: يعمل الآن أستاذًا في قسم اللغات الساميّة والمصريّة وآدابها في الجامعة الكاثوليكيّة في أمريكا. هو اليوم أهم كاتب متخصص في الردود النصرانيّة –السريانيّة والعربيّة– المبكّرة على الإسلام، وله في ذلك كتب ومقالات كثيرة.

خاصة كتابات «ثيودور أبي قرة»[١٨٣] – .. وهو ما يعني أن كلّ هذه الكتب هي إفراز زمن واحد.[١٨٤]

كلّ ذلك يكشف أنّ بذرة الترجمات العربيّة للعهد الجديد التي ظهرت في العصر الإسلامي، لم تنبت في أرض عربيّة، وإنما قد أُخذت فسيلة من بيئة أعجميّة اللسان.

النتيجة: إنّ الباحث لا يمكنه أن يستخرج من المستندات التاريخيّة دليلًا على سبق الترجمة العربيّة للعهد الجديد، للبعثة النبويّة، فالدلائل المتاحة كلّها متأخّرة عن ذلك. وليس أمام المستقصي إلاّ أن يقبل ما ورد فيها أو أن يردّها ليتأخّر بذلك الزمن المقترح لظهور هذه الترجمة.

وممّا يلفت الانتباه، **إقرار** عدد ممن (امتهن) الدعاية ضد القرآن الكريم، غياب ترجمة عربيّة للعهد الجديد حتّى القرن السابع؛ ومن هؤلاء «تسديل» الذي يعتبر أشهر من كتب في زعم الاقتباس، إذ قد قال في كتابه «المصادر الأصليّة للقرآن» «*The Original Sources Of The Qur'an*»: «يبدو أنّه لا توجد حجّة مرضيّة على وجود ترجمة عربيّة للعهد الجديد في زمن محمد.» «There seems to be no satisfactory proof that an Arabic version of the New Testament existed in Muhammad's time.»![١٨٥]

شهادة مخطوطات الكتاب المقدس

بعد أن ثبت بالاستقصاء التاريخي أنّ السجلات التاريخيّة تنكر وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس قبل البعثة النبويّة؛ فعلينا أن ننظر في محفوظاتنا من مخطوطات العهدين القديم والجديد،

---

[١٨٣] ثيودور أبو قرة (٧٥٠م–٨٢٥م): أسقف حران. لاهوتي نصراني على مذهب الملكانية. كان كثير التأليف في الرد على الإسلام واليهوديّة وغيرهما.

[١٨٤] انظر؛ Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, ١٩٨٥ Volume ٦٩, p. ١٣٤

[١٨٥] St. Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, London: Society For The Promotion Of Christian Knowledge, ١٩١١, p. ١٤٠

وحكم علماء الخطاطة (Palaeography) والنقد النصّي على زمن نسخها، وطبيعة أصالة هذه الترجمات؛ أي هل هي مستنسخة من ترجمات عربيّة سابقة أم أنها ترجمات حديثة عن أصول غير عربيّة؛ إذ إنّ ثبوت الاحتمال الأوّل يردّ تاريخ الترجمة العربيّة إلى ما قبل تاريخ النسخ المتاحة.

مخطوطات العهد القديم:

رغم اهتمام النقّاد بحصر مخطوطات العهد القديم في لغتها العبريّة وترجماتها القديمة، إلاّ أنّ رصيد الترجمات العربيّة كان شديد الضعف رغم أنّ اليهود قد عاشوا أفضل مراحل تاريخهم العلمي في أحضان الدولة الإسلاميّة التي تأسّست زمن البعثة النبويّة، حيث أنشؤوا أكبر مدارسهم وظهرت فيهم حماسة كبيرة للتأليف الديني.

وقد اتّفقت المراجع العلميّة الأكاديميّة الكبرى أنّ ترجمة «سعديا الفيومي» هي أقدم ترجمة عربيّة متاحة اليوم، ولا يذكر لنا التاريخ اليهودي المشرقي ترجمة قبلها. ومما يثير الانتباه أنّ يؤكد النقّاد أنّ ترجمة «سعديا» ليست نسخًا لترجمة عربية أخرى ولا تنقيحًا لسلف عربي؛ وإنّما هي ترجمة مباشرة عن العبريّة[١٨٦]. كما أنّ أقدم أسفار العهد القديم الأخرى مترجمة مباشرة عن السريانيّة واليونانيّة وبقيّة الترجمات الأخرى.[١٨٧]

ومن الملاحظات الهامة حول ترجمة «سعديا» أنّها كانت باللغة العربيّة لكن بالحرف العبري، وقد انتشرت على تلك الصورة وإن كانت ظهرت أيضًا بصورة أقل بالحرف العربي[١٨٨]؛ وفي ذلك بيان لانحسار المعارف الكتابيّة في حدود أهلها، وما يحتاجه انتقالها إلى غيرهم من وقت بطيء وجهد طويل.

---

[١٨٦] Ernst Würthwein, *The Text Of The Old Testament*, ١٩٩٥, Tr. Erroll F. Rhodes, Michigan, William B Eerdmans Publishing Company, p. ١٠٤

[١٨٧] المصدر السابق

[١٨٨] انظر؛ Hava Lazarus-Yefeh, *Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism*, pp.١١٧

إنّ ترجمة «سعديا» وما تلاها، ليست إلاّ استجابة لظهور حاجة طارئة في اللسان العربي الذي تبنّاه اليهود في البلاد العربيّة؛ وفي هذا يقول «إرنست فرذفين» «*Ernst Würthwein*» في كتابه الحجّة في الدراسات الأكاديميّة «نصّ العهد القديم» «*The Text Of The Old Testament*»: «مع انتصار الإسلام انتشرت اللغة العربيّة بصورة واسعة، وأصبحت بالنسبة لليهود والمسيحيين في البلاد المفتوحة لغة الحياة اليوميّة. وقد أدّى هذا الأمر إلى بروز الحاجة إلى ترجمات عربيّة للكتاب المقدّس.»[١٨٩]

مخطوطات العهد الجديد:

قال «ف. س. بوركت» «F. C. Burkitt» في مقاله عن الترجمة العربيّة للعهد الجديد ضمن المعجم الكتابي «*Dictionary of the Bible*»: «إنّه من المرجوح بجِد أن يكون أي تأليف أدبي مسيحي عربي يعود في قدمه إلى زمن محمد. كان هناك مسيحيون في المملكة العربيّة للغساسنة، شرق دمشق، وفي نجران جنوب البلاد العربيّة، لكن أن نحكم على تطوّر الكنيسة في تلك المناطق من خلال معلوماتنا التاريخيّة الهزيلة جدًا؛ فإننا نقول إنّ اللغة الكنسيّة كانت السريانيّة. **لم تظهر الحاجة إلى ترجمات للأسفار المقدّسة بالعربية العاميّة إلاّ بعد نجاح القرآن في تحويل العربيّة إلى لغة أدبيّة**، وتحويل غزوات الإسلام أجزاءَ كبيرة من سوريا ومصر المسيحيتين إلى مقاطعات متحدّثة باللغة العربيّة.»[١٩٠]

وقد كشفت آخر الأبحاث الخاصة بالأناجيل العربيّة أنّها تعود في الحقيقة إلى سلسلة من الترجمات ومراجعاتها من اللغات اليونانيّة والسريانيّة (البشيطا) والقبطيّة البحيريّة واللاتينية[١٩١]؛

---

[١٨٩] Ernst Würthwein, *The Text Of The Old Testament*, p. ١٠٤

[١٩٠] F. C. Burkitt, '*Arabic Versions*,' in James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, New York: C. Scribner's sons, ١٩١١, ١/١٣٦

[١٩١] انظر: D. C. Parker, *An Introduction to the New Testament Manuscripts and their Texts*, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٨, p.١٢٤

ممّا يظهر بجلاء أنّه ليس لهذه الترجمات سند وسلف من ترجمة أو ترجمات عربيّة قديمة (تناسلت) منها الترجمات التاليّة ..

وقد بيّن «سدني جريف» —بعد أبحاث طويلة–عدم وجود إنجيل عربي زمن البعثة النبويّة؛ فقال: «إنّ أقدم نسخ مؤرخة معروفة للمخطوطات التي تحتوي ترجمات عربيّة للعهد الجديد؛ هي مجموعة دير القديسة كاترين في جبل سيناء . مخطوطة سيناء العربيّة رقم ١٥١ تحتوي على نص ترجمة لرسائل بولس وأعمال الرسل والرسائل الكاثوليكيّة. إنّها أقدم مخطوطات مؤرخة للعهد الجديد. البيانات في نهاية هذه المخطوطة تخبرنا أنّ بِسر بن السري قام بالتعريب من اللغة السريانيّة في دمشق في شهر رمضان للعام الهجري ٢٥٣هـ أي ٨٦٧م.»[١٩٢]

وكان «إبرهارد نستل» «Eberhard Nestle» قد قال: «أقدم مخطوطة معروفة هي ربّما مخطوطة في سيناء، كتبت في القرن التاسع، نقّحت منها السيدة جيبسن نصّ الرسالة إلى روما، والرسالة الأولى والثانية إلى كورنثوس، والرسالة إلى غلاطية، والرسالة إلى أفسس ١/١–٢/٩.»[١٩٣]

وقال قبله «ف. س. بوركت» إنّ مخطوطة «*Vat. Ar.* ١٣» — وهي تضمّ أجزاء من الأناجيل الثلاثة الأولى ورسائل «بولس»– هي الأقدم[١٩٤]، ورغم أنّه قد نسبها إلى القرن الثامن ميلاديًّا، إلاّ أنّه يبدو أنّ هذا التأريخ غير دقيق[١٩٥] فالعلامات المستدلّ بها لردّ هذه المخطوطة إلى القرن الثامن ضعيفة جدًا؛ فنحن نجد الميم ذات الذيل القصير المائل المشابه للراء، والنون في نهاية الكلمة دون نهاية إلى الأعلى، والباء والتاء المنتهيتين بخط أفقي لا عمودي... كلّها لها حضور

---

١٩٢ Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, ١٩٨٥ Volume ٦٩, p. ١٣١–١٣٢

١٩٣ Eberhard Nestle, *Introduction to the Textual Criticism of the Greek New Testament*, New York, Williams and Norgate, ١٩٠١, p.١٤٣

١٩٤ انظر؛ F. C. Burkitt, '*Arabic versions*,' in James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, ١/١٣٦

١٩٥ أشار «بوركت» إلى أنّ هذه المخطوطة لم توصف بدقة إلا من طرف «Guidi»!! (المصدر السابق)

في مخطوطات القرن التاسع والعاشر أيضًا؛ ولذلك لا يعرف لقول «بوركت» ذيوع بين النقاد بعده؛ وقد ردّ هذه المخطوطة إلى القرن التاسع كلّ من «جراف» «Graf»[196] و«فووبوس» «Vööbus»[197] و«ميشال فون إزبروك» «Michel van Esbroeck»[198] وغيرهم.[199]

ورغم حماسة القس «حكمت قشوع» لرد المخطوطات العربيّة إلى أبكر زمن ممكن[200] إلاّ أنّه قد رد أقدم مخطوطة –حسب اجتهاده-: (Sin. Ar. N. F. Parch ٨،٢٨)[201] إلى القرن الثامن أو التاسع ميلاديًا.[202]

أما أقدم مخطوطة مؤرّخة[203] متاحة للأناجيل الأربعة؛ فالمشهور أنها مخطوطة سيناء العربية ٧٢[204] وقد جاء في بيانات المخطوطة أنّها من إعداد «اسطافنا الرملي» سنة ٢٨٣هـ الموافق

---

[196] انظر؛ Bruce Metzger, *The Early Versions of the New Testament: their origin, transmission, and limitations*, Oxford: Oxford University Press, ١٩٧٧, p.٢٦١

[197] انظر؛ Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,* p.٢٨٨

[198] ميشال فون إزبروك: أستاذ فيلولوجيا الشرق النصراني في جامعة لودفيج بألمانيا.

[199] انظر؛ Michel van Esbroeck, '*Les Versions Orientales de la Bible: Une Orienatation Bibliographique*,' in Jože Krašovec, ed. *Interpretation der Bible*, England : Sheffield Academic Press, ١٩٩٨, p.٤٠٣

[200] سيأتي بيان هذا الأمر لاحقًا.

[201] تمّ تقسيم هذه المخطوطة عند اكتشافها في دير سانت كاترين سنة ١٩٧٥م إلى مخطوطتين اثنتين متمايزتين خطأً: (Sin. Ar. N. F. Parch ٨) و(Sin. Ar. N. F. Parch ٢٨).

[202] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/٨٩

[203] أي عليها تاريخ نسخها.

لسنة ٨٩٧هـ.[٢٠٥] غير أنّه قد اكتشفت في دير سانت كاترين بسيناء سنة ١٩٧٥م مجموعة من المخطوطات؛ جاء في نص إحداها– وهي المعروفة باسم (Arabic N. F. Parch ١٦)– أنّها قد نسخت سنة ٨٥٩م[٢٠٦] [٢٠٧].

---

[٢٠٤] "Sinai Arabic MS ٧٢"

وقد جاء في الموقع الالكتروني لوكالة الأنباء "رويترز" ٢٠٠٧\٩\٢٥ : ((القاهرة – يرجح يوسف زيدان مدير مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الاسكندرية أن تكون النسخة "شبه المجهولة" في دير سانت كاترين بسيناء المصرية "أقدم مخطوطة عربية للاناجيل الاربعة المعتمدة" وهي متى ومرقس ولوقا ويوحنا وتعود المخطوطة لعام ٢٨٤ هجرية.

وقال زيدان لرويترز في مقابلة إنّ المخطوطة تحمل تاريخ النسخ واسم الناسخ على النحو التالي ((وكتب الخاطئ المسكين الضعيف الاثيم اصطافنا يعرف بالرملي.. وكتب المسكين في أشهر العجم في أول شهر اذار ويكون من حساب سني العالم على ما تحسبه كنيسة بيت المقدس (القيامة المجيدة) من سنة ست الاف وثلثمائة وتسعة وثمانين سنة ومن سني العرب في شهر المحرم من سنة أربع وثمانية ومائتين.))

وأضاف أن المخطوطة مدونة على الرق (الجلد) بخط كوفي وعدد رقوقها ١١٩ رقا وهي موضوعة في غلاف خشبي منقوش مكسو بغطاء جلدي مزين برسوم دقيقة وعلى الرق الاخير وقف نصه ((بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد يكون هذا الانجيل المقدس للدير المبارك عمره الله لا يباع ولا يشترى. وكتب بخطه الحقير ميخائيل المذنب غفر الله خطاياه وخطايا من قرأ وقال.. آمين"

الرابط الالكتروني:

http://ara.today.reuters.com/News/newsArticle.aspx?type=internetNews&storyID=-٢٠٠٧ ٢٥-٠٩T٠٧٢٠١٣Z_٠١_OLR٥٢٥٤٦٤_RTRIDST_٠_OEGIN-EG-MANUSCRIPTS-MA٤.XML

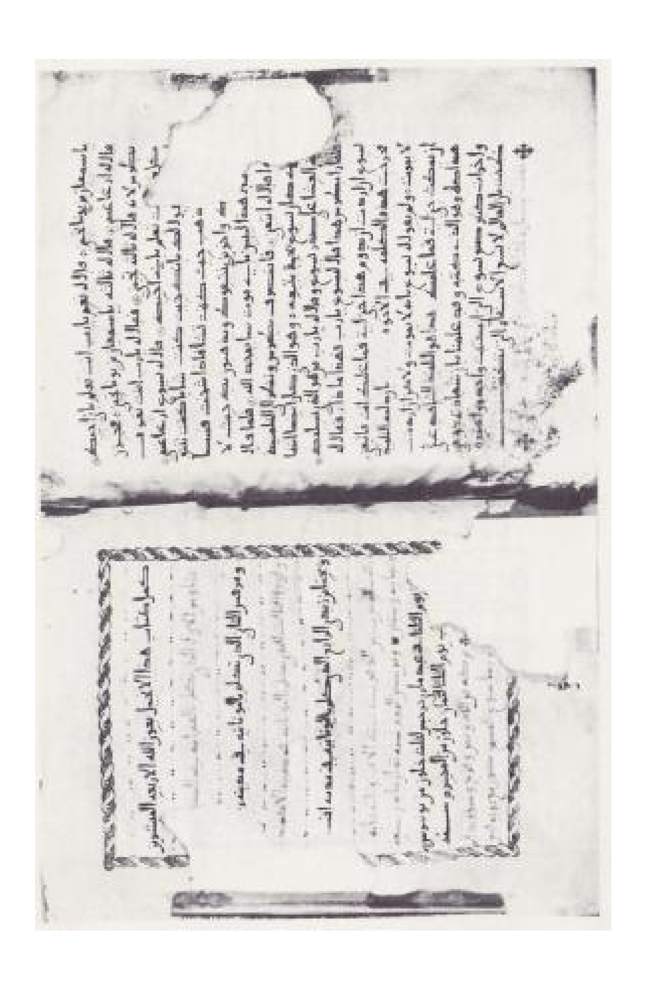
[٢٠٥] Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, ١٩٨٥ Volume ٦٩, p.١٣٢

[٢٠٦] انظر؛ يني ميماريس، كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء، أثينا: الهيئة القومية اليونانية للبحوث، ١٩٨٥م، ص٢٤-٢٥

[٢٠٧] لا تضم المخطوطة (Arabic N. F. Parch ١٦) غير نص يوحنا ١٦/٢٠– ٢٥/٢١. وقد زعم القس ((حكمت قشوع)) مؤخرًا أنّ المخطوطة (Arabic N. F. Parch ١٦) التي تعود إلى سنة ٨٥٩م مكمّلة للمخطوطة (Arabic N. F. Parch ١٤) التي لا تحمل تاريخ نسخها والتي تضم أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا (انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The*

صورة عن مخطوطة

وفيها تاريخ النسخ (Arabic N. F. Parch ١٦)



(*Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/٧٥). ويبقى أمر صحّة الجمع بين المخطوطتين محتاجًا إلى دراسة علميّة مقرونة بأدلتها؛ خاصة أنّ «يني ميماريس» —الذي يعتبر أوّل من عرّف بالمخطوطات المكتشفة سنة ١٩٧٥م– قد قال عن المخطوطة (Arabic N. F. Parch ١٦): «من واقع الزخرفة يمكن القول بأنّ تاريخ المخطوط يرجع إلى القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر.» (يني ميماريس، مصدر سابق، ص٢٤)

صورة عن مخطوطة

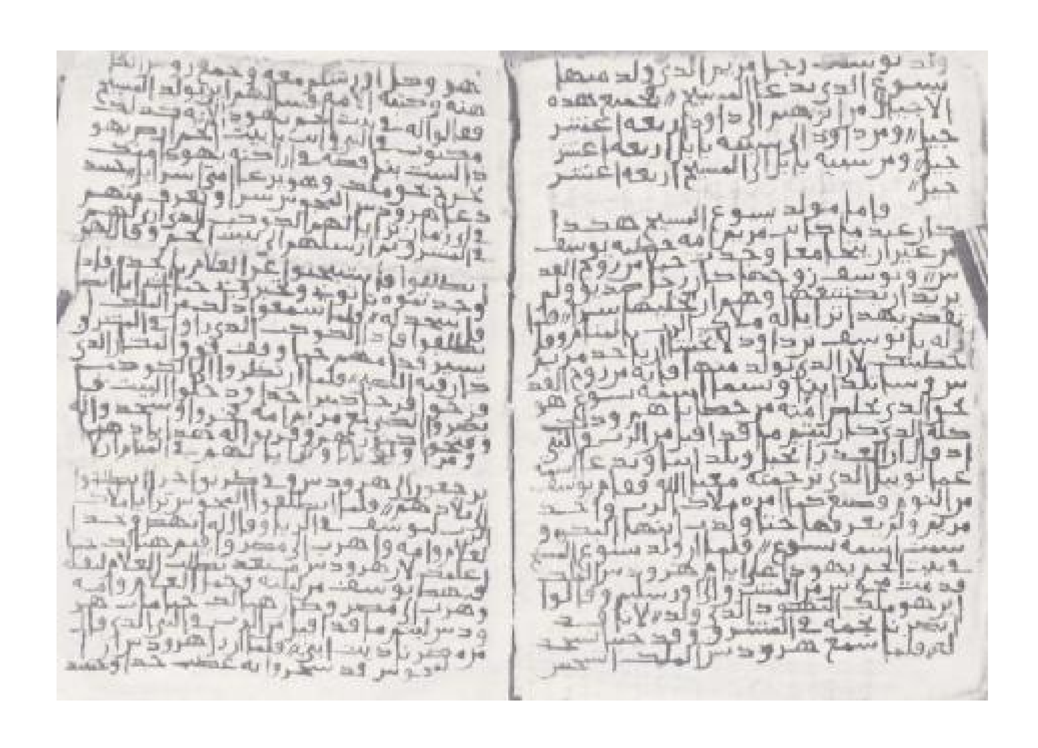
(Arabic N. F. Parch ١٤)



صورة عن مخطوطة سيناء العربية ٧٢

صورة عن مخطوطة

Sin. Ar. N. F. Parch ٨



صورة من مخطوطة سيناء التي نشرتها الناقدة «جيبسن»



صورة من مخطوطة Vat. Ar. ١٣

- (مرقس ١٥/٦ ٢٤)

لاحظ مشابهة هذه المخطوطة – من حيث رسم الميم، والنون والباء والتاء في نهاية الكلمة

– للمخطوطة التالية التي نُسخت سنة ٢٨٩هـ، ٩٠١م

المخطوطة المنسوخة سنة ٢٨٩هـ، ٩٠١م، كما هو منصوص عليه من ناسخها (ميخايل الشماس)[٢٠٨]

[٢٠٨] اكتشفت هذه المخطوطة حديثًا –سنة ١٩٧٥م– في دير سيناء، وقد نقلت هذه الصورة وبياناتها في كتاب: يني ميماريس، كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء، ص ١٤٥

وخلص «جريف» إلى أنّ : «كلّ ما يمكن أن يقوله الواحد عن إمكانية وجود ترجمة عربية للإنجيل قبل ظهور الإسلام؛ هو أنّه **لم تظهر علامة يقينيّة على هذا الأمر.**»[٢٠٩] ، وقد نقل «ويليام هنري بنّوك» «William Henry Pinnock» أنّ القول إنّ ترجمة العهد الجديد العربيّة لم تظهر إلاّ بعد ظهور الإسلام، هو قول عامة النقاد في منتصف القرن التاسع عشر[٢١٠] ، ورغم أنّه قد عدّ «آدم كلارك» استثناءً رافضًا لهذا القول، إلاّ أنّ النظر في حجّة «آدم كلارك» من كتبه تظهر أنّ هذا اللاهوتي النصراني قد اعترف صراحة أنّه لا حجة ماديّة لقوله، **وليس دليل مذهبه إلاّ أمرًا واحدًا، وهو عجزه عن تفسير علم الرسول ﷺ بما جاء من تفاصيل في العهد الجديد إلاّ أن يكون قد اطّلع على ترجمة عربيّة متاحة بين يديه**[٢١١] ، وهو كما يظهر دليل (ذوقي) جعل من محلّ النزاع، حجّة!

ولازالت الدراسات النقديّة الأكاديميّة لعلماء (النقد النصّي) (*Textual Criticism*) في الغرب في منأى عن التقاطع مع دعاوى المنصّرين حول وجود ترجمة عربيّة سابقة لبعثة الرسولﷺ.

وقد قدّم «جرهارد بورنغ» «*Gerhard Bowering*»[٢١٢] خلاصة آخر الأبحاث الاستشراقيّة الحديثة في المصادر الكتابيّة للقرآن، بقوله: «لا يوجد دليل على أنّ (محمّدًا) قد اعتمد على مواد أجنبيّة **مكتوبة** لصياغة القرآن. وحتّى ظهور حجّة على عكس ذلك؛ فعلينا أن نؤيّد القول إنّ المعلومات الشفهيّة كانت هي المرجع المباشر للقرآن.»[٢١٣] ، وهو عيّن ما قرّرته

---

[٢٠٩] المصدر السابق, ص١٦٦

[٢١٠] ‘The Arabic Version is thought by most critics to have been made subsequent to the time of Mohammed’ (William Henry Pinnock, *An Analysis of New Testament History*, Cambridge: J. Hall & Son, ١٨٥٤, ٤th edition, p.١٩)

[٢١١] انظر؛ Adam Clark, *The New Testament of our Lord and Saviour*, Philadelphia: Thomas, Cowperthwait, ١٨٤٤, p.٨

[٢١٢] جرهارد بورنغ: أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة (يال) بأمريكا.

[٢١٣] Gerhard Bowering, ‘*Recent Research on the Construction of the Qur’an*,’ in Gabriel Said Reynolds, ed., *The Qur’an in its Historical Context*, New York,Routledge, ٢٠٠٧, p. ٨٣

«موسوعة الإسلام» «*Encyclopaedia of Islam*» الاستشراقيّة الشهيرة –في طبعتها الثانية– في ختام حديثها عن الترجمات العربية للأناجيل بقولها: «بإمكاننا أيضًا أن نستنتج مع «جراف» (*Geschichte, i,* ٤١) أنّه ليس بالإمكان–في مرحلتنا المعرفيّة اليوم– القول إنّ محمدًا وأتباعه الأوائل كان بوسعهم أن يحصّلوا معرفة مباشرة بالأناجيل باللغة العربيّة.»[٢١٤]، في متابعة للمستشرق الألماني «جورج جراف» «*Georg Graf*» في نتيجة بحثه في أضخم عمل علمي في القرن العشرين حول المخطوطات العربيّة للأناجيل ضمن كتابه «تاريخ الأدب العربي المسيحي» «*Geschichte der Christlichen Arabishen Literatur*».

الخلاصة

بعد سبرنا لموضوع احتمال وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدس زمن البعثة النبويّة أو قبلها؛ نخلص إلى:

- ✓ غياب أيّ دليل مادي مباشر على وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس زمن البعثة النبويّة؛ وهو ما يشكّل حجّة ملموسة لا يمكن نقضها إلاّ بدليل يوازيها أو يفوقها!
- ✓ غياب أي أثر لترجمة عربيّة في الموروث الديني والأدبي الجاهلي.
- ✓ اعتماد أقدم الترجمات العربيّة لأسفار الكتاب المقدّس على أصول يونانية وسريانيّة وقبطيّة، يؤكّد غياب ترجمة عربيّة أقدم يستنتسخ منها.

---

٢١٤ B. Carra de Vaux, '*Indjil*,' in *Encyclopaedia of Islam*, ٢nd edition, Brill Online

وقفات مع أحدث الدعاوى

نُوقِشَت في جامعة برمنغهام –بريطانيا– سنة ٢٠٠٨م أطروحة دكتوراه تحت إشراف الناقد «دافيد س. باركر»[٢١٥] لقسيس لبناني اسمه «حكمت قشوع»[٢١٦]، ونشرتها دار «De Gruyter» آخر سنة ٢٠١٠م، تحت عنوان «الترجمات العربية للأناجيل؛ المخطوطات وعائلاتها» «*The Arabic Versions of the Gospels; The Manuscripts and Families*»، في أكثر من ألف صفحة.[٢١٧]

تتبّع القس «قشوع» الدراسات العلميّة التي بحثت تأريخ مخطوطات الترجمات العربية للعهد الجديد ونتائج الدراسات التي تمّت حولها، وسافر إلى عدد من الدول للاطلاع عليها[٢١٨]، وقام بجمع ٢١٠ مخطوطة عربية، إلاّ أنّه **لم يجد مخطوطة واحدة تعود إلى ما قبل البعثة النبويّة أو حتى موازية لها زمنًا** .. غير أنّه ادعى مع ذلك أنّ نصًا واحدًا من نصوص الأناجيل التي جمعها يعود إلى القرن السادس أو بداية القرن السابع؛ فهو إما سابق للبعثة النبويّة أو معاصر لها، وهو نص مخطوطة (Vat. Ar. ١٣) التي **اعترف هذا الباحث نفسه أنّها تعود إلى القرن التاسع**[٢١٩] ! فهو إذن يزعم أنّ هذه المخطوطة قد نُسخت في القرن التاسع لكنّ نصها

---

[٢١٥] هو من أهم المتخصصين في النقد النصي لكنه لايُعرف بالتخصص في اللغة العربية ولا في التاريخ الإسلامي ولا في تاريخ النصارى العرب!! وسيستبين للقارئ–بإذن الله– أنّ هذا القصور من المشرف كان من عوامل السقوط العلمي لهذه الأطروحة.

[٢١٦] اسمه بالحرف اللاتيني في كتاباته باللغة الإنجليزية: «Hikmat Kachouh»

[٢١٧] نُصّب هذا القسيس مباشرة بعد مناقشته هذه الأطروحة عميدًا لكليّة اللاهوت المعمدانيّة العربيّة في لبنان!

[٢١٨] جمع مخطوطاته من تسع دول.

[٢١٩] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٣٨

كان قد نقل إلى العربيّة في القرن السادس أو بداية القرن السابع؛ وهو لذلك يعتبرها تمثّل أقدم وثيقة نصرانيّة عربيّة على الإطلاق![٢٢٠]

السؤال هو: ما هي القيمة العلميّة لهذه الدعوى؟ وكيف استطاع القس «قشوع» (القفز) إلى الخلف مسافة زمنية قد تمتد إلى ثلاثة قرون؟! وهل أثبتت هذه الدراسة أنّ زمن الرسول ﷺ قد عرف ترجمة عربيّة للأناجيل؟[٢٢١]

نظرات عامة:

- **المدى الزمني للبحث**: اعترف القس «قشوع» أنّه أعدّ أطروحة الدكتوراه التي قدّمها، في ثلاث سنوات، رغم أنّه قد كتب في موضوع كبير جدًا لا شك أنّه يستوعب–عند الباحثين الجادين– كامل سنوات العمر، بل إنّ هذا الباحث قد أمضى فترات هامة من هذا البحث في السفر إلى عدد كبير من الدول لجمع المخطوطات .. فمتى جمع، ونظر، وحلّل، واستنبط، وكتب، وبيّض، وقبل ذلك رسخت قدمه في أصول علم النقد النصي..؟! ولا بد أن ينتبه القارئ إلى أنّ موضوع الأطروحة هو من المواضيع المعقدة و(الميتة) التي يحذر الكثير من النقاد الخوض فيها لأنها تحتاج نقشًا على الصخر الخام. فكيف إذا أضفنا إلى ما سبق الاجتهادات الجديدة (الثورية)

---

[٢٢٠] انظر المصدر السابق، ١/١٣٥

[٢٢١] ليعذرني القارئ إن رأى في الحديث الآتي إسهابًا في الرد على الشبهة الناتجة عن بحث هذا القسيس؛ وليعلم أنّي فعلت ذلك لسببين رئيسيين:

السبب الأول: أحدثت هذه الأطروحة صدى في الساحة العلميّة في الغرب عند المتخصصين في النقد النصي؛ بسبب أنها صادرة في قالب أكاديمي (أطروحة أشرف عليها ناقد علَم)، ولحجمها الكبير، ولندرة الكتب المتخصصة في هذا الموضوع؛ إذ جل ما صدر في الفترة الأخيرة كان على شكل مقالات أو فصول غير مستوعبة للموضوع ضمن كتب متنوعة الأغراض؛ ولذلك فأنا أتوقع أن تروج دعوى هذا الباحث في المكتبة الغربيّة وأن تجد لها مكانًا في مؤلفات المستشرقين إن لم ننقضها بالدليل القاطع والأدلة المتنوعة.

السبب الثاني: نقضنا لدعوى هذا القسيس مؤكد للفكرة التي نسعى لإثباها؛ وهي غياب ترجمة عربيّة للأناجيل قبل الإسلام.

الكثيرة لهذا الباحث.. لا شك أنّ ذلك يدفع القارئ إلى مزيد الريبة في القيمة العلميّة لهذه الأطروحة!

- **أهلية الباحث**: لم يظهر هذا الباحث -الذي يكتب في الأناجيل العربيّة التي نبتت في بيئة عربية إسلاميّة- معرفة بتاريخ النصارى العرب، بل ويبدو من بيانات بحثه ومن مراجعه أنّه لا يحمل القدر الأدنى من المعرفة بالدراسات العلميّة عن النصارى السريان[٢٢٢]؛ خاصة الدفاعيين الأوائل منهم، فلم نر أثرًا لدراسات «سيبستيان بروك» و«سدني جرافث» وغيرهما في هذا الموضوع، رغم أنّ أهم المخطوطات التي درسها تعود أصولها الأولى إلى النصارى السريان!

بل أزيد وأقول إنّ هذا الباحث الذي يدرس المخطوطات العربيّة للأناجيل، ضعيف المعرفة باللغة العربيّة نفسها؛ ويكفي أن أقدّم لذلك مثالين اثنين:

المثال الأول: كتب ناسخ المخطوطة —التي نسب القس «قشوع» أصلها إلى ما قبل الإسلام- نص متى ١٤/٢٣ هكذا: «بيوت الأتامى». وقد ظن هذا القس أنّ «الأتامى» تصحيف لـ«الأيتامى» أو «الأرامل»!! رغم أنه من الجلي أنها تصحيف لكلمة «الأيامي» فهي تقابل الأصل اليوناني «χηρων» ولا تحتاج إلى تغيير هيكل الحروف لتدارك خطأ الناسخ؛ لكن لأنّ هذا الباحث يجهل هذه الكلمة-كما يبدو!؛ فقد انتقل إلى غيرها دون مبرر؛ حتى إنه قدّم اختيارين ولم يجعل «الأيامى» ثالثهما، رغم أنها البديل الواضح، بالإضافة إلى أنّ الصواب هو: «الأيتام» لا «الأيتامى»!

المثال الثاني: زعم هذا الباحث أن ناسخ ذات المخطوطة قد أخطأ في نسخه نص متى ٢٨/١١؛ إذ كتب كلمة «الأعدال» في حين أنّه يقصد «الأعتال»؛ لأنّ الكلمة الأصل غير مُعجمة.. والصحيح أنّ من معاني كلمة «الأعدال»: «الأثقال التي تُحمل» كما هو مبثوث في معاجم اللغة!

أمّا معرفة هذا الباحث بالبيئة الإسلاميّة وبالثقافة الإسلامية ... فالخطب فيها أجل!

---

[٢٢٢] هم أهم من حافظ على التراث النصراني الديني والعلمي في البيئة الإسلاميّة الحادثة.

ومن المنكرات الأخرى إدلاؤه بدلوه في قضايا الخطاطة (paleography) ودقائق الأحكام المتعلقة بها دون أن يراجع أهل التخصص في ذلك؛ فقد كان قصارى ما فعله هو ربط ما قرأه في كتاب واحد أو اثنين بشكل الكتابة في المخطوطة؛ ليطلق بعد ذلك اجتهاداته العريضة!

نظرات تفصيلية:

لا يملك القس «قشوع» دليلاً ماديًا على دعواه أنّ نص المخطوطة (Vat. Ar. ١٣) يعود إلى القرن السادس أو بداية السابع، وإنّما انطلق من أنّ:

(١) هذه النسخة ليست هي الأصل المعرّب وإنما هي نسخة عن الأصل. وهذا أمر لا ننازعه فيه بدليل أخطاء النسخ التي لا يمكن أن تعزى إلى المعرّب، لكنّ ذلك في ذاته ليس حجّة للقفز قرابة ثلاثة قرون للخلف!

(٢) ادّعى هذا الباحث أنّ المخطوطة الأصل التي انتُسخت منها هذه المخطوطة لم تكن معجمة (diacritical marks)[٢٢٣] إلاّ قليلاً.

(٣) ادّعى أنّها كُتبت بلغة غير متأثّرة بالقرآن الكريم ودالة على بيئة سابقة للإسلام—وهذا هو جوهر الاستدلال-!

لا تضم هذه المخطوطة من الأناجيل غير:

إنجيل متى: لا تنقصه إلا أعداد قليلة.

إنجيل مرقس: يبدأ من ٥/١٩.

إنجيل لوقا: الفصول ٤ و٥ و٦ وأعداد من الفصلين ٣ و٧.

أي أننا نفقد تقريبًا نصف فصول الأناجيل الأربعة .. وبما أنّ القس «قشوع» قد قال إنّ معرّب هذه المخطوطة قد اعتمد على ترجمة البشيطا السريانيّة كما استفاد من الترجمات السريانية

---

[٢٢٣] النقط التي تميّز الحروف عن بعضها (الباء عن التاء عن الثاء ...)

القديمة؛ فسنقارن نص المخطوطة -أثناء عرضنا أدلتنا- بترجمة البشيطا[٢٢٤] وبالمخطوطتين الوحيدتين للسريانية القديمة[٢٢٥]: المخطوطة الكورتونية[٢٢٦] والمخطوطة السينائية السريانية[٢٢٧] السريانية[٢٢٧][٢٢٨]. كما سنقارن نص هذه المخطوطة التي نسخت في القرن التاسع ميلاديًا بمخطوطة سيناء العربيّة ٧٢ التي نسخت في نفس القرن.

وردّنا على دعوى القس «قشوع» هو:

أ-الإعجام:

أخطاء إعجام الحروف في هذه المخطوطة لا تثبت أنّ الأصل قد كتب قبل ظهور الإسلام أو أثناء البعثة النبويّة؛ وأدلّة ذلك:

---

[٢٢٤] ترجمة البشيطا: الترجمة الأشهر والأكثر رواجًا للكتاب المقدس السرياني في الكنائس السريانية منذ القرن الخامس.

[٢٢٥] أقرّ البحاثة «سيبستيان بروك» أننا لا نملك غيرهما كشواهد للترجمات السريانية القديمة للعهد الجديد (انظر؛ Sebastian Brock, *The Bible in the Syriac Tradition*, New Jersey: Gorgias Press LLC, ٢٠٠٦, p.٣٣)

[٢٢٦] تعود هذه المخطوطة إلى القرن الخامس ميلاديًا، ولم يكتشف منها غير: متى ١/١-٨/٢٢؛ ١٠/٣٢-٢٣/٢٥؛ مرقس ١٦/١٧-١٦/٢٠؛ لوقا ٢/٤٨-٣/١٦؛ ٧/٣٣-٢٤/٤٤؛ يوحنا ١/١-١/٤٢؛ ٣/٥-٨/١٩؛ ١٤/١٠-١٤/١٢؛ ١٤/١٥-١٤/١٩؛ ١٤/٢١-١٤/٢٤؛ ١٤/٢٦-١٤/٢٩.

[٢٢٧] تعود هذه المخطوطة إلى القرن الرابع أو الخامس ميلاديًا، وقد اكتشفت في دير سانت كاترين بسيناء، وهي غير المخطوطة السينائية اليونانيّة المشهورة.

[٢٢٨] النص الذي سنعتمده للبشيطا والمخطوطة الكورتونية والمخطوطة السينائية (والترجمة الهرقلية التي سنحتاجها أحيانًا)؛ هو الوارد في أهم توثيق أكاديمي اليوم، والذي قام به «جورج كيراز» ضمن السلسلة العلمية المشهورة «*New Testament Tools and Studies*»، تحت عنوان: «*Comparative Edition of the Syriac Gospels*» (١٩٩٦م)

أولا: أخطاء الإعجام موجودة أيضًا في مخطوطة ٧٢ التي تعود إلى القرن التاسع، وهي وإن كانت أكثر في المخطوطة (Vat. Ar. ١٣)؛ فلا شك أن سبب ذلك يعود إلى أسباب؛ أهمّها:

- قلّة حرص الناسخ؛ ودليل ذلك أنّه قد يخطئ في إعجام كلمة في موضع ما من المخطوطة ثم هو يرسمها بصورة صحيحة في السطر التالي أو بعد أسطر قليلة...
- جلّ أخطاء النسخ التي مثّل بها القس «قشوع» على هذا الأمر لا تدلّ على خطأ في معرفة موضع النقاط وإنما هي مرتبطة بالضعف البين للناسخ في اللغة العربية؛ بدلالة أن شكل الكلمة الجديد الذي يحدثه الناسخ، لا معنى له في سياق الجملة؛ ومن أمثلة ذلك:

✓ متى ٨/٣: «اجعلوا الآن الاثمار التي تواقف (؟توافق) التوبة».

✓ متى ١٢/١٥: «لما سمعوا هذه المقالة غضبوا وأفموا (؟أفحموا)».

✓ متى ٢٤/١٦: «من أراد أن يتبعني فليفكر (؟فليكفر) بنفسه».[٢٢٩]

✓ مرقس ٩/٦: «لكن ليتيلغوا (؟لاحظ أنّ هذه الكلمة لا معنى لها، كما أنّ اللام سابقة للعين/الغين!) بالنعلين».

وقد فسَّر القس «قشوع» سبب اختلاف الرسم أحيانًا بأمور بعيدة لا تستقيم؛ إذ قد علّق على نص متى ٢٩/٧: «لأنه كان يعلّمهم كالمسلط وليس مثل الكهنة والأحبار» بقوله إنّ كلمة «الكهنة» تعتبر قراءة خاطئة من الناسخ لكلمة «كتبة» بزعم التشابه بين (التاء والباء) من جهة و(الهاء) في الجهة المقابلة، وهذا بعيد جدًا!!

---

[٢٢٩] الأصل السرياني (ترجمة البشيطا والمخطوطة الكورتونية- نص المخطوطة السينائية مفقود-) يقرأ: «ܢܟܦܘܪ ܒܢܦܫܗ» (نِكفور بنفشِه) بنفس المعنى العربي المصحّح في المتن.

ثانيا: تفسير أخطاء الإعجام بالقول إنّ الأصل لم يكن معجمًا إلاّ قليلاً، لا يستقيم مع إصابة الناسخ في إعجام جل الكلمات.

ثالثا: وجود مخطوطات لا إعجام فيها إلاّ قليلاً ثابت في مخطوطات ذات أهميّة دينيّة قصوى عند المسلمين كمخطوطات للقرآن الكريم تعود إلى قرابة قرن بعد البعثة النبويّة، بل إنّ الإعجام لم يستقر نظامه إلاّ في النصف الأول من القرن الهجري الأول، وبقي مع ذلك –كما يقول– «جوندلر» «Gruendler» المتخصص في الخط العربي– «انتقائيًا» في القرن الأول هجريًا[٢٣٠]، ونحن نملك اليوم مخطوطات للقرآن الكريم تعود إلى القرنين الثاني والثالث هجريًا ليس فيها من الإعجام إلّا القليل؛ فليس في دعوى أنّ أصل المخطوطة (Vat. Ar. ١٣) يغلب عليه ترك الإعجام، حجة لرده إلى زمن البعثة النبويّة أو ما قبلها.

رابعا: من (عجائب) هذا الباحث أنّه أثناء عرضه نتائج بحثه حول هذه المخطوطة، وعند ذكره لدلالة كون النص الأصلي لها كان غير معجم في أغلبه؛ ادعى أنّه من الممكن الاستنباط من ذلك أنّ الأصل قد كتب في فترة تمتد من **النصف الثاني من القرن السادس** إلى **النصف الثاني من القرن السابع**، وأضاف بين قوسين « may be even early eighth century» «ربما حتى **بداية القرن الثامن**»[٢٣١].. قلت: فإذا كان ذلك كذلك؛ فليس في مسألة الإعجام حجّة لردّ أصل نص المخطوطة إلى زمن البعثة النبويّة أو ما قبله!

---

[٢٣٠] انظر؛ Beatrice Gruendler, '*Arabic Script*,' in Jane Dammen McAuliffe, eds. *Encyclopaedia of the Qur'an*, Leiden: Brill, ٢٠٠١, ١/١٣٩

[٢٣١] Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٦٣

إحدى مخطوطات القرآن الكريم

-صنعاء (القرن الثاني)-



ب-المعجم اللغوي لنص المخطوطة:

عمدة ما احتج به القس «قشوع» للتأريخ المبكّر المدعى لنص المخطوطة يكمن في معجمه اللغوي الذي استنبط منه هذا الباحث أنّه يعود إلى القرن السادس أو بداية القرن السابع، وأنّه قد كتب في منطقة الحيرة في العراق.

ونحن وإن كنّا نعتقد أنّ نسبة نص المخطوطة إلى منطقة الحيرة في العراق يحمل شيئًا من الوجاهة لأنّ الرصيد المعجمي لهذا النص يخالف بصورة ملاحظة نصوص مخطوطات الأناجيل التي

عُرِّبت في فلسطين، إلا أنّنا نردّ مع ذلك التأريخ المبكّر لنص المخطوطة.. ولنا في هذا السياق وقفات:

وقفة أولى: من الممكن تفسير الاختلاف المعجمي بين هذه المخطوطة وعامة المخطوطات الأخرى بأمرين: اختلاف مكان التعريب (الشام/مصر/العراق)، واختلاف الأصل المترجم عنه؛ فمخطوطتنا معرّبة عن السريانية أمّا المخطوطة ٧٢ –مثلاً– فهي معرّبة عن اليونانية كما هو ظاهر ومعترف به من القس «قشوع». فلا داعي إذن للزعم بوجود فاصل زمني كبير بين أصل كل من الترجمتين القديمتين!

وقفة ثانية: الأثر إسلامي: هذه النقطة هي الأهم، وهي أوضح المسالك التي تثبت وجود أثر إسلامي على الترجمة بما يؤكد أنها قد حُررت بعد الإسلام أو تثبت غياب آثار هذا التأثير بما يخرج هذه الآلية من رد الترجمة إلى العصر الإسلامي.

من الملاحظ هنا أنّ القس «قشوع» قد انتبه إلى أصل هذه الآلية، فقد عقد مبحثًا بعنوان: « *Qur'anic Influence?* » «تأثير قرآني ؟» لغرض النظر في إمكانيّة أن يكون القرآن الكريم قد أثّر في المعجم اللغوي لنص المخطوطة، ولنا على منهج القس هنا ملاحظات:

الملاحظة الأولى: التأثير القرآني على الترجمات العربيّة الأولى التي صيغت في القرون الهجريّة الأولى ضعيف (عامة)؛ وبالتالي فليس بالإمكان بناء نتائج صلبة إذا كانت هذه الترجمة على المنهج العام بتنائيها عن لغة القرآن الكريم! وقد ذكر القس «قشوع» نفسه أنه يوافق من قال من الباحثين إنه لا يتصوّر الواحد أن يجد في نصوص الأناجيل «لغة عربيّة خاصة بالمسيحيين»![٢٣٢]

الملاحظة الثانية: ضيّق القس «قشوع» واسعًا عندما تحدّث عن (التأثير القرآني)؛ إذ الأولى أن يتحدّث عن التأثير الإسلامي عامة، والتأثير العربي الإسلامي خاصة على لغة هذا الإنجيل؛ إذ إنّ الغرض الأساسي من هذا المسلك هو البحث من خلال الألفاظ وخلفياتها عن زمن الصياغة؛ وبالتالي فالأصل أن تُوَسّع دائرة النظر لتشمل كامل العناصر المميّزة للبيئة

---

[٢٣٢] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٦

الإسلاميّة؛ وهي أساسًا: القرآن الكريم، والسنة النبويّة، والعقيدة الإسلاميّة، والفقه الإسلامي، والأدب العربي بعد الإسلام، والبيئة السياسية والاقتصادية ... وسننحو نحن هذا المسلك في النظر لعلّنا نكتشف من ألفاظ هذه الترجمة وتراكيبها اللغويّة انعكاسًا للبيئة الإسلاميّة.

الملاحظة الثالثة: درس القس «قشوع» في هذا المبحث سبعة ألفاظ فقط:

(١) «ܝܫܘܥ» (يشوع) بمعنى «يسوع»- (٢) «ܬܠܡܝܕܐ» (تلميدا) بمعنى «تلاميذ»- (٣) «ܝܘܚܢܢ» (يوحَنان) بمعنى «يوحنا (المعمدان) »- (٤) «ܐܠܝܐ» (إلِيا) أي النبي «إلياس» عليه السلام- (٥) «ܝܘܢܢ» (يَونان) بمعنى النبي «يونس» عليه السلام -(٦) «ܦܪܝܫܐ» (فرِيشا) أي «الفريسيون»- (٧) «ܢܡܘܣܐ» (ناموسا) أي «الناموس» التشريعي. وقد استنبط منها غير دلالاتها المنطقيّة كما سيأتي تفصيله لاحقًا.

الملاحظة الرابعة: خلص القس «قشوع» في آخر هذا المبحث إلى أنّ الجماعة التي عُرِّب لها نص هذه المخطوطة ما كانت قد ألِفت اللغة السريانيّة ولا اليونانيّة .. وهذا زعم عريض ومغال في نكارته؛ لأنّه:

أ - لم يَثبت بأي دليل مادي أنّ النصارى العرب كانوا مستقلين لغويًا في النواحي العباديّة عن اللغات الأعجميّة الأرسخ منها صلة بالأسفار المقدسة؛ كاليونانية، والسريانية، والقبطية، واللاتينية .. كما أنهم كانوا من الناحية السياسيّة أتباعًا لأصحاب هذه اللغات[٢٣٣]، علمًا أنّ لغة العهد الجديد يسيطر عليها (الاصطلاح الديني) بما يمنع من عزلها عن أصولها اليونانية أو ترجماتها العريقة.

ب - كان نصارى (الحيرة) الذين ينسب إليهم هذا الباحث هذه الترجمة العربيّة، وثيقي الصلة باللسان السرياني، وفكّ علاقتهم بهذه اللغة لا يقوم له دليل، كما أنّ (الحيرة) كانت مركز النصرانيّة في العراق منذ القرن الخامس، وكانت فيها النصرانيّة

---

[٢٣٣] انظر في الجرد الجغرافي-السياسي للنصارى العرب عند البعثة النبويّة وقبلها؛ سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها؛ من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م، ط٢، ص ١٥-١٠١، ١٢٧-١٤١ (على ما في الكتاب من ضعف في التحليل والنظر، وحتى الفهم!) -وهي أطروحة دكتوراه تحت إشراف «هشام جعيط»!-.

منظمة ومتعددة الألوان العقديّة، وقد كان العرب النصارى فيها من قبائل مختلفة وهو ما يحول دون اتفاقهم على الجهل بألفاظ استقرّت في الثقافة الدينية الشعبيّة على صورة مطّردة.[٢٣٤]

نظرًا لقصور منهج القس «قشوع» في استنطاق (لغة) هذاه الترجمة؛ فسنوسّع نحن دائرة النظر –على المنهج الذي سبق بيانه–[٢٣٥] .. وسيفاجأ القارئ –كما فوجئنا– بأنّ نص هذه المخطوطة مفصح بجلاء عن إسلاميّة عصره، وأستبعد أن تكون هناك مخطوطة عربية من العصور الإسلامية الأولى قد كتبت بهذه اللغة التي تعلن جهارًا عن بيئة إسلاميّة اللسان .. بل أقول إنه يبدو أن من عرّب هذا النص هو من **كبراء أهل الذمة العاملين عند الخلفاء والمختلطين بخاصة المسلمين من أهل العلم والسياسة** .. وهنا ننقل شواهد ذلك من خلال (كلمات) دالة على أنّ نص هذه المخطوطة قد كتب بعد نزول القرآن الكريم، معتمدين على شروط هي:

- ✓ أن تكون من الكلمات المتميّزة بانتمائها إلى المعجم الإسلامي الديني والسياسي...
- ✓ ألا يكون لها مبرر من الترجمات السريانية –وهي التي كتبت بلسان ساميّ يوافق في كثير من الأحيان اللسان العربي في هيكل الكلمات–؛ وذاك يظهر أساسًا في تبديل معاني الألفاظ بصورة لا يستسيغها الأصل المترجم منه، أو بزيادة مقحمة على النص.
- ✓ أن تكون هذه الكلمات مع ذلك غير موجودة أو غير شائعة في المخطوطات العربيّة الأخرى؛ بما يؤكد أنّ إقحامها ناتج عن سلطان البيئة الإسلامية. وهذا شرط التزمناه في كثير من النماذج الآتية وليس كلّها[٢٣٦]، ونحن ندلّل عليه بمقارنة نص هذه المخطوطة بنص واحدة من أقدم المخطوطات، وهي مخطوطة سيناء العربية ٧٢.

---

[٢٣٤] انظر المصدر السابق، ص٥٣-٥٩

[٢٣٥] سندرس الجزء الخاص بالأناجيل دون الرسائل؛ لسببين: أ- أن هذا الباحث لم ينقل لنا نص الرسائل. ب- زعمَ أن الرسائل قد عُرِّبت في القرن الثامن من طرف معرِّبين غير الذين عرَّبوا الأناجيل!

[٢٣٦] لأنّ الترجمات العربية الأخرى هي أيضًا قد أنجزت في بيئة إسلاميّة.

١-(الله) اسم الجلالة: استعمل معرّب هذا النص اسم الجلالة (الله) عند حديثه عن الربّ جل وعلا، ولئن كان قد شارك في ذلك جميع المخطوطات العربية المتاحة–بما فيها مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢– إلاّ أنّ ذلك في ذاته يرجّح كفة إسلاميّة بيئة هذا النص حيث يعتبر هذا اللفظ هو (الاسم العَلَم) للربّ جل وعلا، ومن المستبعد ألاّ نجد في أي مرّة في نصٍ كُتب قبل الإسلام كلمة «ثيوس» اليونانية أو «ألاها» السريانية؛ فإنّ غياب بيئة مطلقة الولاء لهذا الاسم وارتباط المعرّب بالأصل اليوناني للنص أو الترجمة السريانية المترجم عنها؛ يستحثان المعرّب إلى إظهار معالم من الحرف الأصلي أو المترجم عنه، وهذه قضيّة ثابتة بالاستقراء تظهر خاصة في رسم أسماء الأعلام، وهي ظاهرة ثقافية/لسانيّة معروفة ناتجة عن محاولة الكاتب التوفيق بين الأصل المترجم عنه والبيئة المترجمة فيها.

٢-الإيمان بالله ورسله ووعده ووعيده: متى ٢٣/٢٣: «... ورفضتم شرايع السنّة وشرفها وما أمرت به العدل والبر والتحنن والرأفة والإيمان **بالله ورسله ووعده ووعيده**...» .. هي ألفاظ متتالية ذات رنين إسلامي، علمًا أنّ مقطع (الله ورسله ووعده ووعيده) لا وجود له في الأصل اليوناني والترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية)، وقد أضافه المعرّب من كيسه؛ تأثرًا بالمعجم الديني الإسلامي حيث يتكرر الاقتران بين (الإيمان بالله) و(الإيمان برسله) وهو ما لا نجد له مكانًا في الخطاب اللاهوتي الكنسي حيث الإيمان بالرسل **ليس على رأس الخطاب الديني وإنما هو (الإيمان بالآب والابن وروح القدس)** ..

﴿ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢٣٧]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾[٢٣٨]

﴿ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾[٢٣٩]

---

[٢٣٧] سورة آل عمران/ الآية (١٧٩)

[٢٣٨] سورة النساء/ الآية (١٥٠)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[240]
﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[241]

كما أنّ مصطلح (الوعد والوعيد) قد تكرّر في الجدَل الكلامي المبكّر بصورة واسعة بين الفرق الإسلاميّة، بل هو **مبحث عقدي كامل بهذا الاسم** في كتب العقائد والفرق الإسلاميّة منذ القرون الهجريّة الأولى![242]

٣-الله تبارك وتعالى: متى ١٥/٤: استعمل المعرّب عبارة ثلاثيّة لا ريب في مستقاها الإسلامي، دون فاصل بينها: (١) الله (٢) تبارك (٣) وتعالى: «لأنّ الله **تبارك وتعالى** قال أكرم أباك وأمك...»، وجاء أيضًا في متى ٣٢/٢٢: «والله **تبارك وتعالى اسمه** ليس برب للأموات»؛ فصارت رباعيّة إسلاميّة؛ وهي زيادات لا أصل لها في النص اليوناني والترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية).

٤-حمدوا الله وسبحوه: متى ٨/٩: «وحمدوا الله وسبحوه إذ أعطى البشر مثل هذا السلطان والقدرة». ذكرت الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) التسبيح فقط، أما التحميد فمن كيس المعرّب المتأثّر باللسان الإسلامي حيث يرتبط التسبيح بالتحميد.
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[243]

---

[239] سورة النساء/ الآية (١٧١)

[240] سورة الحديد/ الآية (١٩)

[241] سورة الحديد/ الآية (٢١)

[242] انظر مثلاً أهم كتاب إسلامي مبكّر في الفرق والعقائد «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (ت/ محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، ٣٣٩/٢) حيث خص الإمام «ابن حزم» (٣٨٣هـ- ٤٥٦هـ/ ٩٩٤م- ١٠٦٤م) هذا الموضوع بمبحث خاص، بدأه بقوله: «اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقولٍ...»

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾[244]

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[245]

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[246]

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾[247]

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[248]

﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[249]

﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾[250] ...

ومن دعاء المسلم في أذكاره التي جاءت في السنّة النبويّة: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» و«سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»...

---

[243] سورة البقرة/ الآية (٣٠)

[244] سورة الرعد/ الآية (١٣)

[245] سورة الحِجر/ الآية (٩٨)

[246] سورة الإسراء/ الآية (٤٤)

[247] سورة الفرقان/ الآية (٥٨)

[248] سورة السجدة/ الآية (١٥)

[249] سورة الزُّمَر/ الآية (٧٥)

[250] سورة ق/ الآية (٣٩)

٥-الملائكة المقربون: متى ٣٩/١٣، متى ٣١/٢٤: استعمل المعرّب هنا عبارة قرآنية وهي: (الملايكه المقربون)؛ قال تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملآئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ [٢٥١]، علمًا أنّ كلمة (المقربون) لا أصل لها في النص اليوناني والبشيطا والسينائية [٢٥٢]، ولم يستعملها صاحب ترجمة مخطوطة سيناء العربية ٧٢!

٦-الشيطان الرجيم: متى ٣٩/١٣: استعملَ المعرّب تعبير (الشيطان الرجيم)؛ وهو تعبير إسلامي خالص. ترجمة البشيطا السريانية تقول (ܣܛܢܐ) (ساطانا) أي (الشيطان)، وهي — (الشيطان)–الكلمة التي استعملتها مخطوطة سيناء العربية ٧٢. المخطوطتان: الكورتونية والسينائية اعتمدتا كلمة «ܒܝܫܐ» (بيشا) أي «الشرير» مكان كلمة «الشيطان» الواردة في البشيطا .. أمّا (الرجيم) فهي عبارة إسلاميّة المشرَب زائدة عن أصل النص، وهي إضافة من المعرّب المتأثر باقتران كلمة (شيطان) بكلمة (رجيم) في المعجم الديني الإسلامي النابع من آي القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٢٥٣]

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [٢٥٤]

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [٢٥٥]

---

[٢٥١] سورة النساء/ الآية (١٧٢)

[٢٥٢] المقطع الذي يضم هذا النص مفقود من المخطوطة الكورتونية.

[٢٥٣] سورة آل عمران/ الآية (٣٦)

[٢٥٤] سورة الحِجر/ الآية (١٧)

[٢٥٥] سورة الحِجر/ الآية (٣٤)، وسورة ص/ الآية (٧٧)

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٢٥٦]
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾[٢٥٧]

٧-الحواريون: استعمل معرّب هذه الأناجيل خمسة ألفاظ للدلالة على حواريي المسيح: (١) (أربا) (٢) و(أردا) (٣) و(أوليا) (٤) و(تلاميذ) (٥) و(الحواريون) .. وقد اعترف القس «قشوع» أنّ لفظة «الحواريون» مأخوذة من القرآن الكريم[٢٥٨]، لكنه عزا ذلك إلى أنّ نسّاخ هذه المخطوطة هم الذين أقحموا هذه اللفظة في الترجمة (!)، ولم يجد دليلاً على ذلك غير أنّ لفظة «أربا» قد وردت أكثر من خمسين مرة في نص الأناجيل في حين وردت كلمة «الحواريون» ١٦ مرّة فقط!

(انتقائية) هذا الباحث غير مبرّرة علميًا؛ إذ إنّه:

١ -لم تكن من عادة نسّاخ المخطوطات إدخال الألفاظ الإسلاميّة، خاصة أنّ النسخ كان يتولاّه الرهبان في أديرتهم المنعزلة عن المسلمين. وقد اعترف هذا الباحث نفسه أنّ الترجمات العربيّة التي كانت توافق القرآن في لغته كانت تُهمل ولا تُستنسخ![٢٥٩]

٢ -كان الأولى بمن أراد أن يغيّر العبارة الدالة على (التلاميذ) من (أربا) إلى ألفاظ أخرى ألاّ يُبقي كلمة «أربا» في النص، وأن يحافظ فقط على كلمة (تلاميذ)؛ فهي الكلمة السائرة على ألسن النصارى العرب تحت الحكم الإسلامي، وهي المضمنة في الترجمات العربيّة لذاك الزمان، وهي أيضًا الموافقة لغة للأصل اليوناني «μαθηται»، والموافقة من

---

[٢٥٦] سورة النحل/ الآية (٩٨)

[٢٥٧] سورة التكوير/ الآية (٢٥)

[٢٥٨] زعم أنّ ناسخ المخطوطة قد أقحم كلمة «التلاميذ» تأثرًا بالأصل السرياني!

[٢٥٩] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٨

ناحيتي المعنى والفونولوجيا للكلمة السريانية المضمنة في المخطوطات السريانية «ܬܠܡܝܕܐ» (تَلميدا)!

٣ -يرى القس «قشوع» أنّ كلمة «أربا» قد أضحت غير مفهومة في البيئة التي نسخت فيها هذه الترجمة؛ وجعل ذلك حجّة على رد هذه الترجمة إلى القرن السابع أو ما قبله، رغم أنّ محافظة الناسخ عليها حجة في الأصل لمعرفته معناها. ومن (العجيب) أنّ المخطوطة (B. O. ٤٣٠) التي يرى القس «قشوع» أنّها تعود في الأصل إلى (Vat. Ar. ١٣) نفسها، لم تبقِ على غير كلمة «التلاميذ» .. فلِمَ غاير بين منهج ناسخ (Vat. Ar. ١٣) ومنهج ناسخ (B. O. ٤٣٠)؟!

إنّ من أبرز آفات عمل هذا القس؛ (العجلة)؛ فهو (يقفز) إلى النتائج دون تقليب الأمر على أوجهه المحتملة، وأحيانًا دون النظر في أرجح الاحتمالات أو حتى الحل الواضح المحكم؛ فمن ذلك أنّه كان بإمكانه أن يصل إلى معنى «أربا» التي حار في مبناها ومعناها وقال إنّها من (عتيق) اللغة العربيّة التي أصبحت مجهولة المعنى في القرن التاسع مما اضطر الناسخ إلى أن يضع مكانها في مواضع من المخطوطة كلمة «الحواريين»، بالبحث عن مفردها في نص المخطوطة، ولو فعل لوجد أنّ كلمة «تلميذ» قد وردت في صيغة المفرد في الأصل اليوناني في مساحة الجزء المحفوظ من الأناجيل في المخطوطة، في أربعة مواضع:

متى ٢٤/١٠: «مع أنه ليس ربيب ولا تلميذ أفضل من مؤدبه ومعلمه ولا عبد أفضل من سيده». هذا نص مهم جدًا لأنّ المعرّب استعمل فيه المترادفات مخالفًا الأصل السرياني المترجم عنه:

أ -نصّ البشيطا والسينائية[٢٦٠] يضمّ كلمة واحدة: «ܬܠܡܝܕܐ» (تَلميدا)، في حين استعمل المعربّ كلمتين: «ربيب» و«تلميذ».

ب - نصّ البشيطا والسينائية[٢٦١] يضمّ كلمة «ܪܒܗ» (رَبِه) أي «ربِّه» واستعملت الترجمة الحرقليّة كلمة «ܡܠܦܢܐ» (مَلفانا) أي «المعلّم» في موافقة للأصل اليوناني

---

[٢٦٠] المقطع مفقود من المخطوطة الكورتونية.

الذي اعتمد كلمة «τον διδασκαλον»، في حين استعمل المعرّب كلمتين اثنتين: «مؤدب» و«معلّم» .. وهذا ما يؤكّد قصد المعرّب أن يستعمل كلمتين مترادفتين لمعنى واحد.

متى ١٠/٢٥: حذفت المخطوطة المقطع الذي يضم كلمة «تلميذ»: «يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه، والعبد كسيده» .

لوقا ٦/٤٠: «لا ربيب أفضل ممن (كذا) مودبه».

متى ١٠/٤٢: «وكل من سقا احد هاولي الصغار المومنين بي شربه ما قراح قط باسم ردا من ارادييي الحق أقول لكم ان ثوابه لا [يتيه/يبيد] ولا ينقطع».

النتيجة:

(١) (أربا) جمع (ربيب).

(٢) أردا جمع رِدء -إذ ليس في نص هذه المخطوطات همزات-.[٢٦٢]

كلمة «أربا» —إذن- ليست كلمة (عتيقة) صارت مجهولة المعنى في القرن التاسع كما يزعم القس، وإنّما هي من مألوف اللغة، ولا يشغّب على هذا التفسير أنّ الجمع المستعمل لهذه الكلمة في مخطوطتنا هو: «أرباي»؛ فإنّ الأخطاء الكثيرة في النحو والصرف والرسم فيها لتكفي لتفسير ذلك، كما يُفسّر هيكل هذا الجمع بأنّ المعرّب قد جعله على نفس هيكل «أردا» و«أوليا» بختم الكلمة بالألف لا الباء.

كما أنّ استعمال المعرّب لكلمة «ربيب» في مقابل كلمة «تلميذ» يفسِّر لنا استعماله لكلمات أخرى لا تطابق حرفيًا معنى كلمة «تلميذ»؛ ف «الأردا» هي «الأرداء» —لغياب الهمزات في نص المخطوطة- جمع «الرِدء» أي المعين والنصير، و«الأوليا» هم «الأولياء» جمع «ولي» أي النصير .. وهو مسلك مطّرد من المعرّب في تعامله مع الأصل السرياني؛ فإنّ نص هذه المخطوطة كما

---

[٢٦١] المقطع مفقود من المخطوطة الكورتونية.

[٢٦٢] أثبتت مع ذلك الهمزات في نقلي من المخطوطة في المواضع الأخرى.

وصفه النقّاد –وأقرّهم على ذلك القس «قشوع»– هو «ترجمة حرّة» « free translation».[263]

أمّا لو تركنا معنى «أربا» كما شرحه صاحب النصّ ذاته؛ وبحثنا عن معناه خارج ذلك؛ فإننا سنصل إلى ما اقترب منه القس وهو أنّ هذه الكلمة توافق كلمة «الربيون» الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[264]؛ فقد أخرج الإمام «الطبري» بإسناد صحيح عن «عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب» المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن (٧٦٧م)[265] قوله إنّ الربيين هم: «الأتباع»[266]؛ وهكذا تكون كلمة «أربا/ء» مرادفة لغة لكلمة «تلاميذ»؛ ويكون صاحب الترجمة متأثرًا باللسان القرآني كما هو ثابت في مواضع أخر كثيرة كما سيأتي بيانه، وتكون هذه الكلمة معروفة المعنى في زمن قريب من كتابة نسخة مخطوطتنا، قاطعين تردد القس «قشوع» الذي لم يعرف صاحب هذا التفسير فقال إنه من القرن

---

[263] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٣٥, ١٤٧

[264] سورة آل عمران/ الآية (١٤٦)

[265] انظر؛ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٢١/٤٩٩

[266] قال «الطبري»: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ» قال: الربيون: الأتباع» (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ٤/١١٩)، وقد نقل القس «قشوع» هذا الإسناد ثم قال: «لا ندري من هو «ابن زيد» » (١/١٥٥)!! فلم يكلّف نفسه عناء النظر، أو لعلّه–وهو الأرجح– لا يعرف سبيل ذلك، ودليله أنّه بحث فقط في اسم «ابن وهب»؛ وذلك لأنّ اسمه موجود في «موسوعة الإسلام» الاستشراقيّة (!!)؛ وهذا أمر (عجيب) من رجل يكلّف نفسه دراسة موضوع وثيق الصلة بالإسلام وبيئته وتاريخ رجاله؛ ثم هو لا يعرف مصادر علوم الرجال؛ ويلتجئ إلى موسوعة استشراقيّة عامة المواضيع للبحث في رجال أسانيد الأحاديث، رغم أنّ الذي يُبحث عنه قد روى له «البخاري» و«مسلم» ، والكتب الخاصة برجال الصحيحين، وبالكتب الستة عامة، مشهورة، مبذولة للقرّاء!؟

الثامن وربما قبل ذلك!![267] ؛ وهو ما يذهب بدلالة هذه الكلمة (العتيقة) على أنّها من الكلِم العربي المتداول قبل الإسلام لا بعده!

وأخيرًا نقول: لقد استعملت عائلة المخطوطات (ل) كلمة «أربا» بمعنى «تلاميذ»[268] ؛ وقد أقرّ القس «قشوع» أنّ هذه العائلة من المخطوطات كانت هي السائدة في الشرق منذ القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر[269] ؛ وهو ما يظهر أنّ هذه الكلمة كانت مدركة المعنى عند النصارى العرب بعد الإسلام لقرون؛ ولا يُردّ ذلك بدعوى القس أنّ هذه العائلة تعود في أصلها إلى مخطوطتنا (Vat. Ar. ١٣) ؛ وذلك لسببين:

السبب الأوّل: القس «قشوع» نفسه لم يستطع أن يجزم بالعلاقة بينهما؛ فقد قال عن عائلة المخطوطات (ل): «مصدرها العربي من <u>الممكن</u> أن يكون العائلة (هـ)[270] أو نص مماثل للعائلة (هـ) » « Its Arabic source could <u>possibly</u> be family *h* <u>or</u> a similar text to family *h*»؛ وهذا مسلك (الظنّ المجرّد) الذي لا تقوم به حجّة.

السبب الثاني: لماذا لم يقم ناسخو مخطوطات العائلة (ل) بحذف كلمة «أربا» تمامًا إذا كانت غير مفهومة في زمانهم؛ خاصة أنّ نص هذه العائلة قد روجع وغيّر من الناحيّة اللغويّة بصورة كبيرة جدًّا حتى غدا من شبه المستحيل معرفة علاقته بالصورة الأصل التي نُسِخ عنها —باعتراف القس «قشوع» نفسه[271] -؟!

---

[267] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/٥٥

[268] قد علمنا هذا الأمر من النماذج التي عرضها القس نفسه (انظر؛ ٥٩٤/٢)

[269] انظر المصدر السابق؛ ٣٧٨/١

[270] العائلة (*h*) هي نفسها مخطوطتنا (Vat. Ar. ١٣).

[271] انظر المصدر السابق؛ ٢١٣/١

٨-**الياسين**: استعمل معرّب نص المخطوطة في حديثه عن النبي «إلياس» -والذي هو في العهد القديم «**אליהו**» (إيليّاهو)، وفي الأصل اليوناني للأناجيل «Ηλιας» «إيلياس»، وفي السريانية: «ܐܠܝܐ» (إليا)، و«ܐܠܝܐܣ» (إلياس)[٢٧٢] -أكثر من كلمة:

الاسم	إيلياس	إيليا	إليا	إلياسين
عدد المرات	٢	١	٦	١١

وردت عبارة (إل ياسين) في سورة الصافات في سياق الحديث عن النبي «إلياس» عليه السلام؛ وأعقب اسم «إل ياسين» السلام عليه، وذاك لا يكون إلاّ لنبي: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُون أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين وَاللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُون إِلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِين وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِين سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِين** ﴾[٢٧٣].

وقد قال الإمام الطبري: «واختلفت القرّاء في قراءة قوله: {سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ}؛ فقرأته **عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة**: {سَلامٌ عَلى **إِلْياسِينَ**} بكسر الألف من إلياسين؛ فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يُسمى باسمين: إلياس، وإلياسين، مثل إبراهيم، وإبراهام، يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: {سَلامٌ} فإنه سلام على النبيّ الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله.»[٢٧٤]، ولا يعرف هذا الاسم في اليونانيّة ولا في الترجمات السريانيّة؛ بما يقطع بأصله القرآني.

---

[٢٧٢] انظر في استعمال «ܐܠܝܐܣ» (إلياس)؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an, p.* ٦٨

[٢٧٣] سورة الصافات/ الآيات (١٢٣-١٣٠)

[٢٧٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/٩٤-٩٥

لا نجد كلمة «إلياسين» في أي من المخطوطات العربيّة الأخرى؛ وهو ما جعل القس «قشوع» يدّعي أنّ هذه الكلمة كانت معروفة بين النصارى العرب في القرن السادس لكنّها أصبحت مجهولة المعنى في القرن السابع مع مجيء الإسلام![٢٧٥]

الإشكال في هذا المنطق الذي يسيطر على منهج هذا الباحث في الاستدلال هو انطلاقه إلى الفروض البعيدة التي تستدعي من الأسئلة أكثر مما تقدم من إجابات، مع أنّ الجواب المنطقي قريب منه، دان من يده ..

منطقة «الحِيرة» كانت ذات لسان سرياني، والقول باعتماد القبائل العربيّة النصرانيّة التي كانت تعيش هناك اسم «إلياسين» كاسم للنبي «إلياس» عليه السلام رغم أنّ كل الترجمات السريانيّة لا تعرف هذا الاسم ولا حتى الآباء السريان الذين عاشوا في القرنين الخامس والسادس -كما هو ظاهر من كتاباتهم-[٢٧٦]، لا ينتهض؛ لأنه لا دليل عليه، في حين أنّه بين أيدينا دليل مادي حيّ على إسلاميّة هذه الكلمة بورودها في القرآن الكريم؛ فكيف نترك الدليل المادي الملموس إلى مجرّد (توهّمات) بعيدة يزيدها وهاءً أنّ المسلمين الأوائل ما كانوا يعرفون أنّ هذا الاسم هو من أسماء «إلياس» عليه السلام إلاّ من خلال فهمهم لسياقات القرآن الكريم ذاته وليس من خلال الثقافة الخارجيّة!

لقد كان نصارى الحيرة تحت الحكم الإسلامي على اتصال بمصادر المعرفة الإسلاميّة، ولا أدلّ على ذلك من أنّ «ثيودور أبي قرّة» الذي كان أحد أبرز من كتبوا في الجدل الدفاعي النصراني المبكّر ضد الإسلام، قد كان في فترة من حياته مطرانًا لطائفة الملكانية في الحيرة في آخر القرن الثامن وبداية التاسع (٧٩٥م-٨١٢م)، وقد كان يقتبس في كتاباته من القرآن ويشير إلى

---

[٢٧٥] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٥٨-١٥٩

[٢٧٦] لم يُحل أي من المستشرقين إلى أصل سرياني لهذه الكلمة رغم حرصهم على رد الألفاظ القرآنية إلى أصول أعجميّة، وقد سألت -مراسلة-البروفسور «سيبستيان بروك» إمام الدراسات السريانية اليوم-، فجزم أنّه لم ير البتة هذا الاسم في المؤلّفات السريانيّة.

المفاهيم والعادات الإسلاميّة بوضوح، وقد كان يفعل ذلك حتى في بعض مؤلفاته الخاصة بالأمور النصرانيّة البحتة![277]

٩- الجمل من سم الخياط: متى ١٩/٢٤: «لدخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الغني ملكوت الله» .. عبارة «سم الخياط» مطابقة –عن غير صدفة– للتعبير القرآني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[278] .. أصل الصورة الذهنية موجود في الأصل اليوناني والترجمات السريانية، وذاك لا يلغي دلالة هذا التطابق اللفظي على النقل من النص القرآني، ومما يؤكد هذه الاستنباط أنّ مخطوطة سيناء ٧٢ تنقل النص على صورة بعيدة عن مطابقة اللفظ القرآني: «أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة»!

١٠-أكمه: متى ٢٧/٩: استعمل المعرّب كلمة (أكمهان) في مقام الحديث عن رد المسيح البصر لرجلين بهما عمى، وجاءت هذه الكلمة في صيغة الجمع: (الكمه) في متى ٥/١١، وفي متى ٢٢/١٢ (أكمه) في المفرد ... والأكمه هو من ولد أعمى، وقد جاء وصف المسيح في القرآن الكريم أنه يبرئ (الأكمه) لا (الأعمى): ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[279] .. ونحن لا نجد سندًا من الأصل اليوناني أو الأصل السرياني المترجم عنه، لهذه الكلمة، كما أنّ مخطوطة سيناء العربية ٧٢ لا تعرفها حيث استعملت كلمة (أعمى).. ولا يبقى إلاّ أن يكون هو النقل عن القرآن الكريم.

---

[277] انظر؛ Sidney H. Griffith, '*Theodore Abū Qurrah's Arabic Tract on the Christian Practice of Venerating Images*,' in *Journal of the American Oriental Society*, Vol. ١٠٥, No. ١ (Jan. - Mar., ١٩٨٥), p. ٦٥

[278] سورة الأعراف/ الآية (٤٠)

[279] سورة آل عمران/ الآية (٤٩)

١١ - **أخدود**: متى ٤٢/١٣: «ويلقونهم في أخدود من نار يضطرم» .. من المهم أن نلاحظ أنّ الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) تستعمل هنا كلمة (ܐܬܘܢܐ ܕܢܘܪܐ) (أتونا دنورا) أي (أتون نار) [٢٨٠]، ومن عادة معرّب نص المخطوطة التي نحن بصدد دراستها أن يحافظ على الصيغة السريانية إذا كان لها مقابل يشابه بناءها الصوتي في اللغة العربيّة، غير أنه خالف هنا الترجمة السريانيّة ليستعمل كلمة (الأخدود) التي أخذها –بلا ريب– من سورة البروج القرآنيّة التي تذكر التعذيب (بالنار) في (الأخدود): ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود النَّار ذاتِ الوَقود إذ هُمْ عَلَيْهَا قعُود وَهُمْ عَلى مَا يَفعَلونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُود** ﴾ [٢٨١]. وقد تكرر نفسَ الأمر في متى ١٣/٥٠، علمًا أن نص مخطوطة سيناء العَربية ٧٢ قد استعمل عبارة (قامين النار)، وكلمة (قامين) تعني (أتون)، وهي مستعملة في كتابات رجال الكنيسة القدماء الذين كتبوا بالحرف العربي كالأنبا «بولس البوشي» (ولد: ١١٧٠م) في تفسيره لسفر الرؤيا... [٢٨٢]

١٢ -**العامل-الوالي**: متى ٢/٢٧: «فأوثقوه وانطلقوا به فدفعوه إلى فيلاطس العامل»... تكرّر وصف «بيلاطس» بأنّ وظيفته: «عامل»، في مقابل كلمة «ܗܓܡܘܢܐ» (هِجمُونا) الواردة في الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) والتي هي نقل صوتي للأصل اليوناني «ηγεμονι» (هِجموني) الذي يعني (حاكم) في الإمبراطورية الرومانية. ومعلوم أنّ مصطلح «العامل» هو مصطلح إسلامي كان يطلق على حكّام المقاطعات الإسلاميّة الكبرى؛ فيقال: (عامل الخليفة على مصر) و(عامل الخليفة على الشام)!

واستعمل المعرّب في متى ١٣/٨ كلمة (والي) في مقابل الكلمة اليونانية (εκατονταρχη) التي تعني (قائد المئة) وهو موظف رسمي في الجيش الروماني يقود في الأغلب ٨٣ جنديًا، وإن

---

[٢٨٠] هو نفس معنى الأصل اليوناني.

[٢٨١] سورة البروج/ الآيات (٤-٧)

[٢٨٢] التفسير موجود على النت:

http://www.stmacariusmonastery.org/st_mark/sm٠٢٠٨٠٨.htm

كان اللقب يرفع الرقم إلى مئة. وقد جاءت الكلمة السريانية «ܩܢܛܪܘܢܐ» (قِنطرونا)[٢٨٣] في البشيطا والمخطوطة الكورتونية نقلاً صوتيًا للكلمة اليونانية (أو مقابلها اللاتيني)، أمّا المخطوطة السينائية فقد اختارت كلمة «ܟܠܝܪܟܐ» (كِلِيَرْكا) التي هي نقل صوتي للكلمة اليونانية «χιλιαρχος» التي تعني (قائد ألف)، وهي لقب قائد الوحدة العسكرية التي تضم ألف رجل!!

كلمة (والي) لا أصل لها في النص اليوناني والترجمات السريانية، ولا تلتقي معهما معنى، وإنما هي من المعجم العربي الإسلامي حيث –أيضًا– لم يكن هناك (قائد مئة). وقد جاءت عبارة (قايد الماية) في هذا الموضع من مخطوطة سيناء العربية ٧٢.

١٣-صاحب الاستخراج: جاء في متى ٥/٢٥: «والقاضي يدفعك إلى صاحب الاستخراج» .. مصطلح (صاحب الاستخراج) كان مستعملاً أيام الحكم الإسلامي في القرون الهجريّة الأولى –على الأقل–؛ ودليل ذلك قول «الجاحظ» (١٥٠هـ–٢٥٥هـ/٧٨١م–٨٦٩م) في كتابه «البيان والتبيين» في حديثه عن «ابن المقفع» (١٠٦هـ– ١٤٢هـ / ٧٢٤م – ٧٥٩ م): «وأما عبد الله بن المقفع فإنّ **صاحب الاستخراج** لما ألحّ عليه في العذاب، قال لصاحب الاستخراج: أعندك مال وأنا أربحك ربحاً ترضاه؟»[٢٨٤] .. وقد عرّف الشيخ «عبد السلام هارون» محقّق الكتاب (صاحب الاستخراج) بأنّه: «الموكّل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء والكتاب والولاة وجباة الخراج. وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه الأموال...»[٢٨٥] .. وهذا ما يقطع أنّ عبارة (صاحب الاستخراج) قد خرجت من بيئة تحكمها الدولة الإسلاميّة، وقد استعملها الكاتب في مقابل

---

[٢٨٣] اختارت الترجمة الحرقلية ترجمة معنى الكلمة اليونانية: (رأس/قائد مئة) (ܪܫ ܡܐܐ).

[٢٨٤] الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ،١٩٩٨م، ط٧، ت/عبد السلام هارون، ٢/١٦٦-١٦٧

[٢٨٥] المصدر السابق، ص ١٦٦

كلمة (جابي) «ܓܒܝܐ» (جبايا) الواردة في البشيطا والكورتونية[٢٨٦]، ورغم أنّ كلمة (جابي) هي الأَولى أن تكون في هذا المقام لأنها من مشترك اللغتين العربية والسريانية من ناحيتي اللفظ والمعنى إلاّ أن مُعرِّب النص قد غلبه تأثّره بالبيئة الواقعة تحت سلطان الدولة الإسلاميّة والسمعة المخيفة لمن يجمع مال الدولة فيها؛ فأخذ بكلمة (صاحب الاستخراج).

١٤-الأحبار: استعمل المعرّب كلمة (الأحبار) مقابل كلمة (الفريسيون)[٢٨٧] دون سند من مقابل سرياني حيث كلمة: «ܦܪܝܫܐ» (فريشا) في الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) ولا سند من الأصل اليوناني حيث كلمة: «φαρισαιοι» (فَريسيوي)، وإنما هو التأثّر بالبيئة الإسلاميّة التي ما كانت تعرف (الفريسيين) أو (الصدوقيين)[٢٨٨] وتكتفي بتسمية كبراء اليهود: (الأحبار). علمًا أنّ القس «قشوع» قد اعترف أنّ المخطوطات العربيّة الأخرى تستعمل كلمة (الفريسيون) لا (الأحبار) للدلالة على الفريسيين.[٢٨٩]

وقد قال القس «قشوع» في محاولته التملّص من الأثر الإسلامي البادي هنا: «ليس من الممكن معرفة إن كان نص مخطوطة (Vat. Ar. ١٣) قد تأثّر بالقرآن. من الممكن أن يكون تعبير «الأحبار» قد استعمل في البلاد العربيّة قبل ظهور الإسلام للإشارة إلى الفريسيين.»[٢٩٠] ..

وهو منطق (منكوس) في استحضار الأدلة؛ ويُعترض عليه من وجهين:

---

[٢٨٦] ابتعدت الترجمة الحرقلية —التي أنتهى من إعدادها «توما الحرقلي» «Thomas of Harkel» سنة ٦١٦م– عن المعنى الأصلي باعتمادها هنا كلمة «ܡܫܡܫܢܐ» (مشَمشانا) أي (خادم)! أمّا المخطوطة السينائيّة فقد حذفت هذا المقطع.

[٢٨٧] وردت كلمة (الفريسانيون) مرة واحدة فقط مكان (الأحبار) (متى١٦/١)، وفي متى ٣/١٩ جاء النص (الأحبار الفريسانيون)، وفي أصالة النص الثاني شك كما يقول القس «قشوع».

[٢٨٨] فرقتان من فرق اليهود.

[٢٨٩] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٦٠.

[٢٩٠] المصدر السابق، ١٦٩/١

الوجه الأول: البيئة الإسلاميّة أقرب صلة بهذا النص من بيئة ما قبل الإسلام؛ إذ إنّ ربط الترجمات العربيّة للأناجيل ببيئة الإسلام هو الأصل عند جميع النقّاد، ولا يُنتقل إلى غير ذلك إلاّ بدليل!

الوجه الثاني: وَصْل هذا التعبير بالبيئة الإسلامية أولى من وصله ببيئة قبل الإسلام؛ لأنّ البيئة الإسلاميّة الصرفة لا تعرف (الفريسيين) وغيرهم من اليهود؛ وإنما تحيل إلى اليهود بكبرائهم في كثير من الأحيان: (الأحبار)، في حين أنّ البيئة النصرانيّة -أينما كانت- موصولة بالقوالب الصوتية المضمّنة في النصوص المترجم عنها.

١٥ -**الربانيون**: مرقس١٠/٢: «فدنا الربانيون فجعلوا يمتحنونه ...». لا يوجد مبرّر لغوي لاستعمال كلمة «الربانيون» مقابل الأصل اليوناني وترجمة البشيطا[٢٩١] حيث كلمة «الفرّيسيون». ولا يبدو أنّ هناك مصدر آخر غير القرآن الكريم لكلمة «الربانيون» هنا؛ إذ قد استُعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى (علماء اليهود) -على الأرجح[٢٩٢]-:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢٩٣]

﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٢٩٤]

---

[٢٩١] الجزء الذي فيه هذا النص من المخطوطة الكورتونية مفقود، أما المخطوطة السينائية فلا تضم كلمة «الفريسيون» هنا والسائل فيها هم (الجموع) الوارد ذكرها في العدد السابق.

[٢٩٢] قال «ابن عطيّة» في تفسيره: (({الربانيون} عطف على "النبيين" أي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء، وفي البخاري قال: "الرباني" الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل: "الرباني" منسوب إلى الرب أي عنده العلم به وبدينه، وزيدت النون في "رباني" مبالغة كما قالوا: منظراني، ومخبراني، وفي عظيم الرقبة: رقباني» (ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت/عبد السلام محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م ، ١٩٥/٢)

[٢٩٣] سورة المائدة/ الآية (٤٤)

١٦-الفقهاء: متى ٢٥/١١: استعمل المعرّب كلمة (الفقها) في سياق الحديث عن كبراء أهل العلم: «.. وقال اشكر لك يابت رب السماوات والارض اذ اخفيت هذه الامور عن الحكما **والفقها** والفهما واعلنتها للاطفال والوِلدان»، وهي عبارة عربيّة إسلاميّة خالصة في مثل هذا السياق، علمًا أنه لا أصل لها في النص اليوناني والبشيطا[٢٩٥] وإنما أضافها المعرّب لبيان المعنى بين كلمتي (الحكما) و(الفهما)، والنص في مخطوطة سيناء العربية ٧٢ هو: (الحكما والفهما) .. فالمعرّب هنا قد زاد لفظة إلى أصل النص المعرّب منه، وكانت هذه اللفظة من المعجم الإسلامي!

١٧-المؤدب: مرقس ٣٥/٥..: استعمل المعرّب كلمة «مؤدب» كمقابل لكلمة «معلّم» الواردة في الأصل اليوناني والترجمات السريانية. ومعلوم أنّه من الشائع تسمية المعلّمين بـ(المؤدبين) في البيئة الإسلاميّة كما هو متواتر في الكتب التراثية؛ حتى غلبت كلمة «المؤدّب» كلمة «المعلّم» في دلالتها على وظيفة القائم على التعليم، علمًا أنّ مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢ قد استعملت كلمة «معلّم».

١٨-المنبر: متى ٢٨/١٩: «إذا جلس ابن البشر على عرش مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر منبرًا وتحكمون على أسباط بني إسرايل الاثنى عشر.» متى ٢/٢٣: «وقال لهم لقد جلس الأحبار والكتبة على منبر موسى» .. كلمة «منبر» غير مبررة لغويًا هنا؛ إذ الكلمة في الأصل اليوناني وفي الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) هي «كرسي»، وهذه الكلمة هي من المشترك اللفظي في اللغتين العربية والسريانية؛ فهي في الترجمات السريانية: «ܟܘܪܣܘܢ» (كُورسَوان) جمع «ܟܘܪܣܝܐ» (كورسيا)؛ ولذلك استعملت مخطوطة سيناء العربية ٧٢ كلمة «كرسي». كلمة (منبر) لها اتصال وثيق بالبيئة الإسلاميّة حيث (المنبر) مرتبط بالمساجد والخطابة والسلطان.

---

[٢٩٤] سورة المائدة/ الآية (٦٣)

[٢٩٥] ترجمتا السريانية القديمة (الكورتونية والسينائية) حذفتا كلمة (ܣܘܟܠܬܢܐ) (فهماء) ولم تبقيا غير كلمة (ܚܟܝܡܐ) (حكماء)!

١٩ -**السُنّة**: متى ٢٢/٣٥...: استعمل المعرّب في الكثير من المواضع كلمة «السنّة» في مقابل كلمة «الناموس»[٢٩٦] التي وردت بنفس البناء الصوتي في الأصل اليوناني «νομος» (نوموس) وفي التراجم السريانية «ܢܡܘܣܐ» (ناموسا) وفي التراجم العربية الأخرى «الناموس»، وهي مستعملة هنا أساسًا بمعنى التشريع التوراتي، وهي تقابل عند المسلمين (القرآن الكريم) و(السنّة النبويّة) في جانبهما التشريعي.

انتبه القس «قشوع» إلى أنّ كلمة «السنّة» هي من العبارات المميّزة لهذه الترجمة أثناء بحثه لفرضيّة التأثير القرآني على معرّب هذا الإنجيل، غير أنّه فرّ من دلالتها الإيجابيّة على هذا التأثير بزعمه أنّه:

(١) ربما لم تكن الجماعة التي عرّب لها هذا الإنجيل تعرف هذه الكلمة.

(٢) أو أنّ معنى هذه الكلمة كان محل جدل (contentious)؛ واستدلّ لذلك بمقال عن «الناموس» في إحدى الموسوعات!!

وهو تفسير متهافت جدًا:

أ- كيف يقال إنّ الجماعة النصرانيّة التي عُرّب لها العهد الجديد لم تكن تعرف معنى «الناموس» رغم أنّ هذه الكلمة قد كانت من أهم المصطلحات الدينيّة المستعملة عند النصارى، ولها حضور مكثف في الكتابات التعلميّة والنصوص التعبديّة!

ب-أحال القس «قشوع» عند حديثه عن الجدل حول معنى «الناموس» إلى مقال ما(!)، وعلى هذه الإحالة ملاحظات:

- يبدو أنّ القس «قشوع» لم يقرأ هذا المقال[٢٩٧]، لأسباب:

---

[٢٩٦] استعملت أيضًا كلمة «التوراة» كمقابل لكلمة «ناموس»، ولم تستعمل كلمة «الناموس» إلا مرة واحدة، من طرف ناسخ متأخر للمخطوطة (القرن العاشر) في متى ١٧/٥ (انظر؛ ١/١٦١)

[٢٩٧] ليست هي المرة الوحيدة التي يوهم فيها القارئ أنه يحيل إلى نص قد اطّلع عليه؛ فيبدو أنّه أيضًا لم يطّلع على الدراسة الهامة لـ«فووبس» «Vööbus»-رغم أنه قد عقد لها مبحثًا خاصًا في أطروحته؛ إذ إنه قد زعم (١/١٣٨) أنّ «فووبس» قد نسب مخطوطة (Vat. Ar. ١٣) إلى القرن الثامن، والصواب أنّ «فووبس» قد نسب صراحة أقدم جزء في هذه المخطوطة إلى القرن التاسع (*Arthur* Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies, p.* ٢٨٨)، كما أنّ القس «قشوع» لما أحال إلى المقال الهام

- أحال في الهامش إلى: (F. Vise, 'Namus' *EI*٢. Vol. ٧, ٩٥٣-٩٥٦). علامة (*EI*٢) هي اختصار لاسم كتاب (الموسوعة الإسلامية) (*Encyclopaedia of Islam*) —الطبعة الثانية—، لكنه في آخر المجلد الأول عندما ذكر نفس المقال وذكر اسم المرجع بالتفصيل؛ كتب: (Vise, F. " Nāmūs " Encyclopaedia of the Qur'an. ٢nd edn. Vol. ٧: ٩٥٣-٩٥٦) أي أنّ الإحالة هي إلى «موسوعة القرآن» لا إلى «موسوعة الإسلام»!! فلِمَ لم يكن الاسم المختصر (EQ)، علمًا أنّه من المتعارف عليه أكاديميًا أنّ مختصر (*EI*) خاص بموسوعة الإسلام الشهيرة!
- الموسوعة الشهيرة باسم « *Encyclopaedia of the Qur'an*» ليس فيها مجلد سابع، ومؤلف مقال «Nāmūs» فيها هو «Harald Motzki»!
- المقال الذي أحال إليه القس «قشوع» موجود فعلاً في «موسوعة الإسلام» في طبعتها الثانية، في المجلد السابع، ويبدأ فعلاً من الصفحة ٩٥٣ غير أنه ينتهي عند ٩٥٥ لا ٩٥٦، كما أنّ كاتبه ليس (F. Vise) وإنما هو (M. Plessner)، وقد كتب (F. Vise) المقال الخاص (بالناموس) الحشرة!! علمًا أنّ هذا المقال هو نفسه المنشور في الطبعة الأولى التي صدرت في بداية القرن العشرين.[298]

«لبوركت» في الموسوعة الكتابية «لهاستنجز»، كانت الإحالة إلى الصفحات فقط مما يوهم أنّ هذه الموسوعة هي في مجلد واحد في حين أنها في خمس مجلدات؛ مما يلزمه كباحث أن يحيل أولاً إلى المجلد...! ولعلّ العجلة في إنجاز الأطروحة هي التي ألجأته إلى (النقل) عن ما لم يقرأه!!

[298] انظر؛ Martin Theodoor Houtsma, ed. *E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam*, ١٩١٣-١٩٣٦, Leiden: Brill, ١٩٨٧, ٢/٨٤٤-٨٤٦ وهي طبعة حديثة للنسخة القديمة.

- تطرّق مقال «الناموس» في موسوعة الإسلام إلى اختلاف علماء الإسلام حول معنى «الناموس» في البيئة الإسلاميّة؛ وهنا:
  - الجدل الإسلامي سببه استعمال كلمة «الناموس» في حديث بدء الوحي أساسًا على غير المعنى الكتابي المتعارف عليه، ولا يوجد تشكيك في وضوح معناه عند النصارى العرب. وقد حاول المقال في بدايته أن يجد معنى لكلمة «ناموس» في اللسان اليوناني بما يوافق المعنى المتبادر من حديث بدء الوحي.
  - جوهر النقاش هو حول معنى كلمة «الناموس» بين العرب المسلمين وأصلها في اللغة العربيّة.
  - المقال الذي أحال إليه القس «قشوع» نفسه يقول: «المعنى المفضّل [في اللغة العربيّة] هو القانون الإلهي» « The favourite meaning is divine law»[٢٩٩]، وهو المطابق للمعنى المستقر لهذه الكلمة في اللغة السريانيّة!
  - لا علاقة لهذا الجدل الإسلامي برسوخ معنى هذه الكلمة في المعجم الديني النصراني وإحكام معناه؛ خاصة أنّ الترجمات العربية الأقدم كانت تستعمل هذه الكلمة في بيئة إسلاميّة؛ **فهل تكون البيئة النصرانية قبل الإسلام عاجزة عن إدراك دلالة مصطلح ديني يوافق صوتيًا اللغة الدينية فيه (السريانية) في حين تستوعب البيئة الإسلامية التي عاش فيها أصحاب الترجمات التالية هذا المصطلح رغم أنه يحكمها (الإسلام) و(اللسان العربي)؟!!**
  - ذكر الناقد «ف. س. بوركت» نقطة مهمة وهي أنّه يبدو أنّ نصّ هذا الإنجيل قد عرّب في بيئة كانت **السريانيّة فيها هي اللغة**

---

٢٩٩ M. Plessner, '*Namus*' in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, ٢٠١٠

الكنسيّة[300]، وهذه الحقيقة-التي نراها مؤكدة من نسيج النص- تمنع بصورة قاطعة أن تكون هذه البيئة العربيّة جاهلة بمعنى كلمة «ناموس» ذات البناء الصوتي العربي-السرياني الواحد، والتي وردت في جميع الترجمات السريانيّة على رسم «ܢܡܘܣܐ» (ناموسَا) كمقابل للاصل اليوناني «νομος» (نوموس)!

٢٠-الزكاة: مرقس ٤١/١٢: «فلمّا جلس إيسوع إذا بيت الخزانة جعل ينظر إلى الجموع إذ يلقون الزكاة في بيت الخزانة» .. (الزكاة) اصطلاح إسلامي، واستعماله في الصيغة المصدرية من طرف المعرّب مع ألف لام التعريف، مؤكد لأصله الإسلامي. وقد استعملت مخطوطة سيناء العربية ٧٢ كلمة «نحاس» وفاءً للأصل السرياني الذي يستعمل كلمة «ܥܘܪܦܢܐ» (عورفانا) وهي العملة النحاسية الرخيصة.

٢١- الجزية: متى ٢٤/١٧: «فلما أتوا كفرناحوم اقترب الذين كانوا يأخذون درهمي الجزية وذلك ليس للجزية بل [لمزمه/لمرقه] بيت الله إلى الصفا...». النص اليوناني والترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) تتحدث عن عملة فضيّة، والمعرّب يستعمل هنا عبارة (الجزية)!
استعمل المعرّب في العدد التالي مباشرة (٢٥) كلمة «جزية» كمقابل للكلمة الواردة في الترجمات السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية): «ܡܟܣܐ» (مكسا) وهي كما هو ظاهر تعني في لغة العرب: المكس لا الجزية!

٢٢-يصلى عذابا أليما: متى ١٤/٢٣: «ولذلك تقبلون وتصلون عذابًا [أليمًا]».. التعبير عن عذاب النار بفعل (صلى) هو طابع قرآني متميّز وليس من المعجم الكنسي النصراني:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[301]

---

[300] انظر؛ F. C. Burkitt, '*Arabic Versions*,' in James Hasting, *A Dictionary of the Bible*,١/١٣٦

[301] سورة النساء/ الآية (١٠)

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[302]
﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[303]
﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[304]
﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[305]
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[306]
﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[307]
﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾[308]
﴿ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾[309]
﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴾[310]
﴿ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾[311]

---

[302] سورة إبراهيم/ الآية (٢٩)

[303] سورة يس/ الآية (٦٤)

[304] سورة ص/ الآية (٥٦)

[305] سورة الطور/ الآية (١٦)

[306] سورة المجادلة/ الآية (٨)

[307] سورة الحاقة/ الآية (٣١)

[308] سورة الانفطار/ الآية (١٥)

[309] سورة الانشقاق/ الآية (١٢)

[310] سورة الأعلى/ الآية (١٢)

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَب﴾ [312]

العدد ١٤ غير موجود في أقدم المخطوطات اليونانية، وقد ورد في المخطوطات اليونانيّة المتأخرة؛ وفيها «περισσοτερον κριμα» وهو نفس ما جاء في مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢: «دينونة أكثر»، وهو أيضًا المعنى الوارد في البشيطا والكورتونية [313]: «ܕܝܢܐ ܝܬܝܪܐ» (دِينا يَتيرا).

٢٣-البعث: اعترف القس «قشوع» عند دراسته للمخطوطة (Codex B. O. ٤٣٠) التي نسخت في القرن التاسع عشر أنّ لغتها قديمة (archaic)، وختم حديثه حول ألفاظها بقوله: «بعض هذه الألفاظ استعملت في القرآن؛ مثل «بعث»؛ انظر سورة النحل/ الآية ٣٨ وسورة الإسراء/ الآية ٤٩» [314]. وكان قد أشار قبل ذلك إلى أنّ هذه المخطوطة قد استعملت كلمة «البعث» في يوحنا ٢٤/١١ و٢٥ وكلمة «الانبعاث» في يوحنا ٩/٢٠، مكانَ كلمة «القيامة» (الكلاسيكية في المعجم النصراني–وأضيف أنها توافق فونولوجيًا الأصل السرياني «ܩܝܡܬܐ» (قيامتا) [315])–.. فلِمَ لم ينتبه هذا الباحث إلى أنّ كلمة «البعث» قد وردت في المخطوطة (Vat. Ar. ١٣) (متى ١٣/٢٥)،كما وردت كلمة «الانبعاث» في نفس المخطوطة (٢٣/٢٢) وكلمة «ينبعث» (متى٢١/١٦، ٩/١٧، ٢٣، ١٩/٢٠) وكلمة «انبعث» (متى ٦٤/٢٧، ٦/٢٨)...؛ بما يثبت أثر المعجم القرآني عليها!!؟

---

[311] سورة الغاشية/ الآية (٤)

[312] سورة المسَد/ الآية (٣)

[313] المخطوطة السينائية لا تضم هذا المقطع.

[314] انظر؛ Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١١٩

[315] النص الذي قصده القس «قشوع» هو يوحنا ٢٤/١١، ٢٥، وقد وردت فيه كلمة «ܩܝܡܬܐ» (قيامتا) في المخطوطة السينائية، ووردت هذه الكلمة بمعنى قيامة الميت أيضًا في البشيطا في عدد من المواضع (متى ٣١/٢٢، مرقس ١٨/١٢...)

٢٤-يوم القيامة: متى ٢٤/١١: «ولكني أقول لك إن سدوم يصل إليها من الطمأنينة والدّعة **يوم القيامة** أو أنّ الراحة تكون لأهل سدوم **يوم القيامة** أفضل منك» ..نص هذه المخطوطة ينقل العدد ٢٤ على صورتين[٣١٦]، وفي كليهما عبارة «يوم القيامة» رغم أنّ النص اليوناني لا يتعلّق بقيامة الأموات وإنما يتعلّق بمحاسبة الناس بعد القيامة، وقد وردت في ترجماته السريانية (البشيطا والكورتونية والسينائية) عبارة «ܝܘܡܐ ܕܕܝܢܐ» (يوما دَدِينا) أي «يوم الدِّين/ الدينونة»؛ وهي في مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢: «يوم الدينونة». ويبدو أنّ معرّب النص قد أخذ بالتسمية الإسلاميّة الأشهر لهذا اليوم وهي: «يوم القيامة».

وقد جاء في متى٢٥/١٣: «لأنكم لا تعرفون يوم **البعث** وساعة **القيامة**...». الأصل اليوناني يقول: «οτι ουκ οιδατε την ημεραν ουδε την ωραν» أي «لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة»، المخطوطات اليونانيّة المتأخرة تضيف في آخر النص: « εν η ο υιος του ανθρωπου ερχεται» أي «التي يأتي فيها ابن الإنسان»، وقد أخذت كل من ترجمة البشيطا والمخطوطة السينائية[٣١٧] بالقراءة اليونانيّة الأقدم -وهو أيضًا ما جاء في مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢-؛ فالأصل المترجم عنه إذن لا يذكر كلمة (البعث) و(القيامة).

وجاء في مرقس ١٣/٣٢: «فأما يوم **الانبعاث** وساعة **القيامة** فليس أحد يعرف ذلك...»، وما يقال في النص السابق يقال في هذا النص.

٢٥-كافر: مرقس ٧/٢٦: «وكانت هذه المرأة عابدة أوثان كافرة». كلمة «كافرة» هنا هي مصطلح إسلامي وليست هي نقلٌ لأصل سرياني؛ إذ الكلمة في البشيطا: «ܚܢܦܬܐ» (حَنفتا)[٣١٨] في مقابل ما عندنا في هذه المخطوطة: «عابدة أوثان كافرة». وقد استُعمل جذر

---

[٣١٦] تكرّر تعريب نفس النص على أكثر من صورة في نفس الموضع، في أعداد مختلفة من هذه المخطوطة.

[٣١٧] المخطوطة الكورتونية لا تضم هذا الموضع.

[٣١٨] المخطوطة السينائية لا تضم هذه العبارة، والمقطع الذي يضمها في المخطوطة الكورتونية مفقود..

«ححة» (كفَر) السرياني في الترجمات السريانية بمعنى (أنكر)[319]. علمًا أنّ نفس المرأة قد وُصفت بعد بضعة أسطر أنها قد أصبحت «مؤمنة» (مرقس ٧/٣٠) وهي عبارة مضافة من المعرّب؛ إذ لا أصل لها في الأصل اليوناني والترجمات السريانية .. فلاحظ: (١) ثنائية: مؤمنة–كافرة، (٢) دون سند من الأصل السرياني المترجم عنه.

وقد استعملت مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢ كلمة: «يونانيّة» في مقابل «عابدة أوثان كافرة»—وفاءً للأصل اليوناني المترجم عنه– «Ελληνις» (هِلِّينيس)–.

٢٦-الحَنوط: متى ٢٦/ ١٢: «فأما هذه التي أفرغت هذا الطيب على رأسي إنما صنعت هذا مثالاً لحنوطي ودفني». كلمة «حنوطي» زائدة لا أصل لها في الأصل اليوناني والترجمة السريانية (البشيطا والمخطوطة السينائية[320])، ولا وجود لها في نص مخطوطة سيناء العربية ٧٢، حيث (الدفن) فقد دون (الحنوط)، ومن المعلوم أنّ (الحنوط) هو لفظ قد ورد في الحديث النبوي —بمعنى الطِيب– في سياق تجهيز الميت؛ فهو سُنّة إسلاميّة أضاف لفظها مُعرّبُ الإنجيل إلى النص. وحتى لو افترضنا أنّ هذه الكلمة بهذا المعنى كانت تستعمل عند النصارى العرب قبل الإسلام–وهو مستبعد[321]–، فإنّ إضافة هذه الكلمة —مع ذلك–إلى أصل النص يرجّح

---

[319] انظر في البشيطا: متى ١٠/٣٣؛ ١٦/٢٤؛ ٢٦/٣٤، ٧٠،٣٥، ٧٢، ٧٥؛ مرقس ٨/٣٤، ١٤/ ٣٠، ٣١، ٦٨ ، ٧٠، ٧٢؛ لوقا ٨/٤٥، ٩/٢٣، ١٢/٩، ٢٢/٣٤، ٥٧ ، ٦١؛ يوحنا ١/٢٠؛ ١٣/٣٨؛ ١٨/٢٥، ٢٧؛ أعمال الرسل ٣/١٣، ١٤؛ ٤/١٦؛ ٧/٣٥؛ ١تيموثاوس ٥/٨؛ ٢تيموثاوس ٢/١٢، ١٣؛ ٣/٢؛ العبرانيين ١١/٢٤؛ تيطس ١/١٦؛ ٢/١٢؛ ٢بطرس ٢/١؛ ١يوحنا ٢/٢٢، ٢٣، يهوذا ٤ ؛ الرؤيا ٢/١٣؛ ٣/٨ (The Way International research team, ed. *The Concordance to the Peshitta version : of the Aramaic New Testament*, Ohio : American Christian Press, ١٩٨٥, p.١٧٦)

[320] الجزء الذي يضم هذا المقطع في المخطوطة الكورتونية مفقود.

[321] «قال «الشافعي» (١٥٠هـ، ٢٠٤هـ/٧٦٦م–٨٢٠م) فيما يفعله الأعاجم من صبّ الراوق في أذنه وأنفه، ووضع المرتك على مفاصله والتابوت وغيره: ولست أحب هذا ولا شيئًا منه، ولكن يصنع به ما يصنع أهل الإسلام؛

أصلها الإسلامي؛ لأنّها سنّة أكّد عليها الرسول ﷺ **بهذا الاسم بعينه**، وقد كان يكفي المعرّب لو لم يكن في بيئة إسلاميّة أن يقتصر على عبارة (الطيب) الواردة أصلاً في النص!

٢٧-**افتح لنا باب رحمتك**: متى ١١/٢٥: «وقلن يا ربنا يا ربنا افتح لنا **باب رحمتك**»، النص اليوناني وترجمة البشيطا والمخطوطة السينائية[٣٢٢] ومخطوطة سيناء العربيّة ٧٢، جاء فيها كلّها: «افتح لنا»؛ فمن أين جاءت الزيادة إلا أن تكون بالدعاء المشهور الوارد في السنة والذي يتكرر على المنابر: «اللهم افتح لنا أبواب رحمتك»؟!

بالإضافة إلى الألفاظ السابقة، وردت ألفاظ أخرى في نص المخطوطة ذات أصل إسلامي جليّ، وقد وضعها القس «قشوع» بين معقوفين لأنه شاك في قراءته لها؛ ومنها:

٢٨-**اتقوا الله حق تقايته**: متى ٢١/٢٢: «فقالوا له لقيصر. قال لهم فأدوا الآن إلى قيصر جزيته [واتقوا الله حق تقايته]». نص «واتقوا الله حق تقايته» هو تغيير لما جاء في الأصل اليوناني والترجمات السريانيّة: «ما لله لله»، وهو ما ورد في مخطوطة سيناء العربية ٧٢ في صيغة: «والذي لله لله»؛ وأصل التعبير من المعجم الإسلامي؛ ونجد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣٢٣].

٢٩-**حصب جهنم**: متى ١٥/٢٣: «الويل لكم يا معشر الكتبة والأحبار المرايون الآخذون بالوجوه لأنكم تجولون البر والبحر لتجدوا لكم مولى [متمولًا] إليكم فإذا [تماولا] إليكم جعلتموه [خصب] جهنم ليضعفوا عليكم العذاب الأليم». الكلمة هي -**بداهة**- «حصب» لا «خصب»، وهي غير مبررة لغويًا إذ إنّ الأصل اليوناني والترجمات السريانيّة (البشيطا والكورتونية والسينائية) تستعمل هنا كلمة «ابن» «υιον» «ܒܪܐ»؛ ولذلك اختارت مخطوطة سيناء

الغسل، والكفن والحنوط والدفن...» (البيهقي، معرفة السنن والآثار، ت/ عبد المعطي قلعجي، القاهرة: دار الوعي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٥/٢١٧) .. الظاهر أنّ الأعاجم هنا هم النصارى.

[٣٢٢] النص مفقود من المخطوطة الكورتونية

[٣٢٣] آل عمران/ الآية (١٠٢)

العربيّة ٧٢ كلمة «بن» أي «ابن». عبارة «حصب[٣٢٤] جهنم» هي عبارة قرآنية خالصة؛ فقد وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٣٢٥]

٣. تكوير الشمس: متى ٢٩/٢٤: «في تلك الأيام تظلم الشمس [وتتكور/تتكود]»، مرقس ٢٤/١٣: «وفي تلكم الأيام بعد ذلك الضيق تظلم الشمس و[تتكور/تتكود] والقمر لا يظهر نوره...» .. لا ريب أنّ أصل هذه العبارة هو القرآن الكريم الذي يذكر أنّ من علامات الساعة؛ تكوير[٣٢٦] الشمس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[٣٢٧]. البشيطا والسينائية[٣٢٨] استعملتا كلمة «ܢܚܫܟ» (نِحشَك) «ستُظلِم»، أمّا مخطوطتنا فقد استعملت هذه الكلمة وأضافت عليها التعبير القرآني دون سند من الأصل اليوناني أو الترجمات السريانيّة، علمًا أنّ نص مخطوطة سيناء العربيّة ٧٢ يقول: «الشمس تظلم».

وأخيرًا، لا يسعني أن أتجاهل الاعتراف (الغريب) للقس «قشوع» في مقدمة أطروحته أنّه لم يعتنِ بالجانب اللغوي في المخطوطات العربية التي درسها -٢١٠ مخطوطة!- إلاّ في هذه المخطوطة (Vat. Ar. ١٣)[٣٢٩]!! فماذا يقال في القيمة العلميّة لعامة دراسته إذا كان هذا حال ما درس نصّه اللغوي؟!

---

[٣٢٤] أي وقود

[٣٢٥] سورة الأنبياء/ الآية (٩٨)

[٣٢٦] أي ذهاب ضوء الشمس

[٣٢٧] سورة التكوير/ الآية (١)

[٣٢٨] المقطع الذي يضم هذا النص في المخطوطة الكورتونية، مفقود.

[٣٢٩] انظر: Hikmat Kachouh, *The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families*, manuscript, ١/١٥

كما أنني (أعجب) من إصراره على القول إنّ نص هذه المخطوطة لم يكن متداولاً خارج البيئة النصرانيّة[330] .. فمن أين إذن التشابه، بل التطابق الحرفي حتى في الاصطلاحات السياسيّة بينه وبين المعجم الإسلامي.

ت–لغة نص المخطوطة لا تخلو من ركاكة وأخطاء نحوية كثيرة، وهو أمر يبعد أن يصدر عن نصارى العرب (في الحيرة أو في غيرها) وإنما هو أقرب إلى أن يصدر عن نصارى فتحَ المسلمون بلادهم؛ فكان اكتسابهم للسان العربي من البيئة المسلمة لا من الميراث المتلقى من آبائهم وأجدادهم.

ث–الدليل السلبي: من أهم الأدلة التي من الممكن أن نضيفها: (الدليل السلبي)؛ أي غياب علامات لغويّة قاطعة تدلّ بذاتها على بيئة نصرانية منقطعة الصلة بالإسلام بما يميّز ترجمتها عن بقيّة نصوص الترجمات العربيّة الأخرى المعروفة!

لم يكتفِ القس «قشوع» بما سبق من الاستدلالات وإنّما أضاف في آخر حديثه وفي أثناء جمعه لنتائج بحثه حول هذه المخطوطة (!) دليلاً جديدًا لصالح دعواه، أكّد به منهجه (المتكلّف) في استحضار مؤيّدات قوله، وزاد به دعواه وهاءً؛ فقد قال إنه إذا صحّت دعواه فإنه من المفترض أن تشابه عربيّة هذه المخطوطة عربيّة أهل الحيرة في القرن السادس، وأضاف أننا لا نملك وثائق لأهل الحيرة من ذاك الزمان، غير أنه عاد فقال في نفس الفقرة إننا نعرف نقشًا نصرانيًا عربيًا يعود إلى ما قبل الإسلام في دير من أديرة بلاد الحيرة، وقد جاء في هذا النقش: «بَنَت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك وأمُّ الملك عمرو بن المنذر أمَة المسيح وأمُّ عبده وبنت عبيده في ملك ملك الأملاك خسرو أنوشروان في زمن مار أفراييم الأسقف، فالإله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها إلى إقامة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر.». ثم شطّ فزعم أنّ عربيّة هذا النص «قريبة جدا من لغة» المخطوطة، وأنّ ذلك يجعل استنباطه أكثر حسمًا للأمر!![331]

وبين يديك المقارنة التي أجراها بين نص هذا النقش وموضعين اختارهما بعناية من المخطوطة:

---

[330] انظر المصدر السابق، ١/١٦٥

[331] انظر المصدر السابق، ١/١٦٧

متى ٣١/١٢: «ولذلك أقول لكم إنّ كل خطيّة وافترى يغفر للناس بعد توبتهم فأما الافترى على روح القدس لا يغفر للناس أبد الدهر.»

متى ١٨/١٦: «وأنا أقول لك أيضًا إنك أنت الصفا وعلى هذه الصفاه أبني بيعتي وأبواب الجدث لن تقهرها»

-«بنت هذ البيعة» .. «أبني هذه البيعة»

-«يغفر خطيئتها» ... «كل خطية ... يغفر»

-«الدهر الداهر» ... «أبد الدهر»

-تكررت الأفعال «رحم» و«قبل» و«أقام» في النصين.

-استعملت كلمة «قوم» مكان «شعب» و«جمع» في النقش، وتكررت هذه الكلمة في المخطوطة.

قلت:

-١- هذه انتقائية للكلمات.

-٢- هذه الكلمات مألوفة في اللسان العربي على مدى قرون بعد البعثة النبويّة، بما فيها كلمت «بيعة» التي وردت في قوله تعالى: ﴿**الذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ إلا أَن يَقُولوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْض لهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذكرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللهَ لقوِيٌّ عَزِيز**﴾[٣٣٢] ، إلاّ عبارة «الدهر الداهر» التي تختلف —أصلاً- عن «أبد الدهر».

-٣- سيظن القارئ لما كتبه «القس» أنه كان ينقل من نقش محفوظ إلى هذا اليوم، في حين أنّ الحقيقة هي أنه كان ينقل كلامًا عن «معجم البلدان» «لياقوت الحموي»[٣٣٣] المتوفى في القرن الثالث عشر ميلاديًا، أي أنّه بين هذا الكاتب والزمن المتحدث عنه **سبعة قرون**؛ علمًا أنّ

---

[٣٣٢] سورة الحج/ الآية (٤٠)

[٣٣٣] أحال في الهامش إلى هذا الكتاب لكنه لم يبيّن أنه كتاب يسير على منهج الأخباريين في مثل هذه المواضع، علمًا أنّ المشرف على الرسالة لا علاقة له البتة بالدراسات العربيّة أو العلوم الإسلاميّة؛ ولذلك فترك بيان طبيعة المرجع المحال إليه هو من التدليس العلمي.

«ياقوت الحموي» قد صدّر نقله لنص النقش في كتابه «معجم البلدان» بقوله في مفتتح مقال: «دير هند الكبرى»: «وهو أيضا بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي، وكان في صدره مكتوب:...»[٣٣٤] .. فهو ينقل الكلام بلا إسناد، وبلا رؤية ومعاينة؛ وإنما هو خبر معلّق لا نعرف أصله: «كان في صدره مكتوب»!!

خلاصة القول في دعوى القس (قشوع):

(أولا) هذا الباحث غير متمرّس بأدوات النقد النصي وأساليبه ليطرق موضوعًا بهذه السعة وهذا التعقيد.[٣٣٥]

(ثانيا) الثقافة الإسلامية لهذا الباحث ضعيفة جدًا؛ مما منعه من اكتشاف الصلة الوثيقة بين معرّب هذا الإنجيل والبيئة الإسلاميّة التي اكتنفته من كل جهة.

(ثالثا) معرفته باللغة العربيّة متواضعة جدًا؛ مما يجعل تأريخه تعريب نص المخطوطة في القرن السادس أو بداية السابع غير معتبر ابتداءً!

(رابعا) استدلّ بما ليس بحجة في ذاته لرد النص إلى زمن البعثة النبوية أو ما قبلها.

(رابعا) أخطأ المنهج في التعامل مع صلة البناء اللفظي لهذه الترجمة بالمعجم الإسلامي.

(خامسا) انكشاف محاولة هذا الباحث الهروب من العناصر الإسلامية التي تبدّت له من معجم ألفاظ هذه الترجمة؛ بتأويلات بعيدة.

(سادسا) نُسِخت المخطوطة (Vat. Ar. ١٣) في القرن التاسع ميلاديًا، وعُرِّب نصها بعد البعثة النبويّة بدلالة معجمها اللفظي المتأثّر بالبيئة الإسلاميّة: المعجم القرآني والحديثي والمصطلحات السياسيّة في الدولتين الأمويّة والعباسيّة...؛ **فلا يثبت إذن عندها وجود ترجمة عربيّة قبل البعثة النبويّة.**

---

[٣٣٤] ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ٥٤٢/٢

[٣٣٥] لم أسلب هذا الباحث كل فضيلة علميّة (!) فإنّ له مقالات علميّة في النقد النصي كتبها ونشرها أثناء إعداده للأطروحة، فيها فوائد وجهد لا ينكران؛ لكنّ ذلك لا يرتقي به إلى أن يفلح في موضوع هذه الأطروحة الذي يحتاج ملكات أعظم، وأدوات أكثر، وخبرة أطول...

وأخيرًا .. من العسير أن يغمض الناظر عينيه عن الخلفية النصرانية المشرقية لهذا الباحث وهو يطالع نتائج دراسته و(طفرات شطحاته)؛ وهو للأسف الشديد –داء عضال– متمكن من نصارى الشرق العربي حيث ينزعهم عرق دسّ الشبهات إلى إفساد أبحاثهم (العلميّة)![٣٣٦]

---

[٣٣٦] قد يصل الأمر إلى مستوى متدن جدًا من (الرداءة) في كتابات النصارى المشرقيين؛ فأنت تقرأ المحاولة المستميتة للأب الدكتور «بولس الفغالي» إثبات أنّ الكتاب المقدس قد عرّب قبل الإسلام، لكنك–وأنت تقرأ كلامه– ستقسم (بالأيمان المغلّظة) أنه لم يبحث في الموضوع ساعة من نهار، وإنما كان يعرّب نصًا أمامه؛ فقد قال: «كيف نتصوّر هذا الحضور المسيحي دون النصوص البيبلية؟ يقول التقليد إنّ القس ورقة بن نوفل نقل الكتاب المقدّس إلى العربية. وفي سنة ٦٣١، دعا الأسقف اليعقوبي يوحنا الثالث الأنطاكي علماء من قبائل طيء وتنوخ وعقيل فترجموا الأناجيل بناء على طلب عمير بن سعد أمير الجزيرة. ضاع النص، ولكن بقيت منه مقاطع في كتاب علي بن ربان الفيلسوف النسطوري (٧٨٠– ٧٢٣).» (بولس الفغالي، المدخل إلى الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية)!! الحديث لم يقل إنّ «ورقة بن نوفل» قد نقل «الكتاب المقدس» إلى العربيّة وإنما تحدث عن (ترجمة؟ نَسخ؟) شيء من (الإنجيل) إلى (العبرية؟ العربية؟).. والأمير هو «عمرو» وليس «عمير» .. ولا توجد البتة أية حجة على صلة هذه الترجمة المدعاة بكتاب «الدين والدولة» «لعلي بن ربن الطبري» الذي كتبه هذا القسيس «ربان»، والذي هو رجل مسلم مهتد من النصرانية وليس نصرانيًا، كما أنه طبيب له شيء من الاشتغال بالفلسفة وليس فيلسوفًا!!

هل اطلع الرسول ﷺ على الكتب الدينية اليهودية والنصرانية؟

نزعت الدراسات الاستشراقيّة -خاصة ذات النزعة التنصيريّة- منذ القرن التاسع عشر إلى الخروج عن النمط القديم في ردّ القرآن مصدريًا إلى الكتاب المقدس، وذلك بردّه إلى الكتب الدينيّة للطوائف المهرطقة أو الكتابات الدينية التفسيريّة التي يغلب عليها الطابع الخرافي. وقد سيطر هذا المسلك النقدي على الكتابات الاستشراقيّة مدة من الزمن، ثم تقلّص لصالح قراءات أخرى، لكنّه لا يزال بارزًا في الكتابات التنصيريّة ذات النكهة الكلاسيكيّة حيث يتمّ التركيز على تضخيم كم الشبهات وإشغال المسلمين باعتراضات عديدة متعلّقة بالتفاصيل القرآنيّة ..

وسنعرض هنا إلى المصادر التي ادّعاها المنصّرون وتقليديو المستشرقين، مراعين ما توصّلت إليه آخر الأبحاث الأكاديميّة المعتبرة في الغرب ذاته عن زمن تأليف هذه الكتب، في إطار رؤية معتدلة لواقع الكيانات الدينيّة وأسفارها المقدّسة في القرون الميلاديّة الأولى:

الكتابات الدينية اليهودية:

لما أراد المنصّرون وعامة المستشرقين تضخيم رصيدهم من الأدلّة على بشريّة القرآن، التفتوا إلى الكتابات اليهوديّة الضخمة المتاحة منذ قرون للنظر في ما فيها من تفاصيل موافقة لما جاء في القرآن الكريم.

وقد فتح لهم كتاب الحبر اليهودي «جايجر» الطريق واسعًا للتأكيد على الاقتباس القرآني من الأدبيات اليهوديّة المتأخّرة. وقد هدم «جايجر» صدق ادعائه قبل أن يبدأ في سرد الاقتباسات المدّعاة؛ إذ إنّه قد نسب الرسول ﷺ إلى (الجهل) وعدم المعرفة، ونفى عنه بذلك الاطلاع على الأسفار اليهودية الكثيرة والضخمة حجمًا، لكنّه زعم رغم ذلك أنّ الرسول ﷺ قد علم مضمونها من خلال ما شاع على ألسنة اليهود في بيئته[٣٣٧]، وهذا زعم متهافت، عليه ملاحظات، منها:

---

[٣٣٧] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, pp. ١٩-٢١

أولاً: الجمع بين نفْي اطلاع الرسول ﷺ على **الأسفار اليهوديّة غير المقدسة** -وقد أوردها «جايجر» بعد ذلك، تفصيلًا-، والزعْم أنّ الرسول ﷺ قد أحاط بما فيها من عقائد وشرائع وقصص من خلال ما سمعه من اليهود، لا يستقيم عقلًا؛ إذ إنّ العلوم مهما كانت سهلة؛ لا تؤخذ بهذا الطريق؛ فالسماع لا يورث معرفة! فكيف إذا كانت هذه المعرفة بهذا التنوع والسعة والعمق؟!

ثانيا: قال «جايجر» إنّ الرسول ﷺ لم يطّلع البتة على **الأسفار اليهوديّة المقدّسة** (التناخ)[٣٣٨][٣٣٩]؛ وهو ما يعني أنّه ﷺ قد أحاط بما فيها من خلال السماع العارض من اليهود!! وهذا منتهى التكلّف للدعوى!

ثالثا: إذا كان الأمر بهذا اليسر؛ فلمَ لم يَظهر في العرب من يحمل هذا العلم الكتابي الواسع غير محمد ﷺ؟! ولِم اتخذ محمد ﷺ من التفاصيل الغيبيّة عن أخبار أهل الكتاب حجّة لربّانيّة القرآن الكريم؟! ولِم تجرّأ اليهود أنفسهم على امتحانه أكثر من مرة في أمر أخبار الأوّلين إن كانت هذه المعرفة مشاعة ومن السهل أن يحيط بها السامع غير الدارس؟!

رابعًا: من المقطوع به أنّ اليهود في الجزيرة العربيّة زمن البعثة النبويّة، بل في جميع عصورهم السابقة، كانوا طائفة دينيّة منغلقة على نفسها؛ فكيف أخذ عنها محمد ﷺ علم الكتب المقدسة وغير المقدسة، وهي على هذه الحال؟!

خامسا: الأسفار التي ادّعى «جايجر» أنّها مصدر القرآن الكريم، لا يعرف أخبارها إلاّ **خاصة** اليهود؛ فكيف يكون **عامة** اليهود الذين لم يدرسوا دينهم، مصدر علم لغيرهم؟!

---

[٣٣٨] التناخ: مجموعة الأسفار اليهوديّة المقدّسة التي يسميها النصارى: العهد القديم

[٣٣٩] انظر؛ المصدر السابق، ص ١٧-١٩

سادسا: أقرّ «جايجر» نفسه أنّ معرفة يهود الجزيرة العربيّة (ولم يستثن كبراءهم) باليهوديّة ضعيفة .. فإذا كان الخاصة من اليهود لا يعرفون دقائق دينهم؛ فأنّى للعامة أن يحيطوا بهذه الدقائق علمًا!![٣٤٠]

لقد سيطرت الرغبة في إدانة الرسول ﷺ على «جايجر» حتّى إنّه قد زعم أنّ التشابه بين القرآن الكريم والأسفار اليهوديّة سببه رغبة الرسول ﷺ في استمالة اليهود[٣٤١]، رغم أنّ الأمر أوضح من أن يجادل فيه ممار؛ وهو أنّ عامة الخبر الديني الذي جاء في القرآن الكريم، قد أبلغه أنبياء بني إسرائيل قومهم على مدى قرون طويلة، وأنّ الإسلام مؤكد له، لا غير!

وقد تميّز طرح «جايجر» –بالإضافة إلى ما سبق– بطابعين آخرين، وهما: (١) التكلّف في ادّعاء التشابه، (٢) وإهمال النظر في زمن تأليف هذه المصادر المدّعاة ..

وسيكون تركيزنا في النظر التفصيلي على أهمّ هذه الاقتباسات المزعومة التي بسقوطها تسقط الشبهات الأدنى.[٣٤٢]

---

[٣٤٠] انظر؛ المصدر السابق، ص ١٨

[٣٤١] انظر؛ المصدر السابق، ص ٢٥

[٣٤٢] سنذكر المصادر اليهوديّة المدّعاة من طرف «جايجر» .. وهناك مصدر يهودي قد أشار إليه بعض المنصّرين لن نعرض إليه في المتن، وهو: «الزوهر» «**זהר**» ، والسبب هو: (١) هذا المصدر مهمل تمامًا من المستشرقين القائلين بمصدريّة التراث اليهودي للقرآن الكريم. (٢) **أجمعت** المراجع العلميّة المعتبرة على أنّ هذا الكتاب منحول، قد نسب زورًا إلى الحبر «شمعون بن يوحاي» «**שמעון בר יוחאי**» من القرن الثاني ميلاديًّا، في حين أنّه قد كتب على الحقيقة في الأندلس في القرن الثالث عشر ميلاديًّا. (انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, Detroit: Thomson Gale, ٢٠٠٦, ٢nd edition, ٢١/٦٥٧-٦٥٨)

الأسفار المزعومة:

○ فرقي دي ربي إليعازر פרקי דרבי אליעזר[٣٤٣]:

يعتبر كتاب الحبر اليهودي «جايجر» : « *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*» من أشهر المؤلّفات التي نشرت في الكتابات التنصيريّة دعوى الاقتباس القرآني من كتاب «فرقي دي ربي إليعازر» .. وقد قدّم «جايجر» تفاصيل أريد منها إثبات دعوى الاقتباس: تفاصيل من **قصة** «**قابيل**» و«**هابيل**»، **والعجل الذهبي، ويد** «**موسى**» **التي بها برص، وتوبة فرعون، وإسلام** «**إبراهيم**» **وفدائه** ...، ولكنّ النظر في تاريخ هذا السفر الديني اليهودي يغني عن تتبع هذه الموافقات المدّعاة لنقض دلالتها على الاقتباس المزعوم.

لقد قاد النظر التشريحي لهذا السفر، النقّادَ إلى نسبته إلى ما بعد ظهور الإسلام، لأسباب عديدة؛ منها ورود ذكر أسماء شخصيات إسلاميّة فيه، وذكره «لقبّة الصخرة» في فلسطين، وحديثه عن الفتوحات الإسلاميّة، ورمزه (الجلي) إلى المسلمين من خلال حديثه عن (بني إسماعيل)، ووصمهم بالأوصاف البشعة، على خلاف أسفار العهد القديم[٣٤٤] والمدراشات السابقة التي لم تضعهم في بؤرة اهتمامها السردي أو العقدي، وتفسيره الطريف لمعنى كلمة «إسماعيل» «**ישמעאל**» (يشماعيل)[٣٤٥]؛ إذ هي تعني –كما هو في هذا السفر– أنّ الربّ سيسمع ما سيفعله الإسماعيليون ببني إسرائيل!! كما أنّ تصوير الإسماعيليين على أنهم أشدّ

---

[٣٤٣] لم نضع هذا السفر ضمن (المدراشات) التي سنناقشها لاحقًا؛ لتميّزه المنهجي عن الشكل التكويني (للمدراش).

[٣٤٤] ورد ذكر الإسماعيليين في العهد القديم، في خمسة سياقات فقط، كلّها هامشيّة.

[٣٤٥] معنى الاسم هو «سَمِعَ إيل» أي سمع الله «إيل» دعاء «إبراهيم» ليكون له ولد.

أعداء الإسرائيليين، لا يمكن أن يفهم إلاّ على أن الكاتب يتحدّث بمنطق المبغض للفتوحات الإسلاميّة، إذ لم يكن للإسماعيليين حضور في تاريخ العداوات البارزة لليهود![٣٤٦]

وقد أثبتت المقارنات المباشرة والدراسات الفيلولوجيّة اقتباس مؤلّف هذا السفر من القرآن الكريم والتراث الإسلامي.[٣٤٧]

ولعلّنا نسوق هنا شهادات كبرى المراجع العلميّة الغربيّة المتخصصّة، وعدد من الكتاب الغربيين؛ حتى لا نُرمى بالتكلّف بالدعوى لدفع الشبهة عن الإسلام:

- تقول الموسوعة اليهوديّة «*The Jewish Encyclopedia*»: «كان جوست أوّل من أشار إلى أن المؤلّف قد لمح بصورة مميّزة في آخر الفصل الثالث عشر إلى المراحل الثلاث للغزو المحمدي، في البلاد العربيّة (**משא בערב**)، وإسبانيا (**אִיֵּי הים**)، وروما (**כרך גדול רומי**: ٨٣٠م)، ووجد اسم فاطمة وعائشة بجانب إسماعيل؛ مما يقود إلى القول إنّ **الكتاب يعود إلى الزمن الذي كان فيه الإسلام مسيطرًا على الأناضول**. كما أنّه قد جاءت الإشارة في الفصل السادس والثلاثين إلى أخوين يحكمان بصورة متتالية، ثم يأتي بعدهما المسيح. من الممكن أن ينسب هذا الكتاب إلى **بداية القرن التاسع**؛ لأنه في ذاك الوقت كان ابنا هارون الرشيد: الأمين والمأمون يحكمان المملكة الإسلاميّة...

لا يمكن البتّة أن تصحّ نسبة هذا الكتاب إلى الحبر إليعازر (٨٠م–١١٨م)؛ إذ إنّ هذا الحبر كان من «التانا»[٣٤٨]، في حين أنّ هذا الكتاب فيه اقتباس عن فرقي

---

[٣٤٦] انظر؛ Carol Bakhos, *Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first* Arab, SUNY Press, ٢٠٠٦ ,pp. ٩٦-١٢٣

[٣٤٧] انظر شهادات النقاد وتحليلاتهم لزيارة «إبراهيم» «لإسماعيل» عليهما السلام في هذا السفر مقارنة بالتراث الإسلامي؛ Carol Bakhos, '*Abraham Visits Ishmael: a revisit*,' in *Journal for the Study of Judaism 38 (2007) 553-580*

أفوت[٣٤٩]. المراجع التلموديّة المتأخّرة التي تعود إلى القرن الثالث ك«شمعيا» (الفصل ٢٣)، و««زيرا» (الفصل ٢١، ٢٩)، و«شيلا» (الفصل ٤٢، ٤٤)، قد اقتُبست هي أيضًا.»[٣٥٠]

وكانت هذه الموسوعة قد بدأت حديثها عن هذا السفر بقولها: «عمل أجادي[٣٥١]–مدراشي لسفر التكوين، وسفر الخروج، ومواضع قليلة من سفر العدد. نُسب إلى إليعازر ب. هايركانوس» وأضافت أنّه ألّف «**بعد فترة قصيرة من سنة ٨٣٣م.**»[٣٥٢]

- تقول الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*»: «عمل أجادي يعود إلى **القرن الثامن ميلاديًّا** ... مُلئ الكتاب بالأعراف التشريعيّة الموجودة في أرض إسرائيل في بداية الفترة الجيونيّة[٣٥٣]. وهو يضمّ **أساطير عربيّة،** ووصفًا مميّزًا **للحكم الإسلامي الأموي،** ويؤمّل سقوط هذا الخليفة (الأموي) كفأل لنهاية السبي. تثبت كلّ هذه العلامات أنّ هذا الكتاب قد ألّف في أرض إسرائيل أثناء النصف الأوّل من القرن الثامن، مباشرة قبل سقوط الحكم الأموي، وقبل ظهور الحكم العباسي.»[٣٥٤]

---

[٣٤٨] تانا **תנא**: جمعه «تنايم» «**תנאים**»، وهم الأحبار الحكماء (من ٧٠م إلى ٢٠٠م) الذين دوّنت أقوالهم في المشناه.

[٣٤٩] فرقي أفوت **פרקי אבות**: مجموعة التعاليم الأخلاقيّة والحكم التي صدرت عن الأحبار في المرحلة المشنويّة.

[٣٥٠] *The Jewish Encyclopedia*, Ktav, ١٩٢٥, ١٠/٥٩

[٣٥١] أجاده: من الآراميّة (**אגדה**). الأدبيات اليهوديّة غير التشريعيّة التي تشمل أساسًا الجانب القصصي والأخلاقي والحِكمي ... وتسمّى الأدبيات التشريعيّة في المقابل: «هلاخاه» «**הלכה**».

[٣٥٢] المصدر السابق، ١٠/٥٨

[٣٥٣] الفترة الجيونيّة *Geonic period*: فترة تمتد من ٦٩٠م إلى القرن الحادي عشر.

[٣٥٤] *Encyclopaedia Judaica*, ١٦/١٨٢

- تقول الموسوعة اليهوديّة «The Universal Jewish Encyclopsedia»: «**جلّ النقّاد يتّفقون مع نظرة «ليبولد زونز» أنّ هذا العمل لم يؤلّف قبل القرن الثامن.**»[355]

- جاء في معجم الديانة اليهوديّة « The Oxford Dictionary of the Jewish Religion»: «حُدّد تاريخ تأليف جلّ الكتاب على أنّه القرن الثامن ... **ذَكَرَ خرافات عربيّة** ووصفًا مميّزًا للحكم الإسلامي الأموي، مؤمّلًا سقوطه، معتبرًا ذلك فألًا لنهاية السبي. يذكر العديد من الأعراف التشريعيّة الموجودة في أرض إسرائيل في بداية الفترة الجيونيّة. يثبت هذا الأمر أنّ هذا الكتاب فلسطيني النشأة وأنّه يعود إلى النصف الأوّل من القرن الثامن، مباشرة قبل سقوط الدولة الأمويّة وقبل صعود الدولة العباسيّة.»[356]

- أهمّ بحث علمي في المكتبة الغربيّة حول هذا السفر هو ما كتبه الناقد «ليوبولد زونز» «Leopold Zunz»[357] في كتابه « Die Gottesdienstliche Vorträge der Juden historish entwickelt»، وقد قرّر فيه أنّ هذا السفر قد ألّف في الفترة (الجيونية)، في القرن الثامن، ومما استدلّ به:
  - تآلفه مع الشكل المتأخّر للعبريّة.
  - اقتباسه من المدراشات المتأخّرة.

---

[355] The Universal Jewish Encyclopedia, New York: University Jewish Encyclopedia, ١٩٤٢, ٨/٥٤١

[356] R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. The Oxford Dictionary of the Jewish Religion, New York: Oxford University Press, 1997, p.٥٣٤

[357] ليوبولد زونز (١٧٩٤م- ١٨٨٦م): حبر من اليهود الإصلاحيين. مؤسس ما عرف باسم «علم اليهوديّة» «Wissenschaft des Judentums» المتعلّق باستعمال المناهج العلميّة لدراسة جذور التراث اليهودي.

- خلطه في ما هو متعلّق بشخصيات كبار الأحبار وزمنهم.
- **إحالاته إلى الإسلام والغزو الإسلامي**.[٣٥٨]

- جاء في كتاب «مدخل إلى التلمود والمدراش» «*Introduction to the Talmud and Midrash*» –وهو من أهم المراجع الأكاديميّة الأحدث في هذا الباب– : «يبدو أنّ هذا العمل يعود إلى **القرن الثامن أو التاسع**. وقد أشار بصورة متكرّرة إلى الحكم العربي، خاصة في القصص المتعلّقة بإسماعيل الذي يذكر أنّ زوجتيه اسمهما: عائشة وفاطمة (الفصل ٣٠). وقد جاء في نفس الفصل ذكر قبّة الصخرة في أرض الهيكل ...»[٣٥٩]
- ذهب «جون س. ريفز» «John C. Reeves»[٣٦٠] إلى أنّ هذا السفر قد ألّف في القرن الثامن أو التاسع[٣٦١]، وأنّه يتضمن نصوصًا جدليّة متعلّقة «بادعاءات الإسلام والسلطان السياسي» –كما هو الأمر أيضًا في ترجوم[٣٦٢] يوناثان المنحول –[٣٦٣]، وأنّ فيه حديثًا عن توقّع زوال سلطان المسلمين والنصارى على

---

[٣٥٨] انظر؛ Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, Berlin: Walter de Gruyter, ٢٠٠٩, p.٣

[٣٥٩] H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash*, tr. Markus Bockmuehl, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٦, p. ٣٢٩

[٣٦٠] جون س. ريفز: أستاذ الدراسات اليهوديّة في جامعة نورث كارولاينا.

[٣٦١] انظر؛ John C. Reeves, *Trajectories in Near Eastern apocalyptic: a postrabbinic Jewish apocalypse reader*, Atlanta: Society of Biblical Literature, ٢٠٠٥, p.٦٧

[٣٦٢] الترجوم **תרגום** : لغة: ترجمة. اصطلاحًا: الترجمة الآراميّة للتناخ (العهد القديم). وقد امتد إنجازها قرونًا.

[٣٦٣] انظر المصدر السابق، ص٦٨

اليهود، بقوة الله؛ إذ يُرمز في الأدبيات اليهوديّة إلى (روما) والنصارى بـ«عيسو» ونسله، كما يُرمز إلى المسلمين بـ«إسماعيل» ونسله؛ فقد جاء في هذا السفر هذا النص: «... القدّوس، تبارك، سيدمّر بني عيسو، لأنّهم أعداء بني إسرائيل، وكذلك الأمر سيكون مع بني إسماعيل، لأنهم خصوم. أكدت الأسفار أنّه: «سترفع يدك على أعدائك، سيباد جميع أعداؤك. (ميخا ٥/٨)» «**...עתיד הקבייה להשמיד לבני עשו שהם צריו לבני ישראל ובן לבני ישמעאל שהן אויבין שנאמר תרום ידך על צריך וכל אויביך יכרתו**»[٣٦٤] !!

- اعترفت «ليغ ن. ب. شبمان» «Leigh N. B. Chipman»[٣٦٥] **المهتمة بموضوع الأصول اليهوديّة للقصص القرآني** (!)، بأنّ هذا السفر قد أُلّف في **القرن الثامن أو التاسع**، وقد ذكرت أنّ فيه إشارات كثيرة إلى الحكم الإسلامي.[٣٦٦]

- بعدما أشار «روفن فايرستون» –في كتابه «مدخل إلى الإسلام، لليهود» الذي خصّصه لتقديم الإسلام لبني عقيدته– إلى استعمال المؤرّخين المسلمين لمصادر يهوديّة لتفصيل ما أجمله القرآن الكريم، أضاف: «وفي أخرى، يبدو أنّ **المصادر اليهوديّة المتأخّرة أخذت بعض معلوماتها من المصادر الإسلاميّة.** مثال مشهور جدًا على هذا الأمر هو مدراش يُدعى «فرقي دي ربي إليعازر»

---

[٣٦٤] انظر المصدر السابق

[٣٦٥] ليغ ن. ب. شبمان: أستاذ في الجامعة العبريّة في القدس.

[٣٦٦] انظر؛ Leigh N. B. Chipman, *Adam and the Angels: An Examination of Mythic Elements in Islamic Sources* , in *Arabica*, T. ٤٩, Fasc. ٤ (Oct., ٢٠٠٢), p. ٤٣٢

(الفصل ٣٠)، حيث لإسماعيل زوجتان تحملان اسم زوجة محمد، عائشة، واسم ابنته، فاطمة.»[٣٦٧]

- قال «بيير بريجون» «*Pierre Prigent*»: «يمكن تحديد تاريخ تحريره في **القرن التاسع**.»[٣٦٨]

- قال «دافيد م. جولدنبرج» «David M. Goldenberg»: «قُدِّر تاريخ التحرير بين القرن الثامن والقرن التاسع، ومكانه فلسطين. مَدَّ «م. بيرز فرنانديز» هذا التاريخ بين القرن السابع والقرن التاسع.»[٣٦٩]

ومما يزيد في تأكيد تأخّر كتابة هذا السفر إلى ما بعد بعثة الرسول ﷺ، هو أنّ أول إشارة تاريخيّة[٣٧٠] إلى هذا السفر كانت من العالم التلمودي «Pirkoi ben Bavoi» في القرن التاسع![٣٧١]

---

[٣٦٧] Reuven Firestone, *An Introduction to Islam for Jews*, Philadelphia: Jewish Publication Society, ٢٠٠٨, p.١٩

[٣٦٨] Pierre Prigent, *L'image dans le judaïsme du IIe au VIe siècles*, Labor et Fides, ١٩٩١ , p. ١٣٢

[٣٦٩] David M. Goldenberg, *The Curse of Ham: race and slavery in early judaism, christianity, and islam*, Princeton University Press, ٢٠٠٣ , pp.٣٨٦-٣٨٧

[٣٧٠] هذا ما ذكرته بعض المراجع العلميّة متأثّرة بما قرّره «لويس جنزبرغ» «Louis Ginzberg» في كتابه «*Ginzei Schechter*» (١٩٢٤م)، وقد اعتُرِض على هذا القول بأنّ المادة مشتركة بين « Pirkoi ben Bavoi» وبين التلمود البابلي، وليست هناك إحالة صريحة إلى سفرٍ للربي إليعازر، ورجّح «فينسنجر» «Finesinger» أنّ أوّل إشارة حقيقيّة صريحة إلى سفر «فرقي دي ربي إليعازر» قد وردت في « *Seder of R. Amram*» الذي ألّفه «عمرام جاون» «עמרם גאון» المتوفى سنة ٨٧٥م (انظر؛ Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, p.٢)

ومن الطريف هنا أن نذكر أنّ «جايجر» ذاته قد صرّح في مقدمة كتابه: «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة؟» أنّه لن يعتمد غير الكتب التي أُلّفت قبل ظهور القرآن، إلاّ أنّه وفي نفس الفقرة أضاف أنّ سفر «فرقي دي ربّي إليعازر» «عمره غير معروف على التدقيق»!![٣٧٢]

والأمر فيما يبدو من خلال ملاحظة مجموع منهج الرجل وأسلوبه في الاستنباط؛ خيانة علميّة نابعة من معرفته بدلائل علميّة ومنطقيّة أنّ هذا السفر متأخّر عن (ظهور) القرآن الكريم، ولذلك فقد حاول أن يتترّس بشيء من التواضع العلمي بدعوى عدم المعرفة بتاريخ هذا السفر، لكنّه عاد وبنى أهم مادة كتابه (التشابه في القصص) على هذا السفر المتأخّر عن بعثة الرسولﷺ.

ويحسن في الآخر أن ننقل ما قاله الناقد «نورمان أ. ستيلمان» «Norman A. Stillman» في مقاله الذي خصّه للحديث عن قصّة ابني «آدم» في القرآن الكريم والكتابات اليهوديّة: «كُتِب الكثير حول العناصر اليهوديّة–المسيحيّة في الإسلام وأسفاره منذ كتاب أبراهام جايجر: «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة؟» الذي ظهر أوّل مرّة سنة ١٨٣٣م. أحدث كتاب «جايجر» أثرًا كبيرًا في زمانه، رغم أنّه قد سعى إلى تقديم نظرة **مبالغ فيها حول مساهمة اليهوديّة في صياغة القرآن**. العديد من مصادر التراث التي ذكرها هي من المسيحيّة الشرقيّة والأدبيات التلموديّة والأجاديّة. **تأريخنا الحالي للأدبيات العبريّة المتأخرة أفضل مما كان في زمن** «**جايجر**»، وقد نُشِرت العديد من النصوص الأخرى–إسلاميّة ويهوديّة ومسيحيّة– منذ صدور كتابه. بإمكاننا أن نقرّر اليوم في ضوء ذلك أنّه في بعض الأحيان التي كنّا نعتقد فيها

---

[٣٧١] انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, ١٩٧١, Volume ١٣, *Encyclopaedia Judaica Jerusalem*, col. ٥٥٩ (Quoted by, M S M Saifullah and Abdullah David, *On Pirke De-Rabbi Eli`ezer As One Of The Sources Of The Qur'an)*

[٣٧٢] A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. viii

وجود تأثير أجادي على النصّ الإسلامي؛ تبيّن لنا أنّ **العكس هو الأرجح**. يبدو أن فرقي دي ربي إليعازر كمثال، قد حرّر بعد ظهور الإسلام.»[٣٧٣]

ملحوظة: ثبت أنّ هذا السفر المنحول[٣٧٤] الذي ألّفه يهودي من فلسطين[٣٧٥] زمن الحكم الإسلامي لفلسطين، قد استعمل كتابات الأحبار التنايم والتلمود الأورشليمي والبابلي والترجوم الآرامي[٣٧٦]، وهي كلّها سابقة لظهور الإسلام، لكننا لا نجد له في الموافقات المدعاة بينه وبين ما جاء في القرآن الكريم، سلف يهودي له؛ مما يدلّ قطعًا على أنّ القرآن الكريم هو مصدر هذا السفر لا العكس؛ إذ إنّ تفرّده بعدد كبير من هذه التشابهات مع تأخّره الزمني، لا يمكن أن يعزى إلى غير النقل عن القرآن الكريم.

لقد قاد يقين كبار النقّاد —كـ«ليوبولد زونز» «Leopold Zunz» و«برنارد هلر» « Bernard Heller» و«جوزيف هينمان» «Joseph Heinemann» و«روفن فايرستون» « Reuven Firestone» و«أفيفا شوسمان» «Aviva Schussman» في أنّ هذا السفر قد أُلّف بعد ظهور الإسلام في قرونه الأولى، إلى استعماله كوسيلة لمعرفة النظرة اليهوديّة إلى الإسلام في القرون الأولى له، وطبيعة النمط السجالي في هذه الفترة بين أتباع الديانتين![٣٧٧]

---

٣٧٣ N. A. Stillman, "*The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations*", *Journal Of Semitic Studies*, ١٩٧٤, V. ١٩ , p.٢٣١

٣٧٤ أي المنسوب إلى غير المؤلّف المدعى له رسميًا.

٣٧٥ انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, ١٠/٥٩

٣٧٦ انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, ١٦/١٨٢

٣٧٧ انظر؛ Steven Daniel Sacks, *Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture*, p.١٥٧
وانظر أيضًا؛ Moritz Steinschneider, *Polemische und apologetische Literature in arabischer Sprache zwischen Muslimen, Christen und Juden, nebst Anhangen verwandten Inhalts* (Leipzig, ١٨٧٧; repr. , Hildesheim: Georg

وفي الختام، لا بدّ من إضافة أمر هام جدًا عند النظر في (تاريخ) هذا السفر، وهو ما يخفيه المنصّرون ويتجاهله عمدًا المستشرقون المغرضون، وهو أنّ «التحريفات لا بدّ من اعتبارها دون ريب»[٣٧٨]، وهي تحريفات واختلافات فاحشة جدًا بين المخطوطات حتّى إنّ أحد النقّاد قال إنّ: «فرقي دي ربي إليعازر، اسم أطلق على أعمال متماثلة لكن غير متطابقة، طوّرت عبر الزمن تراثًا له تاريخ طويل. تمثّل المخطوطات والشذرات هذه الأعمال المتفرّقة. فحص هذه المخطوطات والشذرات سيظهر لنا أنّه لم يكن هناك البتّة عمل موحّد. يمثّل ما لدينا **نوع مادة** فرقي دي ربي إليعازر كما أعيد إصلاحها وتشكيلها من طرف النسّاخ على المدى الزمني لتناقلها.»[٣٧٩]

Olms, ١٩٦٦), ٣٣٨-٤٠; Bern (h)ard Heller, "*Muhammedanisches und Antimuhammedanisches in den Pirke R. Eliezer*, " MGWJ ٦٩ (١٩٢٥): ٤٧-٥٤; M. Ohana, "*La Polemique judeo-islamique d'Ismael dans Targum Pseudo-Jonathan et dans Pirke de Rabbi Eliezer*," Aug ١٥ (١٩٧٥): ٣٦٧-٨٧

[٣٧٨] H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to the Talmud And Midrash*, p. ٣٢٩

[٣٧٩] *Agendas for the Study of Midrash in the Twenty-First Century,* Williamsburg, Va.: College of William and Mary, ١٩٩٩, p.٥١

الطبعة الأولى لسفر فرقي دي ربي إليعازر

القسطنطينية، ١٥١٤م



تفاصيل الاقتباس المدّعى:

قابيل وهابيل:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ

إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٣٨٠]

المصدر المدّعى:

هذه الشبهة هي من أشهر الاقتباسات المزعومة. وقد ادّعى المنصّرون أنّ هذه القصّة لها عدّة مصادر(!):

١. تقديم القربان من «قابيل» و«هابيل»[٣٨١]، وقتل «قابيل» «لهابيل» من الكتاب المقدّس.[٣٨٢]

٢.الحوار بين «قابيل» و«هابيل» من «ترجوم يوناثان المنحول» و«الترجوم الأورشليمي».

٣.دفن الغراب لغراب آخر ميت، مقتبس من سفر «فرقي دي ربي إليعازر»:٢١ : «جلس آدم ومرافقه يبكيان وفي حداد عليه (هابيل)، ولم يعرفا ماذا يفعلان به؛ إذ ما كانا

---

[٣٨٠] سورة المائدة/ الآيات (٢٧-٣٢)

[٣٨١] سمّاهما القرآن الكريم «ابني آدم»، ولم يصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم في تسميتهما شيء، وإنما جاءت هذه التسميّة عن أهل الكتاب مع شيء طفيف من التغيير: (قايين وهابيل). قال الشيخ «أحمد شاكر»: «.. أمّا تسميتهما قابيل وهابيل، فإنّما هو من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد به القرآن، ولا جاء في سنّة ثابتة فيما نعلم» (انظر؛ بكر أبو زيد، معجم المناهي اللفظيّة، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ط٣، ص٦٧٣)

[٣٨٢] انظر؛ تكوين ٤/٣-٨

يعرفان الدفن. جاء غراب قد مات صاحبه، وأخذ جثته، وحفر في الأرض، وأخفاه عن عينيهما؛ فقال آدم؛ سأفعل مثلما فعل هذا الغراب؛ فأخذ جثّة هابيل، وحفر في الأرض، ودفنه.»

הָיוּ אָדָם וְעֶזְרוֹ יוֹשְׁבִים וּבוֹכִים וּמִתְאַבְּלִים עָלָיו וְלֹא הָיוּ יֹדְעִים מַה לַּעֲשׂוֹת לְהֶבֶל שֶׁלֹּא הָיוּ נְהוּגִים בִּקְבוּרָה בָּא עֹרֵב אֶחָד שֶׁמֵּת לוֹ אֶחָד מֵחֲבֵרָיו לָקַח אוֹתוֹ וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ לְעֵינֵיהֶם אָמַר אָדָם כָּעוֹרֵב אֲנִי עוֹשֶׂה מִיָּד לָקַח נִבְלָתוֹ שֶׁל הֶבֶל וְחָפַר בָּאָרֶץ וּטְמָנָהּ

٤. ما كتب على بني إسرائيل أنّ من قتل نفسًا أو أفسد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعًا من مشناه سنهدرين ٤/٥.

التعليق:

١ - لا يصحّ اليوم -في القرن الواحد والعشرين- القول إنّ أحدًا من أهل زماننا قد استطاع الاطلاع على هذه المعلومات الدقيقة من كتب تبلغ في مجموعها في طبعاتها الحديثة عشرات المجلّدات، إلاّ أن يكون ممن يحملون قدرًا جيّدًا من التخصص في الكتب اليهوديّة ومعرفة بسبيل الحصول على مواضع هذه القصّة فيها، مع علم باللغتين العبريّة والآراميّة! فكيف يستقيم هذا الأمر للرسول ﷺ الأميّ الذي لم يقرأ كتابًا، والذي عاش في بيئة لا تعرف المكتبات والمؤلّفات الميسّرة للطالبين!

٢ - لا إشكال في (مشابهة) القصّة القرآنيّة لأختها الواردة في العهد القديم؛ لأنّ القرآن الكريم لا يردّ الأصل الربّاني للتوراة، وإنّما يقرّر أنّه قد لحق أصلها السماوي تحريفٌ أرضي؛ فالمسألة هي (موافقة) لا (اقتباس).

٣ -«ترجوم يوناثان المنحول» هو نفسه «الترجوم الأورشليمي»[٣٨٣]، لكنّ المنصّرين قد ظنوا أنهما كتابان مختلفان، فأوردوهما من باب التكثّر الباطل بالحجج!!

٤ -تأليف «ترجوم يوناثان المنحول» متأخّر زمنًا قطعًا عن البعثة النبويّة؛ وبالتالي فمن غير الممكن أن يكون مصدرًا لحوار ابني «آدم» الوارد في القرآن الكريم.

ومن الشهادات على تأخّره الزمني ما قرّره «مايكل ماهر» «Michael Maher» في مقدّمته لترجمته الإنجليزيّة «لترجوم يوناثان المنحول»: ««رغم أنّه من المؤكّد أنّ يوناثان يضمّ تراثًا قديمًا، فإنّ الكتّاب الحديثين يرون أنّ هذا الترجوم قد أخذ شكله النهائي بعد الغزو العربي للشرق الأوسط.

يعتقد د. م. سبلنسكي أنّ يوناثان المنحول من الممكن تأريخه في **القرن التاسع أو العاشر**. من الممكن تلخيص حججه الأساسيّة في ما يأتي:

- الإشارة إلى «عائشة» و«فاطمة» في يوناثان المنحول تكوين ٢١/٢١ لا يمكن اعتبارها نصًا إلحاقيًا. مصدر المدراش لا يمكن أن يعود إلى ما قبل ٦٣٣م في أبكر تأريخ له.

- استعمل «يوناثان المنحول» سفر «فرقي دي إليعازر» و«التنحوما»، وهي حقيقة تشير إلى القرن التاسع أو العاشر كتأريخ لجمع «يوناثان المنحول»».

---

٣٨٣ انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, ١٤/١٨٥ . ترد الموسوعة اليهوديّة هذا الخطأ إلى المفسّر «مناحيم ركنتي» —في القرن الرابع عشر- الذي وهم من اختصار «ترجوم أورشليمي» (ת״י) (التاء والياء) أنه يعني «ترجوم يوناثان»!

- الطريقة التيّ قدّم فيها «يوناثان المنحول» المدراش الخاص برفض «إبراهيم» مباركة إسماعيل في تكوين ١١/٢٥ تكشف جدلًا معاديًا للإسلام (*anti-Moslem* *polemic*)

- الإشارة إلى هجاء «إسماعيل» وهجاء «عيسو» في «يوناثان المنحول» في تكوين ٢٢/٣٥ بالإمكان تفسيرها بصورة جيّدة بخلفيّة ما كان عليه العالم من انقسام بين العرب والمسيحيين.

- هناك إشارات ممكنة في نصوص أخرى في «يوناثان المنحول» (مثال: تكوين ١٢/١٦، ١٣/٢٥، ٢٦/٤٩، العدد ٨٧/٧) إلى تاريخ تال للغزو العربي.

- الإشارة الدقيقة إلى مسائل التقويم في «يوناثان المنحول» تكوين ١٦/١ تظهر أنّ هذا الترجوم قد كتب في النصف الثاني من **القرن التاسع كأبكر تأريخ** ممكن.[٣٨٤]

قرّر «شنان» أيضًا أنّ «يوناثان المنحول» قد اعتمد على سفر «فرقي دي إليعازر» وأنّه عَمَلُ كاتب-محرر كان نشطًا في القرن السابع أو الثامن. أكّد «لو ديو» أنّ التحرير النهائي ليوناثان المنحول لا يمكن أن يكون قد تمّ قبل القرن الثامن. تحليل «كوك» للغة يوناثان قاده إلى وجود عدد من الإشارات التي تضع «يوناثان المنحول» **بعد غزو المسلمين للشرق**. قرّر «ج. أ. فوستر» بناء على لغة «يوناثان المنحول» أنّ هذا الترجوم من الممكن تأريخه بداية من القرن الثامن أو التاسع.

---

[٣٨٤] أورد الكاتب هذه الحجج متصلة في فقرة واحدة، وقد فصلت بينها لتبدو أكثر وضوحًا للقارئ، مع العلم أنني قد عرّبتها دون زيادة أو حذف.

اكتشافات هؤلاء النقّاد أو أولئك من الذين قاموا بدراسات خاصة لمضمون «يوناثان المنحول» ولغته تسمح لنا أن نقبل بثقة الرأي القائل إنّ هذا الترجوم لا يمكن أن يعود في صورته النهائيّة إلى ما قبل القرن السابع أو الثامن.»[٣٨٥]

ولا بدّ في هذا السياق من إضافة حقيقتين أخريين مهمتين:

أولًا: ذهب النقّاد إلى أنّ هذا النصّ قد تمّ تحريره وتحويره مرّات كثيرة.[٣٨٦]

ثانيًا: المخطوطة الوحيدة المتاحة لترجوم «يوناثان المنحول»، تعود إلى القرن السادس عشر.[٣٨٧]

هاتان الحقيقتان تزيدان حجّة المنصّرين وهنًا على وهن؛ إذ تبعدان دعوى مصدريّة هذا السفر للنصّ القرآني إلى أقصى مدى!

٥ –رغم أنّ «جايجر» هو أهمّ من روّج لهذه الشبهة؛ إلاّ أنه هو نفسه قد قال بعد أن أوردها: «قُدّم الحوار بصورة مختلفة جدًا في (الكتابين)؛ حتّى إننا لا نرى للأمر قيمة إذا قارنا الموضعين عن قرب.»[٣٨٨]

---

[٣٨٥] M. Maher, *Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction And Notes*, Minnesota: The Liturgical Press, ١٩٩٢, pp. ١١-١٢

[٣٨٦] انظر؛ E. G. Clark, *Targum Pseudo-Jonathan: Deuteronomy Translated, With Notes*, ١٩٩٨, T & T Clark Ltd.: Edinburgh, p. ٣(Quoted by, M S M Saifullah, Mansur Ahmed and Elias Karim, *On the Sources of the Story of Cain and Abel in the Qur'an*)

[٣٨٧] انظر؛ M. Maher, *Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction and Notes*, pp. ١٢-١٣

[٣٨٨] A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. ٨٠

وقد كان «تسديل» الثاني في الترويج لهذه الشبهة؛ لكّنه هو أيضًا قد وصف هذا التشابه أنّه: «غير ملفت للنظر»[389]

٦ -الحوار الوارد في «ترجوم يوناثان المنحول» هو قول «قايين»: «لا عقوبة للخطيئة، ولا جزاء للإحسان.»؛ فقال له «هابيل» إنّ الله يجازي على الإحسان ويعاقب على الخطيئة؛ فقام «قايين» بضرب أخيه بحجر حتّى قتله.[390]

لا شكّ أنّ هذا الحوار لا يمكن البتّة أن يكون مصدرًا لما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾[391]

٧ -سفر «فرقي دي ربي إليعازر» متأخّر تأليفًا عن البعثة النبويّة كما سبق بيانه، كما أنّ رواية هذا السفر تخالف منصوص القرآن الكريم في تحديد من تعلّم من الغراب الدفن؛ فهو في سفر «فرقي دي ربي أليعاز» «آدم» عليه السلام، وفي القرآن الكريم هو القاتل أخو المقتول.

٨ -نصّ مشناه سنهدرين ٤/٥ يقول في سياق حديثه عن الجرائم الكبيرة: إنّ التوراة قد استعملت كلمة «دم» في صيغة الجمع، في قصّة «هابيل» وأخيه: «**קול <u>דמי</u> אחיך، צעקים אלי**» «صوت <u>دماء</u> أخيك يصرخ إليّ» (تكوين ٤/١٠)، والدم في صيغة الجمع يعني —كما تقول المشناه– دم القتيل ونسله؛ وأضاف النصّ بعد ذلك مباشرة:

---

[389] St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an* , p. ٦٣

[390] المصدر السابق

[391] سورة المائدة/ الآيات (٢٧-٢٩)

«لذلك خُلِق الإنسان وحده؛ ليظهر أنّ من أباد نفس واحد من إسرائيل؛ فقد عدّ له ذلك في الأسفار المقدّسة كأنّه أباد كلّ العالم (الكون)، ومن حفظ نفس واحد من إسرائيل فإنّ ذلك يعد له في الأسفار المقدّسة كأنّه حفظ كلّ العالم.» .. إنّ القرآن الكريم لا يشارك المشناه ربطها اللغوي وتبريرها النصّي، كما أنّنا لا نرى هذا الأمر في كتب المفسّرين المسلمين–كما أقرّ بذلك «ستيلمان» «Stillman»[٣٩٢]، وإنّما جاء الربط في القرآن الكريم بين قتل «هابيل» لأخيه، وبين حكم قتل النفس المعصومة وإحيائها؛ من باب بيان عظم حرمة النفس الآدميّة عند الله سبحانه.

٩ رغم أنّ «جايجر» قد نقل النصّ الأصلي لمشناه سنهدرين ٤/٥؛ إلاّ أنّه حرّفه رغم أنّه حبر يتقن العبريّة؛ إذ إنّ النصّ يتحدّث عن: من يزهق (نفس واحد من إسرائيل) (**נפש אחת מישראל**)؛ فكأنّما أباد كل العالم، ومن حافظ على (نفس واحد من إسرائيل) (**נפש אחת מישראל**)؛ فكأنّما حافظ على كلّ العالم، وهي القراءة الأوثق، واختارتها أهمّ ترجمات المشناه[٣٩٣] والتلمود[٣٩٤]. وقد أورد «جايجر» نفسه النص العبري، وفيه «من إسرائيل» «**מישראל**»، لكنّه لما ترجمه إلى الألمانيّة للقرّاء ألغى «من إسرائيل»[٣٩٥] وكذلك فعل صاحب الترجمة الإنجليزيّة[٣٩٦] خداعًا للقرّاء .. وفي المقابل

---

[٣٩٢] انظر؛ N. A. Stillman, "*The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations*", *Journal Of Semitic Studies*, ١٩٧٤, V. ١٩ , p.٢٣٨

[٣٩٣] مثال ترجمة «Isidore Fishman»

[٣٩٤] مثال ترجمة «Isidore Epstein»

[٣٩٥] انظر؛ Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, Leipzig: M.W. Kaufmann, ١٩٠٢, p.١٠٣

[٣٩٦] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.٨١

يتحدث القرآن الكريم عن النفس الإنسانيّة بإطلاق. كما أنّه من غير المعقول أن تكون قصة ابني «آدم» عليه السلام حجّة لبيان عظمة قدر (الدم الإسرائيلي) رغم أنّ بني إسرائيل لم يظهروا للوجود بعد .. فالآية القرآنيّة تقدّم إذن تصحيحًا للتصوّر اليهودي الذي جعل في (الآدميّة الإسرائيلية) تميّزًا خاصًا عند الله سبحانه!

صورة نصّ المشناه كما أورده «جايجر» في كتابه –الأصل الألماني–[397]، **وفي المستطيل كلمة «من إسرائيل» «מישראל» التي حذفها «جايجر» في ترجمته الألمانيّة!**

אָחִיו נֶאֱמַר בּוֹ קוֹל דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים אֵינוֹ אוֹמֵר דַּם אָחִיךָ אֶלָּא דְּמֵי
אָחִיךָ דָּמוֹ וְדַם זַרְעִיּוֹתָיו לְפִיכָךְ נִבְרָא אָדָם יְחִידִי לְלַמֶּדְךָ שֶׁכָּל הַמְּאַבֵּד
נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ אִבֵּד עוֹלָם מָלֵא וְכָל הַמְקַיֵּם
נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל מַעֲלֶה עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ קִיֵּם עוֹלָם מָלֵא

١٠ – ما جاء في القرآن الكريم لا يعدّ اقتباسًا من المشناه التي تمثّل التراث الشفهي اليهودي القديم المستنبط من التوراة، وإنّما هو تعقيب على هذا الحكم وتعديل لهذا الفهم الذي استقرّ في أذهان اليهود الذين كانوا زمن البعثة النبويّة بفعل تقديسهم للمشناه وتفسيرها الوارد في التلمودين البابلي والأورشليمي.

لقد جاء تحريم القتل في نصّ المشناه:

(١) خاصًا بالإسرائيليين.

(٢) قتل النفس الواحدة أو إحياؤها قورن بإحياء (كامل الكون) (**עולם מלא**) وإبادته.

---

٣٩٧ Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.١٠٢

في حين جاء منع القتل في القرآن الكريم حكاية عن شريعة بني إسرائيل الموحاة من الله سبحانه:

(١) متعلّقًا بجنس الآدمي بلا تمييز في الحرمة بين جنس وآخر.

(٢) استثني منه القتل المشروع، وهو قتل القاتل وقتل المفسد في الأرض.

(٣) قتل الفرد البشري كقتل كلّ البشر؛ إذ إنّ سياق الحديث خاص فقط بقتل الأناسي الذين هم الخلق المكرّم، ولا يتعلّق بالكون بما فيه من بشر وبقيّة الموجودات.[٣٩٨]

يد «موسى»:

قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[٣٩٩]

المصدر المدّعى: قال «جايجر» إنّ وصف إخراج «موسى» ليده بيضاء من البرص أمام فرعون، أصله في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» ٤٨:

«ووضع في صدر ثوبه؛ وأخرجها بيضاء كالثلج من أثر البرص، ووضعوا هم أيضًا أيديهم في صدور ثيابهم؛ وأخرجوها بيضاء من البرص.»[٤٠٠]

הִכְנִיס יָדוֹ לְחֵיקוֹ וְהוֹצִיאָהּ מְצוֹרַעַת כַּשֶּׁלֶג וְגַם הֵם הִכְנִיסוּ יָדָם לְחֵיקָם וְהוֹצִיאוּ אוֹתָם מְצוֹרָעוֹת כַּשָּׁלֶג

---

[٣٩٨] قيل أيضًا في تفسير هذا الموضع: يتعلق قوله تعالى {من أجل ذلك} بقوله: {مِنَ ٱلنَّادِمِينَ} أي صار من النادمين بسبب القتل، ويكون كتبنا على بني إسرائيل استئناف كلام.

[٣٩٩] سورة طه/ الآية (٢٢)

[٤٠٠] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.١٢٥

التعليق:

١- ورد أمر معجزة يد «موسى» أمام الربّ في العهد القديم: «ثم قال الرب أيضا: «أدخل يدك في عبك». فأدخل يده في عبه. وعندما أخرجها إذا بها برصاء كالثلج. وأمره الرب: «رد يدك إلى عبك ثانية». فرد يده إلى عبه ثانية ثم أخرجها من عبه، وإذا بها قد عادت مثل باقي جسده.» (الخروج ٤/٦-٧)، وهي معجزة وإن لم تتمّ أمام فرعون إلاّ أنّها ثابتة في النصّ التوراتي؛ مما يدفع أصل تهمة الاقتباس من سفر «فرقي دي ربي إليعازر».

٢- القصّة القرآنيّة هي وحدها المنطقيّة وقد تجاوزت خطأ النصّ التوراتي، فقد أمر الله سبحانه «موسى» عليه السلام أن يقوم بتلك المعجزة كما سبق في الآية، ثم جاء في سورة الأعراف أنّ «موسى» عليه السلام قد أجرى هذه المعجزة أمام فرعون بعد معجزة تحويل العصا إلى ثعبان:

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [٤٠١]

في حين نقرأ في التوراة أنّ الربّ قد طلب من «موسى» عليه السلام أن (١) يجري معجزة تحويل العصا إلى حيّة، (٢) فإن لم يستجب فرعون؛ فليدخل يده إلى عبّه، ثم يخرجها برصاء كالثلج، ثم ليعدها إلى عبّه ويخرجها سليمة. وقال الربّ له: «إذا لم يصدقوك، أو يعيروا المعجزة الأولى انتباههم، فإنهم يصدقون الثانية. وإذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يصغوا لكلامك، (٣) فاغرف من ماء النهر واسكبه على الأرض الجافة، فيتحول الماء الذي غرفته من النهر إلى دم فوق الأرض.» [٤٠٢] .. لكننا نرى أنّ «موسى» و«هارون» قد أجريا (١) معجزة تحويل العصا إلى

---

[٤٠١] سورة الأعراف/ الآيات (١٠٦-١٠٨)

[٤٠٢] خروج ٤/٨-٩

حيّة أمام فرعون، ثم مباشرة (٣) حوّلا الماء إلى دم، دون أن (٢) يجريا معجزة تحويل اليد السليمة إلى يد برصاء ثم إبرائها بعد ذلك[٤٠٣] ..

لقد أصلح القرآن الكريم خطأ التوراة المحرّفة!

٣- لم يرِد البتّة في النصّ القرآني أنّ «موسى» عليه السلام سيحوّل يده السليمة إلى يد برصاء (كالثلج) (**כשלג**) ثم يردّها سليمة، وإنما جاء في القرآن الكريم أنّ يد «موسى» عليه السلام كان بها أذى؛ فكانت المعجزة أن تحولت إلى البياض دلالة على العافية. وهنا خالف القرآن الكريم التوراة وسفر «فرقي دي ربي إليعازر».

إسلام فرعون:

قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾[٤٠٤]

المصدر المدّعى: ذهب عدد من المنصّرين إلى أنّ القرآن الكريم قد اقتبس هذا المشهد من سفر «فرقي دي ربي إليعاز» في قوله إنّ فرعون قد نجّاه الله من الموت، وآمن، وحسن إيمانه، وذهب ليحكم بعد ذلك نينوى.

التعليق: ليس في النصّ القرآني أدنى مشابهة لنص «فرقي دي ربي إليعازر»؛ إذ إنّ القرآن الكريم قد:

---

[٤٠٣] انظر؛ خروج ٨/٧-٢١

[٤٠٤] سورة يونس/ الآيات (٩٠-٩٢)

(١) نفى نجاة فرعون، وأثبت غرقه، وما كانت النجاة إلاّ لجثته عند موته.

(٢) في القرآن الكريم، انقطع أمر فرعون بعد موته، فليس هناك من سبيل للحديث عن رحلته إلى نينوى.

(٣) إيمان فرعون لم يقبل؛ لأنّه وقع حين دهمه الموت، وانقطعت فسحة التوبة.

(٤) كرّر القرآن الكريم ذكر أمر فرعون باعتباره نموذج الكفر والطغيان، في حين تبدو الصورة في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» على خلاف ذلك؛ باعتباره من التائبين المنيبين.

(٥) تبدو الصورة التي عرضها سفر «فرقي دي ربي إليعازر» منكرة حتّى بالنسبة للكتاب المقدس حيث جاء القطع بموت فرعون وجميع جيشه[٤٠٥]، والجزم بتقبيح ذكره بعد موته.[٤٠٦]

(٦) لما تحدثت الموسوعة اليهودية «*Encyclopaedia Judaica*» عن صورة فرعون في الإسلام، ذكرت ما قررّه القرآن الكريم من غرقه ونجاة جسده وما جاء في «الأجاده» من نجاته، وقالت: «**القصص الإسلامي أثّر بصورة كبيرة في الأجاده اليهوديّة المتأخّرة.**»[٤٠٧] ولا أرى في هذا النص غير اعتراف بأن القصّة الواردة في سفر «فرقي دي ربي إليعازر» متأثرة بما جاء في القرآن الكريم من حديث عن (نجاة) جثّة فرعون، غير أنّ الخيال اليهودي أفاض في توسيع مفهوم (النجاة)!

---

[٤٠٥] انظر؛ خروج ٢٨/١٤، ٤/١٥-٥، مزمور ١٣/١٣٦-١٥

[٤٠٦] انظر؛ مزمور ١٤/٧٤، الرسالة إلى روما ١٧/٩

[٤٠٧] *Encyclopaedia Judaica*, ١٦/٣٠

اللاويون، الأمة الصالحة!

قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُون﴾ [٤٠٨]

المصدر المدّعى:

جاء في سفر «فرقي دي ربي إليعاز» ٤٥ قول الأحبار: «من الواضح من سفر الخروج ٢٦/٣٢ أنّ سبط اللاويين لم يتورط في قضيّة العجل الذهبي...»

שֵׁבֶט לֵוִי לֹא שִׁתֵּף עַצְמוֹ בְּמַעֲשֵׂה הָעֵגֶל שֶׁנֶ' וַיַּעֲמֹד מֹשֶׁה
בְּשַׁעַר הַמַּחֲנֶה וַיֵּאָסְפוּ אֵלָיו כָּל-בְּנֵי לֵוִי

التعليق:

الآية القرآنيّة لا تحمل البتة أدنى إشارة إلى سبط بعينه من بني إسرائيل، وكلمة «أمّة» تعني هنا «الجماعة الكبيرة من الناس».

سبب قتل الولدان

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين﴾ [٤٠٩]

المصدر المدّعى:

زعم «جايجر» أنّ سفر «فرقي دي ربي إليعاز» ٤٨ هو مصدر النص القرآني؛ إذ إنّه يذكر أنّ السحرة قد أخبروا فرعون —تفسيرًا لرؤياه المناميّة– أنّ طفلًا سيولد وسيقود خروج الإسرائيليين من مصر؛ ولذلك رأى فرعون أنّه برمي الأولاد الذكور الإسرائيليين في النهر؛ سيموت هذا الطفل معهم.

---

[٤٠٨] سورة الأعراف/ الآية (١٥٩)

[٤٠٩] سورة القصص/ الآية (٤)

אָמְרוּ הַחַרְטֻמִּים לְפַרְעֹה עָתִיד נַעַר לְהִוָּלֵד וְהוּא יוֹצִיא אֶת יִשְׂרָאֵל מִמִּצְרַיִם וְחָשַׁב וְאָמַר בְּלִבּוֹ הַשְׁלִיכוּ כָּל הַיְלוֹדִים הַזְּכָרִים אֶל דיאוֹר וְהוּא מֻשְׁלָךְ עִמָּהֶם

التعليق:

١- ليس في الآية القرآنيّة شيء من الحديث عن الرؤيا المزعومة، بل الآية صريحة أنّ فرعون قد قتل أبناء الإسرائيليين من باب النكاية فيهم والعلو في الأرض فسادًا. وما تذكره بعض كتب التفسير مما يوافق بعض ما جاء في سفر «فرقي دي ربي إليعاز» لا دليل عليه من قرآن ولا سنّة، وإنّما هو ممّا بثّه أهل الكتاب بين المسلمين.

٢ – القرآن الكريم قد وافق التوراة في أمر ذبح الأبناء، ولم يوافق سفر «فرقي دي ربي إليعاز»؛ إذ قد جاء في سفر الخروج ١/١٥-٢٢ أمر فرعون بقتل الذكور والإبقاء على الإناث مخافة تكاثرهم!!

٣ – كان «جايجر» يعلم أنّه يفتري الكذب على القرآن الكريم، ولذلك اكتفى بنقل رقم السورة والآية —وقد أخطأ في رقمها إذ أشار إلى الآية الخامسة، في حين أنّ الآية المقصودة هي الرابعة من سورة القصص– دون أن يذكر لفظها، على خلاف عادته في نقل النص العربي للآية وترجمته!

○ **المدراشات:** كلمة «مدراش» «**מדרש**»، تعني لغة «بحث» و«درس»، واصطلاحًا هي: «منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض مقاطعه وكلماته، والتوسع في تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع في الإضافات والتعليقات، وصولًا إلى

المعاني الخفية»[410]، وهي تنقسم إلى تفاسير تشريعيّة، وتفاسير أجاديّة متعلّقة أساسًا بالعقائد والقصص الديني.

وقد تمّ تدوين هذا التفسير في مرحلة متأخّرة، واكب ذلك إحداث إضافات متجددة إلى هذا التراث، ويمكن تقسيم الكتب المدراشيّة إلى ثلاثة أقسام:

١ . الكتب المدراشية المبكرة (وتم جمعها في الفترة ٤٠٠ . ٦٠٠).

٢ . كتب المرحلة الوسطى (٦٤٠ . ١٠٠٠).

٣ . كتب المرحلة المتأخرة (١٠٠٠ . ١٢٠٠).[411]

يقول المنصّرون إنّ عددًا من التفاصيل القصصيّة الواردة في القرآن، لها مثيل في بعض هذه المدراشات الأجاديّة، ولما كانت هذه المدراشات (١) متأخرة زمنيًا عن نزول الأسفار المقدّسة؛ بما يعني أنّها تضمّ خرافات وأساطير لا أصل لها في الوحي (٢) ومدوّنة قبل ظهور الإسلام؛ فإنّه يلزم من ذلك القول إنّ القرآن قد اقتبس منها خرافاتها وأساطيرها!

الردّ:

- عامة هذه المدراشات التي ادُّعي أنّها مصدر للقرآن للكريم، قد دوّنت بعد ظهور الإسلام، وكتبت في جو إسلامي، فالقول بالنقل العكسي هو الصواب، خاصة أنّ أصول القصص واحدة في القرآن الكريم والكتاب المقدس والمدراشات؛ بما يعني أنّ ما تفرد به القرآن الكريم عن الكتاب المقدس، هو مصدر علمي للمدراشات في بيئة كان القرآن الكريم واللغة العربية يحكمان أجواءها العلميّة.[412]

---

[410] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونية، نسخة إلكترونية

[411] عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق

[412] كان التأثير الإسلامي على البيئة اليهوديّة كبيرًا حتى إنّ الترجمة العربيّة الأولى للتوراة، وهي التي قام بها «سعديا الفيومي» في القرن العاشر ميلاديًّا، كانت متأثّرة بالقرآن الكريم والتفاسير من ناحيتي الألفاظ والمعاني (انظر؛ David M. Freidenreich, *The Use of Islamic Sources in Saadiah Gaon's Tafsir of*

تأريخ تدوين المدراشات كما هو في الموسوعة اليهودية

١٨٤/١٤ ((*ENCYCLOPAEDIA JUDAICA*))

Midreshei Aggadah According to Types and Periods

Aggadic Works	Midrashim	Date C.E.	The Era
	Genesis Rabbah	400–500	Classical Amoraic
	Leviticus Rabbah		Midrashim of the
	Lamentations Rabbah		Early Period
	Esther Rabbah I		(400–600)
Apocalyptic and Eschatological Midrashim	*Pesikta de-Rav Kahana*	500–640	
	Songs Rabbah		
	Ruth Rabbah		
Megillat Antiochus	Targum Sheni	640–900	The Middle Period (640–1000)
Midrash Petirat Moshe ("Death of Moses")	Midrash Esfah		
Tanna de-Vei Eliyahu ("Seder Eliyahu")	Midrash Proverbs		
Pirkei de-R. Eliezer	Midrash Samuel		
Midrash Agur (Called "Mishnat R. Eliezer")	Ecclesiastes Rabbah		
Midrash Yonah	Midrash Haserot vi-Yterot		
Midrash Petirat Aharon	*Deuteronomy Rabbah*[1]	(775–900)	مجموعة مدراش
Divrei ha-Yamim shel Moshe	*Tanḥuma*[1]		تنحوما
Otiyyot de-R. Akiva	*Tanḥuma (Buber)*[1]		
Midrash Sheloshah ve-Arba'ah	*Numbers Rabbah II*[1]		
Midrash Eser Galuyyot	*Pesikta Rabbati*[2]		
Midrash va-Yissa'u	*Exodus Rabbah II*[1]		
	Va-Yeḥi Rabbah[1]		
	The Manuscripts of the Tanḥuma		
	Yelammedenu Midrashim[1]		
Throne and Hippodromes of Solomon	Midrash Tehillim I	900–1000	
Midreshei Ḥanukkah	Exodus Rabbah I		
Midreshei Yehudith	*Aggadat Bereshit*		
Midrash Hallel	Aggadat Shir ha-Shirim (Zuta)		
Midrash Tadshe	Ruth Zuta		
	Ecclesiastes Zuta		
	Lamentations Zuta		
Midrash Aseret ha-Dibberot	Midrash Shir Hashirim	1000–1100	The Late Period
Midrash Konen	Abba Guryon		(1000–1200)
Midrash Avkir	Esther Rabbah II		
Alphabet of Ben Sira	Midrash Tehilim II		
Midrash va-Yosha			
Sefer ha-Yashar			
Pesikta Ḥadta	Panim Aḥerim le-Esther (version 1)	1100–1200	
Midrash Temurah	Lekaḥ Tov (c. 1110)[3]		
	Midrash Aggadah[2]		
	Genesis Rabbati[2]		
	Numbers Rabbah[2]		
	Yalkut Shimoni[3]	1200–1300	The Period of the Yalkutim
	Midrash ha-Gadol[3]	1300–1400	(anthologies)
	Yalkut Makhiri[3]		1200–1500
	Ein Ya'akov[3]	1400–1500	
	Haggadot ha-Talmud[3]		

---

the Torah, in *The Jewish Quarterly Review*, XCIII, Nos, ٣-٤ (January-April, ٢٠٠٣) ٣٥٣-٣٩٥

كما تأثّرت العبادات اليهوديّة بالعبادات الإسلاميّة (انظر كتاب العالم التلمودي ((نفتالي ويدر)) (١٩٠٥م–٢٠٠١م) ((التأثيرات الإسلاميّة على العبادات اليهوديّة)) ((**השפעות אסלאמיות על הפולחן היהודי**))، وقد صدر سنة ١٩٤٧م (عرّبه الدكتور ((محمد سالم الجرح)) ونشر ضمن سلسلة ((فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة)) التي يصدرها ((مركز اللغات الشرقيّة بجامعة القاهرة))، وانظر في أثر الإسلام في اليهودية ثقافة ودينًا؛ Bernard Lewis,*The Jews of Islam*, pp.٧٧-٨٢)، وممّا قاله المستشرق ((برنارد لويس)) في هذا الكتاب (ص٨٠): ((ظهور اللاهوت اليهودي أخذ مكانه تقريبًا بالكامل في الأراضي الإسلاميّة.))

تتركّز دعاوى المصدريّة المدراشيّة للقرآن الكريم في:

- «مدراش تنحوما» «**מדרש תנחומא**» وهو مجموعة مدراشات لأسفار من العهد القديم. وكما هو في الجدول المنقول أعلاه عن الموسوعة اليهودية «*Encyclopaedia Judaica*»؛ فإنّ هذه المدراشات قد دوّنت بعد ظهور الإسلام.

وقد علّق الناقد «س. د. غوتين» «S. D. Goitein» على التوافق الموجود بين قوله تعالى: ﴿فَلما سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤١٣] وبين ما جاء في مدراش تنحوما ومدراش ياشر، بقوله: «هذا المشهد الذي كثيرًا ما صوّر من طرف الرسّامين المسلمين، موجود في **الأدب اليهودي المتأخّر عن القرآن زمنيًا**... لا يوجد في المدراشات القديمة.»[٤١٤] مؤكّدًا بذلك نفي مصدريّة مدراش تنحوما لهذا النص القرآني.

ومن طرائف مجموعة «مدراش تنحوما» أنّه قد ورد في مدراش «سفر التثنيّة رَباه» أنّ «موسى» عليه السلام قد طلب من الربّ معاقبة «إبراهيم» عليه السلام؛ لأنّ من ابنه «إسماعيل» عليه

---

[٤١٣] سورة يوسف / الآية (٣١)

[٤١٤] S. D. Goitein, *Jews and Arabs*, p.١٩٤ (Quoted by, Shalom Goldman, *The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*, p. ٨٦ (الإحالة إلى صفحة مخطوطة هذه الأطروحة كما هي في جامعة نيويورك)

السلام، قد جاء «الإسماعيليون» الأشرار الذين أثاروا (غضب الرب)[٤١٥] .. وجليّ أنّ الإسماعيليين هنا هم «أمّة الإسلام»؛ إذ لا قيمة (للإسماعيليين) في تاريخ البيئة التي عاش فيها اليهود، قبل ظهور دولة الإسلام!!

وتقول الموسوعة اليهودية «*Encyclopaedia Judaica*» تحت عنوان «المرحلة الوسطى (للمدراشات)»: «تنتمي عدة أعمال مدراشيّة وأجاديّة إلى الفترة من مرحلة الغزو الإسلامي (٦٤٠م) إلى نهاية القرن العاشر ... أهم مجموعة مدراشيّة لهذه الفترة هي «مدراش تنحوما»».[٤١٦]

واستدلّ «زونز» في تحديده زمن ظهور «مدراش تنحوما» في النصف الأوّل من القرن التاسع بالتشابه بينه وبين كتاب «أسئلة» «**שאלתות**» للعالم التلمودي «أحاي» «**אחאי**»[٤١٧] وكتابات الأحبار في الفترة الجيونيّة[٤١٨]، وكذلك ما يظهره من معرفة بجدليات اليهود القرّائين، وهو نفس ما استدلّ به «صاموئيل برمان» «Samuel Berman» لتحديد تاريخه في آخر القرن الثامن أو بداية القرن التاسع.[٤١٩]

---

[٤١٥] انظر؛ Carol Bakhos, *Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first Arab*, p.٨٨

[٤١٦] *Encyclopaedia Judaica*, ١٤/١٨٥

[٤١٧] أحاي (توفي سنة ٧٨٢م): كان من أئمة علماء اليهود في زمانه. ألّف كتابه «أسئلة» في فلسطين.

[٤١٨] انظر؛ L. Zunz, *Die Gottesdienstlichen Vorträge der Juden: Historisch Entwickelt*, pp. ٢٤٦-٢٤٧ (Quoted by, M S M Saifullah, Mansur Ahmed & Elias Karim, On The Sources Of The Story Of Cain & Abel In The Qur'an)

[٤١٩] صرّح «صاموئيل برمان» أنّ هذا المدراش قد تضمّن مقاطع من كتاب «أسئلة»؛ وهو تعبير صريح في دلالته على النقل المباشر البيّن (انظر؛ Samuel Berman, *Midrash Tanhuma-Yelammedenu: An English Translation Of Genesis And Exodus From The Printed*

صورة من إحدى مخطوطات ((مدراش تنحوما))

Version Of Tanhuma-Yelammedenu With An Introduction, Notes, (*And Indexes*,New Jersey: KTAV, ١٩٩٦, p. xii

وقد تعرّض «مدراش تنحوما» إلى التحريف الفاحش حتّى قيل إنّه (نوع) (genre) لا (نص) (text)[٤٢٠] ؛ مما يجعل التعامل مع أصالة نصوصه محل نظر وحذر!

- مدراش «التكوين رباه[٤٢١]» «**בראשית רבה**»: ذكر «جايجر» مدراش «التكوين رباه» أكثر من مرة كمصدر للقصص القرآني لبعض الأنبياء، دون أن يخبر القارئ عن تاريخ نص هذا المدراش!

يضم مدراش «التكوين رباه» شروح أحبار لما جاء في سفر التكوين، ورغم أنّ عامة النقّاد يرون أنّ هذا المدراش قد ألّف في حدود القرن الخامس أو السادس، إلاّ أنهم أيضًا قد أشاروا إلى أنّ هذا النص قد تعرّض إلى التحريف، وأنّه كان معرّضًا دائمًا لإضافات طويلة وأخرى قصيرة[٤٢٢] ؛ حتّى وصفه الناقد «بكر» «Becker» بأنّه «نص مفتوح» لأنّه تعليق قابل للتوسّع[٤٢٣] ، وأنّه «يبدو أنّه نقّح بصورة متأخرة في القرون الوسطى»[٤٢٤] . وقد أثبتت المقارنة بين أقدم ثلاث مخطوطات لهذا المدراش والشواهد النصيّة المتأخّرة وجود عدد كبير من الزيادات اللاحقة التي لا شك في أنّها

---

[٤٢٠] انظر؛ Jeffrey L. Rubenstein, *From Mythic Motifs to Sustained Myth: The Revision of Rabbinic Traditions in Medieval Midrashim*, in *The Harvard Theological Review*, Vol. ٨٩, No. ٢ (Apr., ١٩٩٦), p.١٣٣

[٤٢١] كلمة «رباه» العبريّة تعني «كبير»، وتستعمل هنا بمعنى: المدراش الضخم بالمعنى المجازي. (انظر؛ Jacob Neusner, *A Theological Commentary to the Midrash: Genesis Rabbah*, (Maryland: University Press of America, ٢٠٠١ , p.xxvii

[٤٢٢] انظر؛ *The Jewish Encyclopedia,* ٣/٦٤

[٤٢٣] انظر؛ Chaim Milikowsky, '*On the Formation and Transmission of Bereshit Rabba and the Yerushalmi: Questions of Redaction, Text-Criticism and Literary Relationships*,' in *The Jewish Quarterly Review*, New Series, Vol. ٩٢, No. ٣/٤ (Jan. - Apr., ٢٠٠٢), p.٥٢٦

[٤٢٤] Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, Maryland: Scarecrow Press, ٢٠٠٢, p.١٢٤

نصوص غير أصيلة؛ إذ لا تربطها ببقيّة النصوص المحيطة بها سياقات منطقيّة[٤٢٥]، كما أشار النقّاد إلى أنّه بداية من المقاطع التي تعلّق على الفصل ٣٢ من سفر تكوين فصاعدًا، بدأت تظهر مقاطع تحمل علامات الأجاده المتأخّرة ومرتبطة في عدد من النقاط بالشرح الموجود في مدراش تنحوما.[٤٢٦]

وإذا قلنا برأي الناقد «زونز» إنّ هذا المدراش قد ألّف في القرن السادس[٤٢٧]؛ علمنا أنّ كلّ الزيادات التي لحقت هذا المدراش كانت بعد ظهور الإسلام!

وبالنظر في جميع الأمثلة التي أوردها «جايجر» نلاحظ أنّها كلّها لا يمكن أن تكون مشابهة لما جاء في القرآن الكريم[٤٢٨] إلاّ نصين اثنين:

---

[٤٢٥] المصدر السابق، ص ٥٢٧

[٤٢٦] انظر؛ *The Jewish Encyclopedia,* ٣/٦٤

[٤٢٧] انظر؛ H. Freedman, *The Midrash Rabbah, Genesis*, London: The Soncino Press, ١٩٧٧, p.xxix

[٤٢٨] هنا كلّ النصوص التي استدلّ بها «جايجر» من مدراش التكوين رباه:

١ –الفصل ٨ من مدراش «التكوين رباه» : فُتِنت الملائكة بآدم، وأرادت أن تقدسه، لكن لما جعله الرب ينام؛ أدركت الملائكة أنه من الأرض.

٢ –الفصل ١٧ من مدراش «التكوين رباه» : «منذ بداية الكتاب إلى هذه النقطة، لم يوجد حرف السين، وما إن خلقت المرأة حتّى خلق السطان שטן (أي الشيطان).»

٣ –الفصل ٤٢ من مدراش «التكوين رباه»: «ولقّب إبراهيم بالعبري؛ لأنّه من نسل «عبر». »

٤ –الفصل ٣٨ من مدراش «التكوين رباه» عن قوم «عبر» الذي يعتقد «جايجر» أنّه «هود» عليه السلام: «ولما سافروا منذ البداية (أو من الشرق)، ابتعدوا عنه وهو بداية العالم.»

٥ –الفصلان ٦٣ و٦٨ من مدراش «التكوين رباه» جاء فيهما ذكر سفر «رفقة» و«يعقوب» إلى بلاد «عبر».

٦ –الفصل ٣٨ من مدراش «التكوين رباه» : أبو «إبراهيم» عليه السلام من الناجين «له نصيب في الحياة الأبديّة». وقد اعترف «جايجر» أنّ هذا النص يناقض ما جاء في القرآن عن والد «إبراهيم».

~ ورد النص الأول في الفصل ٩١ من مدراش «التكوين رباه»، وهو في قول «يعقوب» عليه السلام لبنيه ألاّ يدخلوا مصر من مدخلٍ واحد، وهو يشابه ما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِن بَاب وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَاب مُّتَفَرِّقَةٍ**﴾ [٤٢٩]، ويقع هذا الفصل ضمن الجزء الذي قرّر النقّاد أنّه يُظهر علامات أجاديّة متأخّرة عَلى عكس الفصول الأولى؛ بما يعني صراحة أنّه ضمن الجزء الذي يحمل علامات ما بعد البعثة النبويّة المحمّدية.

وقد جاء في الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» : «توجد عدة أجزاء في التكوين رباه (في ٧٥ و٨٤ و٨٨ و٩١ و٩٣ و٩٥) لا يمثّل أسلوبها ولغتها وطابعها التفسيري جزءًا مكملًا للمدراش الأصلي وإنّما هي إضافات متأخّرة». [٤٣٠]

كما أنّ طلب «يعقوب» عليه السلام من بنيه ألاّ يدخلوا مصر من مدخل واحد قد ورد في مدراش «التكوين رباه» تعليقًا على نص تكوين ١/٤٢ حيث الرحلة الأولى لأبناء «يعقوب» إلى مصر [٤٣١]، في حين أنّ الرواية القرآنيّة تذكر أنّ قول «يعقوب» عليه السلام متعلّق بالرحلة الثانية لأبنائه إلى مصر.

~ ورد النص الثاني في الفصل ٣٨ من مدراش «التكوين رباه» وهو في قصّة «إبراهيم» مع الأصنام والنار، ورغم أن فيه شبهًا بالقصة القرآنية إلا أنّه يلاحظ هنا:

* تخالف القصّة المدراشيّة القصّة القرآنيّة في التفاصيل من أوجه كثيرة.

---

٧ –الفصل ٣٨ من مدراش «التكوين رباه»: «ستقبر في سن كبير طيّب، وأرى الله إبراهيم أنّ إسماعيل سيتوب.»

بقيّة الأمثلة سنذكرها لاحقًا في المتن.

[٤٢٩] سورة يوسف/ الآية (٦٧)

[٤٣٠] *Encyclopaedia Judaica*, ٧/٤٤٩

[٤٣١] انظر؛ Jacob Neusner, *Genesis Rabbah*, Georgia: Scholars Press, ١٩٨٥, ٣/٢٦٤

* تعرّض هذا المدراش للتغيير الشديد ولا يملك المستشرقون والمنصّرون حجّة على أصالة هذه القصّة في هذا المدراش أو على ثبوت وجودها فيه قبل البعثة النبويّة، علمًا أنّ أقدم مخطوطة لهذا المدراش بحوزتنا اليوم: (Vat. ٣٠) تعود إلى ٤٠٠–٥٠٠ سنة بعد البعثة النبويّة[٤٣٢]، كما أنّ النصّ المنشور اليوم باللغة الأصليّة والذي أعدّه «ثيودور» «Theodor» و«ألبك» «Albeck» (١٩٢٩م) لا يطابق أية مخطوطة قديمة لكثرة الاختلافات بينها![٤٣٣]

* قصّة «إبراهيم» عليه السلام مع أصنام قومه، وإلقائه في النار، من أثبت القصص في التراث الشفوي اليهودي؛ فقد وردت في التلمود وفي «سفر اليوبيلات» «**ספר היובלים**» الذي ألّف في القرن الثاني قبل الميلاد –على قول الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*»[٤٣٤]، أي بعد إعادة كتابة التوراة على يد «عزرا» بثلاثة قرون، وكانت القصّة في

---

[٤٣٢] انظر؛ L. M. Barth, *An Analysis Of Vatican* ٣٠, ١٩٧٣, Monographs of the Hebrew Union College No. ١, Hebrew Union College - Jewish Institute Of Religion, pp. ٨٨-٨٩ (Quoted by, M S M Saifullah, *The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah*)

[٤٣٣] انظر؛ Hans-Jürgen Becker, "*Texts And History: The Dynamic Relationship Between Talmud Yerushalmi And Genesis Rabbah*", in Shaye J. D. Cohen (ed.) *The Synoptic Problem In Rabbanic Literature*, ٢٠٠٠, Brown Judaic Studies: Providence (RI), pp. ١٥٤-١٥٥ (Quoted by, M. S. M. Saifullah, *The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah*)

[٤٣٤] انظر؛ *Encyclopaedia Judaica*, ١١/٤٧٣–٤٧٤ .. هذا هو أقصى تاريخ متأخّر متصوّر لتأليف هذا السفر؛ إذ إنّه قد وجدت منه ١٥ مخطوطة في مغاور قمران، وترجع أقدمها إلى سنة ١٢٥ق م– ١٠٠ ق م (انظر؛ James C. VanderKam, *The Book of Jubilees*, Sheffield: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠١, p.١٦)؛ ممّا يؤكد ذيوع هذا السفر في ذاك الزمن القديم، ولعلّه يعود إلى زمن أبكر مما ذكرته الموسوعة اليهوديّة. ولايزال هذا السفر مقدسًا في الكنيسة الأثيوبيّة.

مجملها ذائعة بين اليهود في زمن قديس الكنيسة «جيروم»[٤٣٥]؛ وهو ما يظهر أنّ لها أصلًا ثابتًا قديمًا.

- مدراش «الخروج (شموت) رباه» «שמות רבה» : استدلّ «جايجر» بمدراش «الخروج رباه» في حديثه عن الاقتباس القرآني من قصّة «موسى» عليه السلام.

ذهب الناقد «زونز» إلى أنّ هذا الكتاب يشكّل كتلة واحدة، ويعود كلّه إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، وإن كان يرى أنّ فيه أجزاء داخلية مأخوذة من مدراشات أقدم[٤٣٦]، في حين ذهب الناقد «هر» «Herr» إلى أنّ هذا المدراش في حقيقته ليس كتلة واحدة متجانسة، وإنّما هو مكوّن من جزأين، الجزء الأوّل يشمل الفصول الأربعة عشر الأولى، وهو يغطي التعليق على تكوين ١-١٠، في حين يستوعب الجزء الثاني باقي الفصول (١٥-٥٢). يعود الجزء الأوّل إلى فترة زمنيّة لا يمكن أن تكون سابقة للقرن العاشر، أمّا الجزء الثاني فيسبق الجزء الأوّل تاريخيًا.[٤٣٧]

وبالنظر في جميع الأمثلة التي أوردها «جايجر» نلاحظ أنها كلّها موجودة في الجزء الأوّل (الفصلان الأوّل والخامس) الذي ألّف –على قول من يميز بين جزأي المدراش- بعد نزول القرآن الكريم بثلاثة قرون على أدنى تقدير، علمًا أنّ أوّل اقتباس صريح من هذا المدراش كان في القرن الثالث عشر!![٤٣٨]

---

[٤٣٥] أشار إلى ذيوع القصّة بين اليهود (مع اختلاف في التفصيل) في كتابه « *Quaestiones Hebraicae in Genesim*»

[٤٣٦] انظر؛ H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash*, p. ٣٠٩

[٤٣٧] انظر؛ المصدر السابق

[٤٣٨] انظر؛ المصدر السابق

• مدراش «العدد رَباه» «במדבר רבה» : تكرّر قول المنصّرين والمستشرقين إنّ مدراش «العدد رباه» من مصادر القرآن الكريم؛ حتّى لكأنّه من المسلّمات!

يتكون هذا المدراش المرتبط بشرح سفر العدد، من جزأين متباعدين زمنًا ومصدرًا، ومتأخّرين تدوينًا؛ تقول الموسوعة اليهوديّة «*The Jewish Encyclopedia*»: «يتمثّل مدراش «العدد رباه» في جزأين مختلفين في المصدر والمضمون. يحتوي الجزء الأوّل على المقاطع ١-١٤ وهو تقريبًا ثلاثة أرباع الكتاب، ويضم شرحًا أجاديًا متأخرًا على سفر العدد ١-٧. يضمّ الجزء الثاني المقاطع ١٥-٣٣، وهو إعادة صياغة لمدراش تنحوما من سفر العدد ٨ كلمة كلمة تقريبًا ... حتّى الجزء الأوّل يضمّ الكثير ممّا هو مأخوذ من تنحوما ... هذا الجزء من العدد ربّاه أظهر كلّ علامات الزمن الأجادي المتأخّر ... هذا العمل طبقًا لما قاله «زونز» «Zunz» من الصعب أن يؤرّخ قبل **القرن الثاني عشر ميلاديًّا** ويبدو أنّ الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» —كما يظهر من الجدول- تقول أيضًا بنفس هذا القول.

وتقول الموسوعة اليهودية «*The Universal Jewish Encyclopedia*» إنّ الجزء الأوّل من مدراش العدد متأخر جدًا ومتأثر بكتابات الأحبار الفرنسيين، وإنّ الجزء الثاني، كما بيّن ذلك «بوفنست» «Boveniste» تكرار حرفي لمدراش تنحوما. وأضافت أنّ أوّل ذكر لهذا المدراش كان في القرن الثالث عشر؛ واستنبطت من ذلك أنّ إتمام هذا المدراش لا يعود إلى زمن أقدم من القرن الثاني عشر،[٤٣٩] وهو تقريبًا ما صرّحت به الموسوعة اليهوديّة « *The New Standard Jewish Encyclopedia*»![٤٤٠]

وقال الناقد «يهوذا ج. سلوتكي» «Judah J. Slotki» في مقدمته للترجمة الإنجليزيّة لمدراش «العدد ربّاه»: «يُظهر الكتاب كلّ علامات الأصل المتأخّر ... من **المتّفق عليه** عمومًا أنّه لم

---

[٤٣٩] انظر؛ *The Universal Jewish Encyclopedia*, ٧/٥٤٠

[٤٤٠] انظر؛ Cecil Roth and Geoffrey Wigoder, eds. *The New Standard Jewish Encyclopedia*, New York: Doubleday, ١٩٧٠, p.١٤٥٧

يكن موجودًا في شكله الحالي **قبل القرن الثاني عشر الميلادي**. أقدم مخطوطة متاحة ... تعود إلى سنة ١٢٩١... لم يشر أيّ عالم إلى (هذا الكتاب) قبل القرن الثالث عشر.»[٤٤١]

ويقول الناقد «ماريون ب. لرنر» «Myron B. Lerner» إنّ الناقد «هـ. ماك» «H. Mack» قد أثبت أنّ هذا المدراش هو نتاج القرن العاشر–الحادي عشر، وإنّه قد أخذ شكله النهائي في منتصف القرن الثاني عشر، وإنّه نتاج نشاط تفسيري لأحبار منطقة «بروفنس» بفرنسا أثناء القرنين العاشر والحادي عشر.[٤٤٢]

وخلاصة الخلاف بين النقاد هنا هو اعتبار هذا المدراش كتابًا واحدًا متجانسًا، أو كتابًا هو تجميع لعملين مختلفين من ناحية زمن التأليف؛ فعلى القول الأوّل الذي انتصر له «أ. هـ. فايس» «I. H. Weiss» و«مركن» «Mirkin» فإنّ هذا الكتاب قد ألّفه «موشه هادرشان» **كلّه في القرن الحادي عشر**[٤٤٣]، وعلى القول الثاني فإنّ جزءًا من هذا المدراش قد كتب في القرن التاسع في حين كتب الجزء الآخر في القرن الحادي عشر.

إنّ العلامات الداخليّة تجزم أنّ هذا المدراش قد كتب في زمن بعيد بقرون عن البعثة النبويّة، كما أنّ أقدم مخطوطة متاحة وأقدم إحالة لهذا المدراش تفصلهما مساحة زمانيّة واسعة جدًا عن زمن نزول القرآن الكريم![٤٤٤]

---

[٤٤١] H. Freedman and Maurice Simon, eds. *The Midrash Rabbah, translated into English with notes*, London: The Soncino Press , p.vii

[٤٤٢] انظر؛ Mack, *Prolegomena*, pp.١٩١-١٩٣ (Quoted by, Myron B. Lerner, '*The Works of Aggadic Midrash and the Esther Midrashim*.' In Shmuel Safrai and others, ed. *The Literature of the Sages: Second Part: Midrash and Targum, Liturgy, Poetry, Mysticism, Contracts, Inscriptions, Ancient Science and the Languages of Rabbinic Literature*, Minnesota: Fortress Press, ٢٠٠٦, ٢/١٥٥)

[٤٤٣] انظر؛ Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p. ٣١٠

[٤٤٤] انظر المصدر السابق، ص ٣١٠–٣١١

- «مدراش الجامعة» «**קהלת רבה**»: ذكرت الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» أنّ «مدراش الجامعة» من ضمن المدراشات التي أُلّفت بعد ظهور الإسلام. ورجّح صاحبا كتاب « *Introduction to the Talmud and Midrash*» أنّه قد أُلّف في القرن الثامن في فلسطين.[٤٤٥]

- «مدراش هجادول» «**מדרש הגדול**»: مما يكشف بجلاء واضح (فصيح) غياب أخلاقيات الحوار العلمي في كتابات المنصّرين، استدلالهم لدعوى الاقتباس بالتشابه بين «مدراش هجادول» والقرآن الكريم في بعض تفاصيل القصص، رغم أنّ هذا المدراش قد كتب بين القرنين **الرابع عشر والخامس عشر** —كما هو واضح في الجدول السابق للموسوعة اليهوديّة—**!!**

وقد نسبه بعض النقاد سابقًا إلى «إبراهيم» ابن الفيلسوف اليهودي المشهور «موسى بن ميمون» (توفي: ١٢٣٧م)[٤٤٦]، لكنّه —كما يقول مؤلّفو كتاب «مدخل إلى التلمود والمدراش» «*Introduction to the Talmud and Midrash*»: «ينظر اليوم من الكلّ تقريبًا إلى داود بن عمرام على أنّه مؤلّف مدراش هجادول.»[٤٤٧]، وهو ما تبناه معجم الديانة اليهوديّة « *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*».[٤٤٨]

---

[٤٤٥] انظر؛ Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p. ٣١٨

[٤٤٦] انظر؛ S. Fisch, *Midrash Haggadol on the Pentateuch*, Manchester University Press ND, ١٩٤٠ , pp.٦-٤١

[٤٤٧] Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p.٣٥٤

[٤٤٨] انظر؛ R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, p.٤٦٣

وقد نسبته الموسوعة اليهوديّة «*The Encyclopedia of Judaism*» إلى القرن الثالث عشر، وذكرت أنّ صاحبه قد اقتبس فيه بصورة موسّعة من الترجمة العربيّة للتوراة «لسعديا الفيومي»، وأنّه لم يقتبس مباشرة من التلمود وإنّما أخذ عنه من خلال قواميس القرون الوسطى![٤٤٩]

- «**يَلقوط شِمعوني**» «**ילקוט שמעוני**»: أُلّف هذا المدراش في فترة قريبة من «مدراش هاجادول» —في القرن الثالث عشر كما هو في جدول الموسوعة اليهوديّة– ورجّح صاحبا كتاب «*Introduction to the Talmud and Midrash*» أنّه قد ألّف في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر[٤٥٠] .. ومع ذلك فقد وجد له المنصّرون مكانًا بين (المصادر البشريّة للقرآن الكريم)!!
- «**سفر هياشار**» «**ספר הישר**»: ينتمي مدراش «سفر هياشار» إلى نفس الفترة الزمنيّة للسفرين السابقين؛ إذ تردّه الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» إلى آخر القرن الحادي عشر، وترجح أنّه ألّف في الأندلس (جنوب إسبانيا)[٤٥١] وقالت فيه صراحة: «استعمل المؤلّف أحيانًا خياله بِحريّة، **وتأثّر بصورة كبيرة بخرافات المسلمين**. يحتوي هذا العمل على عدّة **أسماء عربيّة** ولاتينيّة وأيضًا التعريف الفلسفي الذي يعود إلى **القرون الوسطى** المتمثّل في أنّ الإنسان هو روح حيّة رُزِقت نطقًا. اقتُبس لأوّل مرّة في يلقوط شمعوني.»[٤٥٢]

---

[٤٤٩] انظر؛ Phil. D. Wigoder and others, eds. *The Encyclopedia of Judaism*, New York: Macmillan Publishing Company, ١٩٨٩, ٤٨٩

[٤٥٠] انظر المصدر السابق، ص ٣٥٢

[٤٥١] انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, ١٤/١٨٩

[٤٥٢] انظر المصدر السابق, ١٣/ ١٨٨

وقالت «الموسوعة التاريخيّة للأنبياء في الإسلام واليهوديّة» « *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*» إنّ هذا السفر قد ألّف في القرن الثالث عشر، وإنّه «**يضم عدة عناصر من التفسيرين اليهوديّ والإسلامي.**»[٤٥٣]

وقد ذهب الناقدان «ج. دان» «J. Dan» و«ج. جينو» «J. Genot» إلى ترجيح أن يكون تأليفه قد كان في **القرن السادس عشر**، واستدل «ج. جينو» لهذا الأمر بما أورده المؤلّف من ذكر لاستعمال الإسطرلاب، وأن «يوسف» كان فلكيًا في محكمة للأمميين، وما جاء فيه من تفاصيل كتابيّة كانت شائعة في القرن السادس عشر[٤٥٤] .. ولم يصرفه ذلك عن قائمة مصادر القرآن المنزّل في بداية القرن السابع!

- مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» «**אותיות דרבי עקיבא**» نسبه (مؤلّفه/مؤلفوه) إلى الحبر «عقيبا»، وهو متعلّق بأسماء الحروف العبريّة.

ألّف هذا المدراش بعد ظهور الدعوة المحمّديّة، وفي واقع متأثّر بالبيئة الإسلاميّة؛ إذ قد ردّ الناقد «جلّينك» «Jellinek»[٤٥٥] تأليفه إلى فترة متأخرة بسبب ما يبدو فيه من **إشارة إلى الشكل العربي للحروف ومن إشارة إلى الحياة العربيّة.**[٤٥٦]

ذهبت «الموسوعة التاريخيّة للأنبياء في الإسلام واليهوديّة» « *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*» إلى أنّ هذا المدراش قد ألّف في القرن الحادي عشر.[٤٥٧]

---

[٤٥٣] Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p. ٥٦

[٤٥٤] انظر؛ Hermann Strack and Gunter Stemberger, *Introduction to the Talmud and Midrash*, p.٣٣٩

[٤٥٥] أدولف جلينك (الاسم العبري: أهارون يلينق **אהרן ילינק**) (١٨٢١م-١٨٩٣م): حبر يهودي نمساوي. ناقد مهتم بدراسة المدراشات.

[٤٥٦] انظر؛ *The Jewish Encyclopedia,* ١\٣١١

وذهب مؤلّفا كتاب «*Introduction to The Talmud and Midrash*» إلى أنّ «أوتيوت دي ربي عقيبا» قد ألّف في فترة ما من القرن السابع إلى القرن التاسع.[٤٥٨]

وقرّرت الموسوعة اليهوديّة «*The Universal Jewish Encyclopedia*» أنّه قد ألّف في القرن الثامن أو التاسع.[٤٥٩]

واختارت الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopedia Judaica*» القول إنّ هذا المدراش يعود جمعه إلى القرن التاسع ميلاديًّا[٤٦٠] علمًا أنّ هذه الموسوعة ذاتها تقرّر أنّ لهذا المدراش عدة نصوص مختلفة (different versions)، وأنّ هناك نسخًا أخرى له (أكثر من المطبوع) لم تنشر بعد[٤٦١]، كما أنّ جميع ما هو منشور أصله متأخّر جدًّا عن الزمن الافتراضي للتأليف؛ كلّ ذلك يجعل القول بأصالة ما يُستدل به في هذا المدراش لإثبات دعوى الاقتباس في حاجة إلى دليل مباشر على أنّه ليس ملحقًا في زمن متأخر عن زمن التأليف الذي هو أصلًا متأخّر عن البعثة النبويّة المحمّديّة!؟؟

المثال الوحيد المدّعى من «جايجر» ومن شايعه من المستشرقين والمنصّرين هو ما جاء في مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» ٨. ١: «أمير النار يقول يوميًا أعطوني المزيد من الأكل لإرضائي لأنّه قيل: (إشعياء ١٤/٥): لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فمها بلا حد فينزل بهاؤها

---

[٤٥٧] انظر؛ Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.٢٠

[٤٥٨] انظر؛ H. L. Strack and G. Stemberger, *Introduction to The Talmud and Midrash*, p.٣٤٩

[٤٥٩] انظر؛ *The Universal Jewish Encyclopedia,* ١/١٤٤

[٤٦٠] انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, ١٤/١٨٨

[٤٦١] انظر المصدر السابق

وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها.» وهو أصل جاء في القرآن الكريم -بزعمهم- : ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ [٤٦٢]، وهي دعوى مردودة من أوجه:

أوّلها: تأخّر تأليف هذا المدراش عن نزول القرآن الكريم.

ثانيها: مضمون هذا النص المدراشي ثابت في الكتاب المقدس ذاته؛ إذ قد ورد في سفر إشعياء ٥/١٤، ومنه أخذ مؤلّف هذا المدراش الفكرة التي ساقها.

ثالثها: مجمل معنى ما جاء في الآية القرآنيّة الكريمة ورد أيضًا في سفر الأمثال ٣٠/١٥-١٦: «ثلاثة أشياء لا تشبع قط، والرابعة لا تقول كفى: الهاوية، والرحم العقيم، وأرض لا ترتوي من الماء، والنار التي لا تقول أبدًا كفى.»

رابعها: النص القرآني ليس مطابقًا لما جاء في مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا»؛ إذ إنّ الطالب في مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» هو «أمير النار»، في حين أنّ النار نفسها تطلب المزيد في الآية القرآنيّة الكريمة.

---

[٤٦٢] سورة ق/ الآية (٣٠)

صورة لغلاف مدراش «أوتيوت دي ربي عقيبا» (طبعة ١٩١٤م)



מדרש

אותיות דרבי עקיבא

השלם

בשתי נוסחאות

ע"פ כתבי־יד ישנים, ודפוסים שונים

עם

מדרש אלפא ביתות

ע"פ כת"י יחידי בעולם שנעתק בבוכארה

בשנת אתתי"ז לשט'

יוצא לאור פעם ראשונה

עם באורים והערות וציונים ומבוא

מאתי

שלמה אהרן ווערטהיימער

פה ירושלים עה"ק תוב"ב שנת תרע"ד

בדפוס

من الاقتباسات المدّعاة في عامة المدراشات:

هامان وقارون

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[463]

المصدر المدّعى:

لم تذكر شخصيّة باسم «هامان» في الكتاب المقدّس إلا في سفر إستير[464]، في زمن بعيد عن زمن «موسى» عليه السلام، وقد كرّر المنصّرون والمستشرقون أنّ هذا خطأ تاريخي جليّ في القرآن الكريم[465]، وفي محاولة لإيجاد سبب لورود هذا الخطأ (المدّعى) قالوا إنّ مدراش «العدد ربّاه» هو مصدر هذا الخلط؛ إذ قد جاء فيه: «وظهر كذلك رجلان ثريّان في العالم، قورح[466] في إسرائيل وهامان بين أمم الأرض، وقد قُطِع كلّ منهما من العالم.»

التعليق:

١ – الكتاب المقدّس صريح في نسبة «هامان» إلى زمن بعيد جدًا عن «قارون»، ولا يستقيم في ذهن عاقل أن تجتمع دعوى أنّ نبي الإسلام ﷺ يعرف دقائق الأسفار المقدسة والأبوكريفا اليهوديّة والتراث اليهودي التشريعي والتفسيري، مع القول بخطئه في التمييز بين البيئة الزمنيّة والمكانيّة لسفر العدد وسفر إستير!

---

[463] سورة غافر/ الآيتان (٢٣-٢٤)

[464] الترجمات النصرانيّة العربيّة تضبط الاسم بفتح الهمزة (أستير) رغم أنّ الألف في العبريّة ممالة (عليها حركة سيجول لا البتاح) وفي السبعينيّة يبدأ الاسم بحرف الإبسيلون لا الألفا!

[465] جاء التفصيل في الردّ على هذه الدعوى، وكشف إعجاز القرآن الكريم، في الكتاب الذي بين يديك، فانظره فضلًا!

[466] هو «قارون» كما هو قول عامة النقاد.

٢ – لم يقل مدراش «العدد ربّاه» إنّ «هامان» كان معاصرًا «لقارون»، إنما جاء الحديث عنهما على أنهما كانا من الأثرياء في التاريخ البشري.

٣ – لا يبدو أنّ هذا المدراش يخالف الكتاب المقدس في تمييزه بين «هامان» سفر إستير و«قورح» الذي عاصر «موسى» عليه السلام؛ إذ قد نسب «قورح» إلى بني إسرائيل، ونسب «هامان» إلى غيرهم، وهو ما يوافق منصوص الكتاب المقدّس.

٤ – مدراش العدد متأخّر زمنيًا عن بعثة الرسول ﷺ كما سبق بيانه.

سرق أخ له من قبل:

قال تعالى حكاية عن إخوة «يوسف» عليه السلام لما اتّهموا أخاهم بالسرقة: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[٤٦٧]

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» ٩٢: «سارق ابن سارقة».

التعليق:

١ – النصّ القرآني يقول إنّ الإخوة قد رموا «يوسف» عليه السلام بالسرقة، في حين يقول مدراش «التكوين رباه» إنّ إخوة «يوسف» فد رموا أمّ أخيهم بالسرقة.[٤٦٨]

٢ – يقع هذا المقطع في مدراش «التكوين رباه» ، في الجزء الذي أكّد النقّاد أنّه تبدو عليه علامات الأجاده المتأخّرة وأنّه متأثّر بمدراش «تنحوما» الذي ألّف بعد البعثة النبويّة!

[٤٦٧] سورة يوسف/ الآية (٧٧)

[٤٦٨] قال «فريدمان» في تحقيقه لهذا المدراش إنّ هذه التهمة تحيل إلى نص تكوين ٣٤/٣١: «وكانت راحيل قد أخذت الأصنام وأخفتها في رحل الجمل وجلست عليها، فبحث في كل الخيمة دون أن يعثر على شيء.»

وصيّة «يعقوب» عليه السلام لبنيه

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٤٦٩]

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» ٩٨، ومدراش «التثنية رباه» ٢: «نادى يعقوب أبناءه الاثنى عشر لما كان مغادرًا الدنيا، وقال لهم: «اسمعوا أباكم إسرائيل! أفي قلوبكم شك في الله؟»، فقالوا: «اسمع يا أبانا إسرائيل، كما أنّه ليس في قلبك شيء من الشك في الله، فكذلك الأمر عندنا، الرب إلهنا، رب واحد»، ثم خاطبهم قائلًا: «مبارك اسم المملكة العظيمة، إلى الأبد.»»

בְּשָׁעַת שֶׁהָיָה יַעֲקֹב אָבִינוּ נִפְטָר מִן הָעוֹלָם קָרָא לִשְׁנֵים
עָשָׂר בָּנָיו אָמַר לָהֶם שִׁמְעוּ אֶל יִשְׂרָאֵל אֲבִיכֶם שֶׁמָּא יֵשׁ
בִּלְבַבְכֶם מַחֲלֹקֶת עַל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אָמְרוּ לוֹ שְׁמַע יִשְׂרָאֵל
אָבִינוּ כְּשֵׁם שֶׁאֵין בְּלִבְּךָ מַחֲלֹקֶת עַל הַקָּ׳ בָּ׳ ה׳ כָּךְ אֵין
בְּלִבֵּנוּ מַחֲלֹקֶת אֶלָּא ה״ אֱלֹהֵינוּ ה׳ אֶחָד אַף הוּא פֵּרַשׁ
בִּשְׂפָתָיו וְאָמַר בָּרוּךְ שֵׁם כְּבוֹד מַלְכוּתוֹ לְעוֹלָם וָעֶד

التعليق:

١ – ليس يخفى على القارئ الخلاف في عرض وصيّة «يعقوب» لبنيه في النصين؛ ففي الآية القرآنيّة سئل الأبناء عمّن سيعبدون بعد وفاة أبيهم، وفي المدراش كان السؤال إن كان في قلوبهم شك في الله.

---

[٤٦٩] سورة البقرة/ الآيتان (١٣٢-١٣٣)

٢ – التوراة نفسها ذكرت أنّ الرب قد قال عن «إبراهيم» عليه السلام: «لأنني قد اخترته **ليوصي بنيه وأهل بيته من بعده كي يحفظوا طريق الرب،** عاملين البر والعدل، حتى ينجز الرب ما وعد به إبراهيم.»[٤٧٠]

٣ – جاء الفصل ٤٩ من سفر التكوين في وصيّة «إسحاق» لبنيه، في تفصيل طويل لما سيكون منهم، والمطلوب منهم. وقد جاء النص القرآني مصوّبًا لما غفلت عنه هذه الوصيّة، بالأمر بالإخلاص (لأصل) الدين؛ وهو التوحيد.

٤ – جاء هذا النص في الجزء الذي أكّد النقّاد أنّه تبدو عليه علامات الأجاده المتأخّرة وأنّه متأثّر بمدراش «تنحوما» الذي ألّف بعد البعثة النبويّة!

نسيان ساقي الملك

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[٤٧١]

المصدر المدّعى:

جاء في مدراش «التكوين رباه» ٨٩: «كلام الشفتين يقود فقط إلى الفقر؛ لأنّه رغم أنّ يوسف قد ذكّر الساقي مرّتين أن يذكُره، لكنّه كان عليه أن يبقى سنتين أخريين في السجن؛ لأنّه مكتوب: «وبعد سنتين»[٤٧٢].»

---

[٤٧٠] تكوين ١٨/١٩

[٤٧١] سورة يوسف/ الآية (٤٢)

[٤٧٢] تكوين ١/٤١

التعليق:

١ - لبث «يوسف» في السجن رغم طلبه من ساقي الملك أن يذكره عند حاكم مصر، مذكور في التوراة[٤٧٣] نفسها التي لها أصل سماوي؛ فالتوراة تتضمّن (الطلب) و(نسيان الساقي) و(اللبث في السجن بعد ذلك).

٢ - ردّ القرآن الكريم نسيان ساقي الملك «ليوسف» عليه السلام إلى الشيطان الذي أنسى الساقي أن يذكر لسيّده حاكم مصر أمر «يوسف» عليه السلام، لا إلى عقاب الله سبحانه لنبيّه؛ إذ إنّ القرآن الكريم قد أثنى على «يوسف» لصبره على المحنة؛ فكيف يرميه بترك التوكّل على الله جلّ وعلا؟!

يقول الإمام «ابن حزم»: «وأما قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ فالضمير الذي في أنساه وهو (الهاء) راجع إلى الفتى الذي كان معه في السجن، أي أنّ الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام. ويحتمل أيضًا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عزّ وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام. **وبرهان ذلك قول الله عز وجل:** ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ **فصحّ يقينًا أن المدكر بعد أمّة هو الذي أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر.**»[٤٧٤]

٣ - يقع هذا المقطع في مدراش «التكوين رباه» في الجزء الذي أكّد النقّاد أنّه تبدو عليه علامات الأجاده المتأخّرة وأنّه متأثّر بمدراش «تنحوما» الذي ألّف بعد البعثة النبويّة!

---

[٤٧٣] تكوين ٤٠/١٤

[٤٧٤] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢/٢٩٨

○ التلمود תלמוד :[٤٧٥]

يملك اليهود تلمودين اثنين: التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي[٤٧٦]، ألّف الأوّل في بابل وألّف الثاني في فلسطين. يحتل التلمود البابلي مقامًا أعظم بين اليهود؛ حتّى إنه إذا أطلقت كلمة (تلمود)؛ انصرف المعنى إليه مباشرة.

---

[٤٧٥] لا بدّ أن نعترف -بكل أسف- أنّ عامة ما كُتب باللغة العربيّة عن التلمود لا يكاد يصنّف خارج دائرة (السباب) و(الكلام العائم)، رغم أنّ الدراسات التلموديّة تعتبر من أدقّ التخصصات العلميّة في الغرب، وهو تخصص يحتاج أدوات علميّة عاليّة وتمكّن معرفي وصبر على البحث. نحن في بلادنا -للأسف الشديد- لا نعرف ترجمة عربيّة واحدة للتلمود، فكيف سنتحدّث عن (الدراسات التلموديّة) ..؟!!

لا بدّ أن نخرج من دائرة (الكلام الإنشائي) عن اليهوديّة والتلمود، ونتجاوز (عبثيّات) الكلام الخطابي الموصول بشعارات جاهليّة تركب متن (القوميّة العربيّة)، وندرس اليهوديّة من أصولها ومراجعها المعتبرة في ضوء حقائق الوحي (القرآن الكريم والسنّة النبويّة) والأدوات المعرفيّة المعتبرة.

إنّ التلمود -بالتاء المفتوحة لا المضمومة كما هو شائع!- في الذهنيّة العربيّة هو في اختزال مخل جدًا: (كتاب سري مخيف)!! لكنّه في حقيقة أمره يمثّل التراث الشفهي اليهودي الذي يجمع الحق والباطل، وفيه بقيّة من رسالات الأنبياء مع كم هائل من خيالات الأحبار واجتهاداتهم. وهو يجمع إلى الأهواء البشريّة المنحرفة، بعض الحِكم الندّيّة. ولا تزال الدراسات الغربيّة اليوم -رغم ما بذلت من جهد- على شاطئه تحاول الغوص في أعماقه ومعرفة منابعه.

وقد صدر كتاب «التلمود، كتاب اليهود المقدس» للدكتور «أحمد أبيش» -دار قتيبة ٢٠٠٦- وقدّم له المؤرّخ «سهيل زكّار» رحمه الله، كمدخل لدراسة التلمود بنفس علمي يجمع بين الرؤية القرآنيّة الأصيلة والقراءة العلميّة الموضوعيّة الهادئة، ولعلّه يكون بداية لتأسيس مكتبة عربيّة علميّة جادة في هذا الموضوع؛ للخروج من مرحلة (الطيش الصبياني) التي يمثّلها الكتاب المزيّف بإجماع المتخصصين (بروتوكولات حكماء صهيون) والكتابات الخطابيّة (الجوفاء) التي تضخّها مطابعنا والتي تنفي عن أمتنا كلّ تقصير أو انحراف، وترى أنّ (حكماء صهيون) هم الذي يتصرفون في الكون ويعلمون السرّ وأخفى .. وهو منهج (التخدير) الذي يلبس لبوس (الوعي السياسي) .. وقد نسي هؤلاء أنّ أمتنا لا تهزم البتّة من خارجها، وإنّما هزيمتها لا تكون إلاّ من داخلها حين تترك الانتصار لرسالة الوحي التي نزلت بين أظهرها، وصدق ربّي إذ قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم} سورة محمد/ الآية (٧)

ورغم ضخامة التلمود وغزارة مادته وتنوّعّها وتغلغلها في الثقافة الشعبيّة اليهوديّة؛ إلاّ أننا لا نجد صدى كبيرًا لها كمصدر للقرآن الكريم عند المنصّرين والمستشرقين، ويكاد ينحصر أمر ادّعاء مصدريتها للقرآن الكريم في بعض التفاصيل القصصية القصيرة علمًا أنّ المادة الأجاديّة تشغل ثلث التلمود البابلي وبقيّة حديثه خاص بالجانب التشريعي، ويبلغ عدد كلمات التلمود البابلي مليونين ونصف المليون كلمة في نسخته الأصليّة[٤٧٧]، وقد طبع في عشرين مجلّدًا وفي أكثر من ذلك!

من الاقتباسات المدعاة:

السامري

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾[٤٧٨]

المصدر المدّعى:

قال «جايجر»: « «سامري» كان اسمًا للسامري، وطبق ما قاله العرب فإنّ السامريين يقولون: «لا تمسّنا» —أحال «جايجر» في الهامش إلى قول «المقريزي»: «ويذكر أنّهم يقولون لا مساس»، وقول «البيروني»: «إن السامرة تعرف باللامساسيّة». وأضاف قائلًا: «لا يعلم بأيّ قدر من الحجّة تمسّك العرب بهذا القول، ربّما فقط بسبب ما فهموه عن فرقة الفرّيسيين التي قبّح التلمود أمرها إذ سمّاها: «المنبوذة، لا تمسني»، ولكن ليس عندي غير جمع باهت لهذا المقطع. باختصار، كان

---

[٤٧٦] هي تسمية غير صحيحة لأنّ هذا التلمود لم يكتب في (أورشليم) وإنما كتب في (طبرية)، ولكننا مع ذلك سنحافظ عليها مراعاة للعرف.

[٤٧٧] انظر؛ أحمد أبيش، التلمود، كتاب اليهود المقدس، ص ٣٣

[٤٧٨] سورة طه/ الآيات (٩٥-٩٧)

السامريون معروفين لمتأخّري العرب بهذا الاسم، وكان محمد دون شك يعرفهم به أيضًا؛ وبما أنّه سمّى صانع العجل بالسامري؛ فلا بدّ أنّه بدا له على أنّه مؤسس هذه الفرقة، ولا بد أنّ «لا مساس» تعود إليه، وهي كعقوبة كانت معروفة لمحمد من نفس قصّة اليهودي الهائم على وجهه.»[٤٧٩]

التعليق:

١ – من الغريب في هذا الشبهة أنّ «جايجر» قد خالف سنّته الثابتة في التصريح بموضع الاقتباس، إذ قد اكتفى هنا بالإشارة إلى التلمود؛ دون أن يضبط موقعه فيه!؟

٢ – قول «المقريزي»: «يذكر»، بصيغة التمريض، دال على أنّ الأمر ليس إلاّ نقلًا بلا حجّة محكمة. وكذلك قول «البيروني» الذي لم يسُق له «جايجر» حجّة.

٣ – مصدر قول من قال إنّ السامريين هم قوم كانوا يقولون «لا مساس» هو فهمهم السطحي للآية القرآنيّة؛ فقد استنبطوا مما لحق بالسامري في قصّته مع «موسى» عليه السلام أنّ قومه قد ورثوا ما ابتلي به.

٤ – لم يعرف «جايجر» نفسه كيف (يمنطق) هذه الشبهة؛ ولذلك أكثر من التردّد والاعتراف بعجزه عن ضبط مصادر لها.

٥ – لا علاقة البتّة من الأوجه الفونولوجيّة والإتيمولوجيّة والمذهبيّة والتاريخيّة بين (الفريسيين) و(السامريين)؛ فكيف يفترض «جايجر» قسرًا جمع العرب بينهما!

---

[٤٧٩] A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. ١٣١-١٣٢

التنور

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيل﴾ [٤٨٠]

المصدر المدّعى:

ادّعى «جايجر» أنّ الآية القرآنيّة مقتبسة مما جاء في التلمود (روش هاشناه ١٦. ٢ وسنهدرين ١٠٨) من أنّ ماء الطوفان كان حارًا. [٤٨١]

التعليق:

لم تذكر الآية القرآنيّة أنّ ماء الطوفان كان حارًا، بل ظاهر من الآيات القرآنيّة عكس ذلك بذكر نزول المطر من السماء وتفجّر العيون في الأرض:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرٍ﴾ [٤٨٢]

أمّا أمر (التنّور) فقد اختلف فيه أهل العلم، والصواب أنّ أمره لا يخرج عن اثنين؛ إمّا أنّ التنور هنا علامة على بداية الطوفان، ودليل ذلك أن سياق الآيات يظهر أنّ فوران التنور كان العلامة التي أعطيها «نوح» حتّى يركب في الفلك، أو أنّ خروج الماء الدافق من الأرض قد شبّه بفوران التنور.

---

[٤٨٠] سورة هود/ الآية (٤٠)

[٤٨١] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, ١٩٧٠, p. ٨٦

[٤٨٢] سورة القمر/ الآيتان (١١-١٢)

على القول الأوّل لا يكون للتنور علاقة بحرارة الماء لأنه تنور واحد، له وظيفة واحدة، وهي أن يخرج منه النار إعلانًا لبداية الطوفان، وعلى القول الثاني يكون الأمر متعلقًا بتشبيه خروج الماء الدافق من الأرض بفوران التنور.

وفي الأخير أقول إنّ كلمة «تنّور» هي كلمة ساميّة لها نفس المعنى في الكثير من اللغات الساميّة وترسم بنفس الرسم تقريبًا؛ فهي في العبريّة «**תנור**» (تَنّور) وفي الآراميّة «**תנורא**» (تَنّورا) وفي السريانيّة «**ܬܢܘܪܐ**» (تنورا) وفي الأكاديّة «تِنورو» [٤٨٣].. وذلك يستدعي أن يكون الأصل (اليهودي؟) الذي (نقل عنه!) القرآن الكريم يضم نفس هذه الكلمة .. وليس الأمر كذلك!

شجرة الزقوم

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [٤٨٤]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (Sukkah ٣٢b): «نخلتان تكبران في وادي بن هِنُّوم، يخرج من بينهما دخان، وهذا مدخل جهنّم.»

שְׁתֵּי תְמָרוֹת יֵשׁ בְּגֵי בֶן הִנֹּם וְעוֹלֶה עָשָׁן מִבֵּינֵיהֶם וְזוֹ הִיא פִּתְחָהּ שֶׁל גֵּיהִנֹּם

---

[٤٨٣] انظر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, pp.٩٣-٩٤

[٤٨٤] سورة الصافات/ الآيات (٦٢-٦٧)

التعليق:

القرآن الكريم يذكر شجرة واحدة، وليست هي قطعًا نخلة، ولا يخرج منها دخان، وإنّما يأكل منها المعذّبون في النار، كما أنّها تنبت في قعر جهنّم لا في مدخله!!

الخيط الأزرق والخيط الأبيض

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ. . . ﴾[٤٨٥]

المصدر المدّعى:

جاء في مشنا التلمود (بركوت ١. ٢): «من أي وقت بإمكان المرء أن يقرأ الشِمع[٤٨٦] في الصباح؟ من الوقت الذي بالإمكان أن أن يميّز المرء بين الأزرق والأبيض.» «**מאימתי קורין את שמע בשחרית משיכיר בין תכלת ללבן**»

التعليق:

هذا التشابه هو من أشهر أدلّة الاقتباس المدّعى؛ إذ يكثر نقله في الكتابات التنصيريّة والاستشراقيّة المهتمة بإثبات تهمة النقل عن التلمود، والردّ:

---

[٤٨٥] سورة البقرة/ الآية ١٨٧

[٤٨٦] شمع **שמע**: صلاة يهوديّة.

١ – روّج «جايجر» لهذا الاقتباس المدّعى، وعنه نقله من جاء بعده. وقد دلّس «جايجر» في نقله إذ اقتصر على نقل القول الأول «**משיכיר בין תכלת ללבן**»[٤٨٧] الذي ينصّ على التمييز بين اللون الأزرق واللون الأبيض، وتجاهل بقيّة الكلام حيث صرّح الحبر «إليعازر» أنّه وقت التمييز بين الأزرق والأخضر؛ حرصًا من «جايجر» على المحافظة على (اللون الأبيض) الذي يجمع بين الآية القرآنيّة ونص المشناه!!؟

النص بأكمله: «من أي وقت بإمكان المرء أن يقرأ الشِمع في الصباح؟ من الوقت الذي بالإمكان أن أن يميّز المرء بين الأزرق والأبيض. قال الحبر إليعازر: بين الأزرق والأخضر.» «**מאימתי קורין את שמע בשחרית משיכיר בין תכלת ללבן ר' אליעזר אומר בין תכלת לכרתי**»

٢ – جاء في جماره التلمود البابلي في تفسير هذا النص: «ما معنى (بين الأزرق والأبيض)؟ هل أقول: بين كومة صوف أبيض وكومة صوف أزرق؟ هذا أمر من الممكن تمييزه في الليل! إنه يعني بالأحرى: بين الأزرق فيه والأبيض فيه.» «**מאי בין תכלת ללבן אילימא בין גבבא דעמרא חיורא לגבבא דעמרא דתכלתא הא בליליא נמי מידע ידעי אלא בין תכלת שבה ללבן שבה**.»»، ثم أورد التلمود اجتهادات أخرى لعلماء اليهود حول بداية قراءة الصلاة صباحًا؛ منها عند بداية التمييز بين الذئب والكلب أو التمييز بين الحمار والحمار الوحشي وغير ذلك ...

وهنا:

أ –اليهود أنفسهم غير متفقين على معنى اختلاف الألوان لمعرفة بداية الصلاة.

---

[٤٨٧] انظر؛ Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.٨٧

ب ظاهر أنّ اليهود متّبعون لقول الربي «إليعازر» لا القول السابق له لتحديد بداية الصلاة كما هو بيّن من تفصيل الجماره في شرحها لهذا القول، وهو قول لا يشترك مع القرآن الكريم في ما ذكره من الألوان.

ت -النص التلمودي يتحدث أساسًا عن تمييز المرء بين الألوان التي تكون في الصوف أو ألوان الأشياء عامةً، في حين أنّ النصّ القرآني يقصد تمييز سواد الليل من بياضه؛ قال الإمام «ابن كثير» في تفسيره: «أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة في الجماع أيَّ الليل شاء الصائم إلى أن يتبيّن ضياء الصبح من سواد الليل، وعبّر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللَّبس بقوله: {من الفجر}، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أُنزلت: {وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود}، ولم ينزل: {من الفجر}، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، وفلا يزال يأكل حتى يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله بعدُ: {من الفجر}، فعلموا أنما يعني الليل والنهار.»[٤٨٨]

ث فهم أحد الصحابة من الآية أنّ المقصود بها هو التمييز بين ألوان الخيوط أو ما شابهها؛ فكان يضع تحت وسادته عقالين[٤٨٩] اثنين، فلما علم الرسول ﷺ بذلك أنكر عليه فهمه للآية، وقال له: «إنّما ذلك سواد الليل وبياض النهار.»[٤٩٠]

---

[٤٨٨] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: مؤسسة الريّان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ط٢، ١/٢٥٥

[٤٨٩] عقال: الحبل الذي يعقل به البعير.

ج جماره التلمود الأورشليمي واضحة أيضًا في أنّ الحديث عن الألوان غير متعلّق ببياض النهار وسواد الليل؛ إذ قد جاء في تفسير التمييز بين الأبيض والأزرق أنّه التميز بين الحواشي (الأهداب) الزرقاء للباس والحواشي البيضاء فيه، وقالت إنّ الأحبار قد استنبطوا هذا الفهم من نص سفر العدد ٣٩/١٥: «فترون أهدابكم هذه.» علمًا أنّه قد ورد في العدد السابق له[٤٩١] حديث عن الأهداب الزرقاء للثياب. وشرحت جماره التلمود الأورشليمي قول الحبر «إليعازر» بنفس الفهم.[٤٩٢]

٣ - توقيت العبادات في الإسلام قائم أساسًا على ملاحظة الظواهر الكونيّة كالظل وتحرّكه وطوله، والشمس وشروقها وغروبها، والشفق وحمرته؛ وهي لغة عالميّة في ذاك العصر في جميع الديانات لعدم وجود ساعات كالتي عندنا اليوم لضبط الأوقات؛ فلا شكّ عندها أنّه لو قلنا جدلًا بالتشابه هنا بين القرآن الكريم والتلمود، فإنّ ذلك لا يدلّ على (مقتبس) و(مقتبس منه)؛ إذ الحديث عن الصبح مقترن بانقشاع الظلمة والتمييز البصري للأشياء، وقد كان الحديث في التلمود عن صلاة الصبح –بعد أن كان الحديث عن صلاة المساء: «من أي وقت بإمكان المرء أن يقرأ الشِمع في المساء.» «**מאימתיי קורין את שמע בערבין**»

---

[٤٩٠] رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل»، ح/١٩١٦، ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ح/ (١٠٩٠)

[٤٩١] العدد ٣٨

[٤٩٢] انظر؛ Jacob Neusner, ed. *The Talmud of the Land of Israel*, Chicago: The University of Chicago, ١٩٨٩, ١/٣١

٤ – الآية القرآنيّة متعلّقة بعبادة (الصيام)، في حين أنّ حديث التلمود هو عن عبادة (الصلاة) .. ؟!

سبع سماوات

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾[٤٩٣]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (حجيجا ٩ ب)

שבעה רקיעין הן וילון רקיע שחקים זבול
מעון מכון ערבות

التعليق:

١ – رقم (٧) له دلالة قدسيّة في كثير من الديانات؛ وقد ذهب التلمود نفسه إلى أنّ من أقوال الأحبار أنّ العالم قائم على «سبعة أعمدة» «**עמודיה שבעה**» (حجيجا ١٢ ب)

٢ – النص الذي استدلّ به «جايجر»، والذي قرّر أنّ هناك سبع سماوات، نسبه التلمود إلى الحبر «رش لكش»، وقد ذكر التلمود مباشرة قبله ما قرّره الحير «يهوذا» من أنّ هناك سماءين اثنتين فقط.

---

[٤٩٣] سورة الملك/ الآية (٣)

٣ – المقطع التلمودي التالي مباشرة (حجيجا ١٣ أ) نقل قول الحبر «أحا بن يعقوب» «**אחא בר יעקב**» الذي صرّح بوجود سماء ثامنة «توجد أيضًا سماء أخرى فوق رؤوس الكائنات الحيّة.» «**עוד רקיע אחד יש למעלה מראשי החיות**»

٤ – عندما فصّل «رش لكش» أمر السماوات السبع، ذكر أمورًا تخالف صراحة التصوّر القرآني لهذه السماوات؛ فقد ذكر أنّ السماء الأوّل تدخل في الصباح وتخرج في المساء، وذكر أنّ الشمس والقمر والنجوم توجد في السماء الثانية، وأورد تفصيلات أخرى لبقيّة السماوات لا نرى لها أثرًا في القرآن الكريم.

٥ – القول إن السماوات سبعٌ، موجودٌ أيضًا في عدد من الأسفار الأبوكريفيّة النصرانيّة المبكّرة «صعود إشعياء» (القرن الأوّل)، «رؤيا إبراهيم» (القرن الأول أو الثاني)، «أخنوخ» (السلافية) (القرن الثاني)، «رؤيا بولس» (القرن الثالث)، «حياة آدم وحواء» (اليونانيّة) (من القرن الأوّل إلى الرابع؟)، «أسئلة عزرا» (الزمن غير معروف) [٤٩٤]، وهو اعتقاد اليهود–المسيحيين الذين يعتبرون أقرب الطوائف النصرانية إلى رسالة «ابن مريم» عليهما السلام [٤٩٥]؛ بما يظهر أنّ القول بوجود سبع سماوات ليس من

---

[٤٩٤] انظر؛ Daniel C. Harlow, *The Greek Apocalypse of Baruch (٣ Baruch) in Hellenistic Judaism and Early Christianity* , Leiden: BRILL, ١٩٩٦ , p.٤٦

[٤٩٥] انظر؛ Stephen J. Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٢, p.٢١٤

أفراد الاعتقادات اليهوديّة، وإنما له وجود في أكثر من مصدر غير يهودي قديم.

حجم الجنة

﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [496]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (٩٤ *Pesachim*،١٠ *Taanith*): «يمثّل العالم الجزء السادس من الجنّة، وتمثّل الجنّة الجزء السادس من عدن»

עוֹלָם אֶחָד מִשִּׁשִּׁים בְּגַן גַּן אֶחָד מִשִּׁשִּׁים בְּעֵדֶן

التعليق:

١- ليس في القرآن الكريم شيء من هذا التقسيم والحساب التلمودي، بل النص القرآني صريح في مخالفته لحجم الجنّة التلموديّة:

(أ) الجنة حجمها في حجم السموات والأرض وليست أقلّ منها أبعادًا (السدس أو دون ذلك).

(ب) العالم الذي نحن فيه ليس جزءًا من الجنّة.

٢- من (الظريف) (الطريف) أن يقول «جايجر» إنّ الآية القرآنيّة مقتبسة من التلمود، رغم أنّ اليهود الذي عاصروا الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم اعترضوا على دلالة هذه الآية؛ فكيف تكون الآية مستلة من كتبهم التفسيرية(؟!):

---

[496] سورة آل عمران/ الآية (١٣٣)

قال الإمام «ابن كثير»: «وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ، إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقد رواه ابن جرير[٤٩٧] فقال: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خُثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة، قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فسد، فقال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلًا عن يساره، قال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتاب صاحبي: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين، فأين النار؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟». وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب: إن ناسًا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة، رواه ابن جرير من ثلاثة طرق، ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن برقان، أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلًا من أهل الكتاب قال: يقولون: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ } فأين النار؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه: أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ وقد روي هذا مرفوعًا، فقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد ابن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم،

---

[٤٩٧] قال الشيخ «أحمد شاكر» في تحقيقه لمختصر تفسير «ابن كثير»: «هو جزء من حديث طويل، عن التنوخي رسول هرقل، في المسند (١٥٧١٩). ونقله الحافظ ابن كثير في التاريخ (٥/ ١٥، ١٦)، عن رواية المسند، كاملًا. ثم قال: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به. تفرد به أحمد». وراية الطبري مختصرة (٧٨٣١).» (أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ط٢، ٤١٤/١)

عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ} فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله، قال: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل»[٤٩٨] »[٤٩٩]

سليمان والجياد

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَاد فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَاب رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاق ﴾[٥٠٠]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (سنهدرين ٢١ ب) أنّ «سليمان» —عليه السلام– قد ارتكب خطيئة باقتنائه لأعداد كبيرة من الخيول.

---

[٤٩٨] قال الشيخ «أحمد شاكر» في تحقيقه لمختصر تفسير «ابن كثير»: «حديث ابن عباس —الموقوف– رواه عنه ابن خالته «يزيد بن الأصم بن عبيد» التابعي الثقة. وهو في الطبري (٧٨٣٦) وإسناده صحيح. وحديث أبي هريرة — المرفوع– رواه عنه «يزيد بن الأصم» أيضًا. وإسناد البزار صحيح. وذكره الهيثمي في الزوائد (٣٢٧/٦)، وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح» ورواه أيضاً بنحوه ابن حبان في صحيحه (١٠٣ بتحقيقنا). ورواه الحاكم (١/ ٣٦) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.» (المصدر السابق)

[٤٩٩] المصدر السابق

[٥٠٠] سورة ص/ الآيات (٣٠-٣٣)

التعليق:

يقول النص بكامله: «وقال الحبر إسحاق: لماذا لم تُحلَّ أسبابُ أحكامٍ توراتيّة؟ لأنّه في نصين كشف السبب، وتسبب ذلك في عثرة الأعظم في العالم [سليمان]؛ فقد كتب: عليه ألاّ يضاعف عدد زوجاته، ولذلك قال سليمان: سأضاعف عدد زوجاتي وأمنع رغم ذلك قلبي من الانحراف. ومع ذلك نقرأ أنّه: لما شاخ سليمان، أزاغ نساؤه قلبه[٥٠١]. وكتب: عليه ألاّ يضاعف عدد خيوله، وقال في ذلك سليمان: أنا أضاعف عدد خيولي ولا أتسبب في عودة [الإسرائيليين إلى مصر]، ونقرأ رغم ذلك: وخرجت المركبة من مصر بست [مئة شاقل من الفضة][٥٠٢]» «**ואמר ר' יצחק מפני מה לא נתגלו טעמי תורה שהרי שתי מקראות נתגלו טעמן נכשל בהן גדול העולם כתיב לא ירבה לו נשים אמר שלמה אני ארבה ולא אסור וכתיב ויהי לעת זקנת שלמה נשיו הטו את לבבו וכתיב לא ירבה לו סוסים ואמר שלמה אני ארבה ולא אשיב וכתיב ותצא מרכבה ממצרים בשש וגו'**»

١ - النص القرآني يذكر قصّة وقعت «لسليمان» عليه السلام، وقد أَبهم سياقها لكنّه ساق لها مع ذلك بعض التفاصيل، وهي أنّه لما عرضت على «سليمان» عليه السلام خيله ذات الحركة الخفيفة؛ اشتغل بأحوالها حبًا لها حتى غربت الشمس؛ ففاتته عبادة كان يؤدّيها في المساء قبل الغروب؛ فقال عقب عرض الخيل وقد انصرفت: إني أحببتُ الخيل؛ فغفلت عن طاعة كنت أؤديها، ثم أمر سائس خيله

---

[٥٠١] انظر؛ الملوك الأوّل ٤/١١

[٥٠٢] انظر؛ الملوك الأوّل ٢٩/١٠

أن يردها إليه ليذبحها[٥٠٣] لأنّها جعلته لا يؤدي الكمال المطلوب في العبادة[٥٠٤].. ولا نجد من هذا التفصيل القرآني شيئًا في النص التلمودي السابق.

٢ - ما أُنكر على «سليمان» عليه السلام في النص التلمودي محلّ البحث هو اضطراره بني إسرائيل أن يذهبوا إلى مصر ليشتروا من هناك الخيل، وهو معنى ظاهرٌ من خلال ما استُشهد به من سفر الملوك الأوّل ٢٩/١٠ القائل: «وشرع تجار الملك يستوردون المركبات من مصر، فيدفعون ستمئة شاقل (نحو سبعة كيلوجرامات) من الفضة عن كل مركبة، ومئة وخمسين شاقلًا (نحو كيلوجرامين) عن كل فرس. ثم يصدرونها لجميع ملوك الحثيين وملوك الأراميين».. أمّا القصّة القرآنيّة فتذكر أنّ «سليمان» عليه السلام قد ندم لقضائه الوقت في تأمّل حركة هذه الخيول الجميلة؛ فلا ذِكر هنا لمصر، ولا لبني إسرائيل، ولا للسفر، ولا للتجارة!

٣ - لم أقف على قول لأحد من الصحابة أو التابعين يشير إلى المعنى التلمودي لهذه الآيات؛ بما يظهر أنّ ما أورده التلمود ما كان معلومًا للرسول ﷺ.

سن الأربعين

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

---

[٥٠٣] الظاهر أنّه أطعم الفقراء لحمها بعد ذلك؛ إذ إنّ ذبحها دون أن يستفيد الناس من لحمها إهدار لنعمة، وهذا لا يليق بنبي مجتبى من ربّ العالمين.

[٥٠٤] هذا هو التفسير الأقرب لدلالات الألفاظ وتعاقب المعاني، انظر؛ الألوسي، روح المعاني، ت/محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ٢٣/٢٥٢-٢٦٢

عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٥٠٥]

المصدر المدعى:

جاء في المشناه ٥. ٢١: «أربعين للذكاء/الحكمة»

تعليق:

١ – أقرّ المستشرق «يشوع فنكل» «Joshua Finkel» [٥٠٦] بأنّ «جايجر» لم يوفّق في سوقه هذا التشابه للقول بالاقتباس من الديانة اليهوديّة –رغم أنّ «فنكل» ممن انتصروا لدعوى الاقتباس القرآني من اليهوديّة وأثنى بصورة واسعة على كتاب «جايجر»–، وقال إنّ قريشًا كان فيها مجلس للحكماء لا ينتسب إليه إلاّ من بلغ الأربعين. [٥٠٧]

٢ – الترجمة الإنجليزيّة لكتاب «جايجر» نفسها قد أوردت –في الهامش– كلام الفيلسوف «فيلو» في أنّ سن الأربعين هو سن النضج العقلي [٥٠٨]؛ فليس القول

---

[٥٠٥] سورة الأحقاف/ الآية (١٥)

[٥٠٦] يشوع فنكل (١٨٩٧م–١٩٨٣م): مستشرق يهودي له عناية خاصة بالتراث اليهودي–العربي القديم.

[٥٠٧] انظر؛ Joshua Finkel, '*Old Israelitish Tradition in the Koran*,' in *Proceedings of the American Academy for Jewish Research*, Vol. ٢ (١٩٣٠ - ١٩٣١), p.٨

[٥٠٨] انظر؛ Philo, *De Opficio Mundi*, pp.٧٠-٧٢ (Quoted by, A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.٧١)

التلمودي إذن من نوادر الأفكار البشريّة، بل هو قول يشهد له الواقع البشري؛ ولذلك تبنّاه البشر في القديم والحديث.

٣ - الآية القرآنيّة تقول «أشدّه»؛ دلالة على منتهى النضج في العقل كمرحلة عمريّة، وهو ما لا نراه في السياق الذي ورد فيه الكلام المقتبس من المشناه؛ إذ قد ورد مباشرة بعده: «خمسون [لتقديم] مشورة/عظة» «**חמישים לעצה**»؛ فالإنسان يبلغ الأهليّة التامة لتقديم المشورة، في سن الخمسين .. فإن قيل إنّ المقصود في القرآن الكريم ببلوغ المرء أشدّه الإشارة إلى قوته الجسديّة؛ قلنا إنّ النص السابق مباشرة لما اقتبسه «جايجر» من المشناه يقول «ثلاثون للقوة» «**שלושים לכוח**»؛ فليست الأربعون إذن هي سن النضج على هذا المعنى!

مدة الرضاع

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [٥٠٩]

المصدر المدّعى:

جاء في التلمود (كتبوت ٦٠ أ) إنّ أدنى مدّة الرضاع ٢٤ شهرًا.

التعليق:

١ - بتر «جايجر» الآية لتوافق غرضه؛ فالآية تقول: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [٥١٠]، لكنّه حذف منها قوله تعالى:

---

[٥٠٩] سورة البقرة/ الآية (٢٣٣)

[٥١٠] سورة البقرة/ الآية (٢٣٣)

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ لأنّ المحذوف دال على أنّ مدة السنتين هي **أقصى**[٥١١] مدة للإرضاع لا أدناها!

٢ – ممّا يُعجب له أيضًا أنّ «جايجر» قد نقل لنا قولًا نسبه إلى عالم مسلم كان يسمّيه «Elpherar»، وقد أورد هذا القول بالحرف العربي: «يريد أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقل مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرًا.»[٥١٢] .. وقد حار كثير من المستشرقين في معرفة الاسم العربي لهذا العالم، وذهب البعض إلى أنّه «الفراء»؛ ولما راجعت تفسير «الفراء» المسمّى «معاني القرآن»؛ لم أجد هذا النص، وهو قول دون شك مصادم صراحة للآية القرآنيّة التي تقول إنّ **كمال** الإرضاع سنتين **لا أدناه**. علمًا أنّه لا دليل على حد أدنى لمدة الإرضاع؛ قال الإمام «ابن العربي»: «**والصحيح أنه لا حد لأقله، وأكثره محدود بحولين مع التراضي بنص القرآن**»[٥١٣]، وللوالدين حق فطام الولد أنّى شاءا –إن لم يضر ذلك ابنهما–؛ قال الإمام «ابن كثير»: «وقوله: {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} أي: فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك.»[٥١٤]

---

[٥١١] لا يمنع ذلك من جواز الإرضاع فوق مدة السنتين.

[٥١٢] Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, p.٩٠

[٥١٣] ابن العربي، أحكام القرآن، ت/ محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر، د.ت، ٢٧٣/١

[٥١٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٢٤/١

٣ – ورد مباشرة في التلمود بعد القول الذي اقتبسه «جايجر» قول الحبر «إليعازر» والحبر «يهوشع» إنّ الرضاع من الممكن أن يستمر «أربع أو خمس سنوات» «**ארבע וחמש שנים**»[٥١٥]؛ ولذلك ورد في كتاب «المائدة المنضودة» «**שולחן ערוך**» للفقيه اليهودي «يوسف قارو» إنّ الحد الأدنى للرضاعة سنتان (*Even Haezer* ١٤٣. ٨)، والحد الأقصى خمس سنوات (*Yore Deah* ٨١. ٧).

التراث الشفوي التلمودي ورسالة الأنبياء:

لا يعني ما سبق نفي وجود تشابه بين بعض التفاصيل القرآنيّة وما جاء في التلمود، وإنما قد تكلّف المستشرقون في المطابقة بين عدد من نصوص القرآن الكريم وما جاء في التلمود.

أمّا التشابهات الحقيقيّة بين القرآن الكريم والتلمود في بعض التفاصيل القصصيّة، فهي قليلة جدًا[٥١٦]، وتفسيرها المنطقي الذي يجمع كلّ الحقائق الموضوعيّة هو أنّ التلمود كالعهد القديم قد جمع حقًا إلى باطل، وأنّه لا يخلو من بقايا وحي ربانيّ، وحجّتنا هي:

١. يقول اليهود التقليديون (الأرثودكس) إنّ التلمود يمثّل **التراث الشفهي** لليهود، أي (التوراة الشفهيّة) (**תורה שבעל פה**) التي حفظت مع التراث المكتوب الذي

---

[٥١٥] شولخان عروخ **שולחן ערוך**: جمع لقوانين التلمود، وآراء واجتهادات فقهاء اليهود الذين اطّلعوا عليها. يعدّ المرجع الفقهي والشرعي الأساسي لليهود منذ تاريخ ظهوره عام ١٥٦٤م.

[٥١٦] بسبب جهل المنصّرين العرب بالكتابات اليهوديّة وأقسامها؛ فقد توسّعت قائمة هذه التشابهات!! ولعلّ من أسباب ذلك النقل عن الكتاب المتاح على النت «خرافات اليهود» للحبر «لويس جنزبرغ»، دون معرفة منهج المؤلف في عرضه لمادته؛ إذ إنّه قد قام في المجلّدات الأربعة الأولى بعرض المادة المجمعة على شكل قصص متّصلة، وكان يضع في النسخة المطبوعة (على خلاف نسخة النت) رقمًا للإحالة، ثم قام في المجلدين الخامس والسادس بعرض مصادر المادة التي أوردها سابقًا، وهي واسعة جدًا ليس التلمود بأقسامه إلاّ واحدًا منها.

تمثّله أسفار أسفار «موسى» —عليه السلام– الخمسة التي هي (التوراة المكتوبة) (**תורה שבכתב**). وقد حُفظ التلمود شفهيًا على مدى قرون قبل تدوينه[517]،

---

[517] قال الحبر «عدين ستينزالص» «**עדין שטיינזלץ**» —أحد كبار العلماء اليهود المعاصرين (ولد سنة ١٩٣٧م)، وهو ناقد وفيلسوف ومؤلّف اشتهر بتعليقه على التلمودين البابلي والأورشليمي وترجمتهما إلى العبريّة والفرنسيّة والروسيّة والإسبانيّة، وحاصل على العديد من شهادات الدكتوراه الفخريّة من الجامعات الغربيّة–: «حفظت مادة التلمود في الذاكرة وتم تناقلها على مدى قرون.» «The material of the Talmud was memorized and transmitted orally for centuries» (Adin Steinsaltz, *The Talmud. The Steinsaltz Edition. A Reference Guide*, N.Y.: Random House, ١٩٨٩ (Quoted by, Jacob Neusner, *The Reader's Guide to the Talmud*, Leiden: Brill, ٢٠٠١ , p.xv)

وقال «ب. أ. نوردل»: «التلمود هو مستودع الشريعة، واللاهوت، والتفسير، والفلسفة، والقانون الطبيعي، والتعليم الطبي، والأخلاق، والسياسة، والاقتصاد المنزلي، كما فهمت ونوقشت في المدارس الحاخاميّة على مدى ما يقارب ألف سنة بعد العودة من بابل.» (P. A. Nordell, *The Origin and the Formal Contents of the Talmud*, The Hebrew Student, Vol. ٢, No. ١ (Sep., ١٨٨٢), p. ١٥)

وقال الدكتور «أحمد أبيش»: «كان أول تدوين فعلي للتراث الديني اليهودي في القرن الخامس قبل الميلاد، على يد عزرا الكاتب **עזרא הספר** «عزرا هسوفير»، الذي يعده اليهود واحدًا من أنبيائهم الاخرونيم (أي التالين)، وله في العهد القديم سفر خاص به، ورد فيه لقبه: «عزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب». وعلى ذلك، ما كان مجرد المدون الأول لأسفار اليهود، بل والمؤسس الفعلي لليهودية الباكرة المستندة إلى التوراه (كتاب العهد) **ספר הברית** «سيفر هبريت».

بعد عزرا، قام بمتابعة مهمة التدوين طائفة من الكتبة (أو كتبة الشريعة) عرفوا بالعبرية باسم «سوفريم»، فجمعوا أسفار التوراه وشرحوها، وربطوا بها التراث المروي شفاهياً، وراحوا يتناقلونه كشرح متواتر. وعلى امتداد ٣٠٠ سنة، قاموا باستنباط أحكام التوراه وتكييفها حتى أضحت شريعة تفاعلية، كما أنهم سنوا طائفة من الشرائع اصطلح على تسميتها «كلام السوفريم». وبنهاية هذه المرحلة، كانت اليهودية الربانية أو الحاخمية قد تأسست بشكل واضح. ثم في بداية القرن الثاني قبل الميلاد، تألفت هيئة قضائية برئاسة الـ «زوجوت» **זוגות** – أي المثاني من حكماء الدين– وصارت بمثابة سلطة هلخائية (تشريعية). ومن هؤلاء المثاني ظهر خمسة أجيال بين حوالي عام ١٥٠–٣٠ ق.م، قام

وهو يعتبر أوّل تدوين لهذا التراث. ومن الخطأ أن يُظنّ أنّ اليهود قد حفظوا كلّ ما أخذوه عن «موسى» عليه السلام وعشرات الأنبياء الذين تلوه في هذه الأسفار القليلة التي بين أيدينا المجموعة في (التناخ). كما أنّ الزعم أن اليهود قد حفظوا التراث الديني المكتوب (التناخ) أو جلّه أو جوهره، مع **تلفيقهم التام** للتراث الشفهي المتمثّل أساسًا في التلمود، يعد تناقضًا محكمًا في الحكم على الأمور، مع ما عُلم من أنّ الأمم السالفة كانت تنقل تراثها القديم أساسًا على الطريقة الشفهيّة.

٢. قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي...»[٥١٨]، وقد جاء أيضًا في نصوص (التناخ) أنّ

أول جيل منهم بوضع الأسلوب المشنائي في تداول الشريعة الشفاهية. غير أن تدوين المشناه لم يتم في الواقع إلا بين القرنين الثاني والثالث، على يد الجيل الأخير من «الزوجوت»: هليل وشماي، في عصر التنائيم (معلمي المشناه) أواخر القرن الأول ق.م. وهذه الفترة تميزت بمحاولات متكررة لجمع مواد المدراش والمشناه المبعثرة، فتم جمع المشناه بأكملها في مدرستي هليل وشماي مطلع القرن الثالث الميلادي، وتابعها حاخامات أخر مثل يوحنان بن زكاي (في مدرسته بيبنه)، والرابي عقيبا الذي جمع مواد متميزة من المدراش والمشناه والهجداه.

بعد قيام الثورة اليهودية ضد الرومان بقيادة شمعون باركوخبا ١٣٢-١٣٥م، تم إحياء السنهدرين (المحكمة التشريعية العليا)، فأقر رئيسها يهوداه هناسي (الرئيس) المجموعة التشريعية التامة للمشناه، وهي التي يضمها التلمود اليوم. ولم يتم آنذاك إضافة مواد من المدراش أو الهجداه، ثم شرع تلامذته يضيفون "البرايتوت" (المواد الدخيلة) ومنها التوسفتا (التذييل)، بينما تم جمع المدراشيم في مصنفات مستقلة. وخلال الثلاثة قرون التالية قام "الأمورائيم" بإضافة الجمار (الفلسطينية والبابلية)، حتى اكتمل جمع التلمود بصورة عامة في القرن السادس الميلادي.» (التلمود، كتاب اليهود المقدس، ص٢٦-٢٧)

[٥١٨] رواه البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح/ (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل، ح/ (١٨٤٢)

الأنبياء في بني إسرائيل كانوا كثرة هائلة[٥١٩]، وهذا أمر أدعى لحفظ شيء من التراث الشفهي القديم من خلال تعاليم الأنبياء وإخباراتهم.

٣. كتب التلمود البابلي –الذي اعتمد عليه «جايجر» ومن بعده– في بابل (العراق) حيث استقرّت جماعات من اليهود منذ السبي البابلي[٥٢٠]؛ وهذا سبب قويّ لحفظ التراث المتجمع في الذاكرة اليهوديّة في القرن الخامس قبل الميلاد الذي عرف إعادة اليهود لصياغة التوراة المكتوبة من خلال الذاكرة الشفهيّة وما هو محفوظ عندهم من النصوص المكتوبة، على يد «عزرا».

٤. إذا أضفنا إلى ما سبق أنّ اليهود لما أعادوا كتابة التوراة عند السبي البابلي، قد شوّهوا النص بما **أسقطوه** من حديث وما أدخلوه فيه؛ أدركنا عندها أنّ التراث الشفهي اليهودي المحفوظ في التلمود ليس خرافة محضةً، وإنّما هو خليط من حقّ وباطل، كما هو الأمر أيضًا في التراث المقدس المكتوب: (التناخ)، خاصة أنّ التلمود قد كتب أساسًا لحفظ التراث القديم الأصيل.

٥. تكشف الطبيعة غير المرتّبة ولا السلسة لمادة التلمود، جانب القدم فيها؛ إذ إنّ من طبيعة الكتب التي يختلقها أفراد أو تصنعها بالكامل مجموعات متأخّرة، أن تكون (مسبوكة) لتخفي جانب الاختلاق. ولكن لا يمنع ما سبق من التقرير أنّ

---

٥١٩ عدد المذكورين في الأسفار المقدّسة: خمس وخمسين، ويذهب التلمود إلى أنّ عدد الأنبياء يبلغ مئات الآلاف (انظر؛ Christine J. Haven, *Conveyance of Eternal love*, Lulu.com, ٢٠٠٧, p.١١٤)

٥٢٠ انظر؛ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربيّة، ١٩٧١م، ص ٩٥

الخيال اليهودي كان له النصيب الأوفر في صناعة (الذاكرة الشفهيّة) الأجاديّة في التلمود.

٦. اضطرّ «جايجر» إلى أن يقول في ختام كتابه-تحسّبًا لما قد يُعترض به عليه- إنّه يقرّ أنّه ليس بالإمكان الزعم ببطلان جميع ما أوردته الأسفار اليهوديّة غير الرسميّة، وإن بدا في أذهاننا أنّ ما أوردته ليس إلاّ خرافة؛ لأنّه قد يكون له معنى آخر في صورته الأصليّة قبل أن يتغيّر شكله على ألسنة الناس[٥٢١] .. وهذه شهادة تحسب لنا، ولا يعكّر عليها أنّ صاحبها حبر يهودي؛ لأنّه كان في الحقيقة من (اليهود الإصلاحيين) الذين لا يرون قداسة هذه الأسفار على خلاف اليهود الأرثودكس.

هل اطّلع النبي ﷺ على التلمود؟

لا شكّ أنّ محمدًا ﷺ لم يعرف طريقًا إلى التلمود، لأسباب كثيرة، منها:

١. يقول «دليل كمبردج للتلمود والأدبيات الحاخاميّة» « *The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature*» إنّ التلمود البابلي «يضمّ تراثًا يمتد في أدنى الأحوال على مدى ٥٠٠ سنة (**٢٠٠م-٧٠٠م**)[٥٢٢]. جلّ هذا التراث لا يمكن تحديد تاريخه بدقة؛ **ولذلك فإنّه ليس بإمكاننا أن نعرف إذا كان مصدر (تراث ما منه) يعود إلى بداية هذه**

---

[٥٢١] انظر؛ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.١٦١

[٥٢٢] اختلف النقاد في زمن الانتهاء من صياغة التلمود البابلي بين ٥٠٠م و٧٠٠م، وليس عند من يقررون أنّ زمن الانتهاء من الصياغة هو سنة ٥٠٠ م دليل حاسم للنزول إلى هذا التاريخ، كما أنهم هم أنفسهم لا ينكرون أنّ تنقيح التلمود والإضافة إليه كان ممارسًا على مدى القرن الثامن على يد الأحبار «السفورايم» «**סבוראים**».

الفترة أو آخرها.»[٥٢٣]، وصرّح الناقد الكبير «جونتر ستمبرجر» « Günter Stemberger» في بحثه المعنون بـ«تأريخ التراث الحاخامي» « Dating Rabbinic *Traditions*»[٥٢٤] بترجيحه أن يكون التلمود البابلي قد انتهي من تأليفه بعد ظهور الإسلام: «**تاريخ في فترة ما بعد الغزو الإسلامي، يبدو أكثر واقعيّة**» « a date somewhere after the Islamic conquest seems to be more realistic»[٥٢٥].. فمن أين للجازم أنّ يحسم القول إنّ القرآن الكريم قد أخذ من التلمود البابلي[٥٢٦] وأنّ (المقتبَس) هو تراث يهودي سابق للإسلام لا لاحق له، خاصة أنّ بابل (العراق) قد فتحت سنة ٦٣٣م، وأصبحت معقلًا للثقافة الإسلاميّة في ذات القرن السابع الميلادي؟!

٢. كتب التلمود بالآراميّة وبالعبريّة، ولا تعرف له قطعًا ترجمة عربيّة زمن البعثة النبويّة، بل ولا تعرف ترجمة عربيّة البتّة.

---

[٥٢٣] Charlotte Elisheva Fonrobert and Martin S. Jaffee, eds. *The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature*, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٧, p.٥٩

[٥٢٤] جونتر ستمبرجر (ولد ١٩٤٠م): عضو الأكاديميّة النمساويّة. حاصل على دكتوراه فخريّة من الكليّة اللاهوتيّة لجامعة جوتنجن. عمل في مؤسسة الدراسات اليهوديّة في جامعة فيينا كما درّس في جامعة كولونيا.

[٥٢٥] Reimund Bieringer and others, eds. *The New Testament and Rabbinic Literature*, Leiden: BRILL, ٢٠٠٩ ,p. ٨٢

[٥٢٦] المقصود طبعًا (الجماره) لا (المشناه).

٣. إذا كان قد ثبت بالدليل القاطع-كما بيّناه سابقًا، وسيزداد وضوحًا لاحقًا- أنّ الرسول لم يطّلع على العهد القديم الذي كان متاحًا لعامة اليهود؛ فكيف سيطّلع على التلمود الذي لا يتداوله إلاّ خاصة الأحبار؟!

٤. التشابهات **الحقيقيّة** بين بعض التفاصيل التلموديّة وبين ما جاء في القرآن الكريم (وهي قليلة جدًا)، لا نجد في كلام المفسرين من **الصحابة والتابعين -وفيهم من كان قبل إسلامه على دين أهل الكتاب- أثرًا لنسبتها إلى أخبار بني إسرائيل - تصريحًا أو إضمارًا-** ؛ مما ينفي أن تكون حاضرة في ثقافة الجزيرة العربيّة لأهل الكتاب والوثنيين، رغم أنّ السياق يقتضي استحضارها في مقام تفسير النصوص القرآنيّة.

٥. هذه التشابهات القليلة لا يمكن البتّة أن تشرح ما يدّل عليه القرآن الكريم من معرفة (صاحبه) بالتفاصيل الدقيقة والواسعة الواردة في أسفار التناخ، كما أنّ **هذه التفاصيل مجتمعة لا تبلغ عشر معشار التشابهات الموجودة بين القرآن الكريم والعهد القديم!!**

مرجعيّة التراث الشفوي اليهودي في العهد الجديد:

ليس للمنصّرين أن ينكروا على القرآن الكريم ذكره لتفاصيل تاريخيّة حفظتها الذاكرة الشفهيّة لليهود دون الأسفار المكتوبة المعروفة اليوم، وذلك لأنّه قد جاء في العهد الجديد ذكر كثير من التعاليم والقصص غير الموجودة في العهد القديم رغم تعلّقها بزمن الأنبياء السابقين، مما لا يعلم بالاجتهاد المحض. . منها:

- رسالة يهوذا ٦: «وَأَمَّا الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يُحَافِظُوا عَلَى مَقَامِهِمِ الرَّفِيعِ، بَلْ تَرَكُوا مَرْكَزَهُمْ، فَمَازَالَ الرَّبُّ يَحْفَظُهُمْ مُقَيَّدِينَ بِسَلاَسِلَ أَبَدِيَّةٍ فِي أَعْمَاقِ الظَّلاَمِ، بِانْتِظَارِ دَيْنُونَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ.»

- رسالة يهوذا ٧ : «وَتَعْرِفُونَ كَذَلِكَ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ بِمَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَبِالْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَهُمَا. فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْمُدُنِ هَذِهِ، مِثْلَ أُولئِكَ الْمُعَلِّمِينَ، مُنْدَفِعِينَ وَرَاءَ الزِّنَى، وَمُنْغَمِسِينَ فِي شَهَوَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلطَّبِيعَةِ. لِذَلِكَ عَاقَبَ الرَّبُّ هَذِهِ الْمُدُنَ بِالنَّارِ الأَبَدِيَّةِ، فَدَمَّرَهَا. فَكَانَتْ بِذَلِكَ عِبْرَةً لِلآخَرِينَ.»

- رسالة يهوذا ١٤– ١٥: «عَنْ هَؤُلاَءِ وَأَمْثَالِهِمْ، تَنَبَّأَ أَخْنُوخُ السَّابِعُ بَعْدَ آدَمَ، فَقَالَ: «انْظُرُوا إِنَّ الرَّبَّ آتٍ بِصُحْبَةِ عَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنْ قِدِّيسِيهِ، لِيَدِينَ جَمِيعَ النَّاسِ، وَيُوَبِّخَ جَمِيعَ الأَشْرَارِ الَّذِينَ لاَ يَهَابُونَ اللهَ، بِسَبَبِ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَجَمِيعِ أَقْوَالِهِمِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي أَهَانُوهُ بِهَا وَالَّتِي لاَ تَصْدُرُ إِلاَّ عَنِ الْخَاطِئِينَ الأَشْرَارِ غَيْرِ الأَتْقِيَاءِ!»

- الرسالة إلى العبرانيين ١٢/٢١: «وَالْوَاقِعُ أَنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ كَانَ مُرْعِبًا إلى دَرَجَةٍ جَعَلَتْ مُوسَى يَقُولُ: «أَنَا خَائِفٌ جِدًّا بَلْ مُرْتَجِفٌ خَوْفا.»

- الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣/ ٨ : «وَمِثْلَمَا قَاوَمَ (السَّاحِرَانِ) يَنِّيسُ وَيَمْبِرِيسُ مُوسَى، كَذَلِكَ أَيْضًا يُقَاوِمُ هَؤُلاَءِ الْحَقَّ؛ أُنَاسٌ عُقُولُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ غَيْرُ أَهْلٍ لِلإِيمَانِ.»

- أعمال الرسل ٧/ ٢٣– ٢٨ : «وَلما بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمْرِ خَطَرَ بِقَلْبِهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ إِخْوَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَى وَاحِدًا مِنْهُمْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ مِصْرِيٌّ، فَتَدَخَّلَ لِيُدَافِعَ عَنِ الْمَظْلُومِ، وَانْتَقَمَ لَهُ فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ،

عَلَى أَمَلِ أَنْ يُدْرِكَ إِخْوَتُهُ أَنَّ اللهَ سَيُنْقِذُهُمْ عَلَى يَدِهِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا!

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَجَدَ اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَتِهِ يَتَعَارَكَانِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، قَائِلًا: أَنْتُمَا أَخَوَانِ، فَلِمَاذَا يَعْتَدِي أَحَدُكُمَا عَلَى الآخَرِ؟

فَمَا كَانَ مِنَ الْمُعْتَدِي عَلَى قَرِيبِهِ إِلاَّ أَنْ دَفَعَهُ بَعِيدًا، وَقَالَ: مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ أَمْسِ؟»

هذه القصة جاء ذكرها في سفر الخروج ٢/ ١١– ١٤ : «وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ ذَهَبَ لِيَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ وَيَشْهَدَ مَشَقَّتَهُمْ، فَلَمَحَ رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا،فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ قَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.

ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَضَارَبَانِ، فَقَالَ لِلْمُسِيءِ: «مَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟

فَأَجَابَهُ: «مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَعَازِمٌ أَنْتَ عَلَى قَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الْخَبَرَ قَدْ ذَاعَ.»

وكما هو ظاهر ، فإنّ نص أعمال الرسل قد أضاف تفاصيل لم تذكر في نص سفر الخروج.

- الرسالة الثانية إلى بطرس ٢/ ٤: «فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، بَلْ طَرَحَهُمْ فِي أَعْمَاقِ هَاوِيَةِ الظَّلاَمِ مُقَيَّدِينَ بِالسَّلاَسِلِ، حَيْثُ يَظَلُّونَ مَحْبُوسِينَ إلى يَوْمِ الْحِسَاب.»

دلالة العهد القديم على وجود كتابات دينيّة مندثرة:

يشهد العهد القديم على وجود أسفار يهوديّة لا نعرف اليوم لها أثرًا، بل ولا كانت تعرف زمن المسيح، وإنما كانت معروفة لليهود قبل المسيح بقرون، ومن الراجح أنّ أجزاء منها قد خرجت من الحفظ الكتابي إلى التوارث الشفهي؛ وأهم هذه الأسفار:

- «سفر حروب الرب» «**ספר מלחמת יהוה**»: ورد ذكره في سفر العدد ٢١/١٤.

- «سفر ياشر» «**ספר הישׁר**»: ورد ذكره في سفر يشوع ١٠/١٣ وسفر صموئيل الثاني ١/١٧.

- «سفر أخبار أيام ملوك إسرائيل»: ورد ذكره في سفر الملوك الأول ١٤/١٩ و١٦/٥ و١٦/٤.[٥٢٧]
- «سفر تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا» «**ספר מלכי-ישראל ויהודה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٧/٧ و٣٦/٨
- «سفر أخبار أيام ملوك يهوذا» «**ספר דברי הימים--למלכי יהודה**»: ورد ذكره في سفر الملوك الثاني ٢٤/٥ و٢١/٢٥
- «أخبار جاد النبي» «**דברי גד החזה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الأول ٢٩/٢٩
- «رؤى النبي يعدو» «**חזות יעדי החזה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/٢٩
- «نبوءة أخيا الشيلوني» «**נבואת אחיה השילוני**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٩/٢٩
- «تاريخ عدو الرائي» «**דבר עדו החזה**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ١٢/١٥ و١٣/٢٢
- «تاريخ شمعيا النبي» «**דבר שמעיה הנביא**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ١٢/١٥
- «تاريخ ياهو بن حناني» «**דברי יהוא בן-חנני**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٠/٣٤.
- «سفر كتاب إشعياء النبي عن الملك عزيا»: ورد ذكره في أخبار الأيام الثاني ٢٦/٢٢

---

[٥٢٧] هذا غير سفر أخبار الأيام المضمن في الكتاب المقدس؛ إذ إنّ الكتاب المذكور في الأعلى قد كتب قبل فترة طويلة من الكتاب القانوني الموجود بين دفتي الكتاب المقدس (انظر؛ Richard Barrett, *A Synopsis of Criticism Upon those Passages of the Old Testament in which Modern Commentators have Differed from the Authorized Version*, London: Longman, ١٨٤٧, ٢/٨٢٤)

- «مدراش سفر الملوك» «**מדרש ספר המלכים**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٧/٢٤
- «أخبار الرائين» «**דברי חוזי**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ١٩/٣٣
- «سفر أخبار سليمان» «**ספר דברי שלמה**»: ورد ذكره في سفر الملوك الأول ٤١/١١
- «سفر يهوه» «**ספר יהוה**»: ورد ذكره في سفر اشعياء ٣٤/ ١٦
- «سفر أخبار الأيام» «**ספר דברי הימים**»: ورد ذكره في سفر نحميا ٢٣/١٢.[٥٢٨]
- «تاريخ ناثان النبي» «**דברי נתן הנביא**»: ورد ذكره في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٩/٩ الذي استنبط منه قديس الكنيسة «يوحنا ذهبي الفم» أنّ «**الكثير من كتابات الأنبياء قد اندثرت**» «Πολλὰ τῶν προφητικῶν ἠφάνισται βιβλίων».[٥٢٩]

ومن الأبوكريفا التي يؤمن بقداستها الكاثوليك والأرثودكس:

- «سجلات إرمياء» ورد ذكرها في ٢مكابيين ١/٢.
- «ذكريات نحميا» ورد ذكرها في ٢مكابيين ١٣/٢.
- خمسة كتب «لياسون القيريني» ورد ذكرها في ٢مكابيين ٢٣/٢.

---

[٥٢٨] هو غير سفر أخبار الأيام (الأول والثاني) القانوني (انظر؛ Joseph Blenkinsopp, *Ezra-Nehemiah: A Commentary*, Pennsylvania: The Westminster Press, ١٩٨٨, p.٣٤٠)

[٥٢٩] Patrologiæ cursus completus, Apud Garnier Fratres et J.-P. Migne Successores, ١٨٦٢, ٥٧/١٨٠, John Chrysostom, '*Homily IX, the Gospel of St Matthew*,' in *Nicene and post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, ١٨٨٨, ٥/٥٨

هل خلط القرآن الكريم بين التراثين: المكتوب والشفهي؟

قد يقال- وقد قيل- إنّ الرسول ﷺ قد خلط بين ما جاء في الكتاب المقدس وما أورده التلمود .. والردّ هو:

أولا: افترض الطاعنون من المستشرقين في ربانّيّة القرآن أنّ محمدًا ﷺ له معرفة عميقة جدًا بالعهد القديم من ناحية العقائد والأحكام التشريعيّة والقصص والتفسير والمذاهب —سواء أكان هذا (العلم) راجعًا إلى قراءة مباشرة للأسفار المقدسة أو أخذًا عن معلّم- ...فكيف يستقيم مع ذلك الزعم أنّه لم يميّز بين الأسفار الربّانيّة المقدّسة والتراث الشفهي المدوّن في التلمود؟!

ثانيا: لم يفترض المستشرقون علم الرسول ﷺ بالأسفار الدينيّة فقط، بل زادوا على ذلك زعمهم أنه كان يشكّل هذه المادة على الصورة التي توافق أفكاره؛ فيزيد وينقص ويغيّر، بدقّة عالية وتمكّن فذ!! فكيف يُجمع بين ذلك وبين خلطه بين النصوص المقدسة وما هو دونها.

ثالثا: تدلّ النصوص النبويّة الكثيرة، وفهم الصحابة لها —وفهمهم حجّة بلا شك في بيان دلالات الأقوال النبويّة- على أنّ الرسول ﷺ لم يكن يرفض ما يذكره اليهود عن تاريخ الأنبياء إذا لم يكن منصوصًا عليه في الأسفار المقدّسة؛ ومن أدلّة ذلك حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: «آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا» (الآية)».[530]، فقد فهمه علماء الإسلام منذ زمن الصحابة إلى اليوم على أنّه لا يختص بالقصص المضمنة في التوراة المحرّفة، وإنّما يشمل كل ما يرويه اليهود من قصص السابقين وأقوالهم، سواء وردت في الأسفار المقدسة أم لم ترد، وكذلك الأمر بالنسبة للنصارى وأسفارهم؛ إذ لم يُعهد عن الصحابة وأهل العلم في الأجيال التالية سؤالهم أهل الكتاب عن أصل ما يخبرون به، أمن الأسفار المقدّسة هو أم من القصص المتوارثة غير المكتوبة.

---

[530] رواه البخاري، كتاب التفسير، باب «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»، ح/٤٤٨٥

○ مصادر أخرى:

نظرًا لما أبداه المنصّرون وعامة المستشرقين من هَمّ وهِمَّة لنسبة ما جاء في القرآن الكريم إلى أسفار أهل الكتاب وكتاباتهم؛ فقد امتد بهم البحث إلى مصادر كثيرة غير التي سبق ذكرها؛ ومنها:

تفسير راشي:

ذكر كلّ من «جايجر»[٥٣١] و«تسديل»[٥٣٢] أنّ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٥٣٣] مأخوذ من اليهود، ودليلهما قول «راشي» في تعليقه على تكوين ١/٢ إنّ عرش الربّ على الماء.

والردّ هو:

أولاً: «راشي» المتحدّث عنه، هو حبر يهودي شهير اسمه الحقيقي «شلومو يتسحاقي» «**שלמה יצחקי**» ولد سنة ١٠٤٠م وتوفي سنة ١١٠٥م!! فكيف يكون كلامه مصدرًا للقرآن الكريم النازل في القرن السابع؟!

ثانيا: نظرًا لعلم «تسديل» بتهافت دعواه؛ فقد أضاف لحبك شبهته أنّ ما قاله «راشي» هو نقل لتراث يهودي معروف .. وهي خديعة مفضوحة منه؛ لأنه:

(١) لو كان له مصدر واحد سابق للإسلام لاستعرضه، إذ إنه و«جايجر» قد نبشا في كلّ التراث اليهودي المتاح، ولا يمكن أن تخفى مثل هذه المسألة العقديّة عن كتب السابقين من اليهود، إن كان لها وجود في التراث القديم.

---

[٥٣١] انظر؛ A. Geiger, *Judaism and Islam*, ١٩٧٠, p. ٧٢

[٥٣٢] انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an* , ١٩١١ , p.١٢٣

[٥٣٣] سورة هود/ الآية (٧)

(٢) لم يقل «راشي» نفسه في تعليقه على تكوين ٢/١ إنّ ما ذكره هو نقل عن تراث يهودي؛ فمن أين جاء «تسديل» بتفصيله المدّعى؟!

ثالثًا: كان «راشي» بصدد استنطاق نص تكوين ٢/١ لاستلهام الدلالة منه؛ فقد قال:

כסא כבוד עמד באויר ומרחף על
פני המים ברוח פיו של הקדוש ברוך הוא

أي: «كرسي المجد معلّق في الهواء ويرفرف على وجه الماء بريح/نَفَس فم القدوس، مبارك هو.»

جليّ هنا أنّ «راشي» بصدد محاولة إعطاء تصوّره الخاص لمعنى النص الذي هو بصدد التعليق عليه، والقائل: «كان روح الله يرفرف على سطح المياه» (تكوين ٢/١)، وهو نصّ يحتمل المعنى الذي استنبطه منه «راشي»، خاصة أنّ اليهود يؤمنون باستواء الربّ على عرشه كما هو مذكور في العهد القديم[٥٣٤] -وهو أيضًا ما يؤمن به النصارى[٥٣٥]-.

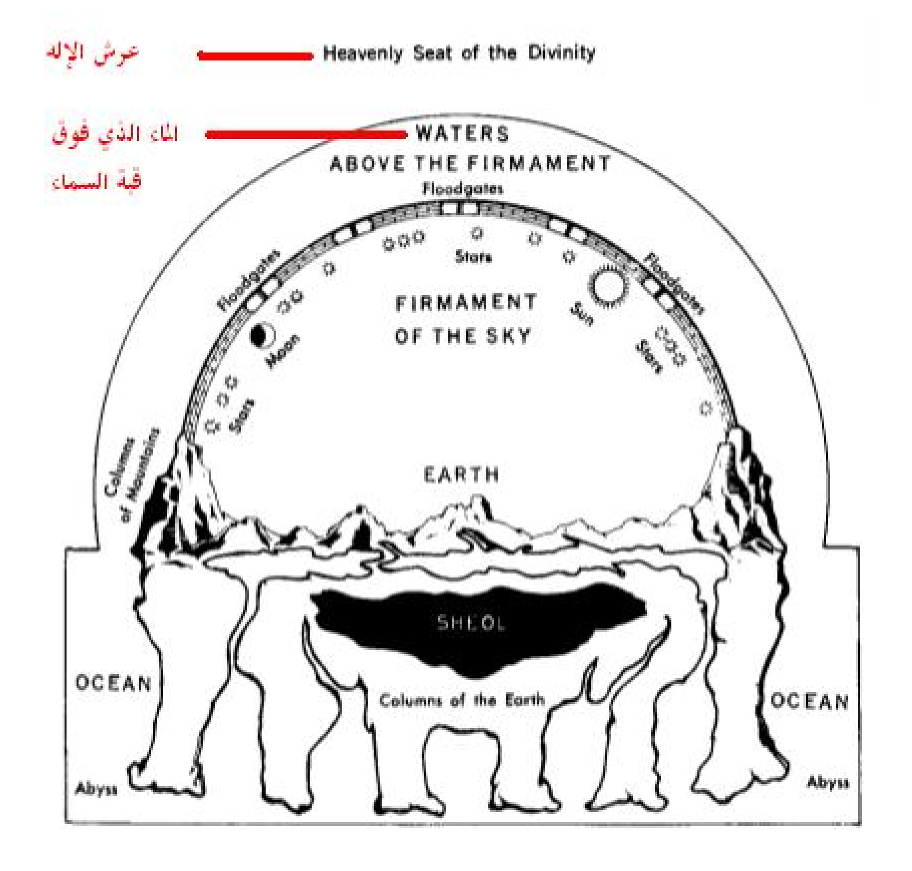
رابعًا: أوردت إحدى طبعات الترجمة الكاثوليكيّة للكتاب المقدس « *The New American Bible*» صورة للتصوّر اليهودي للكون، وفيها عرش الربّ فوق المياه التي تعلو قبّة السماء.[٥٣٦]

---

٥٣٤ جاء في الموسوعة اليهوديّة «*The Encyclopedia of Judaism*» ص ٧٠٤ في مقال «عرش الله» «*Throne of God*»: «مفهوم أنّ الله جالس على عرش، بما يرمز لقوة سلطانه، شائع في الكتاب المقدس»، وجاء في معجم «*A Popular Dictionary of Judaism*» في مقال بنفس الاسم السابق: «عرش الله: المكان المفترض لله. وصِف الله أنّه جالس على العرش في إشعياء (الفصل ٦)، حزقيال (الفصل١) ودانيال (الفصل٧)...» (Lavinia Cohn-Sherbok and Dan Cohn-Sherbok, *Dictionary of Judaism*, Curzon Press, ١٩٩٥, p.١٨١), وقد ورد ذكر العرش أيضًا في سفر الحكمة ٤/٩ ...

٥٣٥ انظر؛ عبرانيين ٢/١٢...

٥٣٦ *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.٤



THE WORLD OF THE HEBREWS

THE WORLD OF THE HEBREWS — Graphic representation of the Hebrew conception of the world. God's heavenly seat rests above the superior waters. Below these waters lies the firmament or sky which resembles an overturned bowl and is supported by columns. Through the openings (floodgates) in its vault the superior waters fall down upon the earth in the form of rain or snow. The earth is a platform resting on columns and surrounded by waters, the seas. Underneath the columns lie the inferior waters. In the depths of the earth is Sheol, the home of the dead (also called the nether world). This was the same prescientific concept of the universe as that held by the Hebrews' pagan neighbors.

خامساً: عاش «راشي» صاحب الثقافة الواسعة والذي ولد في شمال فرنسا، في زمن تراكمت فيه كتابات اليهود في الأندلس المجاورة له حيث بسطت الثقافة الإسلاميّة سلطانها وبلغت أوج إشعاعها و«قد كانت إسبانيا (الأندلس) الأرض الخصبة للمسلمين والمسيحيين واليهود لتبادل

الأفكار؛ ولذلك لا يُستغرب أن نرى أنّ طبقة أكبر المفسّرين اليهود كانت من اليهود الإسبان»[٥٣٧]، وفي ذاك الزمن، عاش «راشي» ملاصقًا لبلاد الإسلام (الأندلس) ومتواصلًا مع ثقافة المسلمين من خلال الاطلاع على أفكارهم التي كانت الأكثر (إثارة) في أوروبا في زمن شهد الحرب الصليبيّة الأولى، وبالاستفادة من أقوال الشراح اليهود الأندلسيين الذين استفادوا قبله من العلوم الإسلاميّة.

وقد قرّر أصحاب كتاب «حواء وآدم: قراءات يهوديّة ومسيحيّة وإسلاميّة في التكوين والنوع» « *Eve and Adam: Jewish، Christian، and Muslim readings on Genesis and gender*» الذي قدّم عرضًا لموقف الشرّاح والمفسّرين من قصّة خلق «آدم» و«حواء» عند علماء اليهود والنصارى والمسلمين: «مُعَلِّقون (commentators) مثل المفسّر الفرنسي راشي –كمثال– **مدينون لعلماء القرآن في القرون الوسطى** الذين طوّروا الأدوات الفيلولوجيّة والنحويّة المساعدة في دراساتهم القرآنيّة. علاوة على ذلك، فإنّه بسبب أنّ عددًا كبيرًا من اليهود كانوا يسكنون البلاد الناطقة بالعربيّة، وأراض يحكمها المسلمون؛ **لا نفاجأ بأنّ نجد تأثيرًا إسلاميًا على كتّاب يهود آخرين.**»[٥٣٨]

وقال الناقد اليهودي «أفراهام جروسمان» «Avraham Grossman» في بحثه المعنون بـ«مدرسة التفسير اليهودي الحرفي في شمال فرنسا» « *The School of Literal Jewish Exegesis in Northern France*» بعد أن قرّر أنّ الثورة التي عرفها علم التفسير اليهودي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ترجع إلى ثلاثة عوامل، أوّلها (تأثير الثقافة الإسبانيّة–اليهوديّة): «علماء النحو اليهود في إسبانيا الذين كانوا كثيرًا ما يتعاملون مع تفسير الأسفار المقدسة، كان لهم تأثير كبير **على راشي وتلاميذه**. كقاعدة، كان هناك **اتصال وثيق** بين المراكز اليهوديّة في فرنسا وفي إسبانيا

---

[٥٣٧] Stephen M. Wylen, *The Seventy Faces of Torah: the Jewish way of reading the sacred Scriptures*, New Jersey: Paulist Press, ٢٠٠٥, p.١٣٩

[٥٣٨] انظر؛ Kristen E. Kvam, Linda S. Schearing and Valarie H. Ziegler, eds. *Eve and Adam: Jewish, Christian, and Muslim readings on Genesis and gender*, IN: Indiana University Press, ١٩٩٩, p.١٧٢

منذ النصف الأوّل من القرن الحادي عشر ... إدراك راشي لأهمّيّة اللغة العربيّة لشرح الكلمات العبريّة للأسفار المقدسة يعود بدرجة كبيرة إلى تأثير النقّاد الإسبان.»[٥٣٩]

إنّها شهادة رصيدها الاستقراء المباشر!

كلّ ما سبق يجعل معرفة «راشي» بالحديث القرآني عن بدء الخلق راجحًا؛ فيكون تأثّره بالقرآن –إن ثبت أمر التأثير والتأثّر في هذه النقطة– هو الأصل لا العكس!

الترجوم الثاني תרעום שני لإستير:

هذا الترجوم هو الترجمة الآراميّة الثانية لسفر إستير، وفيه توسّع شديد في التفصيل القصصي رغم أنّ الترجومات لم تكتب في الأصل إلاّ لتقريب النص المقدس إلى اليهود الذين نسوا العبريّة الكتابيّة وتبنوا اللغة الآراميّة. وبين الترجوم الأوّل لسفر إستير والترجوم الثاني اختلافات كبيرة، علمًا أنّ الترجوم الأوّل قد ألّف سنة ٥٠٠م تقريبًا.[٥٤٠]

ادّعى المنصرون أنّ الترجوم الثاني هو أحد مصادر القرآن الكريم (قصّة سبأ)، لكنّ النظر في أصل هذا الترجوم يكشف لنا أنّه قد ألّف بعد الإسلام؛ فقد ذكرت الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopaedia Judaica*» أنّ من النقّاد من رأى أنّ مؤلّف هذا الترجوم قد **استعمل مصادر عربيّة**[٥٤١]، أي أنّه قد استعمل ما جاء في التفاسير القرآنيّة وقصص الآنبياء في كتب التفسير الإسلامي.

---

٥٣٩ Avraham Grossman, '*The School of Literal Jewish Exegesis in Northern France*,' in Magne Saebo, *Hebrew Bible, Old Testament: the history of its interpretation, the middle ages*, Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, ٢٠٠٠ , V. ١/٢ p.٣٢٧

٥٤٠ انظر؛ Graig Evans, *Ancient Texts for New Testament Studies, a guide to the Background Literature*, Massachusetts: Hendrickson Publishers, ٢٠٠٥ , p.٢٠١

٥٤١ انظر؛ *Encyclopaedia Judaica,* ١٩/٥١٤

وكانت الموسوعة اليهوديّة «*The Encyclopedia of Judaism*» أكثر حسمًا عند قالت: «**بعض الأفكار مقتبسة من القرآن**؛ وهو ما يشير إلى أنّ زمن تأليف [هذا الترجوم] كان في آخر القرن السابع أو أوّل القرن الثامن.» «Some of the motifs are borrowed from the Koran; this points to the late seventh or early eighth century as the time of its composition.»[٥٤٢]

وقد أشارت موسوعة «*Encyclopaedia Judaica*» إلى الآراء المتباينة حول زمن تأليف هذا الترجوم، ورَجَّحَتْ أنّه قد أُلّف في آخر **القرن السابع وبداية القرن الثامن** – وهو ما قرّره أيضًا معجم الديانة اليهوديّة «*The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*»[٥٤٣] –، ومن الأدلّة على ذلك علاقة هذا الترجوم بسفر «فرقي دي ربي إليعازر».[٥٤٤]

ولا شكّ أنّ ظهور هذه التشابهات في ترجوم إستير الثاني الذي ظهر بعد الإسلام وغيابه عن ترجوم إستير الأوّل الذي كتب قبل الإسلام، يحمل دلالة ظاهرة على أنّ القرآن الكريم هو مصدر الاقتباس لا العكس!

ومن أهمّ ما ورد في الحديث عن (أصل) هذا الترجوم، ما ذكره الناقد «برنارد جروسفلد» «Bernard Grossfeld»[٥٤٥] في مقدمته لترجمته الإنجليزيّة للترجوم الأوّل والثاني لإستير؛ فقد أشار إلى التشابه الكبير بين هذا الترجوم وسفر «فرقي دي ربي إليعازر»، وهو ١٧ تشابهًا كما هو في

---

[٥٤٢] Phil. D. Wigoder and others, eds. *The Encyclopedia of Judaism*, p.٦٩٠

[٥٤٣] انظر؛ R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, p.٦٧٦

[٥٤٤] انظر المصدر السابق, ٥١٥/١٩

[٥٤٥] برنارد جروسفلد: رئيس قسم الدراسات اليهوديّة في جامعة ويسكونسن قبل التقاعد. من أعلام الدراسات الآراميّة ومن أهم المتخصصين في الترجومات. له عدد من المؤلفات في ترجمة الترجومات إلى اللغة الإنجليزيّة والأدوات العلميّة المتعلّقة بها.

تحليله الخاص. وذكر أنّ «بوزنر» «Posner» و«زونز» «Zunz» قد أشارا أيضًا إلى أنّ هذا الترجوم قد أخذ من سفر «فرقي دي ربي إليعازر» على عكس الترجوم الأوّل لإستير الذي كان من مصادر سفر «فرقي دي ربي إليعازر»، وأرّخا تأليف الترجوم الثاني لإستير في القرن الثامن، فيما اعتبر «برنارد جروسفلد» أنّ أبكر تأريخ ممكن لتأليف هذا الترجوم هو سنة ٨٠٠م، أي بداية القرن التاسع[٥٤٦]، وهو نفس ما اختارته الموسوعة اليهوديّة «*The Jewish Encyclopedia*»[٥٤٧].

وتُعدّ ملاحظة «برنارد جروسفلد» أنّ هذا الترجوم قد ألّف في فلسطين[٥٤٨] حجّة مؤكّدة لمصدرية القرآن والتفاسير الإسلاميّة له؛ إذ إنّ الثقافة الإسلاميّة كانت مهيمنة على فلسطين في القرنين الثامن والتاسع ميلاديًّا، وقد أثّرت على أهل الكتاب عامة؛ حتى شهد الناقد «سدني جريفث» أنّ «النماذج النصرانية الأبكر باللغة العربية ظهرت في المنطقة الفلسطينية.»[٥٤٩]

وممّا يلاحظ في هذا الترجوم أنّه لم يقتصر على مشابهة النص القرآني، وإنّما شابه أيضًا ما جاء في التفاسير القرآنيّة[٥٥٠]؛ بما يظهر عمق تأثّره بالثقافة الإسلاميّة المهيمنة على فلسطين.

---

[٥٤٦] انظر؛ Bernard Grossfeld, *The Two Targums of Esther, translated, with Apparatus and Notes*, Minnesota: The Liturgical Press, ١٩٩١, p.٢٠

[٥٤٧] انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, ٥/٢٤٣

[٥٤٨] انظر؛ Bernard Grossfeld, *The Two Targums of Esther, translated, with Apparatus and Notes*, p.١٩-٢٠

[٥٤٩] Sidney H Griffith, '*The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century*,' in *Oriens Christianus*, ١٩٨٥ Volume ٦٩, p. ١٦١

[٥٥٠] انظر؛ Jacob Lassner, *Demonizing the Queen of Sheba: boundaries of gender and culture in Postbiblical Judaism and medieval Islam*, Chicago : University of Chicago Press, ١٩٩٣, p.١٣٠

ويعتبر عجزنا عن امتلاك مخطوطة مبكّرة للترجوم الثاني لإستير (ليست لدينا مخطوطة تعود إلى ما قبل القرن الثاني عشر[٥٥١]) محنة أخرى لمن يقولون بمصدريّة هذا الترجوم للقرآن الكريم؛ فهل تبنى الدعاوى الكبيرة على التخرّصات والظنون؟!

أبوكريفا العهد الجديد:

١ - أناجيل الطفوليّة:

اعتراضات أوّلية:

تعتبر بعض تفاصيل ميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما الواردة في القرآن الكريم، أهم قضيّة قال فيها المنصّرون بمصدريّة الأناجيل الأبوكريفيّة للقرآن الكريم. وتواجه هذه الدعوى **خمسة عشر عائقًا** في مبتدأ البحث؛ وهي:

١) غياب الدليل التاريخي المحكم على انتشار الأسفار الأبوكريفيّة للطوائف المهرطقة، في الجزيرة العربيّة زمن البعثة النبويّة. ويبدو أنّ هذه الحقيقة هي التي جعلت «موسوعة الإسلام» «*Encyclopaedia of Islam*» الاستشراقيّة تعلّق على التشابهات بين بعض القصص القرآني وما جاء في بعض الأناجيل الأبوكريفيّة بقولها إنّ ذلك لا يدلّ على وجود صلة مباشرة بينهما، وأنّ الأرجح -بزعمها- هو وجود تراث شفوي مشترك كان مصدرًا لهما.[٥٥٢]

٢) غياب ترجمات عربيّة لهذه الأسفار الأبوكريفيّة زمن البعثة النبوية.

٣) كثرة هذه الأسفار المدّعى مصدريّتها، وتنوّع أصولها (يوناني، سرياني، قبطي، لاتيني ...) وتباعد مواطنها؛ يطرح سؤالًا جادًا حول قدرة نبي الإسلام ﷺ على الإحاطة

---

[٥٥١] انظر المصدر السابق، ص ١٣١

[٥٥٢] انظر؛ A. J. Wensinck, '*Maryam*,' in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, ٢٠١٠

بها، مع ما افتُرض أيضًا من إحاطته بما جاء في الأناجيل الرسميّة التي لم تعرف لها هي أيضًا ترجمة عربيّة في زمانه!!

٤) لم تظهر هذه الدعوى عند الكتّاب الدفاعيين النصارى الأوائل، خاصة أنّ تأليف النصارى في الهجوم على القرآن الكريم قد بدأ مبكّرًا مع (يوحنا الدمشقي) –المولود في آخر حكم «معاوية بن أبي سفيان» رضي الله عنه– (٦٧٦م– تقريبًا ٥٦هـ/ ٧٤٩م– ١٣٢هـ)، فلو أنّ تلك الأسفار كانت مشتهرة في البيئة العربيّة في القرن السابع ميلاديًّا لكان الدفاعيون النصارى الذين عاشوا داخل الدولة الإسلاميّة وكتبوا مؤلفاتهم في السرّ، أو الذين عاشوا في الإمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة[٥٥٣] المحاذية للعالم الإسلامي، وصنّفوا كتاباتهم ضدّ الإسلام بدعم من البابوات والأباطرة، قد ذكروها؛ لكنهم لم يفعلوا ذلك، واكتفوا أساسًا بالحديث عن «الراهب بحيرى» الذي علّم –بزعمهم– الرسول ﷺ ما هو مفصّل في الأناجيل الرسميّة الأربعة.

٥) عامة مؤلفات الدفاعيين النصارى تنسب الراهب «بحيرى» إلى المذهب النسطوري، وهو مذهب يعترف بالأناجيل الأربعة الرسميّة، وبإمكاننا أن نلاحظ هذه الدعوى في أشهر كتاب في الطعن في القرآن الكريم في القرون الوسطى « *Summa Totius Haeresis Saracenorum*» «لبطرس المبجّل» الذي يعتبر المحرّك الديني للحروب الصليبيّة؛ فقد زعم هذا الكتاب أن «سرجوس/بحيرى» النسطوري قد علّم محمدًا ﷺ العهد القديم والجديد طبق الفهم النسطوري، ثم تدخّل اليهود فعلّموه خرافاتهم لمنعه من أن يتحوّل إلى النصرانيّة![٥٥٤]

---

[٥٥٣] تُعرف باسم (الإمبراطوريّة البيزنطيّة)، وهي تسمية أطلقها عليها المؤرّخ الألماني «Hieronymus Wolf» سنة ١٥٥٧م، بعد قرن من سقوطها!

[٥٥٤] انظر؛ Susannah Heschel, *Abraham Geiger and the Jewish Jesus*, Chicago: University of Chicago Press, ١٩٨٨, p.٦٠

٦) غزت الإسرائيليات كتب التفسير في فترة مبكّرة من النشاط التفسيري الإسلامي، ولا نرى رغم ذلك في هذه الكتب نقلًا حرفيًا أو مقاربًا لما جاء من تفصيل في روايات ميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما كما هي في الكتب الأبوكريفيّة في المواضع التي ادّعى المنصّرون أنّ القرآن الكريم قد اقتبسها من الأبوكريفا كما سيأتي ذكرها.

٧) كانت الأناجيل الأربعة مختصرة جدًا في أمر طفولة المسيح، وهي بذلك منطقة مظلمة في حياة المسيح في النصوص الرسميّة للكنيسة؛ وبالتالي فإنّ ردّ ما جاء في القرآن الكريم لمجرد غياب ذكر له في الأناجيل الرسمية –على فرض صحة عامة ما جاء في الأناجيل الرسميّة تاريخيًا– لا يرقى للطعن في إضافات القرآن الكريم.

٨) الخلاف حول طفولة المسيح كان معروفًا بين النصارى في القرون الأولى؛ حتّى إنّ فرقة الأبيونيين[٥٥٥] كانت تؤمن بإنجيل –كما يقول «إبيفانيوس»– هو نسخة من إنجيل متّى دون الفصلين الأوّلين[٥٥٦]؛ أي أنّه إنجيل قد حذفت منه قصة طفولة المسيح.[٥٥٧]

٩) لايزال النقّاد إلى اليوم يعيدون قراءة نصوص الأناجيل وقصصها في ضوء ما يستجد لهم من اكتشافات حديثة لمخطوطات أبوكريفيّة، ولعلّ أفضل مثال لهذا الأمر؛ «إنجيل توما»[٥٥٨] المكتشف في نجع حمادي في مصر سنة ١٩٤٥م، حيث يعدّ اليوم عند عامة النقّاد أحد مصادر الأناجيل الرسمية أو النصّ الذي ينقل الكثير من أقوال المسيح في

---

[٥٥٥] الأبيونيّة: الأبيونيون אביונים لغة: (الفقراء). اصطلاحًا: فرقة تنتمي إلى ما يعرف (بالمسيحيّة اليهوديّة)، كانت ترى وجوب الالتزام بالتشريع والعادات اليهوديّة. ترفض هذه الفرقة ألوهيّة (يسوع) وترى مع ذلك أنّه (المسيح)، كما تمجّد (يعقوب) الحواري وترى ضلال (بولس).

[٥٥٦] انظر؛ Epiphanius Of Salamis, *Panarion*, ٣٠. ١٤

[٥٥٧] ذهب «جيمس ر. إدواردز» «James R. Edwards» في مقال حديث له إلى أنّه من المحتمل أن يكون «إنجيل الأبيونيين» أحد مصادر إنجيل لوقا! انظر؛ *James R Edwards,* New Testament Studies. Cambridge: Oct ٢٠٠٢. Vol. ٤٨, Iss. ٤; p. ٥٦٨-٥٨٦

[٥٥٨] هو غير إنجيل الطفولة لتوما الذي سيأتي ذكره لاحقًا.

هذه الأناجيل في صورة أقرب إلى الأصل[٥٥٩]، وأحد أهمّ الكتابات التي تعين على فهم تشكيلها التاريخي واللاهوتي.

١٠) الاتفاق الإجمالي بين القرآن الكريم والأسفار الأبوكريفيّة في أمر طفولة المسيح، منصب أساسًا على قصص المعجزات، وهي تشابهات قليلة جدًا لا ترقى إلى أن تكون حجّة على (التشبّع!) القرآني بالتراث الأبوكريفي المتخم بالقصص والتفاصيل والعقائد.

١١) ردّ تاريخيّة كلّ ما جاء في أبوكريفا الطفولة، باعتباره من آثار التراث النصراني المتأخّر الذي يبدأ من القرن الثاني ميلادي، يحمل الكثير من الغرور والتنطّع في القول والحسم غير المبرّر[٥٦٠]؛ إذ إنّ معرفتنا بالأبوكريفا النصرانية عامة وأبوكريفا الطفولة خاصة، لا تزال على درجة كبيرة من الضعف، كما أنّنا لازلنا إلى اليوم نكتشف مخطوطات كتب أبوكريفيّة لم نكن نعلم عنها شيئًا أو لم نكن نعرف غير اسمها، علمًا

---

[٥٥٩] يقول الناقد الكتابي الموسوعي «هلمت كووستر» «Helmut Koester» (ولد سنة ١٩٢٦م): «إذا نظر الواحد إلى شكل أقوال (المسيح) في إفرادها وألفاظها، في مقارنة لها بالشكل الذي حفظت فيه في العهد الجديد؛ فإنّ إنجيل توما سيبدو دائمًا تقريبًا محافظًا على شكل أكثر أصالة للقول التقليدي أو سيُظهر ترجمات قائمة على أشكال أكثر أصالة.». وقال: الناقد «ستيفن ل. ديفيز» «Stevan L. Davies» أستاذ الدراسات الدينيّة في كليّة مزركوريا في دالاس: «لاحظ العديد من النقّاد أنّ إنجيل توما يحمل أجلى صورة بدائيّة ممكنة للتراث المكتوب.» (انظر؛ Stevan L. Davies, *The Gospel of Thomas*, Massachusetts: Shambhala Publications, ٢٠٠٢, p.xlii)

[٥٦٠] اتّهم الناقد «طوني بورك» «Tony Burke» –متخصص في أبوكريفا العهد الجديد– الدفاعيين النصارى بالجهل بدراسات الأسفار الأبوكريفيّة، والاعتماد على دراسات عامة غير نقديّة، والانتقائية في اختيار نتائج أبحاث المتخصصين ...

انظر؛ Tony Burke, "*Heresy Hunting in the New Millennium*," *SBL Forum* , n.p. [cited Aug ٢٠٠٨]. Online: http://sbl-site.org/Article.aspx?ArticleID=٧٨٧

أنّ بعضها يعود أصل تأليفه إلى القرن الأوّل ميلادي، ومنها– كما هو مذهب الناقد البارز «جون دومينيك كروسان»[٥٦١] –:

- «إنجيل توما» «*Gospel of Thomas*»: تحريره الأوّل ٥٠م.
- «إنجيل أجرتن» «*Egerton Gospel*»: ٥٠م.[٥٦٢]
- «شذرة الفيوم» «*Fayyum Fragment*»: ٥٠م.
- «البرديّة البهنسيّة ١٢٢٤» «*Papyrus Oxyrhynchus* ١٢٢٤»: ٥٠م.
- «البرديّة البهنسيّة ٨٤٠م» «*Papyrus Oxyrhynchus* ٨٤٠»: ٨٠م.
- «مجموعة الحوار» «*Dialogue Collection*»: نسخة مهذّبة للرسالة الغنوصيّة القبطيّة «حوار المخلّص» «*Dialogue of the Savior*»: آخر العقد السابع من القرن الأول.
- «الكتاب السري ليعقوب» «*Apocryphon of James*»: ألّف في النصف الأوّل من القرن الثاني، لكنه يضمّ تراثًا يعود إلى سنة ٥٠م.[٥٦٣]

[٥٦١] جون دومينيك كروسان (ولد سنة ١٩٣٤م): قسيس كاثوليكي سابق، وأحد مؤسسي «ندوة يسوع». أحد أئمة دراسات النقد الأعلى للعهد الجديد في العالم، وأحد أهم من كتب حول «يسوع التاريخي» «*Historical Jesus*» في النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

[٥٦٢] ذكر المعجم الكتابي «*Dictionary of New Testament Background*» (ص٧٢) أنّ من النقّاد من انتصر للقول إنّ هذا الإنجيل هو أحد مصادر إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا.

١٢) من الأمور التي تكشف وجود تراث متعلّق بطفولة المسيح مواز لما في الأناجيل الرسميّة في المرحلة المبكّرة للنصرانيّة، قول «أريجن»[564] إنّ المسيح قد ولد في كهف[565]، وهو ما قاله أيضًا «جستين الشهيد»[566] [567]، و«جيروم»[568] [569]، وقد وردت هذه القصّة في إنجيل يعقوب الأوّلي؛ الفصول ١٨–١٩–٢٠، رغم أنّ ذلك يخالف ما يفهم ممّا جاء في العهد الجديد من أنّ المسيح قد ولد في اصطبل أو «καταλυμα» (فندق/مضافة في بيت[570] [571])، علمًا أنّ ولادة المسيح في كهف قد

---

[563] انظر؛ John Dominic Crossan, *The Historical Jesus: The Life of a Mediterranean Jewish Peasant*, San Francisco: Harper Collins, ١٩٩١, pp. ٤٢٧-٤٣٤

[564] أريجن Ὠριγένης (١٨٥م–٢٥٤م): أحد أئمّة اللاهوت النصراني في قرونه الأولى. كانت له عناية خاصة بالدراسات التفسيريّة للكتاب المقدس.

[565] انظر؛ Origen, '*Against Celsus*,' in *Ante Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥,٤ /٤١٨

[566] جستين الشهيد (١٠٣م–١٦٥م): قديس وفيلسوف. من أوائل الكتاب الدفاعيين النصارى.

[567] انظر؛ Justin the Martyr, '*Dialogue with Trypho,*' ٧٨, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥, ١/٢٣٧

[568] جيروم (٣٤٧م–٤٢٠م): قديس. من أهم آباء الكنيسة. صاحب أهم ترجمة لاتينية للكتاب المقدس والمسماة «Vulgate». له مؤلفات أخرى كثيرة.

[569] انظر؛ Jerome, *Epistle to Paulinus*, ٥٨. ٣ in *Post-Nicene Fathers*, New York: The Christian literature company, ١٨٩٣, ٦/١٢٠

[570] الكلمة اليونانيّة تحتمل هذين المعنيين (انظر؛ I. Howard Marshall, *The Gospel of Luke: a commentary on the Greek text*, Michigan: Wm. B. Eerdmans

قد دخلت مخطوطات العهد الجديد نفسها؛ فقد وردت كلمة «كهف» «σπηλαίω» مكان «مَعلَف» «φάτνη» في لوقا ٢/٧ في قراءة «إبيفانيوس»، وجاءت صيغة نفس النص عند «أريجن»: «معلف الكهف» «τῷ σπηλαίω φάτνη»[٥٧٢]. كما أنّ التراث النصراني قد قَبِل أنّ والدي «مريم» اسمهما: «يواقيم»[٥٧٣] و«حنّة». ومعلوم أنّ هذا التفصيل لم يرد في الأناجيل القانونيّة، وإنّما ورد أوّلًا –فيما نعرف اليوم– في إنجيل يعقوب الأوّلي، وكذلك الأمر حول الزواج السابق لـ«يوسف النجار»، وأولاده، وسنّه عند الزواج من «مريم»[٥٧٤]، وغير ذلك من التفاصيل ...

Publishing, ١٩٧٨, p.١٠٧; Compare, Marvin R. Vincent, *Word Studies in the New Testament*, Virginia: MacDonald Publishing, ١/٢٦٨-٢٦٩)

٥٧١ انظر؛ لوقا ٢/٧، خروجًا من التناقض وجمعًا بين التراث القانوني والأبوكريفي ذهب قديس الكنيسة «جيروم» أيضًا إلى أنّ المسيح قد ولد في إسطبل/معلف؛ فقال عن المسيح في تمجيد (!) ميلاده: «إنّه لم يولد بين الذهب والأثرياء, وإنّما بين الخرء، في إسطبل» (!!) (انظر؛ Arthur A. Just, ed. *Ancient Christian Commentary on Scripture, Luke*, IL: Intervasity Press, ٢٠٠٣, ٣/٣٩)؛ أي أنّ المسيح قد ولد في اسطبل موجود في كهف!

٥٧٢ انظر؛ Richard Wilson, *New Testament Manuscripts by Type of Manuscripts*, CD version (BibleWorks)

٥٧٣ يزعم بعض النصارى أنّ اسم والدها هو «هالي» بناءً على تفسيرهم المتكلّف لسلسلة النسب الواردة في الفصل الثالث من إنجيل لوقا، وهو مذهب يخالف ما استقرّ عليه آباء الكنيسة من أنّ اسم والد «مريم» هو: «يواقيم».

٥٧٤ تذكر أبوكريفا الطفولة أنّ سن «يوسف النجّار» عندما تزوّج «مريم» كان في حدود التسعين، وهو ما تبنّاه عدد من كتّاب الكنيسة الأوائل، ووجدوا في قصّته الأبوكريفيّة المتعلّقة بزواجه السابق وأبنائه وسنّه؛ جوابًا على إشكاليّة «إخوة الربّ» (انظر؛ *Catholic Encyclopedia*, New York: Encyclopedia Press, ١٩١٣, ٨/٥٠٥)

كما أورد «جيمس دنهوو» «James Donehoo» في كتابه «الحياة الأبوكريفيّة والخرافيّة ليسوع» «The Apocryphal and legendary life of Christ» **أقوالًا كثيرة نسبها الآباء في كتبهم إلى المسيح دون أن تكون موجودة في العهد الجديد** (كجستين الشهيد، وأريجن، وكلمنت السكندري، وإيرانيوس، وجيروم ...)[٥٧٥]، وهذا دليل على **حجيّة ما ورد عن المسيح من غير طريق الأسفار المقدّسة عند معصومي الكنيسة (الآباء).**

١٣) مادام القرآن الكريم قد تناول محّطات عمريّة من حياة المسيح وأمّه، قد أغفلتها –أو كادت– الأناجيل الرسميّة؛ فإنّه من المنطقي أن يقع نوع من التقاطع ولو في الخطوط العريضة لبعض ما ذكره القرآن الكريم من قصّة طفولة المسيح وحياة أمّه قبل ميلاده، وما جاء في الأناجيل الأبوكريفيّة؛ خاصة أنّ الأناجيل الأبوكريفيّة قد غطّت مساحة تاريخيّة كبيرة من حياة «مريم» وطفولة المسيح –عليهما السلام– حيث امتزج التراث الشفهي الموروث، بخيال الكتّاب؛ فكانت الرواية جامعة بين التاريخ الحقّ والخرافة المختلقة.

ولو نظرنا إلى الأمر بصورة عكسيّة؛ فسيبدو الأمر أبعد عن المنطق التاريخي المقبول:

يذكر القرآن الكريم تفاصيل لميلاد المسيح وأمّه وطفولتهما، فلا يوافق ما جاء في الأناجيل الرسميّة؛ لأنّ هذه الأناجيل لم تتعرّض إلى هذه المحطات التاريخيّة من حياة المسيح وأمّه. ولا يوافق القرآن الكريم أيضًا المصدر التاريخي الثاني وهو الأناجيل غير المعترف بها من الكنيسة .. أي أنّ القرآن الكريم قد تفرّد بأمر أفاضت فيه نصوص أخرى قريبة (نوعًا ما) من الحدث الأصلي .. فكان ذلك دليلًا على أصالة صحّة التفصيل القرآني!؟ أمّا إن وافق أحدهما؛ فذاك دليل على خرافية هذا الرواية!!

---

[٥٧٥] انظر؛ James Donehoo, *The Apocryphal and legendary life of Christ: being the whole body of the Apocryphal gospels and other extra canonical literature which pretends to tell of the life and words of Jesus Christ, including much matter which has not before appeared in English*, New York: The Macmillan company, ١٩٠٣, pp.٢٤٢-٢٦٥

١٤) لو صدقنا –جدلًا– وجود هذا العمل الاقتباسي؛ فإنّه يبقى مع ذلك إشكال لا يمكن حلّه، وهو أنّ القرآن الكريم لم يتبنّ أيًا من الروايات الكليّة لهذه الأسفار، بل لم يوافقها إلا في أقل القليل، كما أنّ هذه الانتقائية (!) المدّعاة في التعامل مع هذه الكتب، لم توظّف عامة بصورة مميزة لخدمة فكرة تحتاج من نبي الإسلام أن يترك الأناجيل الرسميّة ويتبنى روايات الأناجيل الأبوكريفيّة!

١٥) القول إنّ الرسول ﷺ كان على اطّلاع على هذه الأسفار، يزيد شبهة المنصّرين رهقًا ولا يفتح لها أبواب القبول والمنطقيّة؛ لأنّ تضخيم معارف الرسولﷺ لتبلغ العلم بنصوص التوراة والأسفار التشريعيّة والأجاديّة اليهوديّة والعهد الجديد والأسفار الأبوكريفيّة الدقيقة في زمن تخفّي الفرق المهرطقة بكتبها؛ يعدّ إفراطًا شنيعًا في تصوّر التكوين العلمي الممنهج والدقيق والضخم لعلم الرسولﷺ بالأديان القديمة، وفرقها، وكتبها المقدّسة، وشروحها المعتبرة وغير المعتبرة...!!

تاريخيّة طفولة المسيح في الأناجيل الرسميّة:

إنّ قراءة ميلاد المسيح وطفولته في العهد الجديد في ضوء التاريخ ونصوص العهد الجديد نفسها؛ لتسقط تاريخيّة عامة ما ورد فيها، وقد جمع «جون إ. رمسبرغ» «John E. Remsberg» في كتابه «خرافة يسوع» «*The Christ Myth*» ٧٢ اعتراضًا على قصّة طفولة المسيح في العهد الجديد، فأصاب في أغلبها عين الحقيقة المبطلة لتاريخيّة هذه النصوص، وكان قد قال في مبتدأ حديثه: «من الصعب القول باستحقاق هذه الكتب للمصداقيّة كوثيقة تاريخيّة. **قصّة «ألف ليلة وليلة» مساويّة في مصداقيتها للأناجيل الأربعة**. توجد في كليهما نقول لأمور ممكنة وأخرى مستحيلة. المحال (لا بدّ أن يعتقد أنّه) خرافة محضة، أمّا الممكن فالإيمان به لمجرّد أنّه ممكن؛ يعدّ سذاجة عمياء.»[٥٧٦]

---

[٥٧٦] John E. Remsberg, *The Christ Myth- a Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, NuVision Publications, LLC, ٢٠٠٧, p.٣٩

ونكتفي نحن في هذا المقام ببعض الأمثلة الكاشفة لهشاشة البناء التاريخي لقصة طفولة المسيح في العهد الجديد، داعمين موقفنا بإقرار النقاد الغربيين الذين قالوا ببطلانها:

• تناقضات:

- **أين ولد المسيح**؟ رغم أنّ إنجيل متّى وإنجيل لوقا قد قرّرا أنّ المسيح قد ولد في «بيت لحم»، إلاّ أننا لا نعرف المسيح في الأناجيل إلاّ منسوبًا إلى الناصرة؛ فهو «الناصري» عند «بطرس»[٥٧٧] و«بولس»[٥٧٨] و«فيلبس»[٥٧٩] و «كليوباس» ومرافقه[٥٨٠]، و«بيلاطس»[٥٨١]، و«يهوذا» ومن جاء معه للقبض على المسيح[٥٨٢]، وخادمة رئيس الكهنة[٥٨٣]، و«بارتيماوس» الأعمى[٥٨٤]، والروح النجس[٥٨٥]، والجموع التي حضرت اجتماعاته[٥٨٦].

- **نسب المسيح**؟: قدّم كلّ من مؤلّف إنجيل متّى ومؤلّف إنجيل لوقا سلسلة لنسب المسيح، وهما سلسلتان مختلفتان غاية الاختلاف، وللهروب من هذه المعضلة؛ فقد زعم النصارى أنّ سلسلة النسب الواردة في إنجيل متّى هي «ليوسف النجار»، أمّا الأخرى الواردة في إنجيل لوقا فهي «لمريم»، وهذا الحلّ مرفوض لأسباب عديدة، منها:

---

[٥٧٧] انظر؛ أعمال الرسل ٢٢/٢, ٦/٣
[٥٧٨] انظر؛ أعمال الرسل ٩/٢٦
[٥٧٩] انظر؛ يوحنا ٤٥/١
[٥٨٠] انظر؛ لوقا ١٩/٢٤
[٥٨١] انظر؛ يوحنا ١٩/١٩
[٥٨٢] انظر؛ يوحنا ٥/١٨، ٧
[٥٨٣] انظر؛ مرقس ٦٧/١٤
[٥٨٤] انظر؛ مرقس ٤٧/١٠
[٥٨٥] انظر؛ مرقس ٢٤/١, لوقا ٣٤/٤
[٥٨٦] انظر؛ متّى ١١/٢١, لوقا ٣٧/١٨

* جاء التصريح الواضح في سلسلتي النسب أنهما متعلقتان ((بيوسف النجار))، ففي متّى ١/١٦: ((ويعقوب **أنجب** يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح))، وفي لوقا ٣/٢٣-٢٤: ((ولما بدأ يسوع (خدمته)، كان في الثلاثين من العمر تقريبًا، وكان معروفا أنه **ابن** يوسف **بن** هالي بن متثات بن لاوي ...))

* لا ذكر البتّة ((لمريم)) في سلسلة لوقا، ولم يكن هناك مانع شرعي عند اليهود من ذكر النساء في سلسلة النسب، وهذا ظاهر أصلًا من وجود أكثر من امرأة في نسب المسيح، رغم أنّ لهن أزواجًا؛ فمن باب أحرى أن تذكر ((مريم)) التي ليس لها زوج!

* لا يوجد أي أثر في العهد الجديد يشير إلى أنّ ((مريم)) من نسل ((داود))، وقد جاء في لوقا ٢/٤ أنّ ((يوسف)) قد صعد إلى بيت لحم في اليهوديّة للتسجيل في الإحصاء؛ لأنّه من بيت داود، مما يوحي أنّ ((مريم)) ليست كذلك.

* جاء في لوقا ١/٥ أنّ ((مريم)) قريبةٌ ((لإليصابات))، وأنّ ((إليصابات)) من نسل ((هارون))؛ فهي من سبط لاوي، لا من سبط يهوذا الذي منه ((داود))، وقد جاء في شريعة العهد القديم أنّه لا يجوز للمرأة أن تتزوج من غير سبطها[٥٨٧]؛ فكانت فكانت ((مريم)) بذلك هارونيّة لا داوديّة.

* اتّفق آباء الكنيسة –كما أقرّت بذلك الموسوعة الكاثوليكيّة– على أنّ سلسلتي النسب هما ((ليوسف النجار))[٥٨٨]، وأوّل من ادّعى أنّ سلسلة لوقا هي ((لمريم))

---

[٥٨٧] انظر؛ العدد ٣٦/٨

[٥٨٨] قالت ((الموسوعة الكاثوليكيّة)) بعد عرضها لقول من ادّعى أنّ سلسلتي النسب في متى ولوقا تعودان لشخصين اثنين ((يوسف)) و((مريم)): ((التراث الآبائي لا ينظر إلى سلسلة لوقا على انّها تمثّل سلسلة نسب مريم المباركة.)) (*The Catholic Encyclopedia*, ٦/٤١١)، وأثبت أيضًا معجم ((*Dictionary of Jesus and the*

هو «أنيوس الفيتربي» «Annius of Viterbo» المعروف بأنّه قد اعتاد تزييف الوثائق التاريخيّة[589]، فقد اختلق في آخر القرن الخامس عشر كتابًا نسبه إلى الفيلسوف اليهودي «فيلو»[590] قال فيه إنّ لكلّ واحد من أجداد المسيح، من «داود» فنزولًا، اسمين، وأنّ «يواقيم» هو نفسه «هالي». والنقّاد متّفقون على أنّ هذا الكتاب ليس لـ«فيلو»، وإنّما هو من المؤلّفات التي اختلقها «أنيوس الفيتربي»[591].

* من الغريب أنّ قديس الكنيسة «كلمنت السكندري»[592] قد قدّم فرضيّة عكسيّة؛ وهي أنّ سلسلة النسب الواردة في متّى هي «لمريم»، في حين أن سلسلة النسب الواردة في لوقا هي «ليوسف»[593].. وهو ما يكشف غياب دلالة نصية حقيقيّة على دعوى نصارى اليوم.

Gospels» الإجماع على أنّ سلسلتي النسب هما «ليوسف النجار» ، حتى نهاية القرن الخامس عشر (انظر؛ Joel B. Green, Scot McKnight and I. Howard Marshall, *Dictionary of Jesus and the Gospels*, IL: InterVasity, ١٩٩٢, p.٦٥), ولا يستثنى إلاّ «كلمنت السكندري» كما سيأتي.

[589] أدانه العديد من النقاد، وردّ عليه «Girolamo Mei» في كتابه « *De origine urbis Florentiae*» (انظر؛ Arthur Charles Hervey, *The Genealogies of our Lord and Saviour Jesus Christ*, Cambridge: Macmillan, ١٨٥٣, p.١١٢ , Alfred Hiatt, *The Making of Medieval Forgeries: false documents in fifteenth-century England*, University of Toronto Press, ٢٠٠٤, pp.٩-١٠)

[590] فيلو (٢٠ق م– ٥٠ م): فيلسوف يهودي هلنستي عاش في الإسكندريّة.

[591] انظر؛ William Smith and John Mee Fuller, *A Dictionary of the Bible*, London: John Murray, ١٨٩٣, ١/١١٤٥; George Trumbull Ladd, *The Doctrine of Sacred Scripture*, New York: Charles Scribners's Sons, ١٨٨٣, ١/٤٠٧

[592] كلمنت السكندري (١٥٠م–٢١٥): أحد آباء الكنيسة الأوائل. لاهوتي، كان يرأس مدرسة الإسكندريّة في زمانه.

[593] انظر؛ Clement Of Alexandria, '*Stromata*,' ١. ٢١, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥, ٢/٣٣٤

والأمر كما قال الدكتور «جيكي» «*Geikie*»: «سلسلة النسب كما قدّمت من طرف كلّ من متّى ولوقا تبدو **بلا ريب** متعلّقة بيوسف.»[٥٩٤]

- **إلى من أعلن الملاك بشارة الميلاد العذري؟**: متّى ١/٢٠-٢١ : إلى «يوسف». لوقا ١/٢٦-٣٨: إلى «مريم».
- **هل بشرى الميلاد العذري كانت قبل الحمل أم بعده؟** لوقا ١/٢٦-٣١: قبل. متّى ١/١٨-٢٠: بعد.
- **ماذا وقع بعد العلم بما نواه «هيرودس» من قتل المسيح الصبي؟** متّى ٢/١٣-١٥:سافر المسيح وأمه و«يوسف» إلى مصر. لوقا ٢/٢٢-٥٢: مكثوا في فلسطين.

إنّه تناقض (كبير) (مكشوف).. وكما قال الناقد الشهير «شلايرماخر» «Schleiermacher»[٥٩٥] فإن كل محاولات التوفيق بين هذين التقريرين المتعارضين ليست إلاّ جهدًا متكلّفًا.[٥٩٦]

● أخطاء

- جاء في متّى ٢/١ أنّ المسيح قد ولد في زمن «هيرودس»، وأنّ «هيرودس» قد قتل الصبيان من ابن سنتين فما دون في بيت لحم وجوارها بعد فترة قصيرة من ذلك .. لكننا نعلم في المقابل أنّ «هيرودس» قد توفيّ سنة ٤ قبل الميلاد!

---

[٥٩٤] Geikie, *Life of Christ*, ١/٥٣١ (Quoted by, John E. Remsberg, *The Christ Myth- a Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, ٢٠٠٧, p.٥٢)

[٥٩٥] شلايرماخر (١٧٦٨م-١٨٣٤م): فيلسوف ألماني. من أعلام اللاهوتيين. لقّب ب(أبي اللاهوت البروتستانتي العصري).

[٥٩٦] John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.٦٠

النتيجة: ولد المسيح في السنة الرابعة قبل الميلاد، أو قبلها بقليل أي السنة ٥ ق م أو ٦ ق م.
نقرأ في المقابل في إنجيل لوقا ٢/١-٧ أنّ المسيح قد ولد إبّان إحصاء «كيرينيوس»، ومعلوم أنّ هذا الإحصاء قد تمّ سنة ٦-٨ ميلاديًّا!

الفارق الزمني بين تاريخ ميلاد المسيح في متّى وتاريخه في لوقا لا يقلّ عن عشر سنوات!!

وقد اضطر «ألفرد بلامر» «Alfred Plummer» في تفسيره الشهير إلى القول: «علينا أن نرضى بترك هذا الإشكال بلا حل»[٥٩٧]، رغم ما أظهره من حرص لفكّ عقده!!

- قدّم كلّ من مؤلّف إنجيل متّى ومؤلف إنجيل لوقا سلسلة لنسب المسيح، وهما تعودان بنسبه إلى «يوسف النجار»، رغم أنّ «يوسف النجار» ليس بأب له؛ إذ المسيح له أم وليس له أب (بشري)؛ فقد ولد من عذراء!

سلسلة النسب في متّى: «هذا سجل نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم ... ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح.» «βιβλος γενεσεως ιησου χριστου υιου δαυιδ υιου αβρααμ ... ιακωβ δε εγεννησεν τον ιωσηφ τον ανδρα μαριας εξ ης εγεννηθη ιησους ο λεγομενος χριστος»[٥٩٨]

سلسلة النسب في لوقا: «ولما بدأ يسوع (خدمته)، كان في الثلاثين من العمر تقريبا، وكان معروفا أنه ابن يوسف بن هالي» «και αυτος ην ιησους αρχομενος ωσει ετων τριακοντα ων υιος ως ενομιζετο ιωσηφ του ηλι»[٥٩٩]

---

[٥٩٧] Alfred Plummer, *The International Critical Commentary, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St. Luke* , New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٩٦, p. ٥٠

[٥٩٨] متّى ١/١-١٦

[٥٩٩] لوقا ٣/٢٣

- جاء في سلسلة النسب في متّى بعد عرض التفاصيل: «ومن السبي البابلي إلى المسيح أربعة عشر جيلا.»[600] في حين يفهم من الفصل ٣ من سفر أخبار الأيام الأول أنّ هذه الفترة قد استغرقت ١٨ جيلًا.

- جاء أيضًا: «فجملة الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا؛ ومن داود إلى السبي البابلي أربعة عشر جيلا؛ ومن السبي البابلي إلى المسيح أربعة عشر جيلا»[601] .. لكن بحساب هذه الأجيال؛ من اليسير أن نعلم أنّ عددها في هذه السلسلة التي أوردها مؤلّف إنجيل متّى ليس (١٤+١٤+١٤=٤٢) وإنما ٤١ جيلًا!

- جعل مؤلّف إنجيل متّى[602] بين «راحاب» أم «بوعز» و«داود» ثلاثة رجال فقط، في حين المسافة الزمنيّة بينهما تبلغ قرابة أربعة قرون!

- يفهم من لوقا أنّ «شالح» هو حفيد «أرفكشاد»[603]، في حين يفهم من سفر التكوين أنّ «شالح» هو ابن «أرفكشاد»[604] .. والخلط في الأنساب طويل لا مجال هنا لاستقصائه كلّه![605]

- يُدعى ناصريًا: جاء في متّى ٢٣/٢: «فوصل بلدة تسمى «الناصرة» وسكن فيها، ليتم ما قيل بلسان الأنبياء إنه سيدعى ناصريًا!» .. وهذا خطأ؛ إذ إنّه لا ذكر البتّة للناصرة في

---

[600] متّى ١٧/١

[601] متّى ١٧/١

[602] متّى ١/٥-٦

[603] لوقا ٣/٣٥-٣٦

[604] انظر؛ تكوين ١٢/١١

[605] انظر؛ John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.٥٠-٥٢

العهد القديم، بل ولا ذكر لها البتّة في أيّة وثيقة تاريخيّة في تلك الفترة؛ مما دفع العديد من النقّاد إلى القول إنّ الناصرة لم تعرف قبل المسيح، وإنما اخترعت بعده![٦٠٦]

– ملك بلا سلطان!: جاء في لوقا ٣٢/١: «إنه يكون عظيما، وابن العلي يدعى، ويمنحه الرب الإله عرش داود أبيه».. غير أننا نقرأ في الأناجيل أنّ المسيح لم يكن ذا سلطان على أحد، وقد قُتل من طرف أعدائه –كما هو مقرر في ذات الأناجيل–!

• خرافات

النجم الذي ظهر عند ولادة المسيح:

جاء في متّى ٢/١–٢: «وبعدما ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق، يسألون: «أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعًا في الشرق، فجئنا لنسجد له.»

اعتقاد ولادة نجم عند ميلاد أحد العظماء هو اعتقاد خرافي ساقط علميًا إذ إنّ النجوم لا تولد في لحظة، وإنما تستغرق أحقابًا طويلة جدًا لذلك، كما أنّ هذا الاعتقاد كان منتشرًا في الأمم الوثنيّة، وله نظير في التراث الهلنستي حيث يظهر نجم عند ولادة أكثر من شخصية مهمّة؛ فقد ادّعِيَ ظهور هذا النجم عند ولادة «الإسكندر الأكبر» و«مثريداتس» و«الإسكندر سفروس»،

---

[٦٠٦] انظر كتاب؛ René Salm, *The Myth of Nazareth, : the invented town of Jesus*, N.J. : American Atheist Press, ٢٠٠٨ وهو خاص بالتفنيد التفصيلي لتاريخيّة «الناصرة» زمن المسيح.

وادّعيت أيضًا هذه الخرافة في تراث الأحبار اليهود عند ولادة «إبراهيم» و«إسحاق» و«موسى» عليهم السلام.[٦٠٧]

النجم المتحرك شرقًا:

جاء في متّى ٢/٩: «فلما سمعوا ما قاله الملك، مضوا في سبيلهم. وإذا النجم، الذي سبق أن رأوه في الشرق، يتقدمهم حتى جاء وتوقف فوق المكان الذي كان الصبي فيه».. هذا تصوّر علمي ساذج لتقريره أنّ النجم يتحرّك بهذا البطء حيث من الممكن أن يوازي في السماء حركة الماشي على الأرض!!

مجزرة هيرودس:

جاء في متّى ٢/١٦: «وعندما أدرك هيرودس أن المجوس سخروا منه، استولى عليه الغضب الشديد، فأرسل وقتل جميع الصبيان في بيت لحم وجوارها، من ابن سنتين فما دون، بحسب زمن ظهور النجم كما تحققه من المجوس.»

يعتبر قتل «هيرودس» لجميع الصبيان في بيت لحم وكلّ المناطق المجاورة « πασι τοις οριοις αυτης» دعوى يكذّبها التاريخ لأسباب عديدة؛ من أهمّها أنّ المؤرّخين الذين عايشوا تلك الفترة –«كيوسيفوس»– لم يذكروا عنها شيئًا رغم أنهم قد ذكروا عن «هيرودس» أمورًا أقلّ قيمة، ومنكرات أقلّ شناعة، والأمر لا يعدو أن يكون محاولة للمماثلة بين قصّة «موسى» عليه السلام مع فرعون كما وردت في الكتاب المقدّس[٦٠٨] والتراث اليهودي[٦٠٩] حيث قتل فرعون المواليد الجدد خشية ظهور مولود جديد يهدد ملكه[٦١٠]، وهو ما له نظير أيضًا في التراث الوثني.[٦١١]

---

[٦٠٧] انظر؛ Donald A. Hagner, *Word Biblical Commentary, Volume ٣٣a: Matthew* ١-١٣, (Dallas, Texas: Word Books, Publisher) ١٩٩٨, CD edition

[٦٠٨] انظر؛ الخروج ١/١٥–٢٢

[٦٠٩] انظر؛ Josephus, *Antiquities*, ٢. ٢٠٥-٢٠٩, *Tg. Ps.-j. on Ex.* ١/١٥

[٦١٠] انظر؛ William David Davies and Dale C. Allison, *Matthew* ١-٧, : Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٤ , p٢٦٥, John Nolland,

• اقتباسات للتكييف التاريخي

بيت لحم في اليهوديّة:

جاء في متى ٢/٥-٦: «ولما سمع الملك هيرودس بذلك، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلها؛ فجمع إليه رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم جميعا، واستفسر منهم أين يولد المسيح. فأجابوه: «في بيت لحم باليهودية، فقد جاء في الكتاب على لسان النبي: وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست صغيرة الشأن أبدا بين حكام يهوذا، لأنه منك يطلع الحاكم الذي يرعى شعبي إسرائيل**!**»

-هذه الترجمة العربيّة (ترجمة كتاب الحياة) لا توافق النص اليوناني لإنجيل متّى كما سيأتي.-

وردت هذه النبوءة المزعومة في ميخا ٥/٢، لكنّها تختلف في الأصل العبري -وحتّى في الترجمة اليونانيّة السبعينية- عن نصّ متّى.

(١) تحريف مؤلّف إنجيل متّى للنصّ العبري:

- غيّر اقتباس متّى «بيت لحم أفراته» «**בית-לחם אפרתה**» إلى «بيت لحم أرض يهوذا» «βηθλεεμ γη ιουδα»
- غيّر اقتباس متّى «صغرى لتكوني في عشائر (حرفيًا: ألوف) يهوذا» «**צעיר להיות באלפי יהודה**» إلى «لست صغرى لتكوني من بين حكّام يهوذا» «ουδαμως ελαχιστη ει εν τοις ηγεμοσιν ιουδα»
- غيّر اقتباس متّى «منكِ يخرج لي من يكون متسلّطًا في إسرائيل» «**ממך לי יצא، להיות מושל בישראל**» إلى «لأنّ منكِ سيأتي حاكم سيرعى شعبي إسرائيل» « εκ σου γαρ εξελευσεται ηγουμενος οστις ποιμανει τον λαον μου τον ισραηλ»

The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek Text, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٥, p.٢١٤

[٦١١] انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب.

(٢) مخالفة مؤلّف إنجيل متّى للنص السبعيني، رغم ما يقال عن متابعته للترجمة السبعينيّة في عامة اقتباساته من العهد القديم:

- غيّر اقتباس متّى: «بيت لحم بيت أفراته» «βηθλεεμ οἶκος τοῦ εφραθα» إلى «بيت لحم أرض يهوذا» «βηθλεεμ γη ιουδα»
- غيّر اقتباس متّى: «قليلة جدًا أن تكوني بين ألوف يهوذا» « ὀλιγοστὸς εἶ τοῦ εἶναι ἐν χιλιάσιν ᾿Ιούδα·» إلى «لست صغرى لتكوني من بين حكّام يهوذا» « ουδαμως ελαχιστη ει εν τοις ηγεμοσιν ιουδα»
- غَيَّر اقتباس متّى: «منكِ يخرج لي من يكون حاكمًا على إسرائيل» « ἐκ σοῦ μοι ἐξελεύσεται τοῦ εἶναι εἰς ἄρχοντα ἐν τῷ ᾿Ισραήλ» إلى «لأنّ منكِ سيأتي حاكم سيرعى شعبي إسرائيل» « εκ σου γαρ εξελευσεται ηγουμενος οστις ποιμανει τον λαον μου τον ισραηλ»

من الاشكالات الأخرى في هذه البشارة المزعومة :

(٣) يتحدث «ميخا» في النص المقتبس عن شخص يظهر من سلالة أصلها من بيت لحم لينقذ قومه من الأشوريين .. ونحن نعلم أنّه لا وجود للأشوريين في فلسطين زمن المسيح!

(٤) يقول ميخا ٥/ ٦: «فيرعون أرض أشور بالسيف وأرض نمرود في أبوابها فينقذ من أشور إذا دخل أرضنا وإذا داس تخومنا». ويسوع لم يحارب الأشوريين ولم يذد عن فلسطين بالسيف.

(٥) يتحدّث نص ميخا عن قبيلة أصلها من بيت لحم (ويظهر الأمر بوضوح في الترجمة السبعينية) لا عن منطقة اسمها بيت لحم كما هو فهم مؤلف إنجيل متّى.

(٦) القول إنّ «بيت لحم» في ميخا يقصد بها مدينة لا قبيلة، يجعلنا نسأل: «وهل يوجد في يهوذا ألوف المدن ؟!!»

(٧) نُسب يسوع إلى الجليل لا إلى بيت لحم في أكثر من موضع في الأناجيل: متّى ٢٦/ ٦٩، ٢١/ ١١، لوقا ٢٣/ ٦...

(٨) لو كان يسوع من بيت لحم لسمّي ولو مرة واحدة «يسوع البيتلحمي» .. علما بأنّ والد «داود» قد سمّي «البيتلحمي» «**בית-הלחמי**» كما هو في سفر صموئيل الأول ١٦/ ١.

من مصر دعوت ابني:

جاء في متّى ٢/١٤-١٥: «فقام يوسف في تلك الليلة، وهرب بالصبي وأمه منطلقا إلى مصر، وبقي فيها إلى أن مات هيرودس، ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: من مصر دعوت ابني.»

رحلة المسيح إلى مصر ليست إلاّ خرافة نصرانيّةمختلقة، وقد أراد مؤلّف إنجيل متّى صناعة موازاة بين قصّة المسيح وقصّة «موسى» عليهما السلام، والنصّ المقتبس هو من هوشع ١/١١.

هوشع ١/١١-٢: «عندما كان إسرائيل صغيرا أحببته، ومن مصر دعوت ابني، لكن كلما دعاهم الأنبياء لعبادتي أعرضوا عني، ذابحين قرابين للبعل، ومصعدين بخورا للأوثان.»

وهنا:

(١) النصّ يقول صراحة في مبتدئه «عندما كان إسرائيل صغيرًا أحببته» «**כי נער ישראל، ואהבהו**»؛ فموضوع الحديث هو «شعب إسرائيل» لا «يسوع».

(٢) تتمّة الحديث أيضًا متعلّقة بشعب إسرائيل، وقد ورد فيها الحديث بصيغة الجمع «دعاهم» «أعرضوا»...

(٣) ترجمت الترجمة السبعينيّة اليونانيّة النص على هذه الصورة: «...لأنّ إسرائيل كان طفلًا، وأحببته، ومن مصر **ناديت أبناءه/أطفاله**» «...καὶ ἐγὼ ،ὅτι νήπιος Ἰσραήλ ἠγάπησα αὐτὸν καὶ ἐξ Αἰγύπτου **μετεκάλεσα τὰ τέκνα αὐτοῦ**.» .. فالمنادَون هنا هم: أبناء إسرائيل، أي شعب إسرائيل، ونسبة الأبناء هي لإسرائيل لا إلى الربّ.

راحيل الباكية والمجزرة الوهميّة:

جاء في متّى ٢/١٧-١٨: «عندئذ تم ما قيل بلسان النبي إرمياء القائل**:** «صراخ سمع من الرامة: بكاء ونحيب شديد**!** راحيل تبكي على أولادها، وتأبى أن تتعزى، لأنهم قد رحلوا**!**»

اقتباس مؤلّف إنجيل متّى هو من إرمياء ٣١/١٥: «وهذا ما يعلنه الرب: «قد تردد في الرامة صوت ندب وبكاء مر. راحيل تنوح على أبنائها وتأبى أن تتعزى عنهم لأنهم غير موجودين.»

قلت:

(١) قال «و.ف. ألبرايت» «W.F.Albright»[٦١٢] و«س.س.مان» «C.S.Mann»[٦١٣] في تعليقهما على إنجيل متّى: «الاقتباس من إرمياء ١٥/٣١، ليس من الترجمة اليونانية السبعينية، بل هو ترجمة من النصّ العبري»[٦١٤]. والمقصود ترجمة قام بها متّى أو غيره للنصّ العبري، تخالف النص السبعيني والعبري القياسي على السواء؛ فهي ترجمة متميّزة، مجهولة !!!

(٢) وقعت أحداث قصة راحيل قبل ولادة المسيح بستة أو سبعة قرون!

(٣) القصة المزعومة في إنجيل متّى، (وقعت) في بيت لحم لا الرامة المذكورة في سفر إرمياء (الرامة تبعد ٥ أميال عن بيت لحم).

(٤) كيف سمع صوت النحيب والبكاء من الرامة رغم أنها تبعد عن بيت لحم أميالًا لا أمتارًا!

(٥) لا يظهر من فعل «راحيل»، أو نص إرمياء، أنّ فعل «راحيل» له دلالة تنبئية!

(٦) نصّ إرمياء يتحدّث عن شعب بني إسرائيل المشرّد في السبي، لا المقتول (كما هو في قصة متّى)؛ ولذلك جاء في إرمياء ١٧/٣١: «**يرجع** بنوك إلى بلادهم ويكون في غدك رجاء.»

(٧) تقع بيت لحم في أرض يهوذا (متّى ٢/ ٦) وينسب أبناؤها إلى «ليئة» الزوجة الأولى «ليعقوب»، لا إلى «راحيل» الزوجة المفضلة عند «يعقوب».

قراءة في الاقتباسات المدّعاة:

سنجمع هنا **جميع** الاقتباسات المدّعاة من المنصّرين والمستشرقين التي كرّرتها الكتب المعادية للإسلام بصورة مستقرة في جميع اللغات الكبرى، والتي أضحت مادة أساسيّة في كلّ الكتب

---

[٦١٢] و.ف.ألبرايت : (١٨٩١م . ١٩٧١م) مستشرق أمريكي، أحد أعمدة الدراسات الكتابية في القرن العشرين، وهو محسوب على التيّار التقليدي، له اهتمامات مميزة بالأركيولوجيا والتاريخ الكتابي القديم واللسانيات.

[٦١٣] س.س.مان: (ولد سنة ١٩١٧م) ناقد كتابي. عميد مؤسسة « *Ecumenical Institute Theology*»

[٦١٤] William F. Albright and C. S. Mann, *Mathew, new translation with introduction and commentary*, New York: Doubleday, ١٩٧١, p.١٩

التنصيريّة باللغة الإنجليزيّة والفرنسية ..[615] واضعين الأمر في سياقه التاريخي الصحيح، بعيدًا عن العرض السريع للنصوص كما هو ممارس من المنصّرين والمستشرقين الراغبين في مباغتة القارئ بما يراه من تشابهات:

ولادة المسيح تحت نخلة:

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾

الرواية الأبوكريفيّة: جاء في كتاب أبوكريفي اسمه «متّى المنحول»[616]: «لكن في اليوم الثالث بعد ارتحاله حدث أنّ مريم تعبت في البريّة من شدة حرارة الشمس. فلما رأت شجرة قالت ليوسف: لنسترح هنيهة تحت ظلّ هذه الشجرة. فبادر يوسف وأتى بها إلى تلك النخلة وأنزلها من دابتها. ولما جلست شخصت بعينيها إلى أعلى النخلة فرأتها ملآنة بالثمر، فقالت ليوسف: يا ليتني آخذ قليلًا من ثمر هذا النخل. فقال لها يوسف: يا للعجب! كيف تقولين هذا وأنت ترين أن

---

[615] من السهل أن يتبيّن للباحث أنّ عامة المعلومات المذكورة في المراجع الإنجليزيّة والفرنسيّة عن أبوكريفا الطفولة فاقدة للتحقيق، وكثير منها غير متابع لأحدث الدراسات النقديّة، وكثيرًا ما تختزل الكتبُ القضايا المعقدة لأصول هذه الأسفار في فقرة واحدة مجملة الدلالة غير دقيقة العبارة. وقد تتبعنا بحمد الله المواضيع المتعلّقة بأصول هذه الأسفار في أهم الكتب والدراسات والمقالات العلميّة الإنجليزيّة والفرنسيّة، وأثبتنا أحدث النتائج التي استقرّ عليها أهل التحقيق؛ ولذلك أرجو ألاّ يغتر القارئ بما قد يراه في الكتابات التنصيريّة من ادعاءات مخالفة لما هو مثبت في هذا الكتاب؛ إذ هي تعتمد على الانتقائيّة المغرضة في اختيار الأقوال، وترجع إلى كتب ضعيفة التحقيق وغير متابعة للدراسات النقديّة الأحدث.

[616] يُعرف هذا الكتاب بأكثر من اسم مثل «إنجيل الطفولة لمتّى» و«كتاب حول أصل مريم المباركة وطفولة المخلّص».

أفرع هذه النخلة عالية جدًا؟ لكنّي في غاية القلق بخصوص الماء، لأنّ الماء الذي في قربتنا قد نفد ولا يوجد مكان نملأ القربة منه لنروي ظمأنا. ثم قال الطفل يسوع الذي كان متكئًا على صدر أمه مريم العذراء ووجهه باش: يا أيتها الشجرة، أَهبِطي أفرعك لتنتعش أمي بثمرك. وحالما سمعت النخلة هذا الكلام طأطأت فورًا رأسها عند موطئ قدمي مريم، فالتقط الجميع من الثمر الذي كان عليها وانتعشوا، وبعد ذلك لما التقطوا جميع ثمرها استمرت النخلة مطأطئة رأسها، لأنها كانت تنتظر الارتفاع بأمر مَن قد طأطأت رأسها بأمره. فقال لها يسوع: ارفعي رأسك يا أيتها النخلة وانشرحي صدرًا وكوني من أشجاري التي في جنة أبي. افتحي بجذورك الينبوع المستتر في الأرض، ولتفِض المياه من هذا الينبوع.. ففي الحال انتصبت النخلة ونبعت من جذورها مجاري مياه زلال صافية باردة آية في غاية الحلاوة. ولما رأوا مجاري المياه هذه فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا، فرووا ظمأهم مع جميع بهائمهم وخدمهم وحمدوا الله.»

الردّ:

مما يلاحظ هنا:

- تختلف القصة الأبوكريفيّة عن القصّة القرآنيّة من عدة نواح، وهي:
  - **الزمان:**
    القرآن الكريم: عند ميلاد المسيح # حكاية مولد مريم: بعد ميلاد المسيح.
  - **المكان:**
    القرآن الكريم: قريبًا من مسكن مريم في مكان متخفٍ # حكاية مولد مريم: في البريّة، أثناء رحلة الهروب إلى مصر.
  - **الحضور:**
    القرآن الكريم: مريم لوحدها # حكاية مولد مريم: مريم والمسيح ويوسف النجار والخدم والبهائم.
  - **من أجرى المعجزة:**
    القرآن الكريم: الله سبحانه خرق «لمريم» السنن الكونيّة، و«مريم» هي التي هزّت الجذع بيدها # يسوع الوليد هو الذي أجرى المعجزة.

▪ **سبب المعجزة:**

القرآن الكريم: دفع الجزع عن مريم وإقرار عينها # حكاية مولد مريم: إطعام العائلة أثناء رحلتها، وسقايتها.

▪ **وجه الإعجاز:**

القرآن الكريم: هزّ «مريم» جذع النخلة ليسقط الرطب، وجريان الماء تحتها من جدول # حكاية مولد مريم: أمر «يسوع» النخلة أن تنحني، وأن تخرج الماء من الأرض.

- كانت النخلة/الشجرة في البيئة الفلسطينية زمن المسيح حاضرة في المشهد اليومي بصورة مكثّفة؛ ولذلك لا يجد المرء نكارة في حضورها في النص القرآني والنص الأبوكريفي في روايتين مختلفتين مضمونًا. وقد كان للشجرة حضور أيضًا في القصص التي كانت تروى عن المسيح؛ من ذلك ما ذكره المؤرّخ «سوزُمان»[٦١٧] من أنّ أهل مصر يروون أنّه لما دخل المسيح وأمّه قرية الأشمونين بمصر انحنت شجرة للمسيح في سجود عبادة، وأنّ هذه القصّة شائعة جدًا بين الناس[٦١٨]، وما جاء في «كتاب موت مريم» (*Liber Requiei*) —الترجمة الأثيوبية والترجمة الجورجية– من أنّه لما هربت (العائلة المقدسة) ووجدت نفسها في الصحراء بلا أكل؛ انحنت نخلة لتطعم العائلة من ثمرها بعد أمر المسيح الوليد لها بذلك.[٦١٩]

---

[٦١٧] سوزمان Σωζομενός (٤٠٠م–٤٥٠م): أحد أهم مؤرّخي الكنيسة الأوائل.

[٦١٨] انظر؛ Sozomen, *The Ecclesiastical History of Sosomen*, tr. Edward Walford, London: Henry G. Bohn, ١٨٥٥, , p.٢٣٩

[٦١٩] انظر؛ Stephen J. Shoemaker, *Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption*, pp.٢٩٤-٢٩٥ .. يشابه هذا النص ما جاء في إنجيل متى المنحول إلاّ أنه لا يذكر معجزة نبوع الماء من الأرض .. وتعود الترجمة الأثيوبية له إلى القرن الخامس، ويبدو أنّ أصل هذا السفر —اليوناني–أقدم من ذلك–من القرن الثاني إلى الرابع كما يقول الناقد «شومايكر»، واعتبر بعض النقاد الكاثوليك أنّه من

○ تاريخ هذا الإنجيل غامض جدًا، وقد رجّح العديد من النقّاد أنّ إنجيل متّى المنحول قد ألّف في القرن الثامن أو قريبًا من ذلك -قبلًا أو بعدًا-:

- قال الناقد «روبرت ملر» «*Robert Miller*»: «ربما كان **القرن الثامن أو التاسع** احتمال جيّد. ألّف الإنجيل باللاتينيّة، ولا يوجد أي شيء يوحي أنّه قد ترجم عن العبريّة كما هو الزعم الوارد في الرسالتين المضمّنتين في مقدمته[٦٢٠]. توجد أكثر من ١٣٠ مخطوطة لهذا النص، كلّها لاتينيّة.»[٦٢١]

- قال «لينت ر. موير» «Lynette R. Muir»: «إنجيل متّى المنحول: نسب إلى جيروم ولكن ربما لم يؤلّف قبل **القرن الثامن**.»[٦٢٢]

تراث اليهود-المسيحيين الذين عاشوا منذ فترة مبكرة في فلسطين وحفظوا التراث المريمي (انظر؛ Emmanuele Testa, 'L'origine *e lo sviluppo della Dormitio Mariae'*, in *Augustinianum*, ٢٣ (١٩٨٣),' pp.٢٤٩-٢٥٠, ٢٥٤)-، والثابت أنّ قصة معجزة النخلة المنحنية للعائلة المقدسة كانت متداولة في القرن الثالث وربما حتى قبله (انظر الفصل الثالث من كتاب «شومايكر»). وقد تكرر ذكر النخلة في هذا السفر في أكثر من موضع؛ ولعلّ ذلك يعود إلى واقعة ولادة مريم للمسيح عند النخلة؛ إذ أخذت القصة شكلًا مختلفًا تمامًا في القرون التالية بسبب تعارض قصة ميلاد المسيح في اصطبل/كهف مع القصة الأصليّة؛ ولذلك انتقل بعض القصة الأصليّة إلى واقعة الهروب إلى مصر حيث من السهل إقحام النخلة المثمرة كسبب من أسباب نجاة (الأسرة المقدسة) من الجوع في أثناء الرحلة الشاقة المهلكة!

[٦٢٠] أثبتت الدراسات الحديثة أنّ هذه المقدمة ملحقة في فترة متأخّرة بإنجيل متّى المنحول، وأنّ الصورة الأقدم تضم مقدمة تنسب هذا الإنجيل إلى «يعقوب الصغير» (انظر؛ François Bovon et Pierre Geoltrain, *Ecrits Apocryphes Chrétiens*, Paris: Gallimard, ١٩٩٧, ١/١١٢)

[٦٢١] Robert Miller, *Born Divine, the Births of Jesus and other Sons of God*, California: Plebridge Press, ٢٠٠٣, pp.٣٠٩-٣١٠.

[٦٢٢] Lynette R. Muir, *The Biblical Drama of Medieval Europe*, New York: Cambridge University Press, ٢٠٠٣, p.٨٩,

- جاء في موسوعة «The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism» أنّ هذا الإنجيل «مؤلّف لاتيني من **القرن الثامن**.»[٦٢٣]

- قال الناقد «ج. ك. إلّيوت» «J.K. Elliott»: «ربّما يعود في شكله الحالي إلى **القرن الثامن**.»[٦٢٤]

- قال «ج. أ. تزيولاس» «J. A Tasioulas»: «مؤلَّف من **القرن الثامن أو التاسع**.»[٦٢٥]

- قال صاحبا كتاب «Documents for the Study of the Gospels»: «ربّما كتب هذا الإنجيل في **القرن الثامن أو التاسع**.»[٦٢٦]

- جاء في كتاب «Illuminating Luke: the public ministry of Christ in Italian renaissance and baroque painting» أنّ هذا الإنجيل قد «كتب في **القرن الثامن أو التاسع**.»[٦٢٧]

---

[٦٢٣] Richard P. McBrien, eds. *The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism*, New York: HarperCollins, ١٩٩٥, p.٥٣

[٦٢٤] J. K. Elliott, *The Apocrypahl Jesus*, Legends of the Early Church, Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٨, p.١١

[٦٢٥] J. A. Tasioulas, '*Between Doctrine and Domesticity: The Portrayal of Mary in the N-Town Plays*,' in Diane Watt, ed. *Medieval Women in their Communities*, Toronto: University of Toronto Press, ١٩٩٧ ,p.٢٢٨

[٦٢٦] David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٤, ٢nd edition, p.٩١

- قال عنه معجم « The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric»: «جمعٌ لإنجيل الطفولة ليعقوب وإنجيل الطفولة لتوما في **القرن الثامن** مع بعض المواد الحرّة في الفصول ١٨-٢٤.»[٦٢٨]

- أبكر تاريخ ادّعي في الدراسات الحديثة الجادة لتأليف هذا الإنجيل هو آخر القرن السادس ميلاديًّا[٦٢٩]، وذلك يوافق زمن ولادة الرسول ﷺ، وهو تاريخ لا ينصر دعوى الاقتباس القرآني في شيء؛ لأنّه:

(١) لا يعرف للقصّة الواردة في إنجيل متى المنحول سلف في التراث النصراني؛[٦٣٠] فهي قصّة محدثة مع ظهور هذا الإنجيل.

---

٦٢٧ Heidi J. Hornik and Mikeal Carl Parsons, *Illuminating Luke: the public ministry of Christ in Italian renaissance and baroque painting*, MI: Continuum International Publishing Group, ٢/٤٧

٦٢٨ David E. Aune, *The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric*, London: Westminster John Knox Press, ٢٠٠٣, p.٢٠٣

٦٢٩ رغم تصريح الناقد «جون جيجسل» «Jan Gijsel» بهذا القول، إلاّ أنّه قد اختار مع ذلك أنّ هذا الإنجيل قد أُلّف في بداية القرن السابع، وأنّه من الأولى أن نقول إنّ زمن تأليفه يمتد من آخر القرن السادس إلى القرن الثامن. وكان قد صرّح في مستهل مبحث زمن تأليف هذا الإنجيل أنّ «المشكلة ليست بسيطة وبقيت إلى اليوم دون حل مرضي.» « Le problème n'est pas simple et est resté jusqu'à ce jour sans solution satisfaisante» (Jan Gijsel, *Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius*, Turnhout: Brepols, ١٩٩٧, p.٥٩)

٦٣٠ انظر؛ Suleiman A. Mourad, '*From Hellinism to Christianity and Islam: The Origin of the Palm-tree Story Concerning Mary and Jesus in the*

(٢) أُلِّف هذا الإنجيل باللغة اللاتينيّة.

(٣) جميع النسخ المتاحة لهذا الإنجيل كتبت باللاتينية، كما سبق ذكره.

(٤) أقدم نسخ هذا الإنجيل (القرن التاسع) وجدت في أوروبا (فرنسا وألمانيا)[٦٣١]؛ وهو ما يثبت أصلها الأوروبي؛ إذ إنّ عادة الكتب الدينية النصرانيّة التي تظهر في الشرق أن تنتشر بصورة واسعة في الشرق قبل أن تأخذ فترة من الزمن لتنتقل إلى أوروبا.

(٥) أقرّ الناقد «ج. ك. إلّيوت» صراحة أنّ إنجيل «متّى المنحول» **لم يُعرف في الشرق ولا في ترجمات اللغات الشرقيّة**.[٦٣٢]

وقد لخص الناقد «ستيفن ج. شوميكر» «Stephen J. Shoemaker»[٦٣٣] النقاط السابقة — رغم حماسته الأولى للتشابهات بين القصتين وترجيحه لتاريخ تأليف هذا الإنجيل بين القرنين السادس والسابع–في قوله: «يبدو أنّ إنجيل متى المنحول قد كتب متأخرًا نوعًا ما؛ مما يمنعه من أن يكون له أثر على النص القرآني، والأهم من ذلك أنّ هذا الإنجيل الأبوكريفي قد ألف ابتداءً

Gospel of Pseudo-Matthew and the Qur'an,' in *Oriens Christianus* ٨٦ (٢٠٠٢), p.٢٠٦,

٦٣١ انظر؛ Jan Gijsel, *Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius*, pp.٦٠-٦٣

٦٣٢ انظر؛ J K. Elliott, *The Apocryphal New Testament*, Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٥, p.٨٤

٦٣٣ ستيفن ج. شوميكر: أستاذ النصرانية المبكرة ونصرانية القرون الوسطى في جامعة أورجن الأمريكية. متخصص في الدراسات المريمية والأبوكريفا.

باللغة اللاتينية في مكان ما في الغرب النصراني وكان مجهولًا تمامًا في الشرق النصراني.»[٦٣٤] وهي الأسباب التي دعته لرفض مصدرية هذا الإنجيل للقرآن الكريم.

لا بدّ من التقرير –في ظل الحقائق السابق– أنّ انتقال القصّة من أوروبا إلى الجزيرة العربيّة —وهما عالمان بينهما مسافات زمانيّة هائلة في ذاك العصر–، ومن اللاتينيّة فالسريانيّة إلى العربيّة؛ يحتاج مدى زمنيًا طويلًا؛ على فرض إمكانيّة انتقال هذا التراث أصلًا؛ نظرًا لانحساره في اللسان اللاتيني.

- غياب ترجمة سريانيّة لإنجيل متّى المنحول يجعل الحديث عن تراث عربي له دعوى مرفوضة تاريخيّة في ظلّ بيئة دينيّة كان العرب النصارى فيها (نصارى نجران..) يحتفظون بتراثهم الديني باللسان السرياني.

- إنّ صحّ القول بالاقتباس؛ فلا شكّ أنّه اقتباس هذا الإنجيل من التراث الإسلامي؛ إذ إنّه قد ألّف على الراجح بعد الفتح الإسلامي للأندلس حيث كانت الثقافة الإسلاميّة منارة مشعّة، كما أنّ للتمجيد الإسلامي «لمريم» عليها السلام (جاذبيّة) و(إثارة) في البيئة النصرانيّة.

النتيجة: التحليل الداخلي لتفاصيل القصّة، وتأخّر تأليف هذا الإنجيل عن البعثة النبويّة، ولغته الأعجميّة، ونشأته وانتشاره بعيدًا عن مكّة، وغياب ترجمة عربيّة أو حتى سريانيّة له... كلّ ذلك يؤكّد أنّ إنجيل متّى المنحول ليس من مصادر القرآن الكريم.

---

[٦٣٤] Stephen J. Shoemaker, *Christmas in the Qur'an: The Qur'anic Account of Jesus' Nativity and Palestinian Local Tradition.* Jerusalem Studies in Arabic and Islam ٢٨ (٢٠٠٣), p.١٩

الحديث في المهد:

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [٦٣٥]

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في «إنجيل الطفولة العربي» [٦٣٦]: «قد وجدنا في كتاب يوسف رئيس الكهنة الذي كان على عهد المسيح -وقال أناسٌ إنّه قيافا-، أنّ هذا الرجل قد قال إنّ يسوع تكلّم حين كان في المهد، وقال لمريم أمّه: «إنّي أنا المسيح ابن الله الذي ولدتني كما بشّرك جبرائيل الملاك، وأبي أرسلني لخلاص العالم.»»

ادّعى «تسديل» أنّ القصّة القرآنيّة مقتبسة من «إنجيل الطفولة العربي» غير أنّه لم يجد مناصًا من الاعتراف أنّ الأسلوب العربي لهذا الإنجيل سيء جدًا إلى درجة يعسر معها القول إنّه يعود في لغته العربيّة إلى زمن الرسول ﷺ [٦٣٧]، ثم قال إنّ الراجح أنّ هذا الإنجيل قد كتب باللغة القبطيّة، ومادام الرسول ﷺ قد تزوّج «مريم القبطيّة»، فلا شكّ أنّها قد بلّغته ما علمته من هذا الإنجيل ظنًا منها أنّه من الإنجيل الصحيح. وزاد تكثّرًا منه في الدعوى قولَهُ إنّه لا بدّ أن هناك آخرين قد أخبروا محمدًا ﷺ بالخرافات القبطيّة!! [٦٣٨]

وقبل الردّ أنبّه أنّ هذا الإنجيل قد سُميّ «بإنجيل الطفولة العربي» لا لأنّه قد ألّف باللغة العربيّة، وإنّما —كما يقول «ستيفن ديفيز» «Stevan Davies»– لأنّ نسخة له باللغة العربيّة كانت متاحة في القرن السابع عشر، ومنها تم إصدار أوّل طبعة أوروبيّة، وأصبح هذا الإنجيل بسبب

---

٦٣٥ سورة مريم/ الآيات (٢٩-٣٣)

٦٣٦ عنوانه الحقيقي «كتاب يوسف قيافا»

٦٣٧ انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an* , p.١٧٠

٦٣٨ المصدر السابق, ص ١٧٠-١٧١

هذه الطبعة معروفًا في الدوائر الأكاديميّة، وأضاف أنّه «لا يؤمن النقّاد عامة أنّه قد ألّف باللغة العربيّة ... **تسميّة هذا النصّ بـ«إنجيل الطفولة العربي» يعطي انطباعًا خاطئًا أنّ الكتاب أصله من البلاد العربيّة وأنّه يحتوي بصورة خاصة موادًا عربيّة، وليس الأمر كذلك.**»[٦٣٩].

الردّ:

- اعترافُ «تسديل» بغياب مرجع: (١) عربي، (٢) متداول في البيئة العربيّة؛ كافٍ بذاته لإبطال دعوى الاقتباس.

- تزوّجَ الرسول ﷺ «مارية القبطيّة» في السنة السابعة بعد الهجرة[٦٤٠]، أي قبل وفاته ﷺ بثلاث سنوات، وكانت عامة سور القرآن، بما فيها سورة مريم، قد نزلت.

- اعترف «تسديل» ذاته أنّ «إنجيل الطفولة العربي» لم يكن ينظر إليه كوحي من أي من الفرق النصرانيّة[٦٤١]؛ فكيف تخطئ «ماريّة» القبطيّة باعتقادها أنّه هو الإنجيل الصحيح؟! وما الفائدة في أن يستدلّ الرسول ﷺ بكتاب لا تعترف له أيّة طائفة بالقداسة!؟

---

[٦٣٩] انظر؛ Stevan Davies, *The Infancy Gospels of Jesus: apocryphal tales From the childhoods of Mary and Jesus*, Vermont: SkyLight Paths Publishing, ٢٠٠٩ , p.xxv

[٦٤٠] انظر؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت/ علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ، ١١١/٨

[٦٤١] انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, p.١٧١

- قرّر الناقد «ج. ك. إليوت» «J. K. Elliott»[٦٤٢] أنّ هذا الإنجيل يعود إلى أصل (archetype) سرياني، وممّا استدلّ به ما جاء في تفسير «يشوعدد المروزي» «Isho'dad of Merv» لإنجيل متّى في القرن التاسع ميلاديًّا؛ مما يوحي بمعرفته به[٦٤٣]. وأكّد الناقد «مِيني» «Migne»[٦٤٤] الأصل السرياني بإشارته إلى اعتماد هذا الإنجيل التقويم اليوناني لميلاد المسيح، وهو تقويم كان يستعمل عند النساطرة[٦٤٥]. واعتمد «ميشال نيكولا» «Michel Nicolas» على الألقاب التي أطلقت على «مريم» والمسيح في هذا الإنجيل للدلالة على أنّه كتاب سرياني، ألّفه نسطوري[٦٤٦]..[٦٤٧] الشهادات السابقة مبطلة لأصل نسبة نقل فحوى هذا الإنجيل إلى «مريم القبطيّة»، إذ لا علم لها –رضي الله عنها– بالسريانيّة، كما تدفع عن هذا الإنجيل الذي ألّف –على دعوى المنصّرين– في فترة قريبة من البعثة النبوية، هذه الشهرة المدّعاة بين عوام النصارى.

---

[٦٤٢] جيمس كيث إليوت: يعمل اليوم أستاذًا للنقد النصي للعهد الجديد في جامعة ليدز. له عناية خاصة بالأسفار الأبوكريفيّة والنصرانيّة في القرن الثاني ميلاديًّا.

[٦٤٣] انظر؛ J K. Elliott, *The Apocryphal New Testament*, p.١٠٠

[٦٤٤] جاك بول ميني Jacques Paul Migne (١٨٠٠م–١٨٧٥م): قسيس فرنسي، نشر عددًا ضخمًا من كتابات الآباء، وبها عُرف.

[٦٤٥] انظر؛ Migne, ed. , *Dictionnaire des Apocryphes*, Paris: J.-P Migne, ١٨٥٦ , ١/٩٨٢

[٦٤٦] انظر؛ Michel Nicolas, *Etudes sur les évangiles apocryphes* , Paris: Libr. Michel levy, ١٨٦٦ , p.٣٤٦- ٣٤٧

[٦٤٧] «هنري سيك» الذي نشر لأوّل مرّة النصّ العربي لهذا الإنجيل سنة ١٦٧٧م هو أيضًا لم يحل إلى أصل قبطي، وإنّما قال إنّ النصّ العربي هو ترجمة عن أصل يوناني أو سرياني. (انظر؛ Migne, ed. , *Dictionnaire des Apocryphes*, ١٨٥٦ , ١/٩٧٣)

- أوّل من أشار إلى إنجيل الطفولة في أصله السرياني هو «يشوعدد المروزي» في القرن التاسع[٦٤٨]، وهذا ما يجعل القائلين بوجود هذا الإنجيل قبل البعثة النبويّة في حرج شديد لأنّه لا توجد لهم حجّة يقينيّة على ردّه إلى ما قبل القرن السابع!
- رغم أنّ الكثير من المراجع الأجنبيّة تردّ زمن تأليف هذا الإنجيل إلى ما قبل البعثة النبوية –بقليل– إلاّ أنّ حجّتها –الحقيقية– الوحيدة المكرّرة صراحة، هي أنّ القرآن الكريم قد أورد تفاصيل مشابهة لما جاء في هذا الإنجيل؛ فصار محلّ النزاع بيننا وبين المخالفين هو عين الحجّة عندهم!!

والناظر بتمعن يرى أنّ المخالفين ليست لديهم أدنى حجّة تاريخيّة أو فيلولوجيّة من نسيج النص على أنّ هذا الإنجيل قد كتب قبل البعثة النبويّة[٦٤٩]. وقد علمتَ سابقًا هيمنة القصص القرآني على البلاد التي حكمها الإسلام، حتى دخلت التفاصيل القرآنيّة في الكتابات الأجاديّة اليهوديّة.

وقد اعترف الناقد الدكتور «ريدل» «Riddle» –أحد أكبر العلماء الأمريكان المتخصصين في دراسات العهد الجديد في زمانه– بغياب الأدلّة المباشرة التي يمكن من خلالها تحديد تاريخ تأليف هذا الإنجيل، في قوله: «لا توجد معطيات كافية لتحديد الزمن الذي ألّف فيه أو جمع فيه هذا الإنجيل بدقة.»[٦٥٠] ولذلك عرّف به وبمخطوطاته دون أن يورد له تاريخ تأليف.

---

[٦٤٨] هذا أمر رجّحه النقّاد ولم يثبت العلم به من طريق لا يحتمل النظر.

[٦٤٩] من الشهادات الفاضحة لهذا الأمر، ما جاء في «الموسوعة الكاثوليكيّة»: «من المحال التحقق من زمن (تأليفه)، لكن ربّما ألّف قبل العصر المحمّدي.» « It is impossible to ascertain its date, but it was probably composed before the Mohammedan era.» (*The Catholic Encyclopedia*, ١/٦٠٧) !!؟

[٦٥٠] "There are not sufficient data for fixing with any accuracy the time at which it was composed or compiled" (Alexander Roberts, and James Donaldson, eds. *Apocryphal Gospels, Acts and Revelations*, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٠, ١٦/xi)

ومما لا يخفى على الباحث الموضوعي الحصيف أنّ تحديد زمن تأليف هذا الإنجيل قبل البعثة النبويّة بقليل، واعتباره مصدرًا للرواية القرآنيّة، يتعارض مع الحركة البطيئة للأبوكريفا المتأخّرة وتقاعس الهمة لتعريبها في بيئة لا تعرف أصلًا الأناجيل القانونيّة في ترجمتها العربيّة، بالإضافة إلى أنّ هذا الإنجيل ليس له أنصار ابتداءً من الطوائف الأرثوذكسيّة أو المهرطقة.

- لم يعتمد الذين نسبوا تأليف هذا الإنجيل إلى ما قبل البعثة النبويّ بقليل نسيج القصّة كحجّة، وإنّما اتّخذوا من إدانة القرآن الكريم حجّة لهم، في حين أنّ النقّاد الذين درسوا هذا الإنجيل دراسة فيلولوجيّة جادة، ذهبوا إلى أنّه قد ألّف بعد البعثة النبويّة؛ حتّى إنّ المستشرق الشهير، والمتهم بموقفه السلبي ضد الإسلام، «مرجليوث» «Margoliouth»[٦٥١] لما كتب مقاله في الردّ على مقال «فرنك فوستر» « Frank Foster»[٦٥٢]: «هل الإسلام هرطقة مسيحيّة؟» « *Is Islam a Christian Heresy?*»[٦٥٣]، أنكر عليه بشدّة دعواه أنّ إنجيل الطفولة العربي قد ألّف قبل البعثة النبويّة، قائلًا: «عندما قال الدكتور فوستر إنّ «الإنجيل العربي لطفولة المخلّص كان مصدرًا لمقطع أو مقطعين من القرآن» وأنّ «تاريخ هذه الوثيقة ... يعود إلى ما قبل ظهور محمد في أقصى تقدير متأخّر» فإنه يبعد عن الظن أنّه قد أخذ تصديق النقّاد المتخصصين في العربيّة على هذين الاجتهادين. **النقّاد الذين يُعدون حجّة اليوم يقدّرون أنّ هذا الإنجيل قد أخذ قصّة حديث المسيح في المهد من القرآن.** بما أنّ **لغة هذا الكتاب متأثّرة بصورة واضحة بالقرآن**؛ فإنّ هذا القول هو الراجح.»[٦٥٤]

---

[٦٥١] مرجليوث (١٨٥٨م-١٩٤٠م): من أعلام المستشرقين. عمل لفترة قصيرة قسيسًا. أستاذ اللغة العربيّة في جامعة أوكسفورد. أحد المساهمين في كتابة «دائرة المعارف الإسلاميّة» المتحاملة على الإسلام.

[٦٥٢] فرنك فوستر (١٨٥١م-١٩٣٥م): قسيس أمريكي، درّس الفلسفة وتاريخ الكنيسة.

[٦٥٣] نشر في مجلة «العالم الإسلامي» («The Moslem World»)، مجلد ٢٢، العدد الثاني، ص ١٢٦-١٣٣

[٦٥٤] David S. Margoliouth, '*Is Islam a Christian Heresy?,*' in *The Moslem World*, ١٩٣٣, V.٢٣, p.٩

ورغم أنّ «فوستر» قد استاء جدًا من تعقيب «مرجليوث» على مقاله، ممّا اضطره إلى أن يرد عليه في العدد التالي من مجلّة «العالم الإسلامي» إلاّ أنّه مع ذلك قد أعلن أنّه مستعد أن يحذف من مقاله السابق ما ادّعاه من أنّ «إنجيل الطفولة العربي» قد ألّف قبل الإسلام، إقرارًا منه أنّ كلام المستشرق «مرجليوث» أهل لأن يكون حجة في هذا الباب.[٦٥٥]

وتبرز المعالم الإسلاميّة بصورة فجة في أقدم مخطوطة لهذا الإنجيل، وهي مخطوطة «لورنتيانوس»[٦٥٦]؛ إذ تكثر فيها المصطلحات الإسلاميّة؛ فقد بدأت مثلًا بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم. كان على عهد موسى النبي عليه السلام...»، وعبارات «شيطان رجيم»، و«إمام» للكاهن، و«المعتزلة» للفريسيين ...[٦٥٧]

---

[٦٥٥] انظر؛ Frank Hugh Foster, '*Reply to professor Margoliouth's Article, Jan,* ١٩٣٣,' in *The Moslem World*, , April١٩٣٣, Volume ٢٣, p.١٩٨

[٦٥٦] توجد ثلاث مخطوطات لإنجيل الطفولة العربي معروفة اليوم:

- مخطوطة «لورنتيانوس» «*Laurentianus*».
- المخطوطة التي نشرها «سايك» «Sike» والتي انتشر نصها باللغات الحديثة؛ إذ هي الترجمة التي عرّفت النقّاد بهذا الإنجيل لأوّل مرّة، وهي السائدة في الكتب الحديثة.
- المخطوطة الفاتيكانيّة لإنجيل الطفولة العربي «*Vaticanus syriacus* ١٥٩» (انظر؛ François Bovon et Pierre Geoltrain, *Ecrits Apocryphes* (*Chrétiens*, ١/٢٠٨

[٦٥٧] Mario E. Provera, *Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. ٣٨٧)*, Gerusalemme: Franciscan Print, ١٩٧٣, pp.٣٥-٣٦

وممـن صـرّح مـن النقّـاد أنّ هـذا الإنجيـل قـد ألّـف بعـد الإسـلام، «بنيـامين هـاريس كـوبر» «Benjamin Harris Cowper» الذي نسبه إلى القرن الثامن أو التاسع[٦٥٨]، وهو نفس ما قرّره الناقد «طوني شارترند–بورك» «Tony Chartrand-Burke» في أطروحته للدكتوراه التي ناقشها منذ سنوات قليلة في جامعة تورنتو[٦٥٩]، ولعلّ رأيه يمثّل قول آخر الأبحاث الأكاديميّة الغربيّة في هذا الموضوع، خاصة مع ما تميّزت به هذه الأطروحة من استيعاب جيّد لخريطة مخطوطات أناجيل الطفولة، وتاريخها، وعلاقاتها البينيّة. وقد نقلت الناقدة «ماري دزون» «*Mary Dzon*»[٦٦٠] رأيه في أحدث دراسة منشورة لها، مُقرّة له.[٦٦١]

---

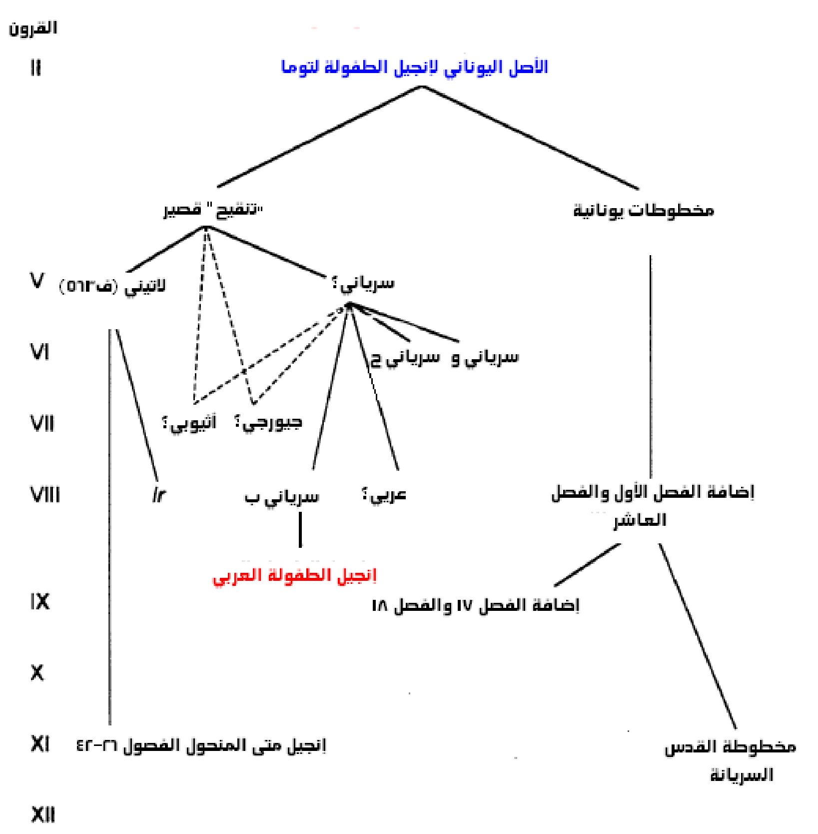
[٦٥٨] انظر؛ B. Harris Cowper, *The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ*, Edinburgh: Williams and Norgate, ١٨٧٠, ٣rd edition, p.١٧١

[٦٥٩] انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, ٢٠٠١, p.١٢٧ (manuscript)

[٦٦٠] ماري دزون: أستاذ أدب القرون الوسطى في جامعة تنسي. متخصصة في الأدب الديني الإنجليزي الأوسط. تُعِدّ الآن دراسة حول صور طفولة المسيح في أواخر القرون الوسطى.

[٦٦١] انظر؛ Mary Dzon, '*Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris* in *the Middle Ages*,' *Mediaeval Studies* ٧١ (٢٠٠٩), p.٢٦٥

تطوّر نص (إنجيل الطفولة لتوما) وكيف انبثق منه إنجيل الطفولة العربي
كما هو في أطروحة الناقد «طوني شارترند- بورك» ص ٢٨٧



○ ممّن تحدّث بمنطق علمي محايد في زمن تأليف هذا الإنجيل؛ عالم الأديان والقسيس المنصّر «جيوفري بارندر» «Geoffrey Parrinder»[٦٦٢] فقد قال في الفصل الذي

---

[٦٦٢] جيوفري بارندر (١٩١٠م-٢٠٠٥م): أستاذ علم الأديان المقارن في كليّة (كنج) بلندن، وقسيس ميثودوستي. له أكثر من ثلاثين كتابًا. عمل سنوات طويلة في التنصير في أكثر من بلد. رأس عددًا من المؤسسات المتخصصة في دراسة أديان العالم.

اختار له عنوان «ابن مريم» «*Son of Mary*» في كتابه «يسوع في القرآن» « *Jesus in the Qur'an*»، إنّ القرآن الكريم قد ذكر لقب «ابن مريم» ست وعشرين مرّة، في حين لم يرد هذا اللقب في الكتاب المقدس غير مرّة واحدة[٦٦٣]، وأنّ هذا اللقب لم يستعمل في الكنيسة المبكّرة عامة، ولا ذكر له في الأدبيات النصرانيّة الأرثودكسيّة[٦٦٤] بعد كتابة العهد الجديد، وإن كان من الممكن أن يكون قد استعمل مرّات قليلة جدًا، وحتّى الكتابات الأبوكريفيّة والهرطقيّة لم تستعمله إلاّ قليلًا. وبالنظر في مجموعة الأسفار الأبوكريفيّة التي جمعها «م. ر. جيمس»؛ نلاحظ أنّ لقب «ابن مريم» لم يرد بصورة بارزة في غير إنجيل الطفولة السرياني والعربي، وذاك دليل على العلاقات المتقاربة جدًا بين الكنيسة السريانيّة والإسلام المبكّر. ثم قال: «تاريخ تأليف هذا الإنجيل غير معروف على القطع، رغم أنّ الطبعة الفرنسيّة التي حررّها «ب. بيتر» تقول إنّ القصص في هذا الكتاب «لا بد أنّها كانت معروفة بصورة مبكّرة بين العرب المسيحيين لأنّها قد دخلت القرآن.»». من الممكن **تحدي هذا التقرير** لأنّه وإن كانت بعض هذه القصص لها مواز في القرآن نوعًا ما، فإن

---

٦٦٣ مرقس ٣/٦: «أليس هذا هو النجار ابن مريم»، الغريب هنا أنّ هذا المقطع قد ورد في صورة مختلفة في بقيّة العهد الجديد: متّى ٥٥/١٣ «أليس هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم»، لوقا ٢٢/٤: «أليس هذا ابن يوسف؟»!! والأغرب أنّ عددًا من المخطوطات القديمة قد حرّفت هذا النصّ ليرِد على صورة: «ابن النجار و(مريم)» «τον τεκτονος υιος και» -وهي القراءة الواردة عند «أريجن»- أو «ابن النجار، (ابن مريم)» «τον τεκτονος υιος» لا «النجار ابن مريم» «ο τεκτων ο υιος της μαριας»، ! (انظر؛ Kurt Aland, Matthew Black, Bruce Metzger and Allen Wikgren, eds. *The New Testament in Greek and English*, New York: American Bible Societ, ١٩٦٦, (p.١٤١

٦٦٤ الأرثودكسيّة: أي التي تتبع تعاليم المسيح (بزعمها)، في مقابل الهراطقة وكنائسهم. (تستعمل «الأرثودكسية» أيضًا كمصطلح للدلالة على الكنائس التي تقول بمذهب الطبيعة الواحدة، وليس ذاك مقصودنا هنا).

القصص التي تستعمل لقب ابن مريم لا نظير لها في القرآن. من الممكن أن يكون إنجيل الطفولة العربي **قد ألّف بعد الإسلام، وتأثّر بالعرف الإسلامي**، وإن كان من خلفه النص السرياني الأقدم.» [٦٦٥].

إنّ القول إنّ إنجيل الطفولة العربي قد ألّف بعد ظهور الإسلام وتأثّر بقصص القرآن الكريم لهو أقرب إلى المنطق التاريخي والتحليلي الفيلولوجي المحايد!

- إنجيل الطفولة العربي هو أوّل وثيقة تحدّثت عن حفظ غرلة المسيح بعد ختانه، وإذا علمنا أنّ الاحتفال بعيد (ختان الربّ!) والخرافات الكثيرة المتعلّقة بحفظ هذه القطعة من الجلد كان منتشرًا في القرون الوسطى [٦٦٦]، وأنّ أوّل ذكر لهذه القطعة المحفوظة كان في القرن الثامن [٦٦٧] –وإن كان الاحتفال بعيد الختان سابق لها ببضعة قرون– مال اعتقادنا أكثر لنسبة هذا الإنجيل إلى القرن الثامن أو ما بعده؛ لأنّ المنطق التاريخي يستدعي أن يكون هذا الإنجيل الأبوكريفي خاضعًا لانتشار هذه الخرافة لا منشئًا لها؛ إذ إنّه إنجيل أبوكريفي لا تعرف طائفة تتبنّاه، وقد وجد في زمن استقرت فيه قداسة الأناجيل الأربعة؛ فأن يكون مسايرًا في روايته للخرافات

---

[٦٦٥] Geoffrey Parrinder, *Jesus in the Qur'an*, Oxford: Oneworld Publications, ١٩٩٦, p.٢٧

[٦٦٦] بلغ الهوس بهذه القطعة من العضو الذكري «للرب يسوع!!» أنّ قدّيسة الكنيسة « Catherine of Siena» قد ادّعت أنّ المسيح قد اتخذها عروسًا وكانت هذه القطعة من الجلد هي خاتم العرس!! (انظر؛ Barbara G. Walker, *The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets*, New York: HarperCollins, ١٩٨٣, p. ٧٩٥)

[٦٦٧] انظر؛ Stuart B. Schwartz, *Implicit Understandings*, New York: Cambridge University Press, ١٩٩٤, pp.٥٧٨-٥٧٩

المنتشرة، أقرب للمنطق من أن يكون منشئًا لها مع ما عُلِم من فقدانه للسلطان الديني أو الأدبي في الزمن الذي ظهر فيه.

- إذا كان تأليف النصّ السرياني متأخرًا على هذه الصورة، فلا شكّ أنّ تعريبه كان بعد ذلك بزمن يقدّر بقرون؛ لأنّ الحاجة إلى تعريب الأسفار الدينيّة الأبوكريفيّة النصرانيّة لم تكن مبرّرة قبل ظهور الإسلام.

- اعترض «يوحنا الدمشقي» على الكثير من التفاصيل القرآنيّة في أمر المسيح وقصص الأنبياء، إلاّ أنّه رغم ثقافته الموسوعيّة ومعرفته المستفيضة بالفرقة (المهرطقة) وكتبها المقدسة، ولغته السريانيّة الأم التي اكتسبها من بيئته السريانيّة التي يعزى إليها هذا الإنجيل، لم يشر أدنى إشارة في كتابه «ينابيع المعرفة» إلى التشابه المزعوم بين القرآن الكريم وإنجيل الطفولة (العربي) أو إنجيل متّى المنحول المذكور في التشابه السابق؛ وفي ذلك دلالة هامة على أنّ هذين السِفرين قد أُلّفا بعد ظهور الإسلام. وهو ما يظهر أيضًا في واحد من أشهر المؤلّفات الطاعنة في الإسلام والتي أفاض فيها مؤلّفها في ذكر ما يستنكره من الأمور التي وردت في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وهو المسمّى بـ«رسالة عبد الله بن إسمعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام؛ ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية» وهو كتاب أُلّف في القرن العاشر ميلاديًّا[٦٦٨]، وترجم إلى اللاتينيّة في القرن الثاني عشر على يد «بطرس الطليطلي».

إنّ (اختلاق) القرآن الكريم لقصّة لم ترد في الأناجيل الرسميّة، وفيها يثبت المسيح لنفسه عبوديّته لله جلّ وعلا –وبذلك ينقض دعوى تأليهه–، ووجود نفس أصل الرواية في إنجيل أبوكريفي متاح بين النصارى أصحاب اللسانين العربي والسرياني بما يعارض الرواية القرآنيّة، ويثبت للمسيح قوله عن نفسه إنّه إله؛ ليستدعيان دون ريب ولا شك أن يبدي الدفاعيون النصارى الأوائل –خاصة السريان– اعتراضهم بأن يشيروا في جدلياتهم

[٦٦٨] انظر؛ Avery Cardinal Dulles, *A History of Apologetics*, San Francisco: Ignatius Press, ٢٠٠٥ , p.٩٥

العنيفة إلى هذا (الاختلاق) القرآني ومصدره الأبوكريفي، ومخالفته لهذا المصدر في مضمون الدعوى؛ فقد قام مقتضي الإنكار، وانتفى مانع إعلانه .. لكنّنا لا نرى لذلك أثرًا في الكتابات الجدليّة النصرانيّة المبكّرة في الشرق والغرب، رغم علم الدفاعيين النصارى بما جاء في القرآن الكريم من أمر حديث المسيح في المهد، واعتراضاتهم المتكلّفة على القرآن في مواضيع أخرى أدنى قيمة!

وإذا ربطنا ما سبق بما ذكرته «الموسوعة الكاثوليكيّة» من أنّ هذا الإنجيل كان معروفًا بصورة واسعة بين النساطرة السريان[٦٦٩]؛ كان تأخير تأريخ تأليف هذا الإنجيل بعد البعثة النبويّة ببضعة عقود حريًا بالقبول.

- بالإضافة إلى ما يثبته نص «إنجيل الطفولة العربي» من تأخر تأليف نصّه عن البعثة النبويّة؛ يخبرنا الناقد «مونتاج رودز جيمس» «Montague Rhodes james» في كتابه الشهير «العهد الجديد الأبوكريفي» «*The Apocryphal New Testament*» أنّ مقدمة هذا الإنجيل- وهي تضمّ معجزة نطق المسيح في المهد- ليست أصليّة في هذا الإنجيل، وإنّما **تمّت أضافتها لاحقًا!!**[٦٧٠]

وباب البرهنة على الزيادة في النصّ ثابت من خلال ما هو ملاحظ من الاختلاف الظاهر بين مخطوطات كل إنجيل من أناجيل الطفولة، وقد صرّح الناقد «رولاند هـ ورث» «Roland H. Worth» بهذا الأمر في حقّ إنجيل الطفولة العربي بعينه، في قوله: «ربّما تعرّض النصّ إلى **توسّع كبير وتغيير من الذين تولّوا ترجمته؛** حتّى يوافق بصورة أفضل تصوّر من سيقرؤونه وأفكارهم المسبقة.»[٦٧١].

---

[٦٦٩] انظر؛ *The Catholic Encyclopedia*, ١/٦٠٧

[٦٧٠] «is a late note prefixed» انظر؛ Montague Rhodes james, *The Apocryphal New Testament*, Oxford: Clarendon Press, ١٩٨٥, p.٨٠

[٦٧١] Roland H. Worth, *Alterrnative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early middle ages*, North Carolina: McFarland, ٢٠٠٣, p.٢٨

وقد حدّد «دانيال روسّو» «Daniel Russo» تاريخ نقل هذا الإنجيل من السريانية إلى العربية في **القرن الثالث عشر**[٦٧٢].

خلق الطير من الطين:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٦٧٣]

الرواية الأبوكريفيّة:

إنجيل الطفولة لتوما: «لما كان للصبيّ يسوع خمس سنوات، كان يلعب عند مخاضة[٦٧٤] جدول، وكان يجمع المياه الجارية في أحواض، ويجعلها مباشرة طاهرة. كان يفعل هذه الأشياء بمجرّد نطق كلمة منه. ثم صنع شيئًا من الطين الناعم بعد ذلك، وشكّل منه اثنى عشر عصفورًا، وقد كان ذلك منه يوم السبت. كان عدد من الصبيان الآخرين أيضًا يلعبون معه، لكنّ أحد اليهود رأى ما فعل يسوع يوم السبت لما كان يلعب؛ فغادر مباشرة، ونقل ذلك إلى أبيه، يوسف، قائلًا له: «انظر، ابنك عند الجدول قد أخذ طينًا وشكّل منه اثنى عشر عصفورًا. لقد دنّس يوم السبت!

لما جاء يوسف إلى المكان ورأى ما وقع، ناداه صارخًا: «لِمَ تفعل ما هو محرّم في السبت؟» فصفّق يسوع وصاح في العصافير: «اذهبي!»؛ فطارت العصافير ومضت مغرّدة.

لما رأى اليهود هذا الأمر، أصيبوا بالذهول، وانصرفوا وأخبروا قادتهم بما رأوا يسوع يفعله.»[٦٧٥]

ووردت نفس المعجزة في موضعين من إنجيل الطفولة العربي مع فارق ظاهر في التفاصيل.

---

[٦٧٢] Daniel Russo, '*La Vierge Apocryphe des Recits Visionnaires*,' dans *Marie et la Sainte Famille: Les Recits Apocryphes Chretiens*, Paris: Mediaspaul Editions, ٢٠٠٦, p.١٠٣

[٦٧٣] سورة آل عمران/ الآية (٤٩)

[٦٧٤] المخاضة: الموقع قليل الماء في النهر يستخدمه الناس للعبور السهل.

[٦٧٥] النص عن الترجمة الإنجليزيّة «لبارت إيرمان»؛ Bart Ehrman, *Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament*, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٣, p.٥٨

الردّ:

- اعترف «تسديل» أنّ القصّة كما وردت في موضعين من «إنجيل الطفولة» ليست إلاّ إعادة صياغة من «إنجيل الطفولة لتوما» الذي هو أصلها.[٦٧٦]
- قال الناقد «بارت إيرمان»[٦٧٧]: «يعتقد جلّ النقّاد أنّ «أناجيل الطفولة» قد بدأ تداولها أثناء النصف الأوّل من القرن الثاني. **يبدو أنّ إنجيل الطفولة لتوما أحد أوائل هذه الأناجيل من ناحية التاريخ**»[٦٧٨]. وقال الناقد «رون كامرون» «Ron Cameron»[٦٧٩]: «اتفق النقّاد عامة على أنّ إنجيل الطفولة لتوما هو نفسه الكتاب (الأبوكريفي) الذي استعمله المرقيونيون واستشهد به إيرانيوس.»[٦٨٠]، وإذا علمنا أنّ فرقة المرقيونية قد ظهرت في آخر النصف الأوّل من القرن الثاني ميلاديًّا —وقد ولد «إيرانيوس» قبل ذلك بعقود قلائل-؛ أدركنا أنّ ما جاء في إنجيل الطفولة لتوما كان معروفًا في بداية القرن الثاني، **وهو زمن غير بعيد عن تأليف آخر الأناجيل**

---

٦٧٦ انظر؛ St. Clair Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an* , p.١٧٦

٦٧٧ بارت إيرمان (ولد ١٩٥٥م): رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولاينا الشمالية. ناقد متخصص في دراسات العهد الجديد، كما أنّ له اهتمامًا بالفرق النصرانيّة الأولى. يعدّ اليوم من أئمة النقد الكتابي. تعتبر كتبه الأخيرة من أكثر الإصدارات رواجًا في أمريكا. ذكر قصة خروجه من الإيمان الأعمى، إلى الكفر بالنصرانية وأسفارها في مقدمة كتابه «*Misquoting Jesus*» ص ١-١٥

٦٧٨ Bart Ehrman, *Lost Scriptures, books that did not make it into the New Testament*, p.٥٨

٦٧٩ رون كامرون: أستاذ الدين في جامعة (Wesleyan) بولاية كنتكوت الأمريكيّة. له عناية خاصة بدراسة بداية النصرانيّة.

٦٨٠ Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts*, London: Westminster John Knox Press, ١٩٨٢ , p.١٢٢
انظر؛ كلام إيرانيوس: *Against Heresies* ١،٢٠،١

الأربعة: (إنجيل يوحنا)؛ وبالتالي فالموقع الزمني لإنجيل الطفولة لتوما وإنجيل يوحنا يبطل زعم النصارى حجيّة الاستدلال بتأخّر زمن التأليف للقول ببطلان تاريخيّة القصّة الواردة في إنجيل توما. [٦٨١]

- النص القرآني وإن وافق النص الإنجيلي في خلق الطيور من الطين وبث الحياة فيها، إلاّ أنه يخالفه بصورة ظاهرة في سياق هذه المعجزة؛ ففي حين تبدو المعجزة في إنجيل توما أقرب إلى أن تكون عبثيّة [٦٨٢]، تبدو المعجزة في القرآن الكريم متّصلة بدلالة الخوارق التي تجري على يدي المسيح لإثبات نبوّته.

- هذا الإنجيل هو من أقدم الأناجيل التي تمّ تداولها في زمن كان فيها التراث الشفوي المبكّر شائعًا على الألسن [٦٨٣]، وقد اختلطت فيه الرواية التاريخيّة الصحيحة بالروايات

---

[٦٨١] معجزة خلق المسيح للطير من الطين وبثّ الحياة فيها موجودة أيضًا في كتاب لليهود اسمه « *Toldot Jeschu*» بالعبري «**תולדות ישו**» «سيرة يشو»، وفيه مجموعة من القصص عن المسيح من منطلق يهودي عدواني. رغم أنّ عامة النقاد يردون هذا السفر في صورته الحالية إلى القرون الوسطى، إلاّ أنّه لم تدرس مصادره وأصوله الأقدم إلى اليوم دراسة جادة.

[٦٨٢] الأناجيل الرسميّة نفسها لا تخلو من (معجزات) ذات طابع عبثي؛ كلعن المسيح شجرة التين حتّى إنّها قد ذبلت وما عادت تثمر (متّى ١٩/٢١، مرقس ١٤/١١، ٢٠)، وتحويل المسيح الماء إلى خمر لإسكار من حضر عرس قانا (يوحنا ١/٢-١١)!!

[٦٨٣] ذهب الناقد «رون كامرون» «Ron Cameron» إلى أن التراث الشفوي وإنجيل لوقا هما أصل/مصدر هذا الإنجيل. (انظر؛ Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts*, p.١٢٣), وقال الناقد «طوني شارترند-بورك» إنّ هذا الإنجيل يبدو كتجميع لقصص أكثر منه إنشاءً روائيًا حرًا. (انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text,*

الباطلة والخرافات. وحاله بذلك كحال الأناجيل الرسميّة التي اعتمدت على التراث الشفوي الشائع، والتي نقلت روايات صادقة، وأخرى باطلة بيّنة المنبع الخرافي.

- يعترف النقّاد أنّنا لا نعرف شيئًا عن الشكل الأصلي لهذا الإنجيل[٦٨٤]، وإذا علمنا أنّ أقدم مخطوطة لهذا الإنجيل تعود إلى القرن الخامس[٦٨٥]؛ أدركنا أنّ الحكم السلبي على تاريخيّة هذا الإنجيل لا بد أن يقف عند حدود النص في صورته المتاحة بعد قرابة ثلاثة قرون من تأليفه!
- سبب استشناع القرّاء المعاصرين للقصص الواردة في إنجيل الطفولة لتوما راجع إلى أنّها خاصة بالمعجزات وأنّها عرضت المسيح في صورة (الطفل الغاضب). وهو موقف لم يراع أمرين، أولهما: أنّه لم يقرّ أنّنا لا نملك الصورة الأصليّة لهذا الإنجيل، خاصة أنّ هذا النوع من القصص يستهوي الجماعات الدينيّة للزيادة والتضخيم، وثانيهما: إهماله أن يضع في اعتباره أنّ هذا النوع من القصص هو في أغلبه تجميعي؛ يتلقّف فيه المؤلّف القصص السيارة بين الناس، خاصة أنّ التراث الشفوي في تلك الفترة كان هو الحاكم على تشكيل التصوّر الديني العام والخاص، كما أنّه كثيرًا ما (يقتلع) القصّة من أصلها الأوّل —سواء كان هذا الأصل حقيقة أم اختلاقًا– ليضعها في سياق جديد يخدم غرض الإحداث الديني–الأدبي الجديد؛ وهو ما وقع هنا مع قصّة خلق العصافير من الطين، حيث خرجت هذه القصّة من سياق جاد لدلالة هذه المعجزة على نبوّة المسيح إلى سياق دال على خارقيّة الطفل (يسوع)!

---

its Origins, and its Transmission, Ph.D. thesis, University of Toronto, ٢٠٠١, (p.٢٧٥ (manuscript)

٦٨٤ انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, ٢٠٠١, p.٢٤٥ (manuscript)

٦٨٥ انظر؛ Thomas Rosén, *The Slavonic translation of the apocryphal Infancy Gospel of Thomas*, Uppsala: Almqvist & Wiksell Int., ١٩٩٧, p.١٧

- جاء في إنجيل «أسئلة برثولماوس» ٢/١١–الذي يعود تأليفه إلى فترة بين القرن الثاني والقرن السادس، مع ترجيح نسبته إلى القرن الثاني أو الثالث[٦٨٦] –: « λεγει αυτοις Μαριαμ κατα την εκτυπωσιν υμων επλασεν ο Θεος τα στρουθια και απεστειλεν αυτα εις τας τεσσαρες γωνιας του κοσμου» «قالت لهم مريم (أي للحواريين): «شكّل الله على شبهكم العصافير وأرسلها إلى أركان العالم الأربعة.»

ذهب الكثير من النقّاد إلى أنّ ما جاء في هذا النص هو إحالة إلى نفس القصّة الواردة في إنجيل الطفولة لتوما؛ وهو ما يؤكّد وجود تراث شفوي قديم يضمّ قصّة خلق المسيح للعصافير.

- جاء في كتاب «حوار مع تريفو» قول قديس الكنيسة «جستين» إنّ المسيح كان يعمل في نجارة المحراث والنير[٦٨٧]، وورد في الفصل الثالث عشر من إنجيل الطفولة لتوما أنّ «يوسف النجار» كان يعمل في نفس الميدان، وأنّ الطفل «يسوع» قد أعانه –في إحدى معجزاته– على إتمام عمل طلب منه، وجاء أيضًا في «رسالة الرسل» « *Epistula Apostolorum*» –الفصل الرابع– التي تعود إلى منتصف القرن الثاني ميلاديًّا أو آخره[٦٨٨] ذكر نفس تحدي المسيح للمعلّم في الهيكل عندما طلب منه أن يقول (ألفا)

---

[٦٨٦] انظر؛ Hans-Josef Klauck, *Apocryphal Gospels: an introduction*, tr. Brian McNeil, New York: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٣, p.٩٩

[٦٨٧] انظر؛ Justin the Martyr, '*Dialogue with Trypho,*' ٨٨, in *Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥, ١/٢٤٤

[٦٨٨] انظر؛ Ron Cameron, ed. *The Other Gospels: non canonical Gospel texts,* p.١٣٣

(بيتا) الوارد في إنجيل الطفولة لتوما —الفصل ٦-... التفاصيل السابقة مشابهة لبعض ما جاء في إنجيل الطفولة لتوما، وهو ما يؤكّد أنّ إنجيل الطفولة لتوما لم يكن كلّه اختلاقًا لقصص وأقوال وإنّما له أيضًا امتداد في التراث الشفوي المبكّر الذي نقل عنه الآباء واستفادت منه الأسفار الأبوكريفيّة.

- ذكر الناقد «طوني شارترند-بورك» في دراسته القيّمة الموسّعة حول «إنجيل الطفولة لتوما» أنّ هذا الإنجيل قد **تمّ تعريبه في القرن الثامن أو التاسع**[٦٨٩] .. فكيف يقال عندها إنّ الرسول ﷺ قد اقتبس منه؟!

تلقّي «مريم» عليها السلام الطعام من الملائكة:

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٦٩٠]

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في إنجيل يعقوب الأولي[٦٩١]:

«وكانت مريم في هيكل الرب كأنما كانت يمامة تقطن هناك وتتناول طعامها من يدي ملاك»

---

٦٨٩ انظر؛ Tony Chartrand-Burke, *The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission,* Ph.D. thesis, University of Toronto, ٢٠٠١, p.٢٧٨ (manuscript)

٦٩٠ سورة آل عمران/ الآية (٣٧)

٦٩١ سميّ هذا الإنجيل بالأولي (proto) لأنّه يذكر قصصًا سابقة لولادة المسيح وطفولته. (انظر؛ Bart Ehrman, *Lost Christianities: the Battle for Scripture and the Faiths We Never Knew,* Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٣, p.٢٠٧)

«وتلقت طعامًا من يد ملاك» .. وقد جاء ذكر نفس القصّة في إنجيل متّى المنحول وإنجيل ميلاد مريم وكتابات أبوكريفيّة أخرى.[٦٩٢]

الردّ:

- كان إنجيل يعقوب الأوّلي معروفًا قطعًا «لأريجن» (١٨٥م-٢٥٤م)، ومن الراجح أنّه كـان معروفًـا أيضًـا «لكلمنـت السـكندري» (١٥٠م-٢١٥م)[٦٩٣] .. وقـد جمـع «هلجنفلد» «Hilgenfeld» مجموعة توافقات بين ما جاء في هذا الكتاب وما جاء في كتابـات «جسـتين الشـهيد» (١٠٠م-١٦٥م)[٦٩٤]، واسـتنبط الناقـد المعـروف «تشـندورف» «Tischendorf» مـن هـذه التوافقـات أنّ هـذا الإنجيـل بصـورته الـتي نعرفها اليوم، كان موجودًا في النصف الأوّل من القرن الثاني.[٦٩٥]
- رغم عدم انتصار الناقد «بول فوستر» «Paul Foster»[٦٩٦] لتاريخيّة عامة أحداث إنجيل يعقوب الأوّلي، إلاّ أنّه قد قال إنّه من الخطأ وصف هذا الإنجيل بالأبوكريفي، «**مـن الأفضـل وصـفه أنّـه «تحـت- قـانوني»**» «sub-canonical» أو حتّى

---

[٦٩٢] انظر؛ F. Holweck, '*Feast of the Presentation of the Blessed Virgin Mary*,' in *The Catholic Encyclopedia*, ١٢/٤٠٠

[٦٩٣] انظر؛ Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*, ed. Wilhelm Schneemelcher, tr. R. McL. Wilson, Philadelphia: The Westminster Press, ١٩٦٣, ١/٣٧٢

[٦٩٤] جستين الشهيد: أحد قديسي الكنيسة الأوائل وكتّابها الدفاعيين.

[٦٩٥] انظر؛ William Smith and Henry Wace, eds. *A Dictionary of Christian Biography, Literature, Sects and Doctrines*, London: John Murray, ١٨٨٠ , ١/٧٠٣

[٦٩٦] بول فوستر: محاضر في لغة العهد الجديد وأدبه ولاهوته في جامعة إدنبره. له عناية خاصة بالنصرانية المبكرة. حصل سنة ٢٠٠٧م على جائزة (*the Royal Society of Edinburgh*) لدراساته النقدية في النصرانيّة المبكّرة، وخاصة الأناجيل غير القانونيّة.

«**يكاد يكون قانونيًا**» «almost canonical» على الأقل بالنسبة لبعض التراث الكنسي. لا يزال ينظر إليه في المعتقد الأرثوذكسي كنص فيه تعاليم مهمة. فشلُ هذا الإنجيل في الحفاظ على عذرية يوسف ومريم، قاد الروم الكاثوليك إلى رفضه، لكن رغم هذا الرفض الظاهر، فإنّ **لاهوته له تأثير كبير على التصوّر المريمي لكنيسة روما**.»[٦٩٧]

- رغم أنّ الناقد الكاثوليكي البارز «جوزيف فتزماير» «Joseph A. Fitzmyer»[٦٩٨] قد قال إنّ هذا الإنجيل يعود إلى نهاية القرن الثاني، إلاّ أنّه أضاف أنّه يضمّ بالإضافة إلى روايات من خيال المؤلّف، «**تفاصيل ربّما تعود إلى تراث بدائي، صحيح**.»[٦٩٩]

- رغم رفض «بارت إيرمان» لتاريخيّة ما ورد في هذا الإنجيل[٧٠٠]، إلاّ أنّه أقرّ بقيمة هامة جدًا فيه، وهي أنّه «لا يبدو أنّ (هذا الإنجيل) يعمل على تعزيز برنامج لاهوتي لفرع خاص من النصرانيّة– الغنوصيّة أو الأرثودكسيّة الأولى أو غيرهما.»[٧٠١]. إنّ

---

[٦٩٧] Paul Foster, '*The Protevangelium of James*,' in *The Expository Times*, Volume ١١٨, Number ١٢, p.٥٨٢

[٦٩٨] جوزيف فتزماير: من أئمة النقاد الكاثوليك المعاصرين. قسيس يسوعي (كاثوليكي) تمّ ترسيمه سنة ١٩٣٨م. متخصص في دراسات العهد الجديد. كان أستاذًا للدراسات الكتابية في «الجامعة الكاثوليكيّة في أمريكا». له مؤلفات كثيرة ومتنوعة، من أهمها تعليقه على إنجيل لوقا في مجلدين.

[٦٩٩] Joseph Fitzmyer, *A Christological Catechism: New Testament answers*, new revised and expanded edition, New York: Paulist Press, ١٩٩١, p.١٩

[٧٠٠] وهو يرفض أيضًا تاريخيّة الكثير ممّا جاء في الأناجيل الرسميّة.

[٧٠١] Bart Ehrman, *Lost Christianities: the battles for scripture and the faiths we never knew*, ٢٠٠٣ , p.٢٠٦

هـذه الخصيصة التي لا تتوفّر في أيّ من الأناجيل الأربعة الرسميّة لترفع من تاريخيّة بعض ما يروى في هذا الإنجيل؛ لأن هذا الإنجيل يبدو بذلك متصلًا بصورة أكبر بالتراث الشفهي المتناقل عبر الأجيال بما فيه من حق وخيال شعبي، دون أن يكون خاضعًا لخدمة فرقة نصرانيّة بعينها.

- دخل إنجيل يعقوب الأوّلي في المخطوطات الجماعيّة لليتورجيا النصرانيّة **في زمن مبكّر جدًا**[٧٠٢]، والشواهد قائمة على أنّ ذلك لتفاصيل «طفولة مريم» فيه. ولا ريب أنّ ذلك يعطي دعمًا تاريخيًا لمجمل قصّة «مريم» فيه، ويدفع عنها النكارة المزعومة من المنصّرين.

- أكّد المعجم الكتابي «*The Interpreter's Dictionary of the Bible*» أنّ إنجيل يعقوب الأوّلي وإن اعتبر هرطقيًا بصورة مبكّرة، إلاّ أنّه رغم ذلك **كان له تأثير كبير على النصارى**[٧٠٣]. وعلى هذه الشهادة تعقيب، ودعم وتأكيد.

(أ) أمّا التعقيب؛ فهو أنّ كلمة «هرطقي» لا تحمل دلالة مدركة إلا مع انتصار فريق «أثناسيوس» في مجمع نيقيّة في القرن الرابع ميلاديًّا؛ أمّا قبل ذلك؛ فقد كانت الكلمة بلا دلالة لأنّه لم يكن هناك فريق يفرض سلطانه باعتباره التيار (القويم) في مقابل الفرق (المنحرفة)؛ وقد أكّد الناقد «فالتر باور» «Walter Bauer»[٧٠٤] في كتابه الخطير «الأرثودكسيّة والهرطقة في المسيحيّة القديمة»

---

[٧٠٢] Wilhelm Schneemelcher, ed. *New Testament Apocrypha*, tr. Mcl. Wilson, London: Westminster John Knox Press, p.٤٢١

[٧٠٣] انظر؛ George Arthur Buttrick and others, eds. *The Interpreter's Dictionary of the Bible*, New York: Abingdon Press, ١٩٦٢, ٤/٨٠٠

[٧٠٤] فالتر باور (١٨٧٧م–١٩٦٠م): لاهوتي ألماني وناقد متخصص في النصرانيّة المبكّرة.

«Rechtgläubigkeit und Ketzerei im ältesten Christentum» أنّ النصرانيّة السابقة لمجمع نيقيّة كانت فسيفسائيّة، وأنّ **التيار المنتصر في مجمع نيقيّة لم يكن هو التيار الغالب قبل ذلك**، وإنّما كان تيارًا من التيارات التي كانت تمور بها الجماعة (النصرانيّة) الكبرى، وكانت جاذبيّته متركّزة في روما البعيدة عن موطن النصرانيّة (فلسطين)؛ **ويترتّب عمّا سبق نفي دلالة وصف هذا الإنجيل بالهرطقي على سفول مرتبته عند جماعات النصارى الأولى.**

وقد أكّد الناقد «بول فوستر» هذه الحقيقة في سياق ردّه الحاد على النظرة الكلاسيكيّة للأناجيل الأبوكريفيّة، متعقّبًا إيّاها من وجهين في دراسته الخاصة بإنجيل يعقوب الأوّلي، وجه عام وآخر خاص:

الوجه العام : وهو متعلّق بانتشار الأناجيل المبكّرة؛ إذ لا يبدو هذا الأمر حجّة لصالح الانتصار للأناجيل القانونيّة وإثبات دونيّة الأناجيل غير القانونيّة؛ فهذه الأناجيل الأربعة لم تكن حجّة في القرن الأوّل، وإنّما أَخَذ أمرُ إلزام جماعات النصارى في القرون الأولى بأنّها المعبّر الوحيد عن الرواية الأصليّة الحقيقيّة لقصة المسيح، زمنًا ومراحل. ويعتبر إنجيل يوحنا خير معبّر عن هذا الأمر؛ فقد كان هذا الإنجيل محلّ ريبة في بداية ظهوره، في حين أنّ إنجيل بطرس وإنجيل توما –والراجح أنّهما يعودان إلى سوريا– كمثال قد وُجدا في مخطوطات تعود إلى مناطق مختلفة في مصر؛ وهو ما يدلّ على انتشارهما الجغرافي الواسع.[٧٠٥]

الوجه الخاص : هو نموذج إنجيل يعقوب الأولي، فرغم أنّ هذا الإنجيل لا يعتبر اليوم إنجيلًا قانونيًا؛ إلاّ أنّه «**كانت له جاذبيّة شعبيّة كبير، وانتشار عريض، وتأثير غير مباشر على المساجلات حول طبيعة المسيح في القرنين الرابع والخامس**»[٧٠٦].

---

[٧٠٥] انظر؛ Paul Foster, ed. *The Non-Canonical Gospels*, pp.١١٠-١١١

[٧٠٦] المصدر السابق، ص١١١

(ب) أمّا الدعم والتأكيد؛ فهو موافقة ما قرّره هذا المعجم الكتابي في أمر ذيوع مادة هذا الإنجيل بين النصارى الأوائل على اختلاف مذاهبهم، وفي ذلك دلالة على اتصاله الوثيق بالتراث الشفوي الشائع في القرنين الأوّل والثاني ميلاديًّا.

- ذهب «كونرادي» «Conrady» إلى أنّ **هذا الإنجيل هو أحد مصادر الأناجيل الأربعة**[٧٠٧]، وهو قول يجعله بلا ريب أقرب النصوص إلى الأصل الغائب لقصة المسيح.

- ذَكَرَ القرآن الكريم أنّ «مريم» كانت تتعبّد في المحراب، وجاء في إنجيل يعقوب الأوّلي ذكر تعبّدها في الهيكل، وقد شنّع العديد من المخالفين على ما أورده القرآن الكريم؛ إذ إنّ الهيكل كان محرّمًا على النساء بزعمهم، والردّ من أوجه:

- قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب﴾.[٧٠٨]

من المعاني المقبولة لكلمة «المحراب» هنا: أشرف مكان في البيت، كما هو في وجه من أوجه لسان العرب الذي نزل به القرآن الكريم[٧٠٩]، أو هو محراب صنعه لها كافلها «زكريا» أو زوجته

---

[٧٠٧] انظر؛ Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*, ١/٣٧٢

[٧٠٨] سورة آل عمران/ الآية (٣٧)

[٧٠٩] قال «القرطبي» في تفسير قوله تعالى: «كلّما دخل عليها زكريا المحراب»: «المحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس» (الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ٤/٧١)، وقال «ابن الأثير» في حديث «أنس» رضي الله عنه «أنه كان يكره المحاريب»: «أي لم يكن يحبّ أن يجلس في صدر المجلس ويترفّع على الناس. والمحاريب: جمع محراب.» (النهاية في غريب الحديث والأثر، ت/محمود الطناجي وطاهر أحمد زاوي، الحلبي، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، ١/٣٥٩)، وقال المناوي: «قال الحراني: المحراب صدر البيت ومقدمه الذي لا يكاد يوصل إليه إلا بفضل منه وقوة جهد. وفي «الكشاف» في تفسير: «كلما دخل عليها زكريا المحراب»، ما نصه: قيل بنى لها زكريا محرابًا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلّم، وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع

لتعبد الله بمنأى عن الناس[٧١٠]، خاصة أنّ القرآن الكريم قد ذكر أن «مريم» قد غشيت مكانًا قصيًّا عند وضعها «عيسى» عليه السلام، ولعلّ ذاك هو المكان الذي اعتادت أن تأتيه للعبادة متّخذة حجابًا يفصلها عن الناس، وقد كان ذاك منها قبل أن تحمل، فهناك جاءها البشارة بالحمل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٧١١]..

وإذا اعترض معترض بنذر أمّ «مريم» أن تجعل المولود موقوفًا على الخدمة في الهيكل: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٧١٢]، فالردّ هو أنّ:

- النذر كان قبل معرفة جنس الوليد، إذ الآية التالية مباشرة تقول: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٧١٣]؛ فهذه الآية تظهر أنّ أم «مريم» قد فوجئت بوضع أنثى لا ذكر؛ إذ لم تكن تنتظر ذلك؛ وفي قولها «**وذريّتها**» دلالة على أنّها لم تنو أن تنذرها للهيكل.

في بيت المقدس، وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب انتهى. وقال في تفسير: «يعملون له ما يشاء من محاريب» (سورة سبأ/ الآية (١٣) المحاريب المساكن والمجالس الشريفة سميت به لأنه يحامى عليها ويذب عنها، وقيل المساجد انتهى... وفي «الفائق»: المحراب، المكان الرفيع والمجلس الشريف لأنه يدافع عنه ويحارب دونه ومنه قيل محراب الأسد لمأواه، وسمي القصر والغرفة المنيفة محرابًا» (فيض القدير، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م، ١/١٤٤-١٤٥)

[٧١٠] جاء في إنجيل يعقوب الأوّلي (الفصل السادس) أنّ أمّ «مريم» قد صنعت «لمريم» محرابًا في البيت، قبل أن تدخل الهيكل.

[٧١١] سورة مريم/ الآيتان (١٦-١٧)

[٧١٢] سورة آل عمران/ الآية (٣٥)

[٧١٣] سورة آل عمران/ الآية (٣٦)

- أو أنّها لم تنذرها طول عمرها للهيكل، وإنّما نذرتها لفترة موقوتة؛ إذ إنّ المنذورين كامل عمرهم للهيكل، لا يتزوجون.
- أمر كفالة «زكريا» «لمريم» في طفولتها يزيد وجاهة القول إنّ «مريم» لم تكن منذورة للهيكل، وإنّما كانت في بيت «زكريا» ليرعاها.

وعلى القول إنّ «مريم» قد نُذِرَت فترة من عمرها للهيكل؛ فإنّ ذاك غير مردود من الناحية التاريخيّة بالدعوى التي يطلقها المنصّرون (وأضرابهم) بالزعم إنّ ذاك خطأ في القرآن الكريم؛ إذ إنّ النساء لم يمنعن من خدمة الهيكل، وهو ما أثبتته الناقدة اليهوديّة «تال إلن» «Tal Ilan» — أستاذ الدراسات اليهوديّة في الجامعة الحرّة في ألمانيا، وأبرز المتخصصات اليوم في دراسات المرأة واليهوديّة التلموديّة– عند حديثها عن حياكة النساء لحجاب الهيكل، وممّا استدلّت به ما جاء في «توسفتا شقاليم» ٦/٢[٧١٤]: «النساء اللواتي يحِكن حجاب الهيكل .. يأخذن رواتبهن من مساهمة الغرفة.»». يتحدّث هذا النصّ عن الطريقة التي يستخلص بها النساء العاملات في الهياكل أجورهن من ضرائب الهيكل زمن المسيح ابن مريم عليهما السلام، وأكّدت «تال إلن» هذه الحقيقة من الناحية التاريخيّة بما جاء في ««رؤيا باروخ السريانيّة»»، وهو سفر أبوكريفي ألّف بعد فترة قصيرة من هدم الهيكل سنة ٧٠م، وقد جاء في الفصل العاشر منه أنّ الحياة من غير الهيكل لا قيمة لها، وقال «باروخ» في الأعداد الأخيرة من هذا الفصل ١٠/١٨–١٩:

«أيّها الكهنة خذوا مفاتيح المقدّس،

وارموها إلى أعلى سماء،

وأعطوها إلى الربّ وقولوا:

«احفظ بيتك بنفسك،

لأنّه قد اكتُشِف أنّنا وكلاء مزيّفين.»

و**عذاراك** اللواتي يحِكن الكتان الناعم،

---

[٧١٤] التوسفتا: عمل تشريعي مكمّل للمشناه، وهو أشبه بالتذييل له.

والحرير مع ذهب أوفير،

عجّل وخذ كلّ شيء،

وارمه في النار ...»

يتحدّث هذا النصّ الذي يعدّ وثيقة تاريخيّة هامة على حال الهيكل زمن المسيح، عن العذارى اللواتي في الهيكل، واللواتي يقمن هناك بالخدمة، وفي كلمة «عذارى» دلالة على أنّهن منذورات للخدمة في الهيكل، منقطعات عن الدنيا لذلك؛ فلا يعرفن الزواج. وكما تقول «تال إلن» فإنّ هذه: «الإشارة من الواضح أنّ لها تعلّقًا بسياق شعائري. النساء اللواتي وصفن هنا بأنّهن عذارى، هنّ الأعضاء (الرسمي-ين)) الوحيدون المذكورون بجانب الكهنة.»[٧١٥] . كما أثبتت نفس الناقدة أنّ المشناه نفسها كانت تذكر النساء من بين من يخدمن في الهيكل[٧١٦]، واستدل الناقد «س ليبرمان» «S. Lieberman» بإنجيل يعقوب الأوّلي لإثبات نفس المسألة المتعلّقة بوجود نساء في خدمة الهيكل.[٧١٧]

ومما يضاف في هذا الشأن أنّ **الروم الكاثوليك والأرثودكس يحتفلون منذ القرون الوسطى بـ«عَرْض مريم العذراء المباركة»** كما هو المسمّى في الغرب أو «دخول الثيوتوكوس[٧١٨] الأقدس إلى الهيكل»، وهو **احتفال شعائري بإدخال «مريم» إلى الهيكل**

---

٧١٥ Tal Ilan, *Mine and Yours are Hers: retrieving women's history from Rabbinic literature*, Leiden: Brill, ١٩٩٧, p.١٤٠

٧١٦ المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤٢

٧١٧ انظر؛ S. Lieberman, *Hellenism in Jewish Palestine*, New York: ١٩٦٢ (Quoted by, Tal Ilan, Ibid)

٧١٨ ثيوتوكوس Θεοτόκος : لقب أطلق على «مريم»، وأُقِرّت قانونيّته في مجمع أفسس (٤٣١م)، وهو إدغام كلمتين يونانيتين، ويعنيان في مجموعهما: والدة الإله.

حين كان لها من العمر ثلاث سنوات[719] **، ويعتبر هذا الاحتفال، واحدًا من أهم الاحتفالات الكبرى للكنيسة الشرقيّة –إلى جنب الفصح وعيد الميلاد**[720] ؛ فَلِمَ ينكر المنصّرون على الإسلام ما أقرّت به الكنيسة ذاتها؟!

الاقتراع لكفالة «مريم» عليها السلام:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون ﴾[721]

الرواية الأبوكريفيّة:

جاء في إنجيل طفولة يعقوب الأولي: «حين بلغت سن الاثني عشر، عقد الكهنة مجمعًا وقالوا: انظروا! لقد بلغت مريم اثني عشر عامًا، وهي في الهيكل. ماالذي علينا أن نفعله لها حتّى نمنعها من تنجيس هيكل الربّ إلهنا؟». قال الكهنة لرئيسهم: «لقد وقفت على مذبح الرب. اذهب وصَلِّ لأجلها، وسنفعل كلّ ما يكشفه الربّ الإله لك.»

ذهب رئيس الكهنة آخذًا الرداء مع اثني عشر جرسًا إلى قدس الأقداس، وصلّى من أجلها. فظهر ملاك الرب وقال له: «زكريا! زكريا! اخرج واجمع الأرامل من الشعب، واجعل كل واحد

---

[719] انظر؛ F. Holweck, '*Feast of the Presentation of the Blessed Virgin Mary*,' in *The Catholic Encyclopedia*, ١٢/٤٠٠

[720] انظر؛ J. K. Elliott, *Apocryphal Jesus, legends of the Early Church*, p.٣٢

[721] سورة آل عمران/ الآية (٤٤)

منهم يأتي بعود[٧٢٢]، وستكون زوجة لمن يمنحه الربّ الإله علامة.» فخرج المنادون إلى كلّ نواحي اليهوديّة ونُفِخ في بوق الرب، وجاء الجميع مسرعين.

ألقى يوسف فأسه الذي كان يستعمله في النجارة وذهب إلى لقاء القوم. لما اجتمعوا سويًا، ذهبوا إلى رئيس الكهنة، ومعهم أعوادهم. ولما أخذ رئيس الكهنة عود كلّ واحد منهم؛ ذهب إلى الهيكل وصلّى. لما انتهى من الصلاة، أخذ الأعواد، وخرج، وأرجعها لهم، ولم تظهر أيّة علامة بينهم. لكن لما أخذ يوسف العود الأخير؛ خرجت منه حمامة وطارت إلى رأس يوسف؛ فقال الكاهن ليوسف: «لقد تمّ اختيارك لتأخذ عذراء الرب إلى مأمنك.» إلاّ أنّ يوسف رفض قائلًا: «إنّ لي أبناء وأنا رجل كبير، وليست هي إلاّ طفلة...»

ثم تستمر الرواية حيث وافق «يوسف» على أخذ «مريم».. وقد نقلت بعض أسفار الأبوكريفا المتأخّرة عن إنجيل يعقوب الأوّلي نفس أصول القصّة.[٧٢٣]

الردّ:

- الاقتراع الوارد في إنجيل طفولة يعقوب الأولي وغيره، كان لمن يتزوّج «مريم» أو تكون له خطيبة، في حين أنّ الاقتراع الوارد في النص القرآني متعلّق بكفالة مريم الصغيرة.
- تذكر الأبوكريفا أنّ من أخذ مريم هو «يوسف النجار»، والغاية من هذه الرواية التي لها مثيل في العهد الجديد، هي نسبة المسيح إلى «يوسف النجار» في ما بعد؛ ليكون من نسل «داود» النبي؛ إذ منه —كما تقول الأناجيل- كان اليهود ينتظرون (المسيح الرئيس)، في حين أنّ النصّ القرآني لا يقرّ بوجود شخصية «يوسف النجار»، كما أنّه

[٧٢٢] من الطريف أنّ المنصّرين العرب لما نشروا هذا النصّ ضمن الترجمة العربية لكتاب «تسديل»، وضعوا في مكان كلمة «عصا»، كلمة «قلم» في موافقة للرواية القرآنيّة، رغم أنّ النصّ اليوناني يستعمل كلمة «ϱαβδοζ» (عصا/عود)!

[٧٢٣] مثل «حكاية رحلة يوسف»

قد جعل القرعة من نصيب قريبها «زكريا» ؛ لأنّ «مريم» كانت يتيمة فيما يبدو؛ يقول الشيخ «ابن عاشور» في تفسيره: «وقوله: {إذ يلقون أقلامهم} وهي الأقلام التي يكتبون بها التوراة كانوا يقترعون بها في المشكلات: بأن يكتبوا عليها أسماء المقترعين أو أسماء الأشياء المقترع عليها، والناس يصيرون إلى القرعة عند انعدام ما يرجّح الحق، فكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام، وجعل اليهود الاقتراع بالأقلام التي يكتبون بها التوراة في المِدراس رجاء أن تكون بركتها مرشدة إلى ما هو الخيْر. وليس هذا من شعار الإسلام وليس لإعمال القرعة في الإسلام إلاّ مواضع تمييز الحقوق المتساوية من كل الجهات وتفصيله في الفقه. وأشارت الآية إلى أنّهم تنازعوا في كفالة مريم حين ولدتها أمها حنّة، إذ كانت يتيمة كما تقدم فحصل من هذا الامتنان إعلام بأنّ كفالة زكرياء مريم كانت بعد الاستقسام وفيه تنبيه على تنافسهم في كفالتها.»[٧٢٤]

الخلاصة:

أولا: إن ثبت تشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في الأسفار الأبوكريفيّة ممّا ألّف بصورة قاطعة قبل بعثة الرسول ﷺ، فهو تشابه مع «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، وكلاهما يعود –على قول عامة النقاد– إلى القرن الثاني، ولكن جزءًا من مادتهما قديم يعود إلى القرن الأوّل ميلادي على قول الكثير من النقّاد، **وقد أخذ آباء الكنيسة بشيء مما جاء فيهما، كما أخذت منهما الكنيسة نفسها تفاصيل لقصصها عن سيرة المسيح ومبررات بعض شعائرها المتوارثة.**

ولما كانت الأناجيل الرسميّة الأربعة ساقطة تاريخيًا على الإجمال –وإن كانت تضم في سطورها نقلًا صادقًا لبعض الوقائع–، ولم يكن ذلك سببًا للطعن في ربّانية القرآن الكريم في موافقته لها في نقل تلك المواضع، رغم أنها قد دوّنت في الفترة بين العقد السابع من القرن الأوّل إلى بداية القرن الثاني؛ مما يثبت بُعدها زمنيًا عن تاريخ سير الوقائع المدوّنة –وهو نفس العيب الموجود في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»–؛ فلا يعدّ ذلك بذاته –إذن– عذرًا للتشكيك في الموافقات الثابتة بين هذين السفرين وما جاء في القرآن الكريم.

---

[٧٢٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٥/٣

ثانيا: فيما يتعلّق ببقيّة التشابهات المدّعاة بين القرآن الكريم وبقيّة الأبوكريفا؛ فهي إما:

- تشابهات مع أبوكريفا في مادة موجودة أصلًا في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، ومنهما قد أخذت الأبوكريفا المتأخّرة هذه المادة، وقد علمت حكم التشابه بين القرآن الكريم وهذين الإنجيلين.
- أو تشابهات مع تفاصيل لم تعرف في «إنجيل يعقوب الأوّلي» و«إنجيل الطفولة لتوما»، وردت في أبوكريفا أخرى، وهي لا تخرج عن إنجيل متّى المنحول وإنجيل الطفولة العربي، وقد علمت أنّه لا يوجد دليل مادي واحد على أنّ هذين السفرين قد ألّفا قبل البعثة النبويّة، بل الأدلّة على خلاف ذلك، بالإضافة إلى أنّ تعريبهما يستدعي مزيدًا من التأخير بما يستغرق بضعة قرون إضافية لزمن التأليف—كما هي العادة-، كما أنّ قصّة الحديث في المهد ملحقة أصلًا بإنجيل الطفولة العربي.

ثالثا: لم يكن أهل مكة يعرفون شيئًا عن أبوكريفا الطفولة، بل لم تكن لهم أدنى معرفة بالعهد الجديد القانوني نفسه؛ وهو ما يفتح الباب لنا للجزم بالإعجاز القرآني في هذا المقام؛ إذ أخبر القرآن الكريم عن (١) مسائل موافقة في عمومها لوقائع لم يكن العرب يعلمون عنها شيئًا، (٢) وردت في كتب لم تكن موجودة في مكة، (٣) ولم يكن يعرفها غير المطّلعين عليها من النصارى في لغاتها الأعجمية!

٢- الأناجيل الغنوصيّة وصلب المسيح:

تكرّر الحديث في عدد من الدراسات الاستشراقيّة أنّ القرآن الكريم قد أخذ من الأناجيل الغنوصيّة قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[٧٢٥]

[٧٢٥] سورة النساء/ الآية (١٥٧)

الردّ:

- لا يوجد دليل واحد مادي على شيوع –بله وجود– الفرق الغنوصيّة وأناجيلها في الجزيرة العربيّة؛ يقول المستشرق «ج. م. رودويل»– في مقدمة ترجمته الإنجليزيّة الشهيرة للقرآن الكريم–: «لقد افتُرِض أنّ محمّدًا قد اشتق الكثير من مفاهيمه عن النصرانيّة من الغنوصيّة، وأنّ القرآن قد أشار إلى الفرق الغنوصيّة الكثيرة عندما قال إنّ المسيحيين ﴿ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾[٧٢٦].

دعوى اختلاط الأمر على محمد بين الغنوصيّة والمسيحيّة، يَفترض أن يكون انتشار الغنوصيّة في البلاد العربيّة أكثر عالميّة مما هو في تصورنا لحقيقة توسع الغنوصيّة. في الحقيقة، **ليست لدينا أيّة حجّة تاريخيّة على الإطلاق لافتراض أنّ عقائد هؤلاء الهراطقة كانت تُعلّم أو تُعتنق في البلاد العربيّة**. إنّه لمن المؤكّد، من جهة أخرى، أن «الباسلديين» و«الفالنتانيين» والفرق الهرطقيّة الأخرى قد ماتت أو أعيد استيعابها مرّة أخرى في الكنيسة الأرثوذكسيّة عند منتصف القرن الخامس، واختفت من مصر في القرن السادس.»[٧٢٧]

وقد نقل عنه هذا التقرير –مقرًا له– المستشرق المنصّر «توماس باتريك هوغز» في معجمه للمصطلحات الإسلاميّة.[٧٢٨]

- بالإضافة إلى أنّ النصارى العرب كانوا قلّة وفي أماكن بعيدة عن مكة وجلّهم في الشام، فإنّ الغنوصيين نزّاعون إلى الانعزال والعيش في منأى عن الناس، كما أنّ لهم ميلًا إلى التفكير الفلسفي المجرّد والتشقيق في اللاهوتيّات بما لا يتّفق مع الطبائع الحياتيّة والعقليّة والعقائديّة لعرب الجزيرة.

---

[٧٢٦] سورة الأنعام/ الآية (١٥٩)

[٧٢٧] J. M. Rodwell, *The Koran*, London: J.M. Dent & Sons, ltd., ١٩١٣ , pp.٩-١٠

[٧٢٨] انظر؛ Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam,* p.٥١٥

- لم تكن الفرق الغنوصيّة ذات جاذبيّة في القرن السابع ميلاديًّا؛ فليس هناك مبرّر للاقتباس منها، وقد انتشر في كتب آباء الكنيسة التحذير المركّز من هذه الفرق والتشويه المتعمّد لمقولاتها الدينيّة.

- لم تكن قضيّة صلب المسيح من العقائد الجدليّة في القرن السادس ميلاديًّا، وإنّما كان النزاع حول طبيعة الناسوت واللاهوت في المسيح، اجتماعهما وامتزاجهما، خاصة بعد الموقف الشديد الذي اتُّخذ ضدّ «نسطور» والنساطرة ...

- عامة الأناجيل الغنوصيّة التي أنكرت صلب المسيح، بنت ذلك على أنّ المسيح ليس له جسد بشري؛ وإنّما هو مجرّد مظهر تبصره العين دون أن يكون له لحم وعظم، وهو مذهب الفرق (الدوسيتيّة) الغنوصية[٧٢٩] التي تردّ الصلب لا من باب إنكار أن يكون الصلب من أحداث التاريخ، وإنما لأن المسيح لم يكن له جسد، وأنه كان مجرد مظهر تبصره العين دون كيان مادي على الحقيقة، كما ذهبت فرق غنوصيّة أخرى إلى ردّ الصلب من باب التمييز بين «يسوع البشر» و«المسيح الإله»؛ إذ لما صلب «يسوع البشر» كان «المسيح الإلهي» يشهد الحدث كمتفرّج[٧٣٠]، وليس

---

[٧٢٩] الدوسيتيّة: من الكلمة اليونانية «δοκεω» (دوكيو) أي (بدا) (ظهر)؛ وهو اعتقاد أنّ المسيح لم يكن له جسد بشري، وأنّه لم يتألّم ولم يصلب؛ لأنّ جسده ليس إلاّ مظهرًا (يبدو) للعين ولا حقيقة مادية له. وأصل هذا الاعتقاد هو اعتبار (المادة) شرًا؛ ولذلك فإنّه لا يستساغ أن يتّخذ الإله جسدًا ماديًا! (انظر؛ Walter A. Elwell, ed. *Evangelical Dictionary of Theology*, Michigan: Baker Book House, ١٩٨٤, p. ٣٢٦; Peter M. J. Stravinskas, *Catholic Dictionary*, Indiana: Our Sunday Visitor Publishing, ٢٠٠٢ , p.٢٧٠

[٧٣٠] انظر؛ Bart Ehrman, *Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend*, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٦, p.٤٦

يجد المرء البتّة هذين التصوّرين في النصّوص القرآنيّة أو النبويّة المتعلّقة بالمسيح عليه السلام[٧٣١]، كما أنّهما لا يلتقيان مع التصوّر القرآني للمسيح ابن مريم، البشر النبي!

- يقول الناقد «جيرارد ستيفان سلويان» «Gerard Stephen Sloyan» من وحي النصوص الغنوصيّة المتاحة؛ إنّه: «لا بدّ أن نلاحظ أنّه ليست كلّ الشواهد الغنوصيّة تذهب إلى أمر إنكار الصلب. بعض الوثائق المتاحة تظهر نفسها على أنّها في توافق مع الشاهد الإنجيلي.»[٧٣٢].. يضاف إلى ذلك أنّ من الأسفار الغنوصيّة المكتشفة من لم تتعرض للصلب نفيًا أو إثباتًا.
- الخلاف حول صلب المسيح ليس علامة فارقة بين الغنوصيّة وغيرها، وهذا إنجيل يوحنا قد رمي من طرف عدد من النقاد بالغنوصيّة[٧٣٣]، ومع ذلك هو يقول بصلبه!
- لا يوجد أيّ مبرّر نفعي للقرآن الكريم للاقتباس من الغنوصيين؛ إذ إنّ موت المسيح على الصليب أو نجاته، لا يضيفان إلى القرآن أيّ مكسب دعوي في البيئة

[٧٣١] قول القمص عبد المسيح بسيط في كتابه «هل صلب المسيح حقيقة، أم شبّه لهم؟» –نسخة إلكترونية–: «اعتمدت هذه الروايات بالدرجة الأولى على الفكر الغنوسي، الذي تأثر به بعض البسطاء من عامة البادية وذلك إلى جانب الفكر النسطوري الذي انتشر بواسطة الرهبان النسطوريين الذين عاشوا في الصحاري وكان بعضهم يعيش بالقرب من طرق الرحلات التجارية، والذين كانوا يعتقدون أن المسيح مكون من شخصين متصاحبين هما الإله الذي كان يقوم بالمعجزات والإنسان الذي كان يتحمل الآلام، وبالتالي فقد صُلب الإنسان لا الإله.» ساقط تاريخيًا، وإنّما هو من التكلّف المحض الناتج عن هروب هذا القمّص إلى مبرّرات تلفيقيّة لدعواه بعد أن عدم أي دليل تاريخي يسند به زعمه.

[٧٣٢] Gerard Stephen Sloyan, *The Crucifixion of Jesus: history, myth, faith*, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٥, p.٢٠٣

[٧٣٣] بل ذهب «ريتشارد هووبر» «Richard Hooper» إلى أنّ العديد من الأرثوذكس في القرن الثاني قد ذهبوا إلى اتهام هذا الإنجيل بأنّه هرطقي لاستعماله مصطلحات وتصوّرات، وربما أيضًا لاهوت، غنوصي. (انظر؛ Richard Hooper, *The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it*, AZ: Sanctuary Publications, ٢٠٠٥, p.٢١٦)

العربيّة حيث عامة المدعوين هم من الوثنيين —في مكة والمدينة–أو الأقليّة اليهوديّة —في المدينة–التي لا تستريب في قتل المسيح المزيف (يسوع)، وطوائف من النصارى —في نجران وأماكن أخرى بعيدة عن مكة والمدينة– ترى أنه لا نجاة لها في الآخرة إلا بالإيمان بيسوع المصلوب، بل إنّ نفي الصلب يزيد في مباعدة الشقّة بين الإسلام والنصرانيّة ويقلص من جاذبيّته عند عامة النصارى، كما أنّ اليهود قد أخذوا ما يذكره النصارى عن قتل المسيح، حجّة ضدّه باعتباره نبيًا[٧٣٤] مزيّفًا كما هو منصوص سفر التثنية ١٨/١٨–٢٠.[٧٣٥]

- النصّ القرآني لم يحدّد كيفيّة نجاة المسيح من الصلب، ولا يصحّ في هذا الباب حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ[٧٣٦]، وكما قال المفسّر «الطاهر بن عاشور» في

[٧٣٤] يؤمن النصارى بألوهيّة المسيّح ونبوّته (!)؛ لأنّ المسيح قد وُصف بالنبوّة في العهد الجديد غير مرّة، كما أنّ عددًا من النصوص التي وردت في العهد القديم وزعم النصارى أنّها نبوءات عن المسيح، تقرّر بشريّة المتحدّث عنه ونبوّته.

[٧٣٥] «لهذا أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. فيكون أن كل من يعصى كلامي الذي يتكلم به باسمي، فأنا أحاسبه. وأما النبي الذي يتجبر فينطق باسمي بما لم آمره أن يتكلم به، أو يتنبأ باسم آلهة أخرى، فإنه حتمًا يموت.»

[٧٣٦] لا يصحّ في الباب حديث مرفوع صراحة أو حكمًا!

ما جاء عن «ابن عباس» رضي الله عنهما من تفصيل لقصّة صلب المسيح عليه السلام، وإن صحّ موقوفًا، فإنّه لا يصحّ رفعه حكمًا؛ لأسباب؛ من أهمّها أنّه وإن كان الخبر متعلّقًا بالغيبيات بما يرجّح –إذا جرينا على الأصل– أن يكون مرفوعًا حكمًا إن جاء عن صحابي، إلاّ أنّ «ابن عباس» معروف أنّه ينقل الإسرائيليات (وقد أشار إلى ذلك الإمام «ابن كثير» في تفسيره غيرما مرّة)؛ وقد تكون هذه عن مسلمة أهل الكتاب. والقاعدة عند المحدّثين أنّ من يُعرف برواية الإسرائيليات لا يعدّ حديثه مرفوعًا حكمًا وإن كان في أمور الغيبيات التي لا تدرك بالاجتهاد (انظر؛ ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ت/ عبد الله الرحيلي، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ١٣٢–١٣٤). وقد قال الشيخ «أحمد شاكر» رحمه الله: «أما إطلاق بعضهم أنّ تفسير الصحابة له حكم المرفوع، وأنّ ما يقوله الصحابي، ممّا لا مجال فيه للرأي مرفوع حكمًا كذلك، فإنّه إطلاق غير جيّد؛ لأنّ الصحابة اجتهدوا كثيرًا في تفسير القرآن؛ فاختلفوا ... وأمّا ما يحكيه بعض الصحابة من أخبار الأمم السابقة، فإنّه لا يعطى حكم

تفسيره للآية ١٥٧ من سورة النساء: «والّذي يجب اعتقاده بنصّ القرآن: أنّ المسيح لم يُقتل، ولا صُلب، وأنّ الله رَفَعَه إليه ونجّاه من طالبيه، **وأمَّا ما عدا ذلك فالأمر فيه محتمل**.»[737]

- لا يوجد أيّ دليل من التفاسير والإسرائيليات الواردة في شرح الآية ١٥٧ من سورة النساء، يظهر علم المفسّرين أو أهل الكتاب المهتدين إلى الإسلام بما ورد في الأناجيل غير الرسميّة، سواء تلك المتلبسة بالغنوصيّة أو غيرها[738]، علمًا أنّ تفسير هذه الآية قد كان مصدرًا للكثير من الروايات المختلَقة عن قصّة صلب المسيح ورفعه، وظاهرٌ نسبتها إلى خيال أصحابها الذين نقلت عنهم في كتب التفسير[739]، علمًا أنّ عامة التفاسير تذكر روايات تتحدّث عن تلميذ للمسيح وقع عليه الشبه برضى منه فداءً للمسيح، بما لا يتفق مع القصة الدوسيتيّة.
- قال «يوحنا الدمشقي» في كتابه «ينبوع الحكمة»، في الجزء الخاص بالهرطقات، كلامًا يعتبر من أقدم ما كتب عن الإسلام، في وصف ما جاء في حديث القرآن الكريم عن المسيح: «وقال–محمد– إنّ اليهود أرادوا صلبه –أي المسيح– في مخالفة للشريعة، وأنّهم قد قبضوا على ظلّه وصلبوه، لكن كما قال –محمد– فإنّ المسيح

المرفوع أيضًا؛ لأنّ كثيرًا منهم رضي الله عنهم كان يروي الإسرائيليات عن أهل الكتاب...» (ابن كثير، أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت، ص٤٥)

[737] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/٢٢

[738] انظر؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/١٢–١٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٦٤٣، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت/عبد الله التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، ٥/٩٦–١٠٥

[739] انظر مثلًا الروايات المتخالفة في تفسير عبد الرزاق (توفي ٢١١هـ) وتفسير الطبري (توفي ٣١٠هـ) وتفسير مقاتل (توفي ١٥٠هـ) ....

نفسه لم يصلب ولم يقتل؛ لأنّ الله **أخذه إليه في السماء بسبب حبّه له.**» [٧٤٠] .. ولسنا نجد هنا تهمة النقل عن الغنوصيين [٧٤١]، ولا إيراد التفسير الغنوصي الذي يردّ (جسديّة) المسيح؛ إذ قد جعل «يوحنا الدمشقي» (حبّ الربّ للمسيح) الداعي لإنقاذ الرب لمسيحه، علمًا أنّ «يوحنا الدمشقي» يعتبر من أهم الشخصيات في التاريخ النصراني العالمة بالفرق النصرانيّة، والردّ عليها، وقد تعرّض هو نفسه في الجزء الخاص بالهرطقات من كتابه السالف إلى الكثير من الفرق الغنوصيّة —أو المتهمة بالغنوصيّة– كالسيرنثيين [٧٤٢] والباسليديين [٧٤٣] والكربوكراتيين [٧٤٤] ...

- ذكر القرآن الكريم أنّ أهل الكتاب **قد اختلفوا في أمر صلب المسيح فرقًا،** وهذه حقيقة تاريخيّة دقيقة تكشفها الأناجيل الأبوكريفيّة التي تبنّتها فرق نصرانيّة مبكّرة، كما يكشفها أيضًا ما جاء في إنجيل متّى ٢٨/١١–١٥ من أنّ قبر المسيح قد وجد فارغًا، وأنّ رؤساء الكهنة والشيوخ قد رشوا الجنود الذين كانوا يحرسون القبر؛ ليقولوا إنّ تلاميذ المسيح قد سرقوا الجثّة، وعقّب مؤلّف هذا الإنجيل بقوله: «فَأَخَذَ الْجُنُودُ الْمَالَ، وَعَمِلُوا كَمَا لُقِّنُوا. **وَقَدِ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الإِشَاعَةُ بَيْنَ الْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ**» [٧٤٥] [٧٤٦]، ففي عبارة «انْتَشَرَتْ هَذِهِ الإِشَاعَةُ بَيْنَ الْيَهُودِ إِلَى

---

[٧٤٠] Saint John of Damascus, '*the Fount of Knowledge*,' in *The Fathers of the Church, St. John of Damascus Writings*, tr. Frederic H. Chase , CUA Press, ٢٠٠٠, , p.١٥٤

[٧٤١] ادّعى «يوحنا الدمشقي» أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم «بعد أن تحاور مع راهب أريوسي، اخترع هرطقته الخاصة.» « ἀρειανῷ προσομιλήσας δῆθεν μοναχῷ ἰδίαν συνεστήσατο αἵρεσιν» (المصدر السابق، ص ١٥٣)

[٧٤٢] انظر المصدر السابق، ص ١١٨

[٧٤٣] انظر المصدر السابق، ص ١١٧

[٧٤٤] انظر المصدر السابق، ص ١١٨

[٧٤٥] متّى ٢٨/١٥

الْيَوْمِ» « διεφημισθη ο λογος ουτος παρα ιουδαιοις μεχρι της σημερον» إقرار صريح أنّ لغطًا كان معروفًا وسائدًا حول مصير جثّة المسيح بعد صلبه، **وفي هذا اللغط كَشْف لاضطراب مسار القصّة وأصلها**؛ إذ إنّ قصّة الصلب موصولة الأجزاء بقصة القبر والقيامة!

- قصّة صلب المسيح في الأناجيل الرسميّة كثيرة التناقض والعيوب التاريخيّة التي تنفي عنها جوهر الأصالة التاريخيّة، وهي كثيرة جدًا نكتفي ببعض الجداول التي تجلّي بعضها[٧٤٧]، وهي إشكالات نصيّة وتاريخية تبلغ المئتين عددًا[٧٤٨]:

---

[٧٤٦] ذهب الإمام «ابن حزم» إلى أنّ الشيوخ والشُرط قد صلبوا أحد الأشخاص، ثمّ ادعوا أنّه المسيح: «إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم من النصارى واليهود: أنه عليه السلام قتل وصلب. فهؤلاء شُبِّهَ لهم القول. أي أُدخلوا في شبهة منه. وكان المشبِّهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت وشُرَطهم المدعون لهم أنهم قتلوه وصلبوه، وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك. وإنما أخذوا من أمكنهم، فقتلوه وصلبوه في استتارٍ ومنعٍ من حضور الناس. ثم أنزلوه ودفنوه تمويهًا على العامة الذين شُبِّهَ لهم الخبر.» (الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/٧٧)

[٧٤٧] الجداول عن، أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، نقاط الاتفاق والاختلاف، القاهرة، مكتبة التراث، د.ت، ص ٩٢-١٠٠

[٧٤٨] ساق «رمزبرغ» ١٣٢ اعتراضا على روايات الصلب، و٧٠ اعتراضًا على رويات قيامة المسيح من الموت؛ ليكون المجموع ٢٠٣ اعتراضات جادة على صلب المسيح وقيامته في العهد الجديد!، انظر؛ John E. Remsberg, *The Christ Myth- A Critical Review and Analysis of the Evidence of his Existence*, p.١٢٣-١٩٢

العشاء الأخير وعملية القبض

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١	توقيت العشاء الأخير	عشاء الفصح ١٤ : ١٢	عشاء الفصح ٢٦ : ١٧	عشاء الفصح ٢٢ : ٧	عشاء عادي قبل الفصح ١٣ : ١
٢	دور التلاميذ في إعداد العشاء	أرسل إثنين منهم ١٤ : ١٣	أرسل التلاميذ جميعا ٢٦: ١٨ ـــ ١٩	أرسل إثنين منهم (بطرس ويوحنا) ٢٢: ٨، ١٣	......(١)
٣	علامة التلميذ الخائن	الذي يغمس مع المسيح في الصحفة ١٤ : ٢٠	الذي يغمس مع المسيح في الصحفة ٢٦ : ٢٣	الذي يده مع المسيح على المائدة ٢٢ : ٢١	الذي غمس المسيح اللقمة وأعطاه إياها ١٣ :٢٦
٤	متى دَخَل الشيْطَان في يهُوذا الخائِن	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ١٤: ١٠ ـــ ١٢	قبل العشاء الأخير (بيوم على الأقل) ٢٦: ١٤ ـــ ١٧	قبل العشاء الأخير (بيوم الأقل) ٢٢: ٣ ـــ ٧	أثناء العشاء الأخير بعد أن أعطاه المسيح اللقمة ١٣ : ٢٧
٥	كيْف تعرف الجنْد على المسيح	بعد قبلة يهوذا ١٤: ٤٥ ـــ ٤٦	بعد قبلة يهوذا ٢٦: ٤٩ ـــ ٥٠	بعد أن دنا يهوذا من المسيح ليقبله ٢٢ : ٤٧	قدم المسيح نفسه متحديا، بلا قبلة ١٨: ٤ ـــ ٨
٦	توقيت القبض	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ١٤ : ٤٣	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٦ : ٤٧	بعد عشاء الفصح (مساء الخميس) ٢٢ : ٤٧	قبل عشاء الفصح (مساء الأربعاء) ١٨ : ٢٨
٧	سُلوك التلاميذ عند القبض	تركه الجميع وهربوا ١٤ : ٥٠	تركه التلاميذ كلهم وهربوا ٢٦ : ٥٦	......	......

(١) هذه النقاط الست (......) تحت أي انجيل في أي من الجداول تعني أن هذا الإنجيل لم يذكر شيئاً محدداً يتعلق بنقطة البحث.

المحاكمات

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٨	المحاكمة الأولى				
	ــ التوقيت	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح)	ليلاً بعد القبض مباشرة (ليلة عيد الفصح)	نهاراً في اليوم التالي للقبض (الجمعة)	ليلاً بعد القبض مباشرة (الليلة السابقة لليلة عيد الفصح)
	هيئة المحكمة	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	رئيس الكهنة والمجمع	حنان حموقيافا ثم قيافا رئيس الكهنة
		١٤: ٥٣ــ٥٥	٢٦: ٥٧ــ٥٩	٢٢: ١٣	١٨ : ١٢ ــ ١٣
٩	المحاكمة الثانية				
	ــ التوقيت	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الجمعة)	صباح اليوم التالي (الخميس)
	ــ هيئة المحكمة	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي	بيلاطس الوالي
		١٥: ١	٢٧: ١	٢٣: ١	١٨: ٢٨ــ٣٣
١٠	المحاكمة الثالثة				
	ــ التوقيت	.....	.....	صباح اليوم التالي (الجمعة)	.....
	ــ هيئة المحكمة			هيرودس حاكم الجليل	
				٢٣: ٧ــ١٠	

عدد المحاكمات

مسلسل عام	الوقت	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١١	ليلا بعد القبض مباشرة	١	١	...	١
١٢	نهار اليوم التالي للقبض	١	١	٣	١
١٣	المجموع الكلي	٢	٢	٣	٢

*

يوم الصلب

مسلسل عام	نقطة البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٤	يوم آخر محاكمة (هو يوم الصلب)	الجمعة	الجمعة	الجمعة	الخميس يوم تذبح خراف الفصح ،وكان استعداد الفصح،
		٢٠،١٥:١٥	٣١،٢٦:٢٧	٣٣،٢٤:٢٣	١٨ــ١٤:١٩

التحركات منذ القبض حتى الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٥	الرحلة الأولى	مساء الخميس «إلى رئيس الكهنة» ٥٣ : ١٤	مساء الخميس «إلى قيافا رئيس الكهنة» ٥٧ : ٢٦	مساء الخميس «إلى بيت رئيس الكهنة» ٥٤ : ٢٢	مساء الأربعاء «إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا رئيس الكهنة» ١٣ : ١٨
١٦	الرحلة الثانية	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ١ : ١٥	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ١ : ٢٧	صباح الجمعة «إلى بيلاطس» ١:٢٣،٦٦:٢٢	مساء الأربعاء «إلى دار رئيس الكهنة» ١٨،١٥:١٨
١٧	الرحلة الثالثة	نهار الجمعة «إلى موضع جلجثة» مكان الصلب ٢٢ : ١٥	نهار الجمعة «إلى موضع يقال له جلجثة» ٣٣ : ٢٧	نهار الجمعة «إلى هيرودس .. في أورشليم» ٧ : ٢٣	صباح الخميس «إلى دار الولاية (إلى بيلاطس) وكان صبح» ١٨ : ٢٨ ــ ٢٩
١٨	الرحلة الرابعة	......	......	نهار الجمعة «رده (هيرودس) إلى بيلاطس» ١١ : ٢٣	نهار الخميس «مضوا به إلى موضع جلجثة» ١٩ : ١٦ ــ ١٧

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
١٩	الرحلة الخامسة	......	......	نهار الجمعة «مضوا إلى الموضع الذي يدعى جمجمة» ٢٣ : ٣٣	......
٢٠	عدد الرحلات	٣	٣	٥	٤

أحداث الصلب

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢١	إستهزاء العسكر قبل الصلب (إكليل الشوك ــ الضرب ــ البصق)	«جنود بيلاطس» ١٥: ١٦ــ٢٠	«جنود بيلاطس» ٢٧: ٢٧ــ ٣١	«جنود هيرودس» ٢٣: ١١	«جنود بيلاطس» ١٩: ١ــ ٥
٢٢	حامل الصليب	سمعان القيرواني ١٥ : ٢١	سمعان القيرواني ٢٧ : ٣٢	سمعان القيرواني ٢٣ : ٢٦	المصلوب نفسه ١٩ : ١٧
٢٣	شراب المصلوب قبل صرخة اليأس	خمرا ممزوجة بمر فلم يقبل ١٥ : ٢٣	خلا ممزوجا بمرارة ولما ذاق لم يشرب ٢٧ : ٣٤	....	....
٢٤	علة المصلوب	«ملك اليهود» ١٥ : ٢٦	«هذا هو يسوع ملك اليهود» ٢٧ : ٣٧	اليهود» [يونانية ــ رومانية ــ عبرانية] ٢٣ : ٣٨	ملك اليهود» [عبرانية ــ يونانية ــ لاتينية] ١٩ : ١٩ ــ ٢٠
٢٥	اللصان والمصلوب	«كانا يعيرانه» ١٥ : ٣٢	«كانا يعيرانه» ٢٧ : ٤٤	كان أحدهما يعيره والآخر يدافع عنه ٢٣:٣٩ــ ٤٠	....

مسلسل عام	نقاط البحث	مرقس	متى	لوقا	يوحنا
٢٦	وقت الصلب	الساعة الثالثة ١٥ : ٢٥	....	قبل الساعة السادسة ٢٣:٣٣ ــ ٤٤	الساعة السادسة ١٩: ١٤ــ ١٦
٢٧	صرخة اليأس على الصليب	«إلهي، إلهي لماذا تركتني» ١٥ : ٣٤	«إلهي، إلهي لماذا تركتني» ٢٧ : ٤٦	«يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» ٢٣ : ٣٤	
٢٨	شهود الصلب	«نساء ينظرن من بعيد» ١٥ : ٤٠	«نساء كثيرات ينظرن من بعيد» ٢٧ : ٥٥	«جميع معارفه ونساء واقفين من بعيد ينظرن» ٢٣ : ٤٩	أمه وأخت أمه ومريم المجدلية واقفات عند الصليب (عن قرب) ١٩ : ٢٥

- قصّة صلب المسيح في الأناجيل الرسميّة نبوءات صِيغت تاريخًا: يقول الناقد الشهير «جون دومينيك كروسان» في كتابه الذي يعدّ من أهم ما ألّف في المكتبة الغربيّة في تاريخيّة قصّة صلب المسيح «من صلب يسوع؟» «*Who Killed Jesus?*»، إنّ قصّة صلب المسيح الواردة في العهد الجديد هي «نبوءة قد صيغت تاريخًا» « *prophecy historicized*» لا «تاريخٌ متذكّر» «*history remembered*» ؛ إذ إنّ كُتّاب الأناجيل كانوا يتعمّدون صياغة أحداث قصّة صلب المسيح من خلال ما ظنّوه نبوءات عن المسيح ممّا هو وراد في العهد القديم.[٧٤٩]

---

[٧٤٩] انظر: John Dominic Crossan, *Who Killed Jesus*, New York: Harper Collins, ١٩٩٦, pp. ١-١٢

- أصل المادة الروائيّة في العهد الجديد: قال الناقد البارز: «برتن ماك» « Burton Mack»[٧٥٠] بعد إخضاعه إنجيل مرقس إلى نسق حاد من التحليل الفيلولوجي والتاريخي: «لا توجد إشارة إلى موت المسيح صلبًا في المادة السابقة (لإنجيل) مرقس المتعلقة بعيسى.»[٧٥١] ، وهو هنا يقرّر ما عليه عامة من يؤمنون بوجود مادة افتراضيّة أولى تسمّى «Q» تعتبر الأصل المبكّر للأناجيل[٧٥٢] ؛ فمادة القصّة إذن مُحْدَثة غير أصيلة!

أفرام السرياني واليوم الآخر:

هذه الشبهة وما يليها، قد نقلها (العجوز) المراهق (علميًا) «هشام جعيط»[٧٥٣] ، وهي على درجة عظيمة من (السذاجة)، وربّما كان من الصواب تجاوزها، إذ إنّ نقض كبرى شبهات المتخصصين الغربيين في الأدبيات الدينيّة اليهوديّة والنصرانيّة يُغني عن نقض (شخبطات) أغمار جهلة العرب (المتعلمنين) (المنسحقين) أمام أصحاب العيون الزرق، وسأحاول أن أمنع شعور (العطف) الذي يراود قلمي كلّما كتبتُ عن (غليّم) من المتغّربين (عقلًا وحسًا) يتحدّث في أمور لا يعرف (وجهها) من (قفاها) ولا (رأسها) من (أدناها)؛ فاللهم لا تجعل (رحمتي!) تغلب (إنصافي)!!

---

[٧٥٠] برتن ماك: أستاذ متقاعد من (*Claremont School of Theology*) في كاليفورنيا. من أعلام المتخصصين اليوم في أصول النصرانيّة، والنصرانيّة المبكّرة.

[٧٥١] Burton Mack, *Who Wrote the New Testament?*, New York: HarperCollins, ١٩٩٥, p.٨٧

[٧٥٢] وهم جمهور النقّاد المعاصرين.

[٧٥٣] هشام جعيط (ولد سنة ١٩٣٥م): مؤرخ تونسي. من رموز التيار العلماني في العالم العربي عامة، وشمال إفريقيا خاصة.

أظهر هذا الأبتشي[٧٥٤] فقرًا موجعًا في المراجع، وجفافًا بارزًا في معرفة نصوص الكتاب المقدس والدراسات الآبائيّة، حتّى إن التفاصيل التي ذكرها في مبحث الاقتباس في كتابه (الخفيف) في السيرة —على صاحبها أزكى السلام وأعطر التسليم– لا تكاد تغادر فصلين من كتاب واحد «لتور أندري» إلاّ ما ندر! – ..

كتب «الهش...» —فله من الهشاشة نصيب وافر وحظ غامر!– تحت عنوان: «الكارثة الكوسميّة وتوصيف الآخرة، الكنيسة السوريّة» —أرجو أن تهمل النظر في عبارة «كوسميّة» التي تعني «كونيّة»، وهي من الكلمة اليونانية «كوزموس» «κόσμος» التي تعني «نظام»؛ لأنّ (صاحبنا!!) يريد أن يقنعنا أنّه يتنفّس الحرف اللاتيني حتّى إنّ أصابع يديه ورجليه لا تطيق الألفاظ العربيّة المعروفة، وربّما عبارة «كوسميّة» ستجعل القارئ (ينبهر!) و(ينشطر!) ثم (يندثر!)، من هول هذا العلم الفائض!!– .. أعود، فأقول: قد كتب: «لقد كان إفرائيم في عظاته يتّجه إلى الشعب من وثنيين ومسيحيين، وفي آرائه أكثر من قاسم مشترك مع القرآن. بل التشابهات كبيرة إلى درجة أنّه يصعب على المؤرّخ أن يعتبر أنّها من محض الصدفة أو حتّى إنّ هذه الأفكار أُخذت بصفة شفهيّة عن رهبان متجوّلين سواء في عكاظ أو في اليمن كما يرى ذلك تور أندري. ذلك أنّ التشابهات ليست فقط في الفكر بل في التعابير والصور والاستعارات»[٧٥٥] ..!

طبعًا (!) (سيقف شعر) القارئ من هول الأمر؛ إذ إنّ «الهش» قد خالف سيّده الأعجمي الأسقف السويدي «تور أندري» «Tor Andrae» الذي كانت عنده بقيّة (حياء) فلم يزعم أنّ الرسول ﷺ كان عاكفًا على مطوّلات اللاهوت النصراني المعقّد والآبائيّات المرهقة؛ دراسة ونقدًا ونقلًا، وإنما ادّعى أنّ الرسول ﷺ قد أخذ هذه الأفكار من اللقاءات الشخصيّة والتراث الشفهي[٧٥٦] !!

---

[٧٥٤] أبتشي: لا يعرف من الكلام إلاّ حروفه: ألف، باء، تاء، ثاء ...

[٧٥٥] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٦٧–١٦٨

[٧٥٦] قال «تور أندري» (الترجمة الفرنسيّة لكتابه– ص ١٤٦): « Mais il va de soi qu'il ne faut pas anticiper et penser a une dépendance litteraire directe. Ce que

لقد أوحى إلى «الهش...» شيطانُه (البليد) أنّ الرسول ﷺ قد اطّلع على كتابات «أفرام» – ٣٠٦م-٣٧٣م —الذي يكتبه (صاحب(نا)!) (أفرائيم)!- .. لقد قرأ (!) الرسول ﷺ هذه الكتب بعينيه، وتحسسها (!) بيديه، بلغتها السريانيّة الفصيحة وبأسلوبها الشعري البليغ الذي كتب به «أفرام» عامة مؤلّفاته، حتّى عُدّ ذلك طابعًا مميزًا له، لقّب بسببه «أفرام» «بقيثارة الروح القدس»!

ولما جاد علينا «الهش...» بذكر هذه التوافقات المذهلة (!) التي جعلته يكفر بعصمة سيده الأشقر: «أندري»؛ كانت الفاجعة التي كشفت أنّ «الهش...» يحتاج (رقية شرعيّة) لا دورات في الدراسات الكتابيّة والآبائيّة– أو (الباترولوجي) حتى لا يغضب هذا (المتفرنس)–!

لقد كتب مفصحًا عن (علمه!) أو هكذا ظنّ، فلم يضنّ علينا بعبقريّته (المتفجّرة)، ولا شكّ أنّ الشوق قد استبدّ بالقرّاء ليعرفوا الدليل الصلب على أنّ الحبيب ﷺ كان أيضًا إمامًا في معرفة اللغة السريانيّة وتذوّق شعرها الصوفي الفلسفي (رحمتك يا الله!!) .. كتب (صاحب(نا)!): «عند إفرائيم، علامات الساعة أيضًا كارثيّة: السماوات تطوى والنجوم تتساقط والشمس تكفهر والجبال تذوب.»[٧٥٧]

قلت: رحم الله الحياء؛ فقد كان أبتر؛ لم يخلّف عيالًا (متفرنسين)! ورحم الله الحياء —مرّة أخرى، ولا ضير!– فإنّه يمنع صاحبه من أن يقول عن كتابه: «هذا الكتاب جزء من مشروع قديم طويل النفس، لكن حفّزني على التفكـير فيه ناشر فرنسي»[٧٥٨] ... إنّ الحيــاء لا يأتمر

Mahomet a reçu du christianisme, il l'a seulement appris par la prédication orale et par des contacts personnels.»

[٧٥٧] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٦٨/٢

[٧٥٨] هشام جعيط، في السيرة النبوية، الوحي والقرآن والنبوة، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠، ط٢، ٧/١

بأوامر (الإليزيه) ولا (حواشيه)![759]

العلامات الثلاث الأولى مذكورة أصلًا في الكتاب المقدّس الذي قرّر القرآن الكريم أنّ له أصلًا سماويًا، وإن لحقه التحريف، وليست هي من مبتكرات «أفرام»:

السماوات تطوى: «وتنحل كل كواكب السماء، وتطوى السماوات كدرج» (إشعياء ٣٤/٤)

النجوم تتساقط: «وحالًا بعد الضيقة في تلك الأيام، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه، وتتهاوى النجوم من السماء» (متّى ٢٤/٢٩)

«وتتهاوى نجوم السماء» (مرقس ١٣/٢٥) .. مع الملاحظة أنّ القرآن الكريم يتحدّث عن اختلال الكون، ولا يذكر سقوط النجوم على الأرض!

الشمس تكفهر فاقدة لضوئها: «وتتحول الشمس إلى ظلام» (يوئيل ٢/٣١)

---

[759] من غرائب هذا (المتفرنس) أنّه قال في لقاء معه على قناة الجزيرة الفضائيّة (١٣/٠٤/١٩٩٩م) إنّ عرب اليوم عندهم عقدة (الخواجة)!! ولم يجد نموذجًا لهذه (العقدة) غير احتفاء المسلمين بالفيلسوف الفرنسي «روجي جارودي» بعدما أعلن إسلامه (!) وزاد أن رمى أهل الخليج العربي بما هو عظيم في قوله: «هم ناس بدو، ما عندهمش (ليست عندهم) ثقافة –إلا مثقفين مريدين– ويعتبروا بما أن هذا خواجة وعلى أنه فيلسوف أسلم فهو..» ولما قاطعه مقدم البرنامج بقوله: «ولكن دكتور، لماذا لا ننظر لهذا الموضوع –مثلًا– من وجهه أخرى يعني، لماذا لا يعتبر هذا التمجيد لجارودي تعبير عن ربما عن رغبتهم في رؤية نموذج؟»؛ قال: «لا، لا، يعتبر تعبير عن تخلف ذهني واضح أولًا، وتعبير عن عدم الثقة في النفس، وفي آخر المطاف أنا عدم الثقة في النفس أعتبرها طبيعية، إذا أنت –فعلًا– متخلف وتعترف بالتخلف، فأنت رجل عندك توازن عقلي، توازن عقلي هو ما فيهاش (ليس فيها) اختلال، إذن أنت ضعيف، وتعترف بأنك ضعيف، وتخضع للواقع، فأنت من الوجهة النفسية مش (لست) مختل، أنت لست بمختل، ليس بمختل، أنت جيد، لكن ضعيف لا شيء.» .. إذن أهل الخليج (أهل بلادةٍ) لأنهم يبجلون (جارودي) الذي كان في يوم مرشحًا لرئاسة فرنسا عن الحزب الشيوعي، وأمّا «هشام جعيط» الذي يسبّح بحمد فرنسا، ويتخذها قبلة؛ فلا لوم عليه!؟!

إنّه مرض نفسي شائع عند بني (علمان)، وهو (الإسقاط النفسي) برمي مخالفيهم بما باؤوا به من الخسران والعقد المرضيّة التي لا سبيل لفكّها إلاّ بدعوة مستجابة في جوف الليل!

«قد أظلمت الشمس والقمر، وكفت الكواكب عن الضياء» (يوئيل ١٥/٣)

«وعندما أخمدك أحجب السماوات وأظلم نجومها، وأكفن الشمس بسحاب، ولا ينير القمر بضوئه. وأعتم فوقك كل أنوار السماء المضيئة، وأجعل الظلمة تغمر أرضك يقول السيد الرب.» (حزقيال ٣٢/٧-٨)

«فإن نجوم السماء وكواكبها لا تشرق بنورها، والشمس تظلم عند بزوغها، والقمر لا يشع بضوئه.» (إشعياء ١٣/١٠)

«وحالا بعد الضيقة في تلك الأيام، تظلم الشمس، ويحجب القمر ضوءه» (متى ٢٤/٢٩)

أمّا فيما يتعلّق بالعلامة الرابعة، فإنّنا لا نجد في القرآن الكريم حديثًا عن (ذوبان الأرض)، وإنما تُدك الجبال دكًا[٧٦٠]، فأين التطابق اللفظي بين القرآن الكريم وما ذكره «أفرام»؟! ومع ذلك نقول إنّ هذا الوصف قد ورد في الكتاب المقدّس، وليس هو من مبتكرات «أفرام»:

«تتزلزل الجبال أمامه، **وتذوب التلال**.» (ناحوم ١/٥)

«**فتذوب الجبال** من تحت قدميه، وتتصدع الوديان كالشمع أمام النار، كالمياه المنصبة في المنخفضات» (ميخا ١/٤)

«في ذلك اليوم، تزول السماوات محدثة دويًا هائلا وتنحل العناصر محترقة بنار شديدة، **وتحترق الأرض وما فيها من منجزات**» (٢بطرس ٣/١٠).

وأضاف «الهش...» أنّ القرآن الكريم قد أخذ من «أفرام» قوله: «الساعة تأتي بسرعة لمح البصر» وذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾[٧٦١]، [٧٦٢] رغمّ أنّ:

---

[٧٦٠] ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَة﴾ سورة الحاقة/ الآية (١٤)

[٧٦١] سورة النحل/ الآية (٧٧)

[٧٦٢] انظر؛ هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٦٨/٢

١ – وصف حدوث الأمر السريع بأنّه يقع في لمح البصر، هو من المشترك البشري في الوصف؛ فهو موجود في الكتابات الأدبيّة في عامة لغات العالم بصورة مكثّفة، وليس هو من مبتكرات «أفرام». والشاعر العربي يقول:

ما بين عين **وانتباهتها** *** يغيّر الله من حال إلى حال

بل لو كان «الهش...» يملك من أدوات النظر ما يؤهّله للحديث في هذا الباب دون نقل مِسطري (أعشى) بل (أعمى)؛ لَعَلِمَ أنّ تشبيه حدوث الأمر السريع بلمح البصر معروف أيضًا في الكتابات اليهوديّة الدينيّة القديمة، ويكفيه أن ينظر في أهم معجم للتلمود والمدراشات والترجومات «*A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature*» تحت كلمة «**הרף**»؛ ليدرك أنّ هذا التعبير قد ورد في التلمود الأورشليمي وغيره.[٧٦٣]

הֶרֶף m. (רפה, v. הֲרִיפָה) *trembling;* ה׳ עַיִן *wink, an indefinable portion of time.* Y. Ber. I, 2[b] bot. בין השמשות כה׳ ע׳ the time called *ben-hash-sh'mashoth* is really like a wink of the eye. Ib.[c] top. Ib[d] top; Lam. R. to II, 19; v. רֶגַע. Cant. R. to III, 6 בה׳ ע׳ (not כה׳) instantaneously; a. fr.

٢ – لم تقترن عبارة «في لمح البصر» في كتابات «أفرام السرياني» بقيام الساعة– كما يوحي إلى ذلك كلام «الهش...» من طرف خفي ليثبت هذا التطابق (المدهش!!) بين كلام «أفرام» و(النص القرآني)!–؛ وإنّما كان «أفرام» يكثر من استعمال هذا التعبير في كتاباته للدلالة على سرعة وقوع الأمر؛ فقد

---

[٧٦٣] Marcus Jastrow, *A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature*, London: Luzac, ١٩٠٣, ١/٣٦٨

ذكر هذا التعبير –مثلًا– أربع مرات في تعليقه على الفصلين الأولين من سفر التكوين[٧٦٤]، رغم سعة معجمه البياني!

٣ – ورد هذا الوصف ذاته في الكتاب المقدّس: «في لحظة، بل في **طرفة عين** عندما ينفخ في البوق الأخير. فإنه سوف ينفخ في البوق، **فيقوم الأموات** بلا انحلال. وأما نحن، فستتغير.» (١كورنثوس ١٥/٥٢).

لاحظ عبارة وصف سرعة النفخ في الصور دلالة على قيامة الأموات: «εν ριπη[٧٦٥] οφθαλμου» «في طرفة عين»، وهي في الترجمة السريانية «ܪܦܦ ܥܝܢܐ» «رفاف عينا» أي رفّة عين–نفس المعنى– بلغة ساميّة كاللغة العربيّة ..

ولنا أن نسأل هنا: كيف يُنسب (أصل) الاقتباس إلى «أفرام السرياني» الذي عاش في القرن الرابع رغم أنه موجود في رسالة «لبولس» من القرن الأوّل؟! إنّه الجهل يدبّ على أظلافه!!

٤ – استعمل القرآن الكريم نفس العبارة في موضعٍ آخر بما يبعد وهم نقل العبارة للمعنى الأوّل –يوم القيامة–: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾[٧٦٦]؛ فأمر الله للشيء أن يكون سريعٌ، بكلمة (كُن)؛ فيكون.

---

[٧٦٤] انظر؛ St Ephrem the Syrian, *The Fathers of the Church, St. Ephrem the Syrian, selected prose works*, tr. Edward G. Mathews and Joseph P. Amar, D.C : Catholic Univ. of America Press, ١٩٩٤ , pp.٨٠-٨٩-٩٨-١٠٥

[٧٦٥] بعض المخطوطات اليونانيّة تستعمل كلمة «ροπη» مكان «ριπη» (P46, D*, F, G, 0243, 6, 1739), والكلمتان بنفس المعنى (انظر؛ Joseph Fitzmyer, *First Corinthians, A New Translation with Introduction and Commentary*, London : Yale University Press, ٢٠٠٨, p.٦٠٥)

[٧٦٦] سورة القمر/ الآية (٥٠)

٥ – الآية القرآنية عينها التي استدلّ بها «الهش...» تقول: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٧٦٧] .. فالآية تجعل أزوف يوم القيامة أقرب من لمح البصر!

وعليّ أن أضيف هنا أنّ «هشام جعيط» وإن كان يشارك «تور أندري» أسلوب التدليس، إلاّ أنّه يفوقه بمنهج «**استحمار**» القارئ؛ إذ إنّ «تور أندري» قد أحال القارئ في الهامش إلى نصّ ١كورنثوس ١٥/٥٢ [٧٦٨] لعلمه أنّ من القرّاء من لهم (علم)، ويقرؤون (بأعين مفتوحة)، أمّا «جعيط» فقد ساق الأمر على أنّه من نوادر «أفرام» بصورة صارخة، لظنّه أنّه من اليسير سوق القرّاء العرب إلى حتفهم كما تساق (الأغنام) أو عامة (بهيمة الأنعام) إلى مسلخها!

وممّا (افتراه)– وقل إن شئت من غير وجلٍ– (نهبه) من غيره، قوله إنّ القرآن الكريم قد أخذ من «أفرام» أمر نفختي الصور عند القيامة. وقد أورد هذه الدعوى في سياق ينضح **بالتعالم والغرور** —على ما في الرجل من **فقر (أنيمي) حاد!**–؛ فقد قال: «قد يكون أندري محقًّا عندما يعتبر أنّ هذه الرؤى وبُنى التقوى الممزوجة بالخشية لدى إفرائيم وفي القرآن إنما هي نماذج دينيّة مقولبة، كليشيهات معبّرة عن منهاج الذهنيّة الساميّة آنذاك، فينكر أيّ نقل مباشر من القرآن عن إفرائيم. لكنّ ذهنيّة عرب الحجاز ليست ذهنيّة أهل الشام ولا الحيرة ولا الغساسنة، فهم لا يدخلون في قوالب الكليشيهات المسيحيّة الشرقيّة التي قد تتمايز عن التقليد القبطي. فمحمد رجل من نمط آخر، ومن ناحية أخرى إذا تابعنا نقاط الشبه حتى في الشكل وفي التفاصيل، فهي تتكاثر. مثلًا: نفختان في الصور عند إفرائيم بخصوص قيام الساعة، توازيها الآية ٨ من سورة الزّمر حيث نجد نفس الفكرة.» [٧٦٩]

---

[٧٦٧] سورة النحل/ الآية (٧٧)

[٧٦٨] انظر؛ Tor Andrea, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, Paris: Adrien-Maisonneuve, ١٩٥٥, p.١٤٨

[٧٦٩] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٦٨

قلت:

١ - أمر النفخ في الصور ثابت في الكتاب المقدس في أكثر من الموضع دلالة على أزوف الأمور الأخرويّة –بمعناها الأرضي والسماوي–[٧٧٠]، وأن يكون التشابه في العدد القليل: هل هو واحد أو اثنان أو ثلاث؛ فذاك مما لا يعتدّ به ليبنى عليه وهم الاقتباس؛ خاصة إذا كان المعنى هو: نفخة أولى ليموت من بقي من الخلق، والثانية؛ ليحيي كل الأموات؛ فهذا مما يتبادر إلى المنطق البشري بعد علمه أنّ القصد من النفخ هو الإعلان والانتقال من حال إلى حال، من الدنيا إلى الآخرة؛ إذ ليس الرقم كبيرًا أو مركّبًا حتى يكون التطابق محلّ ريبة ومصدر إثارة للذهن!

٢ - اختلف أهل العلم المسلمين في عدد النفخات هل هما نفختان أم ثلاث، وقد اختار بعض أهل العلم أنها ثلاث نفخات كالإمام «ابن العربي»[٧٧١]، وقيل أيضًا أربع نفخات.[٧٧٢]

٣ - من الممكن أن يفهم من الكتاب المقدس وجود نفختين للقيامة، واحدة لمختاري المسيح: «لأن الرب نفسه سينزل من السماء حالما يدوي أمر بالتجمع، وينادي رئيس ملائكة، ويبوق في بوق إلهي، عندئذ يقوم الأموات في المسيح أولًا.»[٧٧٣]، والأخرى لعامة الأموات «في لحظة، بل في طرفة عين عندما ينفخ في **البوق الأخير** .فإنه سوف ينفخ في البوق،

[٧٧٠] انظر؛ إشعياء ١٣/٢٧، يوئيل ١٥/٢، الرؤيا ٢/٨، ٦، ١٣، ١٥/١١، متّى ٣١/٢٤، ١كورنثوس ٥٢/١٥، ١تسالونيكي ١٦/٤.

[٧٧١] انظر؛ العيني، عمدة القاري، ٩٩/٢٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ٢٤٠/١٣

[٧٧٢] ابن حجر، فتح الباري، ٥٥٢/٨

[٧٧٣] ١تسالونيكي ١٦/٤، وانظر أيضًا متّى ٣٠/٢٤

فيقوم الأموات بلا انحلال. وأما نحن، فسنتغير»[٧٧٤]؛ فلعلّ الفهم ينساق إلى أن يفهم من كلمة «البوق الأخير» أنّ البوق الأوّل هو لمختاري المسيح.[٧٧٥]

٤ – من التدليس (اللاأخلاقي) الذي مارسه «الهش....» احتجاجه بما أورده «تور أندري» للقول بالتشابه بين القرآن الكريم وبين ما قاله «أفرام» حول النفختين، رغم أنّ الصورة في حقيقتها هي أنّ «تور أندري» قد ذكر أنّ «أفرام» قد قال إنّه في اليوم الأخير من هذا العالم تكون هناك قصفة رعد قويّة، عند أزوف يوم القيامة، «يأتي فجأة من السماء ضجيج كبير ورعود مخيفة وبروق مفزعة وزلازل.»[٧٧٦]، هذا ما قاله «أفرام» عن العلامة الكبرى ليوم القيامة، **وقد اعترف** «**تور أندري**» **أنّ** «**أفرام**» **لم يصرّح هنا أنّ الحديث عن النفخ في البوق**، وللخروج من هذه الورطة ادّعى «تور أندري» دعوى فاقعة، باقعة من بواقعه؛ فقال: «لم يُذكر **صراحة** هنا عند أفرام (**ولا حتّى في القرآن**) أنّ هذه الصرخة المخيفة التي تهزّ العالم هي النفخة الأولى في البوق، لكن **يبدو** لنا أنّه لا بد من اعتبار الأمرين شيئًا واحدًا.»[٧٧٧]

وهنا ثلاث دعاوى قبيحة تكشف اجتماع التدليس والجهل في (رأس) «تور أندري»:

---

[٧٧٤] ١كورنثوس ١٥/٥٢

[٧٧٥] عامة المفسّرين للكتاب المقدس على أنّ النفخة واحدة فقط، وقيل هي النفخة السابعة والأخيرة (يوحنا يذكر سبع نفخات، الرؤيا ٨/٢، ٦) (انظر؛ Adam Clarke, *The Holy Bible, Containing the Old and the New Testament*, New York: Phillips & Hunt, ١٨٢٣, ٢/٢٦٣)

[٧٧٦] Tor Andrae, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, ١٩٥٥, p.١٤٧

[٧٧٧] المصدر السابق

أولها: صرّح القرآن الكريم أنّ هناك نفختين في الصور، بوضوح وجلاء؛ قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٧٧٨] لا كما ادّعى «تور»!

ثانيها: من الجليّ البيّن أنّ «أفرام» كان يتحدّث عن صوت رعد، وجلبة عظيمة مخيفة، ولا يمكن ادّعاء مطابقة هذا الوصف لصوت البوق المميّز في الكتاب المقدس والكتابات الكنسيّة.

ثالثها: ذكر «تور» في تتمّة حديثه عن «أفرام» أنّ الموتى يقومون بعد ذلك عند نفخة البوق[٧٧٩]، ممّا يعني أنّ «أفرام» لم يتحاش في هذا المقام التصريح بأمر البوق؛ فإذا كان قد صرّح في الثانية بأمر ورد في الكتاب المقدّس كما سبق ذكره، فلِمَ لم يصرّح به في الأمر الأوّل؟!!

٥- لقد تحدّث «أفرام» في موضع آخر من كتاباته عن نفخة البوق، ولم يشر إلى غير واحدة.[٧٨٠]

٦- يبدو أنّ «أفرام» كان يقتبس من سفر الرؤيا عند حديثه عن الرعد والبرق والزلازل:

«ثم ملأ الملاك المبخرة من النار التي على المذبح وألقاها إلى الأرض، فحدثت **رعود وأصوات وبروق وزلزلة**.[٧٨١] واستعد الملائكة السبعة، أصحاب **الأبواق السبعة، لينفخوا فيها.**»

---

[٧٧٨] سورة الزمر/ الآية (٦٨)

[٧٧٩] انظر المصدر السابق

[٧٨٠] انظر؛ *Select Works of S. Ephrem the Syrian*, tr. J. B. Morris, Oxford: John Henry Parker, ١٨٤٧ , P. ٣٥٣

[٧٨١] رؤيا ٨/٥-٦

«ونفخ الملاك السابع في **بوقه** فسمعت أصوات عالية في السماء تقول: «قد صار ملك العالم لربنا ومسيحه. إنه يملك إلى أبد الآبدين... وانفتح هيكل الله في السماء، وظهر تابوت العهد في داخله. وحدثت **بروق وأصوات ورعود وزلزلة،** وسقط برد كبير»[٧٨٢]

«وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يسمى بالعبرية «**هرمجدون**»، ثم سكب الملاك السابع كأسه على الهواء، فدوى **صوت** من العرش في الهيكل السماوي يقول: «قد تم!» فحدثت **بروق وأصوات ورعود وزلزال عنيف** لم تشهد الأرض له مثيلا منذ وجد الإنسان على الأرض، لأنه كان زلزالا عنيفا جدا**!**»[٧٨٣]

وفي الختام .. أقول؛ إنّه ممّا يصيب المرء (بالحيرة)، أنّ «الهش...» المتفرنج –رديء العقل والكتابة–، جريء جدًا على علماء الإسلام؛ فقد أسقط كلّ علم «البخاري» و«مسلم» وأئمة الحديث في كتابه، بكل وقاحة لا تمت للعلم بنسب ولا وشيجة، لكنّه منبطح –شديد الانبطاح– إذا تعلّق الأمر بأصحاب العيون الزرق؛ إنّه يشعر أمامهم (بالذوبان) و(السيلان) و(التبخّر) ف(الفناء)؛ حتّى إنّه قد قال في هذا المنصّر –«تور أندري»–: « في الثلاثينات من القرن العشرين، خصّص كتابًا كاملًا عنونه بأصول الإسلام والمسيحيّة درس فيه عن كثب الموافقات الكبيرة بين المسيحيّة السوريّة وبين القرآن الأوّلي (!!)، يعني بذلك الأغراض الإسكاتولوجيّة الخاصة بالآخرة. وكتابه **دقيق جدًا** لمعرفة الرجل بهذه المسيحيّة السوريّة ولمعرفته **الجيّدة** بالقرآن أيضًا.»[٧٨٤] .. مع أنّ الرجل ليس من المتخصّصين –بالمعنى الأكاديمي– في النصرانيّة الشرقيّة[٧٨٥]، وهو شديد التكلّف في دعواه، أمّا معرفته بالقرآن الكريم، فقد

---

[٧٨٢] رؤيا ١١/١٥–١٩

[٧٨٣] رؤيا ١٦/١٦-١٨

[٧٨٤] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٦٥

[٧٨٥] كان مدرسًا لتاريخ الأديان، وله اهتمام (بالتصوّف الإسلامي)

استبان لك في إنكاره أن يكون القرآن الكريم قد صرّح بنفختين في الصور/البوق، ما يكفي لتعلم أنّ (أرباب) «الهش....» لهم من الهشاشة نصيب ورصيد![٧٨٦]

على أنّ الإنصاف يقتضي منّا أن نقول أيضًا إنّ «الهش.....» وإن ادّعى أنّه ينقل أصل الفكرة ومادتها من «تور أندري»، إلاّ أنّ «تور أندري» قد كرّر في الحقيقة اعتقاده أنّ الرسول ﷺ لم يعرف النصرانية مباشرة، وإنما خبر أمرها من نصارى لهم معرفة **ضعيفة** بالنصرانيّة[٧٨٧]، بل

---

[٧٨٦] لا تظهر مراجع كتبه حول الإسلام سعة اطّلاع ولا تنوّع معرفة بأبواب العلوم الإسلاميّة!

[٧٨٧] تكرّرت دعوى أنّ القرآن الكريم يعكس معرفة ضعيفة ومشوّهة بالنصرانيّة، وحجّة هؤلاء هي وجود (أخطاء)(!) في القرآن الكريم في نقل صورة النصرانيّة، وهي:

(١) قول القرآن إنّ (مريم) أم (عيسى) عليهما السلام هي نفسها أخت (مريم) أخت (موسى) عليه السلام المذكورة في العهد القديم.

النص المستدل به من طرف هؤلاء المخالفين هو: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨]

الرد:

أ- وردت هذه الشبهة على لسان النصارى في زمن البعثة النبويّة، **وردّ عليها الرسول صلّى الله عليه نفسه**؛ فقد روى مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النَّهْيِ عَنِ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الأَسْمَاءِ، ح/(٢١٣٥)، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: «لما قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا . فَلما قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ **بِأَنبِيَائِهِمْ** وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ.»»؛ فالأخوّة هنا ليست أخوة الدم والنسب.

وقد جاءت عبارة: «أخت هارون» –في القصّة القرآنيّة– على لسان الإسرائيليين من قوم «مريم» عليها السلام، وسببها استغرابهم أن تقع هذه الفتاة الصالحة التي هي من نسل النبي «هارون» الصالح، في الزنى؛ فتذكيرها بأصلها الشريف فيه مبالغة في التقريع واللوم الشديدين. ونصوص الأناجيل ذاتها دالة على أنّ «مريم» هارونيّة كما سنبيّنه في موضع آخر من هذا الكتاب.

إذن؛ قد سمى القوم «مريم» عليها السلام باسم أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو النبي الذي جاءت من نسله.

ب- الخلط بين (مريم) أخت (موسى) عليه السلام و(مريم) أم المسيح عليه السلام، غير متصوّر البتة؛ لأن هذا الأمر يقتضي أن يكون (موسى) خال (المسيح) عليهما السلام، ونحن لا نجد أدنى أثر لهذا الأمر في القرآن الكريم ولا السنّة

النبويّة، وقد جاءت الأخبار الكثيرة في القرآن والسنّة في سير الأنبياء عليهم السلام، ولم يرد البتة ما يظهر أو حتى يوهم القارئ وجود هذه القرابة اللصيقة المباشرة بين هذين النبيين. وهذا أمر على درجة كبيرة من الأهميّة مما لا يمكن أن يختفي بين السطور.

ت- قوله تعالى عن المسيح: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا **النَّبِيُّونَ** الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ . . . ﴾ سورة المائدة/ الآية (٤٤) دليل على أنّ هناك الكثير من الأنبياء الذين جاؤوا بعد «موسى» عليه السلام، حكموا بعين أحكام التوراة، وكانت رسالتهم كلّهم في بني إسرائيل. ومعلوم أنّ «عيسى» عليه السلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل عند المسلمين (روى البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، ح/ ٣٤٤٢، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوله عن المسيح: «ليس بيني وبينه نبي»). فلا شك إذن أنّه كان هناك أنبياء كثر بين «موسى» عليه السلام و«عيسى» عليه السلام.

ومما يزيد في توضيح هذه الحقيقة القرآنيّة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ سورة البقرة/ الآية (٢٤٦) إلى قوله ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ سورة البقرة/ الآية (٢٥١)؛ مما يعني أنّ «داود» عليه السلام قد عاش بعد «موسى» و«هارون» عليهما السلام، ومعلوم أنّ النصارى يرون أنّ المسيح هو ابن «داود» البعيد جيلًا، فكيف يكون القرآن قد خلط بين زمني «هارون» و«موسى» عليهما السلام و«عيسى» عليه السلام؟!

وقد أقرّ عدد من المستشرقين أنّ السرد التاريخي القرآني يمنع بلا شك أن يُظنّ فيه أنّه قد خلط بين المريمين، ومن هؤلاء «سال» «Sale» و«جيروك» «Gerock» (انظر؛ فنسنك، موسوعة الإسلام، ٣٥٩/٣، الطبعة الأولى، نقله، عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه، ص ١٧٥)

ث- «مريم» التوراتيّة أخت «هارون» عاشت مرحلة شبابها بجانب أخويها «موسى» و«هارون»، في حين أنّ «مريم» أم المسيح، عاشت في القرآن الكريم والأناجيل في بيئة أخرى مختلفة تمامًا، فبينهما تباعد في الزمان والمكان.

(٢) القرآن الكريم يقول إنّ التثليث النصراني هو: الآب والابن ومريم، في حين أنّ التثليث النصراني هو: الآب والابن وروح القدس.

النص المستدل به من طرف هؤلاء المخالفين هو: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ سورة المائدة/ الآية (١١٦).

الرد:

أ- قال ((الألوسي)) في تفسيره: ((روح المعاني)) ٨٤/٧: ((واستشكلت الآية بأنه لا يعلم أن أحداً من النصارى اتخذ مريم عليها السلام إلٰهاً. وأجيب عنه بأجوبة.

الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً لزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً كذلك لأن الولد من جنس من يلده فذكر { إِلَٰهَيْنِ } على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإلٰه أطلق عليها اسم الإلٰه كما أطلق اسم الرب على الأحبار والرهبان في قوله تعالى:{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ } سورة التوبة/ الآية (٣١) لما أنهم عظموهم تعظيم الرب. والتثنية حينئذٍ على حد . القلم أحد اللسانين ..

والثالث: أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنها إلٰه. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيراً ابن الله عز اسمه)).

ب- الآية القرآنيّة تتحدّث عن (اتّخاذ) ((مريم)) كإلهة؛ والاتّخاذ يقصد به هنا –في هذا السياق- (الممارسة) و(التعاطي) معها كإلهة، أي صرف أنواع العبادة إليها، كالتوسّل والدعاء. وتتّهم الكنيسة المصريّة الأرثوذكسيّة (المرقسيّة) صراحة أكبرَ كنيسة في العالم (الكنيسة الكاثوليكيّة) أنّها تؤلّه ((مريم)) من هذا الباب؛ فقد جاء في ((موسوعة الخادم القبطي)) الجزء الثاني (أ) لاهوت مقارن، ص ٨٩-٩٠: ((الكنيسة الكاثوليكيّة تؤلّه العذراء مريم وتقول إنّها صعدت حيّة إلى السماء وتصنع لها التماثيل في كنيستهم، كما يصلّون للعذراء مريم، ويعتقدون في الثالوث المريمي والحبل بلا دنس مثل المسيح له المجد.)) (نقله؛ معاذ عليّان، عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة، القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٩م، ص ٥). وقال الأنبا ((غريغوريوس)) الذي يعدّ من أكبر أعلام الكنيسة المصريّة الأرثوذكسيّة (المرقسيّة) في القرن العشرين، في كتابه: ((العذراء مريم، حياتها، رموزها، وألقابها، فضائلها، تكريمها)) ص ١٢٩: ((وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهيّة والعصمة كذلك ضلّ البروتستانت ضلالًا شنيعًا حين احتقروها...)) (عليان، ص ٧)، وقد اتّهم البروتستانت أيضًا الكاثوليك بعبادة ((مريم))؛ فقد قال القس ((صموئيل بندكت)) في كتابه: ((العقائد الكاثوليكيّة في الكتاب المقدس)): ((تصلّي الكنيسة الكاثوليكيّة لله، ولكنّها تصلّي لمريم أكثر ممّا لله.)) (عليان، ص١١).

واعترفت الراهبة ((ماري آن كولنز)) بهذه الحقيقة في كتابها ((عبادة مريم، دراسة خاصة بالممارسات والمذاهب والعقيدة الكاثوليكيّة)) بقولها: ((كمؤمنة كاثوليكيّة، وبعد ذلك كراهبة، مارستُ عبادة العذراء لأعوام عديدة دون أن أكون مدركة لذلك.)) (عليان، ص ٢٠).

وقال الأب «أوغسطين دوبره لاتور» في كتابه «خلاصة اللاهوت المريمي» الصفحة ٩٨: «أعطى الابن أمّه، على نحو مخلوق، المشاركة في الكيان الإلهي.» (عليان، ص٥٤).

وجاء في «وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني» (صفحة ٤٣٥) الذي انعقد في العقد السادس من القرن العشرين: «انتقلت العذراء النقيّة التي عصمها الله من وصمة الخطيئة الأصليّة، جسدًا وروحًا، إلى المجد السماوي. وهكذا أقامها الربّ ملكة العالمين، لتكون أكثر تشابهًا بابنها ربّ الأرباب» (عليان، ص٤١)

وقال المؤرّخ «أندرو ملر» في كتابه «مختصر تاريخ الكنيسة» ص ٢٩٢، عن الكنيسة في قرونها الأولى: «نشأت عبادة مريم أصلًا من الروح التقشفية التي سادت في القرن الرابع ... أصبح من المعتاد أن يطلق على العذراء مريم اسم والدة الإله الأمر الذي تسببت عنه المجادلة النسطوريّة غير أنّه رغمًا عن كل معارضة انتشرت العبادة المريمية. وفي القرن الخامس وضعت في جميع الكنائس تماثيل وصور جميلة للعذراء وهي تحمل بين ذراعيها الطفل يسوع وبهذه الصور تطورت الأمور بصورة غريبة حتى صارت العذراء غرضًا مباشرًا للتعبد وأصبحت المريمية من ذلك الحين هي شهوة كنيسة الله المتحكمة فيها.» (عليان، ص ١٢)

وتصوّر موسوعة الأديان «*The Encyclopedia of Religion*» الواقع العقدي الذي كان في القرن الخامس في الشرق (أي في فترة قريبة من البعثة النبويّة المباركة): «في السجالات المسيحانيّة في القرن الخامس، أخذت مريم أكثر فأكثر من مقام ابنها» «In the Christological controversies of the fifth century, Mary took on more and more of the status of her Son», Mircea Eliade, eds. *The Encyclopedia of Religion*, New York: Macmillan Publishing Company, ١٩٨٧, ٩/٢٥١

ت– استبعد عدد من المستشرقين أن يكون القرآن أخطأ في هذا المقام وإن كانوا مع ذلك يردّون إلهيّة النص القرآني، ومن هؤلاء المنصّر «صاموئيل زويمر» المعروف بتكلّفه الشديد في الطعن في الإسلام، والسبب هو أنّ التثليث النصراني معروف، ومن الممتنع في مجرى العادة أن يخطئ في وصفه من عاش في بيئة العرب كما يقول «زويمر» (انظر؛ Samuel Zwemer, *The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition,* pp.٨٨-٩٢)

وهو ما رجحته «موسوعة الإسلام» «*Encyclopaedia of Islam*» الاستشراقية بقولها إنّ هذه الآية تعكس ممارسة تقديس «مريم»، ولا تشير إلى أي اعتقاد ديني خاص (انظر؛ A. J. Wensinck, '*Maryam*,' in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, ٢٠١٠)

(٣) يذكر القرآن الكريم أنّ النصارى يؤلهون علماءهم ورهبانهم.

وذهب «تور أندري» إلى ردّ تاريخيّة قصّة التقاء الرسول ﷺ «ببحيرى» الراهب، محتجًا بأمرين أساسيين وهما أنّ الرسول ﷺ لم يُظهر معرفة بالأحوال الشكليّة الخارجيّة للنصارى، وأنّ ما ذكره في القرآن الكريم عن النصرانيّة فيه ضعف وغلط (!) لا يظهران معرفة جيدة بالنصرانيّة[٧٨٨].. في حين ذهب «الهش...» في المقابل إلى أنّ الرسول ﷺ عظيم المعرفة بالأسفار المقدّسة، و(متخصص) في الدراسات الكتابيّة الخاصة بالكنيسة السوريّة، وصاحب مطالعات جمّة في الآبائيات، خاصة المؤلّفات الضخمة «لأفرام»!!

الغنوصيون، وآباء الكنيسة السورية وتحريف اليهود:

قال «الهش...» بعد أن اختلط عليه أمر معرفة «كوعه» من «كرسوعه»: «أمّا اتّهام اليهود في القرآن بأنّهم حوّروا الكتاب فهي (كذا!) أيضًا من تراث اللاهوتيين السوريين مرورًا بالغنوصيين القدامى، وهؤلاء كانوا من أعداء التراث اليهودي. فتهمة القرآن لليهود لا ترجع فقط إلى كونهم فسخوا التنبؤ بالرسول كما ترى ذلك التفاسير، بل هي أعمّ وأعمق وترجع إلى عهد قديم وقد تبنّتها على أيّة حال الكنيسة السوريّة.»[٧٨٩]

النص المستدل به من طرف هؤلاء المخالفين هو: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة التوبة/ الآية (٣١)

الردّ:

أ- فسّر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بنفسه هذا النصّ؛ فقد روى «الترمذي» عن «عدي بن حاتم» قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن. وسمعته يقرأ في سورة براءة{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} . قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه.» (حسنّه الألباني). فالعبادة هنا هي الطاعة في التحليل والتحريم.

ب- الظنّ أنّ عرب الجزيرة كانوا يعتقدون أنّ النصارى يؤمنون أنّ علماءهم ورهبانهم آلهة أزليّة، لا يمكن تصوّره أصلًا لنكارته الشديدة!

[٧٨٨] انظر؛ Tor Andrae, *Mahomet, sa Vie et sa Doctrine*, Paris: Adrien-Maisonneuve, ١٩٤٥, pp.٣٦-٣٧, ,

[٧٨٩] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٧٤/٢

قلت: هنا، (محنة العقل) (وانقطاع أبهره) .. إنّ «الهش...» يحتاج بحقّ (رقية شرعية)، وإن زيد له من (كريم، سخي النفس) بعض دروس —بل قل «كورسات»– في النقد الكتابي والآبائيات وتاريخ الكنيسة، فذاك (زيادة) في العطاء لعليل أسكره (هواه) وأغراه (جهله) على أن يرسل (لسانه) في غير ميدانه ..

وأقول:

١ – هل أطبق الغنوصيون على القول بتحريف اليهود لأسفارهم؟ طبعًا لا! والسبب هو أنّ (الغنوصيّة) ليست فرقة محدّدة المعالم، بل هي وعاء لجماعات دينية ذات منظور اتّسعت فيه دائرة الخلاف إلى درجة العجز عن ضبط حدوده، وسبب ذلك انطلاق النقاد في ضبط ماهية الغنوصية من مجموع الأقوال والفرق التي عدّها الآباء غنوصيّة، ولم ينضبط إلى اليوم عند عامة النقّاد المتخصّصين تعريف للغنوصيّة![٧٩٠]

٢ – اعتبر الكثير من النقاد إنجيل يوحنا غنوصيًا أو حاملا لمسحة غنوصيّة، ومع ذلك لم يقل أحد إن هذا الإنجيل يقرّر تحريف اليهود أسفارهم.

بل وقالت «إلين باجلز» « *Elaine Pagels* » أستاذة الدين في جامعة «برنستون» وإحدى أشهر المتخصصات في الفكر الغنوصي في العالم[٧٩١]، إنّ «بولس» كان غنوصيًا وإنّ كتاباته التي تظهر معاداته للغنوصيّة، مزيّفة لا تصحّ نسبتها إليه[٧٩٢]. ومع ذلك لا نرى أثرًا في رسائله لاتهام اليهود بتحريف النصوص. ولا شكّ أنّ غنوصيّة «بولس» حقيقة مؤكدة في رسائله!

---

[٧٩٠] انظر في إشكالات ضبط ماهيّة الغنوصيّة؛ Karen L. King, *What is Gnosticism?*, Cambridge: Harvard University Press, ٢٠٠٣,pp. ٥-١٩

[٧٩١] من مؤلّفاتها في الغنوصيّة: *The Gnostic Gospels* (١٩٧٩), *Adam, Eve and the Serpent* (١٩٨٨), *The Origin of Satan* (١٩٩٥), *Beyond Belief: The Secret Gospel of Thomas* (٢٠٠٣), *Reading Judas: The Gospel of Judas and the Shaping of Christianity* (٢٠٠٧).

[٧٩٢] انظر؛ Elaine Pagels, *The Gnostic Paul: gnostic exegesis of the Pauline letters*, Continuum International Publishing Group, ١٩٩٢

٣ - لم يكن الغنوصيون مصدر القول بتحريف اليهود لكتبهم، وإنّما كان فريق من الغنوصيين (كالمرقيونيين) يردّون العهد القديم **بأكمله** باعتبار أنه كتاب يقدّم الإله في صورة تخالف صورة الإله الذي يمثّله المسيح[٧٩٣]، ولما كان العهد الجديد يقرّ بحجيّة العهد القديم؛ فقد قالوا بتحريف العهد الجديد نفسه[٧٩٤] .. وبالتالي «فمرقيون» لا يعترف بالعهد القديم لا أنه يقول بتحريفه، ولا يمكن البتّة الربط بينه وبين الآباء السريان، إلاّ عند مثقفي آخر (زمان) .. ورحم الله العلم الممتهن في هذ الزمان!!

٤ - قول «الهش..» إنّ الكنيسة السوريّة قد تبنّت (بهذا الإطلاق) القول بتحريف اليهود لأسفارهم دليل على أنه لا يعرف شيئًا (ولا شيء من الشيء) عن (الكنيسة السوريّة) إذ إنّ (الكنيسة السوريّة) قد قبلت العهد القديم اليهودي بأسفاره وألفاظه كاملًا —في ترجمته السبعينية– باعتبار ذلك أحد أصول (استقامتها) المقابلة لهرطقات بعض المارقين عن الإيمان الحقّ!

ولو أنّه قرأ في أدبيات الدفاعيين السريان؛ لعلم أنّهم كانوا كثيرا ما ينكرون علي المسلمين قولهم تحريف العهد القديم، وممّا استدلّوا به لذلك، أنّ العداوة بين اليهود والنصارى تمنع اتفاقهم على تحريف هذه الأسفار.[٧٩٥]

---

[٧٩٣] انظر؛ Sidney Greidanus, *Preaching Christ from the Old Testament: A Contemporary Hermeneutical Method*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٩, pp.١٨-١٩

[٧٩٤] انظر؛ Oskar Skarsaune, *In the Shadow of the Temple: Jewish Influences on Early Christianity*, IL:InterVarsity Press, ٢٠٠٢, p.٢٥٥

[٧٩٥] انظر؛ Sidney Griffth, '*Jews and Muslims in Christian Syriac and Arabic texts of the ninth century*,' in *Jewish History*, Volume ٣, Number ١, March, ١٩٨٨, pp.٦٧-٦٩

٥ – ظهرت تهمة التحريف بين اليهود أنفسهم، فهذه طائفة اليهود السامريين تردّ كلّ العهد القديم، باستثناء أسفاره الخمسة الأولى.[٧٩٦]

٦ – اليهود هم أساسًا من يتّهمون النصارى بقبول أسفار يهوديّة غير موحى بها من الربّ، وهي «أبوكريفا العهد القديم» التي ردّها معهم البروتستانت حين نشوئهم!

٧ – ظهر القول بالتحريف بين النصارى بصورة مبكّرة ولم يكن البتّة مخصوصًا بالآباء السريان ولا الغنوصيين، وحجّة هؤلاء **الأساسيّة** هي تحريف اليهود للبشارة بالمسيح؛ إذ إنّ النزاع قد قام في القرون الأولى بين النصارى الذين قبلوا الترجمة السبعينيّة اليونانيّة واليهود الذين أخذوا النصّ العبري، وكما يقول الناقد «موسى ستيوارت» «Moses Stuart»[٧٩٧] فإنّه «في الجدل بين اليهود الذين لم يتحوّلوا إلى المسيحيّة، والمسيحيين، حول معنى نبوءات العهد القديم عن المسيح، **اتّهم اليهود** الترجمة السبعينيّة أنّها ترجمة محرّفة، في حين **اتّهم العديد من الكتاب المسيحيين** اليهود بتحريف الأسفار العبريّة.»[٧٩٨]

---

[٧٩٦] تذكر بعض الكتب العربيّة أنّ السامريين يلحقون سفر يشوع بقائمة الأسفار القانونيّة، وهذا خطأ (انظر؛ Carl Friedrich Keil, *Manual of historico-critical introduction to the canonical Scriptures of the Old Testament*, tr. George C. M. Douglas, (Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٠, ٢/٣٤٤

[٧٩٧] موسى ستيوارت (١٧٨٠م–١٨٥٢م): عالم كتابي أمريكي. أستاذ الكتابات المقدسة في (Andover Theological School). له عدد من المؤلّفات في شرح أسفار من الكتاب المقدس.

[٧٩٨] M. Stuart, '*Inquiry Respecting the Origianl Language of Matthew's Gospel, and the Genuinness of the First Two Chapters of the Same…*,' in *The American Biblical Respository*, New York: Gould and Newman, ١٨٣٨, ١٢/١٦٢

ومعلوم لمن قرأ شيئًا (أو بعض الشيء) في الجدل الديني النصراني-اليهودي المبكّر، اتهام قدّيس الكنيسة «جستين» النصراني، «لتريفو» اليهودي-في ردّه الشهير عليه الذي ألّف في القرن الثاني ميلاديًّا- بتحريف اليهود لترجمة العهد القديم: «... لكنّني بعيد عن أن أضع ثقتي في أساتذتك (اليهود) الذين يرفضون قبول صحّة التفسير الذي قدّمه السبعون شيخًا الذين كانوا مع بطليموس (ملك) المصريين، وقد حاولوا اختلاق آخر. وأريد منك أن تلاحظ أنّهم قد **حذفوا** (περιειλον) **العديد من نصوص** الترجمات التي أنجزها هؤلاء الشيوخ السبعين الذين كانوا مع بطليموس، والتي أعلن فيها صراحة أنّ هذا الرجل الذي صُلب هو إله وإنسان، وأنّه صُلِب ومات.»[٧٩٩]

ولما طلب «تريفو» التفصيل في أمر هذا التحريف؛ ذكر له «جستين» نصوصًا من سفر عزرا، وإرمياء، والمزامير.[٨٠٠]

وقد اتهم قديس الكنيسة «يوحنا ذهبي الفم»-وهو من أعلام الآباء اليونان- أيضًا اليهود بتحريفهم كتبهم وإفسادها في تعليقه على نص متّى ٢/٣٢.[٨٠١]

وقد قلت سابقًا إنّ الحجّة (الأساسيّة) لاتهام اليهود بالتحريف هي إخفاء خبر (يسوع المسيح) .. وهناك حجج أخرى تكشفها أقوال الآباء أنفسهم؛ فقد جاء في كتاب أصدرته الكنيسة المرقسيّة المصريّة، واسمه: «العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندريّة»: «أمّا سبب غياب بعض

---

[٧٩٩] Justin Martyr, '*Dialogue With Trypho*, ٧١' in *The Ante-Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥, ١/٢٣٤
النص اليوناني: S. Justin, *Philosophi et Martyris cum Tryphone Judaeo Dialogus*, ed. W. Trollope, Cambridge: J. Hall, ١٨٤٦, ١/١٤٥, p.١٤٥.. وقد أشار محقق هذه النسخة في الهامش إلى أن «يوسابيوس» قد ذكر نفس التهمة في تاريخه ٤. ١٨؛ وهو كما قال!

[٨٠٠] انظر؛ المصدر السابق، ١/٢٣٤-٢٣٥

[٨٠١] انظر؛ John Chrysostom, '*Homily X*,' in *Nicene and post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, ١٨٨٨, ٥ /٥٨-٥٩

الأسفار اليونانية من العهد القديم العبري لدى اليهود فيرجع . حسب تعليل أوريجانوس . إلى رغبتهم في إخفاء كل ما يمس رؤساءهم وشيوخهم، كما هو مذكور في بداية خبر سوسنا: «وعُيّن للقضاء في تلك السنة شيخان من الشعب وهما اللذان تكلم الرب عنهما أنه خرج الإثم من بابل من القضاة الشيوخ.» ويقدّم أمثلة من الأنجيل لتأكيد ما يقوله، حيث يخاطب السيد المسيح الكتبة والفريسيين بقوله: «لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (متى ٢٣ / ٣٥) فالسيد المسيح هنا يتكلم عن وقائع حدثت، كما يكتب أوريجانوس، ومع ذلك لم تذكر في العهد القديم. ثم يتساءل: أين جاء في الأسفار المقدسة شيء عن الأنبياء الذين قتلهم اليهود؟ ثم يورد أوريجانوس مثلًا آخر من رسالة العبرانيين: « آخرون تجرّبوا ... نُشروا، جُرِّبوا ماتوا قتلًا بالسيف.» عب ١١ / ٣٦ و٣٧ لأنّه معروف في التقليد اليهودي خارجًا عن الأسفار العبرية أن أشعياء النبي فقط هو الذي نُشر بالمنشار.»[٨٠٢]

لكن «الهش...» لا يقرأ .. ولا يعلم من العلم الذي يدّعي به علمًا قدر لمعة، ولو أنّه كان يعلم العلم الذي يزعم العلم به؛ لما أبان عن جهله بهذا العلم الذي يعلم هو نفسه ألا سبيل لتعليمه الناس إلاّ بالعلم بمقدماته ومواضيعه ..!!

إنّها عقول عليلّة أعلّها استعلاؤها بغير ما يُعليها على من تستعلي عليهم!

وصدق القائل: أهل (العقول)، في طمأنينة، وسكينة، وراحة، ونعيم .. واسترخاء!

٨ – قصرُ «الهش...» قول المفسّرين بتحريف اليهود أسفارهم، على محو البشارة بالرسول ﷺ، دليل على أنّه لم يقرأ هذه التفاسير، فقد نص غير واحد منهم على تحريف العقائد، والشرائع، والمنظومة الأخلاقيّة، وقصص الخلق، وسير الأنبياء ...

---

[٨٠٢] العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندريّة، دار مجلة مرقس، ١٩٩٤م، ص ٥٧-٥٨ (نقله؛ علي الريس، تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، نسخة إلكترونيّة)

الليتورجيات والبسملة:

قال «الهش...» : «... البدء بـ«بسم الله» للسور وُجِد قبل في «الليتورجيا» اليهوديّة والمسيحيّة (زبور ٢٠/٨، ومتّى ٣٩/٢٣)[٨٠٣]

قلت:

١ -السور القرآنية تبدأ بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» لا «بسم الله» .. وفرق بين الاثنين، خاصة إذا تعلّق الأمر بالحديث عن نسبة كتاب إلى الاقتباس من غيره!

٢ -البداءة بالبسملة معروفة في الكتابات الدينية القديمة المدّعى لها القداسة؛ إذ هي إعلان لافتتاح قراءةِ كلام مميّز في أصله ومبناه، وليست هي من (غرائب) اليهوديّة ولا (فرائد) النصرانيّة ولا (نوادر) المجوسيّة ...

٣ -نص العدد الثامن من المزمور ٢٠ الذي قصده «الهش...» موجود في الكثير من التراجم في العدد السابع، وهو يقول: «يتّكل هؤلاء على مركبات الحرب، وأولئك على الخيل. أما نحن فنتّكل على اسم الرب إلهنا».

عبارة: «باسم إلهنا» هي في الأصل العبري «**בשם-יהוה אלהינו**» (بشيم يهوه إلوهينو): «باسم يهوه إلهنا»، وهذا النصّ :

- **أولا**: لا تعلّق له بالليتورجيا؛ إذ إنّ مصطلح «الليتورجيا» هو مقابل الكلمة الإنجليزيّة «Liturgy» التي أصلها الكلمة اليونانيّة «λειτουργία» «ليتورجيا» والتي هي بدورها اتحاد كلمة «λαός» «لاؤس» (شعب) وجذر «ἔργο» «إرجو» (فعل) و(قام)، واصطلاحًا: الطقس الديني التعبدي؛ إذ المزمور بأكمله يتحدّث عن «مسيح الربّ» (داود؟) الذي ينقذه الربّ من أعدائه ويحبط ما يحيكون له من شرّ، في إطار تصويري حربي .. ولست أدري —حقيقة- هل يعرف «الهش..»

---
[٨٠٣] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٧٩/٢

معنى الاصطلاحات الأعجميّة للقاموس الديني النصراني، أمّ أنّه يستكثر من الألفاظ حتى (ينبهر) القارئ (اندهاشًا) و(يندهش) (انبهارًا) بما يقول —أقصد (ينقل)!-؟!!

- **ثانيًا**: لا يوجد تطابق بين «بسم الله الرحمن الرحيم» في مبتدأ السور القرآنيّة بما فيها من افتتاح وتمجيد ودعاء، وقول صاحب المزمور إنّه يتّكل على (اسم) الربّ أي سلطانه وقوّته؟!
- **ثالثًا**: البسملة موصولة بمعاني الرحمة (الرحمن الرحيم)، أمّا ما جاء في المزمور فموصول برحمة الربّ بصاحب المزمور، وبدرجة أعظم (انتقامه من أعدائه)!

٤ -نصّ متّى ٣٩/٢٣: «فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن، حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب!»

هذا النصّ:

أولا: لا تعلّق له بالليتورجيا!؟!

ثانيا: لم تبدأ به النصوص النصرانيّة المقدّسة.

ثالثا: البسملة القرآنيّة تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، أمّا نصّ متّى فيقول: «بسم الربّ» «εν ονοματι κυριου» (إن أُنوماتي كيريو)، وقد اعتُبر ما جاء في مخطوطة بيزا «بسم «الله» «θεου» (ثيو) » قراءة شاذة؛ ولذلك ردّت كلّ الترجمات المعروفة أصالته.

رابعًا: لا علاقة البتّة لهذا النصّ بالمعنى القرآني المقصود للبسملة؛ إذ إنّ معنى البسملة على المشهور هو الابتداء باسم الله ذي الرحمة الواسعة، الراحم لخلقه، في قراءة القرآن الكريم طلبًا للبركة[٨٠٤]، في حين أنّ معنى ما جاء في متّى ٣٩/٢٣ في

---

[٨٠٤] انظر؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ١٦/١-١٩

الفهم الكنسي متعلّق بعودة المسيح في آخر الزمان[٨٠٥]، ومرتبط بمفهوم الخلاص الذي يقدّمه المسيح[٨٠٦] حيث يأتي كممثّل (لله الآب)!

خامسًا: نصّ متّى ٣٩/٢٣ مقتبس في الأصل من المزمور ٢٦/١١٨، وهو في سياقه كاشف ألاّ تعلّق له بالليتورجيا ولا ببداءة قراءة النصوص الدينيّة: «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من لدى الرب كان هذا، وهو مدهش في أعيننا. هذا هو اليوم الذي أعده الرب، فيه نبتهج ونفرح. آه يارب خلص. يارب اكفل لنا النجاح. **مبارك الآتي باسم الرب**. باركناكم من بيت الرب.»[٨٠٧] **!!**

حسرة الكافرين

قال «الهش..»: «في هذا اليوم، يكون الإنسان وحيدًا يحمل وزره وعبئه، لا يعينه على ذلك أب ولا أم ولا أخ ولا ولد، ولا وجود لأيّة شفاعة. والآثمون يتلوّمون من استهزائهم بالوحي والهدى فيقولون: «كيف استهزأنا عند سماعنا للكتاب المقدّس (المقدس) ». والقرآن عبّر عن نفس الفكرة في عديد المواقع.»[٨٠٨]

قلت: قد انتقل «الهش» هنا من (التحريف) إلى (التخريف)، ومن (البلادة العقليّة) الغرّة إلى (التبالد الذهني) المرّ!

الرسول ﷺ لم يوح إليه في أمر حال الكافرين شيء، وإنّما كان ينقل هنا عن «أفرام»**!؟؟**

السبيل الوحيد لإثبات أنّ الرسول ﷺ لم يأخذ عن «أفرام» ولا عن غيره من قديسي النصارى السريان؛ هو أن يقول –صلوات ربّي وسلامه عليه– إنّ الكافرين عند الحساب يكونون في غاية

---

[٨٠٥] انظر؛ St. John Chrysostom, *Homily LXXIV*, in *Nicene and Post Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, ١٨٨٨ ,١٠ /٤٤٧-٤٤٨

[٨٠٦] انظر؛ St. Jerome, *Commmentary on Matthew*, tr. Thomas P. Scheck, CUA Press, ٢٠٠٨ , p.٢٣٤

[٨٠٧] مزمور ٢٢/١١٨-٢٦

[٨٠٨] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٦٨/٢

(السرور)، وفي منتهى (السعادة)، وفي غاية (الالتذاذ)؛ حتّى إنّ الواحد منهم يدخل يده كاملة من فتحة أنفه اليمنى ويخرجها من تحت حاجبه الأيسر تعبيرًا عن نشوته بدخول جهنّم، وربّما أرسل إلى خلاّنه الذين سيرافقونها في رحلة (الشوي الجهنّميّة) رسائل (SMS)؛يبشرّهم بهلاكهم المؤّكد وعذابهم المؤبّد!؟

وقد كرّر «الهش...» هذا (الهذر) أيضًا في قوله إنّ محمدًا ﷺ قد أخذ عن «أفرام» وصف المعرضين عن الوحي أنّهم في غفلة عن الساعة وانغماس في متاع الدنيا الزائل[809].. ربّما كان على الرسول ﷺ حتّى يثبت أصالة كلامه وربانيّته أن يمدح عبّاد الأوثان ويسرف في تمجيد إغفالهم ليوم الحساب وأمر المآب!!؟

إنّني على يقين أنّ جهل هذا «الهش» يحتاج إلى رجل (سرّه باتع) في الكرامات والخوارق؛ إذ إنّ الانتقال من (الوادي) إلى (السفح) في «لمح البصر» يحتاج دون ريب إلى مَدد من الربّ -جلّ وعلا-!

(الله) إله وثني!

الظرافة (البليدة) هذه المرّة، هي قول «الهش ...» إنّ «الله» ربّ العالمين الذي بَرَأنا ونحن له من العابدين، ليس إلاّ (إلهًا وثنيًا صنعته قريش ثم عبدته، بعد أن استعارت شيئًا من صفاته من الوثنيين السابقين، ثم تمّ (مزجه) بالإله الآب (الرحمن) النصراني)!!

قال «الهش ...»: «الآلهة الكبرى المعروفة في الحجاز زمن البعثة كانت موجودة من قديم لدى النبط: آل= ألاه= الله بعد تطوّر الكلمة... هذه كلّها آلهة عربيّة في تلك الفترة، ولو أنّها ترمي بعروقها في تراث سامي مشترك.»[810]

«إنّ شخصية الإله السماوي «الله»، وهي تسمية قديمة جدًا نجدها في نقوش أوغاريت/رأس الشمرة حوالي ١٤٠٠ ق.م على شكل «آل»، هذه الشخصيّة القديمة في التراث السامي ما

---

[809] انظر؛ هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٧١-١٧٢، وقد حاول ألاّ يظهر أنّه يقطع بالاقتباس، لكنّ صيغة كلامه توحي بترجيح هذا الأمر!

[810] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٩٦/٢

قبل الموسوي (إيلوهيم) صارت تستعمل حديثًا للتعبير عن الإله الأعلى لدى الثموديين (ألاَهَ أبتر في نقوش القرن الثالث ق.م) أو لدى مسيحيي سوريا من السريان (إلاهَ أو ألاه)، وهو الله عند عرب الجاهليّة. هذه الكلمة قديمة وصميمة في التراث السامي، لكن المحتوى تطوّر. وهذا الإله غلب على غيره في اليهوديّة والمسيحية، وهي أديان سامية، والعرب بذاتهم ساميون يعيشون في نفس المنطقة.»[811]

«بما أنّ القرآن اتّجه نحو توحيد صارم يرجع إلى الخالق، فهو يبتعد بقوّة عن المسيحيّة ويتّخذ موقف إنكار من مماهاة الله بالمسيح، وهنا مفهوم الرحمان يلعب دوره، فنحن نجده في الأدبيات المسيحيّة اليمنيّة، لكنّ أندري يعتبر أنّه انتقل من الشمال، من سوريا. **والكلمة تعني الإله- الأب بالنسبة للمسيحيين في التثليث، ومحمد يعتمده لمماهاة إلهه بالخالق الأصلي مع إنكار أي تجسيد وأي بنوّة.** فالإسلام رجوع إلى الإله الأصلي المتعالي، من فوق المسيحيّة، مع أنّه ليس رجوعًا إلى اليهوديّة الوطنيّة. ولم يكن القرشيون يعرفون الرحمان، فيقولون: «وما الرحمن»، إنما يعرفون الله الإله السماوي العالي إذ هو من تراثهم العتيق. **فالقرآن أراد المماهاة بين الله وألاه وبين الرحمان المسيحي،** أي تجاوز ال «ألله» القرشي الذي له جذور وثنيّة، وبالتالي ربط الصلة مع المسيحيّة مع إنكار التجسيد.»[812]

قلت .. هنا .. أخطاء لا تغتفر .. ورتوق لا تلتئم!!

أولا: من البيّن أن «الهش..» قد أراد أن يجمع بين (شطحات) المستشرقين، متكثّرًا منها، لكنه قد غفل عن أنّها أفكار مبعثرة لا تجتمع، وأنّ عمدتها الأولى: الحدس، والظنّ، والتكلّف في الدعوى!

ثانيا: يزعم «الهش...» أنّ «الله»–سبحانه– إلهٌ قرشي وثني، وأنّ له أصولًا ساميّة عريقة، دون أن ينفذ إلى دلالة استعمال هذا الاسم عند الأمم الساميّة القديمة، كما أنّه لم يذكر أصل هذا الاسم في (بدايته) عند الساميين!

---

[811] المصدر السابق، ٢/٩١-٩٢

[812] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٨٠

فهل هذا الاسم حديث مبتكر؟ وهل هو صريح الدلالة على الآلهة الوثنيّة ؟!

الجواب: يذكر الناقد «ج. هـ. بارك-تايلر» «G. H. Parke-Taylor» أنّ جميع الشعوب الساميّة-باستثناء الأثيوبيّين- تستعمل كلمة «إل» للدلالة بصورة عامة على المعبود[٨١٣]، وهو اسم «يمثّل أحد أقدم الأسماء المستعملة للألوهيّة **في العالم القديم**.»[٨١٤]، فهو في العبريّة «**אלה**» «إلوهي»، وفي الآراميّة «**אלה**» «إلاه»، وفي السريانيّة «**ܐܠܗܐ**»، «ألاها»، وفي السبئيّة «𐩱𐩡𐩠».[٨١٥]

وتخبرنا النقوش الأثريّة السابقة للإسلام عن جذر: (الألف) و(اللام) و(الهاء)، في دلالته على معنى (الإله):

ا ل هـ: ورد هذا الاسم المفرد المذكر المطلق بمعنى **إله** في النقوش الساميّة: الآراميّة القديمة، والآراميّة الدوليّة، والحضريّة، والآراميّة الفلسطينيّة، والسبئيّة، والقتبانيّة.

ا ل هـ: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف بمعنى **إله** بشكل مكثّف في النقوش النبطيّة. وقد جاء بهذه الصيغة في النقوش الساميّة الأخرى: الآراميّة الدوليّة، والتدمريّة، والسبئيّة.

ا ل هـ ا: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المعرّف بمعنى **الإله** بشكل مكثّف في النقوش النبطيّة، وهو معروف بهذه الصيغة في النقوش الساميّة الأخرى مثل النقوش الآراميّة الدوليّة، والتدمريّة، والحضريّة، والسبئيّة بصيغة ا ل هـ ن.

---

[٨١٣] انظر: G. H. Parke-Taylor, *Yahweh: The Divine Name in the Bible,* Ontario: Wilfrid Laurier University Press, 1975, p.35

[٨١٤] Watson E. Mills, eds. *Mercer Dictionary of the Bible*, Mercer University Press, ١٩٩٠, p.٢٤٠

[٨١٥] Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, p.٦٦

ا ل هـ ي ا: ورد هذا الاسم الجمع المذكّر المعرفة بمعنى **آلهة** في النقوش النبطيّة، وفي معظم النقوش الساميّة الأخرى، مثل النقوش الآراميّة القديمة، والآراميّة الدوليّة، والتدمريّة. أمّا في الحضرية فورد بصيغة ا ل هـ ا بدون الياء.

ا ل هـ ي: اسم جمع مذكر مضاف بمعنى **آلهة**، وهو معروف بهذه الصيغة في النقوش العبريّة القديمة، والآراميّة القديمة، والآراميّة الدوليّة، والتدمريّة.

ا ل هـ ي: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف، مع ياء المتكلّم في النقوش النبطيّة بمعنى **إلهي**.

ا ل هـ هـ م: ورد هذا الاسم المفرد المذكّر المضاف، مع الضمير المتصل الجمع المذكر للغائبين في النقوش النبطيّة بمعنى **إلههم**. وعُرف في النقوش التدميرية بصيغة ا ل هـ ي هـ و ن.

ا ل هـ ت: ورد هذا الاسم المفرد المؤنّث المضاف في النقوش النبطيّة بمعنى **إلهة**. وقد عُرف بهذه الصيغة في النقوش السبئيّة.

ا ل هـ ت ا: ورد هذا الاسم المفرد المؤنث المعرف في النقوش النبطيّة بمعنى **الإلهة**، وقد جاء بهذه الصيغة في النقوش الآراميّة الدوليّة.

ا ل هـ ت هـ م: ورد هذا الاسم المفرد المؤنث المضاف إلى الضمير المتصل الجمع المذكّر للغائبين في النقوش النبطيّة بمعنى **إلهتهم**.[٨١٦]

---

[٨١٦] انظر؛ سليمان بن عبد الرحمن الذييب، المعجم النبطي، دراسة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ١٨-٢١

وقد أثبتت النقوش المكتشفة أنّ كلمة «إل» كانت تستعمل في أحيان كثيرة كجزء من اسم مركّب للآلهة ك : «إل ملك» بمعنى الإله الملِك، و«إل دن» أي الإله القاضي/الديّان كما في النقوش الأوغاريتيّة[٨١٧]؛ **ممّا يؤكد دلالة «إل» على معنى الألوهيّة في ذاتها**، وإن ركّبت في أسماء آلهة بعينها أو أطلقت على الآلهة الكبرى.

وقد كان «إل» على رأس الآلهة الكنعانيّة[٨١٨]، وسمّي «بأبي الآلهة»[٨١٩] ، و«من الواضح أنّ هذا الإله كان ينظر إليه على أنّه الإله الخالق» [٨٢٠]، وظهر هذا الاسم في «إلوهيم» في اليهوديّة و«ألاها» في الكنيسة السوريّة على أنّهما اسم الإله الحقّ، وكذلك الأمر في الإسلام، حيث لفظ الجلالة «الله» هو اسم الإله الواحد الأحد! فما دلالة ذلك؟

الدلالة تبدو واضحة في أنّ عرب الجاهليّة كانوا يعلمون دلالة كلمتي «إل» و«إله» على معنى الألوهيّة، وكانوا يعتقدون أنّ للكون إلهًا واحدًا خالقًا، وأنّ هناك آلهة أخرى وسيطة بينهم وبينه؛ ولذلك فقد ميّزوا بين الإله الذي له الخلق، والآلهة (الأدنى) الوسيطة؛ فألحقوا أداة التعريف (ال) بكلمة (إله) تمييزًا لهذا (الإله) عن غيره؛ فكان الاسم بعد الإدغام: الإله=الله، بعد حذف الهمزة، وهو ما عليه عامة علماء المسلمين؛ ولذلك قال «ابن القيم» رحمه الله: «ولهذا كان القول

---

[٨١٧] انظر؛ G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren and Heinz-Josef Fabry, eds. *Theological Dictionary of the Old Testament*, art. *Elyon*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٧٤, ١١/١٣٠

[٨١٨] انظر؛ Watson E. Mills, eds. *Mercer Dictionary of the Bible*, Mercer University Press, ١٩٩٠, p.٧٤٦

[٨١٩] انظر؛ E. Theodore Mullen, *The Divine Council in Canaanite and Early Hebrew Literature*, Scholars Press, ١٩٨٠,p.١٥

[٨٢٠] المصدر السابق

الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذّ منهم.»[٨٢١] وقال «ابن منظور»: «روى المنذري عن أبي الهيثم أنّه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة، فقال: كان حقّه إلاه، أدخلت الألف واللام تعريفًا فقيل ألإلاه. ثم حذفت العرب الهمزة استثقالًا لها. فلما تركوا الهمزة حوّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف. وذهبت الهمزة أصلًا، فقالوا (ألِلاه). فحرّكوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة. ثم التقى لامان متحركان فأدغموا الأولى في الثانية، فقالوا (الله).»[٨٢٢]

وبالنظر في القرآن الكريم، بإمكاننا أن نستبين هذا المعنى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٨٢٣] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٨٢٤].. وهنا دلالة واضحة على تمييز عرب الجاهليّة بين «الله» صاحب الخلق والسلطان، و(الآلهة) الأخرى!

---

[٨٢١] ابن القيم, بدائع الفوائد، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ٤٧٣/٢

[٨٢٢] ابن منظور، لسان العرب، ٤٦٧/١٣

[٨٢٣] سورة العنكبوت/ الآية (٦١)

[٨٢٤] سورة العنكبوت/ الآية (٦٣)

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[825].. فالأوثان ليست بالآلهة التي بيدها الأمر، وإنما هي وسائط إلى الإله الواحد الذي خلق الكون، وتخضع لسلطانه الكائنات.

وإذا نظرنا إلى دلالة الجذر «أ-ل» على معنى التأليه والألوهيّة في الأسفار الخمسة التي تنسب إلى «موسى» عليه السلام، والتي تعتبر وثيقة دينية/تاريخيّة هامة في هذا الشأن، وبقيّة الأسفار الكتابيّة التالية لها؛ ازددنا يقينًا بالتحليل السابق، إذ إننا نقرأ مثلًا:

-التكوين ٤٦/٣:

«**ויאמר**، **אנכי** **<u>האל</u>** (هاإيل) **אלהי אביך**»

«فقال: «أنا هو <u>الله</u>، إله أبيك»

- ٢صموئيل ٢٢/٣١

«**<u>האל</u>**(هاإيل)، **תמים דרכו**»

«طريقه <u>الله</u> كامل»

- ٢صموئيل ٢٢/٣٣

«**<u>האל</u>**(هاإيل) **מעוזי**، **חיל**»

«<u>الله</u> ملجئي الحصين»

-٢صموئيل ٢٢/٤٨

«**<u>האל</u>**(هاإيل)، **הנתן נקמת לי**»

---

[825] سورة الزمر/ الآية (٣)

«الله ينتقم لي»

- مزمور ١٩/٦٨

«**ברוך אדני, יום יום: יעמס-לנו--האל** (هاإيل) **ישועתנו**»

«تبارك الرب الذي يحمل أثقالنا يوما فيوما. إنه إله خلاصنا (الترجمة الحرفيّة: الإله، خلاصنا)»

- مزمور ٢٠/٦٨:

«**האל לנו** (هاإيل لانو- حرفيًا: الإلهنا)، **אל למושעות: וליהוה אדני--למות, תצאות**»

«إلهنا هو إله الخلاص، وعند الرب السيد منافذ من الموت»

النصوص السابقة تتحدّث عن الإله الحقّ، فتعتمد أداة التعريف العبريّة (ها) (**ה**) مع كلمة «إيل» «**אל**» .. وهي نفس التسمية العربيّة «ال»+ «إله»= «الله»

- العدد ١٣/١٢

«**ויצעק משה, אל-יהוה לאמר: אל** «إيل»، **נא רפא נא לה**.»

«فصرخ موسى إلى الرب وقال: «اللهم اشفها**!**»

- المزمور ١٢/٧

«**אלהים, שופט צדיק; ואל** «إيل»، **זעם בכל-יום**»

«الله قاض عادل، وإله يتوعد كل يوم.»

- هوشع ٩/١١

«**לא אעשה חרון אפי, לא אשוב לשחת אפרים: כי אל** «إيل» **אנכי, ולא-איש**»

«لن أنفذ فيهم قضاء احتدام غضبي، ولن أدمر أفرايم ثانية، لأني الله لا إنسان،»

وردت كلمة «إيل» «**אל**» في النصوص السابقة دالة على الإله الحق دون أداة تعريف.

- الخروج ١٥/٢:

«**עזי וזמרת יה, ויהי-לי לישועה; זה אלי** (إلهي) **ואנוהו, אלהי אבי וארממנהו**»

«الرب عزتي وتسبيحي.جاء فخلصني.أمدحه فهو إلهي.إله آبائي تعالى.»

مزمور ١٨/٣:

«**אלי** (إلهي) **צורי**»

«إلهي صخرتي.»

إشعياء ٤٤/١٧:

«**ושאריתו, לאל עשה לפסלו; יסגוד לו וישתחו, ויתפלל אליו, ויאמר הצילני, כי אלי** (إلهي) **אתה**»

«وأما نصفه الآخر فيصنع منه تمثال إله ويسجد له ويركع ويصلي ويقول: «أنقذني، فأنت إلهي!».»

النصوص السابقة دالة على نسبة الإله إلى المتحدث باعتبار المتحدث عابدًا وخاضعًا لهذا الإله.

- الخروج ٣٤/١٤:

«**כי לא תשתחוה, לאל אחר** (لإيل أحير»)

«إياكم أن تعبدوا إلهًا آخر غيري» .. فالربّ المعبود الحقّ هو أحد الآلهة التي يعبدها البشر.

- الخروج ١٥/١١:

«**מי-כמכה באלם** (إيلِم) **יהוה**»

«فمن مثلك يارب بين كل الآلهة؟»

– دانيال ١١/٣٦:

«**ועשה כרצנו המלך، ויתרומם ויתגדל על-כל-אל** (كول إيل)، **ועל אל אלים** (إيل إيليم)»

«ويصنع الملك ما يطيب له، ويتعظم على كل إله، ويجدف بالعظائم على إله الآلهة»

يكشف هذا النصّ دلالة كلمة «إيل» «**אל**» على معنى «إله». ومع اعتراف الكتاب المقدس بوجود «آلهة» «إيليم»، فقد قرر وجود «إيل» واحد يستحقّ العبادة.

إنّ اسم الجلالة «الله» كما هو في القرآن الكريم، لدليل على أصالة القرآن الكريم الصادقة؛ إذ إنّ الكتاب الذي يعترف بالرسالات السابقة، لا يمكن أن يردّ جميع ما جاء فيها زمن نزوله؛ لأنّه لا يقول بالاختلاق المحض لها، وإنّما هو يقرّر أنه قد أصابها من دخن التحريف شيء.

ثم إنّ اسم الجلالة (الله) هذا **لا يدلّ على أيّ معنى باطل**؛ سواء تعلّق بأمور الألوهيّة أو الربوبيّة أو الخلق والمعاد، أو غير ذلك من المعاني الدينيّة.. إنّه يعني ببساطة: الإله الحقّ ..!!

لقد أدرك اليهود الذين عاشوا في القرون الأولى التالية للبعثة النبويّة في أرض المسلمين هذه الحقيقة التي يتعامى عنها «الهش...»، ولم يجدوا غضاضة في تسمية معبودهم في التوراة: «الله»؛ فقد عرّب «سعديا الفيومي» العدد الثاني من الفصل الأوّل من سفر التكوين هكذا (بالحرف العبري[٨٢٦] كما كتبه «الفيومي»):

---

[٨٢٦] قصدي بالحرف العبري: الحرف الذي استعمله اليهود لكتابة أسفار التناخ بلغتهم كما هي في المخطوطات التي نملكها اليوم، وإن كانت الدقّة تقتضي أن أسمي هذا الحرف بالحرف الآرامي المربع، إذ إنّ اليهود قد أخذوا هذا الحرف

«ואלארץ כאנת ג׳מרה מסתבחר וצלאמ עלי וגה אלג׳מר וריאח

אללה (الله) תהב עלי וגה אלמא»

بالحرف العربي: «والأرض كانت غمره مستبحرة، وظلام على وجه الغمر، ورياح الله تهب على وجه الماء.»

وقد أحسنت «الموسوعة التاريخيّة للأنبياء في الإسلام واليهوديّة» « *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*» عندما قالت في مقالة «الله» «Allah»: «يبدو أنّ كلمة (الله) العربيّة هي نتاج جمع بين أداة التعريف (ال) و(إله) التي هي كلمة ساميّة شائعة دالة على الألوهيّة. وباجتماعهما تتكوّن كلمة (ال-إله) أو (الله) التي تعني الإله The God»[٨٢٧]

ثالثا: ثبت وصف/ تلقيب الإله الآب في بلاد اليمن أنّه «رحمن» كما قال «الهش...»، لكن ثبت أيضًا – في ما كتبه عالم الساميات المستشرق «هارتفج هيرشفيلد» « Hartwig Hirschfeld»– أنّ المسيح كان يوصف من النصارى السوريين أنّه «رحمانا» !![٨٢٨]

رابعا: تحدّثت النقوش السبئيّة عن «حَوْل/قوّة» «الرحمن» ... فليس الأمر تمييزًا لصفة الرحمة في هذا الإله عن كلّ صفة أخرى، وإنّما هو وجه من أوجه الذكر والتعظيم!

عن غيرهم وكتبوا به أسفارهم المقدسة منذ القرن الرابع قبل الميلاد وقد كانوا من قبل يستعملون الأبجدية الكنعانيّة الفينيقيّة.

[٨٢٧] Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p. ٢٠

[٨٢٨] انظر؛ H. Hirschfeld, *New Researches into the Composition and Exegesis of the Qoran*, ١٩٠٢, Asiatic Monographs - Volume III, Royal Asiatic Society: London, p. ٦٨

خامساً: استعمل **اليهود** (بالإضافة إلى النصارى) في جنوب الجزيرة العربيّة عبارة «رحمانان» «𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬» عند حديثهم عن إلههم، ومن النقوش المحفوظة اليوم، نذكر:

I. Inscription Ry ٥١٥

التعريب:

٥ «بالرحمن (رحمانان)، ربّ اليهود.»[٨٢٩]

---

[٨٢٩] G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Dixième Série*", *Le Muséon*, ١٩٥٣, Volume ٦٦, pp. ٣١٤-٣١٥, picture of the inscription taken from p. ٣١٤. and the translation from: J. C. Greenfield, "From *'LH RḤMN* To *AL-RAḤMĀN*: The Source Of A Divine Epithet" in B. H. Hary, J. L. Hayes & F. Astren (eds.), *Judaism And Islam: Boundaries, Communication And Interaction - Essays In Honor Of William M. Brinner*, ٢٠٠٠, Brill: Leiden, p. ٣٨٧ (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

Inscription Ry ٥٢٠

4 𐩥 𐩽 𐩣𐩫𐩧𐩨𐩬 𐩽 𐩺𐩲𐩤 𐩽 𐩨𐩠𐩡𐩧𐩠𐩣𐩥 𐩽 𐩨𐩡𐩲𐩣 𐩽 𐩡𐩣𐩧𐩱𐩠𐩣

5 𐩥 𐩽 𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬 𐩽 𐩨𐩲𐩡 𐩽 𐩪𐩣𐩺𐩬 𐩽 𐩡𐩠𐩣𐩧𐩠𐩥 𐩽 𐩥𐩱𐩢𐩦𐩫𐩩

6 𐩥⌞𐩠⌟ 𐩽 𐩥𐩥𐩡𐩠𐩥 𐩽 𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬 𐩽 𐩢𐩺𐩺 𐩽 𐩢𐩺𐩥 𐩽 𐩮𐩴𐩤𐩣 𐩽 𐩥

7 𐩣𐩥𐩩 𐩽 𐩣𐩥𐩩 𐩽 𐩮𐩴𐩤𐩣 𐩽 𐩥𐩡𐩠𐩣𐩧𐩠𐩥 𐩽 𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬 𐩽 𐩥𐩡𐩴

8 𐩣 𐩽 𐩮𐩡𐩢𐩣 𐩽 𐩪𐩨𐩱𐩣 𐩽 𐩡𐩪𐩣𐩧𐩢𐩣𐩬𐩬 𐩽 𐩥𐩠𐩤𐩦𐩨𐩥 𐩽 𐩥𐩠

التعريب:

٤ «... لربّهم

٥ الرحمن (رحمانان)، سيّد السماء، ليمنحه هو وزوجاته

٦ وأبنائه، الرحمن (رحمانان)، أن يحيى حياة صدّيقيّة، و

٧ يموت موتة صديقيّة. وأن يمنحه الرحمن (رحمانان) أولادًا

٨ أصحّاء يحاربون من أجل اسم الرحمن (رحمانان)...»[٨٣٠]

---

[٨٣٠] G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Onzième Série*", *Le Muséon*, ١٩٥٤, Volume ٦٧, pp.٩٩-١٠٥, picture of the inscription taken from p.١٠٠. and the translation from: J. C. Greenfield, op. cit., p.٣٨٨ (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

Inscription Ry ٥٠٨

[illegible] 10
[illegible]
[illegible]
[illegible] 11
[illegible]
[illegible]

التعريب: «... والله الذي له السماء والأرض سيحفظ ملكنا...

... وترحم كلّ العالم، يا رحمن (رحمانان)، أنت ربّ.»[٨٣١]

سادساً: يخبرنا الناقد «لويس جاكوبز» «Louis Jacobs» في كتابه «اللاهوت اليهودي» «*A Jewish Theology*» عند حديثه عن «أسماء الله في كتابات الأحبار»[٨٣٢]، أثناء تناوله للاسم السابع في قائمة هذه الأسماء أنّ «الشكل العبري لـ«the Merciful» هو «هارحمن»[٨٣٣]،

---

[٨٣١] G. Ryckmans, "*Inscriptions Sud-Arabes - Onzième Série*", *Le Muséon*, ١٩٥٣, Volume ٦٧, pp.٢٩٥-٣٠٣, picture of the inscription taken from p.٢٩٧. and the translation from: J. C. Greenfield, op. cit., p.٣٨٨ (Quoted by, M S M Saifullah & Abdullah David, *Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?*)

[٨٣٢] "*The Names of God in the Rabbinic Literature*"

[٨٣٣] الهاء العبريّة هنا تقابل (ألف لام) التعريف في اللغة العربيّة.

وهو موجود بكثرة في كتابات الأحبار، ويوجد مقابله الآرامي بصورة مكثّفة جدًا، خاصة في السياق التشريعي.»[٨٣٤]

وإننا لنجد «رحمنا» «**רחמנא**» الآراميّة، في التلمود في كثير من المواضع:

«لقد جاء التعليم باسم الحبر «عقيبا»: على المرء أن يعوّد نفسه دائمًا على أن يقول: «كلّ ما يفعله الرحمن جيّد» «**כל דעביד רחמנא לטב**» » (براخوت ٦٠–ب)

«قال الرحمن: ليس له ابن» «**בן אין לו אמר רחמנא**» (نداه ٤٤–أ) ...

سابعاً: تكرّر في الكتاب المقدس وصفُ الربّ بالرحمة؛ مثال:

– الخروج ٦/٣٤

«**ויעבר יהוה על-פניו, ויקרא, יהוה יהוה, אל רחום** (رحوم) **וחנון--ארך אפים, ורב-חסד ואמת**»

«وعبر من أمام موسى مناديا: «أنا الرب. الرب إله رؤوف رحيم، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء»

– تثنية ٣١/٤

«**כי אל רחום**(رحوم) **יהוה אלהיך**»

«لأن الرب إلهكم إله رحيم»

– ٢ الأيام ٩/٣٠ :

«**כי בשובכם על–יהוה, אחיכם ובניכם לרחמים לפני שוביהם, ולשוב, לארץ הזאת: כי–חנון ורחום**(رحوم)**, יהוה אלהיכם, ולא–יסיר פנים מכם, אם–תשובו אליו**»

---

[٨٣٤] Louis Jacobs, *A Jewish Theology*, New Jersey: Behrman House, ١٩٧٣, p.١٤٥

«لأن رجوعكم إلى الرب يجعل إخوتكم وأبناءكم يلقون رحمة من آسريهم فيرجعون إلى هذه الأرض، لأن الرب إلهكم رؤوف رحيم، ولا يحول وجهه عنكم إن رجعتم إليه»

– نحميا ٣١/٩

«**וברחמיך הרבים לא-עשיתם כלה, ולא עזבתם: כי אל-חנון ו__רחום__**(رحوم)، **אתה**»

«ولكن من أجل مراحمك العميمة لم تبدهم، ولم تتخل عنهم، لأنك إله حنان رحيم»

– مزمور ٥/١١٦

«**חנון יהוה וצדיק; ואלהינו __מרחם__** (مرحيم)»

«الرب حنون وبار. إلهنا رحيم»

ثامنا: صُوّر الآب في العهد الجديد ذاته بأنّه متّصف بالرحمة؛ فليست هناك حاجة إلى النظر في تراث نصارى سبأ:

لوقا ٣٦/٦: «فكونوا أنتم رحماء، كما أن أباكم رحيم (οικτιρμων) (إيكتِرمون)[٨٣٥]»

تاسعا: جاء وصف الربّ الإله الواحد (الذي هو مجمع الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، كما هو معتقد الكنيسة) في العهد الجديد أنّه «رحمن»؛ بما لا يترك مجالًا للحديث عن تحويل القرآن الكريم (للأب الرحمن) في النصرانيّة السوريّة إلى (الله الواحد الرحمن) في الإسلام:

يعقوب ١١/٥: «فنحن نقول عن الصابرين على الألم: «طوبى لهم!» وقد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم كيف عامله الرب في النهاية. وهذا يبين أن الرب كثير **الرحمة** والشفقة»، وفي الترجمة السريانية «ܡܪܚܡܢ» «مرحمان» .. هذا الإله الذي رحم «أيوب» هو إله العهد القديم، الإله الذي يعتبره النصارى مُثلّثًا: آب وابن وروح القدس. وليس كما يدّعي «الهش...» أنه الإله الآب حصرًا!!

[٨٣٥] يقرأ أيضًا (أوكترمون)، وذلك تبعًا لاختلاف قواعد قراءة يونانيّة العهد الجديد.

عاشراً: القول إنّ العرب الجاهليين ما كانوا يعرفون الإله «الرحمن» –الذي هو الإله الآب في النصرانيّة–، وأنّ الرسول ﷺ قد (استعاره) من النصرانيّة، هو خبط أعمى في ليل بهيم، وإن احتجّ «الهش...» بما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**﴾[836]؛ إذ إنّ الإله الآب ليس هو الشخصيّة المركزيّة في العهد الجديد، ولا في التصوّر النصراني، وإنّما (يسوع) هو الموضوع الأساسي للأناجيل والرسائل؛ فليس هناك من داع لإقحام (الإله الآب النصراني) في التصوّر الإسلامي أصلًا –تنزلًا في هذا الباب، كما أنّ القرآن الكريم لا يظهر في الآية السابقة جهل العرب بوجود الإله «رحمن»، وإنّما يكشف سوء فهم العرب لكون تعدد الصفات لا يقتضي تعدد الذوات، فالربّ سبحانه له أسماء حسنى تكشف عظمته وجميل صفاته، وهي تستدعي في النفس البشريّة معاني التعظيم والخضوع والحبّ، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾[837] .. وهذه الآية كاشفة لمعنى تلك! فليس هنا مزج للآلهة، ولا اقتباس من النصرانيّة، ولا نقل عن العقائد الوثنيّة!

وهنا أتوقّف .. لأقول إنّ تصوير الخلاف بين (الأعراب) المتفرنّجين ودعاة الإسلام، على أنّه نزاع بين (الإسلام) و(الحداثة) كما يحلو لبعض (السذّج!) من الجانبين تصويره، هو عجز عن معرفة حقيقة الصورة، إنّه –ولا أزيد– نزاع بين دعاة الإسلام وبين من يقال فيهم بالفرنسيّة «Les Imbéciles Heureux» «البُله السعداء» ممن ينتشي الواحد منهم بالحرف اللاتيني إلى حدّ السكر؛ رغم أنّه لا يحسن كتابة بحث بمراجع أجنبيّة من الثقافة التي ينافح عنها، لأنّه لا

---

[836] سورة الفرقان/ الآية (٦٠)

[837] سورة الإسراء/ الآية (١١٠)

يعرف من العلم إلاّ اسمه .. ومن ذاق –ما ذقنا من كتاباتهم، ككتاب «الهش»– عَرَف، وإن شئت قل: من ذاق؛ (تسمّم)![٨٣٨]

الألفاظ الأعجميّة .. والاقتباس!

قال «الهش...»: «الأقرب إذن، إذا قلنا بوجود تأثيرات كتابيّة على القرآن، أنّ المسيحيّة السوريّة كان لها الحظّ الأكبر في ذلك. ومن الأدلّة أنّ المعجم الديني السرياني دخل في لغة القرآن أكثر بكثير من المعجم العبري أو حتّى الأثيوبي وهذا المعجم موجود أيضًا. مثلًا: كلمة صَلَوَات السريانيّة الأصل وتعني الركعة نلاقيها في النص القرآني مكتوبة بنحو مشابه «صَلَوة» وبصيغة الجمع هي «صَلَوات»، كما نلاقي هنا وهناك عبارات متقاربة جدًا.

مثلًا:

سُبحانك= شُبْحا لَكْ بالسريانيّة.

تَباركت= بَرِيك أتْ بالسريانيّة.

سُبحانك يا الله= شُبْحا لك ألها.

هذه عبارات قرآنيّة محضة من الممكن أنها دخلت من قبل في المعجم المسيحي العربي، لكنّا لا نعلم عن ذلك شيئًا، ومن الممكن أيضًا أنّ القرآن هو أوّل من استعملها، إنّما كانت مفهومة على الأرجح حسب السياق، والمعجم الديني القرآني ثري جدًا على أيّة حال. الأقرب عندي أنّ القرآن هو الذي عرّبها وأدخلها في لغته، كما عرّب أسماء شعوب قديمة وأنبياء قدامى، لأنّ المسيحيّة العربيّة كانت بعيدة جغرافيًا ولأنّا لا نعلم هل كانت الدعاءات والطقوس تجري بالعربيّة أو بالسريانيّة.»[٨٣٩]

---

[٨٣٨] ومن أراد أن (يستمتع!!) (ببواقع) (المتنوّر) «الهش...»، فليراجع كتاب «المخزاة الجعيطيّة في كتابة السيرة النبويّة» بأسلوب ظريف، بل وساخر، للدكتور «إبراهيم عوض»– أستاذ النقد الأدبي وصاحب مؤلّفات في الردّ على افتراءات المستشرقين–.

[٨٣٩] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ١٧٢/٢

وأضاف في الهامش: «في المعجم الديني القرآني، توجد عبارات أخرى تبدو مأخوذة عن السريانيّة وهي على كلّ حال قريبة منها: مثلًا هناك موازاة بين تزكّى و«داكيوتا» وبين ظالِم ظالمين وبين «تلوما» السريانيّة وهي كلمة تعني غير المؤمنين، الكافرين. والمعنى نفسه موجود في القرآن، إذ لا نفهم لماذا ينعت النصّ المقدس الكفار بالظالمين، بالمعنى الذي نعرفه: يَظْلِمون من؟ في بعض الأحيان، يجيب القرآن بـ «ظالمي أنفسهم»، وهذا قليل. «ظالمين» إذن كلمة مترادفة مع كافرين، ليس أكثر وهذا المعنى مشتق من المعجم الديني السرياني.»[٨٤٠]

قلت:

أولا: المشترك اللفظي بين اللغات السامية كبير جدًا إلى حدّ القول إنّ اللغات الساميّة أشبه بلهجات متعدّدة للغة واحدة[٨٤١]، ومن الممكن ملاحظة هذا الأمر بصورة جليّة عند المقارنة بين المعجمين العربي والسرياني. ولا شكّ أنّ الألفاظ المتعلّقة بمطلق التوجّه إلى الخالق وعبادته بأوجه العبادة الواسعة، أحرى المواضيع باستجماع المشترك اللفظي بين هاتين اللغتين، خاصة أنّه لا توجد أمّة بلا دين وعبادة منذ أن عرف للإنسان وجود على سطح الأرض؛ فلا يستقيم عندها الاستدلال بألفاظ ذات معنى عام للدلالة على الاقتباس، خاصة وأنّ اللغة العربيّة هي

---

[٨٤٠] المصدر السابق، ٢/٣٤٠

[٨٤١] قال الإمام «ابن حزم» –رحمه الله– في كلام دقيق وثمين: «إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلًا لا يخفى على من تأمله ... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، **وأنها لغة واحدة في الأصل**.» «ابن حزم، إحكام الأحكام، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤هـ، ١/٣٤)

وقال د. «ربحي كمال» –أحد النقاد العرب المعاصرين المتخصصين في اللغة العبريّة–: «**ما من شكّ** أنّ جميع اللغات الساميّة هي **لهجات** نشأت من لغة واحدة هي أم هذه اللهجات.» (دروس اللغة العبريّة، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، ط٣، ص١٣)

لغة عريقة جدًا كاللغة السريانيّة أو أقدم، بل واعتبر نخبة من أعلام الدراسات الساميّة أنّ الجزيرة العربيّة هي المهد الأوّل للساميين[٨٤٢]، وأجمع علماء النحو المقارن للغات الساميّة، من أمثال «بروكلمان» و«وليم رايت» و«إدوار دوروم» و«دافيد يلين» أنّ اللغة العربيّة الفصحى **هي بلا منازع أقدم صورة حيّة من اللغة الساميّة الأم، وأقرب هذه الصور إلى تلك اللغة التي تفرّعت منها اللغات الساميّة**[٨٤٣]؛ مما يجعل الجزم باقتباس اللغة العربيّة بعضَ مشتركها السامي من اللغات الساميّة الأخرى محض مجازفة.[٨٤٤]

ونحن لا ننفي مبدأ التقارض بين اللغات، وإنّما نقول إنّ إثباته ليس باليسر الذي يظنّه المسارعون للتشكيك في عروبة القرآن الكريم[٨٤٥]، كما أنّ وجوده لا يعني أن مبتدأه كان مع (نزول) الآيات القرآنيّة، وإنّما الصواب هو أنّه في حال ثبوته، سابق لنزول الآيات القرآنيّة بمدة من الزمن جعلت هذا اللفظ عربيًا في تداوله؛ قد تورات غرابته في المعجم اللساني العربي؛ ولذلك جاء قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٨٤٦]

---

[٨٤٢] من هؤلاء «بروكلمان» و«رينان» و«دو جوج» (انظر؛ ربحي كمال، دروس اللغة العبريّة، ص١١)

[٨٤٣] حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٢ ، ص١٦

[٨٤٤] باستثناء أسماء الأعلام والبلدان، عامة؛ فهي مرتبطة بالمكان أكثر من اللسان.

[٨٤٥] للأسف الشديد، فقد شارك بعض علماء الإسلام القدماء في مد دعوى الاقتباس القرآني من اللفظ الأعجمي بالصورة التي تأباها أصول البحث العلمي، ومن هؤلاء «السيوطي» رحمه الله؛ فله في ذلك كتابين «المتوكّلي فيما في القرآن من اللغات الأعجمية» و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» وقد أطلق فيهما دعوى نسبة عشرات الألفاظ القرآنيّة إلى اللغات العبرية والسريانية والفارسية والحبشيّة دون أن يكون عارفًا أصلًا بهذه اللغات!! وهو منهج (التجميع) وضم المشهور إلى الشاذ من الأقوال!

[٨٤٦] سورة يوسف/ الآية (٢)

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[847]

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[848]

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[849]

﴿ قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[850]

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[851]

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[852]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[853]

ثانياً: القول إنّ «صلوة» القرآنيّة مقتبسة من النصرانيّة السريانيّة بعينها، لا يخرج عن كونه دعوى بلا برهان؛ ولذلك لا يثبت أمام النظر العلمي:

أ- اقتبس «الهش...» هذه الشبهة من كتاب «تور أندري»، لكنّه ما قال ما بما قاله «تور أندري» عندما أحال إلى قضيّة رسم هذه الكلمة، لأنّ «تور أندري» كان يتحدث عن عبادة في

---

[847] سورة النحل/ الآية (١٠٣)

[848] سورة طه، الآية (١١٣)

[849] سورة الشعراء/ الآيات (١٩٣-١٩٥)

[850] سورة الزمر/ الآية (٢٨)

[851] سورة فصلت/ الآية (٣)

[852] سورة الشورى/ الآية (٧)

[853] سورة الزخرف/ الآية (٣)

الكنيسة، غير مشتهرة في غير مصر، كان يقوم بها أحد قدّيسي الكنيسة، وتتكون من مقاطع تسمّى «ܡܪܡܝܬܐ» «مرميتا» وتتمثّل في قراءة أجزاء من المزامير، في كلّ «مرميتا»، ٣٠ «genuflexion» —كما في الترجمة الفرنسية التي نقل عنها «الهش...»– وقد عرّبها «الهش...» على أنّها تعني «ركعة»، وسبب ذلك هو أنّه قد أخذ بمعناها الفرنسي المتأخّر، والصواب أنّ هذه الكلمة في الفرنسيّة تعود إلى الأصل اللاتيني «genuflectio» وهي إدغام مقطعين: الأوّل «*genu*» بمعنى ركبة والثاني «*flectere*» بمعنى «ثنى»، والمعنى كاملًا هو: «ثني الركبة»، وتعني في الأصل النزول على ركبة واحدة بسرعة ثم الانتصاب بعد ذلك بسرعة[٨٥٤]، وقد وضع «تور أندري» المقابل السرياني بالحرف اللاتيني ليقرّب المعنى لمن لا يعرف السريانية، فكتب «burke»[٨٥٥]، والنص الذي ترجمه «تور أندري» يستعمل «ܬܠܬܝܢ ܒܘܪܟܐ» «تلاتين بوركا» أي ثلاثين بروكٍ على الأرض، ووصف هذا البروك بأنّه بروك مصري «ܡܨܪܝܐ ܒܘܪܟܐ» أي كبروك المصريين. وفي بقيّة النص السرياني تفسير لهذا البروك، حيث يصفه الراوي بأنّه نزول على الركبتين وملاصقة لليدين والرأس بالأرض[٨٥٦]؛ أي أنّه (سجود) لا (ركوع). فكلّ (سجود) كان يعد (صلاة)، وليست الصلاة في الإسلام كذلك؛ إذ إنّ (الصلاة) الواحدة فيها أكثر من (سجود)!

ب– الركوع والسجود في الصلاة معروف في عامة الأمم القديمة كالصينيين[٨٥٧] وغيرهم، بل أثبته العهد الجديد للمسيح نفسه: «وابتعد عنهم قليلا **وارتمى على وجهه يصلي**، قائلا:

---

[٨٥٤] انظر؛ Charles Morris, ed. *Winston's Cumultative Encyclopedia*, art. *Genuflexion*, Chicago: J. C. Winston, ١٩١٥, V.٤

[٨٥٥] Tor Andrea, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, p.١٩٧

[٨٥٦] انظر؛ E. W. Brooks, '*John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints* (I),' in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, ١٩٢٣, ١٧/٢٠٥

[٨٥٧] انظر؛ Archie Hobson, *The Oxford Dictionary of Difficult Words*, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٤, p.٢٤٧

«ياأبي، إن كان ممكنًا، فلتعبر عني هذه الكأس: ولكن، لا كما أريد أنا، بل كما تريد أنت!»[858]

ولم يتفرّد «يسوع» بفعله هذا فعله، فقد «برك» «**ברכ**» غيره من أنبياء العهد القديم:

دانيال ٦/١٠: «فلما بلغ دانيآل أمر توقيع الوثيقة مضى إلى بيته وصعد إلى عليته ذات الكوى المفتوحة باتجاه أورشليم، وجثا «**ברך**» (باريك) على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم **وصلى**، وحمد إلهه كمألوف عادته من قبل»

٢ الأيام ٦/١٣-١٤: «لأن سليمان كان قد صنع منبرًا من نحاس أقامه في وسط الدار، طوله خمس أذرع، وعرضه خمس أذرع، وارتفاعه ثلاث أذرع، فوقف عليه أولا، ثم جثا «**ויברך**» (وَيِبْرَك) على ركبتيه في مواجهة كل جماعة إسرائيل، وبسط يديه إلى السماء، وقال: «أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله نظيرك في السماء والأرض، أنت يامن تحافظ على عهد الرحمة مع عبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم»

مزمور ٩٥/٦: «تعالوا نسجد وننحني، لنركع «**נברכה**» (نِبركا) أمام الرب صانعنا».

ت- المستشرق «آرثر جفري» –أستاذ الساميّات، وأشهر من كتب من المعاصرين في موضوع (الألفاظ الأعجميّة في القرآن الكريم)، لم يشر إلى المعنى الذي ذكره «الهش...»، رغم أنه قد اعتبر هو أيضًا «الصلوات» من أعجمي القرآن، ولكن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[859]. [860] علمًا أنّ ما كتبه «تور أندري» كان من مراجع «آرثر جفري» في كتابه!

---

[858] متّى ٢٦/٣٩

[859] سورة الحج/ الآية (٤٠)

ج- «الصَّلَوٰة» و«الصلوات» لا يقصد بهما -اصطلاحًا- في القرآن الكريم «الركعات»، كما أنّ المعنى اللغوي للصلاة، والذي ورد في عدد من نصوص القرآن والسنّة[٨٦١] هو: «الدعاء»، وهو نفس معنى كلمة «صلّى» في عامة اللغات الساميّة، كالأكاديّة «سولو» و«صولو»، والأوجاريتيّة «صلاي»، والسريانيّة «ܨܠܝ» «صلي»، وفي العربيّة الجنوبيّة «[illegible]».[٨٦٢] ونظرًا لما يكتنف الشعيرة التعبديّة (الصلاة) من دعاء ومناجاة للربّ؛ فقد عبّرت كلمة «صلى» عن معنى الصلاة — الشعيرة؛ فهي في السريانيّة والعربيّة الجنوبيّة والأوجاريتيّة «صلي» وفي الحبشيّة «ጸለየ».[٨٦٣]

ح- ألف الصلاة منقلبة عن واو، فأصل الكلمة «صلوة»؛ ودليل ذلك أنّ جمعها: صلوات[٨٦٤]؛ ولذلك وردت بالواو في عدد من مواضعها في القرآن الكريم.

خ- قرّر القرآن الكريم أنّ الصلاة لها وجود في شرائع النبيين السابقين:

---

[٨٦٠] Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, p.١٩٧

[٨٦١] {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} سورة الأحزاب/ الآية (٥٦)، {وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ} سورة التوبة/ الآية (٩٩)، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ ...» (رواه مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، ح/١٤٣١).

[٨٦٢] انظر؛ عمر صابر عبد الجليل، المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات الساميّة، دراسة إيتمولوجيّة في ضوء علم اللغات الساميّة المقارن، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقيّة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ص ١١١

[٨٦٣] انظر المصدر السابق

[٨٦٤] انظر؛ العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ت/ علي محمد اليحياوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، ١٨/١، محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دمشق: دار الرشيد، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط٣، ص ٣٧

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون ﴾ [٨٦٥]

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [٨٦٦]

﴿ فلما أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [٨٦٧]

فالقرآن الكريم يعلن هنا أنّها شريعة غير محدثة، ويسمّيها باسم «الصلاة»!

د- لم يتحدّث «تور أندري» الذي أحال إليه «الهش...» عند حديثه عن «صلوة»، عن أمر هذا الرسم، وإنّما تحدّث عن «قدّيس» كان في صلاة الليل يسجد ثلاثين سجودًا «كذاك المسمّى celawata» [٨٦٨]؛ فالإحالة إلى «تور أندري» عند التدقيق ليست صوابًا؛ لأنّ «تور أندري» كان يتحدّث عن مشابهة الصلاة الإسلاميّة للصلاة التي ذكرها أحد الآباء الشرقيين، وما كان الحديث منصبًا على مطابقة الرسم العثماني للكلمة السريانيّة!!

---

[٨٦٥] سورة إبراهيم/ الآية (٣٧)

[٨٦٦] سورة مريم/ الآيتان (٥٤-٥٥)

[٨٦٧] سورة طه/ الآيات (١١-١٤)

[٨٦٨] Tor Andrea, *Les Origines de L'Islam et le Christianisme*, p.١٩٧

ذ- زعمُ اقتباس كلمة «صلاة» من التراث الديني السرياني- لأنّ الكلمة قد وردت في مواضع في القرآن الكريم بالواو لا بالألف- يحتاج إلى مثله بالنسبة لكلمات أخرى وردت في القرآن الكريم: «الزكاة» و«الحياة» و«الربا» في رسمها هكذا: «ٱلزَّكَوٰة» و«ٱلْحَيَوٰة» «ٱلرِّبَوٰا»!!

ر- النصّ السرياني الذي اقتبسه «تور أندري» من موسوعة «*Anecdota Syriaca*» ١٤/٢، مترجمًا إيّاه إلى الألمانيّة، والذي نقله عنه «الهش...» من ترجمته الفرنسيّة، يقول: «**ܥܡ ܟܠ ܡܪܡܝܬܐ؛ ܬܠܬܝܢ ܒܘܪܟܐ ܡܨܪܝܐ ܗܘܐ ܥܒܕ ܕܝ̈ ܠܘܬܐ ܡܬܩܪܝܢ ܕܗܟܐ ܗܘܐ**»[٨٦٩] وترجمته الحرفيّة: «مع كل مرميتا، يسجد ثلاثين سجودًا مصريًا يشبه الذي يدعى صلوات.»، وقد ترجمه الناقد «إ. و. بروكس» «E. W. Brooks» في موسوعة الآباء الشرقيين المسمّاة «*Patrologia Orientalis*» الشهيرة إلى: « while during every marmitha he would make thirty Egyptian Genuflexions which are called prayers»[٨٧٠] وهي ترجمة تعبّر عن المعنى بلغة إنجليزيّة فصيحة غير ساقطة في الحرفيّة، وهي تدلّ على أنّ سجود هذا «القديس» كان يسمّى «صلاة» «prayer» —الثلاثين سجودًا تُعدّ (صلوات) في الجمع-، وليس في الحديث دلالة أخرى، ولذلك جاء في وصف نفس فعل هذا العابد النصراني، في موسوعة الأديان والأخلاق: «*Encyclopaedia of Religion and Ethics*»: «حالة الأب المصري بولس الذي مات سنة ٣٤١م، ذكرها سوزومان (٤٠٠م-٤٥٠م) في كتابه التاريخ الكنسي حيث قرّر أنّ هذا القديس كان يقرأ يوميًا ٣٠٠ صلاة (*prayers*)، محافظًا على العد من خلال جمع الحصى في عباءته، مسقطًا حصاة كل نهاية صلاة.»[٨٧١]

---

[٨٦٩] Land, *Anecdota Syriaca*, Lugduni Batavorum ,١٨٦٢, ٢/١١٤

[٨٧٠] E. W. Brooks, '*John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints* (I),' in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, ١٩٢٣, ١٧/٢٠٤

[٨٧١] James Hastings, ed. *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩١٩, ١٠/٨٥٣

صفحة تضم النص السرياني الذي ترجمه «تور أندري»

Land, *Anecdota Syriaca*, Lugduni Batavorum ,١٨٦٢, ٢/١١٤

ز- كلمة «صلاة» العربية، هي في السريانيّة: «ܨܠܘܬܐ» «صلَوَتا»[٨٧٢] وحروفها: ܨ ص- ܠ ل- ܘ و- ܬ ت- ܐ ا، وقد وردت في أكثر من موضع من العهد الجديد؛ بما يدفع دعوى أنّها من التراث الشعبي السرياني:

[٨٧٢] انظر؛ المطران يعقوب أوجين، قاموس كلداني-عربي، بيروت: منشورات مركز بابل، ١٩٧٥م، ص٦٣٧

أعمال الرسل ١٦/١٦: «وذات يوم كنا ذاهبين إلى الصلاة، فالتقت بنا خادمة يسكنها روح عرافة، كانت تكسب سادتها ربحا كثيرا من عرافتها»

«ܘܗܘܐ ܕܟܕ ܐܙܠܝܢ ܠܒܝܬ ܨܠܘܬܐ (صلوتا) ܦܓܥܬ ܒܢ ܥܠܝܡܬܐ ܚܕܐ ܕܐܝܬ ܗܘܐ ܠܗ ܪܘܚܐ ܕܩܣܡܐ ܘܣܓܝܐܐ ܗܘܬ ܠܡܪܝܗ ܬܐ ܓܘܪܬܐ ܡܥܒܕܐ ܒܩܣܡܐ ܕܩܣܡܐ ܗܘܬ»

١تيموثاوس ٢/١: «فأطلب، قبل كل شيء، أن تقيموا الطلبات الحارة والصلوات والتضرعات والتشكرات لأجل جميع الناس»

«ܒܥܐ ܐܢܐ ܗܟܝܠ ܡܢܟ ܕܩܕܡ ܟܠܡܕܡ ܒܥܘܬܐ ܬܗܘܐ ܡܩܪܒ ܠܐܠܗܐ ܘܨܠܘܬܐ (صلوتا) ܘܬܟܫܦܬܐ ܘܬܘܕܝܬܐ ܚܠܦ ܟܠܗܘܢ ܒܢܝܢܫܐ»...

ثالثا: التسبيح والمباركة موجودان أيضًا في الكتاب المقدس وفي الألفاظ التعبدية اليهودية:

* جاء فعل «شابح» «**שבח**» بمعنى (سبّح) في:

✓ مزمور ٦٣/٤:

«**כי-טוב חסדך, מחיים; שפתי ישבחונך** (يشبحونكا)»

«خير من الحياة رحمتك. شفتاي تسبحان لك» (الترجمة المشتركة)

✓ مزمور ١٤٧/١٢:

«**שבחי** (شَبْحِي) **ירושלם, את-יהוה; הללי אלהיך ציון**»

«سبحي يا أورشليم الرب، هللي لإلهك يا صهيون.» (الترجمة المشتركة)

✓ مزمور ١١٧/١:

«**הללו את-יהוה, כל-גוים; שבחוהו** (شَبْحوهو)، **כל-האמים**»

«هللوا للرب يا جميع الأمم سبحوه يا جميع الشعوب» (الترجمة المشتركة)

✓ مزمور ١٤٥/٤:

«**דור לדור، <u>ישבח</u>** (يشَبَح) **מעשיך; וגבורתיך יגידו**»

«<u>يسبح</u> أعمالك جيل بعد جيل، وبجبروتك يخبرون»(الترجمة المشتركة)

ومن المفيد أن نضيف هنا أيضًا أنّ فعل «سبّح» العربي يقابله في الحبشيّة «سبح» «ሰብሐ» بنفس المعنى[٨٧٣]؛ بما يظهر شيوع هذا اللفظ الديني في الأمم الساميّة ولغاتها.

* فعل «بارك» له وجود في المعاجم الساميّة؛ فهو في العبريّة «**ברך**» «بيريك» وفي السريانية «ܒܪܟ» «برك»، وفي الحبشيّة «ባረከ» «بَرَكَ»[٨٧٤].

ثم إنّ عامة الشعائر اليهوديّة تبدأ بعبارة:

<u>ברוך</u> אתה ה׳ א-לוהינו מלך העולם...

<u>مبارك</u>/<u>تباركت</u> (بروك) أنت الربّ إلهنا ملك العالم ...

وقد جاء استعمال لفظ «بارك» في الكتاب المقدس مرّات عديدة بنفس المعنى القرآني، ومنها:

✓ المزمزر ٤٨/١٠٦:

«**ברוך** (باروك) **יהוה אלהי ישראל، מן-העולם ועד העולם**»

«<u>تبارك</u> الرب إله إسرائيل،من الأزل وإلى الأبد»

✓ المزمور ٥٣/٨٩:

«**<u>ברוך</u>** (باروك) **יהוה לעולם: אמן ואמן**»

«<u>تبارك</u> الرب إلى الأبد. آمين ثم آمين»

✓ المزمور ١٢/١١٩:

---

[٨٧٣] انظر؛ حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م ، ص٢٠٩

[٨٧٤] انظر المصدر السابق، ص٧٩

«**ברוך אתה יהוה** (باروك أتا يهوه)-- **למדני חקיך**» ...

«<u>مبارك أنت يا رب</u>، فعلمني إرشاداتك» .. وهي نفس الصيغة التي نقلها «الهش...» عن الكنائس السريانيّة؛ فهي ليست من مبتكراتهم ولا من أفراد عباداتهم، وإنّما هي نصّ من الكتاب المقدّس لا يعرف عنه «الهش...» شيئًا!

علمًا أنّ كلمة «ب ر ي ك» بمعنى «مبارك» في النقوش النبطيّة قد وردت بالصيغة نفسها في النقوش الآراميّة الدوليّة، والتدمريّة، والحضريّة.[٨٧٥]

رابعًا: لا توجد علاقة فونولوجيّة بين «تزكى» و«داكيوتا»، مع العلم أنّ «تزكّى» من الفعل الثلاثي «زكى» بمعنى النمو والتطهّر[٨٧٦]، وهو في السريانيّة «زْكا» «ܙܟܐ» و«ܙܟܘ» «زْكي» بمعنى طهر ونقى، وفي العبرية «زاكا» «**זכה**» بنفس المعنى السابق، وفي الأكاديّة «زكو» بمعنى «نَقِيَ».[٨٧٧]

إنّ ظاهرة التكلّف عند المستشرقين والمنصّرين في نفي عروبة كلمة «تزكّى» بادية بجلاء من خلال اختلافهم فيما بينهم: هل هي من أصل نصراني أم من أصل يهودي؟[٨٧٨] وكأنّ الغاية المقصودة في ذاتها هي نفي عروبة هذه الكلمة!

---

[٨٧٥] انظر؛ سليمان بن عبد الرحمن الذييب، المعجم النبطي، دراسة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّة، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٥٨

[٨٧٦] «أصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح» (ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٨/١٤)

[٨٧٧] انظر؛ عمر صابر عبد الجليل، المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات الساميّة، دراسة إيتمولوجيّة في ضوء علم اللغات الساميّة المقارن، ص ٨٤، بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنة سرياني-عربي، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٠٦

[٨٧٨] انظر؛ Arthur Jeffery, *Foreign Vocabulary of the Qur'an*, pp. ١٥٢-١٥٣

خامساً: التكلّف المحض والقفز المحموم بادٍ لإثبات التطابق بين «ظالم» و«تلوما»(!) .. وقد شعر «الهش ...» بمبلغ تطرّفه في (عصر) الأدلّة، فاستعمل عبارته (الساذجة): «ليس أكثر»، رغم أنّه لم يأت بشيء أصلًا –بالإضافة إلى أنّ الكلمة التي قصدها هي «طلوما» (ܛܠܘܡܐ) بالطاء (ܛ) لا التاء (ܬ)!!– .. والأدلّة قائمة ضدّ دعواه:

* إنّ الظلم في القرآن الكريم له معان متعددة، وهو في وجه من أوجهه ظلم للنفس بترك الإيمان الحقّ، فليس هو في الاصطلاح القرآني مطابقًا للكفر؛ وإنّما ظلم النفس بترك طريق الهداية والإقبال على طريق الكفر؛ هو وجه من أوجه الظلم.

وقد استعملت كلمة «ظالم» وكلمة «ظالمون» لمطلق المخالفة للأوامر الربّانيّة سواء أكانت كفرًا أو دون ذلك، ومن ذلك:

﴿ الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[879]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[880]

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾[881]

---

[879] سورة البقرة/ الآية (٢٢٩)

[880] سورة الحجرات/ الآية (١١)

فالظلم ليس قرينًا للكفر، وإنّما يقع على المعصية وإن لم تؤل بصاحبها إلى مفارقة جماعة المسلمين.

* فعل «ظَلَمَ» العربي يقابله ما يقاربه في بنائه الصوتي في عدد من اللغات الساميّة؛ فهو «طْلَمْ» «ܛܠܡ» في السريانيّة، و«طْلَم» «טלם» في الآراميّة، و«طَلَمَ» «ጠለመ» في الحبشيّة.[882]

* كلمة «طلوما» نفسها التي ذكرها «الهش...» تعني في المعاجم السريانيّة «ظالم»[883] .. ولو قلنا إنّها في النصرانية السريانيّة قد استعملت بمعنى غير المؤمن، فإنّ ذلك ليس إلاّ مدًا لمعناها الأصلي –«ظالم»– ؛ لارتباط ترك الإيمان الحقّ بظلم المرء نفسه باتباع طريق الضلالة؛ فلا يجوز إذن القفز فوق المعنى اللغوي الأصلي في اللغة السريانيّة مع وجود موازيه العربي!

* وردت كلمة «طلوما» في الكتاب المقدس السرياني بمعنى «ظالم» دون أن يكون المقصود: «غير مؤمن»:

✓ مزمور ٧٢/٤: «ܢܕܘܢ ܠܡܣܟܢܐ ܕܥܡܐ. ܘܢܦܪܘܩ ܠܒܢܝ ܡܣܟܢܐ. ܘܢܡܟܟ ܠܛܠܘܡܐ.»

«ليحكم الملك بالحق للمساكين، وينقذ بني البائسين، ويحطم الظالم.»

✓ الجامعة ٤/١: «ܘܗܦܟܬ ܐܢܐ. ܘܚܙܝܬ ܠܗ ܠܟܠ ܛܠܘܡܝܐ ܕܡܬܥܒܕܝܢ ܬܚܝܬ ܫܡܫܐ. ܗܐ ܕܡܥܐ ܕܛܠܝܡܐ. ܘܠܝܬ ܠܗܘܢ ܡܒܝܐܢܐ ܡܢ ܐܝܕܐ ܕܛܠܘܡܝܗܘܢ ܚܝܠܐ ܘܠܝܬ ܠܗܘܢ ܡܒܝܐܢܐ.»

«ثم تأملت حولي فرأيت جميع المظالم التي ترتكب تحت الشمس. شهدت دموع المظلومين الذين لا معزي لهم، أما ظالموهم فيتمتعون بالقوة، غير أن المظلومين لا معزي لهم.»

---

[881] سورة فاطر/ الآية (٣٢)

[882] انظر؛ حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة، ص ٢٦٣

[883] انظر؛ يعقوب أوجين منا، قاموس كلداني عربي، ص ٢٨٤ , J. Payne-Smith, *A Compendious Syriac Dictionary*, Oxford: Clarendon Press, ١٩٥٧ , p.١٧٤, Louis Costaz, *Syriac-French-English-Arabic dictionary*, Beyrouth: Dar El-Machreq, ٢٠٠٢, p.١٢٧

المستشرقون .. وقلوبهم (الملائكيّة)!:

قال «الهش...» في أكثر مقاطع كتابه إغراقًا في (الكوميديا) (الوقورة!): «المستشرقون القدامى ومن هم أقرب منهم زمنيًا (بلاشير، ماسون) كان يصعب عليهم أن يقرّروا جهارًا أنّ محمدًا كان **علّامة** في مجال الكتابات اللاهوتيّة، والأخيرون إذ اكتشفوا تشابهات كبيرة بين القرآن وبين الأناجيل المنحولة لا يلحّون على مسألة التأثير بل يمرّون سريعًا عليها **لكي لا يجرحوا مشاعر المسلمين**.»[884]

لا شكّ أن الدمع الساخن يكاد يَطفُر مِغزارًا من عين القارئ تعاطفًا مع هؤلاء المستشرقين (الطيبين!) الذين خانوا أمانة العلم ورسالة التبليغ، لأنّ قلوبهم (الرخوة) قد غلبت عقولهم (الصلبة)؛ فتواطؤوا جميعًا على ترك إعلان الحقيقة الناصعة الواضحة، وهي أنّ محمدًا ﷺ (إمام في اللاهوت الكتابي، حتى النخاع!!)، حرصًا على رهافة أحاسيس المسلمين الذين لا يتصوّر الواحد منهم أن يقول مستشرق من المستشرقين كلامًا ينال من جناب الإسلام ..!!؟

ولا شكّ أنّ هذا الحديث (العاطفي) الحزين، مثير للشفقة ولا ريب، لكنّها شفقة على عقل هذا «الهش...» الذي يريد طمس كل نور من عقول القرّاء ...!!!

إنّ البداهة تقتضي في عرف بني «آدم» أنّ التخصّص اللاهوتي لا بد له من مقدمات، وأصول، وفراغ، وأساتذة، ومراجع، ولغات، وبيئة، وتفرّغ، وصبر .. ولذلك فرّ القائلون إنّ الرسول ﷺ قد أخذ من اليهوديّة والنصرانيّة، إلى القول إنه قد أخذ من التراث الشفهي الشائع والمتناقل بين أهل الكتاب .. وليس لهذه (الطيبة) (الهشّة) مجال هنا، إذ إنّ الاستشراق ما قام إلا لخدمة هدف زعزعة أصول الإسلام ونقض مقولاته وردّ أصالته!

---

[884] هشام جعيط، تاريخيّة الدعوة المحمّدية، ٢/١٧٤-١٧٥

إنّنا نعيش في (الزمن الصعب) حيث تكلّم الرويبضة، وأفصح عن مكنونات (عقله) الخاوي. وصار زعيم القوم (أرذلهم)، وأعلَم القوم (لكع بن لكع) ليس له في العلم رصيد ولا نصيب![٨٨٥]

---

[٨٨٥] إنّه لمن العسير تتبّع (جهالات) ((الهش...)) إذ لم أر له من العلم في ما يكتب أدنى زاد، بل وله من (الجهالات البدائيّة) نصيب وافر، وفُتح له في ذلك أعظم باب؛ فهو —في كتابيه في السيرة—:

(١) يجهل أنّ الاسم الأعظم للإله في اليهوديّة هو ((يهوه)) ((יהוה)) وظنّه ((أدوناي)) (٣٢٨/٢)

(٢) لا يدري أنّ ((אלהים)) تكتب بالحرف العربي ((إلوهيم)) لا ((إيلوهيم))؛ إذ إنّ حرف الألف محّرك (بالحطف سيجول) لا (تسيريه حاسير) (٩١/٢)

(٣) لا يحسن رسم كلمة ((الأسينية)) الفرقة اليهوديّة المعروفة، ويكتبها ((الإيسينيّة)) —بياء بعد الهمزة—(٢١/٢)!

(٤) يكتب اسم ((أفرام)) السرياني كما هو في عرف اللسان العربي، ((إفرائيم)) (١٧٤/٢).

(٥) كتب اسم الإله عند النصارى السريان على أنّه ((ألاه)) في حين أنه ((ألاها)) ((ܐܠܗܐ)) بحرف المد في الآخر (ألف) (أكثر من موضع)

(٦) يكتب اسم ((إرميا)) بإضافة الياء ((إرميا)) (١٢٧/١)!

(٧) قال في (١١٢/١): ((إنّ العهد القديم أعيد تحريره وضبطه العديد من المرّات حتى القرن الثالث بعد المسيح. انظر في هذا المجال: Wellhausen، Dhorme، Bottero.)) .. وأنا أعترف أنّني (نظرت)، فلم أفهم معنى هذه الإحالة التي لا تحيل إلى أسماء كتب وصفحات معيّنة!! ولا أدري ولا أظن أنّني (سأدري) معنى أنّ العهد القديم قد حرّر وضبط حتى القرن الثالث ميلاديًّا .. (الكلام ببلاش!)

(٨) زعم في (١٧٦/٢) أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد اطّلع على كتابات آباء الكنيسة، وهذا الرأي الطريف، قد بلغ بلا ريب درجة (الهبل!)؛ لأنّ جل هذه الكتابات كان باللغتين اليونانيّة واللاتينيّة، كما أنّها مؤلفات مغرقة في التجريد الفلسفي، وكانت حكرًا على طبقة خاصة من علماء النصارى .. وقد اعترف ((الهش...)) مع ذلك أنّه ((لا وجود للكنيسة بالحجاز في تلك الفترة. وكان مستوى المعرفة عند النصارى واليهود ضعيفًا جدًا.)) (١١٦/١) .. فهل صنعت لقاءاتٌ مع (تجار) و(زوار) لمكة، أعظم لاهوتي موسوعي في ذاك الزمان!؟ (تساؤل) يصيب عقل صاحبه (بالشلل)! ولا أمل في (الشفاء) إلاّ أن تكون هذه الدراسة (online)!؟

(٩) قال ((الهش...)) أثناء حديثه عن طروء (!) (الاحتجاج) بالحديث بعد العصر النبوّي: ((استفحل الأمر إلى أن وصل بعض المسلمين الآن إلى تفويق السنّة على القرآن)) (٤٥/١) .. قلت: لم (يستفحل) هذا الأمر، ولم يكن (فحلًا) في يوم من الأيام .. وإنّما هي (أضغاث أوهام) و(زيف أحلام)!

وكان قد قال في هامش النص السابق لما اقتبسناه عنه: «ولنذكر أنّ الموطأ لم يحو إلاّ خمسمائة حديث، وأنّه اعتمد أساسًا على عمل أهل المدينة. لكنّ مسند ابن حنبل كلّه حديث. وفي تلك الفترة تكوّنت زمرة الحديث.» (١١٢/١). قلت: هي ظلمات بعضها فوق بعض:

أولًا: عدد أحاديث الموطأ المرفوعة على رواية «يحيى بن يحيى الليثي» —وهي أشهر الروايات– (الأحاديث المتصلة والمرسلة والمنقطعة) قريب من الثمانمئة.

ثانيًا: (زمرة أهل الحديث) لم تظهر زمن الإمام «أحمد»، وإنما ظهرت زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم حيث كان الصحابة يأخذون بأقواله في العقائد والأحكام وغير ذلك من شؤون الدنيا والآخرة، واستمر الصحابة رضوان الله عليهم على هذا السبيل بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وكان جمهور التابعين وتابعي التابعين من الآخذين بالحديث النبوي والعاملين به.

ثالثًا: الإمام «مالك» لم يردّ حجيّة الأحاديث ولم يزهد في المسند المرفوع–على خلاف دعوى «الهش...»–، ولم يرد أن يستوعب الأحاديث النبويّة في موطّئه، كما هو ظاهر من تقسيمه له.

رابعًا: لم يرد الإمام «مالك» من أخذه بعمل أهل المدينة ردّ حجيّة الحديث النبوي، وإنّما عملُ أهل المدينة عند «مالك» أشبه بالرواية القوليّة المتوارثة في عمل أهل المدينة التي عاش فيها كثير من الصحابة وتلاميذهم والآخذين عنهم العلم، فهو عمل دال على نص صحيح غير منسوخ (انظر؛ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت/ عبد المجيد التركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠م–٢٠٠١م، ط٣، ص١٤٣).

إنّها (موبقات) تخنق في العقل رئتي تنفسه؛ ولذلك جاء كلامه (نحنحة)!

(١٠) من (مضحكات) أقواله ترجيحه ما رواه «الطبري» عن قتادة من أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد مكث في مكّة ثماني سنوات، لا عشر سنوات أو ثلاث عشرة سنة، ودليله هو أنّ «قتادة» كان يروي عن كبار التابعين (ص ٣٤٨–٣٤٩) ، وأنّ «الطبري» كان يكثر الرواية عنه .. فـ «الهش...» يردّ ما جاء عن الصحابة الذين لم يقل أحد منهم بهذا القول الغريب، ويقبل ما جاء عمّن أعظم ميزة فيه أنّه قد لقي كبار التابعين (!)، وهو هنا أيضًا يردّ روايات البخاري ومسلم، ويقبل ما رواه «الطبري» لأنّ الطبري كان يكثر من الرواية عن «قتادة» (!!)، رغم أنّ «الطبري» كان يكثر الرواية عن الوضاعين والضعفاء (ليس «قتادة» منهم، وإن كان مدلِّسًا) .. وهو منهج — منهج «الهش...» – أعمى وأعرج؛ لأنّ العبرة ليست بكثرة الرواية وإنما بصحة الإسناد، وما قاله «قتادة» موقوف عليه؛ فهو رواية مقطوعة، وقد ساقه «الطبري» نفسه مساق الرواية المنكرة، وأورده بصيغة التمريض: «وقد روي عن قتادة» (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلميّة، ٥٧٤/١) وهذه الرواية عن «قتادة» لا تثبت أصلًا (انظر؛ محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلّاق، ضعيف تاريخ الطبري، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ٥٧/٧) .. والذي يزيد هذا (الجهل) ظرافة (!) هو أن «الهش...» نفسه قد قال في الجزء الأول من حديثه

عن السيرة: «والحال أنّ السيرة والتواريخ تشدّد على الحدث باعتباره الانطلاق الأساس. ولئن كانت الأسانيد لا تُعتمد بالنسبة للمؤرّخ، بل فقط متن الرواية...» (ص ٣٥)؛ فهل للسند قيمة عند «الهش...» أم هو هدر؟! سؤال يلف حبل الحيرة حول (العقل) ويخنقه بحسرته!!

ولا تقف (سخافات) الرجل عند ذاك، وأنّى لدفقه أن يقف أو لسيله أن يجف؟! لقد أخبرنا «الهش...» أنّ قصّة نزول الوحي في غار حراء متواترة، لكنّه يرفضها رغم هذا التواتر (ص ٣٥)! فهل الحديث الموقوف الضعيف مقدم على الحديث المرفوع المتواتر؟! هنا (انتحار) العقل بعد أن أصيب بتسمم (دماغي) و(إسهال) حاد وحار.. رحمه الله؛ فقد هتك «الهش...» (عرضه)، وطوله، وجميع أبعاده!

ولعلّ أبرز ما تلحظه العين الباصرة في الاستجلاء العقلي والنفسي للإفراز (الفكري!!) «لجعيط»، إمعانه في التلذذ بمراهقته الفكريّة —وهو الذي جاوز السبعين—؛ فهو مترع الغرام بما عُهِدَ عن الأطفال إذا ما دخلوا مرحلة المراهقة وبدأ الحرف اللاتيني في استهوائهم، فهو يكثر من: (١) استعمال العبارات الأعجميّة التي لا يليق استعمالها في وجود مقابل عربي محكم، (٢) توليد الألفاظ العربية ذات البنية الصوتيّة اللاتينية القديمة أو الفرنسيّة. (٣) استحضار أسماء العلوم ذات الرنين الطريف على أذن العامي؛ في نوع من صناعة الانتشاء الذاتي، رغم أنّ هيكل كتابه ومضمونه لا يحملان رصيدًا من هذا (الإرهاق) المشطّ الذي أوقع فيه «الهش...» نفسه في استجلاب الأصوات والضجيج اللفظي المفتعل!

كما أنّ (الرجل) لايزال يتعامل مع القارئ على أنّه (فتى غرّ) ينظر إليه من قاع الوادي في ذهول وانبهار جعلاه لا يجد (حرجًا) في استحماره في قوله: «إنّ علماء أوروبا درسوا مليًا تاريخ الإسلام لمدة قرن تقريبًا من ١٨٦٠م إلى ١٩٦٠، ودرسوا بالأساس ماضيه باعتباره من كبرى حضارات الإنسانيّة» (٩/٢)، رغم أنّ (رجلًا) من أئمة الاستشراق الفرنكفوني «جاك بيرك» قد اعترف أنّ الاستشراق لم يكن بهذه البراءة المدّعاة، وإنما ربط بالاستعمار السياسي والعمل التنصيري والتوظيف الاقتصادي بصورة وطيدة، ولذلك أعلن «بيرك» ما سمّاه: نهاية زمن الاستشراق (انظر؛ شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين، دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٦)، وقد كتب «إدوارد سعيد» الأكاديمي —النصراني مولدًا— في تعرية الاستشراق وكشف منطلقاته العدائية نحو الإسلام، عقيدة وشريعة وتاريخًا، وفيه الغنية (انظر؛ Edward Said, *Orientalism*, London: Pantheon Books, ١٩٧٨)!

«هشام جعيط» هو —بكلّ أمانة— أحد إفرازات عصور الانحطاط في البلاد العربيّة .. وبلسان الصادق الأمين— صلوات ربّي وسلامه عليه— «رويبضة .. يتحدّث في أمر العامة»!!

إنّنا نعيش في زمن (الصعب) حيث يعتز العالماني (الرقيع) بثغائيّة كلماته الغثائيّة اعتزاز البخيل بدرهمه وديناره!! ألست ترى «سيد القمني» —مثلًا— وقد (انتفش) (زهوًا) لما مُنِح (جائزة الدولة التقديريّة في تخصص أنثروبولوجيا الأديان) عن

كتبه في دراسة اليهوديّة، قبل أن يكتشف الجميع أنّ دكتوراه (صاحبنا!) من إحدى جامعات أمريكا، (مضروبة) من جامعة وهميّة، ثم اكتشفتُ لما نظرتُ في كتبه أنّ هذا (العلاّمة) —كما يسمّيه (عشّاقه!)- (ضرب) حتّى مراجع كتبه -إلاّ العربي أو المعرّب منها-؛ فقد استبان لي من وجهين (طريفين) أنّ مراجعه الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة لا أصل لها في مكتبته- فاستغنيت عن مزيد البحث، خاصة أنّ الأمر كان كارثيًا إذ كشف لي أيضًا أنّ هذا (العلاّمة!) الذي (غاص) في عمق الديانة اليهوديّة (!)، لا يعرف حتّى أسماء الكتب المقدسة اليهوديّة، أي أنّه لا يعرف من تخصصه (وجهًا ولا قفا) ؛ وأوّل ما نبّهني إلى هذه الحقيقة أنّه لما كتب (القمني) أسماء أسفار العهد القديم في كتابه (إسرائيل، التوراة .. التاريخ، التضليل، دار قباء، ١٩٨٩م، ص٢٠-٢٥)، قال: «القسم الأوّل: المعروف باسم التورة (كذا)، أو كتب موسى الخمسة، أو البانتاتك Pentateuque ويشمل خمسة أسفار هي: التكوين Genesis والخروج Exodus واللاويين Leviticus والعدد Nambers والتثنية Deuteronomy... أوّلها أيوب Jop ثم المزامير Bsaumes وبعده سفر أمثال سليمان Bruverbes ثم سفر الجامعة Ecclesiastes وهو منسوب بدوره لسليمان، ومن بعده سفر نشيد الإنشاد Canuque des Cantigues... ودانيال Daniel وهوشع Osee ويوئيل Joe وعاموس Amos وعوبديا Abdias ويونس Jonas وميخا Michee وناحوم Nahum وحبقوق Habakuk وصفنيا Sophonie وحجي Ajjee وزكريا Zacharie وملاخي Malachie» .. لقد قرأت هذا (المكتوب)؛ فلم أجد في الضحك والغضب تعبيرًا عن (صدمتي)؛ إذ إنّ هذا (الكويتب) بعد أن (وكذلك: قبل أن) (ضرب) شهادة الدكتوراه، قام باختلاق مراجع إنجليزيّة وفرنسيّة وألمانيّة لكتبه، رغم أنّه لم يشم من (رائحة) هذه اللغات شيئًا؛ ودليل ذلك أنّه في قائمة الأسماء التي كتبها سابقًا بالحرف اللاتيني، كان مرّة يكتب أسماء الأسفار بالفرنسيّة (مثال:Michee ، Sophonie...) وفي أخرى بالإنجليزيّة (مثال: Genesis، Exodus، Ecclesiastes) دون أن ينتبه لهذا الخلط بين اللغتين؛ ولا يفعل ذلك عاقل، وسبب ذلك أنه كان ينقل هذه الأسماء من كتب غيره، فدخل (الحابل) في ساحة (النابل)، كما أنّه قد كتب كلمة «Pentateuque» الفرنسيّة بالنطق الخطأ إذ تكتب «بُنتاتوك» وأصلها من اليونانيّة «Πεντάτευχος»، وهي في الإنجليزيّة «Pentateuch»، بل وكتب أسماء بعض الأسفار بلغة لا تعرفها الأرض (Nambers) والصواب (Numbers)، (Jop) والصواب (Job)، (Bsaumes) والصواب (Psaumes)، (Bruverbes) والصواب (Proverbes)، (Canuque des Cantigues) والصواب (Cantique des Cantiques)—وحتى لا يتبرع (كريم) بالقول إنها أخطاء (طباعة!) أو مجرد (سهو!)، فأقول إنّ (القمني) قد كرر نفس الأخطاء في كتابه (النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، ص٣٠-٣٣)!-... فكيف إذن كان «القمني» يتعامل مع مراجع العلم الذي يدعي أنه تخصصه، رغم أن عامة مراجعه أجنبيّة؟! ومن أين له تلك

المراجع التي يذكرها في كتبه إذا كان لا يميز بين الفرنسية والإنجليزيّة؟! وكيف يُكرم بجائزة الدولة التقديريّة في تخصص لا يعرف عنه مقدّماته (بل ما قبل المقدمات!) .. والمثال الثاني متعلق باسماء المراجع الأجنبيّة التي أوردها في كتبه؛ إذ إنّه قد أخطأ في رسم كل إحالاته إلى المراجع الفرنسيّة التي يدعي أنه قد اطّلع عليها (باستثناء كتابه (أوزيريس) فنصف المراجع الفرنسيّة لم يخطئ في رسمها، والكتاب على كلّ حال غير متعلّق باليهوديّة) وكثير من المراجع الألمانيّة فيها نفس الداء.. والرجل عاجز حتّى عن معرفة أسماء أئمة الدراسات التي يخوض فيها، ويزعم النقل عنهم، فهو لا يزال عاجزًا عن معرفة أنّ «فلهاوزن» يكتب اسمه «Wallhausen» لا «Wellhausen»، ويخبرنا عن رجل اسمه «جاك أوستراك» (١٦٨٤م-١٧٦٦م) وهو يقصد «جون أستروك» «Jean Astruc» الناقد الشهير (إسرائيل، التوراة .. ص ٣١)! ولا يقف الأمر عند ذلك؛ إذ يصرّ (القمني) على تعليمنا ما لا نعلم وما لا يعلم (!)؛ فقد اقتحم باب دراسات اللغات الساميّة، وله في ذلك –طرائف (تميت القارئ بالضحك بعد أن تمرضه بالبكاء!) ولك أن تقرأها في كتابه (السقيم بكل الأمراض المستعصية): (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، مدبولي الصغير، د.ت) ففيه أمور لو علمها «بروكلمان» وإخوانه لابتلعوا أظافر أرجلهم (كمدًا)، والرجل على استعداد أن يجود عليك بالنوادر والتدقيقات؛ فيقول لك مثلًا، لتعرف حجم (جهلك!): «ويطلق على كتب العهدين اصطلاحًا لفظة (أسفار) جمع (سفر) أو كتاب، وتعني السور أو المحيط بالمحتوى، و(سفر) هي المقابل العبري لكلمة (سورة) في اللغة العربيّة, حيث يتبادل الحرفان (فا) و(و) بين العبريّة والعربيّة، كما في (ليفي) العبريّة، ومقابلها (لاوي) في العربيّة» (إسرائيل, التوراة .. ص١٨) .. لا أدري لِمَ انتصب لتعليم القرّاء العبريّة رغم أنه يعلم أنّ كل كلامه من (هوى رأسه)؟! إذ إنّ المثال الذي قدّمه يكشف أنّه لا يعرف ما يخرج من (بلعومه)؛ فكلمة (لاوي) في العبريّة هي (לוי) بحرف الواو (ו) لا الفاء (פ)، علمًا أنّ علماء العبريّة مختلفون في أصل نطق حرف (ו) بين و(واو) و(VAV)، ويستشهد المنتصرون لنطقه (واوًا) باللغة العربيّة كمقابل سامي، وعلى كل حال فالفاء (פ) الموجودة في كلمة (سفر) (ספר) (العبريّة) لا علاقة لها بحرف الواو (ו) وإن نطق (VAV)! وقد بلغ الأمر منتهى (السخف) عندما تحدث (القمني) عن أشهر نظريّة في أصل تكوين أسفار «موسى» –عليه السلام– الخمسة، وهي نظرية «فلهاوزن»، والتي أكثر «القمني» تكرار ذكره لها في كتبه؛ فقد استدل القمني بأشهر نص في العهد القديم بعد نص الوصيّة الأولى من الوصايا العشر، لإثبات ما قرّرته هذه النظرية من تعدد لمصادر النصوص، وهو نص يعرفه كلّ من قرأ (كلمتين علميتين) في دراسات العهد القديم، فقد كتب (القمني): «يمكننا أن نقف على ذلك التناقض في فعل الخلق، الذي يقوم به مرة من سمّي في الترجمة العربيّة (إله) وهو في الأصل العبري (يهوه)، كما في القول: «في البدء خلق الله السماوات والأرض» تكوين ١/١ أو كما في القول: «وقال الله ليكن .. كذا كذا»؛ ومرّة أخرى نجد الخالق في ذات القصّة لكن في مواضع أخرى هو (إللوهيم) أو (الآلهة)» (إسرائيل، التوراة ...، ص٣٢-٣٣) .. إنّها والله (مأساة)، فهذا النص مشهور جدًا بلفظه العبري: «في

وما أصدق قول الإمام «ابن القيم» لو قيل في هؤلاء:

لا يفزعنك قعـــــــاقع وفـــراقع	**	وجعاجع عريت عن البرهان
كم ذي الجعاجع ليس شيء تحتها	**	إلا الصدى كالبوم في الخربان

البدء خلق إلوهيم (لا يهوه!) السماوات ...» «בראשית، ברא אלהים، את השמים ...» (بريشيت بارا إلوهيم إيت هشامَايم...) .. وتزداد المأساة قتامة إذا علمنا أنّ (القمني) لا يعلم أنّ اسم الجلالة في العهد القديم هو (إلوهيم) (אלהים) لا (إللوهيم)!!

لن أزيد .. فقد ابتلينا بأهل (الهشاشة) .. وشرّ (الهشاشة)، ما يجعلك تطيل في الهوامش وتخرج عن أصل الموضوع!

هل من معلم بشري لمحمد ﷺ ؟

إذا كان القول باطلاع محمد ﷺ على أسفار أهل الكتاب ودراسته لها دراسة نقدية عميقة، فاقدًا للمستند التاريخي؛ لما ثبت من أميّته ﷺ، وعدم وجود ترجمة عربيّة في زمنه؛ فلم يبق بعد ذلك إلا أن يفترض المخالف أنّ محمدًا ﷺ العربي الأميّ قد تلقى علوم أهل الكتاب عن غيره، بعد أن ثبت عجزه عن الاطلاع المباشر على أسفار القوم ..

والاحتمالات المتاحة أمام المنصّرين لا تخرج عن الآتي :

- قد تعلّم محمّد ﷺ على يد علماء أهل الكتاب قبل بعثته.
- أو تعلّم على يد علماء الكتاب بعد بعثته.
- أو أنه قد تلقى علوم الكتاب المقدس على يد العرب.
- أو على يد الفتى الرومي (كما قال معاصروه).

الاحتمال الأول في الميزان

أ – إنّ حياة محمد ﷺ معلومة للقاصي والداني مما يجعل الزعم بأنه قد عكف الشهور والسنين في دراسة التوراة والانجيل قولًا مردودًا بداهة، ولو أن قومه كانوا قد علموا أنه قد قضى ردحًا من عمره يدرس الدين اليهودي والدين النصراني على يد علماء أهل الكتاب لحدّدوا لنا المكان والزمان اللذين قدمت له فيهما هذه العلوم الكتابية الغزيرة والمعقدة والتي جعلته يجيب ببراعة فائقة على كل الأسئلة التي وجهها له أهل الكتاب حتى إنه لم يتراجع عن إجابة قدمها.

ب – مقابلة محمد ﷺ لعلماء اليهود والنصارى قبل بعثته لم تكن تسمح له بأن يحصّل كل تلك العلوم الواسعة والدقيقة لأنه لم يلتق قبل بعثته –كما ورد في كتب السيرة– سوى بالراهب بحيرى (وهو في الثانية عشرة من عمره)، وهو لقاء حضره عمه (أبو طالب)، ومضمون هذا اللقاء هو إخبار هذا الراهب أبا طالب أنّه قد رأى في الرسول ﷺ علامات النبوّة!! وهو لقاء سريع وخاطف، ولم يكشف عن عمل تعليمي من هذا الرجل للرسول ﷺ.

على أنّ الراجح –بعد بحث أصالة الرواية متنًا وسندًا– أنّ قصّة لقاء الرسول ﷺ «ببحيرى» هي قصّة مختلقة منكرة تخالف ما ثبت من صحيح السيرة في المرحلة التالية حيث لا يبدو من «أبي طالب» علم بنبوّة الرسول ﷺ، بل ما كان الرسول ﷺ قبل لقائه بجبريل عليه السلام يحسب أنّه سيكون ممّن اصطفاهم المولى عزّ وجل لهذا المقام، كما أنّه ﷺ قد فوجئ بلقاء جبريل عليه السلام، واضطر إلى سؤال «ورقة بن نوفل» عن الذي وقع له في الغار!

وقد كذّب الإمام الحافظ «الذهبي» هذه الرواية، وقال فيها:

«وهو حديث منكر جدًّا!

وأين كان أبو بكر؟

كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف؛ وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإنّ أبا بكر لم يشتره إلاّ بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد؛ وأيضًا، فإذا كان عليه غمامة تظلّه كيف يتصوّر أن يميل فيء الشجرة؟ لأنّ ظلّ الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النّبيّ ﷺ ذكّر أبا طالب قطّ بقول الرّاهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ، مع توفّر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيّما اشتهار، ولبقي عنده ﷺ حسّ من النّبوّة؛ ولما أنكر مجيء الوحي إليه، أوّلًا بغار حراء وأتى خديجة خائفًا على عقله ...

وأيضًا فلو أثّر هذا الخوف في أبي طالب وردّه، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكّنه من السّفر إلى الشام تاجرًا لخديجة؟

وفي الحديث ألفاظ منكرة، تشبه ألفاظ الطّرقيّة، مع أنّ ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: وبعث معه أبو بكر بلالًا إلى آخره، فقال: ثنا الوليد بن مسلم، أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه.»[٨٨٦]

---

[٨٨٦] الذهبي، تاريخ الإسلام، ت/ عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ١/٥٧

وقال الإمام المحقّق «الذهبي» أيضًا في تعليقه على مستدرك «الحاكم»: «أظنه موضوع، وبعضه باطل.»[887]

وممّن أشار أيضًا إلى نكارة متنه «ابن سيد الناس» في كتابه «عيون الأثر» إذ قال فيه: «في متنه نكارة وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالًا. وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين فإنّ النبيّ ﷺ أسنّ من أبي بكر بأزيد من عامين، وكانت للنبي ﷺ تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون، وأيضًا فإنّ بلالًا لم ينتقل لأبي بكر إلاّ بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عامًا؛ فإنّه كان لبني خلف الجمحيين، وعندما عُذّب في الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضي الله عنه رحمة له واستنقاذًا له من أيديهم.»[888]

وخلاصة البحث في هذه المسألة هي أنّ: «قصة بحيرى لا تثبت أمام النقد الحديثي، ولو افترضنا جدلًا أنها وقعت فإن اللقاء بينهما لا يعدو الساعة أو الساعتين، وعمر النبيّ ﷺ اثنتا عشرة سنة. ولو حدثت قصة اللقاء لأثارت جدلًا في قريش. لكننا لا نجد صدى لها مما يؤكد بطلانها. وماذا يتحمل صبي في الثانية عشرة من عمره عن بحيرى؟ وقد اجتمع به بحضور قريش ساعة من زمان؟»[889]

فالقصة لا تثبت إذا ما أخضعت إلى مناهج النقد العلمي التأريخي الصارمة. وحتى لو ثبتت – جدلًا– فإنها لا تؤدّي إلى ما أراده المنصّرون؛ لأنّ هذا اللقاء كان سريعًا خاطفًا لا يمكن أن يتعلّم منه المرء شيئًا!!

ومن الغريب، والمثير، أنّه رغم أنّ هذه الشخصية –«بحيرى» الراهب– مغمورة إلا في هذه القصة الواهية –حتّى اضطرّت الموسوعة الإسلاميّة الاستشراقيّة المختصرة « *Shorter*

---

[887] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي، القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ٧٢٤/٢

[888] انظر؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ت/محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٠٨/١

[889] د. أكرم ضياء العمري، مرويات السيرة النبوية، بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين (نسخة الكترونية).

«*Encyclopaedia of Islam*» إلى القول في أصالة القصّة بأكملها إنّ «كلّ مفاتيحها مفقودة» ولذلك «لا يمكن أن يقال فيها من الكلام إلاّ القليل» [٨٩٠]–، فإنّ المنصّرين قد ادّعوا أنهم على معرفة بوجودها التاريخي من مراجع غير إسلامية! ولأنهم يخترعون القصص من أوهامهم؛ فقد تخبطوا في معرفة الاسم، والموطن، وحتى مذهب هذا الراهب !!![٨٩١]

وقد نشر المنصّرون المصريون أتباع الكنيسة الأرثوذكسية المرقسيّة، وثيقة على (النت) قالوا إنّها مذكرات «بحيرى» الراهب، وقد اعترف فيها «بحيرى» أنّه هو الذي علّم الرسول ﷺ حقائق الدين!!

والحقيقة هي أنّ هذا النصّ مأخوذ –حرفيًا– من كتاب «*A Christian Bahira Legend*» لعالم الساميّات «ريتشارد غوتهيل» «Richard Gottheil» وقد أورد فيه هذه القصّة في صورتها السريانيّة والعربيّة، عن مخطوطات قديمة، والغريب أنّ «ريتشارد غوتهيل» قد صرّح في العنوان، وفي الكتاب، في فقرته الأولى، أنّ هذه القصّة ليست إلا خرافة «Legend» تمّ توظيف بعض

---

[٨٩٠] H. A. R. Gibb and J. H. Kramers, *Shorter Encyclopaedia of Islam*, New York: Cornell University Press, ١٩٠٥, p.٥٦

[٨٩١] يقول الدكتور «أكرم ضياء العمري»: «أما بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرا فإن المصادر لا تكاد تتفق على شيء بشأنه، بل هي متضاربة في اسمه فمرة جرجيس وأخرى جرجس وثالثة سرجيس ورابعة سرجس. ومرة أنه مشتق من الآرامية معناه المنتخب، وأخرى من السريانية معناه المتبحر. ومرة ينسب لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي. ومرة هو نصراني وأخرى يهودي.» (السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط٦، ص ١١٠-١١١)

وقال الشيخ «الألباني» في تسمية هذا الراهب «ببحيرا»: «إن تسمية الراهب بـ (بحيرا) إنما جاء في بعض الروايات الواهية، في إحداها الواقدي وهو كذاب، وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواها بدون إسناد، وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذين سموه بهذا الاسم» (ناصر الدين الألباني، حادثة الراهب المسمى (بحيرا) حقيقة لا خرافة، مجلة التمدن الإسلامي، ٢٥)

وانظر في اختلاف الدفاعين النصارى في الاسم والمعتقد؛ A. Abel, '*Bahira,*' in P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. *Encyclopaedia of Islam*, Brill Online, ٢٠١٠

المرويات التاريخيّة فيها لأغراض جدليّة[٨٩٢]، كما أشار إلى أنّ كاتب (أو كتّاب) فهرس المخطوطة العربيّة في «المكتبة القوميّة» قد كتب: «خرافة كتبت نحو القرن الثاني عشر.» «Legende composée vers le ١٢ siecle» تعليقًا على النص العربي للقصة[٨٩٣]، وهو قريب مما قرّرته الموسوعة الاستشراقيّة «*The Encyclopaedia of Islam*» برد تاريخ تأليف هذه القصّة إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر.[٨٩٤]

وتعود أقدم المخطوطات التي اعتمدها «غوتهيل» للنص العربي، إلى بداية القرن الخامس عشر[٨٩٥]، أمّا النص السرياني فقد اعتمد في إعادة بنائه على ثلاث نسخ، اثنتان من القرن التاسع عشر[٨٩٦]، وواحدة من القرن السابع عشر أو الثامن عشر!![٨٩٧]

والقصّة بأكملها كما رجّح ذلك «غوتهيل» نفسه، ربما أُلّفت في فارس في بيئة فيها نشاط شيعي بارز؛ إذ تحدّث الكاتب عن المهدي المنتظر: «المهدي ابن علي ابن فاطمة»[٨٩٨] وما سيحدث على يديه من أمور عظيمة[٨٩٩]، واستعمل الرقم ١٢ –وفيه إيحاء إلى فرقة الإثني عشرية–، وعدد

---

[٨٩٢] انظر؛ Richard James Horatio Gottheil, *A Christian Bahira Legend*, New York: ١٩٠٣, p.١٨٩ and others

[٨٩٣] المصدر السابق، ص١٩٢

[٨٩٤] انظر؛ *E. J. Brill's first Encyclopaedia of Islam,* ١٩١٣-١٩٣٦, BRILL, ١٩٩٣, ٢/٥٧٧

[٨٩٥] انظر؛ Richard James Horatio Gottheil, *A Christian Bahira Legend*, pp. ٢٠٠-٢٠١

[٨٩٦] لم يذكر الزمن بدقّة عند حديثه عن مخطوطات النص السرياني، وإنما اكتفى بالقول: «القرن الماضي» ؛ ولما كانت النسخة التي أنقل عنها قد طبعت سنة ١٩٠٣م؛ فقد ذكرتُ أن (القرن الماضي) يعني القرن التاسع عشر.

[٨٩٧] انظر المصدر السابق، ص ١٩٩–٢٠٠

[٨٩٨] بهذا الرسم!

[٨٩٩] ذكر أيضًا «المهدي بن عايشة» الذي يفسد في الأرض!! وهذا ما يؤكّد وجود ثقافة شيعيّة سائدة في المنطقة التي كتب فيها هذا النصّ.

من الأمور الذي تكثر في الأدبيات الشيعيّة، حتّى قال «ريتشارد غوتهيل»: «يبدو أنّ الاهتمام الكبير بفكرة المهدي يدلّ على وجود تأثيرات شيعيّة.»[٩٠٠]

ويتميّز هذا النصّ بعدّة أمور قاطعة أنّ مؤلّفه راهب، وأنّ ثقافته الإسلامية غير محكمة؛ إذ إنّ مصدرها (الثقافة الشعبيّة) والمعلومات الطافية الشائعة عن الإسلام وعقائده وشرائعه:

١) راوي القصة الذي التقى «بحيرى» الراهب[٩٠١]، هو أيضًا راهب، وإن اختلف اسمه في النصّ السرياني عن النصّ العربي.

٢) تركيزه على الناحية التفصيليّة لوصف الوضوء والصلاة، وهي أمور تعرف بمشاهدة أحوال المسلمين، دون الحاجة إلى ثقافة خاصة.

٣) استشناعه الشديد لما أباحه القرآن الكريم من تعدد الزوجات، ووجود حوريّات في الجنّة.

٤) ادّعاؤه أنّ الكثير من النصوص القرآنيّة والأحكام التشريعيّة تدلّ بلفظها على عقيدة التثليث وألوهيّة المسيح وصلبه، وهو ما أرساه الجدل الكنسي في القرون الوسطى وانتشر في كتابات الرهبان الذين عُرفوا باختلاق الكثير من المناظرات الوهميّة بين المسلمين والنصارى.

٥) غياب الاستدلال بالأحاديث بما يؤكّد الثقافة السماعيّة الضيّقة لهذا الراهب.

٦) إظهار «بحيرى» في صورة التائب النادم على فعلته، وهي النهايات (السعيدة) في القصص التي اعتادها الرهبان.[٩٠٢]

٧) كتبت هذه القصّة في وسط نصراني انعزالي، ولم يُرد منها الكاتب إنشاء حالة نقاش علمي مع المسلمين، إذ إنه يقدّم رواية مشبعة بالرغبة في التشفي وبعيدة عن أيّة أصول تاريخيّة معتبرة، حتى إنه قد جعل الراهب «بحيرى» ملازمًا للرسول ﷺ في مكّة **والمدينة (!!)**، يقدّم له تفاصيل العقائد والشرائع كلّما احتاج إلى أمر يلقيه إلى الناس**!!** رغم أنّ الرواية الإسلاميّة (الضعيفة) التي هي أصل هذه القصّة، لا تذكر غير لقاء عابر مع راهب في طفولة الرسول ﷺ**!**

---

[٩٠٠] Richard James Horatio Gottheil, *A Christian Bahira Legend*, p.١٩١؛

[٩٠١] هذا في النصّ العربي، أما النص السرياني فيروي هذا الراهب القصة عن تلميذ لبحيرى.

[٩٠٢] من الطريف أنّ كلمة «Legend» الأعجميّة والتي تعني «خرافة» تعود في أصلها إلى القصص التي كان يرويها الرهبان عند الأكل، والتي تعتمد على الخيال الجامح في الوعظ.

٨) رغم انتشار هذه القصة العدوانيّة بين النصارى، إلاّ أنّ حدّتها في بيئة تحت سلطان المسلمين حكامًا وعلماء، تحتم القول إنّها كانت تنتقل بسريّة ودون ضجيج، وهو ما يجعل الأديرة آمن مكان لانطلاقها وترويجها.

وكما ذكر ذلك البحّاثة «سدني غريفث»، فإنّ النقاد قد أشاروا إلى زيف النصوص الجدليّة النصرانيّة التي لم يشتهر مؤلّفوها بأعيانهم المعروفة للناس، والتي كتبت بلغة نصارى البلاد العربيّة (السريانيّة، والقبطيّة، والأرمنيّة)، ومنها هذا النصّ[٩٠٣] .. علمًا أنّ «سدني» يرى أنّ المؤلّف سرياني مجهول، وأنّ النصّ السرياني- الذي هو أصل النص العربي- يعود إلى آخر القرن الثامن أو أوّل القرن التاسع.[٩٠٤]

لقد كان التحريف والاختلاق منهجًا بارزًا في النشاط الرهباني السرياني ضد الإسلام على مدى قرون طويلة.[٩٠٥]

ولقد وقف عدد من النقّاد الغربيين أنفسهم ضدّ أصالة رواية لقاء الرسول ﷺ«ببحيرى» الراهب، ومنهم «كليمن هوار» «Clément Huart»[٩٠٦] الذي قال في مقاله «مصدر جديد

---

[٩٠٣] Sidney Griffith, *The Church in the Shadow of the Mosque, Christians and Muslims in the World of Islam*, N. J.: Princeton University Press, ٢٠٠٨, p.٣٩

[٩٠٤] المصدر السابق، ص ٣٨، وقد ذهب «Armand Able» إلى أنّ هذه القصّة تكشف عن خلفيّة تاريخيّة للكاتب تعود إلى النصف الأول من القرن التاسع (انظر؛ Armand Abel, '*L'Apocalypse de Bahira et la notion islamique de Mahdi*,' in *Annuaire de L'Institut de Philologies et d'Histoire Orientales* ٣(١٩٥٣) ١-١٢)

[٩٠٥] انظر في تحريفات الرهبان السريان -المتعلّقة بالإسلام- للمخطوطات التي قاموا بنسخها, Michael Philip Penn, '*Monks, Manuscripts, and Muslims: Syriac textual changes in reaction to the rise of Islam*,' in *Hugoye: Journal of Syriac Studies*, Vol. ١٢,٢, ٢٣٥-٢٥٧

للقرآن» «*Une Nouvelle Source du Coran*»: «النصوص العربيّة التي اكتشفت، ونشرت، ودرست منذ ذلك الوقت، لا تسمح بأن يُرى في دور هذا الراهب السوري غير الخيال الصرف.» « Les textes arabes qui ont été trouvés, publiés et étudiés depuis lors, ne permettent de voir dans le rôle attribué a ce moine syrien qu'une pure fantasmagorie» [٩٠٧].

---

[٩٠٦] كليمن هوارت: عمل أستاذًا في مدرسة اللغات الشرقيّة الحيّة، ومديرًا للدراسات في المدرسة التطبيقيّة للدراسات العليا في باريس. عمل في خدمة الاستعمار الفرنسي للبلاد الإسلاميّة.

[٩٠٧] *Journal Asiatique*, Juilet- aout, ١٩٠٤, p.١٢٧

A Christian Bahira legend.

By *Richard Gottheil.*[1])

Conclusion of the Arabic text.

فقال لى على انا ان امر قومى ان لا يوحد من راهب[2] خراج ويبجل[3] وتقضا[4] حوايجه ويعنى[5] باحواله [6]وامرهم فى امر جماعة* النصارى ان[7] لا يتعدا[8] عليهم [9]ولا يغير عليهم فى رسومهم شيا* وتعمر كنايسهم وترفع[10] روسايهم [11]ويقدموا وينصفوا* ظلم احدا منهم كنت خصمه[12] [13]يوم القيامة.* فقلت له احسن الله جزاك وبارك لك فيما اعطاك[14] فقد قلت[15] ما انت من اهله. فقال لى [16]قد بقى علىّ شدة كيف* تقبلنى

---

1 *See* Vol. XIII, p. 189 ff.; Vol. XIV, p. 203 ff. 2 DPX + جزية ولا 3 PX وان يكون مبجل 4 DX وتقضى 5 D ويعنا; PX ويعتنا 6* D ويهتم بامرة واعظم الوصية على جماعه 7 D بان 8 DP + احدا 9* D ولا تغير ولا يغرض اليهم بمكروة فى شى من رسومهم; PX رسومهم. ثم يبقوا اعلى ما جرت به العادة ولا ينكد احدا عليهم 10 D وترتفع; PX ويرفع 11* D (احدا X) 12 P حصيمة 13* PX) 14 P عطاك 15 PX واقول لقومى ان من ابى مفتكر فى حالى ومكابرا فى قضية امرى وما اعرف 16* D لى + قد بقا شيا اخر اريد اقوله لك عن ما PX; يملكون(?) لى وكيف قلت لى كيف

Syriac texts.

[illegible] Ms Sachau 87, fol. 48 a

[illegible]

[illegible] (fol. 48 b) [illegible]

ت- إنه من المحال في مجرى العادة أن يُتمّ إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف؛ ليصبح أستاذ العالم كله، لمجرد أنه لقي -مصادفةً واتفاقًا - راهبًا من الرهبان، فقد كان هذا التلميذ مشتغلًا عن التعليم بالتجارة، وكان أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكان صغيرًا تابعًا لعمّه في المرة الأولى، وكان حاملًا لأمانة ثقيلة في عنقه لا بد أن يؤديها في المرة الثانية، وهي أمانة العهد والإخلاص في مال خديجة وتجارتها عندما سافر إلى الشام في المرّة الثانية.[٩٠٨]

ث - لقاء الرسول ﷺ «بورقة بن نوفل» تمّ بعد نزول الآيات الأولى من القرآن، ويخبرنا التاريخ بأن «خديجة» قد حضرت هذا اللقاء، كما يخبرنا بأن «ورقة» لما سمع ما قصّه عليه محمد ﷺ من صفة الوحي؛ وجد فيه من خصائص الناموس الذي نزل على «موسى» عليه السلام ما جعله يقرّ بنبوته ويتمنى أن يمتد به العمر ليكون ردءًا له ونصيرًا، هذا هو فقط ما كان بينهما. وقد توفي «ورقة» الشيخ الهرم بعد هذه المقابلة بزمن يسير جدًا.

ج-لا يمكن أن تكون النصرانية هي المورد الذي كان محمد ﷺ يرتاده ليملأ منه صفحات كتابه؛ إذ لم تكن هناك معالم واضحة للنصرانية في جزيرة العرب، فقد كانت هناك (أديان) نصرانية مسفّة في الضلالة إلى جانب الوثنيات المعروفة، حتى قال «إسحاق تيلور» «*Isaac Taylor*»[٩٠٩] متحدثًا عن النصرانية التي كانت قبل بعثة محمد ﷺ وأثنائها: «إنّ ما وجده محمد وخلفاؤه في جميع الاتّجاهات، أينما مهدت لهم قوّتهم طريقًا إلى أهلها، لا يعدو أن يكون خرافة مدقعة، ووثنيّة فاحشة ووقحة، ومذاهب كنسيّة متعجرفة، وممارسات كنسيّة منحلة وصبيانيّة؛ حتّى إنّ العرب النبهاء قد شعروا أنّهم مكلّفون بإصلاح انحرافات العالم، كرسل من الله ... لقد خرج ابن الأَمَة[٩١٠] من صحرائه «ليسخر» من ابن الحرّة و«يؤدّبه»».[٩١١]

---

[٩٠٨] انظر؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ٢/٣٢٦

[٩٠٩] إسحاق تايلور (١٧٨٧م-١٨٦٥م): فيلسوف ومؤرّخ إنجليزي.

[٩١٠] ابن الأَمَة: ابن «هاجر»، في مقابل ابن الحرة: ابن «سارة»!

وتقول «الموسوعة الكاثوليكيّة الجديدة» «*The New Catholic Encyclopaedia*» أيضًا في هذا الشأن: «لم تُمسّ الحجاز بالدعوة إلى النصرانيّة؛ ولذلك فإنّ مؤسسة الكنيسة المسيحيّة **لا يتوقّع أن تكون قد وُجِدت كما أنها لم توجد هناك.**»[٩١٢]

وقال «بيل»: « .. بالرغم من وجود تراث بلغ به الأمر أن زعم اكتشاف صورة لعيسى في أحد أعمدة الكعبة؛ فإنّه **لا توجد حجّة قوية لأيّ مكان للمسيحيّة في الحجاز أو في قرب مكّة أو حتى المدينة.**»[٩١٣]

لقد كانت أهم ثلاث (جماعات) تحمل لواء النصرانيّة العربيّة زمن ظهور الإسلام، هي:

(١) الغساسنة ومقرّهم في الشام على مسافة بعيدة عن مكة. وكانوا قد هاجروا في القرن الثالث من اليمن إلى حوران في الشام. وقد كانوا يعيشون حالة من عدم الاستقرار، إبّان البعثة النبويّة، فقد هدم الفرس دولتهم سنة ٦١٣م/٦١٤م.[٩١٤]

(٢) أهل نجران في شمال اليمن، ولا يعرف لهم سلطان أدبي أو ديني على أهل مكّة.

---

[٩١١] Isaac Taylor, *Ancient Christianity and the Doctrines of the Oxford Tracts*, Philadelphia: Herman Hooker, ١٨٤٠ ,١/٣٦٤-٣٦٥

[٩١٢] *New Catholic Encyclopaedia*, The Catholic University of America, Washington D C, ١٩٦٧, ١/ ٧٢١-٧٢٢ (Quoted by, Khâlid al-Khazrâjî and others, *The Prophet's Wives Teaching the Bible?*)

[٩١٣] Richard Bell, *The Origin of Islam in its Christian Environment*, ١٩٢٥; ١٩٦٨, The Gunning Lectures Edinburgh University, London: Frank Cass and Company Limited, p.٤٢ (Quoted by, Khâlid al-Khazrâjî and others, Is The Bible Really The Source Of The Qur'ân?)

[٩١٤] انظر؛ Edmond Power, *Studies: An Irish Quarterly Review*, Vol. ٢, No. ٧ (Sep., ١٩١٣), p. ٢٠٥

(٣) المناذرة، وقد عاشوا في الحيرة في العراق، وكان تنصرهم في آخر القرن السادس ميلادي.[٩١٥]

كيف، إذن، صار لمكّة اتصال بالثقافة الدينيّة النصرانيّة؟!

ويضيف الناقد «آرثور فووبس» حقيقة تاريخيّة هامة، في قوله: «نلاحظ أنّ النصارى الذين يدخلون سلك رجال الدين في البلاد العربيّة يتحوّلون إلى الهلّنستيّة ويتبنون اليونانيّة كلغة لهم. لا بدّ من الإقرار أيضًا أنّه– كما تشهد على ذلك المخطوطات– في الأراضي الأبعد، جهة الشرق، احتلّت اللهجة السريانيّة نفس المقام، متشرّبة العنصر العربي.»[٩١٦] .. وهو ما يلغي الكيان اللغوي العربي النصراني الذي يمد لنفسه جذوره العقديّة بلغة العرب.

ج– يشهد التاريخ للمعرفة السطحيّة للنصارى في بلاد العرب بدينهم؛ إذ لم تعرف لهم نشاطات دينيّة أو مساجلات لاهوتية أو أدوار واضحة أو بارزة في الصراع بين الفرق النصرانيّة .. كما أنّ النصارى العرب بالإضافة إلى هامشيتهم في مجتمع الجزيرة الوثني، كانوا لا يملكون من علوم النصرانيّة ما يستوقف النظر؛ وفي هذا يقول المستشرق «دوزي» «Dozy»[٩١٧] : «كانت هناك ثلاث ديانات تقتسم البلاد العربيّة في زمن محمّد؛ اليهوديّة والمسيحيّة وشكلٌ غامض من الوثنيّة. ربّما كانت القبائل اليهوديّة هي فقط مخلصة لإيمانها ... لم يكن للمسيحيّة غير قلّة من الأتباع العارفين بها؛ إذ إنّ جل المؤمنين بها، كانت معرفتهم بها سطحيّة جدًا.»[٩١٨]

---

[٩١٥] انظر؛ Irfan Shahid, *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century*, Washington: Dumbarton Oaks, ٢٠٠٢, ٢/١/١٧١

[٩١٦] Arthur Vööbus, *Early Versions of the New Testament : Manuscript Studies,* p. ٢٧٥

[٩١٧] رينهارت دوزي (١٨٢٠م–١٨٨٣م): مستشرق هولندي. كان له اهتمام بالدراسات اللغويّة وعناية بتاريخ الأندلس المسلمة.

[٩١٨] Reinhart Dozy, *Spanish Islam: a history of the muslims in Spain*, tr. Francis Griffin Stokes, London: Chatto & Windus, ١٩١٣ , p.١٣

ح- لم يكن بإمكان محمد ﷺ أن يطّلع بصورة مباشرة على الكتاب المقدس لأميّته الثابتة بالقرآن الكريم والسنّة.

الاحتمال الثاني في الميزان

هو أن يكون محمد ﷺ قد درس التوراة والإنجيل على يد علماء أهل الكتاب، بعد إعلانه نبوّته .. وهو احتمال مردود سواء في العهد المكي أو في العهد المدني:

في العهد المكي

١- كان أهل الكتاب في ذاك الزمن قد عرفوا أنّهم يحتكرون علومهم بينهم؛ فلا يبدون إلاّ القليل، مع تقديم صورة عن دينهم غير التي تضمّها أسفارهم.

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[919]

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[920]

٢- لم تعرف مكّة طائفة يهوديّة، ويشهد على ذلك ما جاء في الصحيحين عن «ابن عباس» رضي الله عنه، قال: «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ماهذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه.»[921] فالاحتكاك بطائفة اليهود كان في المدينة لا في مكّة.

---

[919] سورة الأنعام، الآية (٩١)

[920] سورة آل عمران، الآية (٧٨)

[921] رواه البخاري، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، ح/٢٠٠٤ ، ومسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، ح/١١٣٠

٣- لا نجد لقاء فعليًا بين محمد ﷺ وأحد علماء أهل الكتاب في العهد المكي سوى لقائه ﷺ «بورقة بن نوفل»، وقد علمتَ أنه لقاء خاطف يستحيل عقلًا أن يترتب عليه كل ما جاء به خاتم النبيين ﷺ.

٤- سيطر الجو الوثني على البيئة المكية فلا يوجد فيها جدل ديني بين اليهود والنصارى أو بين أحدهما والوثنيين، كما أنّ علوم أهل الكتاب لم تكن متاحة للعامة ولا للخاصة.

٥- لم تعرف مكّة نشاطًا تنصيريًا، ولم يكن للنصارى فيها وجود ظاهر، وحتّى لما ألّف «لولنج» مؤخرًا بحثه حول النصرانيّة في مكّة، وكتابه الآخر « *Die Wiederentdeckung des Propheten Muhammad: Eine Kritik am" christlichen"* » -١٩٨١م- لم يذكر شخصيّة نصرانيّة واحدة في مكة!!

والحقيقة هي أنّ من قيل إنهم نصارى في مكّة من معاصري الرسول ﷺ لا يتعدّى أمرهم ثلاثة: «ورقة بن نوفل»، و«عبيد الله بن جحش» و«عثمان بن الحويرث»[٩٢٢] .. ومن أهم ما لوحظ في أمر هؤلاء أنهم:

- كانوا الجيل الأوّل من النصارى، وليس يفترض في الجيل الأوّل أن يكون مؤثّرًا، خاصة إذا لم تكن الدعوة لهذا الدين تشغلهم أصلًا، ولم يكونوا من كبرائه.
- كانوا يعيشون في معزل عن بعض؛ فلم يعرف لهم تجمّع، ولم يبنوا كنيسة توحّدهم.
- قصص تنصّرهم مختلفة ومتباعدة مكانًا؛ بما يرجح الظنّ أنهم كانوا على مذاهب نصرانيّة مختلفة.
- لا يعرف لأعيانهم أثر في الثقافة الدينيّة لأهل مكّة.[٩٢٣]

---

[٩٢٢] انظر؛ ابن هشام، السيرة النبويّة، ١/٢٥١-٢٦٢

o «ورقة بن نوفل» قد عرفت صلته بالنبي ﷺ، وهي عارضة إذ لا تتجاوز لقاءً واحدًا قصيرًا!

o «عبيد الله بن جحش» أسلم، ثم هاجر إلى الحبشة، وهناك قيل إنّه قد تنصّر، والخبر في تنصّره لا يثبت من طريق خال من العلل عند المحدّثين[٩٢٤]، ففي ثبوته نظر، وعلى فرض صحّته فإنّه لا يُثبت في هذا الباب شيئًا؛ لأنه لا دليل فيه على أنّ «عبيد الله بن جحش» قد علّم الرسول ﷺ، ولا ادّعى «عبيد» ذلك، وهو ما لم يدّعه أيضًا أهل مكّة!

o أمّا «عثمان بن الحويرث» فقد:

(١) تنصّر وغادر مكّة إلى الشام حيث أقام، وفيها مات.

(٢) وكانت وفاته قبل البعثة بثلاث سنوات أو نحوها.[٩٢٥]

في العهد المدني

يمثّل العهد المدني بالنسبة لمحمد ﷺ انتقالًا من بيئة جاهلة إلى بيئة تضمّ طائفة منظمة دينيًا لها كتابها المقدّس؛ وهي طائفة يهود المدينة؛ وهو ما يدفعنا إلى إبداء هذا التساؤل: «هل من الممكن أن يكون أتباع التوراة هم الذين أطلعوا محمدًا ﷺ على ما تضمنته كتبهم المقدّسة؟»

الإجابة ستكون قطعًا بالسلب؛ لأسباب عدة؛ من أهمها:

١- لم ينزل من القرآن في العهد المدني غير ٢٨ سورة بعد أن نزل بمكة قبل الهجرة ٨٦ سورة.

---

[٩٢٣] انظر؛ Ghada Osman, '*Pre-Islamic Arab Converts to Christianity in Mecca and Medina: An Investigation into the Arabic Sources,*' in *Muslim World*, ٠٠٢٧٤٩٠٩, Jan٢٠٠٥, Vol. ٩٥, Issue ١

[٩٢٤] انظر؛ محمد بن عبد الله العوشن، تحقيق دعوى ردّة عبيد الله بن جحش، مجلّة البيان، السنة السابعة عشرة، العدد ١٨٢، شوال ١٤٢٣هـ ، ديسمبر ٢٠٠٢م

[٩٢٥] انظر؛ ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٢/٣٠٢

٢-أهم نقاط التشابه بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس -كما يصرّ على ذلك المشكّكون- قصص الأنبياء، ولو أننا تأمّلنا في النص القرآني لوجدنا أن السور المكية هي التي تعرض أطول قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة.[٩٢٦] ولم تترك للسور المدنية سوى فرصة استخلاص الدروس منها، وغالبًا في تلميحات موجزة.

٣-توبيخ القرآن لليهود في العهدين المكي والمدني وتقريعه لهم يجعل القول إنّ محمدًا ﷺ قد تعلّم على يد أحبار اليهود في المدينة أمرًا مرفوضًا ببداهة العقل:

في العهد المكي: ﴿تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٢٧]

في العهد المدني: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٩٢٨]

---

[٩٢٦] حتى نرشد القارئ في هذا الشأن نوضح الآيات المكية التي عنيت بهذا القصص: سورة الأعراف عن آدم ١١- ٢٥ ، وموسى ١٠٢- ١٧٦، سورة يونس عن موسى ٧٥-٩٢ ، وسورة هود عن نوح ٢٥-٤٩، وإبراهيم ولوط ٦٩-٨٢ ، وسورة يوسف عن يوسف، وسورة الحجر عن آدم وإبراهيم ولوط ٢٦-٧٧ ، وسورة الإسراء عن بني إسرائيل ٤-٨، وسورة الكهف عن أهل الكهف ٩-٢٥، وموسى ٦٠-٨٢، وسورة مريم عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى...الخ ١-٣٣، وسورة طه عن موسى ٩-٩٨، وسورة الأنبياء عن إبراهيم ٥١-٧٠، وداود وسليمان ٧٨-٨٢، وسورة الشعراء عن موسى وإبراهيم ونوح...الخ ١٠-١٨٩، وسورة النمل عن موسى وداود وسلمان ٧-٤٤، وسورة القصص عن موسى ٣-٤٣، وقارون ٧٦-٨٢ ، وسورة العنكبوت عن نوح وإبراهيم ولوط ١٤-٣٥، وسورة سبأ عن داود وسليمان ١٠-١٤، وسورة ص عن داود وسليمان وداود وأيوب ١٧-٤٤، وسورة الذاريات عن إبراهيم ٢٤-٣٧. (عن محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ت/ محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص ١٥٦).

[٩٢٧] سورة النحل/ الآية (٦٣)

[٩٢٨] سورة الجمعة/ الآية (٥)

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [929]

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [930]

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [931]

٤-يتحدث القرآن الكريم بلسان الأستاذ لا بلسان التلميذ، فهو يوبّخ أهل الكتاب على جهالاتهم، ويكشف خرافاتهم، ويفنّد مغالطاتهم:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [932]

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [933]

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [934]

---

[929] سورة البقرة/ الآيتان (٧٩-٨٠)

[930] سورة آل عمران/ الآية (٧٥)

[931] سورة البقرة/ الآية (٧٥)

[932] سورة آل عمران/ الآية (٦٥) وما بعدها

[933] سورة البقرة/الآية (١٤٠)

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٩٣٥]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[٩٣٦]

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾[٩٣٧]

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٩٣٨]

٥- لو أن محمدًا ﷺ كان قد تتلمذ على يد أحبار اليهود؛ لاستغل ذلك أتباع التوراة في حربهم ضده، وضد دعوته الوليدة، ولأعلنوا للعالم اسم معلّمه، وموطنه، ولطلبوا من هذا المعلّم أن يعلن هذه الحقيقة.. ولقالوا .. ولفعلوا !

٦- آمن بنبوّة الرسول ﷺ أعلام من أهل الكتاب في الجزيرة العربيّة، وذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة، تدليلًا على أنّ الإسلام بقرآنه وعقائده من عند الله سبحانه لا من لسان محمد ﷺ:

---

[٩٣٤] سورة آل عمران/ الآية (٩٣)

[٩٣٥] سورة المائدة/ الآية (٦٤)

[٩٣٦] سورة المائدة / الآية (١٨)

[٩٣٧] سورة المائدة / الآية (١٧)

[٩٣٨] سورة المائدة / الآية (٧٣)

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُون وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِين أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون ﴾[939]

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[940]

﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[941]

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[942]

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾[943]

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[944]

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُون ﴾[945]

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾[946]

---

[939] سورة القصص / الآيات (٥٢-٥٤)

[940] سورة آل عمران / الآية (١٩٩)

[941] سورة النساء/ الآية (١٦٢)

[942] سورة الإسراء/ الآية (١٠٧)

[943] سورة الإسراء/ الآية (١٠٨)

[944] سورة الإسراء / الآية (١٠٩)

[945] سورة العنكبوت / الآية (٤٧)

[946] سورة الرعد / الآية (٣٦)

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٩٤٧]

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٩٤٨]

الاحتمال الثالث في الميزان

هو أن محمدًا ﷺ قد درس التوراة والإنجيل على يد العرب (أهل مكة)، وهو احتمال لا يُعرف له صاحب يتبنّاه، ولا يصمد أمام اعتراضات كثيرة؛ من أهمها:

١-أهل مكة (أمّة أميّة) .. وهم أجهل من أن يمتلكوا كل الحقائق التي تعرض أو تنقض ما عند أهل الكتاب في أسفارهم المقدّسة.

٢-رغم أنّه من الممكن أن يكون أهل مكّة مطلعين على بعض قصص أنبياء السابقين، إلا أنّ هذا الاطلاع لا يمكن أن يكون قد تجاوز مرتبة أخبار العامة كالأسماء والأماكن دون التنصيص على التفاصيل الدقيقة التي إن حاولوا ذكرها فسيتورطّون في ذكر أساطير مسرفة في الخيال.[٩٤٩]

٣-عدم اهتمام العرب بقصص الكتاب المقدّس، وذلك لأسباب؛ أهمها عدم وجود الموضوعات الدينية في أدبهم، وندرة المعتنقين الجدد، وتشتتهم .. هذا بالإضافة إلى عدم شغفهم بالقصص الديني.[٩٥٠]

---

[٩٤٧] سورة المائدة/ الآية (٨٢)

[٩٤٨] سورة الأحقاف/ الآية (١٠)

[٩٤٩] اهتم «النابغة الذبياني» في شعره بتاريخ الملك سليمان.. مما يعني أن عالم البذخ والثراء كان هو الذي يجلب اهتمامهم، ومعلوم أن الحديث عن بذخ السابقين يعني قصصًا أسطورية الغاية من عرضها استجلاب انتباه الناس من الدهماء (محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص١٤٥).

[٩٥٠] يبرز ذلك من خلال ما قام به «النضر بن الحارث» عندما أراد منافسة القصص القرآن، فقد شرع يقص على مستمعيه أساطير ملوك فارس القدامى، ومغامرات أبطالها مثل «رستم» و«اسفندار» (محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص١٤٥)..

٤-احتج القرآن لصالح ربانيته بقصص الأنبياء والأمم الغابرة التي ذكرها:

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[951]

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[952]

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[953]

لو أن هذا القَصص كان معلومًا عند العرب، لما استدل القرآن على ربانيته بما رواه عن الأنبياء السابقين؛ إذ كيف يستدل الكتاب بما يعلمه العرب لاثبات نبوة محمد ﷺ.

٥- التفاصيل الكثيرة والدقيقة التي وافق فيها القرآن الكريم أسفار أهل الكتاب لا يمكن أن تنتقل إلى محمد ﷺ عن طريق أمّة من الناس لا تعرف عن أهل الكتاب إلا مجموعة (عناوين) عائمة. ولعّلنا نوضّح هذه المسألة بمثالين صارخين:

- إيليا والبعل: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِين إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُون أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين ﴾[954] .. هذا النص هو حديث واضح جلي عن قصّة (إيليا) النبي التي وردت أيضًا في الكتاب المقدس، علمًا أنّ الاسم «إيليا» «אליהו» (إيليّاهو) العبري يكتب في اليونانيّة «Ἠλίας» (إيلياس)،

[951] سورة القصص/ الآيتان (٤٤- ٤٥)

[952] سورة هود/ الآية (٤٩)

[953] سورة آل عمران/ الآية (٤٤)

[954] سورة الصافات/ الآيات (١٢٣-١٢٦)

ويسمّي النصارى العرب في الشام الكثير من الأماكن الأثريّة والدينيّة التي ترتبط بهذا النبيّ بأديرة «إلياس» أو كنيسة «إلياس». ويخبرنا الكتاب المقدس أنّ «إيليا» كان ينهى قومه عن عبادة الإله «بعل» «**בעל**» بعد أن أدخل اليهود عبادته ضمن شعائرهم بسبب أنّ زوجة «آخاب» الملك الإسرائيلي كانت تعبد «البعل».[٩٥٥]

والناظر في التفاسير، خاصة المبكّرة منها –وهي التي تعنينا في هذا المقام–، يرى أنّها مضطربة بصورة كبيرة في تعريف كلمة «بعل»، وعامة المفسّرين على أنّ المقصود بـ«بعل» في الآية هو «الرب» باعتبار أنّ أهم معاني هذه الكلمة في اللغة: «الرب» و«السيد»؛ قال «ابن كثير»: «قال **ابن عباس** رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي: بعلًا، يعني: ربًا»[٩٥٦]، كما لم تذكر التفاسير عن أحد من المفسّرين الأوائل مطابقة اسم «إلياس» القرآني «لإيليا» في الكتاب المقدس، على خلاف عادة المفسّرين في الإشارة دومًا إلى المقابل الكتابي، سواء ورد في الكتاب المقدس أو في التلمود أو في المدراشات، والأغرب أنّ كثيرًا من المفسّرين الأوّلين في القرون الأولى بعد البعثة النبويّة، ومنهم الصحابة رضوان الله عليهم، قد ذهبوا إلى أنّ «إلياس» هو «إدريس»، رغم أنّ القرآن الكريم ليس من عادته أن يعطي للنبي الواحد اسمين متباعدين لفظًا، كما أنّ الكتاب المقدس لا يذكر نبيًا باسم «إدريس»، بالإضافة إلى أنه من الراجح –عند عدد من الدارسين– أنّ «إدريس» القرآني عليه السلام، هو «أخنوخ» في أسفار أهل الكتاب**!!** ولا تذكر التفاسير عن أحد من

---

[٩٥٥] انظر؛ ١ملوك ١٦و١٧و١٨

[٩٥٦] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٩٧٩/٤

المتقدمين فهمًا للإحالة الدقيقة الواردة في القرآن الكريم، غير «وهب بن المنبّه»[٩٥٧] الذي كان يهوديًا أصلًا من قبل!

فكيف يظن أحد بعد ما سبق ذكره أنّ الجزيرة العربيّة كانت توفّر لمحمد ﷺ معرفة كتابيّة؟!!


مسلة للإله (بعل) اكتشفت في رأس شمرة (القرن الخامس عشر-الثالث عشر قبل الميلاد)

[٩٥٧] «وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام، وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له: بعل، فدعاهم إلى الله تعالى، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد، واستمروا على ضلالتهم، ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم، ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم، فجاءهم الغيث ...» (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٩٧٩)

- إحالة حرفية إلى الزبور: بلغ من أمر القرآن الكريم في دقّته أن يحيل إلى سفر معيّن من الكتاب المقدّس وينقل عنه نصّه حرفيًا، وهو ما لا نعرف له نظيرًا البتّة بين عرب الجاهليّة الوثنيين؛ فقد جاء في سورة الأنبياء، الآية ١٠٥: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي **الزَّبُورِ** مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وهو عين ما جاء **حرفيًا** في **المزمور** (الزبور) ٣٧، العدد ٢٩: «**צדיקים יירשו-ארץ**» . **ومن الطريف هنا أنّ الإمام «الطبري» قد ذكر اختلاف علماء الصدر الأوّل في تفسير هذه الآية، ونقل عن جلّهم أنّ «الزبور» هو غير كتاب «داود» عليه السلام !!!** بل ورجّح «الطبري» نفسه أنّ معنى «الزبور» هنا هو «الكتاب» لا «مزامير داود»[958] رغم أنّ النص القرآني صريح في أنّ «الزبور» هو كتاب «داود» عليه السلام ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[959] !!! وفي ذلك دلالة على العسر الشديد الذي كان في ذاك الزمان في التعرّف على الكتب المقدسة لأهل الكتاب.

فنقول: إذا لم يهتد (١) العلماء المسلمون[960] (٢) في زمن انتشار المعارف الكتابيّة (٣)ووجود أهل الكتاب بين أظهرهم يسألونهم، إلى موضع هذه الجزئيّة الصغيرة في الكتاب المقدس؛ فكيف

---

[958] انظر؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٩٨/٩

[959] سورة النساء/ الآية (١٦٣)

[960] حتّى من قال إنّ الإحالة في الآية هي إلى مزامير «داود»، لم يظهر أنه يعرف موضعها فيها، وإنّما التزم المعنى الظاهر للآية؛ ولذلك ظلّ الخلاف بين المفسّرين في فهم معنى «زبورًا» دون أن يُناقش معه انطباق نص مزمور ٢٩/٣٧ على الآية القرآنيّة.

يهتدي إليها ولأعمق منها وأدق، محمد ﷺ (١) الأمي (٢)الذي عاش في بيئة لا تعرف المعارف الكتابيّة .. إلاّ أن يكون هو الوحي؟!!

الاحتمال الرابع في الميزان

بعد أن أثبتنا أنّ القول إن محمدًا ﷺ قد درس التوراة والإنجيل عند علماء أهل الكتاب، من محالات التاريخ، فإنه يغدو من السذاجة أن ننسب شرف هذا التعليم إلى حدّاد رومي-كما ادعاه بعض معاصري هذا النبي ﷺ-.. ونحن نرفض الاحتمال الرابع لعدة أسباب؛ من أهمها:

١ – «الجبر» حدّاد رومي نصراني يقرأ ويكتب.. لكنه عامي الفؤاد لا يعلم الكتاب إلا أماني، أعجمي اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد ﷺ ولا أحد من قومه.

فهل من الممكن أن يكون هذا الأعجمي العامي أستاذًا لمحمد ﷺ الذي كشف كتابه الأسرار الدقيقة في الديانتين اليهودية والنصرانية، كما كشف ما يخفي أهل الكتاب من حقائق عن الناس؟! هل من الممكن أن يكون للجهل فضل على العلم؟! هل كان هذا الحداد إلاّ فتى عاميًا؟ بل هل تُرى العامة من النصارى في عصرنا يعلمون ما تضمه أسفارهم المقدسة من عقائد وقصص؟!

إذا كانت الإجابة بالنفي -وهي واقعًا كذلك- فهل يجوز أن ننسب العلم إلى نصراني من العامة في القرن السابع الميلادي؟! هل يجوز أن ننسب كل هذا العلم الواسع إلى مثل هذا الفتى؟![٩٦١]

٢- لو كان «الجبر» هو معلّم محمد ﷺ لما توانى عن إعلان ذلك أمام الملأ من قريش؛ لأنه سيضمن بذلك حظوة لدى أعداء هذا النبي الذي بدأ يهدد تزايد عدد أتباعه مصالح المنتفعين من هذه القبيلة العربية، والذي فكّر من حادّوه في قتله لعجزهم عن إيجاد وسيلة ناجعة لوأد دعوته أو وقف تمددها.

٣- يجب أن ندرك أن مقالة المشركين: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾[٩٦٢] ،لم ترد لأن هؤلاء القوم كانوا يعتقدون أن هذا الفتى الرومي هو الذي لقّن محمدًا ﷺ ما يدعو إليه، وإنما قد فاه المشركون

---

[٩٦١] انظر؛ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، الكويت: دار القلم، ص ٦٣-٦٦

بهذه المقالة، لعلمهم أنّ ما أتى به محمد ﷺ، خاصة ما تعلّق بقصص أنبياء السابقين وتاريخ الأمم الغابرة، لا يمكن أن يكون من عند عربي أمي؛ إن محمدًا ﷺ قد تلقى هذه الأخبار من عند من هو عليم بأمر تلك الأمم.

وإذا علمنا أن المشركين كانوا ينكرون نبوة محمد ﷺ فإنه لا مفر للقوم من أن ينسبوا شرف تعليم هذا الرجل إلى من حاز علمًا بتلك الأخبار، ولا أقرب إلى فكر المعاند من علماء أهل الكتاب، ولكن أنّى لهم ذاك، وليس في مكّة علماء، فلم يعد عند أهل مكّة من سبيل لتمرير الفرية غير نسبة هذا العلم والتعليم إلى غلام نصراني اجتمع فيه شرطاهم (أ) أن يكون من سكان مكة حتى يقال إنه كان يلاقي محمدًا ﷺ ويملي عليه بكرة وأصيلًا (ب) أن يكون من غير جلدتهم وملّتهم لينسبوا إليه من العلم ما لا يعلمون، بل وما لا يعلم؟!.. وقد كان! فهو إذن اضطرار من القوم لا اختيار![٩٦٣]

٤ — أهمل المستشرقون هذا الوجه من الاعتراض، ولم يلقوا له بالًا، لعظم تهافته. ولم يكن لمثلهم أن يستدبر هذه الفرية لو كانت تحتمل من الصواب أو الإمكان بعض بعضه!

---

[٩٦٢] سورة النحل/الآية (١٠٣)

[٩٦٣] انظر؛ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٦٤

دلالة الاتفاق والاختلاف على ربّانية القرآن الكريم

قال الإمام الأريب «ابن تيميّة» رحمه الله، وهو ينكر على النصارى استدلالهم بآي من القرآن الكريم لإثبات دعاويهم الباطلة: «**إن جميع ما يحتجّون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم**، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام أنبيائه، **كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم**؛ وذلك لعظمة كتب الله المنزلة على أنبيائه، فإنه جعل ذلك هدى وبيانًا للخلق وشفاءً لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله تعالى.»[964]

لقد ادعى النصارى أنّ أوجه التشابه بين القرآن الكريم وأسفار النصارى، دليل على أنّ محمدًا ﷺ قد اقتبس من أسفار القوم، كما ادعوا أنّ مخالفة القرآن لما جاء في تلك الأسفار حجّة على أنّ محمدًا ﷺ قد أخطأ في النقل ..

ودليلنا على ربانية القرآن وبطلان دعوى الاقتباس هو نفسه دليل القوم على إنكار ربّانية القرآن وإثبات دعوى الاقتباس .. إنه التشابه والمخالفة .. التآلف بينهما، والتنافر أيضًا ..

[964] ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مصر: مطبعة المدني، ٤/٤٣

دلالة الاتفاق على ربّانية القرآن الكريم

تَـرَدَّد في الكتابـات التنصيريّة في بداية التـأليف الاستشـراقي أنّ القـرآن الكـريم مـا هـو إلاّ نسـخة ذات تعـديل طفيـف لمـا ورد في أسـفار الكتـاب المقـدّس، وكـان الـداعي الأوّل لهـذه التهمـة هـو التشابه الكبير الموجود بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في تفاصيل قصص الأنبياء، وأخبار الأمم السالفة، وبعض العقائد .. وكانت القناعة قائمة على أنّ المرء أمام حلّين لا ثالث لهما لضبط مصدر هذا التشابه وداعيه؛ إمّا الاقتباس من أسفار أهل الكتاب-سواء مباشرة أو عن طريق معلّم بشري- أو أنّه الوحي .. ولما كان الإقرار بربّانيّة القرآن من الأمور المرفوضة ابتداءً عند المخالفين؛ صار من المتحتّم الانحراف إلى الخيار الآخر وهو دعوى الاقتباس، ثمّ وُطِّئت الأدلّـة علـى هـذا الاقتبـاس مـن طـرف هـذا الفريـق؛ فكـان (الـدليل) المـدّعى تابعًـا للنتيجـة لا العكس؛ في انتكاس غير علمي لمنهج الاستنباط والاستدلال.

ولما ثبت عندنا من قبلُ أنّ الرسول ﷺ لم يكن لـه سبيل لمعرفة التفاصيل الواردة في الكتاب المقّدس؛ تحتّم الإقرار بالأصل السماوي للقرآن الكريم؛ لما ورد فيه من خبر وأحكام ..

كما أنّه لا بدّ من القول هنا أيضًا إنّ التشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وما ورد في الكتاب المقدس لا يمكن أن يكون بذاته دليلًا على بشريّة القرآن عند النصراني؛ لأنهما قد اشتركا في صواب، وليس نقل الأخبار الصادقة من نواقض الوحي ومبطلات العصمة**!!**

إنّ التشابه الثابت بين القرآن الكريم والكتاب المقدس لا يمكن أن يكون حجة تدعم قول المنصّرين بأن محمدًا ﷺ قد نقل ما وجده لدى علماء أهل الكتاب في عصره، إلا أن يثبت أنّ ما اتفق عليه القرآن الكريم والكتاب المقدس ليس إلا باطلًا وزورًا من الدعوى، وهو ما لم يثبته المنصرون، وليس إلى إثباته سبيل ما كانوا على نصرانيّتهم.

أمّا إن استدلّ غير النصارى (كالملاحدة) بهذا التشابه لردّ ربّانيّة القرآن الكريم؛ فعليهم عندها أن يثبتوا أنّ القدر الذي شارك فيه القرآن الكريم الكتاب المقدس، يتضمّن أخطاء وأباطيل

يأباها العقل أو ينفيها التاريخ؛ فذاك مركبهم الوحيد لاتخاذ هذا التشابه مطعنًا في كتاب المسلمين .. وتشهد الدراسات النقدية لهذه الطائفة في الشرق والغرب أنّها لم تقدّم شيئًا في هذا الباب من الممكن تتبّعه بالنقد، وإنّما هي أقوال مجملة لا تستند إلى دليل محكم، وعمدتها القول العام الفضفاض إنّ أسفار الكتاب المقدس لا تضمّ غير الأساطير والخرافات، وإنّ كلّ ما فيها هو من اختلاق الكتّاب واختراع الأمم التالفة التي كانت تصنع الأساطير ثمّ تتخذها دينًا..

وقد كان هذا النوع من الدراسات التي لا ترى في أسفار الكتاب المقدس إلاّ نوعًا من (الفولكلور) الساذج، شائعًا ورائجًا في القرن التاسع عشر، حيث كانت الدراسات الأركيولوجيّة والأنثروبولوجيّة تعيش مرحلة الدبيب أو الزحف الوئيد بسبب ضعف المادة القديمة التي تسمح بالنظر والمقارنة، لكن مع تطوّر الأبحاث وتوسّع المادة المشرّحة؛ تبيّن أنّ عددًا من هذه الدعاوى لا تستند إلى برهان، وإنّما هي ردّ فعل رافض لكلّ ما تمثله النصرانيّة أو تدعو إليه. ولعلّ أشهر مثال على هذا الأمر ما ذاع في القرن التاسع عشر، خاصة على يد مدرسة (توبنجتن) في ألمانيا، من أنّ المسيح «ابن مريم» ليس إلاّ شخصيّة خرافية اختلقها خيال بعض الناس في بداية القرن الأوّل، وقد انحصر هذا المذهب في أيامنا في قلّة قليلة من الباحثين، بل إنّ أشهر الداعين إليه في القرن العشرين –الألماني «جورج ألبرت ولز» «*George Albert Wells*» – قد نقضه بنفسه في ما كتبه في آخر نفس القرن![٩٦٥]

إنه لا يسع المنصف إلّا أن يخلص إلى النتيجة المنطقية التي يقدمها لنا القاضي «عياض»، عندما قال معددًا وجوه إعجاز القرآن الكريم، في كلام رصين، سلس، لا افتعال فيه، ولا تكلّف:

«الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة **إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب** الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي ﷺ على وجهه، ويأتى به على نصه. فيعترف العالم بذلك بصحته، وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعليم.

[٩٦٥] في كتابه «*The Jesus Myth*» (١٩٩٩م) حيث اعترف بتاريخيّة «المصدر» «Q» الذي هو أحد مصادر الأناجيل الرسميّة.

وقد علموا أنه ﷺ أمي؛ لا يقرأ، ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة، ولا مثافنة، ولم يغب عنهم، ولا جهل حاله أحد منهم.

وقد كان **أهل الكتاب كثيرًا ما يسألونه** ﷺ عن هذا، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا؛ كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر **موسى، والخضر، ويوسف، وإخوته، وأصحاب الكهف، وذى القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنباء، وبدء الخلق، وما في التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى،** ممّا صدقه فيه العلماء بها، **ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها**، بل أذعنوا لذلك، فمن موفّق آمن بما سبق له من خير، ومن شقى معاند حاسد، ومع هذا **لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه**، وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم، وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم، وكثرة سؤالهم له ﷺ، وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم، وأسرار علومهم، ومستودعات سيرهم، وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم، ومضمنات كتبهم، مثل سؤالهم عن الروح، وذى القرنين، وأصحاب الكهف، وعيسى، وحكم الرجم، وما حرم إسرائيل على نفسه، وما حرم عليهم من الأنعام، ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم. وقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ [٩٦٦]، وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن فأجابهم، وعرفهم بما أوحى إليه، من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه، بل أكثرهم صرّح بصحة نبوته، وصدق مقالته، واعترف بعناده، وحسده إياه، كأهل نجران، وابن صوريا، وابنى أخطب، وغيرهم.

ومن باهت في ذلك بعض المباهتة، وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة، دعى إلى إقامة حجته، وكشف دعوته، فقيل له: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٩٦٧] إلى قوله ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [٩٦٨].

---

[٩٦٦] سورة الفتح/ الآية (٢٩)

[٩٦٧] سورة آل عمران/ الآية (٩٣)

[٩٦٨] سورة آل عمران/ الآية (٩٤)

فقرّع، ووبّخ، ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع، فمن معترف بما جحده، ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده.

ولم يؤثر أن واحدًا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه، ولا أبدى صحيحًا، ولا سقيمًا من صحفه؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[969] [970].»

فانظر وتدبّر كيف خلص هذا العالم المحقّق إلى أن التشابه المذكور هو حجة لربانية القرآن الكريم لا حجة لبشريته!

لقد سأل أهل مكّة على اختلاف خلفياتهم، محمدًا ﷺ عن أخبار الأمم السابقة والفرق التالفة والأنبياء الذين اندرس ذكرهم، فكان القصص القرآني يأتي موافقًا للكثير مما جاء في أسفارهم .. فلا يردون عليه ما ذكره، ولا يرون في ما رتّله نقصًا أو مُدّخلا للطعن في نبوته..

إنّ مجرّد توجه أهل الكتاب ووثنيي العرب إلى النبي ﷺ لسؤاله عن أخبار الأوّلين، لدليل قاطع باهر على أنّ هذا الاختبار قاس جدًا على هذا الرجل العربي الأميّ .. إذ لو أنّ القوم كانوا يعلمون، أو حتى يشكّون في علمه بأخبار الأوّلين، لما عرضوا أنفسهم ليكونوا حجّة على نبوته ﷺ .. إنّ المعاصرين لمحمد ﷺ ما سألوه إلا ليقينهم –وهم المكذّبون له– أنّه لا يعلم من أمر السابقين شيئًا .. وليس من المنطقي أن يهدي المرء إلى عدوّه حجّة يدعم بها رصيده، وإنما المنطقي أن يسعى إلى تعجيزه، وقطع حجّته، وإلزامه بالإقرار بنفي دعوته الأولى.

---

[969] سورة المائدة/ الآية (١٥)

[970] القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ت/ طه عبد الرؤوف سعد وخالد بن محمد بن عثمان، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١ / ١٧٨-١٧٩

دلالة الاختلاف على ربّانية القرآن

إنّ المطالع للقرآن الكريم ولأسفار النصارى، ليرى عيانًا مدى تعدّد أوجه الاختلاف بين ما جاء بينهما .. وأوجه الاختلاف تضمّ مواضيع طريفة مطروقة، ومواد سابقة وردت في الكتاب المقدس مع تعديل في العناصر أو الغايات أو الحِكم!

ولما كانت مادة الاختلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس النصراني واسعة ومتنوعة، فإننا سنعرض لبعض منها بما يكشف بجلاء نقاء النصّ القرآني واستعلائه على رغام أسفار النصارى..

المبحث الأوّل: الذات الإلهية :

لا شكّ أنّ أهم ما تطمح إليه كلّ ديانة تقرّر وجود إله[٩٧١]، هو تعريف الناس بمعبودها؛ اسمه، وصفاته، وما يريده من خلقه .. ولا ريب أنّ موضوع التعريف بذات الرّب هو موضوع شائق لا يمكن أن يقتبس المقتبس من كتاب ديني دون أن ينهل من سطوره ويتشبّع بأفكاره..

يبدو الإله في العهد القديم مثقلًا بأوضار (البشريّة)؛ فهو متلبّس بالصفات البشرية الجسمانية التي يتجلّى بها لخلقه[٩٧٢] .. وتجتاحه في الكثير من المواقف، الانفعالات الثائرة تأثرًا بالمواقف الطارئة، وكأنه لا يعلم من الغيب شيئًا[٩٧٣] .. وإذا حمي غضبه ضرب بسوط العقاب المذنب والبريء[٩٧٤] .. وهو يعاقب الأبناء حتى الجيل الرابع بإثم آبائهم[٩٧٥] .. ويمتد أذاه إذا احتدّ غضبه

---

[٩٧١] اختلف المتخصصون في الغرب في تعريف حدود (الدين)، فذهب بعضهم إلى أنّ من أركانه الإيمان بإله، ووسّع غيرهم التعريف ليشمل كلّ المنظومات العقدية (يقدم هؤلاء الديانة البوذية كمثال) (انظر؛ محمد عبد الله دراز، بحوث ممهدة في دراسة الأديان، الكويت، دار القلم، الدين، ص ٣٨-٤٠).

[٩٧٢] انظر؛ تكوين١١/٥، ١٧/١، ١٧/٢٢، ١٨/١، ١٨/٢١-٢٣، ٢٦/٢، ٢٦/٢٤، ٣٥/٧-١٤، خروج٢٤/ ٩-١١، ٣٣/٩-١١.

[٩٧٣] انظر؛ ٢ صموئيل ٢٤/١٦

[٩٧٤] انظر؛ هوشع ١٣/١٦

إلى قتل الأطفال والرضع والبهائم[٩٧٦] .. ويُكثر من طلب الخوف من جبروته على حساب رحمته![٩٧٧]

وهو يدور في فلك هوى اليهود؛ إذا رضي عنهم، أباد لأجلهم الشعوب[٩٧٨] .. وإذا غضب عليهم؛ شتمهم بأقذع الألفاظ الغارقة في الحمأة الجنسيّة، كاتهامهم بأنهم أشبه بالمرأة العاهرة، وأنّهم يزنون مع الأصنام ..[٩٧٩]

إنّ هذا الإله، لهو أشبه بشيخ قبيلة يبحث لأبنائه عن عزّ الدنيا[٩٨٠]، فإذا خالفوا طريقه واستدبروا أحكامه، أظهر الغضب الشديد، وجلدهم بسوط التقريع والتأنيب، وهو في ذلك كلّه متيّم بهم، يتماهى فيهم!

يبدو هذا الإله ككائن صدامي كثير النزاع مع خلقه، كأنّهم له أقران وأضداد؛ فهو يمنع «آدم» من الأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ؛ لئلا يشاركه هذا العلم[٩٨١] .. ويخشى من أن يجتمع

---

٩٧٥ انظر؛ الخروج ٧/٣٤

٩٧٦ انظر؛ ١صموئيل ٣/١٥

٩٧٧ انظر؛ لاويين ١٧/٢٥، تثنية ١٠/٤، ٢/٦، ١٣، ٢٤، ١٢/١٠، ٢٣/١٤، ٦٨/٢٨، ١٢/٣١، ١٣، يشوع ١٤/٢٤، ١صموئيل ١٤/١٢، ٢٤، ٢ملوك ٣٩/١٧، ١أخبار الأيام ٢٥/١٦، نحميا ٩/٥، أيوب ٢٨/٢٨، مزمور ٩/١٩، ١٤/٢٥، ٨/٣٣، ١٨، ٩/٣٤، ٤/٩٦، ١٧/١٠٣، ١٠/١١١، ١/١١٢، ١٣/١١٥، ١/١٢٨، ١١/١٤٧، الأمثال ٧/١، ٢/١٤، ٤/٢٢، ٢١/٢٤، الجامعة/٥-٧، ١٣/١٢، إشعياء ١٣/٨، إرمياء ٢٢/٥، هوشع ٥/٣، ملاخي ٤/٢-٥ .. وقد جاء أيضًا أمر الخوف من الربّ في العهد الجديد، ولكن بصورة أقلّ كثافة: متّى ٢٨/١٠-لوقا ٥/١٢، لوقا ٥٠/١، الرسالة إلى روما ١٠/٣-١٨، ٢كورنثوس ١/٧, الرسالة إلى أفسس ٢١/٥, الرسالة إلى كولوسي ٢٢/٣, الرسالة إلى العبرانيين ٣١/١٠, ١بطرس ١٧/٢, الرؤيا ٧/١٤, ٤/١٥.

٩٧٨ انظر حروب «يشوع» في سفر يشوع

٩٧٩ انظر مثلًا الكلام الشنيع في حزقيال ١/٢٣-١٨

٩٨٠ انظر في هذا الوصف؛ Paul Tice, *Jumpin' Jehovah: Exposing the Atrocities of the Old Testament God*, CA: Book Tree, ٢٠٠٧ , p٧

٩٨١ انظر؛ تكوين ١٧/٢

البشر ويتّحدوا؛ فيضطرّ إلى بلبلة ألسنتهم حتى لا تتفق لهم كلمة ضدّه [٩٨٢] .. وهو عاجز عن نصرة من يريد؛ لأن الأعداء لهم مراكب حديديّة [٩٨٣] .. ويخشى من أعداء بني إسرائيل؛ فينزل ليشجع الإسرائيليين وينصرهم! [٩٨٤]

كما يصوّر الكتاب المقدس هذا الإله في صورة الخصم المشاكس للشيطان، فهما يتنازعان ويتدافعان تدافع الأقران، حتّى إنّ الشيطان يشكّك الربّ في حكمته، ويحاول إقناعه أنّه (مخدوع) في «أيوب»، ويدخله في اختبار (قاس) ليقتنع (بسذاجة) حكمة على عبده الذي (يدّعي) الصلاح (!): «أيوب»! [٩٨٥]

ويظهر هذا الإله نوعًا غريبًا من الدمويّة التي ترفضها البداهة البشريّة؛ فقد قتل ٥٠ ألف بشر، لمجرّد أنهم قد نظروا إلى ما في داخل التابوت [٩٨٦] .. وتطغى عليه المزاجيّة حتّى إنّ نبيّه «موسى» يضيق صدرًا بذلك، ويظهر ضجره، ويندفع للإنكار الصريح عليه [٩٨٧] ...ويضجّ «داود» النبيّ من سلبيته أنّه لا يسمع شكواه ولا دعاءه ... [٩٨٨]

---

[٩٨٢] انظر؛ تكوين ١١/ ١-٩

[٩٨٣] انظر؛ القضاة ١٩/١

[٩٨٤] انظر؛ تثنية ١٢/٢٣-١٤

[٩٨٥] انظر؛ قصّة «أيوب» النبي في سفر أيوب، من ٩/١

[٩٨٦] انظر؛ ١صموئيل ١٩/٦، من الطريف هنا ما قامت به ترجمة «كتاب الحياة» —متابعة للكثير من التراجم الأخرى، بلا حجّة نصيّة– إذ حذفت من النص العربي ما جاء في الأصل العبري «**חמשים אלף**» «خمسين ألفًا»؛ ليكون الانتقام الإلهي واقعًا على سبعين رجل فقط، رغم شهادة النص العبري «**חמשים אלף**»، والترجمة السبعينية اليونانيّة «πεντήκοντα χιλιάδας»، وترجوم يوناثان الآرامي «**חמשין אלפין**»، والفولجات اللاتينيّة «quinquaginta millia» لرقم (خمسين ألف)!!!

[٩٨٧] الخروج ٣٢/ ٩-١٤

[٩٨٨] انظر؛ مزمور ٢٢/١-٢

ويطغى الوهن البشريّ على هذا الإله حتّى إنّه يندم على ما يفعل، ويتكرّر منه الندم؛ حتى يغلب على أفعاله الفشل ...[٩٨٩]

هو إله ضعيف الفهم والنظر؛ فهو يستجيب للعنات غير مبرّرة[٩٩٠] ولمباركات مزوّرة[٩٩١]، وتخدعه امرأة «موسى»[٩٩٢]!

هو (إله-بشري) لا يخفي ضعفه حتى بالميزان الأرضي .. إنه إله محدود العلم يحتاج إلى علامات تهديه؛ فقد أمر اليهود بطلاء أبوابهم بالدم ليكون علامة يميز بها بيوتهم حتى لا يدمّرها حين يأتي لتدمير بيوت المصريين[٩٩٣] .. وهو ينسى ويتذكّر[٩٩٤] .. ويستريح بعد الجهد الشاق[٩٩٥] ..

---

[٩٨٩] انظر؛ تكوين ٦/٦-٧، خروج ١٤/٣٢ ...

[٩٩٠] انظر؛ تكوين ٩/١٨-٢٧

[٩٩١] انظر؛ تكوين ٢٧/١-٤٠

[٩٩٢] انظر؛ الخروج ٤/ ٢٢-٢٦

[٩٩٣] الخروج ١٢/ ١٣

[٩٩٤] خروج ٢/ ٢٤

[٩٩٥] التكوين ٢/ ٣، الخروح ٢٠/١١، الخروج ٣١/١٧. يحاول النصارى واليهود التفلّت من المعنى الحرفي لنص تكوين ٣/٢: «وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به، فاستراح فيه من جميع ما عمله» الدال على راحة الربّ بعد تعبه؛ للوصول إلى تكذيب قوله تعالى في الرد على اليهود والنصارى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (سورة ق/ الآية ٣٨)، رغم (١) صراحة لفظ «استراح» في الترجمات العربيّة، (٢) الاستراحة في تكوين ٣/٢ والخروج ٢٠/١١ وخروج ٣١/١٧ دلّت عليها كلمتان تحملان معنى الاستراحة الماديّة «**שבת**» (شابَت) و«**נוח**» (نُوَح)، علمًا أنّ الترجوم الآرامي (أونقلوس) قد استعمل كلمة «**נח**» (ناح) في تكوين ٣/٢ وخروج ٢٠/١١ كمقابل لكلمة «**שבת**» (شابت) العبريّة، وهي كلمة أصرح دلالة على الاستراحة.(٣) نصّ خروج ٢٣/١٢ يوضح معنى الكلمتين السابقتين: «اعمل ستة أيام فقط، وفي اليوم السابع

ويأكل من الوليمة التي أعدّها عبده «إبراهيم»[996] .. وينزل إلى الأرض ليعلم ما غاب عنه وهو في السماء[997] .. ويبحث عن «آدم» المختفي في الجنّة[998] .. ويغلب عليه ضعفه حتّى إنّه قد هُزم في جولة مصارعة مع عبده «يعقوب»!![999]

ويَكثر تشبيه هذا الإله بالحيوانات والحشرات[1000]، والجمادات الوضيعة قدرًا[1001]، والكائنات الخرافيّة التي يخرج من فمها النار ومن أنفها الدخان[1002]...

هذا هو الإله في العهد القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى .. أما صورة المعبود في العهد الجديد –كما هو في فهم الكنيسة منذ ما قبل البعثة النبوية المباركة–.. فلا تقل فظاعة وإن كانت من نوع آخر.. فهي تزعم أن الله –سبحانه– قد حلّ في جسد «يسوع»؛ متلبسًا بجميع الأعراض البشريّة؛ من تبوّل وتغوّط وتمخّط!

وتضيف الكنيسة أنّ أسفار العهد الجديد تعلن أن (الإله الابن) قد بصق عليه اليهود، وصفعه الحراس[1003]، وأشبع شتمًا واستهزاءً من الجنود الرومان!![1004] وعرّي تمامًا، وألبس بعد ذلك

تستريح (من جذر (**שבת**)) لكي يستريح (من جذر «**נוח**» أيضًا ثورك وحمارك.» (٤) نصّ الخروج ٣١/ ١٧ يردف الحديث عن استراحة الربّ، قوله (وتنفّس) (**וינפש**) أي (استرد أنفاسه بعد الجهد الشاق).

[996] انظر؛ تكوين ٨/١٨

[997] انظر؛ تكوين ٢١/١٨

[998] انظر؛ التكوين ٩/٣

[999] انظر؛ التكوين ٣٢/ ٢٤-٣٢

[1000] انظر؛ هوشع ١٢/٥، ٧/١٣، مراثي إرمياء ١٠/٣

[1001] انظر؛ عاموس ١٣/٢

[1002] انظر؛ ٢صموئيل ٩/٢٢

[1003] انظر؛ متّى ٦٧/٢٦، مرقس ٦٥/١٤، لوقا ٦٣/٢٢، يوحنا ٢٢/١٨

[1004] انظر؛ متّى ٢٧/٢٧-٣١، مرقس ١٦/١٥-٢٠، يوحنا ٢/١٩-٣

لباسًا مهينًا[١٠٠٥]، ووضِع على رأسه تاج من شوك تحقيرًا![١٠٠٦] ثم صلب بين لصين وضيعين![١٠٠٧]

لقد ادعت الكنيسة أن «عيسى» إله[١٠٠٨] .. ثم رمت هذا الإله بالعجز والوهن،[١٠٠٩] زاعمة أنّ ذلك باختياره، بل عن رغبة منه!

[١٠٠٥] انظر؛ متّى ٢٨/٢٧، مرقس ١٦/١٥،٢٠، يوحنا ٢/١٩

[١٠٠٦] انظر؛ متّى ٢٩/٢٧، مرقس ١٧/١٥، يوحنا ٢/١٩

[١٠٠٧] انظر؛ متّى ٤٤/٢٧ ومقس ٣٢/١٥، لوقا ٣٩/٢٣-٤٣

[١٠٠٨] لقد أثبت كثير من العلماء المسلمين وغير المسلمين أن عيسى عليه السلام قد أقر بأنه بشر لا إله، من خلال الأناجيل ذاتها التي يؤمن بها النصارى، ونحن نتبنى هذا الرأي الوجيه.

[١٠٠٩] صرخ الإمام «أبو الوليد الباجي» منددًا بهذه الخرافات في رسالة بعث بها إلى راهب فرنسي قال- مما قال فيها-: «... ولكن ليس هذا بأغرب من قولكم :«إن إبليس عرض لعيسى الإله بزعمكم- ورقى به أعلى جبل وأراه زهرة الحياة الدنيا، وقال له: «إن عبدتني ملكتك جميع هذا! فلما سمع المسيح من كيد إبليس اللعين، عاذ من شره واستجار من فتنته بصيام أربعين يومًا وأربعين ليلة، فأمسك إبليس عنه.»

فهل لمن جوّز هذا على ربه، وأخبر به عنه، مُسكَّة، أو بقيت بينه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبة؟!

أليس الإله هو الخالق لإبليس والقادر على هلاكه متى شاء، والمالك للأرض والسماوات وما بينهما دون شريك ولا ندّ؟!

فكيف يخاف من هذه صفته بعض من خلقه أن يفتنه؟ أو كيف تحمل إبليس الأرض أو تظله، وهو يخاطب ربه ويدعوه إلى عبادته ويَعِد أن يثيبه على ذلك أو يملكه زينه الحياة الدنيا، وهي ملكه ومن خلقه، وربه يخاف فتنته ويستجير منه بالصيام؟!!

وكيف يقول: إنه يعاقبه في الآخرة بالعذاب الأليم ونار الجحيم، وهو لا يستطيع أن يخلّص نفسه منه ومن فتنته في الدنيا؟

وهل قدرته في الآخرة إلا كقدرته في الدنيا!؟ وكيف تزعم أنه سليم من حبائل الشيطان وخدعه وهو يخاف على نفسه، ويحتاج إلى من يسلمه منه، وهو القاهر والخالق لإبليس كيف شاء، والمهلك إذا شاء، تعالى الله عما يقول

لقد تلاشت الألوهيّة في العهد الجديد، معنى ولفظًا[1010]، وجاءت محاولة البابا «بندكت السادس عشر» للإجابة عن سؤال: «كيف هو إله الكتاب المقدس؟» في كتابه «إلهُ يسوع المسيح، تأمّلات حول الإله المثلّث» باهتة اللون، غائمة المعالم، مفرّغة من كلّ معنى يمكن أن يلتقطه ذهن القارئ[1011].. ولكن لِمَ لا يفشل في ذلك، إذا كان عنوان كتابه دالًا على أنّ لإلهِ (يسوع) إلهٌ يعلوه!؟

ذاك هو الإله في الكتاب المقدس- بعهديه القديم والجديد- لا يتميّز عن البشر بشيء، بما فيهم من عجز، ونقص، وضعف .. فهل ترى لهذه الصورة ظلًا في القرآن؟! هل من الممكن أن يأخذ الوهم صاحبه إلى الزعم باستنساخ السور القرآنيّة لصفات ربّ الكتاب المقدّس؟!

إنّ «الله» سبحانه في القرآن الكريم هو «الأحد» فلا شريك له في الألوهيّة والربوبيّة:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾[1012]

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾[1013]

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين ﴾[1014]

الظالمون علوًا كبيرًا» (رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب أبي الوليد الباجي عليها، القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، ص ٨٧)

[1010] لم يرد في العهد الجديد ذكر لاسم الإله المعبود، وإنما استعملت كلمات يونانيّة (مثل «ثيوس») دالة على مطلق معنى الألوهيّة.

[1011] انظر؛ Joseph Ratzinger (Pope Benedict xvi), *The God of Jesus Christ: meditations on the triune God*, tr. Brian McNeil, San Francisco: Ignatius Press, ٢٠٠٨ , pp.٢٠-٢٥

[1012] سورة الإخلاص/ الآية (١)

[1013] سورة الأنعام/ الآية (١٠١)

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [١٠١٥]

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [١٠١٦]

إنّه التنزيه الكامل للألوهيّة والربوبيّة من كلّ شوائب الشرك في خصائص الخلق ولوازم الطاعة المطلقة، وهو ما لا نرى له نظيرًا في اليهوديّة أو النصرانيّة .. وقد وقف المستشرق «جولدتسيهر Goldziher» الذي يعدّ أحد أهم الطاعنين في الإسلام على مدى تاريخ الغرب الطويل في انتقاد الإسلام، قائلًا في مذكّراته إن الإسلام «**هو الدين الوحيد الذي منع الشعوذة والعناصر الوثنية، لا عن طريق التدليل العقلي**[١٠١٧] **وإنّما من خلال التعليم المستقيم (الأرثودكسي)**» «The only religion in which superstitution and heathen elements were forbidden not by rationalism but by orthodox teaching».[١٠١٨] «**لقد اتجه أسلوب تفكيري نحو الإسلام، وكذلك تعاطفي معه... ولم أكذب حين قلت إنني أومن ببعثة محمد النبوية... إن ديني كان الدين العالمي للأنبياء**» «my way of thought was thoroughly turned towards islam and so was my sympathy ... I was not lying when I said that I believed in the prophetic missions of Muhammad ... My religion was henceforth the universal religion of the prophets.»[١٠١٩]

[١٠١٤] سورة الأنعام / الآية (٥٩)

[١٠١٥] سورة الجن / الآية (١٨)

[١٠١٦] سورة الجن/ الآية (٢٢)

[١٠١٧] رغم أنّ هذه الشهادة قد وردت في سياق مدح الإسلام، إلاّ أنها قد جانبت الصواب؛ إذ إن القرآن الكريم زاخر بالنصوص التي تبطل عبادة الأوثان ومظاهر الطبيعة بنفي الإرادة والقدرة عنها، وهو خطاب عقلي محكم.

[١٠١٨] Ignaz Goldziher, *Tagebuch*, p.٥٩ (Quoted by, Albert Hourani, *Islam in European Thought*, New York: Cambridge University Press, 1991, p.٣٨)

[١٠١٩] Ignaz Goldziher, *Tagebuch*, p.٧١ (نقله المصدر السابق)

ويعلق «ألبرت حوراني»[1020] على قول «جولدتسيهر» هذا قائلًا: «بدا الإسلام لجولدتسهير وكأنه الدين الذي يجب أن تسعى إليه كل الأديان: توحيد خالص، واستجابة نقية –غير مكدّرة– لنداء الله للفؤاد الإنساني... لقد منحه الإسلام معيارًا يحكم من خلاله على الأديان التوحيدية الأخرى»[1021].

وقد أحسن المستشرق «جاك بيرك» «Jacques Berque»[1022] عندما قال: «ربما من الممكن تلخيص (رسالة) القرآن في كلمة واحدة، وهي توحيد الله» « Le Coran pourrait se résumer peut-être en un seul mot celui d'unité de Dieu »[1023]

ويؤكّد القرآن الكريم علو الخالق في سلطانه، فلا يدانيه الخلق في شيء من عزّ الربوبيّة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1024]، وهو الذي لا يخفى عليه أمر في السماء ولا في الأرض: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1025] وهو الذي ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[1026]..

[1020] ألبرت حوراني (١٩١٥م–١٩٩٣م): مؤرّخ لبناني كاثوليكي. درّس في عدد من الجامعات الأمريكيّة وغيرها.

[1021] Hourani, *Islam in European Thought*, p. ٣٨

[1022] جاك بيرك (١٩١٠م–١٩٩٥م): عالم اجتماع ومستشرق فرنسي. عضو مجمع اللغة العربيّة في القاهرة. صاحب واحدة من أشهر ترجمات معاني القرآن الكريم الفرنسيّة.

[1023] Jaques Berque, *Relire le Coran*, Paris: Albin Michel, ١٩٩٣ , p.٢٠

[1024] سورة المائدة/ الآية (١٨)

[1025] سورة يونس/ الآية (٦١)

[1026] سورة الأنعام / الآية (١٤)

وهو الذي إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1027] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1028]

وهو الذي ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1029]

إنّ له الأسماء الحسنى والصفات العلى .. وليس إلى النقص أو العجز إليه من سبيل! وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1030] .. فلا شبيه له ولا نظير..

ولو أنّنا نظرنا إلى أسماء الله سبحانه في الكتاب والسنة؛ لوجدنا أنها خمسة أقسام :

الأول: الذي ينحو إلى تقرير إثبات الباري ردًا على الجاحدين المعطّلين، ويندرج تحت هذا القسم اسم (الحي) و(الباقي) و(الوارث) وما في معناها.

الثاني: الأسماء التي تقرر توحيده ردًا على من أشرك به في عبادته غيره، مثل (الكافي) و(العلي) و(القدير) ونحوها.

الثالث: الأسماء التي تقرّر تنزيهه- تبارك وتعالى- ردًا على المشبهة، مثل (القدوس) و(المجيد) و(المحيط) ونحوها.

الرابع: الأسماء التي تدل على أنّ كل موجود فإنه من خلقه واختراعه كـ (الخالق) و(البارئ) و(المصوّر) و(القوي) ونحوها.

الخامس: الأسماء التي تقرر أنه مدبر لما اخترع ومصرفه على ما شاء، وهو (القيوم) و(العليم) و(الحكيم) ونحوها.[1031]

[1027] سورة يس/ الآية (٨٢)

[1028] سورة الروم/ الآية (٢٧)

[1029] سورة الأنعام/ الآية (١٠٣)

[1030] سورة الشورى/ الآية (١١)

[1031] ابن حجر، فتح الباري، ١١/٢٢٣

وقد ورد التصريح في نصوص الوحي -قرآنًا وسنّة- بأن الله تبارك وتعالى: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1032]، و﴿أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ﴾[1033]، و﴿أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾[1034]، و﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1035]، وأنه (الأكبر)، و(الأعز)، و(الأعلم)، و(الأقوى).

وورد في القرآن الكريم أنّ الرب – تبارك وتعالى- ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[1036]، و﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1037]، و﴿خَيْرُ الوَارِثِينَ﴾[1038]، و﴿خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[1039]، و﴿خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[1040]، و﴿خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾[1041]، و﴿ خَيْرُ الغَافِرِينَ﴾[1042]، و﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1043].

لقد جاءت الآيات القرآنيّة مرشدة العقول إلى **استعمال قياس الأولى** في حقه تبارك وتعالى؛ **فكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق؛ فالخالق أولى به.**[1044]

[1032] سورة الأعراف/ الآية (١٥١)

[1033] سورة هود/ الآية (٤٥)

[1034] سورة الأنعام/ الآية (٦٢)

[1035] سورة المؤمنون/ الآية (١٤)

[1036] سورة الأنعام/ الآية (٥٧)

[1037] سورة الحج/ الآية (٥٨)

[1038] سورة الأنبياء/ الآية (٨٩)

[1039] سورة آل عمران/ الآية (١٥٠)

[1040] سورة المؤمنون/ الآية (١٠٩)

[1041] سورة الأعراف/ الآية (٨٩)

[1042] سورة الأعراف/ الآية (١٥٥)

[1043] سورة طه/ الآية (٧٣)

[1044] عمر سليمان الأشقر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، عمان: دار النفائس، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩١٤م، ص ١٠٧-١٠٨

ويقول «ابن القيم» في أمر صفات الله وأسمائه كما جاءت في القرآن والسنّة: «صفات الله كلها صفات **كمال محض**، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله. وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها.»[١٠٤٥]

وقد اعترف البابا «يوحنا بولس الثاني»[١٠٤٦] نفسه أنّ «**بعض أفضل الأسماء في اللغة البشريّة، قد أطلقت على إله القرآن.**»[١٠٤٧]

إنّ النظرة العادلة والمذهب المعتدل يقضيان أنه لو كان محمد ﷺ قد اطّلع على ما ورد في الكتاب المقدّس، لكان قد تأثر بهذه الأوصاف التي ألصقت بالربّ الخالق، وأنّه لو كان يدّعي النبوة زورًا (!) لحاول استجلاب أهل الكتاب بموافقتهم في صفات المعبود عندهم ..

لقد أتى القرآن في موضوع العقيدة متعاليًا على الواقع.. وما كان لمحمد ﷺ – لو كان هو مؤلف هذا الكتاب!– أن يتمّ له ذلك؛ لِثِقَل «العقل الباطن الجمعي» « Collective unconscious»[١٠٤٨] على الناس الذين كانوا يقبلون دين الأجداد دون حِجاج ولا مراء.

لقد كانت جزيرة العرب ذاك الزمن أعجز من أن تمنح أحدًا تصوّرًا عقديًا كالذي في القرآن الكريم؛ فإنّ سكان مكّة وما جاورها كانوا إما وثنيين يعبدون الأحجار، وإما يهودًا يُسبغون

[١٠٤٥] ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ١/ ١٧٧

[١٠٤٦] يوحنا بولس الثاني (١٩٢٠م–٢٠٠٥م): بابا الفاتيكان من ١٩٧٨م إلى ٢٠٠٥م. من أشهر البابوات الذين سعوا إلى تنصير المسلمين؛ خاصة الأفارقة منهم.

[١٠٤٧] John Paul II, *Crossing the Threshold of Hope*, ed. Vittorio Messori, New York: Random House, Inc., ١٩٩٥, p.٩٢

[١٠٤٨] العقل الباطن الجمعي: مفهوم مرتبط بعلم النفس التحليلي، يدلّ على ما كمن في اللاشعور عند الفرد من نتاج خبرة جماعية لفريق من الناس يعتبر هذا الفرد جزءًا منها.

على إلههم صفات العنصرية، وإما قلّة من النصارى أصحاب عقيدة يمجّها العقل السليم.. وإما حنفاء وقفوا عند نقطة الرفض لما هو موجود، دون أن يبلغوا الحقّ المنشود.

ولعلّه يحسن بنا أن نسوق مقارنة مباشرة بين ما ورد في العهد القديم وما يقابله في القرآن الكريم في سرد قصّة أكل «آدم» و«حواء» من الشجرة المحرّمة، وموقف الربّ منهما؛ لنستبين عِظَم البون بين الكتابين في الحديث عن (الإله) وصفاته:

الربّ .. و«آدم» .. و«حواء» .. والخروج من الجنة!

تكشف المقارنة بين القصّة الكتابيّة لخروج «آدم» و«حواء» من الجنة وما يقابلها في القرآن الكريم، الاختلاف الكبير بينهما في تصوّر الألوهية و(صفات) الرب الإله:

أولاً: بدأت قصّة الاختبار في الكتاب المقدس والقرآن الكريم بأمر النهي عن الأكل من الشجرة. وقد جاء النص القرآني مُبهمًا لطبيعة الشجرة ولنوعها؛ لأنّ العبرة هي في امتحان «آدم» وزوجه، بطاعة الأمر أو بعصيانه؟﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠٤٩]، أمّا النص التوراتي فيفاجئ القارئ بزعمه أنّ هذه الشجرة، هي **شجرة المعرفة** التي من يأكل منها؛ يرزق بصيرة التمييز بين الخير والشر[١٠٥٠]. إنّ الأمر ليس متعلقًا في حقيقته باختبار «آدم» وزوجه، وإنّما **خشية الربّ أن يرزق الإنسان المعرفة، هي التي دفعته إلى أن يحذرهما من الأكل منها!**

ثانيًا: يقول القرآن الكريم إنّ الشيطان في سبيل إغواء «آدم» وزوجه، زعم أنّ هذه الشجرة هي شجرة الحياة، وأنّ من يأكل منها يحيي إلى الأبد: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾[١٠٥١]، في حين تخبرنا التوراة أنّ شجرة الخلد هي شجرة

[١٠٤٩] سورة البقرة/ الآية (٣٥)

[١٠٥٠] انظر؛ تكوين ٣/٢٢

[١٠٥١] سورة طه/ الآية (١٢)

أخرى غير شجرة المعرفة التي أكل منها «آدم» وزوجه، وأنّ الربّ قد قال بعد أن أكل الزوجان من شجرة المعرفة: «هاالإنسان قد صار كواحد منا، يميّز بين الخير والشر. **وقد يمد يده ويتناول من شجرة الحياة ويأكل؛ فيحيا إلى الأبد.**»[1052] .. لقد أصيب الإله بحالة **قلق وارتعاب** (!)؛ لأنه بعد أن تمكّن الزوجان من **خداعه** والأكل من شجرة (المعرفة)، خشي أن **يُخدع** مرة أخرى ويتمكّن الزوجان من (**استغفاله**) والأكل من شجرة (الحياة)، إذ إنهما إذا أكلا منها؛ فلن يصيبهما الموت، **وعندها لن يستطيع الإله أن يميتهما**؛ فهو يتوجس من ذكائهما، ويحاول أن يمنع (المصيبة) قبل وقوعها**!** ولم يهنأ (قلب) الإله بالراحة ويتنفس صدره نسيم الطمأنينة إلاّ بعد أن جهّز فريق حراسة من الملائكة (المتيقظين) وسيفًا ناريًا متحركًا حارقًا لمنع «آدم» وزوجه من (اللعب بذيليهما) دون علمه، ومغافلته ومشاركته صفة البقاء الدائم الذي لا يعقبه موت، بالأكل من شجرة (الحياة) «وهكذا طرد الله الإنسان من جنة عدن، وأقام ملائكة الكروبيم وسيفًا ناريًا متقلبًا شرقي الجنة **لحراسة** الطريق المفضية إلى «شجرة الحياة»»**!!**[1053] –غفرانك يا رب!–

ثالثا: يبدو **الشيطان في التوراة أصدق لهجة من الربّ**؛ إذ إنّه قد أخبر «آدم» و«حواء» عن حقيقة الشجرة، وعن السبب الحقيقي لمنع الرب لهما من الأكل منها، وبقيّة الرواية التوراتيّة تؤكد صدق الشيطان في ما أخبرهما به، في حين يبدو (الربّ) من أهل الكذب (**!**)؛ فقد قال «لآدم»: «ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها **حتمًا** تموت.»[1054]، لكن لما أكل «آدم» وزوجه منها، لم يموتا**!**

أمّا القرآن الكريم فيصوّر الشيطان في صورة المخلوق الكاذب المخادع:

[1052] تكوين ٣/٢٢

[1053] تكوين ٣/٢٤

[1054] تكوين ٢/١٧

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلما ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١٠٥٥]؛ فالشيطان هو الموسوس بالباطل، الكاذب، المخادع.

رابعًا: يبدو الإله في القصّة التوراتيّة متلبسًا بالجهل وقصور المدارك؛ فهو قد خلق «آدم»، وبعد أن فرغ من ذلك استبان له (!) أنّ «آدم» يحتاج إلى رفيقة[١٠٥٦]، فخلق له «حواء»؛ فقد بدا له من العلم المحدث بعدما كان قبل ذلك جاهلًا بحال «آدم» الوحيد بعد خلقه.

وهذا الإله ذاته لما كان يمشي (!) في الجنّة، احتبأ من مجال بصره (!) كلّ من «آدم» و«حواء» بعدما أكلا من ثمر الشجرة وانكشفت منهما العورة، فاضطر هذا الإله (!) إلى أن ينادي على «آدم»: «أين أنت؟»[١٠٥٧] !!!

ولما أخبر «آدم» الربّ أنه قد اختبأ منه لأنّه عريان؛ سأله الرب الجاهل بما يجري من أحداث(!!): «من قال لك إنك عريان؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟»

وليس في القرآن الكريم شيء من هذا (الخبط) و(التخليط)؛ فالله سبحانه هو ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[١٠٥٨]

[١٠٥٥] سورة الأعراف/ الآيات (٢٠-٢٢)

[١٠٥٦] انظر؛ تكوين ١٨/٢

[١٠٥٧] تكوين ٩/٣

خامسا: يبدو الإله في القصّة التوراتيّة متشنجًا إلى الدرجة التي فقد معها الحكمة؛ إذ إنّه لما غضب من «الشيطان» الذي كان يظهر في صورة حيّة لـ«حواء» و«آدم»:

(أ)عاقب الحيّات جميعًا، رغم أنّ الحيّات لا ذنب لها أصلًا، وإنّما كان الشيطان يظهر في صورة واحدة منها. ومن صور هذا العقاب أن جَعل الحيّة تسعى على بطنها[1059]؛ فهل كانت الحيّة قبل ذلك تمشي على أربع؟!! كما عاقب الحيّات بأن جعلها تأكل التراب طول حياتها[1060]؛ فهل رأى أحد حيّة تأكل التراب؟!

(ب)جعل آلام الوضع عقوبة لكلّ امرأة[1061]، فما ذنب النساء في ما اجترحته «حواء» الأولى؟! وهل استطاعت المرأة أن تفلت من عذاب (الله) بعد اكتشاف التخدير؟!!

وعاقب الربّ المرأة بأن جعل كلّ امرأة تشتاق إلى زوجها[1062]؛ فهل يقول (عاقل) إن اشتياق المرأة لزوجها نكاية ربّانيّة بالأنثى؟!

وجعل قوامة الرجل على المرأة لعنة متوارثة[1063]، فكيف يستقيم ذلك رغم حرص الكتاب المقدس على التأكيد على القيمة العظمى لطاعة المرأة زوجها؟![1064]

[1058] سورة التوبة / الآية (٩٤)

[1059] انظر؛ تكوين ١٤/٣

[1060] انظر؛ تكوين ١٤/٣

[1061] انظر؛ تكوين ١٦/٣

[1062] انظر؛ تكوين ١٦/٣

[1063] انظر؛ تكوين ١٦/٣

[1064] انظر؛ كولوسي ١٨/٣، ١كورنثوس ١٤/٣٤-٣٥ ...

(ت)عاقب الربّ «آدم» بأن جعله يأكل من عشب الأرض، أو كما يقول النص في حرفيّته «عشب الحقل» «**עשב השדה**» (عيسب هَسّادي)[١٠٦٥]، فإن قلنا إنّ (العشب) هو هذا النبات الأخضر المتعارف على تسميته بهذا الاسم؛ فالإنسان لا يأكله أصلًا، وإن قلنا إنّ المقصود به هو ما تنبته الأرض من خضراوات وفواكه؛ قلنا؛ تلك رحمة من الله بعباده وليست نكالًا بهم، وقد جاء في التوراة نفسها أنّ الله قد خلق ما تنبته الأرض مما يأكله الإنسان[١٠٦٦]، ورأى أنّ ذلك أمر «جيد جدًا»[١٠٦٧]!

وليس في القرآن الكريم من (الشنائع) السابقة شيء!

المبحث الثاني: صفات الأنبياء ودعواتهم:

لا شكّ أنّ موضوع النبوّة والأنبياء يشغل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم .. فهل سيرة الأنبياء ودعواتهم في أسفار النصارى واليهود هي نفسها في القرآن الكريم؛ حتى تكون مرجعًا للقرآن كما يقول المنصّرون؟

إنّ القارئ في أسفار اليهود والنصارى سيدرك عيانًا أنّ أنبياء الله عند القوم لا يعرفون عصمة من الذنوب؛ فقد قارفوا بمجموعهم كلّ منكر .. ثم هم مع ذلك قد ضيّعوا الرسالة التي أرسلوا لأدائها .. وكانوا أشباحًا باهتة في مسيرة الاستخلاف البشري على الأرض.

صفات الأنبياء بين القرآن وأسفار أهل الكتاب:

النبي «**נביא**»[١٠٦٨] في العهد القديم هو لقب مرتبط بمعنى البلاغ عن الغير[١٠٦٩] والإنباء عن المستقبل[١٠٧٠]، ويكاد ينحصر التعريف في العهد الجديد فيما يتعلّق بالأنبياء الذي ظهروا بعد

[١٠٦٥] انظر؛ تكوين ٣/١٨

[١٠٦٦] انظر؛ تكوين ١/٢٩

[١٠٦٧] انظر؛ تكوين ١/٣١

[١٠٦٨] هناك من يرد هذه الكلمة إلى اللغة الأكادية، من «نبو» بمعنى منادي؛ انظر؛ W. Gunther Plaut, David E. Stein, *The Torah: A Modern Commentary*, New York: Union for

المسيح، على الإنباء بالغيب[1071]، أمّا في الإسلام فالنبيّ من «النبأ» وهو الخبر؛ إذ إنّ وظيفته هي البلاغ عن الربّ جلّ وعلا، سواء أكان صاحب شريعة جديدة أو متّبعًا لنبي سبقه.[1072]

وتتركّز وظيفة النبيّ في التأصيل القرآني وسرده القصصي على بيان العلم الذي وهبه الله الأنبياء، بما يعرّف الناس بخالقهم وفاطر هذا الكون ومدبّره، وصفاته العالية، والصلة بينه وبين عباده، وموقف الإنسان من هذا العالم، ومبدئه، ومصيره، وما يرضي الربّ تبارك وتعالى وما يسخطه، وما يشقي الإنسان في الدار الآخرة وما يسعده، وخواص عقائده وأعماله وأخلاقه، وما يترتب على ما يصدر منه من قول واعتقاد وعمل، وأجر ذلك ...[1073] وتبدو الصورة في العهدين القديم والجديد قاصرة في مداها الأقصى على الدعوة إلى عبادة «يهوه»، وخوض الحروب الدمويّة الظالمة لأجل ذلك، والدعوة إلى بعض فضائل الأعمال، ومتابعة الشريعة الموسويّة (في العهد القديم) بتفاصيلها المرهقة، والإفراط في التفصيل النسكي المفرّغ من الدلالة الحيّة![1074]

وتبدو قصص الأنبياء في التوراة معزولة في الأغلب عن الحكمة؛ إذ (يتوحّش) فيها الهمّ السردي؛ حتّى لكأنّها مجرد «حكاوي» للتأريخ، ولذلك تثقل المتابعة على القارئ في كثير من

Reform Judaism, ٢٠٠٥, pp. ٩٦٣, ١٢٦٣ . لا شكّ أنّ هذه الكلمة هي من المشترك السامي، إذ إنّها بهيكلها الفونولوجي موجودة في العربيّة والعبريّة والأكاديّة والحبشيّة.

[1069] انظر؛ خروج ٧/١

[1070] انظر؛ تثنية ١٨/٢١-٢٢

[1071] انظر؛ الأعمال ١١/٢١، ٢١/١٠

[1072] هذا ما نرجّحه، انظر؛ عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، الكويت: مكتبة الفلاح، ط٤، ١٩٨٩م-١٤١٠هـ، ص ١٣، وقيل إنّ «النبيّ» من «النبوة» أي الارتفاع عن الأرض، وهو ضعيف لما علمته من أنّ هذه الكلمة من المشترك السامي بمعنى «النبوّة» الاصطلاحية، وقد انتصر شيخ الإسلام «ابن تيمية» لما سقناه، وردّ على من قال إنّ أصل النبوّة لغة من الارتفاع «انظر؛ ابن تيمية، النبوات، ٢٢١-٢٢٣)

[1073] انظر؛ ابو الحسن الندوي، النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن، القاهرة: المختار الإسلامي، ط٤، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ص ٢٢

[1074] انظر مثلًا في أمر صموئيل: ١صموئيل ١٧/٧، ١٣/١٦، أخبار الأيام الأول ٢٢/٩

الأحيان لكثرة الأسماء، والأرقام، والتفصيلات المكثّفة التي تستحوذ على صفحات طويلة دون فائدة مجتناة منها، ظاهرة أو مستكنّة بين طبقات الألفاظ والمباني..

أمّا القرآن الكريم فإنّه يقصر أمره على الموعظة والعبرة، ويبدو من خلال آياته أنّ قصص النبيين لم تنزل لمجرّد تسويد الصفحات أو التكثّر من المعارف القديمة، وإنما قد تتالى نزولها لحكم عظيمة ومنافع بثيرة، أهمها:

١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون}[١٠٧٥].

٢- تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب الأمّة المحمديّة على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله، قال تعالى: {وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين}[١٠٧٦].

٣- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكرهم وتخليد آثارهم.

٤- إظهار صدق محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال؛ كقوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين}[١٠٧٧].

٥- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البيّنات والهدى، وتحدِّيه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل؛ كقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[١٠٧٨]

١٠٧٥ سورة الأنبياء/ الآية (٢٥)

١٠٧٦ سورة هود/ الآية (١٢٠)

١٠٧٧ سورة هود/ الآية (٤٩)

١٠٧٨ سورة آل عمران/ الآية (٩٣)

٦- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصخي إليه السمع، وترسخ عِبَره في النفوس، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}[١٠٧٩] [١٠٨٠].

ولو أننا ألقينا نظرة سريعة متبصّرة على حال بعض الأنبياء في أسفار النصارى من جهة والقرآن الكريم من جهة أخرى؛ فسنرى الهوة السحيقة التي تفصل بينهما؛ بما يظهر التمايز الشديد بينهما في التفصيل التاريخي والتوظيف الديني، وبما ينفي وهم الاقتباس المزعوم ..

نوح : يتجلّى حال «نوح» –عليه السلام– على صفحات الكتاب المقدس وهو في أهون حال وشرِّ سيرة؛ سكير ماجن، فقد: «انشغل نوح بالفلاحة وغرس كرمًا وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانين عري أبيه فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجًا. فأخذ سام ويافث رداءً ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء إلى داخل الخيمة وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فينظرا عريه. وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير، قال: «ليكن كنعان ملعونًا» وليكن عبد العبيد لإخوته»[١٠٨١].

هذا هو «نوح» الذي قال فيه العهد القديم: «كان نوح صالحًا كاملًا في زمانه، وسار نوح مع الله»[١٠٨٢]، ووصفه العهد الجديد أنّه «المنادي ببر الله وعدله»[١٠٨٣]! رجل ماجن سكير، غافل

[١٠٧٩] سورة يوسف/ الآية (١١١)

[١٠٨٠] قسطاس إبراهيم النعيمي، قصص الأنبياء، مقال إلكتروني

[١٠٨١] تكوين ٩/ ٢٠-٢٥

[١٠٨٢] تكوين ٦/٩

[١٠٨٣] ٢بطرس ٢/٥، تجدر الإشارة إلى أنّه يتخلّل تحديد معنى (النبوّة) ومعرفة (النبيّ) غموض وعدم دقّة في الكتاب المقدس، ويحتاج القارئ في كثير من الأحيان إلى ربط متفرّقات الكتاب المقدس؛ لتشكيل الصورة الكبرى. وإنّ النظر في حال «نوح» في الكتاب المقدس، ومخاطبة الربّ له، وما أوصاه أن يفعله، وحرص «نوح» على دعوة قومه إلى

عن عبادة ربه مستهتر برسالته في الدنيا. كافأ من أحسن إليه بجزاء سنمار؛ فجعل اللعنة والذلة والعبودية في عقبه إلى يوم القيامة!؟

أما «نوح» في القرآن؛ فهو المؤمن الصادق الجلد .. بل قد جعله الله مثالًا يحتذي به «محمد» ﷺ سيد البشر؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}[١٠٨٤].

ويقول المولى عز وجل في «نوح» أيضًا:

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[١٠٨٥]

{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين}[١٠٨٦]

{وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ}.[١٠٨٧]

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون}[١٠٨٨] ...

الحقّ، وصبره على ذلك؛ لتؤكّد كلّها أنّ «نوحًا» يعتبر في مقياس الكتاب المقدس، نبيًا من الأنبياء، لا مجرّد رجل صالح، وإن لم يثبت له أهل الكتاب ذلك!

[١٠٨٤] سورة الأحقاف/ الآية (٣٥)

[١٠٨٥] سورة الإسراء/ الآية (٣)

[١٠٨٦] سورة آل عمران/ الآية (٣٣)

[١٠٨٧] سورة الأنعام/ الآية (٨٤)

[١٠٨٨] سورة الأعراف/ الآيات (٥٩-٦٣)

يعقوب : تظهر أسفار النصارى «يعقوب» النبي وهو يخدع أباه «إسحاق»؛ فيفتك البركة من أخيه الأكبر «عيسو» مستغلًّا المرض الذي أصاب عيني أبيه، كما خدع خاله «لابان»؛ مستوليًا بذلك على أكبر قسط من ماشيته؛ إذ جعل ماشية خاله تقف أمام قضبان مخططة في أجران المياه وهي وحمى، كي تنتج ماشية مخططة[1089]؛ فيفصلها عن ماشية خاله ليلحقها بماشيته.

أما «يعقوب» في القرآن فقد أثنى الله جلّ وعلا عليه وعلى أبيه فقال: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِين وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين}[1090]

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا}[1091]

{فَلما اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا}[1092]

داود: ليست هناك صورة تجمع بين النقيضين اللذين لا التقاء بينهما، كالصورة التي تقدمها التوراة لنا عن «داود» ملك اليهود القدير، فهو الشجاع قاتل «جالوت» الجبّار بمقلاعه دون سيف في يده[1093]، وبذا يصبح مطاردًا من الفلسطينيين، ولكنه سرعان ما يشاركهم في محاربة عدو لهم، بل ويضع سيفه تحت تصرفهم ضد مواطنيهم اليهود[1094]، وهو يعمل حامل سلاح «شاؤل» الإسرائيلي يومًا ما، ثم حارسًا لـ«أخيش» الفلسطيني يومًا آخر[1095]، وهو قد بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين، ثم أنهاه وقد قضى على نفوذهم تمامًا، وهو عدو «شاؤل» اللدود، ولكنه في نفس الوقت زوج ابنته، وحبيب ابنه «يوناثان»، وكثير من فتيات

[1089] هذا التصوّر البدائي (للوحم)، هو أحد الخرافات العلمية لأسفار القوم.

[1090] سورة الأنبياء/ الآيتان (٧٢-٧٣)

[1091] سورة الأنعام/ الآية (٨٤)

[1092] سورة مريم/ الآية (٤٩)

[1093] انظر؛ ١صموئيل ٥٠/١٧

[1094] انظر؛ ١صموئيل ٢/٢٩

[1095] انظر؛ ١صموئيل ٢٨/١-٢

إسرائيل[١٠٩٦]، وهو يعمل مغنيًا في بلاط «شاؤل»، لأنه يجيد الضرب على القيثار، ويغني أغانيه العجيبة بصوته الرخيم، ولكنه في نفس الوقت الفارس المغوار، حامل سلاح الملك وقاتل أعدائه.[١٠٩٧]

وهو قاس غليظ القلب، ولكنه في نفس الوقت كان مستعدًا لأن يعفو عن أعدائه، كما كان يعفو عنهم قيصر والمسيح، يقتل الأسرى جملة، كأنه ملك من ملوك الآشوريين، بل إنه ليبالغ حتى في القسوة، حين يأمر بحرق المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار[١٠٩٨]. وحين يطلب منه «شاؤل» مئة غلفة من الفلسطينيين مهرًا لابنته «ميكال»، إذا به يقتل مائتي رجل من الفلسطينيين، ويقدم غلفهم مهرًا لابنة «شاؤل» هذه[١٠٩٩]، وحين يوصي ولده «سليمان»– وهو على فراش الموت– بأن «يحدر بالدم إلى الهاوية»[١١٠٠] شيبة «شمعي بن جبرا»، الذي لعنه منذ سنين طويلة.

وهو يأخذ النساء من أزواجهن قسرًا، مستغلًا في ذلك جاهه وسلطانه، فهو يشترط لمقابلة «أبنير» قائد جيوش «شاؤل»، أن يأتي له بميكال ابنة «شاؤل»– التي دفع مهرها من قبل رؤوس مائتين من الفلسطينيين– من زوجها «فلطئيل بن لايش»، الذي أدمى قلبه فراقها، ثم سار وراءها وهو يبكي حتى «بحوريم»، ولم يرجع من ورائها، إلا بأمر من «أبنير»، وإلا خوفًا منه[١١٠١]، ثم يأخذ امرأة «أوريا الحيثي» بين نسائه، ويرسل بزوجها إلى الصف الأول في ميدان القتال ليتخلص منه.[١١٠٢]

وهو يقبل زجر «ناثان» له في ذلة، ولكنه مع ذلك يحتفظ بـ«بتشبع» الجميلة، ويعفو عن «صموئيل» عدة مرات، ولا يسلبه إلا درعه، حين كان في مقدوره أن يسلبه حياته، ويعفو عن — «مغيبوشت» ويساعده– رغم أنه حفيد «شاؤل»، وقد يكون من المطالبين بعرش عمه وجده

[١٠٩٦] انظر؛ ١صموئيل ١٨/١–٧

[١٠٩٧] انظر؛ ١صموئيل ١٦/٢١–٢٣

[١٠٩٨] انظر؛ ٢صموئيل ١٢/٢٩–٣١

[١٠٩٩] انظر؛ ١صموئيل ١٨/٢٥–٢٧

[١١٠٠] ١ملوك ٢/٩

[١١٠١] انظر؛ ٢صموئيل ٣/١٢–١٦

[١١٠٢] انظر؛ ٢صموئيل ١١/٢–٢٦

من قبله[١١٠٣] — وهو يعفو عن ولده «أبشالوم» بعد أن قبض عليه في ثورة مسلحة، وبعد أن دنس عرضه على ملأ من القوم[١١٠٤]، بل إنه ليعفو عن «شاؤل» الذي كان يسعى لقتله، بعد أن تمكن منه عدة مرات، وفي أمان مطلق ومناعة تامة[١١٠٥][١١٠٦].

وتبدو الصورة في القرآن الكريم على خلاف ما سبق، إذ يحفّها الإشراق من كلّ وجه؛ «فداود»:

قد آتاه الله بفضله، الحكمة الثاقبة، والعلم النافع: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾[١١٠٧]

هو النبي صاحب العلم، الشكور: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين﴾[١١٠٨]

سُخّرت له الجبال والطير للتسبيح معه، وأجريت على يديه المعجزات التي يجري نفعها على الناس: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِين﴾[١١٠٩]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيد أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾[١١١٠]

[١١٠٣] انظر؛ ٢صموئيل ٤/٤-٥

[١١٠٤] انظر؛ ٢صموئيل ٢٣/١٦، ٢٣/١٨

[١١٠٥] انظر؛ ١صموئيل ٢/٢٤-٢٢

[١١٠٦] محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، بيروت: دار النهضة العربيّة، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٦٤/١

[١١٠٧] سورة البقرة/ الآية (٢٥١)

[١١٠٨] سورة النمل/ الآية (١٥)

[١١٠٩] سورة الأنبياء/ الآية (٧٩)

قد أوتي قوّة العقل والجنان والبنان: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[1111]

اختصه الله بكرمه من بين الأنبياء بالزبور: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[1112]

سليمان: لعل أبشع صورة لنبي من أنبياء الله قدمها العهد القديم، هي صورة «سليمان» عليه السلام[1113]؛ فهو عند اليهود والنصارى مسرف إلى حد السفه[1114]، وقد بلغ به الضلال أن وقع في الارتياب والشك وعبادة الأوثان والإعراض عن دين آبائه الأئمة الهداة؛ نزولًا عند رغبات زوجاته الوثنيات المشركات.[1115]

أما في القرآن الكريم، فهو عبد أوّاب:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1116]

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1117]

[1110] سورة سبأ/ الآيتان (١٠-١١)

[1111] سورة ص/ الآيات (١٧-٢٠)

[1112] سورة الإسراء/ الآية (٥٥)

[1113] من الغريب أن ينكر أهل الكتاب نبوّة «سليمان» عليه السلام رغم أنّهم يقدّسون أكثر من كتاب ينسب إليه في الكتاب المقدس، فهل يقدّس النصارى واليهود أسفار التناخ إلا لأنها وحي من الربّ؟!! أليس النصارى يحتجون لربانيّة أسفار العهدين بنصّ ٢تيموثاوس ٣/١٦ الذي يقول كما في ترجمة الفانديك: «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر»؟!

ربّما ظنّ أسلافهم أنّ ردّ نبوّة «سليمان» خير سبيل للتبرؤ من الكفر الذي أتاه كما هو منصوص أسفارهم .. لكن النصوص تشهد لنبوّة «سليمان» عندهم!

[1114] انظر؛ الملوك الأول ٤/ ٣٣- ٣٣

[1115] انظر: الملوك الأول ١١ / ١-١٣

[1116] سورة ص/ الآية (٣٠)

وقد آتاه الله الحكمة والعلم، فكان عبدًا شكورًا:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1118]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[1119]

وقد برّأ القرآن الكريم نبي الله سليمان مما نسب إليه فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾.[1120]

موسى وهارون: إنّ (أغرب!) صورة يقدمها العهد القديم لنبي من أنبياء الله هي صورة «موسى» و«هارون» عليهما السلام؛ فقد ماتا والرب غاضب عليهما!!

«موسى» و«هارون» آثمان، خائنان للرب الذي حكم عليهما بالحرمان من دخول الأرض المقدّسة الموعودة عقابًا لهما! هكذا يقول الكتاب المقدس(!!):

«فقال الرب لموسى وهرون: «من حيث أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني على مرأى من بني إسرائيل فإنكما تدخلان هذا الشعب الأرض التي وهبتها لكم.»»[1121]

وجاء في سفر التثنية: «وقال الرب لموسى في نفس ذلك اليوم: «اصعد إلى سلسلة جبال عباريم حيث جبل نبو الذي في أرض موآب مقابل أريحا، وشاهد أرض كنعنان التي أنا واهبها ملكًا لبني إسرائيل، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، والحق بقومك كما مات أخوك هرون في جبل

[1117] سورة ص/ الآية (٤٠)

[1118] سورة الأنبياء/ الآية (٧٩)

[1119] سورة النمل/ الآيتان (١٥-١٦)

[1120] سورة البقرة/ الآية (١٠٢)

[1121] العدد ٢٠/ ١٢-١٣

هور ولحق بقومه، لأنكما لم تثقا بي في حضور الإسرائيليين عندما ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدساني بين الشعب. لهذا فإنك تشهد الأرض عن بعد ولكنك لن تدخل إلى الأرض التي ...[١١٢٢]

«وقال الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أنني سأهبها لذريتهم فقد جعلتك تراها بعينيك ولكنك إليها لن تعبر» فمات موسى عبد الرب في أرض موآب بموجب قول الرب. ودفنه في الوادي في أرض موآب، مقابل بيت فغور. ولم يعرف أحد قبره إلى هذا اليوم.»[١١٢٣]

كان نصيب «هارون» من هذه التهم أنه لما ذهب أخوه إلى الجبل ليتلقى الهداية من ربه، صنع لبني إسرائيل عجلًا ذهبًا صنمًا وأمرهم بعبادته، وعبده معهم، وبنى له مذبحًا، وعيّد له عيدًا، وذبح له.[١١٢٤]

هذا هو حال «موسى» و«هارون» في الكتاب المقدس، فما هو حالهما في القرآن الكريم؟

على نقيض تلك الصورة البشعة التي يفاجئنا بها العهد القديم، تبدو صورة «موسى» و«هارون» عليهما السلام في القرآن مشرقة متألقة..

لقد بوّأ الفرقان «موسى» مكانًا عليًّا بين الأنبياء -عليهم السلام- إذ قدّمه كواحد من أولي العزم من الرسل.. كما ذكر أنه النبي الذي شرّفه المولى عز وجل بأن كلمه مباشرة ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾[١١٢٥]، وأخبرنا أن الله جلّ وعلا قد جمع له النبوّة والرسالة، واصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسلطان مبين.. ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[١١٢٦]

١١٢٢ التثنية ٣٢/ ٤٨-٥٢

١١٢٣ التثنية ٣٤/ ٤-٦

١١٢٤ انظر؛ الخروج، الفصل الثاني والثلاثين كلّه

١١٢٥ سورة النساء / الآية (١٦٤)

١١٢٦ سورة الأعراف / الآية (١٤٤)

أما «هارون» فإنه نبي من أنبياء الله أوحي اليه مع أخيه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ﴾[١١٢٧]

وقد برأه القرآن مما نسبته إليه التوراة بأن أعلن أن السامري –لا «هارون»– هو الذي صنع العجل الذهبي: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[١١٢٨]

كما وصفه بأنه من المؤمنين المحسنين: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُون إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين﴾[١١٢٩]

ولعلّه من الجميل أن نقارن بين موقف ورد في العهد القديم وما يقابله في القرآن الكريم؛ لنستبين عظم البون بين الكتابين:

طلبُ «موسى» عليه السلام من الربّ أن يعينه باخيه «هارون» عليه السلام في البلاغ:

في العهد القديم:

«فقال موسى للرب: «**اصغ** يارب، أنا لم أكن في يوم من الأيام فصيحًا، لا في الأمس، ولا منذ أن خاطبت عبدك. إنما أنا بطيء النطق عيي اللسان.»

فقال الرب له: «من هو بارئ فم الإنسان؟ أو من يجعله أخرس أو أصم أو بصيرًا أو كفيفًا؟ ألست أنا الرب؟ فالآن انطلق فألقن فمك النطق، وأعلمك ماذا تقول.»

لكن موسى أجاب: «ياسيد، **أتوسل إليك أن ترسل من تشاء غيري**.»

فاحتدم غضب الرب على موسى وقال: «أليس هرون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه يحسن الكلام، وها هو أيضًا قادم للقائك. وحالما يراك يبتهج قلبه. فتحدثه وتلقن فمه الكلام،

[١١٢٧] سورة يونس/ الآية (٨٧)

[١١٢٨] سورة طه / الآيتان (٨٧–٨٨)

[١١٢٩] سورة الصافات/ الآيات (١٢٠–١٢٢)

فأعينكما على القول، وأعلمكما ماذا تفعلان، فيخاطب هو الشعب عنك ويكون لك بمثابة فم وأنت تكون له بمثابة إله. »[1130]

إنّه حوار بين (نبيّ) يريد التفلّت من وظيفة التبليغ، و(إله) ضيّق (الصدر) يحشد الأدلّة المتكاثرة؛ لإقناع (نبيّه) العنيد، (صلب الرقبة)!

في القرآن الكريم:

﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.

قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي؛ يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي؛ هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي؛ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا.

قَالَ: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى، وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى؛ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي، إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي. اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى!

[1130] الخروج ٤/١٠-١٦

قَالاَ: رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى!

قَالَ: لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى! فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[١١٣١]

إنّه كلام يجمع بين جلال مقام الألوهيّة وجمال مقام النبوّة .. إنّه كلام المتعالي بعزّ الربوبيّة، الرحيم بمن اختاره نبيًّا .. وحديث النبي المستجير بمولاه، المسبّح بعظمة سيّده!

إنّ عصمة النبيين في القرآن من مقارفة الكبائر، وصدقهم في تبليغ دعوة الحقّ سبحانه، تُقابَل في أسفار اليهود والنصارى بنسبة الأنبياء إلى أحطّ الرذائل وأشدّها بعدًا عن الاستواء .. وأشدّ من ذلك؛ فقد اتّهم «بولس» مؤسس النصرانية، أنبياء الله أنهم بلّغوا الناس رسالة معيبة قاصرة لا تنفع: «فإنّه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها (ασθενες) أو عدم نفعها (ανωφελες) إذ الناموس لم يكمل شيئًا»[١١٣٢] .. وقد صرّح قبله النبي «حزقيال» أنّ الربّ الخالق قد اعترف أنّه بلّغ الناس (عن طريق بعض الأنبياء) **وصايا باطلة وأحكامًا فاسدة!!**[١١٣٣]

إنّ فلسفة النصارى في عرض حال الأنبياء وتحليل نفسياتهم، تخالف صراحة -بل تناقض الفلسفة القرآنية في هذا النطاق .. ففي حين يكرّر النصارى أنّ «الجميع قد ضلّوا على السواء. كلّهم فسدوا، وليس بينهم من يعمل الصلاح، ولا واحد»[١١٣٤] وأنّ ذنوب الأنبياء وقبائح أفعالهم الواردة في الكتب المقدسة هي سبيل لنا لنعرف ضعف الإنسان وفساده(!)[١١٣٥]؛

[١١٣١] سورة طه/ الآيات (٢٤-٤٧)

[١١٣٢] الرسالة إلى العبرانيين ٧/ ١٨-١٩

[١١٣٣] حزقيال ٢٠/ ٢٥

[١١٣٤] مزمور ٣/١٤

[١١٣٥] انظر؛ شنودة الثالث، سنوات مع أسئلة الناس، أسئلة عقيديّة ولاهوتيّة-ب، القاهرة: ١٠٠٢، ص ١٠٦

فواقعهم في أحد أبرز أوجهه هو واقع **عبرة وموعظة** .. يعلن القرآن الكريم أنّ الأنبياء هم **القدوة والأنموذج البشري الأمثل** اعتقادًا وعملًا؛ فيقول وهو يسرد أسماء ذريّة «إبراهيم» عليه السلام من الأنبياء: ﴿ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[١١٣٦] فهم القدوة التي أمِر محمد ﷺ وأمته من بعده، بالاقتداء بها!!

ويقول سبحانه في ما أكرم به الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ

١١٣٦ سورة الأنعام/ الآيات (٨٤-٩٠)

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [١١٣٧]

فالأنبياء في أسفار النصارى، **ساقطون** لأنهم من نسل أبيهم الساقط –حاشا هؤلاء الأنبياء المكرمين!–.. وهم في القرآن نخبة منتقاة، ونماذج هادية مهديّة مجتباة!

إن أبلغ حكم على أنبياء العهد القديم، هو ما قاله المنصّر «دافيد أوبراين» «David O'Brien» في كتابه «*Today's Handbook for Solving Bible Difficulties*» الذي ألّفه للدفاع عن الكتاب المقدس والرد على مخالفيه: «**لا تكاد تجد أحدًا منهم** (أي من الأنبياء) **من الممكن أن يسمح له بالالتحاق بجلّ كنائسنا دون أن (يُشترط عليه) أن يصلح سلوكه بصورة بالغة**» [١١٣٨]؛ فعامة أنبياء الكتاب المقدّس عند هذا المنصّر هم أحط وأرذل من أن يقبلوا في كنائس النصارى اليوم !!.. وإنّ الأنبياء في القرآن الكريم، هم **النخبة المعصومة**، وكفى بذلك تميّزًا وامتيازًا!

دعوات الأنبياء بين القرآن الكريم وأسفار أهل الكتاب

إنّ أبرز ملمح في دعوات الأنبياء في القرآن الكريم، هو تركيزها على تبليغ التوحيد إلى الناس، وحثّها لهم على ترك ما عكفوا عليه من أصنام ومعبودات لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا، وتبشير

[١١٣٧] سورة الأنبياء/ الآيات (٧٢–٩٢)

[١١٣٨] David O'Brien, *Today's Handbook for Solving Bible Difficulties*, p. ٢٣٣ (Quoted by, Dennis McKinsey, *The Encyclopedia of Biblical Errancy*, N.Y: Prometheus Books, ١٩٩٥, p. ١٦٩)

الصالحين بالجنّة، وتهديد الآبقين بعذاب الجحيم، ونصح الناس باتباع المنهج القويم في الدنيا وأنّ في ذلك سعادة الحال والمآل..

١- تبليغ الناس دعوة التوحيد:

يزخر القرآن الكريم بكثير من الآيات والمشاهد التصويرية «الحيّة» لأنبياء الله عليهم السلام، وهم يصيحون في أقوامهم أن ذروا ما عكفتم عليه من أصنام وأقبلوا على الواحد الأحد ..

فهذا «إبراهيم» عليه السلام –أبو الأنبياء– يقولها لقومه في معرض المحاجّة والصراع: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1139]

وهو لا تلين له قناة، إذ يجاهرهم برفضه معتقدهم في مشهد من الناس، بل ويواجه أباه معهم بهذا الأمر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1140]

ويعرض القرآن «لإبراهيم» وهو ينصح أباه نصيحة المشفق، في مقطع شائق مؤثّر:

﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[1141]

وهذا أيضًا «موسى» عليه السلام يدعو فرعون في نقاش بديع، للإيمان بالله :

[1139] سورة الأنعام / الآيتان (٨٠-٨١)

[1140] سورة الأنبياء/ الآيات (٥٢-٥٦)

[1141] سورة مريم/ الآيتان (٤٤-٤٥)

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِين قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُون قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُون قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين ﴾[1142]

وهذا «هود» يقف موقف الثبات واليقين في معرض الذبّ عن التوحيد وذمّ الشرك والتنديد:

﴿ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ﴾[1143]

وهذا «صالح» يناله الأذى بعد أن كان محبوبًا لدى قومه، لما جاهر بنبذ الشرك ودعا إلى التوحيد: ﴿ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيب ﴾[1144]

بل يختصر القرآن الغاية من بعثة الأنبياء، في أعظمها، بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾[1145] ..

فالتوحيد هو قطب رحى دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ..

أمّا التوراة، فإنها وإن كانت تنصّ على عقيدة التوحيد، حتى جعلتها الوصيّة الأولى «لموسى» عليه السلام بين الوصايا العشر، فإنّ هذا التوحيد يبدو غير فاعل بصورة حاسمة في تحريك

[1142] سورة الشعراء/ الآيات (٢٣-٢٩)

[1143] سورة هود/ الآيات (٥٣-٥٦)

[1144] سورة هود/ الآيات (٦٢-٦٣)

[1145] سورة الأنبياء/ الآية (٢٥)

الأحـداث وتوجيـه الأنبيـاء، كمـا أنّـه لـيس توحيـد «الله» ربّ العـالمين، وإنمـا هـو توحيـد ربّ الإسرائيليين فقط، إذ إنّ إسرائيل هي التي اختارها الله[1146] .. أمّا الأقوام الآخرين فلا ربّ لهم إلاّ ما اختاروه من معبودات زائفة!

والأمر كما قال «باينتش» «Baentsch»، فإنّ التوحيد اليهودي هو توحيد قومي، أما التوحيد الإسلامي، فهو توحيد عالمي.[1147]

أمّا الكنيسة فقد أصّلت للشرك وعبادة المخلوقين في ابتداعها عقيدة الثالوث (الآب والابن وروح القدس) كما هو عند الكنائس «الأرثودكسيّة»!

وفرق كما ترى بين الحقيقة العظمى في القرآن الكريم: (التوحيد)؛ مضمونًا ومقامًا ولوازم، وبين توحيد الكتاب المقدس الضيّق، والمكدّر بالشرك..!

٢- التبشير بالجنة و النذارة بالعذاب:

إنّ تحريك الهمم إلى العمل الصالح، وتسلية المبتئس المحزون وهو في غمرة المحن وبين موجها العالي، لا يمكن أن يبلغ ذروته في النفس الإنسانية إلا بوعده بجنّة الآخرة حيث الراحة بلا نصب، والنعيم بلا مكابدة، والمتعة دون منغّص .. إنها دار المستقرّ حيث المكث النهائي بلا موت ..

وقد نصّ القرآن الكريم في الكثير من آياته على دعوة الأنبياء أقوامهم إلى الجنة ووعده إيّاهم بنعيمها الدائم ومقامها الطيّب، وأنّهم إليها يعودون، وأنّ غاية المتعة ليست في نعيم دنيوي باهت زائل، وإنما في مستقرّ بهيّ باق ..

وكما أنّ الفعل الإنسانيّ يتحرّك بجانب التمنية والترغيب، فإنّه يتحرّك أيضًا بدافع التخويف والترهيب .. وهذان العاملان هما وقود النفس الإنسانية في تباعدها عن سقيم المعتقد ورذيل الفعل، وإقبالها على الإيمان الحق والصدق في الفعل الجميل ..

[1146] انظر ؛ خروج ١٩/ ٦٤ ؛ تثنية ٤/ ٢٠ ؛ ٤٣/ ٢١ ..

[1147] *Altorientalischer und israelistischer Monotheismus*, pp. ٧٧-٩٤ (نقله؛ عبد الرحمن بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقدية، ص ٧٥).

وبالنظر في قصص النبيين في القرآن الكريم، يبرز جانب الترهيب من اليوم الآخر بصورة هائلة بارزة، إذ إنّ المدعوين كانوا ما بين وثنيين وآخرين قد انحازوا إلى الفريق الذي حرّف دعوة الأنبياء الأوائل .. فكان الترهيب من وَقْع العذاب أبلغ في نفوس هؤلاء من تمتيع أسماعهم بجمال يوم الجزاء ..

وقد تكرّر التخويف من عذاب النار بدعوة المشركين إلى الاستقامة على جادة الصلاح والهدى .. فهذا «نوح» عليه السلام يبدأ دعوته بالنذارة من عذاب الله وشديد انتقامه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1148]

وهذا «شعيب» يصرخ في قومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[1149]

ولكن .. إذا نظرنا إلى الجهة المزعوم أنها مصدر الاقتباس القرآني؛ فسنلاحظ أنّ العهد القديم الذي يمثّل المرجع اليهودي الأسنى والمرجع النصراني الأطول، لا يذكر اليوم الآخر إلاّ نادرًا في آخر أسفاره تأليفًا؛ فقد ذهب النقّاد إلى أنّ عقيدة اليوم الآخر لم تظهر (من خلال ملاحظة نصوص الكتاب المقدس-المحرّف-) إلاّ في مرحلة متأخرة من سلسلة دعوات بني إسرائيل، وفي ذلك تقول الموسوعة المعروفة «*The World Book Encyclopedia*» على أنّ: «أولى الإشارات في الأدب اليهودي لقيامة البشر في نهاية الزمان ظهرت في سفر دانيال – ربّما ألّف في سنة ١٦٠ ق م – »[1150] .. !

وقد جاء التصريح في الكتاب المقدس بأنّ الوجود الإنساني عبث؛ بدايته جنين في الرحم، وآخرته جثة تفنى، ثم العدم: «ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهما، موت

[1148] سورة الأعراف/ الآية (٥٩)

[1149] سورة هود/ الآية (٨٤)

[1150] *The World Book Encyclopedia*, Chicago: World Book, ٢٠٠١ , ١٦/٢٦٤

هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل؛ فليس للإنسان مزية على البهيمة، لأن كليهما باطل، يذهب كلاهما إلى مكان واحد، كان **كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما**، مَنْ يعلم هل تصعد روح البشر إلى العلاء، وتنزل روح البهيمة إلى الأرض؟»[١١٥١]

لقد كان مفهوم البعث عند اليهود هو أمر آخر غير نشأة الأجساد للقيامة للحساب؛ يقول «ستمبسون» «Stimpson» في كتابه: «كتاب حول الكتاب المقدس» «*A Book about the Bible*»: «كان رجاء الحياة بعد الموت مقصورًا في أيام العهد القديم على البعث الذي سيعقب ظهور المسيح، ولكن الكلام عن السماء والجحيم وحضن إبراهيم كان شائعًا على عهد عيسى بين طوائف اليهود[١١٥٢].»

أمّا الأمر في العهد الجديد فهو حديث سريع ومشتت لا يشكّل في مجموعه صورة متكاملة متناسقة!

وهنا نسأل: إنّ الحديث عن اليوم في الآخر في القرآن الكريم يشغل حيزًا ضخمًا من الآيات، لكنّه لا يكاد يذكر في العهد القديم، ولا تكاد تعرف له تفاصيل في العهد الجديد[١١٥٣] –.. فمن أين لمحمد ﷺ بهذه التفاصيل الكثيرة، إن كانت أسفار أهل الكتاب هي المرجع كما يزعم المنصّرون ..

وأخيرًا .. حُقّ للعاقل أن يتساءل: «ألا يشكّل هذا المبحث وحده هدمًا لدعوى المنصّرين!!؟»

٣ـ تبليغ الشريعة المصلحة :

لم تقتصر دعوة الأنبياء على تبليغ الناس العقيدة التي تصلح تصوراتهم، وإنما أنزل الله جلّ وعلا معهم شريعة لتقويم سلوك البشر وتنظيم علاقاتهم؛ حتّى لا يجوروا على أنفسهم ولا على غيرهم، ولا تزل أقدامهم في تتبع الشهوات وتعقّب النزوات والاستسلام لدفق فاسد الخطرات.

[١١٥١] الجامعة ٣/ ١٩– ٢١

[١١٥٢] George W. Stimpson, *A Book about the Bible*, New York: Harper & Brothers, ١٩٤٥, ٤th edition, p.٣٨

[١١٥٣] انظر؛ متّى ٤٦/٣٥ ، متّى ٢٧/١٩–٢٩، مرقس ٤٣/٩–٤٨، ٢٣/١٤–٢٥، لوقا ١٨/٢٢–٣٠، يوحنا ٢/١٤.

وقد كتب المولى سبحانه في التوراة لبني إسرائيل ما يصلح أمرهم ويصرفهم عن الانحراف والضلالة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[1154]..

وبُعث «عيسى» عليه السلام مصدّقًا لما في التوراة مع شيء من التخفيف: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1155]

وكان «شعيب» عليه السلام قبله نذيرًا لقومه حتّى لا يستمروا في إتيان منكرهم العظيم: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1156].

وبعث محمد ﷺ بالشريعة العامة للبشر، والمحكمة بلا نسخ من رسالة تالية، ورغم ما فيها من تميّز وتجديد وإبداع، فقد رمى المستشرقون حصى التشكيك في نهرها السارب المطمئن؛ فقالت قلّة منهم بتأثّر التشريع الإسلامي بأحكام الكتاب المقدس والتلمود، وذهب الكثير منهم إلى القول بتأثّر التشريع والفقه الإسلاميين بالتشريع الروماني، أمّا العهد الجديد فلم يمنحهم فرصة للنيل من أصالة القرآن الكريم.

التوراة والتلمود:

لا يرى مصدريّة التوراة والتلمود للتشريع القرآني غير شواذ المستشرقين، بل إنّ «جايجر» نفسه رغم أنّه قد عقد في كتابه مبحثًا خاصًّا عن اقتباس التشريع القرآني من اليهوديّة، إلاّ أنّه لم يجد إلاّ صورًا قليلة جدًا للتشابهات بين التشريع القرآني والتشريع اليهودي؛ فقام بنفسه بهدم حجيّتها عندما كتب في آخر حديثه أنّه لم يجد غير عدد قليل جدًا من التشابهات التي عدّها اقتباسات، رغم أنّه قد قارن بين التشريع القرآني والتشريع التلمودي الضخم. وزاد في نقض دعواه عندما

[1154] سورة الأعراف/ الآية (١٤٥)
[1155] سورة آل عمران/ الآيتان (٥٠-٥١)
[1156] سورة هود/ الآية (٨٥)

اعترف أنّه بالإضافة إلى قلّة هذه التشابهات، فإنّه من الممكن القول إنّها أعراف شرقيّة عامة[١١٥٧]، فليست هي إذن من مميزات التشريع اليهودي، بالإضافة إلى أنّ الواقع الشرقي كان يستدعيها في حياة الناس بسبب الحاجة إليها!

ولو أننا ألقينا نظرة على أسفار (التناخ) التي يزعم البعض أنّها أصل تشريعات القرآن الكريم؛ لرأينا عجبًا، وأمرا منكرًا:

- لا ترث البنات إذا كان لهن أخ.[١١٥٨]
- لا تطبخ جديًا بلبن أمه.[١١٥٩]
- «إذا نطح ثور رجلًا أو امرأة فمات، يرجم الثور حتى الموت»!![١١٦٠]
- «لا يدخل ذو الخصيتين المرضوضتين أو المجبوب في جماعة الرب. لا يدخل ابن زنى ولا أحد من ذريته حتى الجيل العاشر في جماعة الرب.»[١١٦١]
- إذا توفيّ الزوج، فعلى أخيه قسرًا أن يتزوّج زوجته، فإن رفض؛ تشتكيه إلى القضاء الذي يناقشه في الأمر، فإن أصرّ على رفضه؛ تخلع المرأة نعله، **وتبصق** في وجهه، ويُدعى بيته: «بيت المخلوع النعل»[١١٦٢]
- «إِذَا تَعَارَكَ رَجُلاَنِ فَتَدَخَّلَتْ زَوْجَةُ أَحَدِهِمَا لِتُنْقِذَ زَوْجَهَا مِنْ قَبْضَةِ يَدِ ضَارِبِهِ وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِخِصْيَتِهِ، فَاقْطَعُوا يَدَهَا وَلاَ تُشْفِقُوا عَلَيْهَا.»[١١٦٣]
- «لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوتكم من بني إسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر، **أما الأجنبي فأقرضوه بربا**.»[١١٦٤]

١١٥٧ A. Geiger, *Judaism And Islam*, p. ٧٠

١١٥٨ انظر؛ العدد ٢٧/١-١١

١١٥٩ انظر؛ خروج ٣٤/٢٦

١١٦٠ خروج ٢١/٢٨

١١٦١ تثنية ٢٣/١-٢

١١٦٢ انظر؛ تثنية ٢٥/٥-١٠

١١٦٣ تثنية ٢٥/١١-١٢

- إذا اغتصب رجل فتاة عذراء؛ فإنّ **عقوبته** هي أن **يتزوّجها**، وأن تبقى هي معه حتى الموت![١١٦٥]

- «من يمس جسد المصاب بالسيلان يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»[١١٦٦]

- «إن بصق المصاب بالسيلان على شخص طاهر، فعلى الطاهر أن يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء»[١١٦٧]

- «وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من يلمسها يكون نجسًا إلى المساء.كل ما تنام عليه في أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجسًا، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء. وكل من مس متاعًا تجلس عليه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسا إلى المساء. وكل من يلمس شيئا كان موجودا على الفراش أو على المتاع الذي تجلس عليه يكون نجسًا إلى المساء.»[١١٦٨]

- «إذا حملت امرأة وولدت ذكرًا، تظل الأم في حالة نجاسة سبعة أيام ... وإن ولدت أنثى فإنها تظل في حالة نجاسة مدة أسبوعين.»[١١٦٩]

- على صاحب الحمار أن يفدي أوّل مولود لهذه الدابة، بشاة؛ وإذا لم يفده بشاة؛ فإنّ عليه عندها أن يكسر عنق الحمار![١١٧٠]

[١١٦٤] تثنية ٢٣/١٩-٢٠

[١١٦٥] انظر؛ تثنية ٢٢/٢٨-٢٩

[١١٦٦] لاويين ١٥/٧

[١١٦٧] لاويين ١٥/٨

[١١٦٨] لاويين ١٥/١٩-٢٣

[١١٦٩] لاويين ١٢/٢، ٥

إنّ أوجه الخلاف بين التشريعات القرآنيّة والتشريعات التوراتيّة عظيمة وعميقة:

أولًا: غياب منظومة تشريعيّة توراتية تستوعب تفاصيل الحياة وتسدّ حاجات الأمّة والفرد، في حين استوعب التشريع الإسلامي (قرآنًا وسنّة) جليل الأمور ودقيقها.

ثانيا: إغراق النص التوراتي في التشريعات الطقوسيّة التفصيليّة التي لا تمسّ حياة الناس في شيء، وهو ما لا نرى له ظلًا في القرآن الكريم.

ثالثا: يزخر النص القرآني بعدد ضخم من النصوص التشريعيّة (الكليّة العامة) التي توفّر للفقيه معالم كبرى للاستنباط في كلّ بيئة وحال، في حين استغرقت (التفاصيل) التشريعيّة نصوص التوراة.

رابعا: من اليسير أن يلاحظ القارئ أثر البيئة على كثير من الأحكام التشريعيّة في التوراة، في حين تبدو النصوص التشريعيّة القرآنيّة حاكمة على البيئة؛ فهي التي تصنع الواقع وتشكّله.

خامسا: تستوعب الشريعة الإسلاميّة حاجات الإنسان سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، في حين تكتفي الشريعة التوراتيّة بالنظر في حاجات الإسرائيلي.

سادسا: كثير من أحكام التوراة قائمة على تمييز طبقة رجال الدين عن طبقة العامة، في حين يخلو التشريع الإسلامي من الاعتراف بطبقة رجال الدين؛ فكلّ المسلمين مكلّفون بالتزام الشرع متى بلغوا وعقلوا الخطاب.

سابعا: رغم أنّ الشريعة الإسلاميّة قائمة على مبدأ أنّ (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)؛ إلاّ أنّها تحترم في الإنسان إنسانيّته مهما كان انتماؤه العقدي، وتؤمن بحاجاته الآدميّة دون تمييز ديني، في حين يختزل التشريع التوراتي (الإنسان) في (الإسرائيلي).

ثامنا: قانون الحرب في الإسلام منضبط بحدود أخلاقيّة تمنع جموحه نحو الانتقام أو نهمة الثروة، في حين تكسو نصوص الحرب في العهد القديم غلالة كثيفة من الدمويّة والكلف بالمال.

[١١٧٠] انظر؛ خروج ٢٠/٣٤

تاسعا: العقوبة الجنائية في التوراة قائمة على مبدأ النكاية في المتعدي على حدود الشرع، في حين تقوم العقوبة الجنائيّة في الإسلام على مبادئ: الزجر، والوقاية، ومنح الولي سلطان العفو، وحضّه على ذلك.

عاشرا: حقوق المرأة هامشيّة في التوراة، فهي لا ترث إذا كانت أمًا أو ابنة، ولا حقّ لها في الانفصال عن الزوج، وعقوبة مغتصبها إذا كانت عذراء أن يتزوجها، ولأبيها أن يبيعها، والفكرة الحاكمة هنا هي أنّ المرأة متاع مملوك للرجل، وأنّ العدوان عليها هو في الحقيقة عدوان على أبيها أو زوجها فقط؛ إذ إنّها داخلة ضمن ملكيّتهما .. أمّا القرآن الكريم فيقرّر أنّ المرأة كالرجل في كلّ شيء إلاّ ما استثني لعلّة معتبرة، وأنّها مستقلّة لنفسها بالاعتبارين الأدبي والمالي.[١١٧١]

ثمّ .. إنّ تشريعات الكتاب المقدس التي يزعم المنصّرون أنها وحي ربّاني، ما هي في الكثير منها إلاّ اقتباسات من التشريعات الأرضيّة الوضعيّة؛ فهي التي يجب أن تدان باستنساخ شرائع البشر![١١٧٢]

العهد الجديد والقانون الكنسي:

لا شريعة في الكنيسة: صرّح العهد الجديد أنّ شريعة التوراة هي شريعة معيبة باطلة(!!)[١١٧٣]، وقرّر «بولس» صراحة أننا لسنا بحاجة إلى شريعة عمليّة، وإنما علينا أن نكتفي بعقيدة صلب الإله؛ للنجاة[١١٧٤]..

أمّا القانون الكنسي، فقد بدأ ببعض المجامع التي كانت حصيلتها مجموعة قليلة من القرارات، جلّها خاص بالقضايا اللاهوتيّة والنسكيّة والترتيبيّة في البنيان التنظيمي للكنيسة.. ثم أصبح بابا

[١١٧١] انظر في حقوق المرأة ومقامها بين القرآن الكريم والكتاب المقدس كتابنا: (المرأة بين إشراقات الإسلام وافتراءات المنصرين) .. وهو متاح على النت:

http://www.arcri.org/woman/

[١١٧٢] انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب.

[١١٧٣] انظر مثلا؛ غلاطية ٣/ ١٣

[١١٧٤] انظر مثلا ؛ أفسس ٢/ ١٥، روما ٣/ ٢٧-٢٨، تيطس ٣/ ٤-٥

روما مصدرًا جديدًا لحسم القول في التحليل والتحريم في القضايا التشريعيّة التفصيليّة –التي هي قليلة أيضًا–؛ حتى كان يقال: «*Roma locuta est causa finita*» أي: «لقد تكلّمت روما، وأغلقت القضيّة.»

لسنا هنا –في المرحلة السابقة والموازية للبعثة النبويّة– أمام تشريع بالمعنى الحقيقي الكامل، وإنّما هي مجموعة صغيرة جدًا من التعليمات التي لا تمس من واقع الجماعة البشريّة شيئًا يذكر!

زمن التقنين: إنّ أوّل محاولة لتجميع القانون الكنسي بصورة منظمة وموسوعيّة كانت في القرن الحادي عشر ميلادي على يد الراهب «غراتين» «Gratian» –أي بعد نزول القرآن الكريم بقرون – باسم «*Decretum Gratiani*»؛ بما يعني أنّ الإحاطة بالتشريعات الكنسيّة زمن حياة رسول الله ﷺ من الأمور العسيرة التي تحتاج دراسة ومتابعة وعلمًا باللغات اليونانية واللاتينيّة والسريانيّة..!!

لقد كان القانون الكنسي قبل ذلك لا يكاد يتجاوز حدود النصائح الأخلاقيّة العامة المتعلقة بالصدق والعفّة، مع تفصيل أمر الشعائر العباديّة، وترتيب المراتب الكنسيّة[١١٧٥]، كما أنّ المجامع الكنسيّة في القرون السابقة لبعثة نبي الإسلام ﷺ لم تنشغل في الجانب التشريعي إلاّ بالقضايا الجزئيّة التي لا تمسّ غير خاصة من الناس في الأغلب، وكان همّها الأوّل حسم القضايا اللاهوتيّة..

فبين هذا التطور القانوني والبعثة النبويّة مسافات زمنيّة: قرون، ومسافات مادية: المسافة بين جزيرة العرب وأوروبا، ومسافات معرفيّة: اللغات الأعجميّة.

إنّ القول بالاقتباس القرآني من أسفار العهد الجديد في باب التشريع لا يصمد أمام أولى الدراسات المقارنة، ولذلك لا يعرف له أنصار!

[١١٧٥] من ذلك: (الدسقولية) و(الديداكي) ...

التشريع الروماني:

اضطرّ الطاعنون في القرآن الكريم إلى التوجّه إلى القانون الروماني للقول إنّه مصدر التشريع الإسلامي، لكن لم تصمد هذه الدعوى طويلًا، فقد ردّ عليها كتّاب من المستشرقين كالمستشرق الإيطالي «نلّينو» «Nallino» في محاضرته التي ألقاها في المؤتمر الدولي للقانون الروماني، في روما سنة ١٩٣٣م، بعنوان: «علاقات الفقه الإسلامي بالقانون الروماني»[١١٧٦]، و«فيتزجيرالد» «FitzGerald». والثابت أنّ الرسول ﷺ لم يكن يعرف لغات الإمبراطوريّة الرومانيّة، وكان الإمبراطور الروماني «جستينان» قد ألغى جميع مدارس القانون الروماني في الإمبراطوريّة الرومانيّة عدا مدرسة روما والقسطنطينيّة وبيروت، بموجب قرار أصدره سنة ١٦ ديسمبر سنة ٥٣٣م[١١٧٧]. وكانت البلاد العربيّة نائية تمامًا بقوانيها العرفية عن شرائع الأمم الأخرى، كما أنّ الاختلافات الواسعة بين شريعة القرآن وشرائع الرومان[١١٧٨] تبطل كلّ دعوى للاقتباس..

ثم إنّ همّة المخالفين من المستشرقين كانت في حقيقتها متوجهة إلى نسبة الأحاديث النبويّة، والفقه الإسلامي الذي هو جهد العلماء في الاستنباط، إلى التشريع الروماني، لا القرآن الكريم. وبعيدًا عن تهافت هذه الدعوى، فإنّ موضوعنا هو أصالة النص القرآني فقط، وهو باب لم يقدّم فيه المستشرقون حجّة لها حظ من النظر!

تميز التشريع الإسلامي:

إنّ التميّز التشريعي القرآني وأصالته قد أصبحا حقيقة علميّة عند الكثير من أعلام القانونيين من غير المسلمين، وقد اعترف مؤتمر القانون الدولي المقارن الذي انعقد في أغسطس ١٩٣٧م بأنّ

[١١٧٦] عرّب هذه المحاضرة، ونشرها د. «صلاح الدين المنجد» في كتابه «المنتقى من دراسات المستشرقين».

[١١٧٧] صوفي حسن أبو طالب، بين الشريعة الإسلاميّة والقانون الروماني، ص ٤٨ (نقله، عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلاميّة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١٥، ص ٦٥)

[١١٧٨] انظر تفصيل الرد؛ عبد الكريم زيدان، المصدر السابق، ص ٦٢-٧٥

التشريع الإسلامي قائم بذاته وليس مأخوذًا من غيره[1179] ؛ في إشارة إلى تميّز التشريع الإسلامي عن القانون الروماني ..

وقد سبق التشريع الإسلامي القانون الغربي في عدد من مقولاته الكبرى التي اعتبرها القانونيون طفرات عظيمة في الأحكام التشريعية الوضعية عندهم، ومن هذه المقولات «نظرية التعسف في استعمال الحق»[1180] ونظرية «الظروف الطارئة» ونظرية «تحمل التبعة» و«مسؤولية عدم التمييز»[1181]...

وتحدّث القانوني «ليون أستروروج» «Leon Ostrorog» –في النصف الأول من القرن العشرين– عن المنظومة التشريعيّة الإسلاميّة في مجال حقوق الإنسان، بكلّ إجلال وتوقير ليقول: «النظام [التشريعي الإسلامي] كامل إلى درجة نادرة من ناحية بنائه المنطقي، وهو إلى اليوم يثير إعجاب الدارسين.»[1182]

وقد أقرّ القاضي السابق في محكمة العدل الدوليّة والأستاذ المتقاعد من جامعة «موناش»: «كريستوفر ويرمنتري» «Christopher Weeramantry» في كتابه «الفقة الإسلامي: منظور

[1179] علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، بيروت: دار الفتح، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٦٧-٦٨

[1180] «إن نظرية الاعتساف في الحق وحدها قد أذهلت القانونيين الغربيين في القرن العشرين، حتى إنهم لما كتب أحد المسلمين رسالته عن مذهب الاعتساف في استعمال الحق، ولم يخرج فيها عما قرره فقهاء الإسلام تهافت القرّاء عليها حتى نفدت في ستة أشهر، وكتبت عنها المجلات القانونية الغربية حتى قال القانوني الألماني الشهير «كوهلر» في مقالٍ له: «إن الألمان كانوا يتيهون عجبًا على غيرهم لخلقهم نظرية الاعتساف في استعمال الحق، وإدخالها ضمن التشريع في القانون المدني الألماني الذي وضع سنة ١٧٨٧. أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحي، وأفاض في شرح هذه النظرية نقلًا عن رجال الفقه الإسلامي، فإنه يجدر بعلماء القانون الألماني أن يتنازلوا عن المجد الذي نسبوه لأنفسهم، ويعترفوا بالفضل لأهله، وهم فقهاء الإسلام الذي عرفوا هذه النظرية وأفاضوا في الكلام عنها، قبل الألمان بعشرة قرون.» علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ص٤٢ (نشر المقال في الجريدة القضائية في ٢٣ يناير سنة ١٩٣٧).

[1181] انظر، علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ص ٤٢

[1182] C. G. Weeramantry, *Islamic Jurisprudence: An International Perspective*, Basingstoke u.a. : Macmillan, ١٩٨٨, p.١١٣

دولي»«*Islamic Jurisprudence: An International Perspective*» بعظمة الشريعة الإسلاميّة –خاصة فيما يتعلّق بالقانون الدولي– وأثرها على القانون الأوروبي. وأظهر في هذا الكتاب انبهاره وإعجابه الشديدين بمبادئ الشريعة الإسلامية وتفاصيلها، ولم يكن حديثه مجرّد معان مُجملة وإنما كان كلّه إحالات صريحة إلى النصوص القرآنية والحديثية[١١٨٣]. وقد أنكر بشدّة على الكتّاب الغربيين تجاهلهم للشريعة الإسلاميّة في حديثهم عن تاريخ القانون الدولي وأكّد أنّ الشريعة الإسلاميّة سابقة لما يعتبر تأسيسًا لهذا القانون على يد «غروتيوس» «Grotius»[١١٨٤] في القرن السابع عشر؛ موضّحًا أمرين هامين: أولهما: أنّه في مقابل التأصيل التشريعي الإسلامي للقانون الدولي، لم يعرف اليونان ولا الرومان ولا الكنيسة نظريّة قانونيّة متناسقة في هذا الموضوع[١١٨٥]، وثانيهما: دلّل من أوجه كثيرة على معرفة «غروتيوس» بالتشريع الإسلامي وتأثّره به[١١٨٦].

ولا يسع القارئ غير المسلم وهو يقرأ كتاب القانوني «ويرمنتري» إلاّ أن يسأل نفسه: كيف أوتي «محمد» ﷺ هذه القدرة «الخارقة» على (إنشاء) هذا الصرح التشريعي دون ميراث بشري

[١١٨٣] نقل أيضًا بعض الشهادات الواقعيّة؛ ومنها قوله: «سجّلت الكتابات الأوروبيّة إبّان الحروب الصليبيّة دهشتها إثر ترجمة بعض هذه المبادئ [التشريعيّة الإسلاميّة] إلى واقع ممارسٍ في ساحة الحرب. أحد الكتاب –«Oliverus Scholasticus»– أشار إلى واقعة إمداد السلطان «الملك الكامل» الجيش الإفرنجي المهزوم بالطعام: «مَن مِن الممكن أن يشك أنّ مثل هذا الصلاح والمودّة والإحسان هو من الله؟ رجال قُتِلَ آباؤهم وأبناؤهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم بأيدينا، وسلبناهم أرضهم، وأخرجناهم عراة من بيوتهم، أحيونا بطعامهم لما كدنا نهلك من الجوع، وغمرونا بطيبتهم حتّى لما كنّا مستضعفين أمامهم.»» (C. G. Weeramantry, *Islamic Jurisprudence: An International Perspective*, ١٩٨٨, pp.١٣٧-١٣٨)

[١١٨٤] هوجو غروتيوس (١٥٨٣م–١٦٤٥م): قانوني ولاهوتي هولندي.

[١١٨٥] المصدر السابق؛ ص ١٥١: «neither the Greeks nor the Romans had produced a coherent theory of international law [...] the medieval Christian Church was only groping towards this concept»

[١١٨٦] انظر المصدر السابق؛ ١٥٠–١٥٨

سابق، إن لم يكن هو الوحي الربّاني؟! وكيف يكون هذا القرآن من نتاج صحراء القرن السابع ميلاديًا، وهو مع ذلك يفيض خيرًا على البشريّة في مجالات التشريع إلى اليوم؛ ويأخذ بألباب كبار القانونيين الغربيين حتى القرن الواحد والعشرين رغم أنهم لم يلجوا أعماقه بعد؟!

.. بل هو تأثير إسلامي في شرائع أهل الكتاب:

شهد المستشرق «جوزيف شاخت» «Joseph Schacht»[١١٨٧] –الذي يعدّ أحد أهمّ المستشرقين المعتنين بالدراسات التشريعيّة والفقهيّة الإسلاميّة– أنّ **التشريع الإسلامي هو الذي أثّر في التشريعات اليهوديّة والنصرانيّة.**

قال: «من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضّر قانونه الديني، الذي يسمى «بالشريعة».

والشريعة الإسلاميّة تختلف اختلافًا واضحًا عن جميع أشكال القانون .. إنّها قانون فريد في بابه .. إنّ الشريعة الإسلاميّة هي جملة الأوامر الإلهيّة التي تنظّم حياة كلّ مسلم من جميع وجوهها.»[١١٨٨]

«إنّ التشريع الإسلامي قد أثّر تأثيرًا عميقًا في جميع فروع القانون في إقليم الكرج (جمهوريّة جورجيا)، وذلك من خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين.

ثمّ هناك **تأثير التشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى، من اليهود والنصارى** الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلاميّة.»[١١٨٩]

[١١٨٧] جوزيف شاخت (١٩٠٢م–١٩٦٩م): أستاذ اللغة العربيّة والإسلام في جامعة كولمبيا في نيويورك. كان عضوًا في المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجامع وجمعيات علميّة كثيرة.

[١١٨٨] شاخت، تراث الإسلام، ص ١٢ (نقله، محمد عمارة، الإسلام في عيون غربيّة، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م، ص ١٨٠)

[١١٨٩] شاخت، تراث الإسلام، ص ١٤ (نقله؛ المصدر السابق، ص ١٨٢)

«فبالنسبة للجانب اليهودي يبدو أنّ «موسى بن ميمون» قد تأثّر ببعض ملامح المؤلّفات الإسلاميّة في تنظيمه للمادة القانونيّة في مدوّنته بعنوان «مشناه توراه» وهو عمل لم يسبقه إلى مثله أحد من اليهود. ويقول أيضًا في تعليقه على «المشناه» الذي كتبه بالعربيّة (وذلك في تقديمه لما يسمى بالفصول الثمانية)، يقول: وإنه إلى جانب التلمود والمدراش، قد أفاد من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وكثير غيرهم، إنه ينبغي على المرء أن يقبل الحقيقة من أي إنسان يقولها– لكن هذه المسألة كلها لم تبحث بحثًا كاملًا حتى الآن.

ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي، فليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية، وهما: اليعاقبة والمونوفيزية [أصحاب الطبيعة الواحدة] والنساطرة **لم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي.**»[١١٩٠]

وقال المستشرق اليهودي «نفتالي ويدر» في كتابه «التأثيرات الإسلاميّة على العبادات اليهوديّة» متحدثًا عن أهم عمل فقهي يهودي في القرون الوسطى، وهو «مشناه توراه» في سياق حديثه عن الأثر العام للمسلمين أصحاب اللسان العربي على اليهود: «ومن الناحية الشكليّة اتّخذ اليهود لأنفسهم مناهج العرب العلميّة في فروع الدين، والأخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس. بل حتّى في ميدان الشريعة؛ فكتاب «مشناه توراة» الذي يبهرنا ببنائه وترتيبه، ليس هو سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقًا للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسلمون»[١١٩١]

كما أبان المستشرق «موشيه مردخاي تسوكر» بشكل علمي في مقدمته لكتاب «تفاسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين» التأثير الإسلامي الكبير على فقهاء اليهود في القضايا الأصوليّة، سواء ما تعلّق منها بأصول الفقه أو أصول الدين.[١١٩٢]

[١١٩٠] شاخت، تراث الإسلام، ص ٢٧–٢٩ (نقله؛ المصدر السابق، ص ١٨٢–١٨٣)

[١١٩١] نفتالي ويدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص ٩ (عن، موشيه مردخاي تسوكر، التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة، ت/أحمد محمود هويدي، القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، المقدمة، ص ١٣)

[١١٩٢] انظر؛ موشيه مردخاي تسوكر، التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة

٤- المنظومة الأخلاقيّة المتدنّية:

ترتبط المنظومة الأخلاقيّة التي يدعو إليها النبيّ المرسل من الربّ سبحانه بالتصوّر العقدي والتفصيل التشريعي؛ ولذلك فهي في وجه من أوجهها، مرآة تعكس الملامح الكبرى لرسالة هذا النبيّ.

وتعتبر المنظومة الأخلاقيّة اليهوديّة متّصلة بحبل سُرّي بعقيدة العهد القديم حيث (أبناء إسرئيل) هم شعب الله المختار (المدلّل)، ومن عداهم، فهم «الجويم» «الأمم» التي ليس لها نصيب في رحمة الله .. وتبدو هذه الصورة في أعظم تجلّياتها في إباحة الإقراض بالربا مع الأممي ومنعه إذا كان التعامل مع يهودي، بما يكشف (نخبويّة الأخلاق الإسرائيليّة)، كما تنكشف حدّتها في وصف الفلسطينيين بأنّهم «حمير»[١١٩٣]، وتتجلّى في صورة أوضح في التلمود حيث كلمة «بشر» قاصرة على الإسرائيليين: «أنتم تُدعون بشرًا، ولا يُدعى الأمميون بشرًا.» «**אתם קרויין אדם ואין העובדי כוכבים קרויין אדם**» (*Keriot* ٦b)، وحيث يقول الحبر «حنينا» «**חנינא**»: «من يضرب إسرائيليًّا على فكّه؛ فهو كمن أهان الحضرة الإلهية؛ لأنّه قد كتب: من ضرب رجلًا (أي رجلًا إسرائيليًّا)، فقد ضرب القدوس (أي الرب)» «**הסוטר לועו של ישראל כאילו סוטר לועו של שכינה שנאמר מוקש אדם ילע קודש**» (سنهدرين ٥٨ب)، وهنا التماهي السافر بين (الإسرائيلي) و(الربّ)!

ومن النصوص الأخرى التي تكشف (نخبوية) الأخلاق التوراتيّة/التلموديّة: «لا يتوجّب على اليهودي أن يدفع لوثني أجور عمل» (سنهدرين ٥٨ ب).

«إذا نطح ثور لرجل إسرائيلي ثورًا يخص رجلًا كنعانيًا لا تدفع أية فدية، وأما إذا نطح الكنعاني ثور الإسرائيلي؛ توجّب دفع الفدية بالكامل» (باب قاما ٣٧ ب) .

[١١٩٣] قضاة ١٥/١٦: «ثم قال شمشون: «بفك حمار كَوَّمْتُ أكداسًا فوق أكداس، بفك حمار قضيت على ألف رجل.» «ترجمة كتاب الحياة» النص العبري يقول «חמור חמרתים» «حمارًا حمارين» لا «أكداسًا فوق أكداس»!

وقد جاء وصف غير اليهود بأنّهم حمير أيضًا في التلمود (انظر؛ براكوت ٥٨أ)

« إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنيًّا فلا يتوجّب عليه ردّه» (بابا متسيا ٢٤ أ).

« لا يعفو الله عن اليهودي الذي يزوج ابنته لرجل عجوز، أو يأخذ زوجة لابنه الطفل، أو يردّ متاعًا ضائعًا لشخص وثني» (سنهدرين ٧٦ أ) .

« الأمميون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة، ومالهم يتيحه الله حلالًا لبني إسرائيل» (باب قاما ٣٧ ب)

« يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب (الحيل) لكي يراوغ أمميًّا» (باب قاما ١١٣أ)

«لا تترك البقر في فنادق الأمميين؛ لأنه يخشى أن يمارسوا معهم الجنس» (عبوداه زراه ٢٢أ، ٢٢ب)

ولعلّ من أهمّ مميزات (أخلاق التوراة)، عدم وصلها الجانب الأخلاقي الدنيوي، بالعقاب والتنعيم الأخرويين، فهي أخلاق نفعيّة منحصرة في دائرة (التعايش) و(التخادم) بين الإسرائيليين باعتبارهم (أبناء الربّ وأصفياؤه) ..

أمّا منظومة الأخلاق الإنجيليّة، فرغم ما (شاع) عنها من أنّها: نسق جامح في مثاليّته، ينكر للفرد كلّ رغبة وشهوة، ويدعوه إلى أن يتنازل عن كلّ حقّ في نزاعه مع غيره، كما يدعوه إلى أن ينكر مشاعره العفوية الملازمة لطبيعته البشريّة في صميميّتها، ليتحوّل إلى كيان بلا إحساس عفوي، فهو ينفعل بصورة تخالف التكوين الآدمي الطبيعي.. فإنّ الحقيقة هي أنّ هذه الصورة —**رغم صدقها**– لا تمثّل غير **نصف الحقيقة!**

إنّ النظرة العلميّة غير الخاضعة (لبروباغندا) الكنيسة، لتكشف صواب ما قرّره «ألبير باييه» «Albert Bayet»[١١٩٤] من أنّه **لا يوجد نسق أخلاقي منضبط في الأناجيل**، وإنّما

[١١٩٤] ألبير باييه (١٨٨٠م-١٩٦١م): عالم اجتماع فرنسي. درّس في السوربون والمدرسة التطبيقيّة للدراسات العليا.

هناك أنساق أخلاقية **متعارضة متصادمة**، وقد درجت الكنيسة على الانتقاء منها في ممارستها ودعوتها، مراعاةً لواقع الكنيسة من ضعف أو قوّة، أو مراعاة لتغيّر الزمان وتبدّل الأنساق الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

وقد لخّص «باييه» دراسته القيّمة لهذا الموضوع، في الفصل الذي اختار له عنوان: «**لا توجد أخلاق إنجيليّة**» ، بقوله:

«لنوجز حصيلة ما تقدّم من دراستنا. إنّها حصيلة بسيطة؛ **لا أخلاق إنجيليّة**. فمن جهة أولى، **توجد في الإنجيل أفكار متناقضة تتصل بما ندعوه اليوم الأخلاق النظريّة**. ومن جهة أخرى يوجد مذهب أخلاق عمليّة.

... هناك مذاهب ثلاثة في مجال علاقات الأخلاق بالطقوس: الأوّل يؤكّد استقلال الأخلاق عن الطقوس ولا يقرّ سوى الرجس الأخلاقي. والثاني يؤيّد طقوس التطهّر الواردة في (الشريعة) الموسويّة القديمة دون أن يدخل عليها أيّ تعديل. والثالث يقيم طقوسًا جديدة.

وفي مجال علاقات الأخلاق بالإيمان يوجد مذهبان: الأول يؤكد رجحان الأخلاق ويقرّ خلاص اليهود ويعلن أن الإيمان لا يقود إلى الخلاص إلا بالأعمال. والمذهب الآخر يؤكد رجحان الإيمان، ويدين إسرائيل، ويعلن أن من يؤمن يخلص، ومن لا يؤمن يهلك.

وثمة فيما يتصل بالمسؤولية والحرية مذهبان: الأول يعلن أن الناس أحرار، وأنهم يسمعون الكلام جميعًا، وأن في وسعهم وحدهم العمل به، وأن اختيارهم سيجعلهم أبرياء أو آثمين. والمذهب الآخر يعلن أنّ الناس كافة لا يسمعون الكلام، وأن الله يقصد عمى بعضهم، وإنارة بصيرة الآخرين، وأن المختارين ليسوا هم الذين اختاروا الله، بل إنهم من اختارهم الله.

وفي ميدان الجزاء توجد ثلاثة مذاهب: الأول يعد المؤمن بالخلاص ويمجّد إسرائيل الناجية من أعدائها. والثاني يعلن بعث الأجساد، والسعادة الجسمانية أو العذاب الجسماني. والثالث يقتصر على وعد ببعث روحي محض ينجز منذ الحياة الدنيا، وهو الانتقال من الخطأ إلى الحقيقة.

وإذا ما تصورنا التعاليم المتصلة بالممارسة ألفينا، على العكس، كأنها تتوزع من تلقاء ذاتها بين فئتين.

الفئة الأولى: لا تقتل أبدًا، لا من أجل العقوبة، ولا حتى من أجل الدفاع عن النفس. ومن لطمك على خدك فحوّل له الآخر. وإذا أخذ ثوبك؟ فأعط رداءك. لا تستل سيفك أبدًا. ما فائدة ذلك؟ وإذا ما اضطهدت فهلّل فرحًا. وإن إنقاذك حياتك يعدل هلاكها. بع جميع أموالك وأعط ثمنها للفقراء. ليس لك كيس ولا مزود. إن كنت فقيرًا فابق فقيرًا، وعش مع الفقراء، حيث تجعلون كل شيء مشتركًا بينكم. لا تعمل لكسب رزقك: إن الزنابق لا تعمل. إن كنت عزبًا فلا تتزوج: اخصِ نفسك من أجل (ملكوت السماوات). وإن كنت متزوجًا فامتنع عن الانجاب: هاهي ذي الأيام التي تأتي ويقال فيها: طوبى للعواقر!

احتقر أسرتك الجسمانية. اترك والديك وأبناءك. أبغضهم. انظر إلى السلطات السياسية نظرتك إلى الشيطان. لا تكن ملكًا، ولا قاضيًا، ولا سيدًا. ترقب الثورة الكبرى التي سترى انهيار العروض، وهي ستجعل الأغنياء فقراء، والأواخر أوائل. لا تَدْعُ أحدًا (أبًا) (دكتورًا) حتى داخل الكنيسة ذاتها: فـ(يسوع) وحده هو الدكتور والمعلم، جميع الناس دونه إخوة متساوون.

ألا نرى جميعنا أن كل هذه التعاليم يتسق بعضها وبعض وتشكل (كلًا) يدع أحدها الآخر.

كل شيء جلي المبدأ: الفزع من العالم.

العالَم؟ إنه (المجتمع) الذي ننتمي إليه ونضطلع بمصيره. إنه الأسرة التي يربطنا بها ألف وثاق متين أو ضعيف. إنه الثروة التي تغذي حياة البشر حتى لو كان توزيعها ظالما. وهو أخيرًا الحياة ذاتها والتي كل ما عداها لا شيء. إن بغض العالَم هو إذن، من الناحية المنطقية، بغض (المجتمع)، والأسرة، والثروة، والحياة بالذات...

طائفة ثانية من التعاليم: ابتع سيفًا. أعدم المجرمين. إذا هدّد الموت حياتك فاهرب إلى الجبل. إذا اضطُهدت في مدينة فاهرب إلى أخرى. -خذ كيسًا ومزودًا. اشتغل لتكسب رزقك. استثمر أموالك بتوظيفها لدى أصحاب المصارف. تصدق: ولكن أحدًا لا يطالبك بإعطاء كل

ما تملك. دع حقلًا لتفوز بمئة حقل، وبيتًا لتلقى مئة بيت. — تزوج وكن مع امرأتك جسدًا واحدًا. افرح إن أنجبت زوجتك ابنًا. أكرم أباك وأمك. أحب أطفالك، وكن متسامحًا معهم. — اخضع للسلطات القائمة. أعط ما لقيصر لقيصر. احكم على اخوتك. وإذا كانوا عصاة اطردهم. ليخدمك أتباعك. وليجلب لك عبدك طعامك وهو متمنطق. احترم في الكنيسة الرؤساء ورعاة القطيع الذين وهبوا أنفسهم للحقيقة، وهم سادة يحطون عنك خطيئاتك، أو يبقونها عليك.

هنا أيضًا، كيف لا ندرك أن التعاليم تترابط، وأن مبدأً مشتركًا يسودها؟ وهذا المبدأ يعارض كل المعارضة مبدأ الأخلاق الأخرى، وقوامه بوجه الدقة احترام العالم؟»[١١٩٥]

إنها أخلاط من التصوّرات، والتعاليم، والأوامر، المتضادة!!

يضاف إلى ما سبق أنّ الكنيسة في عملها التنصيري– منذ القرون الأولى التالية للبعثة المحمديّة– روّجت لنفسها من خلال إظهار **التفرّد النصراني في باب المنظومات الأخلاقيّة**، وهذا أمر يؤكّد بجلاء ألاّ علاقة نَسَبيّة أو عضويّة بين المنظومة النصرانيّة والمنظومة الإسلاميّة!

أمّا النظر في المنظومة الأخلاقيّة القرآنيّة فيكشف حالة تميّز فريدة لهذه المنظومة التي تجمع في فلسفتها بين تحفيز النزوع البشري إلى التسامي، ومراعاة البناء النفسي البشري الذي تتنازعه الشهوات وتحاصره النزغات الشيطانيّة.

لقد جاءت المنظومة القرآنيّة الأخلاقيّة بعيدة عن (المثاليّة الواهمة) التي تتنكّر لضعف الإنسان ونقصه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد﴾[١١٩٦]، ومتجانفة عن (الواقعيّة المستسلمة) التي تركن

[١١٩٥] ألبير بايه، أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجيّة، ت/عادل العوا، دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٧م، ص١١٣–١١٧

[١١٩٦] سورة البلد، الآية (٤)

إلى قصور النفس البشريّة وتخضع لنزواتها لأنّها جزء من صميم كينونة البشر ﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾[1197].

إنّ الأخلاق الإسلاميّة تعترف أنّ الإنسان مسلوب العصمة، وأنّه أيضًا يملك القدرة على التعالي فوق الكثير من شوائب النقص فيه بما أودع في فطرته من نزوع إلى الخير واستقباح للشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1198]، كما أنّها موصولة بسياق الوضع الإنساني الاختباري في الدنيا حيث يمشي المرء على صراط محنة النفس الأمارة بالسوء ووعد الله له بالجنّة؛ فأينما مال، كان هناك المستقرّ والمآل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون﴾[1199] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد﴾[1200]

لا يعني ما سبق أنّ القرآن الكريم قد دعا إلى مجموعة قيم لم تعرفها أسفار الكتاب المقدس، فليس ذاك بممكن ولا مطلوب؛ إذ إنّ في تلك الأسفار مجموعة من النظم الأخلاقيّة التي اتّفق صلحاء البشر على صوابها، كما أنّ القرآن الكريم ذاته قد جاء—في واحد من أغراضه– ليحافظ على الخير الذي هدي إليه أهل الكتاب سابقًا: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن

[1197] سورة المائدة/ الآية (٦)

[1198] سورة الشمس/ الآية (٨)

[1199] سورة الأنبياء/ الآية (٣٥)

[1200] سورة فصلت/ الآية (٤٦)

قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1201]، وقد أثبت البحث التفصيلي في القيم الأخلاقيّة السامية الواردة في الكتاب المقدس، أنّها كلّها مثبتة في القرآن الكريم[1202]، غير أنّ هذا الكتاب المعجز والفريد، لا يكتفي بالموافقة والجمع، وإنّما هو يجمع إلى الأخلاق المثبتة في أسفار الأوّلين، أنماطًا جديدة في السلوك والتعامل بما يوافق عالميّة هذا الدين وإحكام أحكامه التي لا سبيل لنسخها؛ إذ لا رسالة بعد رسالة محمد ﷺ! كما جبر القرآن الكريم ما في أحكام التوراة من شدة وتضييق، وما في الكثير من أحكام الإنجيل من رخاوة وتهاون[1203] .. فكانت الخلاصة: أخلاقًا متقنة مصلحة لكلّ زمان ومكان.[1204]

النتيجة: قال المستشرق «هاملتون جب»: «**إن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينيًا جديدًا متميزًا... ومن هذه الوجهة يغدو التساؤل عن مصادر الدين الذي جاء به محمد أمرًا غير وارد بالمرّة.**»[1205]

[1201] سورة النساء/ الآية (٢٦)

[1202] انظر هذا التفصيل الشائق في: محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص٩٣-١٠٢

[1203] المقصود هو: التوراة والإنجيل بعد طروء التحريف عليهما.

[1204] (مُصلحة لكلّ زمان والمكان) لا (صالحة لكلّ زمان ومكان)؛ لأنّها في كمالها تشكّل البوصلة والمعيار .. انظر في تفصيل معالم المنظومة الأخلاقيّة القرآنيّة، محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظريّة في القرآن، ت/عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م

[1205] هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت/ إحسان عباس وآخرين. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص ٢٥٤– ٢٥٥

القرآن الكريم والكتاب المقدس .. وجهًا لوجه!

إنّ أيسر سبيل لتبيّن أصالة النصّ القرآني واستقلاله عن دعوى الاقتباس من (الكتاب المقدس) النصراني؛ هو النظر المباشر في كلا الكتابين، والمقارنة الصارمة بينهما لينجلي عن الحقّ غبارُ الشبهة ..

تصحيح القرآن الكريم للأخطاء التاريخيّة للكتاب المقدس:

من أهم ما يكشف الأوجه التي توضّح أنّ القرآن الكريم لم يقتبس من أسفار اليهود والنصارى، تصحيح القرآن الكريم لأخطاء أسفار أهل الكتاب، وفصله بين أصيل الوحي ودخيل التحريف..

من هذه التصحيحات :

هامان صاحب فرعون:

درج المنصرون على اتهام القرآن بالخلط التاريخي بين الشخصيات، وقد بنوا أوهامهم على أصل فاسد؛ وهو أنّ كتبهم التي يقدسونها هي المرجع والفيصل في معرفة الحقّ من الباطل.. ومعلوم لكلّ دارس مدى تهافت هذه الدعوى وارتكازها على قاعدة هشّة؛ إذ الكتاب المقدّس بجميع أسفاره أرقّ من أن يكون دعامة لمثل هذه الدعوى.

ومن أهمّ الادعاءات في هذا الباب، قول المنصّرين إنّ الكتاب المقدّس قد ذكر أنّ شخصية عاشت في فارس وشغلت منصب الوزارة كان اسمها «هامان»، وقد عاشت كما يفهم من سفر

«إستير» في زمن بعيد عن زمن «موسى» عليه السلام.. ومن الخطأ أن يقول المرء بقول القرآن إنها قد عاشت في زمن «موسى» عليه السلام، وإنّها كانت العضد الأيمن لفرعون!

والجواب من وجهين :

الوجه الأوّل : قصّة إستير بأكملها ليست سوى خرافة اخترعها يهود السبي البابلي، ولا يوجد دليل تاريخي واحد على صدقها؛ حتى قالت «الموسوعة اليهودية» لسنة ١٩١٠م إنّ قلّة قليلة فقط من النقاد المعاصرين ترى أنّ هذه القصة تعتمد[١٢٠٦] على أسس تاريخيّة، فالأغلبية الواسعة من المفسّرين المعاصرين ترى أنّ هذا السفر بأكمله ليس سوى «قطعة من الخيال المحض»[١٢٠٧] أو بعبارة تعليق « *The New Oxford Annotated Bible* » فإنّ سفر إستير إستير «ليس تاريخًا وإنما خرافة (...) أريد منها تفسير أصل عيد الفوريم[١٢٠٨] ومعناه».[١٢٠٩]

وبالصياغة (المهذّبة) للآباء اليسوعيين: «من الممكن أن يكون اليهود قد تعرّضوا لتعنيفات من هذا النوع في أثناء الحكم الفارسي. وقد حاك المؤلّف حول ذكرها قصة خياليّة.»[١٢١٠]

[١٢٠٦] هذا إثبات (لأصل) القصّة لا (تفاصيلها)!

[١٢٠٧] "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. (...) The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" *The Jewish Encyclopedia*, ٥/٢٣٦

[١٢٠٨] عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بهلاك الوزير الفارسي "هامان" الذي دبّر مؤامرة لإبادة اليهود في الامبراطورية.

[١٢٠٩] Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. *The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha*, New York: Oxford University, ١٩٧٣, p.٦٠٣

[١٢١٠] د. محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دمشق: دار القلم، ١٩٩٠م، ص ٣٠٢

من أهمّ ما يعترض به على قصة سفر إستير :

أولا: هذه القصة لم تذكر في غير التوراة. وهذا المؤرخ الإغريقي «هيروديت» الذي عاصر الملك الفارسي المقصود «اكزركزيس» «Ξέρξης» ودوّن سيرته، لم يشر إلى «إستير» ولا ما كان من أمرها.[1211]

ثانيا: النبيّان «عزرا» و«نحميا» اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قصّا قصة السبي البابلي، لم يشيرا إلى «إستير» ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها.

ثالثا: لم يعثر على هذا السفر ضمن مخطوطات البحر الميت.

رابعا: كان للعديد من آباء الكنيسة تحفظّات على هذا السفر.[1212]

خامسا: عدم وجود اسم الجلالة البتة في هذا السفر المريب، حتى قال «مارتن لوثر» زعيم «الإصلاح» البروتستانتي :«ليت هذا السفر لم يوجد، ففيه لم يرد اسم الله»[1213][1214].

سادسا: أسماء شخصيات هذا السفر تشهد لخرافية[1215] القصة؛ فاسم «إستير» بطلة القصة شبيه باسم «أشتار» إلهة البابليين، واسم «هدَّسة» قريب من الكلمة البابلية «حدشتو» أي

[1211] عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢، ص١٥٩

[1212] انظر؛ Israel P. Loken, *Esther, Loken Expositional Commentary,* Xulon Press, ٢٠٠٧, p.٢٢

[1213] د. محمد بيومي مهران، إسرائيل، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٩، ٣/٢٤٤ش

[1214] يبدو أنّ غياب ذكر الربّ في هذا السفر قد أثار حفيظة المتديّنين اليهود، ولذلك أضافوه في الترجمة السبعينيّة(!!) فقد ذكر مثلًا أنّ «إستير» «تخشى الله» «φοβεῖσθαι τὸν Θεὸν» (إستير ٢/٢٠)، وانظر أيضًا في ذكر اسم الرب: ٤/٨: «τὸν Κύριον»، ١٣/٦٦: «ὅτι Θεὸς ζῶν»!!

[1215] ألمحت مقدمة سفر إستير في الترجمة الانجليزية الكاثوليكية *The New American Bible* إلى هذا الأمر، وقد صرحت أنّه لا يمكن اعتبار هذا السفر وثيقة تاريخية وإنما هو صياغة حرّة : « The book is a free composition - not a historical document.» (*Saint Joseph Edition of The New American Bible*, p.٥٠٠)

عروس، وكان أصلًا يطلق على شجرة الآس، و«مردخاي» اسم الإله البابلي الرئيسي «مردوخ»، و«هامان» عدو «مردخاي» هو نفس «هِمان» أو «هُمَّان» «هميان» أحد الآلهة الرئيسية في عيلام. و«شوش» عاصمة عيلام هي المكان الذي جرت فيه أحداث هذه القصة. واسم «وشتي» كان اسمًا لأحد الآلهة في عيلام.[١٢١٦]

سابعا: يزعم سفر إستير أنّ الملك الفارسي لما غضب من زوجته عندما رفضت أن تظهر جمالها لندمائه قرّر أن يعاقبها بأن يبحث عن فتاة جميلة في بلاده ليجعلها ملكة، ومن هذه البداية الساذجة بدأت القصة.. وهذا أشبه بقصص ألف ليلة وليلة الخرافية.

ثامنا: من غير المقبول تاريخيًّا أن يتّخذ الملك الفارسي «إستير» زوجةً و«مردخاي» وزيرًا رغم أنّهما على دين اليهودية .. فهذا يتعارض مع اعتزاز الفرس بقوميتهم، خاصة في ظلّ القوة الهائلة والتفوق الكبير للإمبراطورية الفارسية.

تاسعا: أشارت «الموسوعة اليهودية» «*The Jewish Encyclopedia*» إلى أنّ من أهمّ المطاعن في هذا السفر، القرار المزعوم بإهدار دم أعداء اليهود والذي نفّذ بعد ذلك، وهو زعم لا دعامة تاريخية له، بالإضافة إلى أنّه يخالف ما يتصوّر من التحدي المسلح الذي لا بد أن يبدر من الأرستقراطيين .. كما أنه لا دليل تاريخي على قرار إبادة اليهود الذي نسب «لهامان» ضدّ اليهود.[١٢١٧]

عاشرا: أشارت «الموسوعة اليهودية» «*The Jewish Encyclopedia*» إلى مخالفة الكثير من الأعراف المذكورة في سفر إستير لأعراف الفرس القديمة في ذاك الزمان؛ كالسماح للأجانب أن يتصلوا بنساء الملك في الحريم، وعدم إمكان أن ترسل الملكة رسالة إلى زوجها، وتقسيم الامبراطورية إلى ١٢٧ مقاطعة، وعدم معاقبة «هامان» الوزير «لمردخاي» اليهودي الذي رفض السجود له .[١٢١٨]

[١٢١٦] انظر؛ قاموس الكتاب المقدس، مقال «إستير» (نسخة إلكترونية)

[١٢١٧] *The Jewish Encyclopedia*, ٥/٢٣٦

[١٢١٨] المصدر السابق

الحادي عشر : جاء في وصف اليهود زمن الملك الفارسي الحاكم إبّان القصّة المزعومة: «يوجَدُ شَعبٌ مُنتَشِرٌ فَريدٌ بَينَ الشُّعوبِ في جَميعِ أَقاليمِ مَملَكَتِكَ، سُنَنُهم تُخالِفُ سُنَنَ جَميعِ الشُّعوب، ولا يَحفَظون سُنَنِ المِلِك.»[١٢١٩] وهذا الوصف ينطبق على اليهود بين اليونان لا بين الفرس.[١٢٢٠]

الثاني عشر: ذكر المؤرخ «هيروديت» أنّ الملك الفارسي لا يجوز له أن يتزوّج إلاّ من سبع عائلات نبيلة حصرًا[١٢٢١]، فكيف يستقيم مع ذلك أن يتزوّج من يهوديّة تنتمي للشعب المستذلّ؟!

الثالث عشر: الزوجة الوحيدة المعروفة عند المؤرخ «هيروديت» على أنها اقترنت بهذا الملك الفارسي هي «Amestris». ولا صلة بين اسمها واسم «إستير»، كما أنّها كانت ابنة قائد فارسي ولم تكن عبرانيّة.[١٢٢٢]

الرابع عشر : بطل القصة «مردخاي» كان من سبي عام ٥٨٧ ق م[١٢٢٣]، ومن ثمّ فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي «اكزركزيس الأول» (أي حوالي عام ٤٨٢ ق.م) يكون قد بلغ المئة والعشرين عامًا، كما أنّ «استير» يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزًا!!

الخامس عشر : اضطراب ترجمات سفر إستير في نسب «هامان»؛ ففي حين يذكر النص السبعيني اليوناني أنّ «هامان» رجل «مقدوني»[١٢٢٤]، يذهب النص العبري إلى أنّ «هامان» رجل «أجاجي» «**האגגי**»[١٢٢٥].. وهذا التناقض يؤكد أنّ هذه الشخصية لا وجود لها في الحقيقة!

[١٢١٩] إستير ٣/ ٨

[١٢٢٠] انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, ٥/٢٣٦

[١٢٢١] انظر؛ Jon D. Levenson, *Esther, A Commentary*, London: Westminster John Knox, ,٢٠٠٤, p.٢٤

[١٢٢٢] انظر؛ Geoffrey W. Bromiley, *International Standard Bible Encyclopedia*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٨٢,٢/١٥٩

[١٢٢٣] إستير ٢/ ٦

[١٢٢٤] انظر؛ إستير ١٦/١٠

إنّ الإشكالات التاريخيّة المتراكمة في سفر إستير قد جعلت الناقد «جون د. لفنسون» « Jon D. Levenson»[١٢٢٦] في تعليقه على هذا السفر يقول: «الإشكالات التاريخيّة في سفر إستير على قدر عظيم من الضخامة بما يقنع كل من لم يُلزمه اعتقاد ديني بالإيمان بتاريخيّة رواية الكتاب المقدس، أن يشك في صحة هذه الرواية.»[١٢٢٧]، ويرفع البروفسور «إسرائيل ب. لوكن» « Israel P. Loken»[١٢٢٨] سقف محنة هذا السفر اليوم –وهو أكاديمي من المحافظين– بإقراره أنّ: «**كلّ النقاد المعاصرين تقريبًا ينكرون تاريخيّة هذا الكتاب**»[١٢٢٩].

الوجه الثاني : يعتبر «موريس بوكاي»[١٢٣٠] أوّل من كشف وجه الإعجاز القرآني في ربط شخصيّة «هامان» تاريخيًا بشخصية فرعون الذي عاش في زمانه «موسى» عليه السلام، وذلك في قوله في كتابه «موسى وفرعون» «*Moise et Pharaon*» (١٩٩٥م): «الاسم كما

[١٢٢٥] انظر؛ إستير ١/٣

[١٢٢٦] جون د. لفنسون: أستاذ الدراسات اليهوديّة. درّس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلميّة الكبرى.

[١٢٢٧] Jon D. Levenson, *Esther, A Commentary*, p.٢٣

[١٢٢٨] إسرائيل ب. لوكن: أستاذ الكتاب المقدس واللاهوت في كليّة «College of Biblical Studies»

[١٢٢٩] Israel P. Loken, *Esther, Loken Expositional Commentary,* Xulon Press, ٢٠٠٧, p.٢٠

[١٢٣٠] موريس بوكاي (١٩٢٠م–١٩٩٨م): باحث فرنسي, له عناية بدراسة الكتب الدينيّة في ضوء المعارف العلميّة والتاريخيّة الحديثة. من أشهر مؤلّفاته كتابه « *La Bible, le Coran et la Science : Les Écritures Saintes examinées à la lumière des connaissances modernes*» الذي خصصّه لكشف مطابقة القرآن الكريم لمكتشفات العلم الحديث وفشل أسفار اليهود والنصارى في هذا الاختبار. له عناية كبيرة بكشف جوانب الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم. لم يعتنق «بوكاي» الإسلام – على خلاف ما أشيع عنه– وأقرّ مع ذلك بإعجاز القرآن الكريم، وهو أمر يدعم موضوعيّة دراساته العلميّة المحايدة.

هو مكتوب باللغة العربيّة في القرآن، نقحرة[١٢٣١] دقيقة لاسم شخص نحن نعرف اليوم هجاءه الهيروغليفي. لم يقم أي شارح للقرآن، في حدود معرفتي، ببيانه بطريقة دقيقة ...

أريد أن أعلم هل يتماشى هذا الاسم مع اسم هيروغليفي مُحتفَظ به في وثائق تلك الفترة.

لا بدّ أن يكون من تُعرض عليه نقحرة الاسم متخصصًا في اللغة الهيروغليفيّة، ويتقن بالإضافة إلى ذلك العربيّة الفصحى لا اللهجة المصريّة الحاليّة ...

واحد من علماء الآثار المصريّة الأكثر تميّزًا يتوفّر فيه هذان الشرطان، أراد إجابتي. امتنعت عن التصريح لمحادثي عن أيّ نصّ عربيّ نتحدّث، واكتفيت بتعريفه بأنّ هذا النصّ يعود إلى القرن السابع ميلاديًّا. عندما كتبت أمامه الاسم العربي؛ عرف مباشرة كيف يترجمه إلى اللغة المصريّة القديمة، **مؤكّدًا لي أنني قد خُدعت فيما يتعلّق بتحديد تاريخ النصّ العربي** للحجّة الآتية (التي لا أجهلها): لا يمكن لأيّ نصّ على مدى زمن نسيان اللغة الهيروغليفية أن يحتوي اسمًا لايزال مجهولًا إلى اليوم، اسمٌ له نفس الجرس الهيروغليفيّ، جرس يوافق تمامًا هذه الكلمة العربية.

نصحني مع ذلك أن أراجع معجم «أسماء شخصيات الإمبراطوريّة الجديدة» للألماني «رانك»، وهو مؤلَّف كلاسيكي، وأن أبحث إن كان الاسم الذي رسمه بالهيروغليفية موجودًا في هذا المعجم بنقحرته الألمانيّة، مما سييسّر لي المراجعة.

اكتشفت أنّ الاسم مكتوب في المعجم كما توقّعه هذا العالم. وياللمفاجأة، ها أنا ذا أقرأ زيادة على ذلك مهنته بالألمانيّة: «رئيس عمّال المقالع»، إذ كذلك كان يسمّى من كان يشرف على البناء.. عندما عدت إلى هذا العالم مع نسخة مصورة للصفحة التي تعنينا من المعجم، وفتحت أمامه صفحة من صفحات المصحف حيث بإمكانه أن يقرأ كلمة «هامان»؛ ذهل.[١٢٣٢]

[١٢٣١] transliteration

[١٢٣٢] «il fut sans voix»

أُضيف هنا أنّ «رانك» قد أحال إلى كتاب نشر سنة ١٩٠٦م لعالم المصريات « Walter Wreszinski» أشار إلى أنّ اسم «هامان» موجود على مسلّة في متحف مدينة فيينا (النمسا)، لما استطعت لاحقًا قراءة الوظيفة باللغة الهيروغليفيّة مشكّلة؛ لاحظت أنّ الإضافة الملحقة بالاسم تؤكّد أهميّة هذه الشخصيّة (بالنسبة لفرعون).

لو أنّ الكتاب المقدّس أو أيّ مؤلّف أدبي معروف قبل الوحي القرآني، أشار إلى «هامان» ووظيفته؛ لما كان وجود هذا التفصيل المذكور في القرآن ليثير انتباه أحد. إنّ الذي يظهر هو أنّ المعطيات الهيروغليفيّة المعاصرة فقط هي التي تثير الانتباه إلى هذا التفصيل المذكور في القرآن. بما أنّ ذلك لا يمكن أن يكون معتمدًا على معارف سابقة لعصر ظهور القرآن، فإنّ وجوده في القرآن يثير التفكير» [١٢٣٣] [١٢٣٤].

[١٢٣٣] Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon*, ed. Seghers, ١٩٩٥, pp.٢٣٠-٢٣١

[١٢٣٤] ذكر عالم المصريّات الشهير «كنث كتشن» «Kenneth Kitchen» في كتابه الهام « *Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II*, Warminster: Aris & Phillips, ١٩٨٢» -الذي أفاض فيه في الحديث عن «رمسيس الثاني»: حياته وإنجازاته- أمر شخص مقرّب من الفرعون «رمسيس الثاني»، اسمه «Amen em inet» وأنّه كان رفيق «رمسيس الثاني» لما كان أميرًا، وقد كانا على نفس السن (ص ٢٨)، وهو رفيق صباه وقريبه (١٣٥)، وقلّده وظيفة رئيس المركبات الملكيّة، وهي وظيفة عسكريّة (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} سورة القصص/ الآية (٨) (ص٤٤) وجعله رسوله إلى البلاد الأخرى (ص٦٥) وقد نصّب والد «Amen em inet» واسمه «Wennofer» رئيسًا للكهنة، ونُقل «Amen em inet» من العمل العسكري والدبلوماسي إلى وظيفة المشرف على الأعمال الملكيّة الأثريّة (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}سورة القصص/ الآية (٣٨) (ص ١٢٦) .. علمًا أنّ مقطع (Amen) كان منتشرًا بصورة كبيرة في الحقبة الرمسيسية (تشمل عصر الأسرتين ١٩ و٢٠، وسميت بهذا الاسم لكثرة من حكم فيها باسم (رمسيس)) كجزء من أسماء المصريين؛ فقد تكرر مقطع (Amen) ٦٩ مرّة في قائمة أسماء العمال الذين ورد ذكرهم في كتاب « *A Community of Workmen at thebes in the Ramesside period*» لعالم المصريات الشهير «Jaroslav Černý» (Cairo: IAFO, ٢٠٠١, pp.٤١٩-٤٢٠)

صورة نقش هيروغليفي يتحدث فيه (Amen em ine) عن علاقته ((برمسيس الثاني)) منذ الطفولة، وكيف أكرمه ((رمسيس الثاني))، وولاه الوظائف المذكورة سابقا (Jacques J. Clère, *Les Chauves d'Hathor*, Leuven: Peeters Publishers, ١٩٩٥, p.٨٩):

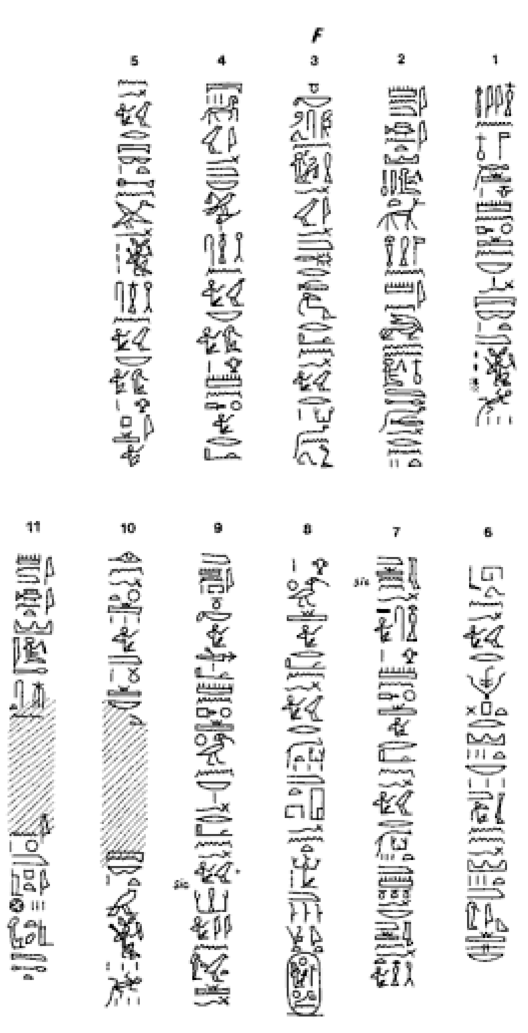


Fig. 31b. Textes de la statue d'Ameneminet.
F: côté droit du personnage.

صورة من كتاب «Walter Wreszinski»: « *Aegyptische Inschriften aus dem K.K. Hof Museum in Wien*» **وفيها اسم «هامان» ووظيفته**[١٢٣٥]

استعمال الجمال في زمن يعقوب عليه السلام

جاء في العهد القديم ذكر الجِمال كوسيلة تستعمل للتنقل وحمل المتاع، من ذلك: «ثم جلسوا (أي إخوة «يوسف» عليه السلام) ليأكلوا طعامًا فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد و**جمالهم** (**גמליהם**) حاملة كثيراء وبلسانًا ولاذنًا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر.»[١٢٣٦]

تكرَّر ذكر الجمال كأحد وسائل التنقّل؛ مما يعني أنه قد تمّ تدجينها من طرف البشر في حياة «يعقوب» و«يوسف» و«موسى» عليهم السلام ..

يعتبر هذا الادعاء خطأ تاريخيًا كاشفًا لتأليف التوراة في صورتها الحالية بعد قرون من حصول الوقائع المؤرخة ...

وقد جاء في الدراسة الكاثوليكية في هامش ترجمة « *The New American Bible* » تعليقًا على نصّ تكوين ١٢/ ١٦ الذي ذكر الجمال كأحد وسائل النقل في زمن «إبراهيم» عليه

[١٢٣٥] W. Wreszinski, *Aegyptische Inschriften aus dem K.K. Hof Museum in Wien*, ١٩٠٦, J. C. Hinrichs' sche Buchhandlung: Leipzig, I ٣٤, p. ١٣٠ (Quoted by, M S M Saifullah, Elias Karim, `Abdullah David & Qasim Iqbal, *Historical Errors Of The Qur'an: Pharaoh & Haman*)

[١٢٣٦] تكوين ٣٧/ ٢٥

السلام :« الجمال الأهليّة، ربما لم تعرف في الاستعمال العام في الشرق الأدنى القديم حتى آخر الألفية الأولى قبل الميلاد؛ ولذلك فإنّ الإشارة إلى الجمال في زمن الآباء (تكوين ٢٤ /١١-٦٤ ؛ ٣٠/ ٤٣؛ ٣١/ ١٧، ٣٤ ؛ ٣٢/ ٨، ١٦ ؛ ٣٧/ ٢٥) **تعتبر خطأ تاريخيًا**.»[1237] وهو ما اعترف به إمام **المحافظين** في الدراسات الأركيولوجيّة الكتابيّة المعاصرة «ويليم فوكسول ألبرايت» «William Foxwell Albright» بقوله إنّ الجمال لم تستعمل في زمن «يوسف» ولا قبله، منافحًا عن هذا الرأي بشدّة في أكثر من مؤلّف[1238]، رغم ما عرف عنه من **تطرّف لصالح إثبات تاريخيّة الأحداث المذكورة في العهد القديم!**

ويحدد بعض الباحثين بدأ تدجين الجمال في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وربما بعد ذلك، وقد ظلّت الجمال على التحقيق غريبة على المصريين، بل لقد كانت غريبة على من أقبل على مصر من الساميين؛ فقد سافرت قبيلة «أبشاي» في الأسرة الثانية عشرة على الحمير، لا الجمال.[1239]

لم يذكر القرآن الكريم الجمال كوسيلة نقل في زمن «إبراهيم» و«يوسف» و«موسى» عليهم السلام .. وقد استعمل القرآن عبارة «العير» في حديثه عن رحلة إخوة «يوسف» إلى مصر ..

﴿فَلما جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[1240]

[1237] *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.١٥

[1238] انظر؛ W.F. Albright, *Archaeology and the Religion of Israel*, Baltimore: Johns Hopkins, ١٩٤٢, ١٩٥٣, pp. ٩٦-١٠٢, ١٣٢, *From the Stone Age to Christianity*, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, ١٩٤٠, pp. ١٢٠-١٩٦

[1239] انظر د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/٢٠٦

[1240] سورة يوسف/ الآية (٧٠)

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون ﴾ [1241]

﴿ وَلَما فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون ﴾ [1242]

وقد جاء تعريف «العَير» –بفتح العين– في «لسان العرب» :«الحمار أيًا كان أهليًا أو وحشيًا». [1243] ، وفي تعريف «العِير» –بكسر العين–: « ... وقال أَبو الهيثم في قوله: ولما فَصَلَت العِيرُ **كانت حُمُرًا**، قال: وقول من قال العِيرُ الإِبلُ خاصّة باطلٌ. العِيرُ: **كلُّ ما امْتِيرَ عليه من الإِبل والحَمِير والبغال، فهو عِيرٌ.**» [1244] ، وفي معجم «مختار الصحاح» في تعريف «العَير»: «الحمار الوحشي والأهلي أيضًا» [1245] .. وقال «الألوسي»: «وقيل: العير **قافلة الحمير ثم تُوسِّع فيها حتى قيلت لكل قافلة** كأنها جمع عَيْر بفتح العين وسكون الياء وهو الحمار، وأصلها عير بضم العين والياء استثقلت الضمّة على الياء فحذفت ثم كسرت العين لثقل الياء بعد الضمّة كما فعل في بيض جمع أبيض وغيد جمع أغيد.» [1246] ..

[1241] سورة يوسف/الآية (٩٢)

[1242] سورة يوسف/ الآية (٩٤)

[1243] ابن منظور، لسان العرب، ٤/٦٢٠

[1244] المصدر السابق، ٤/٦٢٤

[1245] الرازي، مختار الصحاح، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ١٩٤

[1246] الألوسي، روح المعاني، ١٣/٣٣. نقل «الألوسي» قبله قولًا آخر: «والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ سُمِّيت بذلك لأنها تعير أي تذهب وتجيء.». وليس يخفى بطلان هذا القول؛ إذ إنّ أصل التسمية ثابت في اللغات الساميّة الأخرى للحمير، وردّ المعنى إلى الذهاب والمجيء بعيد جدًا!

وكلمة «**עיר**» (عَير) باللغة العبرية تعني «حمار».[١٢٤٧]

עַיִר (√of foll.; cf. Ar. عَارَ, عير go away, go hither and thither, escape through sprightliness, whence عَيْرٌ ass, esp. wild ass De Jb (2), 149 Hom NS 121-123).

وقد استخدمت كلمة «عير» (**עיר**) في سفر إشعياء للدلالة على الحمير التي تحمل المتاع؛ حيث يقول النصّ ٣٠/٦: «**ישאו על-כתף עירים חילהם**» «يحملون على كتف حمير ثروتهم». واستدلّ المعجمي «جزنيوس» بهذا النص لبيان أنّ من معاني كلمة «عير» العبريّة: الحمير التي تستعل «لحمل المتاع».[١٢٤٨]

استعمل القرآن الكريم في سورة يوسف أيضًا عبارة «بعير» ومن معانيها: «حمار» كما في «لسان العرب»: «قال ابن بري وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة ابن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسؤُول المتنبي قال ابن خالويه: والبعير أَيضًا الحمار وهو حرف نادر أَلقيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خُنْزُوانَةٌ وعُنْجُهيَّة، فاضطرب فقلت : المراد بالبعير في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴾[١٢٤٩] الحمار، فكسرت من عزته، وهو أَن البعير في القرآن الحمارُ، وذلك أَن يعقوب وإخوة يوسف، عليهم الصلاة والسلام، كانوا بأَرضِ كنعان وليس هناك إبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير . قال الله تعالى : ﴿ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ . . . ﴾أَي حمل حمار.»[١٢٥٠]

[١٢٤٧] The Brown, Driver, *Briggs Hebrew and English Lexicon : with an appendix containing the Biblical Aramaic : coded with the numbering system from Strong's Exhaustive concordance of the Bible*, p. ٧٤٦

[١٢٤٨] William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, , p.٧٧٤

[١٢٤٩] سورة يوسف/ الآية (٧٢)

[١٢٥٠] ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٧١

وقد ذكر «الطبري» في تفسيره عن «مجاهد» تلميذ «ابن عباس» رضي الله عنه وناقل تفسيره للقرآن الكريم أنّ البعير في قصة «يوسف» هي الحمير: «وَقَالَ ابْن جُرَيْج، قَالَ مُجَاهِد، {كَيْل بَعِير}: حِمْل حِمَار. قَالَ : وَهِيَ لُغَة. قَالَ الْقَاسِم: يَعْنِي مُجَاهِد أَنَّ الْحِمَار يُقَال لَهُ فِي بَعْض اللُّغَات: بَعِير».[١٢٥١]

وكذلك ذكره «مقاتل بن سليمان»[١٢٥٢] في تفسيره.[١٢٥٣]

والبعير العربية، تقابل في اللغة العبريّة كلمة «بْعير» «בעיר» التي تعني الدابة عامة[١٢٥٤]. وتعني كلمة «بْعيرا» «ܒܥܝܪܐ» في السريانيّة الدابة إطلاقًا[١٢٥٥]، والدابة التي يحمل عليها المتاع خاصة[١٢٥٦]:

בְּעִיר m. *cattle, beasts*, so called from feeding, grazing, from r. בָּעַר no. 1. Comp. אֶרְוִיז no. 2. Only in Sing. collect. like Lat. *pecus, -oris*, of every species of cattle, large and small, Ex. 22, 4. Num. 20, 4. 8. 11. Ps. 78, 48. Spec. of beasts of burden, Gen. 45, 17.—Syr. ܒܥܺܝܪܳܐ c. Ribbui as a mark of the plural, Arab. بَعِيرٌ id.

ويبدو ارتباط كلمة «بعير» «בעיר» بالدواب عامة في الفعل الثلاثي العبري «باعر» «בער» بمعنى «رعى» من «الرعي» وهو ما يشمل الدواب دون تخصيص؛ ولذلك قال المعجمي اليهودي «داود

[١٢٥١] الطبري، تفسير الطبري، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ١٣/١٢

[١٢٥٢] مقاتل بن سليمان (توفي سنة ١٥٠هـ): خراساني، نزيل مرو. أخذ الحديث عن «مجاهد بن جبر» و«عطاء بن أبي رباح» وغيرهما.

[١٢٥٣] ابن منظور، لسان العرب، ٧١/٤

[١٢٥٤] *Gesenius Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, p١٤٩

[١٢٥٥] بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنة سرياني-عربي، ص ٦٤

[١٢٥٦] Carolo brockelmann, *Lexicon Syriacum*, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٩٥, p.٤٣

بن أبراهام الفاسي»[1257] في معجمه التوراتي الشهير عبري-عربي «جامع الألفاظ» في تفسير نص «**ובער בשדה אחר**» (وبعير بسدي أحير)[1258]: «**אי אטלק דואבה פי חקל גירה ואבערת**»[1259] «أي أطلق دوابه في حقل غيره وأبعرت».[1260]

والمثير أيضًا في هذا السياق أنّ التوراة قد استعملت في قصّة «يوسف» العبارة العبريّة «بعير»[1261] التي استعملها القرآن، في الحديث عن دواب إخوة «يوسف» .. وقد **صرّحت في مواضع أخرى أنّ إخوة «يوسف» قد استعملوا الحمير في سفرهم إلى مصر**.[1262]

وقد بحث «موريس بوكاي» في كتابه «موسى وفرعون» قضية (البعير) في سورة يوسف، وأشار إلى أن المستشرق «جاك بيرك» قد وضع في هامش ترجمته الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم إشارة إلى أنّ كلمة (بعير) تعني الدابة التي تحمل المتاع، لا الجمل، وأضاف «بوكاي» قائلًا: «أنا عظيم السرور بسبب هذه الدقة للسبب الآتي: لاحظت أثناء قراءتي للترجمات المختلفة لسورة يوسف بالفرنسية والإنجليزية بالنسبة للآيتين ٦٥، ٧٢ من سورة يوسف، أنّه لم يترجم أي أحد الكلمة العربية «بعير» إلى غير كلمة جمل. يبدو لي أن هذا الأمر يعتبر خطأً تاريخيًا ظاهرًا، لأنني أعلم أنه في مصر القديمة (وذلك على كامل المدى التاريخي السابق للعصر المسيحي) لم تُستعمل

[1257] داود بن أبراهام الفاسي (القرن العاشر): نحوي، معجمي، يهودي من فرقة القرّائين.

[1258] الخروج ٢٢/٤

[1259] كتب الشرح العربي للألفاظ العبريّة بالحرف العبري لا العربي.

[1260] David B. Abraham Al-Fasi, *Kitab Jami' Al-Alfaz*, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, ١٩٣٦, ١/٢٥٤

[1261] نصّ تكوين ٤٥/ ١٧ قول فرعون «ليوسف»: «اطلب من إخوتك أن يحملوا **دوابهم** بالقمح ويرجعوا إلى أرض كنعان»؛ فالدواب في الأصل العبري «بعير» كما هو مسطور في الأصل العبري:

«אמר אל-אחיך זאת עשו : טענו, את-**בעיר**כם, ולכו-באו, ארצה כנען.»

[1262] تكوين ٤٢/٢٦، ٤٣/١٨...

الجمال المدجّنة البتّة لحمل المتاع: قدمت تفاصيل وافية لهذا الموضوع في الجزء الكتابي الخاص بقصة يوسف. بدا لي أنا أيضًا بصورة واضحة أنّ إشارة الكتاب المقدس إلى الجمال التي تحمل المتاع في هذا العصر، خطأ تاريخي حقيقي (الترجمة السبعينية من القرن الثالث قبل الميلاد تضم هي أيضًا في اليونانية كلمة جمل[١٢٦٣]).

أثناء إقامتي في هقار[١٢٦٤] في نزهة عند مخيم للطوارق مع المأسوف عليه «هنري لاهوت» سألت هذا العالم المتخصص في هذه المناطق عن الزمن الذي بدأ فيه تدجين الإبل —ذات السنام الواحد والسنامين–، فأجابني بكل ثقة أنه كان لا بد أن ننتظر العصر الروماني لنشهد استعمال هذا الحيوان كدابة نقل. بعد أن حصّلت هذه المعلومة حول الجمل من هذا المصدر القيّم، تساءلت عن المعنى الحقيقي للكلمة القرآنية (بعير) والتي ترجمت إلى (جمل) من طرف كل المترجمين –في حدود علمي– بمن في ذلك الشيخ «حمزة بوبكر»[١٢٦٥] .

استعمل القرآن أثناء حديثه عن الجمل كلمة أخرى، كلمة جمل (في المفرد في سورة الأعراف الآية ٤٠، وفي الجمع في سورة المرسلات الآية ٣٣) ، واستعمل كلمة (إبل) للدلالة على مجموع الجمال (سورة الأنعام الآية ١٤٤، سورة الغاشية الآية ١٧).

ما هو إذن معنى كلمة بعير في القرآن!

وجهتُ هذا السؤال إلى البرفسور «جاك بيرك»، بعد أن أعلمته بما أعرفه عن الجمال عبر التاريخ مما أخبرني به «هنري لاهوت»، ومن خلال ملاحظتي لغياب استعمال هذا الحيوان المدجن في مصر القديمة.

لما راجع «جاك بيرك» «لسان العرب»، وجد أن الكلمة تعنى «كل ما يحمل»؛ لذلك فإنه لا بد من استبعاد كلمة جمل من كل الترجمات، وهو ما سيظهر في ترجمته بعد عدة سنوات.

أنصح القارئ أن يراجع الجزء الأول من هذا الكتاب الخاص بالرواية الكتابية لدخول مصر، حيث أشرت إلى استعمال كلمة (جمل) لا فقط في زمن يوسف، وإنما أيضًا في زمن إسحاق، في النص الذي بين أيدينا اليوم في العهد القديم، العبري واليوناني. دخل الخطأ التاريخي إلى

١٢٦٣ (καμελος) (كاميلوس)

١٢٦٤ منطقة في الجزائر

١٢٦٥ حمزة بوبكر (١٩١٢م–١٩٩٥م): كان إمامًا لمسجد باريس. له ترجمة فرنسيّة لمعاني القرآن الريم.

النص من خلال محرري الكتاب المقدس أو نسّاخه ... من الواضح أنه في زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كان الجمل يعدّ أفضل دابة لحمل المتاع في السفر بين البلدان القاحلة.

ليس الجمل هو الذي يظهر في القرآن على أنّه الدابة التي تنقل المتاع في الشرق الأوسط قبل ألفي سنة في قصة يوسف. **إنّ القرآن ينقل لنا المعطيات التاريخية الدقيقة المتعلقة بنقل المتاع.**[١٢٦٦]»

الخلاصة: صحيح أنّ القرآن الكريم قد وافق التوراة في قولها إنّ إخوة «يوسف» قد استعملوا الحمير في سفرهم، لكنّ القرآن الكريم مع ذلك لم يتابع التوراة في زعمها أنّ الجمال قد دجّنت زمن الآباء (إبرهيم ويعقوب ويوسف عليهم السلام)، رغم أنّ البيئة العربيّة كانت قد استقرّت على الاعتقاد أنّ الجمل هو (سفينة الصحراء)؛ فلا ينفع في الارتحال في الصحارى غيره.

ادعاء فرعون الألوهية

تخلو التوراة من أيّة إشارة إلى دعوى فرعون الألوهيّة في حين أثبت القرآن الكريم تاريخيّة هذه الدعوى الشنيعة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[١٢٦٧] .. ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[١٢٦٨] ..

لا يقتصر الأمر في التوراة على تجاهل دعوى تأليه فرعون نفسه، بل إنّ التوراة تجعل «موسى» إلهًا –على المجاز– لفرعون: «فقال الربّ لموسى انظر: أنا جعلتك إلهًا (**אלהים**– إلوهيم) لفرعون»![١٢٦٩]، وإلهًا –على المجاز– لهارون: «وهو (أي هارون) يكلّم الشعب عنك. وهو يكون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا (**אלהים**– إلوهيم) »!![١٢٧٠]

[١٢٦٦] Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon, pp.* ٢٠٩-٢١٠.

[١٢٦٧] سورة القصص/ الآية (٣٨)

[١٢٦٨] سورة الشعراء/ الآية (٢٩)

[١٢٦٩] خروج ١/٧، والأمر (الظريف!) أنّ ترجمة «الحياة» العربيّة تعرّب النصّ هكذا: «أنا جعلتك كإله لفرعون» في مخالفة لما تذكره المخطوطات العبرية «**נתתיך אלהים לפרעה**» واليونانية « δέδωκά σε θεὸν

في مقابل صمت التوراة عن تألّه الفرعون، ينطق التاريخ بأنّ مؤسس الأسرة المصريّة الأولى، استطاع أن يكوّن لمصر حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م حكومة مركزيّة قويّة ثابتة الأركان، كان على رأسها «الملك المؤلّه» الذي استطاع أن يجمع بين يديه كلّ السلطات، حكومة كان الملك فيها هو المحور؛ فهو «الإله الأعظم»، وهو «الإله الصقر حور» الذي تجسّد في هيئة بشريّة؛ ولذلك فهو في نظر رعاياه، إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق، ومن ثمّ فله حق الاتصال بهم، وله على شعبه ما لغيره من الآلهة من التقديس والمهابة.[1271]

ويقول القرآن ناقلًا عن فرعون دعواه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[1272] .. وهو تصوير دقيق لحال الفراعنة الذين كانوا يعتقدون أنّ الواحد فيهم هو «الإله الأعظم» الذي تعود إليه كلّ أمور المملكة وكلّ أمور الناس، وهو الذي يعلم كلّ كبير وصغير من أمر الناس..[1273]

ومما يلاحظ أيضا أنّ القرآن بالإضافة إلى نقله ادّعاء فرعون للألوهيّة، يقول على لسان الملأ من قومه: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[1274] .. ففرعون مدع للألوهية، كما أنّ له هو أيضًا آلهة .. ورغم أنّ الأمر يبدو في ظاهره متناقضًا إلا أنّ التاريخ المصري يخبرنا أنّ «رمسيس الثاني» –فرعون التسخير في قصّة «موسى» عليه السلام، على الراجح– كان يدّعي الألوهية إلى درجة أن رفع نفسه إلى طبقة «كبار الآلهة»، إلاّ أنه أيضًا كان يعبد أربعة آلهة أخرى؛ وهي «آمون» و«رع» و«بتاح»

Φαραώ», والسريانيّة «ܕܝܗܒܬܟ ܐܠܗ ܠܦܪܥܘܢ» بإضافتها حرف الكاف الذي لا وجود له في النص العبري ولا في ترجماته القديمة!!

[1270] خروج ٤/ ١٦

[1271] انظر؛ محمد بيومي مهران, دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم, ٢/ ٢١٤

[1272] سورة النازعات / الآيات (٢١-٢٤)

[1273] انظر، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/ ٢١٤

[1274] سورة الأعراف / الآية (١٢٧)

و«سوتخ»[١٢٧٥] .. وهذا لغز لم يكشف إلا مع التعرّف على اللغة الهيروغليفية في القرون الأخيرة.

وهنا معجزات دقيقة لا نرى لها أثرًا في التوراة، رغم أهميّتها القصوى في نقل ملابسات ما كان بين «موسى» عليه السلام وفرعون مصر.

صورة للوحة جدارية للإلهين (ست) و(حورس) وهما يتوجان (رمسيس الثاني) - معبد أبي سنبل-



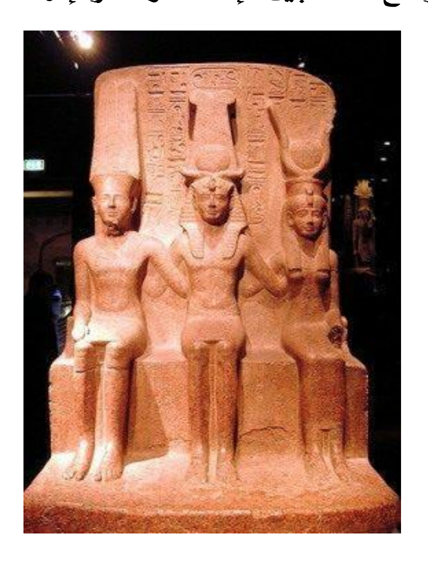
ونضيف فائدة أخرى، مادمنا نتحدث عن «رمسيس الثاني»؛ وهي أنّ الحديث النبوي الشريف قد سمّى زوجة فرعون التي التقطت «موسى» من اليم، «آسية»[١٢٧٦] واليوم يخبرنا التاريخ

[١٢٧٥] انظر، د. رشدي البدراوي، مصدر سابق، عن الدكتور محمد وصفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص١٥٤

المصري القديم -بعد أن فتح بابه لنا- أنّ اسم الزوجة الثانية «لرمسيس الثاني»[1276]، بل الزوجة الرئيسية على قول الأثرية «ماري»[1277]، هو «آيسة»[1278].

ومن الواضح سهولة المطابقة بين الاسمين كما ورد في الحديث النبوي وفي الآثار المصريّة.. علمًا أنّ التوراة لا تذكر هذا الاسم، بل وترى أنّ ابنة فرعون هي من التقطت «موسى» من اليم لا زوجته كما يقول القرآن الكريم[1279].

رمسيس الثاني وقد وضع نفسه بين الإله «آمون» والإلهة « موت» في ثالوث آلهة.



[1276] قال صلّى الله عليه وسلّم : «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.» (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، ح/ (٣٤١١).

[1277] سليم حسن، مصر القديمة، ٤٣٤/٦ (نقله، محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣٩٢/١).

[1278] يمكن أن ينطق بطرق مختلفة، منها «آيسة» و«إيسى» وحتى «إست»؛ انظر؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣٩٣/١

[1279] خروج ٢/ ٥-٩

الفرعون (مرنبتاح) أمام الإله (رع)



الفرعون (مرنبتاح) يعرض تقدمته أمام الإلهة (بتاح)



«الملك» لا «فرعون»

يقول الدكتور «محمد بيومي مهران»-أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بجامعة الاسكندرية- :« إن قصة التوراة تتحدث دائمًا عن ملك مصر على أنه فرعون مصر، بينما يتحدث القرآن على أنه الملك وليس الفرعون[1280]، ومن المعروف تاريخيًا اليوم أن كلمة «فرعون» في صيغتها المصرية «بر-عا» أو «بر-عو»، كانت تعني - بادئ ذي بدء — البيت العالي، أو البيت العظيم، وكانوا يشيرون بها إلى القصر الملكي — وليس إلى ساكنه — ثم سرعان ما تغيرت وغدت تعبيرًا محترمًا، يقصد به الملك نفسه، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة[1281]، وأما متى حدث هذا التغيير في استعمال لقب فرعون، فإن سير «ألن جارندر» — العالم الحجة في اللغة المصرية القديمة - يحدد ذلك بعهد الفرعون «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق.م)، حيث بدئ في إطلاق الاصطلاح أي «فرعون» على الملك نفسه ثم في عهد الداعية الديني المشهور «أخناتون» (١٣٦٧ -١٣٥٠ ق.م)، مستندًا في ذلك على خطاب من عهده، ثم استعمل منذ الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨-١١٨٤ق.م)، وفيما بعد، في بعض الأحايين، كمرادف لكلمة «جلالته»، ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ: «خرج فرعون» و«قال فرعون ... وهكذا» .[1282]

إن القرآن الكريم أراد أن يفرق بين حاكم مصر الأجنبي على أيام «يوسف» الصديق في عهد الهكسوس؛ فأطلق عليه لقب «ملك»، وبين حاكم مصر الوطني على أيام «موسى» —مثلًا- الذي أطلق عليه لقب «فرعون» وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر منذ عهد «أخناتون»، هذا فضلًا عن أن ذلك من إعجاز القرآن، الذي لا إعجاز بعده، وإذا ما عدنا إلى التوراة، لوجدنا أن الحقائق التاريخية تقف ضد ما أوردته التوراة بشأن استعمال لقب فرعون، **إذ**

[1280] تكوين ٤٠ / ٧ — ٤١ / ١٥، ٤٦، ٣١ — ٥٠ / ٧

إنها تستعمله حين يجب أن تستعمل لقب ملك، وذلك قبل الأسرة الثامنة عشرة، **وتستعمل لقب ملك حين يجب أن تستعمل لقب فرعون**، وذلك منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ – ١٣٠٨ ق.م)، وفيما بعدها.»[١٢٨٣]

وقال «موريس بوكاي»: «.. عبارة أخرى وردت في سورة يوسف يبدو لي أنها تحتاج إلى إشارة خاصة، لأنها تمثّل مطابقة كاملة للاستعمال الذي كان في زمن يوسف، كما هو مثبت في التاريخ. أنا جد مدين للبرفسور جاك بيرك أنه لفت انتباهي منذ عدة سنين إلى الأمر التالي: لقّب الحاكم في سورة يوسف خمس مرات «الآيات ٤٣، و٥٠ و٥٤، و٧٢، و٧٦» دائمًا باسم «مَلك»، ولم يُلقّب البتة بلقب «فرعون» الذي اختص به في القرآن الحاكم في الزمن الذي جرت فيه الأحداث المتعلقة بموسى وذلك في خمس وستين مرة . استعمل الكتاب المقدس كما أشرت إلى ذلك في الجزء الأول من كتابي، كلمة فرعون في جميع نصوصه للدلالة على حاكم مصر (أحيانًا مقترنة بكلمة ملك)، لا فقط في زمن يوسف (أي في أقصى الاحتمالات القرن السابع عشر قبل الميلاد) بل حتى قبل ذلك في زمن إبراهيم (الفصل الثامن عشر من سفر التكوين).

لم يُعرف ملك مصر بلقب فرعون إلا منذ حكم أمينوفيس الرابع، أي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل المسيح. كل استعمال لكلمة فرعون للدلالة على ملك مصر قبل هذا العصر هو خطأ تاريخي: ارتكب محررو الكتاب المقدس هذا الخطأ لما كانوا يستعملون لغة زمانهم عند تأليفهم للكتاب المقدس. في المقابل، فإن استعمال هذه الكلمة للأحداث الأقرب لنا كزمن موسى، هي مطابقة للمعطيات التاريخية.

[١٢٨٣] محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/١٢١-١٢٢، (بتصرف يسير)، Wahiduddine Khan, *God Arises*, New Delhi: Goodword Books, ٢٠٠١ , pp. ٢٠٦- ٢٠٨

إنّه عليّ أن أعلن أنه في **زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كانت اللغة المصرية القديمة قد اختفت منذ أكثر من قرنين من الذاكرة البشرية، وبقيت كذلك إلى القرن التاسع عشر**؛ لذلك فليس بإمكاننا أن نعرف أنّ ملك مصر في زمن يوسف يجب أن يدعى بلقب غير المذكور في الكتاب المقدس. دقة اختيار الكلمات في هذا الموضوع في نص القرآن تثير التفكير.»[١٢٨٤]

عدد بني إسرائيل في مصر

من أكثر المواضع التي شغلت النقاد المعاصرين، العدد الضخم للإسرائيليين الذي عاشوا في مصر وخرجوا منها مع «موسى» عليه السلام بعد أن طاردهم فرعون وجنوده ..

تذكر التوراة أنّ «عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر (كانت) سبعين نفسًا»[١٢٨٥]، ثم أصبح العدد بعد ٢١٥ سنة على رأي التوراة السبعينية، أو ضعف هذا الرقم على رأي التوراة العبرانيّة، «شعبًا أعظم وأكثر» من المصريين –أصحاب أقوى وأعظم دولة في العالم في ذاك الوقت –، ولما طردوا من مصر كان من بينهم «نحو ست مئة ألف ماش من الرجال، عدا الأولاد، فكان جميع الأبكار الذكور، من ابن شهر فصاعدًا، اثنين وعشرين ألفا ومئتين وثلاثة وسبعين.»[١٢٨٦] !!

يعلق بعض الباحثين على ذلك، بقوله إننا لو قسمنا عدد الجماعة على الأبكار، لخلصنا إلى أن المرأة الإسرائيلية من اليهود الآبقين، كانت **تلد زهاء ٦٥ وليدًا**، وهو أمر لا يستقيم مع المنطق، فضلًا عما تعرضوا له من ذلة وعسف تحت رؤساء التسخير، ولا مع ما روي من عبورهم البحر في سويعات قصار، ومن ثم فإن علماء اللاهوت والمؤرخين، سواء بسواء، أصبحوا الآن لا يعلقون أية أهمية على هذه الأرقام التي ذكرتها التوراة، ويعتبرونها **محض خيال إسرائيلي**.[١٢٨٧]

[١٢٨٤] Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon, pp.*٢١٠-٢١١

[١٢٨٥] تكوين ٤٦/ ٢٧

[١٢٨٦] خروج ١٢/ ٣٧، عدد ٤٣/ ٤٣

[١٢٨٧] محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن، ٢/ ١٤٢

إنّ القول إنّ الإسرائيليين قد بلغ عددهم زمن «موسى» عليه السلام أكثر من المصريين، ليس إلاّ علامة على فحش مبالغات التوراة وفحش تناقضاتها، خاصة إذا علمنا أنّ التوراة ذاتها تذكر الاضطهاد والقتل الذي سلّط على الإسرائيليين .. فكيف يكون عددهم أكثر من المصريين رغم عمليات القتل؟!! وكيف يستذلّ الأقلّ الأكثر؟!![١٢٨٨]

وقد ردّ الإمام «ابن حزم» منذ قرابة ألف سنة على هذا الخطأ، وبيّن الإعجاز القرآني في هذا الباب، بعد أن كشف بمنهجيته النقدية الصارمة خبط التوراة ومبالغاتها الباطلة: «أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول الله تعالى حاكيًا عن فرعون إنه قال إذ تبع بني إسرائيل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[١٢٨٩] . هذا الذي **لا يجوز غيره ولا يمكن سواه** أصلًا.»[١٢٩٠] ..

علمًا أنّ هذه الحقيقة التصويبية التي وردت على لسان الإمام ابن حزم رحمه الله، لم تذكر في نقد الرواية التوراتية في الغرب إلا سنة ١٨٦٢م على يد «ج. و. كولينسو» « J. W. Colenso» — أحد مؤسسي نقد العهد القديم المعاصر– وإن كان الألماني «هـ. س. رايماروس» «H. S. Reimarus» قد سخر من الرقم التوراتي قبل ذلك بقرن واحد!!![١٢٩١]

قد يقول معترض :«إنّ ما قاله فرعون–في القرآن الكريم– لا يعدو كونه محاولة للتهوين من أمر الإسرائيليين!»

والجواب هو :

أولا: النصّ القرآني في سرده لقصة «موسى» عليه السلام لا يوحي أصلًا أنّ بني إسرائيل قد بلغوا الكثرة المزعومة في التوراة.

١٢٨٨ انظر المصدر سابق، ٢/ ١٤٣

١٢٨٩ سورة الشعراء/ الآية (٥٤)

١٢٩٠ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ١٩٤

١٢٩١ د. لؤي فتوحي ود. شذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص١٣٣

ثانيا: العدد المذكور في التوراة–كما يقول «بوكاي» يفوق عدد شعب دولة بأكملها في ذاك الوقت[١٢٩٢]، وليس من المعقول أن يوصف شعب كامل تبصرهم عيون الناس بأنهم «شرذمة قليلون»!!

وقد يتوجه المعترض بقوله إلى جهة أخرى ليقول إنّ القرآن لم يقدّم سبقًا علميًّا وإنما صوّب خطأً ظاهرًا ..!!

وأقول: إنّ الكشف عن هذا الخطأ قد احتاج من أهل العلم دراسة جادة للنصوص ومقارنة جادة بينها ونظرًا جادًّا في السنن الكونية في تكاثر الشعب الواحد، وهو أمر لم تعرفه أوروبا إلا منذ ما يعرف بعصر النهضة (القرن ١٦م). وقد رأيتَ أنّ هذه الحقيقة لم يعرفها الغرب إلا بعد أكثر من ألف سنة من تنزّل القرآن الكريم!.. وقد سبقهم علماء الإسلام لأنهم كانوا يسترشدون بنور القرآن الكريم.

إنّه إذن، الإعجاز!

إسماعيل هو الذبيح

جاء في سفر التكوين ٢٢/١–١٢: «وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناداه: «يا إبراهيم» فأجابه: «لبيك!» فقال له: «خذ ابنك **وحيدك (יחידך)**، إسحق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه» ...ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلا: «إبراهيم، إبراهيم» فأجاب: «نعم» .فقال: «لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرًا لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك **وحيدك (יחידך)** عني.»

وهذا بلا ريب خطأ؛ لأنّ **الكتاب المقدس نفسه يُقرّ أنّ** «**إسماعيل**» **قد وِلِد قبل** «**إسحاق**». وقد جاءت النصوص القرآنيّة[١٢٩٣] كاشفة ضمنًا أنّ الذبيح هو «إسماعيل»[١٢٩٤].

[١٢٩٢] انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, *The Hebrews in Egypt*, Tokyo: NTT Mediascope, ١٩٩٤, pp.٧, ١١١–١١٢

قال الإمام «ابن القيم» –رحمه الله– في دفع دعوى الكتاب المقدس، وبيان دلالة القرآن الكريم أنّ الذبيح هو «إسماعيل»: «وهي باطلة قطعًا من عشرة أوجه:

أحدها: أن بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث، فالجمع بين كونه مأمورًا بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لئلا تغير سارة، فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظًا لقلبها ودفعًا لأذى الغيرة عنها، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية؟! فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.

الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعًا، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيرًا للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.

الرابع: أن الله سبحانه بشّر سارة أم إسحاق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب[1295]، فبشرها بهما جميعًا، **فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر أبويه بولد ولده؟!**

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى وإقدام إبراهيم على ذبحه، وفرغ من قصته قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1296]،

[1293] لا يصحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم حديث في تحديد هويّة الذبيح.

[1294] ما ذهب إليه بعض العلماء المسلمين من أنّ الذبيح هو «إسحاق» لا دليل عليه من قرآن أو سنة، وإنّما هو متلقّى عن اليهود والنصارى؛ قال شيخ الإسلام «ابن تيميّة»: «هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل.» (ابن القيم، زاد المعاد، ت/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ط١٤، ٧١/١)، وقال الإمام «ابن كثير»: «وما أظن ذلك تلقي إلا عن طريق أحبار أهل الكتاب، وأخِذ ذلك مُسَلَّماً من غير حجة.» (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥/٤)

[1295] قال تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب} سورة هود/ الآية ٧١

[1296] سورة الصافات / الآية (١١٢)

فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له، **وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق**، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

السادس: أن إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه سأل ربّه الولد؛ فأجاب الله دعاءه وبشّره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[1297]؛ فهذا دليلٌ على أن هذا الولد إنما بُشِّر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدًا، وهذا المبشَّر به هو المأمور بذبحه قطعًا بنص القرآن، وأما إسحاق فإنما بشِّر به من غير دعوة منه، بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1298] فتأمل سياق هذه البشارة وتلك؛ تجدهما بشارتين متفاوتتين؛ مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى، والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها، والبشارة الأولى هي التي أمر بذبح من بشر فيها دون الثانية.

السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه، وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرتها في بلدها ويدع ابن ضرتها؟!

الثامن: أنّ الله تعالى لما اتّخذ إبراهيم خليلًا؛ **والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقًا بربه ليس فيه شعبة لغيره**، فلما سأله الولد وهبه إسماعيل؛ فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق، فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال؛ خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده، فنسخ الأمر بالذبح، لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال.

[1297] سورة الصافات / الآيات (٩٩-١٠١)

[1298] سورة هود / الآيات (٦٩-٧٣)

ومن المعلوم أن هذا إنما يكون في أول الأولاد لا في آخرها، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول **لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله**، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقرّه في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمله.

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه في عنفوانه وقوته، **والعادة أن القلب أعلق بأول الأولاد**، وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر، ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة...»[١٢٩٩]

وقد اعترف بالدلالة القرآنيّة على أنّ الذبيح هو «إسماعيل»، «جايجر» نفسه؛ فبعد أن استعرض ما جاء في القرآن الكريم، قال: «**من الواضح إذن أنّه طبقًا لعرض محمد؛ فإنّ إسماعيل هو الذي قام بدور التضحية.**»[١٣٠٠]!

ألوهية المسيح

تكرّر في القرآن الكريم نفي ألوهيّة المسيح:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾[١٣٠١]

[١٢٩٩] ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت، ٣٥١-٣٤٨/٢

[١٣٠٠] A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.١٠٣

[١٣٠١] سورة المائدة/ الآية (١١٦)

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون ﴾ [1302]

وتكرّر مع ذلك تمجيد المسيح عليه السلام، ونسبته إلى البشريّة والنبوّة:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون ﴾ [1303]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [1304]

﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون ﴾ [1305]

وهنا يسأل العاقل نفسه سؤالًا: لقد ذهب النصارى إلى أنّ المسيح قد أعلن أنه إله، وأنه صادق في دعواه، وذهب اليهود إلى اتّهام المسيح أنّه قد ادّعى الألوهيّة زورًا؛ فلِمَ يذكر قرآن (محمدﷺ) أنّ المسيح لم يدّعِ الألوهيّة أصلًا؟! أليس في ذلك إنكار (لحقيقةٍ) تاريخيّة أطبق عليها أهل الكتاب–كما يقولون هم بأنفسهم عن (إجماعهم!)–؟! أليس ذاك خطأ تاريخي في القرآن الكريم؟! –ليس الاعتراض هنا على صحّة (ألوهيّة) المسيح، فهذا أمر يُدرك حكمه بالعقل المجرّد، وإنما هو عن صحة القول إنّ المسيح قد ادّعى أنّه إله! –

[1302] سورة مريم/ الآية (٣٥)

[1303] سورة آل عمران/ الآية (٥٩)

[1304] سورة مريم/ الآية (٣٠)

[1305] سورة البقرة/ الآية (١٣٦)

الإجابة يقدّمها لنا لاهوتي، بل أحد أعلام اللاهوتيين في زماننا، وهو «جون هِك» « John Hick»[١٣٠٦] بقوله في كتابه « *The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age*» الصادر —في طبعته الأولى– سنة ١٩٩٣م، ناقلًا ما **أجمع** عليه النقّاد المحقّقون اليوم: «نقطة أخرى عليها **اتفاق واسع بين علماء العهد الجديد**، وهي أكثر أهميّة لفهم تطور علم دراسة طبيعة المسيح «*Christology*»، وتتمثّل في أنّ **يسوع التاريخي لم يدّع الألوهيّة التي ادعاها له متأخّرو المسيحيين**: إنه لم يظن في نفسه أنّه تجسُّد الإله، أو الإله الابن ... إنّه من المستبعد جدًا أن يكون يسوع التاريخي قد ظنّ في نفسه ذلك بأيّة صورة من الصور. في الحقيقة، إنّ المتصوّر أنه سيرفض هذه الفكرة باعتبارها هرطقة، إحدى الأقوال المنسوبة إليه، هي: «لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلاّ الله وحده.» (مرقس ١٠/١٨).

بالطبع لا توجد إفادات من الممكن أن تقدّم بيقين حول ما قاله يسوع أو ما لم يقله أو ما فكّر فيه. لكن الحجّة المتاحة قادت المؤرّخين المتخصصين في الفترة التاريخية (لحياة المسيح) إلى أن **يستنتجوا بإجماع مذهل أنّ يسوع لم يَدّعِ أنه الإله المتجسّد**.

هذا الأمر محلّ اتفاق عام اليوم حتّى إنّ بضعة اقتباسات ممثّلة (للرأي السائد) مأخوذة **من كتّاب مستقيمي العقيدة (أرثودكس)**، تكفي لإثبات غرضنا الحالي. رئيس الأساقفة «مايكل رمزي» «Michael Ramsey» وهو أيضًا أحد علماء العهد الجديد، كتب أنّ «يسوع لم يدّع لنفسه الألوهيّة» (١٩٨٠م). عالم العهد الجديد المعاصر له «س. ف. د. مول» «C. F. D. Moule» قال إنّ «كلّ حالة كرايستولوجيا "عالية" قائمة على أصالة الدعوى المدّعاة ليسوع حول نفسه، خاصة في الإنجيل الرابع، لا بد أن تعتبر غير ثابتة.» (١٩٧٧م). استنتج «جيمس دون» «James Dunn» في دراسة رائدة حول أصول عقيدة التجسّد أنّه «لا توجد حجّة حقيقيّة في تراث يسوع المبكّر ممّا من الممكن أن تسمّى بإنصاف، وعيًا بالألوهيّة»

[١٣٠٦] جون هك (ولد سنة ١٩٢٢م): لاهوتي. درّس في عدد من الجامعات. رئيس الجمعية البريطانية لفلسفة الدين، ونائب رئيس الكونغرس العالمي للأديان. ذكر «Robert Smid» أنّه كثيرًا ما يشار إلى «هك» أنه «أحد أبرز فلاسفة الدين المهمين في القرن العشرين، إن لم يكن أبرزهم.».

(١٩٨٠م)، اعترف أيضًا «براين هِبلثوايت» «Brian Hebblethwaite» المناصر بقوّة للتراث النيقوي[١٣٠٧] الخلقيديوني[١٣٠٨] المسيحاني أنّه «**لم يعد ممكنًا المدافعة عن ألوهيّة يسوع من خلال الإحالة إلى أقواله**» (١٩٨٧م). يقول أيضًا متحمس آخر للخلقيديونيّة وهو «دافيد براون» «David Brown»، إنّه «توجد حجج قويّة على أنّ (يسوع) لم ير نفسه البتّة أهلًا لأن يعبد» وإنه «من المستحيل تأسيس أيّة دعوى للتأليه بناءً على إدراكه إذا أهملنا الصورة التقليديّة كما يعكسها الفهم الحرفي لإنجيل يوحنا» (١٩٨٥م) »[١٣٠٩]

هذا هو الإعجاز حيث يخالف القرآن الكريم ما (استقر) عليه اليهود والنصارى زمن البعثة النبويّة .. واليوم (يستقر) البحث النقدي الأكاديمي الغربي في شاطئ القرآن الكريم، دون اعتبار لقول أُمَّتين من الناس عاش أجدادهما مع المسيح نفسه!

الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [١٣١٠]

[١٣٠٧] أي العقيدة التي قرّرها النصارى في مجع نيقية سنة ٣٢٥م حيث وصف المسيح أنّه «إله من إله» « θεὸν ἐκ θεοῦ».

[١٣٠٨] أي العقيدة التي قرّرها النصارى في مجمع خلقيديونية سنة ٤٥١م الذي قرّر أنّ للمسيج طبيعتين ومشيئتين، إلهيّة وأخرى بشريّة «إله حق وبشر حق» « θεὸν ἀληθῶς καὶ ἄνθρωπον ἀληθῶς τὸν αὐτὸν».

[١٣٠٩] John Hick, *The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age*, London: Westminster John Knox Press, ٢٠٠٦, pp.٢٧-٢٨

[١٣١٠] سورة التوبة/ الآية (٣)

يقول الشيخ «أحمد عبد الغفور عطّار» في موسوعته: «الديانات والعقائد في مختلف العصور»: «إن هذه الآية الشريفة إنباء عن الماضي المجهول، وما كان محمد ﷺ ولا عرب الحجاز يعلمون أن أممًا سبقت أمة المسيح، قالوا ما قالوه فيه، وهذا يجعلنا مطمئنين إلى أن القرآن كلام الله علاّم الغيوب، لا كلام عبد الله ورسوله محمد ﷺ، لأن الكشوف الأثرية والبحوث لم تكتشف مضاهاة النصرانية للذين كفروا إلا حديثًا، وبعد موت محمد ﷺ بمئات السنين، فعرف ثالوث الهند وغيرها كالصين والمكسيك ومصر ودياناتهم الوثنية التي تشرّبتها النصرانية، وهذا سر من أسرار القرآن يظهر مع الزمن».[١٣١١]

وقد صنّف النقّاد الغربيون كتبًا عديدة في موضوع تأثّر النصرانية بالعقائد الشرقية والوثنية، ومنها:

- John Hick, ed. *The Myth of God Incarnate*, Oxford : New Blackfriars, ١٩٧٧
- Frank Viola and George Barna, *Pagan Christianity*, Ill. : BarnaBooks, ٢٠٠٨, ٢٠٠٢.
- Jonathan Z. Smith, *Drudgery Divine, : On the Comparison of Early Christianities and the Religions of Late Aniquity*, Chicago: University of Chicago Press, ١٩٩٠
- Robert J. Miller, *Born Divine: the birth of Jesus and other sons of God*, CA: Polebridge Press, ٢٠٠٣
- Tom Harpur, *Pagn Christ*, Toronto: Thomas Allen Publishers, ٢٠٠٤.
- Timothy Freke and Peter Gandy, *The Jesus Mysteries: was the 'original jesus' a pagan god?,* New York : Harmony Books, ٢٠٠٠.

[١٣١١] أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة: ١٤٠١هـ , ١٩٨١م , ٢/ ٥٦١

- Shirley Strutton Dalton and Laurence E. Dalton, *Jesus Christ: A Pagan Myth*, On Demand Publishing, ٢٠٠٨

وغيرها كثير جدًا ...

ابتداع الرهبانية

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[١٣١٢]

كانت الرهبنة مَعلمًا أساسيًا من معالم النصرانيّة في القرن السابع ميلاديًّا، وقد وجدت لها حضورًا بارزًا في تجمّعات النصارى الأقرب إلى مكّة، وذكر أمرها في الشعر الجاهلي؛ بما يدلّ على أنّها قد أضحت متصلة اتصالًا وثيقًا بالإيمان النصراني والهيكل الكنسي في الثقافة الشعبيّة العربيّة .. لكنّ القرآن الكريم يصرّح بما لا يتوقعه العربي في ذلك الإطار الزماني والمكاني؛ إذ يقرّر أنّ الرهبنة مسلك دخيل على النصرانيّة ابتدعه قوم ظنوا فيه الصلاح والتهذيب للنفس، وقد آل أمر هذه الرهبنة إلى الفساد![١٣١٣]

إنّ الحقيقة التاريخيّة التي نعرفها اليوم معرفة يقينيّة هي أنّ الرهبنة لم تعرف في القرنين الأوّل والثاني ميلاديًّا، وإنّما ظهرت بداية في نهاية القرن الثالث ميلاديًّا في مصر على يد قديس الكنيسة «أنطونيوس الكبير» (٢٥١م-٣٥٦م) الذي يسمّى «بأبي الرهبنة» «*Father of Monasticism*».[١٣١٤]

[١٣١٢] سورة الحديد/ الآية (٢٧)

[١٣١٣] قال الإمام «ابن كثير» (تفسير القرآن العظيم، ٤/٢٢٩٠): «وقوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين: (أحدهما) الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. و(الثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل.»

[١٣١٤] *The Catholic Encyclopedia*, ١/٥٥٥

يوسف النجار، الشخصية الخرافية

تضمّنت أناجيل النصارى ذكر شخصيّة «يوسف النجار» وأنّه كان خطيب «مريم» أم المسيح عليهما السلام، وزعمت أنّه قد تولى رعاية المسيح عليه السلام أثناء طفولته.

وقد أهمل القرآن الكريم ذكر هذه الشخصية في حياة المسيح وأمّه على صورة تكشف أنّ القرآن الكريم ينكر وجودها أصلًا.

إننا لا نجد «ليوسف النجار» ذكرًا في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبويّة، كما أنّ الرواية القرآنيّة تنطلق بنا من الرغبة في تكريس «مريم» للهيكل، وكفالتها، إلى ولادتها العذريّة، وريبة قومها في هذه الولادة العجيبة، دون إشارة إلى اتهام (الخطيب) بهذه الفعلة، مكتفية بتنزيه «مريم» عن فعل الفاحشة: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[١٣١٥]

وبالنظر في الكتاب المقدس نفسه؛ يستبين لنا صواب الرواية القرآنية وبطلان تاريخيّة شخصيّة «يوسف النجار» المذكور في الأناجيل؛ لأسباب عديدة من أهمها:

- إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل الأربعة تأليفًا، لم يشر البتة إلى «يوسف النجار».

- أشار إنجيل يوحنا إلى «يوسف» كشخصيّة لها علاقة بالمسيح في ١/٤٥: «ثُمَّ وَجَدَ فِيلِبُّسُ نَثَنَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي الشَّرِيعَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ يَسُوعُ ابْنُ يُوسُفَ مِنَ النَّاصِرَةِ.» .. لكننا نعلم أنّ العهد القديم لم يشر البتة إلى شخص اسمه «يسوع ابن يوسف من الناصرة» «**ישוע בן יוסף מנצרת**».

- يذكر إنجيل مرقس ٦/٣ أنّ «المسيح» يعمل نجارًا، في حين ذهب إنجيل متّى ١٣/٥٥ إلى أنّ «المسيح» هو «ابن النجار»!!

- نسب «يوسف النجار» في الأناجيل مضطرب؛ فوالده في إنجيل متّى ١/١٦ اسمه «يعقوب»، في حين أنّ اسم والده في إنجيل لوقا ٣/٢٣: «هالي».

[١٣١٥] سورة مريم/ الآية (٢٨)

- اختلفت الأناجيل في موطنه؛ فهو في إنجيل متّى ٢/١ من بيت لحم، في حين أنّه في إنجيل لوقا ٢٦/١ من الناصرة.

- لو كانت «مريم» مخطوبة «ليوسف النجار» وثبت حملها أمام الناس؛ لوجب طبق الشريعة اليهوديّة رجمها (تثنية ٢٢/٢٣-٢٤)، وهو ما لم يكن!

- تنصّ شريعة اليهود على منع المرأة من الزواج من غير سبطها (العدد ٣٦/٨-٩)، في حين نقرأ أنّ «مريم» من سبط لاوي (انظر؛ لوقا ١/٥ إذ إنّ «إليصابات قريبة «مريم (لوقا ٣٦/١) من بنات «هارون»، كما ذكر قديس الكنيسة «هيبوليتس»[١٣١٦] أنّ أمّ «مريم» وأمّ «إليصابات» كانتا أختين[١٣١٧])، في حين أنّه قد تكرّر القول إنّ «يوسف النجار» من نسل «داود»؛ مما يعني منع زواجهما طبق شريعة اليهود.

لقد نفى القرآن الكريم ضمنًا هذا الزواج، وبرّأ «مريم» أمام قومها الذين كانوا يعتقدون ديانةً وجوب رجم الزانية المخطوبة، بمعجزة كلام ابنها في المهد؛ فكانت الرواية متناسقة ومتكاملة، متجاوزة أخطاء الأناجيل وتناقضها مع العهد القديم!

السبق التاريخي للقرآن الكريم:

لا يقتصر الإعجاز القرآني والتميّز التاريخي في القرآن الكريم، مقارنة بما ورد في الأسفار المقدّسة عند المنصّرين، على التصحيح والتعديل، بل تجاوزه إلى السبق التاريخي المعجز في أبواب التاريخ القديم للأمم الداثرة التي لا علم للعرب الجاهليين وغيرهم بأمرها المطروق في تلك اللفتات القرآنية المذهلة .

ومن هذه اللمحات التاريخية المعجزة التي تشفّ عن المصدر العلوي لهذا الكتاب الفريد، نذكر نتفًا تغني اللبيب عن طلب المزيد:

[١٣١٦] هيبوليتوس (١٧٠م-٢٣٦م): لاهوتي وأحد قديسي الكنيسة.

[١٣١٧] انظر؛ عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ١٧١

نجاة جثة فرعون

يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[١٣١٨]

تذكر هذه الآيات حادثة غرق فرعون، وهو ما جاء أيضًا في نص التوراة[١٣١٩]، غير أنّ القرآن الكريم يضيف أمرين آخرين لم تعرفهما التوراة:

(١) حفظ الله سبحانه جثّة فرعون الهالك من أن تبقى في البحر.

(٢) نجّى الله سبحانه هذه الجثّة في اليوم الذي غرقت فيه لتبقى آية للناس وعبرة.

وقد بقي أمر جثث الفراعنة المحنطة مخفيًا طوال قرون عديدة، ولم يكتشف إلا في آخر القرن التاسع عشر حيث عثر على مومياءات الفراعنة عند فتح قبر «امنحتب الثاني».

ذهب باحثون كثيرون، ومنهم «موريس بوكاي» –الطبيب، وعضو الجمعيّة الفرنسيّة للمصريّات *la Société française d'égyptologie*–، إلى أنّ فرعون الخروج[١٣٢٠] هو

[١٣١٨] سورة يونس/ ٩٠-٩٢

[١٣١٩] انظر؛ خروج ٢٨/١٤، مزمور ٥٣/٧٨، ١١/١٠٦

[١٣٢٠] «فرعون الخروج» أي الفرعون الذي لاحق «موسى» عليه السلام ومن معه أثناء خروجهم من مصر، و«فرعون التسخير» هو الفرعون الذي قام بتسخير بني إسرائيل قبل ذلك. وقد ذهب عدد من علماء المصريات إلى أنّ «فرعون الخروج» هو نفسه «فرعون التسخير»، في حين ذهب آخرون إلى أنّهما اثنين، فبعد وفاة «فرعون التسخير» استلم حكم مصر «فرعون الخروج»، وهو الذي مال إليه د. «بوكاي»، وانتصر له بأدلّة قويّة، وهو مذهب عدد كبير من أعلام المصريات.

«مرنبتاح بن رمسيس الثاني»[١٣٢١]. وقد قام الدكتور «بوكاي» بتقديم بيانات علميّة بالغة الأهميّة في هذا الشأن– لم تأخذ للأسف الشديد حظّها من العناية من المتخصّصين–، فقد ذكر أنّ التحليل الطبّي لمومياء «مرنبتاح» قد تمّ بين سنتي ١٩٧٤م و١٩٧٥م بمشاركة أطباء مصريين، وكان هو من المشاركين فيه. وقد استقدم من فرنسا أحد أهم المتخصصين في الطب الشرعي لبحث فرضيّة موت هذا الفرعون بفعل ارتداد الأمواج عليه والغرق في البحر.

نشرت نتائج هذا البحث في كتاب «بوكاي» «مومياءات الفراعنة، الأبحاث الطبيّة المعاصرة» «*Momies du Pharaons : les enquêtes médicales modernes*» الذي نال عنه جائزة الأكاديميّة الفرنسيّة، والأكاديميّة القوميّة الفرنسيّة للطب.

ملخّص النتائج كالتالي:

~ أصيبت هذه المومياء بكسور بعد الموت إثر تمزق أنسجتها.

~ فُقدت كلّ الأعضاء الداخليّة للمومياء، وبالسؤال عن الرئتين (لاحتمال وجود آثار الغرق) عُلِمَ أنّهما قد اختفتا، وأنّ العادة أن ينزعهما المحنّط.

~ بتحليل مجهري لقطعة صغيرة من عضل المومياء؛ أمكن اكتشاف تفاصيل تشريحيّة حفظت بصورة جيّدة أثناء عمليّة التحنيط، أكّدت أنّه من المحال أن تكون هذه الجثّة قد بقيت في الماء لفترة طويلة.

~ فقدان بعض الأعضاء في البدن أثناء حياة المومياء بما يرجّح أنّ ذلك ناتج عن ضربات خارجيّة (blows)، وهو أمر أكدته صور الأشعة السينيّة (X-rays):

[١٣٢١] أشهر فرعون آخر اقترح النقّاد أنه فرعون الخروج، هو «رمسيس الثاني»، وقد رفض «موريس بوكاي» هذا القول لأسباب، من أهمها أنّ «الدراسة الطبيّة لهذه المومياء لا تقدّم لنا أدنى أرضيّة للتفكير في ذلك. في الحقيقة، إنّه من الجلي الواضح أنّ رمسيس الثاني كان عاجزًا تمامًا عن أن يتولّى تلك المهمّة الحربيّة قبل موته.» (Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations*, New York: St. Martin's Press, ١٩٩٠, p.١٠٧)

- فقدان أجزاء من القفص الصدري والبطن (abdomen) والجمجمة بسبب ضربات تلقاها الفرعون أثناء حياته.
- فجوة في الصدر من الراجح أنّها ناتجة عن إصابة أثناء حياة هذا الفرعون، ومن المستبعد تشريحيًا أن تكون ناتجة عن كسر اللصوص لصدر المومياء.[١٣٢٢]
- فجوة في أسفل الظهر (١٠ على ١٥ سنتمتر)، سبُبها ضربة من الخارج.
- فجوة في الرأس (٣٧ على ٢٣ مليمتر)، وبصورة دقيقة عند العظم الجداري الأيمن، وكانت بسبب ضربة/ هبّة شديدة جدًا.[١٣٢٣]

فقدان هذه الأعضاء قاد علماء التشريح إلى القول إنّ سببها هو صدمة أصابت الفرعون، وأنّه من الراجح أنّ دخول عظام الرأس إلى منطقة المخ، ودفعها للمخ بصورة عنيفة قد أدّيا إلى وفاة الفرعون بصورة سريعة أو ربّما آنيّة مباشرة.

~ كشفت الأشعّة السينيّة أنّه لا أثر لانفجار العظام حول الفجوات، وهذا دليل على أنّ فقدان هذه الأعضاء كان بسبب ضربّة/هبّة أثناء حياة الفرعون.[١٣٢٤]

[١٣٢٢] أشار «بوكاي» إلى أنّ العظم المفقود هنا كان موجودًا عندما صوّرت المومياء في أوائل القرن العشرين (يبدو أنّه كان موضوعًا فوق الفجوة بعد أن انفصل عن الجثّة.)

[١٣٢٣] أبطل «بوكاي» من خلال صور الأشعة ودراسة جمجمة الفرعون ما رآه «إليوت سميث» في بداية القرن العشرين من أنّ هذه الفجوة ناتجة عن فعل اللصوص الذين أصابوا المومياءات بأضرار عند سرقة ما كان معها من جواهر (انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations*, p.١٢٣)

[١٣٢٤] انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. ١٢٧- ١٢٨, انظر أيضًا؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations*, pp. ١٥٦-١٦٠

ويضيف «بوكاي» قائلًا: «قدّمت هذه الاستنتاجات مع الوثائق في أبريل ١٩٧٦م، أمام المؤسسة الفرنسيّة للطب الشرعي، **ولم تقدّم أيّة اعتراضات على استنباطاتنا.»**[١٣٢٥] [١٣٢٦].

وختم حديثه بالتأكيد على أنّ موت هذا الفرعون كان بفعل انطباق البحر عليه، وهو ما ذكره الكتاب المقدّس[١٣٢٧].. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وأضاف إليها أخرى؛ وهي نجاة جثّة هذا الفرعون؛ لتكتمل عناصر الإعجاز والسبق.

وأشار «بوكاي» إلى أنّه لو بقيت الجثّة فترة طويلة في الماء؛ لصار تحنيطها غير مجدٍ. وأشار هنا إلى لفتة جميلة، وهي أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى نجاة جثّة هذا الفرعون من الهلاك في الماء، في نفس اليوم الذي هلك صاحبها فيه[١٣٢٨]، وهو ما يزيد الإعجاز القرآني هنا عمقًا!

وكان «بوكاي» قد قال في كتابه «الكتاب المقدّس والقرآن والعلم» « *La Bible le Coran et la Science*» حول اكتشاف جثة الفراعنة حديثًا: «في العصر الذي كان فيه الرسول يضع

[١٣٢٥] Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p. ١٢٨

[١٣٢٦] شاع القول بتسفيه أن يكون «مرنبتاح» هو فرعون الخروج –لدى من ينكرون هذا القول–، بدعوى أنّه ليس للقائلين بذلك إلاّ حجّة واحدة وهي آثار الملح على المومياء كدليل على الغرق، وهو ما ليس بحجّة لأنّ عملية التحنيط تستدعي استعمال الملح (انظر؛ لؤي فتوحي وشذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، ص١٢٤)!! وأنت ترى هنا أنّ كلّ الأدلّة المعروضة في هذا الملخّص لا تعلّق لها بالملح وبقائه في جثّة المومياء!!

انظر في تفصيل الأدلّة على أنّ مرنبتاح هو فرعون الخروج، والردّ على المخالفين، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، ٢/ ٣٠٨–٣٢٩

[١٣٢٧] انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. ١٢٨- ١٢٩

[١٣٢٨] انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations*, pp.١٥٨, ١٦٠

القرآن في متناول الناس، كانت أبدان كل الفراعنة الذين شكّ الناس في هذا العصر الحديث خطأ أو صوابًا بأنهم اهتموا بالخروج، موجودة في قبور وادي الملوك في «طيبا» في الضفة المقابلة للأُقصر من النيل. وقد كان الناس في هذا الزمان يجهلون كل هذا الواقع. ولم يكتشفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر.[١٣٢٩] وقد ثبت كما يقول القرآن، أنّ بدن فرعون الخروج قد نجا. أيًا كان هذا الفرعون، فإنه اليوم في صالة المومياآت الملكية في المتحف المصري في القاهرة، ميسرة رؤيته للزائرين.»[١٣٣٠]

وممّا استدلّ به لصالح إثبات أنّ «مرنبتاح» هو فرعون الخروج، ما جاء في مسلّة مرنبتاح الشهيرة التي تضمّ الإشارة الوحيدة لإسرائيل في النصوص المصريّة، فقد تعامل نصّ المسلّة مع كلمة «إسرائيل» —لغويًا– باعتبارها دالة على شعب لا دولةَ له —على خلاف بقيّة المذكورين في النص–. وقد أورد هذا النص انتصارات الفرعون:

«الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة، وليس من بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه، الخراب للتحنو، بلاد خاتي هادئة، وكنعان قد استلبت في قسوة، وأخذت عقلان، وقبض على جازر، وصارت ينوعام كأن لم يكن لها وجود، **وإسرائيل قد خربت وأزيلت بذرتها**، أصبحت خارو أرملة لمصر.»[١٣٣١]

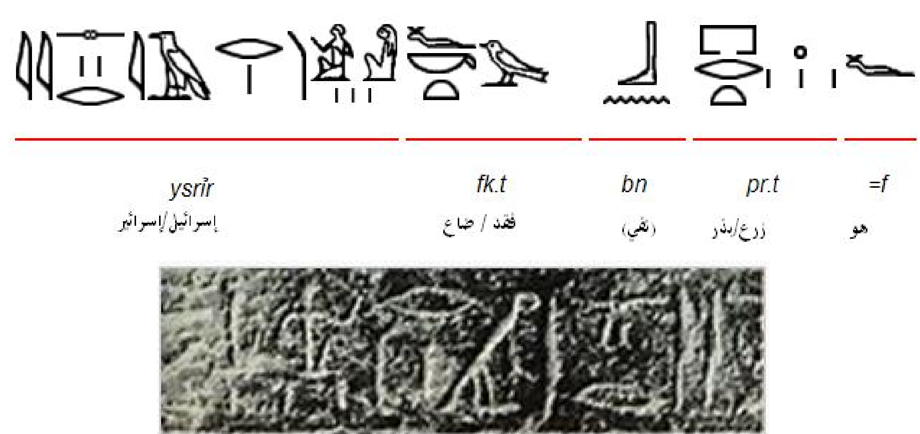
[١٣٢٩] «في عصر الأسرة الحادية والعشرين حينما توفي كبير كهنة آمون «بينودجيم الثاني» قرر زملاؤه الكهنة إنهاء العبث بجثث الفراعنة فجمعوا جثثهم واتخذوا من دفن كبير الكهنة ستارًا ودفنوا الجميع في قبر الملكة «إنحابي» بالدير البحري والذي تم توسعته ليتسع لجميع جثث الفراعنة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة. وأغلقوا القبر . وسجلوا أن ذلك قد تم في السنة العاشرة من حكم الملك «سيامون» في عام ٩٦٩ ق.م.

وردموا المدخل تمامًا وضيعوا المعالم حوله حتى لا يستدل عليه اللصوص فبقي القبر الجديد سالما من عبث اللصوص لأكثر من ٢٨٠٠سنة ونسي تماما وسمي «خبيئة الدير البحري» ويحتوي على جميع المومياوات ومن بينها مومياء رمسيس الثاني.» (رشدي البدراوي، موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟، نسخة إلكترونيّة)

[١٣٣٠] موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، ط٢، ص ٢٠٤

[١٣٣١] محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، ٢/ ٣١١-٣١٢

«خربت/ضاعت إسرائيل، وأزيلت بذرها.». على غير العادة في نصوص هذه المسلّة، فإنّ العلامة المرتبطة بكلمة «إسرائيل» ليست علامة دولة، أو مدينة، وإنّما علامة تدلّ على طائفة من الناس.



من الممكن الربط بين هذا النصّ وبين ما جاء في القرآن الكريم من قتل الفرعون لذريّة بني إسرائيل:[١٣٣٢]

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[١٣٣٣]

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾[١٣٣٤]

[١٣٣٢] انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p.١٩٤

[١٣٣٣] سورة القصص/ الآية (٤)

وقد جاء أمر قتل ذريّة اليهود أيضًا في التوراة.[١٣٣٥]

وسائل التعذيب في زمن فرعون

قال تعالى مصوّرًا ما حدث من تحدّ بين سحرة فرعون و«موسى» عليه السلام، وكيف آمن السحرة بالله وحده وكفروا بفرعون لما انبهروا بمعجزة العصا التي تحوّلت إلى حيّة حقيقيّة؛ فقرّر فرعون الانتقام منهم :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾[١٣٣٦]

ذكر القرآن الكريم هاهنا وسائل التعذيب في زمن فرعون، وقد نشر الدكتور «أحمد عبد الحميد يوسف» نصًا ورد في معبد عمدا من بلاد النوبة المصرية يصوّر وسائل التعذيب في زمان فرعون، وهو يرجع إلى السنة الرابعة من عهد «مرنبتاح»[١٣٣٧] (حوالي سنة ١٢٢٠ ق.م)، وهو يؤكّد أنّ «مرنبتاح» قد عذّب الناس **بقطع من خلاف وصلب** ..[١٣٣٨]

[١٣٣٤] سورة الأعراف/ الآية (١٢٧)

[١٣٣٥] انظر؛ الخروج ١/١٥-٢٢

[١٣٣٦] سورة طه/ الآيات (٦٥- ٧١)

[١٣٣٧] رجّح العديد من النقاد كما سبق، أن «مرنبتاح» هو فرعون الخروج.

[١٣٣٨] انظر، أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ص ١١٠، و A. A. Joussef, *Merenptah's Fourth year at Amada*, ASAE,I. VIII, ١٩٦٤, P. ٢٣٧ (نقله، د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم، ٢/٢٠٠)

ولا بدّ من الملاحظة في هذا المقام، أنّ القرآن قد انفرد بذكر إيمان السحرة، بالله سبحانه، وهو ردّ فعل منطقي من قوم امتهنوا السحر، فلما جاءهم من بزّهم في ما برعوا فيه، وعلموا أنّ ما قام به هو أعظم ممّا صنعوا، وأنه حقّ لا مجرّد خيال، أسلموا لله ربّ العالمين..

والسؤال الذي نواجه به المنصّرين هو: لِمَ يورد القرآن هذه الواقعة ويعقبها بذكر حقيقة تاريخية ما كان يعلمها الناس ذاك الزمان ولم ترد في التوراة، إلا أن تكون وحيًا من الحقّ سبحانه؟!

صعود فرعون إلى السماء

قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَاب﴾ [١٣٣٩]

يتحدّث اليوم علماء «المصريات» عن اعتقاد كان راسخًا عند الفراعنة أنّه بإمكان الفرعون أن يصعد إلى السماء على سلّم أو برج ليرى الآلهة هناك؛ ويؤكد «ألن ف. سجال» « Alan F. Segal» هذه الحقيقة بقوله: «تظهر العديد من الكتابات في نصوص الأهرامات أنّ الفرعون يصعد إلى السماء باستعمال سلّم.

ن. يصعد على سلّم أعدّه له أبوه «رع».

أو

صنعت (الآلهة) سلّمًا لـ «ن» ليصعد به إلى السماء.» [١٣٤٠]

[١٣٣٩] سورة غافر/ الآيتان (٣٦-٣٧)

[١٣٤٠] Alan F. Segal, *Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West*, New York : Doubleday, ٢٠٠٤, p.٣٨

وقـد أشـار الباحـث «بيـتري» إلى تفشّـي «الفكـرة الدينيـة في الرغبـة في الصـعود إلى الآلهـة في السماء» في مصر الفراعنة.[١٣٤١]

ويـذهب الكثـير مـن علمـاء «المصـريات» إلى أنّ الاعتقـاد عنـد قـدماء المصـريين كـان علـى أنّ الأهرامات ذاتها وسيلة الفرعون لبلوغ السماء.[١٣٤٢]

حفظ القمح في سنبله

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[١٣٤٣]

تفرّد القرآن الكريم بذكر خبرٍ في قصة «يوسف» عليه السلام لم يرد في التوراة .. والناظر في هذه الزيادة قد لا يرى لها –من وجهة نظره– أهميّة خاصة .. ولكنّ الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم، يأبى إلا أن يجعل نور الإعجاز يسري في آي القرآن مدى الزمان .. ونحن اليوم قادرون على أن نفهم إحدى حكم إيراد هذه الزيادة التي تمثل مقطعًا من قصة «يوسف» عليه السلام غفلت عنه التوراة اليهودية–النصرانيّة ..

[١٣٤١] د. لؤي فتوحي ود. شذى الدركزلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص١٣٣

[١٣٤٢] انظر؛ Jon Manchip White, *Everyday Life in Ancient Egypt*, Courier Dover Publications, ٢٠٠٣, p.٤٧; Brian M. Fagan, *From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing*, New York : Oxford University Press, ٢٠٠٦, p.١٠, Emmet John Sweeney, *The Genesis of Israel and Egypt*, Algora Publishing, ٢٠٠٨,١/٣٢

[١٣٤٣] سورة يوسف / الآيات (٤٥–٤٩)

المقطع هو نصح «يوسف» عليه السلام لملك مصر أن يحفظ الحبّ في سنبله، رغم أنّ أهل مصر ما كان من عادتهم أن يفعلوا ذلك عند التخزين. وجليّ أنّ الغاية من هذه الوسيلة في الحفظ هي الإبقاء على القيمة الغذائية والصحيّة للحبّ أيام التخزين للاستفادة منه عند المجاعة التي ستجتاح البلاد..

وقد قدّم أحد الباحثين[١٣٤٤] في مؤتمر الإعجاز العلمي في الكويت[١٣٤٥] بحثًا عن جانب الإعجاز في ما ورد على لسان «يوسف» عليه السلام ؛ فقال :

«إن الذي يوقفنا في الآية الكريمة ملحوظتان علميتان:

١ . تحديد مدة صلاحية حبة الزرع في خمس عشرة سنة هي حصيلة سبع سنوات يزرع الناس ويحصدون خلالها دأبًا وتتابعًا وهي سنوات الخصب والعطاء، يليها سبع سنوات شداد عجاف هي سنوات الجفاف، يليها سنة واحدة هي السنة الخامسة عشرة وفيها يغاث الناس وفيها يعصرون من الفواكه، وقد أفاد البحث العلمي أن مدة ١٥ سنة هي المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو والتطور فيها.

٢ . طريقة التخزين وهو قوله تعالى «فذروه في سنبله» وهي الطريقة العلمية الأهم في بحثنا:

وفي إطار ترك البذور أو الحبوب في السنابل . قمنا ببحث تجريبي مدقق حول بذور قمح تركناها في سنبله لمدة تصل إلى سنتين مقارنة مع بذور مجردة من سنابلها، وأظهرت النتائج الأولية أن السنابل لم يطرأ عليها أي تغيير صحي وبقيت حالتها ١٠٠%.

مع العلم أن مكان التخزين كان عاديًا ولم تراع فيه شروط الحرارة أو الرطوبة أو ما إلى ذلك. وفي هذا الإطار تبين أنّ البذور التي تركناها في سنابلها فقدت كمية مهمة من الماء وأصبحت جافة مع مرور الوقت بالمقارنة مع البذور المعزولة من سنابلها، وهذا يعني أن نسبة ٢٠,٣% من وزن

[١٣٤٤] د. عبد المجيد بلعابد.

وقد كشف هذا السبق العلمي أيضا د. محمد جمال الدين الفندي منذ بضعة عقود في كتابه «الإسلام وقوانين الوجود»، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٢٧

[١٣٤٥] انعقد في تاريخ ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦

القمح المجرد من سنبله مكون من الماء مما يؤثر سلبًا على مقدرة هذه البذور من ناحية زرعها ونموها ومن ناحية قدرتها الغذائية لأن وجود الماء يسهل من تعفنه وترديه صحي.

ثم قمنا بمقارنة مميزات النمو (طول الجذور، وطول الجذوع) بين بذور بقيت في سنبلها وأخرى مجردة منها لمدة تصل إلى سنتين؛ فتبين أن البذور في السنابل هي أحسن نموًا بنسبة ٢٠% بالنسبة لطول الجذور و٣٢% بالنسبة لطول الجذوع. وموازاة مع هذه النتائج قمنا بتقدير البروتينات والسكريات العامة التي تبقى بدون تغيير أو نقصان؛ أما البذور التي تعزل من السنابل فتنخفض كميتها بنسبة ٣٢% من البروتينات مع مرور الوقت بعد سنتين وبنسبة ٢٠% بعد سنة واحدة.

وبهذا يتبين في هذا البحث أن أحسن وأفضل تخزين للبذور هي الطريقة التي أشار بها «يوسف» عليه السلام وهي من وحي الله.

ومن المعلوم أن هذه الطريقة لم تكن متّبعة في القدم وخاصة عند المصريين القدامى الذين كانوا يختزنون الحبوب على شكل بذور معزولة عن سنابلها؛ وهذا يعتبر وجهًا من وجوه الإعجاز العلمي في تخزين البذور والحبوب في السنابل حتى لا يطرأ عليها أي تغير أو فساد مما يؤكد عظمة الوحي ودقة ما فيه من علم.»[١٣٤٦]

القرآن الكريم يصحح الأخطاء العلميّة للكتاب المقدس

لم تكن البلاد العربيّة عرضة للأفكار العلميّة المتطوّرة في الإمبراطوريتين الرومانيّة والفارسيّة، نتيجة غياب التواصل المعرفي بينهما، وبساطة أنماط الحياة الصحراوية التي تعتمد على التجارة البينيّة ورعي الإبل وزراعة النخيل، والاعتقاد في الآلهة أنّها تورث الخصب والصحّة والثراء؛ إذ في غضبها ورضاها تفسير الظواهر الكونيّة في البشر والبيئة ..

١٣٤٦ نشر هذا البحث موقع "الهيئة العالميّة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة".

http://www.nooran.org/O/١٢-١٠/١٠.htm

في ظلّ هذه الظروف، يستدعي العقل القول إنّ القرآن لن يجد حرجًا في نقل أفكار أهل الكتاب مادامت لا تجد مخالفة من علم عربي ثابت في بيئة الصحراء، إن صحّ الزعم بدعوى الاقتباس من أسفار أهل الكتاب.. ولكن عند النظر في ما ورد في القرآن الكريم؛ يستبين الناظر أنّ القرآن خالف صراحة أو ضمنًا أفكارًا علميّة خاطئة في الكتاب المقدس .. وسنستعرض هنا بعضها تمثيلًا لهذه الحقيقة بعد أن نعلن الحقيقة التي كشفتها ترجمة أورشليم للكتاب المقدس، وتبنتّها ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة في هامشها الأول المتعلّق بقصّة الخلق في سفر التكوين, وهي أنّ: «النصّ يستند إلى علم لا يزال في **عهد الطفولة**. فلا حاجة إلى التفنن في إقامة التوافق بين هذه الصور وعلومنا العصريّة.»[١٣٤٧] .. إنّ الكتاب المقدس، إذن، يقدّم لنا الطفولة الساذجة للعلم البدائي الغرّ!!

وشهد شاهد من أهلها!

كروية الأرض

تضمّن الكتاب المقدس نصوصًا كثيرة تدلّ في مجموعها على ترسّخ اعتقاد أنّ الأرض منبسطة، وأنّ لها أركانًا أربعة، وحواش في نهاياتها:

- دلّت النصوص في الكتاب المقدس على أنّ الأرض مسطّحة:

* «ثم أخذه إبليس أيضا إلى قمة جبل عال جدًا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها» (متى ٤/٨) .. أخذ إبليسُ المسيحَ إلى جبل[١٣٤٨] عال جدًا تطل قمّته على جميع الأرض .. وهذا نظريًا محال إلا

[١٣٤٧] ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م، ص ٦٨

[١٣٤٨] يبدو أنّ مؤلّف إنجيل لوقا قد انتبه إلى نكارة ما أورده مؤلّف إنجيل متّى من وجود جبل يطلّ على جميع العالم؛ ولذلك حذف ذكر الجبل، واكتفى بالقول إنّ المسيح قد «أُصعد» «αναγαγων»، لكنّه لم يستطع أن يفلت من الخطأ العلمي في تصوّر وجود مكان من الممكن أن يطلّ منه على جميع البلاد المسكونة، وقد وقع في الزلل العلمي رغم أنّه قد (ضيّق) العرض البصري من «ممالك العالم» «τας βασιλειας του κοσμου» (متّى ٤/٨) إلى «الممالك التي يسكنها البشر» «τας βασιλειας της οικουμενης» (لوقا ٤/٥).. !!

أن تكون الأرض مسطّحة .. ولاحظ عبارة «عالٍ جدًا» «υψηλον λιαν» للدلالة على أنّ المقصود هو العلو المادي الحقيقي الذي يمكّن صاحبه من أن يطلّ على جميع الأرض!

* «وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي: رأيت وإذا بشجرة منتصبة في **وسط الأرض** ذات **ارتفاع عظيم**، وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، **وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض**.» (دانيال ٤/١٠-١١) .. ورد في هذه الرؤيا أن شجرة كانت في وسط الأرض(!) ولعظم علوها؛ فقد أطلت على جميع الأرض، حتّى أطرافها، ولا يمنع كونها رؤيا منامية، عكسها لتصوّر بدائيّ لشكل الأرض عند كاتب/محرّر/معدّل سفر دانيال!!

- صرح الكتاب المقدس أن للأرض أطرافًا:

* «يا رب عزي وحصني وملجإي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من **أطراف** الأرض ...» (إرمياء ١٦/١٩)

* «ليمسك **بأطراف** الأرض فينفض الأشرار منها؟» (أيوب ٣٨/١٣) (الفاندايك)

* «تحت كل السماوات يطلقها كذا نوره إلى **أطراف** الأرض.» (أيوب ٣٧/٣) .. أَكُرَةٌ ذات أطراف؟![١٣٤٩]

[١٣٤٩] جاء الحديث في القرآن الكريم عن أطراف الأرض: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَاب وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار}(سورة الرعد/ الآيتان٤١-٤٢)، و{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُون}(سورة الأنبياء/ ٤٤) .. والسياق هنا قاطع في دلالته على أطراف (حواشي) الأرض التي يُمَكَّن فيها أهل الباطل، وأنّها تنقص؛ لاستمرار أهل الكفر في الانحراف عن صراط الحقّ؛ قال «الزمخشري»: «ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام.» (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٤/١٤٧)، وقال «سيد قطب»: «إن يد الله القوية لبادية الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم القوية الغنية - حين تبطر وتكفر وتفسد - فتنقص من قوتها وتنقص من ثرائها وتنقص من قدرها؛ وتحصرها في رقعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه، ولا بد له من النفاذ» (في ظلال القرآن،

لقد جاءت ترجمة الفولجات دقيقة في ضبط معنى النصّ العبري: «extremis» و«extrema» و«terminos» في الدلالة على الحدود القصوى للأرض التي تمثّل أطرافها!

- صرح الكتاب المقدس أن للأرض أركانًا أربعة:

«وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة **أطراف** الأرض» (إشعياء ١٢/١١) [١٣٥٠] .. ثبوت الأطراف الأربعة؛ يثبت هندسيًا الزوايا الأربع!

«وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع **زوايا** الأرض، ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما.» (رؤيا ١/٧) (الفانددايك)

«فيخرج ليضلل الأمم في **زوايا** الأرض الأربع، جوج ومأجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدًا كرمل البحر!» (رؤيا ٨/٢٠) .. كيف تكون الكرة بأطراف أو زوايا؟!!

وقد شنّع قديس الكنيسة «يوحنا ذهبي الفم» [١٣٥١] في تعليقه على الرسالة إلى العبرانيين ١/٨ على القائلين بكروية الأرض، بقوله: «أين هؤلاء الذين يقولون إنّ السماء تدور من حولنا؟ أين هؤلاء

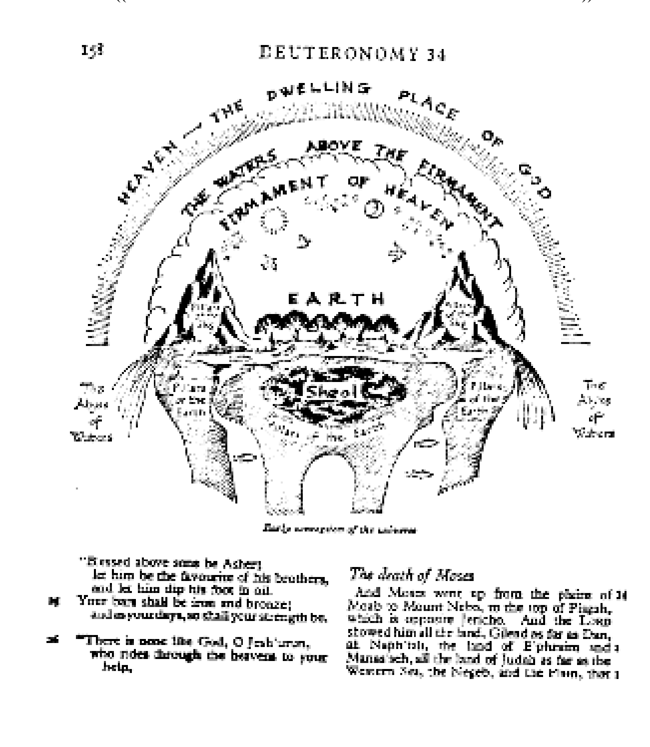
القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ط٣٤، ٢٠٦٥/٤).. وقال «ابن الأعرابي» : الطَّرَف والطَّرْف الرجل الكريم. قال «القشيري»: وعلى هذا فالأطراف الأشراف. (أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٣٨٩/٥) .. فإذا قلنا إنّ «أطراف» في الآيتين تعني «حواشي الشيء»؛ يكون المعنى بدلالة السياق: نقصان أرض الكفر، وأمّا إن فهمت كلمة «أطراف» بمعنى «أشراف الناس»؛ كان المعنى هو : هلاك الأشراف .. فليست هناك صلة سياقيّة بين «الأطراف» وحدود الأرض كشكل هندسي مسطّح له نهايات جانبيّة!

[١٣٥٠] اختارت الكثير من الترجمات الإنجليزية كلمة «corners» «زوايا» كـ: « *The King James Version* » و« *The English Standard Version* » و« *The Darby Translation* » و« *The American Standard Version* » و« *The Amplified Bible* » وهو نفس ما اختارته الترجمة الفرنسية « *La Bible de Semeur* » باعتمادها كلمة: «coins» ...

[١٣٥١] يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧م-٤٠٧م): رئيس أساقفة القسطنطينية. من أبرز اللاهوتيين النصارى الأوائل. يعتبر من أهم قدّيسي الكنيسة الأرثوذكسيّة، كما أنّه من المراجع الكبرى للكنيسة الكاثوليكيّة. لقّب بـ«ذهبي الفم» لبلاغته في مواعظه وخطبه.

الذين يعلنون أنّها كروية؟ **هاتان الفكرتان قد هزمتا هاهنا!**» « Ποῦ τοίνυν εἰσὶν οἱ λέγοντες δινεῖσθαι τὸν οὐρανόν; ποῦ εἰσιν οἱ σφαιροειδῆ αὐτὸν εἶναι ἀποφαινόμενοι; ἀμφότερα γὰρ ταῦτα ἀνῄρηται ἐνταῦθα»[١٣٥٢]

صورة الكون كما هي متصوّرة في الكتاب المقدس، كما وردت في ترجمة «*The Revised Standard Version*»[١٣٥٣]



شكل الكون حسبما جاء في الكتاب المقدس

[١٣٥٢] John Chrysostom, '*Homily xiv on Hebrews*,' in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, New York: The Christian Literature Company, 1890, 14/433

[١٣٥٣] نقله, أحمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ص ٢١٣

جاء التصريح في المقابل بكروية الأرض في القرآن الكريم، ودلّت السنّة الشريفة على نفس الأمر، وأجمع أهل الإسلام منذ القرون الأولى على هذه الحقيقة؛ يقول شيخ الإسلام «ابن تيمية»: «ثبت **بالكتاب والسنة وإجماع** علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾[1354]، وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1355]، وقال تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1356].

قال «ابن عباس»: في فلكة مثل فلكة المغزل. وهكذا هو في لسان العرب: الفلك الشيء المستدير، ومنه يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، قال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾[1357]، والتكوير: هو التدوير، ومنه قيل: كار العمامة، وكورها إذا أدارها، ومنه قيل للكرة كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك: كروية الشكل (...) وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال: «ويحك! إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إن شأنه أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا» وقال بيده مثل القبة: «وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه». رواه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن»؛ فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة المستديرة، فأما المربع ونحوه؛ فليس أوسطه أعلاه، بل هو متساوٍ.»[1358]

وسئل رحمه الله عن رجلين تنازعا في (كيفية السماء والأرض) هل هما (جسمان كريان)؟ فقال أحدهما كريان، وأنكر الآخر هذه المقالة وقال: ليس لها أصل وردها فما الصواب؟ فأجاب: «السموات

[1354] سورة فصّلت/ الآية (٣٧)

[1355] سورة الأنبياء / الآية (٣٣)

[1356] سورة يس/ الآية (٤٠)

[1357] سورة الزمر/ الآية (٥)

[1358] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ١٩٣/٢٥-١٩٤

مستديرة عند علماء المسلمين، وقد **حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام**: مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائة مصنف، وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي ، **وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين،** وذكروا ذلك من **كتاب الله وسنة** رسوله، وبسطوا القول في ذلك **بالدلائل السمعية**، وإن كان قد أقيم على ذلك أيضًا دلائل حسابية.»[١٣٥٩]

أعمدة السماء

تعتبر الجبال في الكتاب المقدس أعمدة تحمل قبّة السماء حتى لا تقع على الأرض كما هو ظاهر في الصورة السابقة التي أوردتها ترجمة «*The Revised Standard Version*»، وهو نفس الاعتقاد الذي كان شائعًا في الأدبيات المصريّة القديمة والأكاديّة واليونانيّة ...[١٣٦٠] أهمّ النصوص الكتابيّة الدالة على هذا الأمر ما جاء في سفر أيوب ١١/٢٦: «من زجره ترتعش أعمدة السماء وترتعد من تقريعه.»، يقول التعليق على الكتاب المقدس « *Eerdmans Commentary on the Bible*» في هذا النص: «أعمدة السماء في العدد ١١ هي الجبال التي تحمل السماء.»[١٣٦١].

لا نجد البتّة في القرآن الكريم حديثًا عن دور الجبال في إمساك السماء، رغم وفرة الآيات التي تصف الجبال ووظائفها، وإنّما نجد في القرآن الكريم نفيًا لوجود أعمدة ماديّة تمسك السماء:

[١٣٥٩] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٨٦/٦

[١٣٦٠] انظر التفصيل:

http://www.bibleandscience.com/bible/books/genesis/genesis١_pillars heaven.htm (١/٥/٢٠١٠)

[١٣٦١] James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. *Eerdmans Commentary on the Bible*, Michigan: W.B. Eerdmans, ٢٠٠٣, p.٣٤٨

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [1362]، لقد جمعت هذه الآية بين حقيقتين تهدمان خرافة الكتاب المقدس:

الأولى: غياب أعمدة من الممكن أن تبصرها العين، تمسك السماء.

الثانيّة: أنّ وظيفة الجبال هي تثبيت الأرض لا إمساك السماء.

الأرض الثابتة:

جاء في مزمور ٩٣/١: «الرب قد ملك مرتديًا الجلال. متنطقًا بحزام القوة. الأرض تثبتت فلن تتزعزع.»

مزمور ١٠٤/٥: «المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد.»

أخبار الأيام الأوّل ١٦/٣٠: «ارتعدي أمامه ياكل الأرض، هوذا الأرض قد استقرت ثابتة.»

قرّرت النصوص السابقة أنّ الأرض ثابتة لا تتحرك، في حين جاء النص القرآني في إثبات أنّ كلّ شيء يسير في خط متفلّك (دائري)؛ قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [1363].

تثبت هذه الآية أنّ الأرض متحركة غير جامدة من أوجه:

أولاً: الليل والنهار هنا ظرفا زمان، كناية عن ظرف المكان وهو (الأرض)؛ إذ إنّ الليل والنهار لا يتحركان في خط دائري، وإطلاق الظرف وإرادة المحل والمكان من معهود القرآن الكريم ولغة العرب.

[1362] سورة لقمان / الآية (١٠)

[1363] سورة الأنبياء / الآية (٣٣)

ثانيا: جاء الفعل في صيغة الجمع (يسبحون)؛ بما يؤكد أن مُتعلَّقه جَمْعٌ؛ وهو: الشمس+القمر+ ما دلّ عليها الليل والنهار؛ وهو الأرض.

ثالثا: استعمال لفظ «خلق» لا «جعل» في الحديث عن (الليل) و(النهار) رغم أنهما عرض لا جوهر؛ بما يؤكد أنّ المعنى المقصود هو الأرض المتحركة التي يصدق عليها لفظ الخلق.

الجبال

يقرّر الكتاب المقدس أنّ الأرض قائمة على جبال تحملها من تحتها؛ فقد جاء في ١ صموئيل ٨/٢: «ينهض المسكين من التراب، ويرفع البائس من كومة الرماد، ليجلسه مع النبلاء، ويملكه عرش المجد، لأن للرب **أساسات الأرض التي أرسى عليها المسكونة**.»

ولما وصف النبي «يونان» غرقه قال: «قَدِ اكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى **أَسَافِلِ** الْجِبَالِ. مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي.» (يونان ٢/٥-٦) .. لقد وجد «يونان» نفسه تحت «أسافل» «**קצבים**» «قصبيم»—جمع «قاع» «أسفل» «**קצב**» «قصب»[١٣٦٤] – الجبال؛ فالجبال هي مجرّد نتوء على وجه الأرض، وبإمكان المرء أن يرى قاع الجبل من البحر، إذ الأرض قائمة على المياه؛ فقد جاء في مزمور ٦/١٣٦: «الباسط الأرض فوق المياه، لأن رحمته إلى الأبد تدوم.» ومزمور ٢٤/١-٢: «للرب الأرض وكل ما فيها. له العالم، وجميع الساكنين فيه؛ لأنه هو أسس الأرض على البحار، وثبتها على الأنهار.»

وقد علّق الناقد «جوليوس أ. بور» «Julius A. Bewer»[١٣٦٥] على نصّ يونان ٦/٢ بقوله: «**اعتقد اليهود أنّ الأرض مؤسّسة على محيط مائي أسفلها، المزمور ٢/٢٤، وأنّ**

[١٣٦٤] عرّفها المعجمي «ويليم جزنيوس» في هذا السياق بر«نهاية» «أسفل» (William Gesenius, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament*, tr. Edward Robinson, (ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, ١٩٠٧, p.٨٩١

[١٣٦٥] جوليوس أ. بور : أستاذ الفيلولوجيا الكتابيّة في «*Union Theological Seminary*» بنيويورك.

نهايات الجبال، أعمدة الأرض، تمتد عمقًا إلى الأسس. انظر مزمور ١٦/١٨.»[١٣٦٦]

الجبال في القرآن الكريم ليست أعمدة للسماء، وإنّما هي تمسك الأرض حتى لا تضطرب أو تميد:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادً وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[١٣٦٧]

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُون ﴾[١٣٦٨]

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون ﴾[١٣٦٩]

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور ﴾[١٣٧٠]

وهنا:

(١) وصف القرآن الكريم الجبال أنّها مثل الوتد، وهو قطعة من الخشب أو الحديد تغرز في الأرض لتشدّ الخيمة، ويكون جزؤها الأكبر مخفيًا تحت الأرض.

(٢) بيّن القرآن الكريم وظيفتها وهي حفظ الأرض من أن تميد.

(٣) أظهر القرآن الكريم أنّ باطن الأرض يحمل طبيعة مضطربة غير ساكنة.

يشهد العلم الحديث اليوم على دقّة هذه الأوصاف الثلاثة[١٣٧١] التي لم تعرف إلا منذ بضعة عقود بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين.[١٣٧٢]

[١٣٦٦] Julius A. Bewer, *A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah*, *A Critical and Exegetical Commentary on Jonah*, New York: Charles Scribner, ١٩١٢, p.٤٦

[١٣٦٧] سورة النبأ/ الآيتان (٦-٧)

[١٣٦٨] سورة النحل/ الآية (١٥)

[١٣٦٩] سورة الأنبياء/ الآية (٣١)

[١٣٧٠] سورة الملك/ الآية (١٦)

جاء في سفر أيوب ٢٦/٨: «يصرّ المياه في سحبه فلا يتخرق الغيم تحتها.»

جاء في شرح هذا النص في التعليق على الكتاب المقدس « *Eerdmans Commentary on the Bible*»: «اعتبرت السحب هنا كالسقاء (waterskin) الذي يحمل في داخله الماء، وبصورة خارقة لم يتمزّق.»[١٣٧٣] فالسحب عند كاتب هذا السفر تختزن الماء في داخلها كما يختزن السقاء المصنوع من جلد الحيوانات الماء، ثم تحمله إلى مسافات بعيدة دون أن يسقط منه شيء، بصورة معجزة .. !

ويؤكد الحبر اليهودي العَلَم «راشي» هذا المعنى في تعليقه على هذا النص بقوله عن الغيم إنّه لا يتمزّق «أبدًا حتّى ينزل ماؤه جميعًا مع بعض.» «**מעולם שיפלו מימיו ביחד**».

في مقابل هذا التصوّر البدائي الساذج لطبيعة السحب، يقرر القرآن الكريم أنّ السحب تُنزل الماء مباشرة بعد تكوّنه فيها، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ

[١٣٧١] وظيفة الجبال في حفظ الأرض من أن تميد قال بها العالم الأمريكي «فرنك برس» «Frank Press» الرئيس السابق للأكاديميّة الأمريكيّة للعلوم، في كتابه «أرض» «Earth» الذي هو من الكتب المقررة في عدد من جامعات العالم في دراسة الجيولوجيا (انظر؛ Frank Press, and Raymond Siever, *Earth*, ٣rd ed. San Francisco: W. H. Freeman & Company, ١٩٨٢)، ولم يشع بعدُ القول بهذا الأمر بين المتخصصين في الجيولوجيا.

[١٣٧٢] انظر؛ Z. R. El-Naggar, *the Geological Concept of Mountains in the Qur'an*, Cairo: Al-Falah Foundation, ١٤٢٤/٢٠٠٣ ، زغلول النجار، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرض، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٢٠١-٢١٥

[١٣٧٣] James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. *Eerdmans Commentary on the Bible*, Michigan: W.B. Eerdmans, ٢٠٠٣, p.٣٤٨

مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَار﴾ [١٣٧٤]. يكشف استعمال حرف الفاء الذي يدل على التعاقب السريع، أنّه ما إن تتراكم السحب وتصبح ذات طبيعة ماطرة حتى ينزل (الودق) أي المطر! [١٣٧٥]

نشأة اللغات

يفسّر الكتاب المقدّس تعدد لغات البشر، تفسيرًا خرافيًا بقوله: «وَكَانَ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ أَوَّلًا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَرْقًا وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضِ شِنْعَارَ فَاسْتَوْطَنُوا هُنَاكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَيَّا نَصْنَعُ طُوبًا مَشْوِيًّا أَحْسَنَ شَيٍّ». فَاسْتَبْدَلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطِّينَ بِالزِّفْتِ. ثُمَّ قَالُوا: «هَيَّا نُشَيِّدْ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا يَبْلُغُ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، فَنُخَلِّدَ لَنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَشَتَّتَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ كُلِّهَا.». وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا. فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطِقُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذًا عَلَيْهِمْ أَيُّ شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِهِ .هَيَّا نَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلْبِلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لاَ يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلامَ بَعْضٍ». وَهَكَذَا شَتَّتَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَكَفُّوا عَنْ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ بَلْبَلَ لِسَانَ أَهْلِ كُلِّ الأَرْضِ، وَبِالتَّالِي شَتَّتَهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ كُلِّهَا.» (تكوين ١١/١-٩)

وهنا:

- تصوّر شنيع لصفات الخالق سبحانه: تظهر هذه القصّة الخرافيّة الإله المعبود في مقام من يخشى أن يبلغ خلقه مرتبته في القوّة والسلطان إن اجتمعوا واتّحدوا وقَوِيت بيضتهم .. وهذا

[١٣٧٤] سورة النور/ الآية (٤٣)

[١٣٧٥] قال الشيخ المفسّر «ابن عاشور»: «وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة.» (التحرير والتنوير، ٩/٢٦١)

تصوّر منكَر للألوهيّة قريب ممّا كان يرد في الأساطير اليونانيّة والشرقيّة حيث الحسد والصراع بين الآلهة فيما بينها، أو بين الآلهة والبشر!

- الفهم الخاطئ لمعنى اسم مدينة «بابل»: كلمة «بابل» «**בבל**» ليست من «بالل» «**בלל**» العبريّة –التي هي اختزال لكلمة «بلبل» «**בלבל**» العبريّة[١٣٧٦] – بمعنى «بلبل» و«مزج»، وإنّما هي تعني «باب إل» أي «باب الربّ»؛ وكما يقول «جرهارد فون راد» «Gerhard Von Rad»: «هذا التفسير لكلمة «بابل» هو بداهة لا معنى له إتيمولوجيًا، إنّه **اختلاق شعبي**؛ إذ إنّ بابل تعني «باب الله» »[١٣٧٧]، وقد كان الاسم في الأكاديّة «باب إلو» بنفس المعنى السابق، قبل أن يسيء مؤلّف سفر التكوين فهمه، أو يزيّف معناه![١٣٧٨]

يقول د. «حسن ظاظا»[١٣٧٩]: «وقد **اتفق كل** الباحثين المحدثين، في أوروبا المسيحيّة، وفي الأوساط اليهوديّة المستنيرة، على اعتبار هذه القصّة **أسطورة شعبيّة** لا تحكي واقعًا تاريخيًا بقدر ما تلتمس تعليلًا فنيًا لاختلاف الألسنة واللغات. فالسير جيمس جورج فريزر يفرد لها فصلًا كاملًا في كتابه الكبير «الفلكلور في العهد القديم»، فيتتبع بالنقد والتحليل تطور هذه الأسطورة منذ الوثنيات القديمة، ويقول: إن العلاقة اللغوية بين أمم بابل وبين بلبلة الألسن ليست إلا من الخيال الشعبي، إذ إن الثابت علميًا أن كلمة بابل أصلها في اللغة البابلية نفسها «باب– إلو»، ومعناها باب الله، أو باب الآلهة؛ لأنّ بابل كانت مدينة مقدسة، وكان سكان العراق القديم يحجون إلى

[١٣٧٦] انظر؛ George James Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, Oxford: Clarendon Press, ١٨٨٧, p.١١٨

[١٣٧٧] Gerhard Von Rad, *Genesis: A Commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, ١٩٧٢, ٣rd edition, p. ١٥٠

[١٣٧٨] انظر؛ William Ricketts Cooper, *An Archaic Dictionary*, London : S. Bagster and Sons, ١٨٧٦ , p.١١٦

[١٣٧٩] حسن ظاظا (١٤٢٠ -١٣٣٧هـ ، ١٩١٩– ١٩٩٩م): من أعلام المتخصصين العرب في الدراسات اليهوديّة. حصل على الماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي من الجامعة العبرية بالقدس في فلسطين، ودكتوراه الدولة من جامعة السربون. له عدد من الكتب والمقالات في اليهوديّة واللغات ونشأتها.

معبدها الكبير؛ ولأن المعبد البابلي كان يتميز دائمًا ببرج ضخم مرتفع مبني في صحنه يسمى «زقورة» أو «زجورة»، ظن القدامى من الآراميين واليهود أن هذا البرج شيده الكفار تحديًا لله أو —كما ينقل عنهم فريزر– إنهم اعتقدوا أن بإمكانهم، من هذا البرج، أن يصوّبوا السهام والحراب التي تنطلق نحو السماء فتدمر مملكة الله العليا. وقد حكوا في ذلك خرافات نقلها فريزر عن لويس جنزبرج في كتابه «أساطير اليهود»: منها أنهم زعموا أن بعض هذه السهام كان إذا أطلق نحو السماء عاد إلى الأرض مخضبًا بالدم. ومنها أن هؤلاء الكفار من سكان بابل كانوا يريدون أن يصل ارتفاع البرج إلى السماء ليضعوا أصنامهم مكان الله. ومنها أن برج بابل عندما تهدم غاص ثلثه في باطن الأرض، واحترق ثلث آخر بالنار، وبقي الثلث الأخير خرابًا، ومع ذلك فإن مكانه– كما زعموا– ما يزال محتفظًا بسر المعجزة، فكل من يمر عليه يفقد ذاكرته تمامًا وينسى كل شيء يعرفه. ومما لا شك فيه أن كل هذه الأساطير كان يبررها شيء واحد، هو غرابة هذه الصروح المعمارية البابلية الدينية في نظر أولئك البدو من الآراميين والعبريين، فربطوا ذلك بمحاولة تفسير تنوع اللغات الذي كان يبدو لهم غير متفق مع كون الجنس البشري كله يرجع إلى أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء. فإذا ما انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا المسألة تأخذ أبعادًا فكرية أكثر اتساعًا.»[١٣٨٠]

أمّا القرآن الكريم، فلا يتابع الكتاب المقدّس في شيء ممّا سبق، وإنّما يسوق أمر تعدد لغات الناس سَوق المنّ على البشر وإظهار فضل الله عليهم؛ بما ينفي بصورة تامة التفسير التوراتي الساذج؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[١٣٨١] .. فتعدّد اللغات آية من آيات عظمة الخالق سبحانه .. وكفى .. وليس مظهرًا من مظاهر صراع الربّ مع البشر (!) وخوفه من اجتماعهم ضدّه!!

[١٣٨٠] حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٤٧–٤٨

[١٣٨١] سورة الروم/ الآية (٢٢)

مراحل خلق الجنين:

جاء في سفر الحكمة[١٣٨٢] ٢/٧: «وفي مدة عشرة أشهر تكونت في الدم من زرع رجل ومن اللذة التي تصاحب النوم.»

نقل هذا النص ما قرّره الطب اليوناني الأرسطي من أنّ الجنين ينشأ من دم الحيض، وهي النظريّة التي هيمنت على الفكر اليهودي والنصراني منذ زمن مبكّر وحتى قرون قريبة.

وجاء في سفر أيوب ١٠/٩-١١: «اذكر أنك جبلتني من طين، أترجعني بعد إلى التراب؟ ألم تصبّني كاللبن وتخثرني كالجبن؟ كسوتني جلدًا ولحمًا، فنسجتني بعظام وعصب.»

هذا هو النصّ المفضّل عند آباء الكنيسة لشرح تكوّن الجنين[١٣٨٣]، وقد لخّص الناقد «نورمن هابل» «Norman Habel»[١٣٨٤] معناه بقوله: «شُكّل الجنين من الطين، صُبّ المني كالحليب، وجُمّد كالجبن، كسي بالجلد واللحم، وأخيرًا نُسِج بالعظام والأعصاب.»[١٣٨٥]

في هذا النص مجموعة أخطاء علميّة:

أولًا: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكون فقط من مني الرجل الذي يُصب في الرحم، وليس لنطفة المرأة دور هاهنا.

ثانيًا: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن من كامل المنيّ الذي يقذفه الرجل.

[١٣٨٢] سفر الحكمة: يؤمن بقداسته النصارى الكاثوليك والنصارى الأرثوذكس

[١٣٨٣] انظر هامش: *Ante Nicene Fathers*, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٧, ٣/٥٣٨

[١٣٨٤] نورمن هابل (ولد سنة ١٩٦٤م): أستاذ في جامعة جنوب أستراليا، محرّر كتاب (*The Earth Bible*).

[١٣٨٥] Norman Habel, *The Book of Job: a commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, ١٩٨٥, p.١١٩

ثالثًا: يُفهم من المعنى الحرفي لهذا الحديث أنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة.

وقد علّق الكثير من النقّاد على هذا النص بقولهم إنّ المقصود هو أنّ مني الرجل عندما يلتقي بدم الحيض عند المرأة يحوله إلى كيان صلب متخثّر، ويشهد على ذلك النص السابق من سفر الحكمة ٧/٢، وهو المعنى الطبي الذي كان سائدًا في البيئة التي كتب فيها هذا السفر؛ ولذلك جاء تعليق ترجمة أورشليم للكتاب المقدس على هذا النص –وقد تبنّته ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة–: «كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع»[١٣٨٦] «*La* science médicale antique se représentait la formation de l'embryon comme une coagulation du sang maternel sous l'influence de l'élément séminal»[١٣٨٧].

وقد أكّد «ترتليان»[١٣٨٨] هذا المعنى بقوله في كتابه «حول جسد المسيح» «*De Carne Christi*»: «Sed materiam seminis، quam constat sanguinis esse t colorem، ut despumatione mutatum in coagulum sanguinis feminae»[١٣٨٩] أي أنّ الزرع الذي يتكوّن منه الجنين ليس إلاّ دمًا ولونًا، ويتخثّر هذا الدم بفعل منيّ الرجل.

رابعًا: يُفهم من هذا النص أنّ المنيّ المتجّمد أو الدم المتجمّد يتحول إلى الهيئة الأولى للجنين.

[١٣٨٦] ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة، ص١٠٦٥

[١٣٨٧] *La Bible de Jerusalem*, Éditions du Cerf, ١٩٧٣, p.٦٦٤

[١٣٨٨] ترتليان: (١٦٠م–٢٢٠م) من أوائل اللاهوتيين النصارى. عرف باهتمامه بالدفاع عن النصرانية والردّ على من اعتبرهم «هراطقة». يعتبر أحد المراجع اللاهوتية الكبرى للكنائس التقليديّة. يلقّبه الكثير من أعلام النصارى الأرثودكس المصريين بـ«العلاّمة».

[١٣٨٩] *De Carne Christi*. ١٩. ٣

خامسًا: يُفهم من هذا النص أنّ تلك الكتلة تكسى أولًا بالجلد واللحم.

سادسًا: يفهم من هذا النص أنّه بعد تكوّن الجلد واللحم (يُنسج) الرضيع بالعظام والأعصاب.

هذا النص في الحقيقة ليس إلاّ تكرارًا لما قاله «أرسطو» في كتابه «حول ولادة الحيوانات» « Περι ζώων γενέσεως»

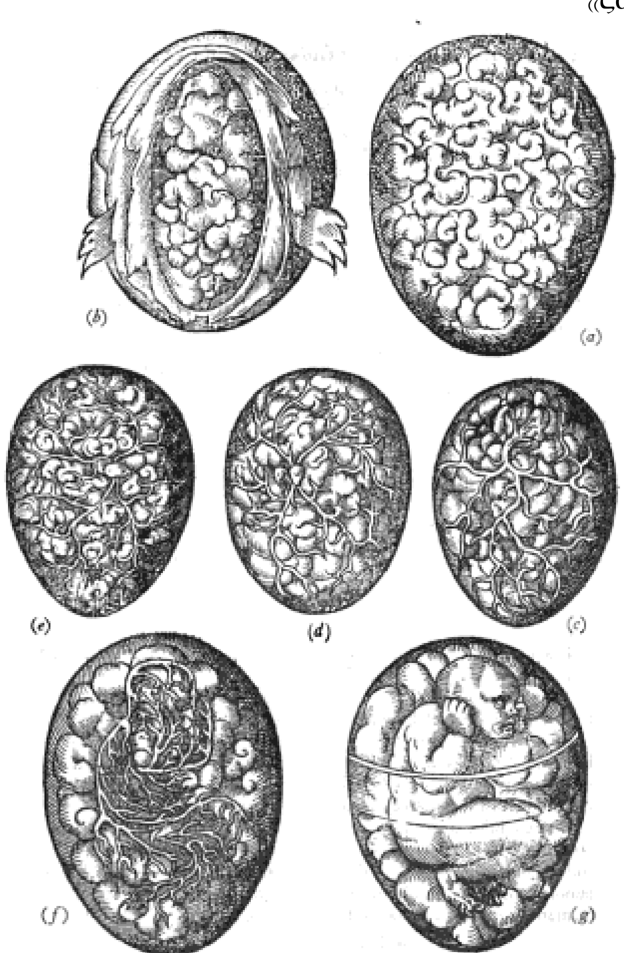


Fig. 15. Illustrations from Jacob Rueff's *De Conceptu et Generatione Hominis* of 1554 (arranged by Singer) showing the Aristotelian coagulum of blood and seed in the uterus.

صورة من كتاب من القرن السادس عشر توضح مراحل تكون الجنين من دم الحيض

في المقابل:

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [١٣٩٠]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ [١٣٩١]

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ [١٣٩٢]

قال رسول الله ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد.» [١٣٩٣]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٣٩٤]

النصوص السابقة، تخالف منصوص الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما توصّل إليه العلم وثبت بالعين الباصرة:

أولاً: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكوّن من اختلاط مني الرجل بنطفة المرأة، وليس لدم المرأة دور في الولادة، والقرآن والسنّة قاطعان هنا في مخالفة التصوّر الأرسطي/التوراتي، وقد قال

١٣٩٠ سورة الإنسان/ الآية (٢)

١٣٩١ سورة السجدة / الآية (٨)

١٣٩٢ سورة القيامة / الآية (٣٧)

١٣٩٣ رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ح/١٤٣٨

١٣٩٤ سورة المؤمنون / الآيات (١٢-١٤)

الإمام «ابن حجر»: «وزعم كثير من أهل التشريح أنّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلاّ في عقده، وأنّه إنّما يتكوّن من دم الحيض، وأحاديث الباب (أي الموضوع) تُبطل ذلك».[١٣٩٥]

ثانيًا: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكون من جزء ضئيل من مني الرجل الذي يشارك نطفة المرأة عمليّة التكوين؛ فهو جزء صغير مستخلص (سلالة) من ماء الرجل.

ثالثًا: يفهم من هذه النصوص أنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلقة) التي تعني: (١) قطعة الدم المتجمّدة، وهي أيضًا (٢) (علقة) لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها (٣) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

رابعًا: يفهم من هذه النصوص أنّ العلقة تتحوّل إلى مضغة حيث تتحوّل (العلقة) إلى ما يشبه قطعة لحم ممضوغ عليها طبعات الأسنان.

خامسًا: يفهم من هذه النصوص أنّ العظام تتكوّن قبل اللحم.

سادسًا: يفهم من هذه النصوص من خلال استعمال حرف (الفاء) الذي يفيد التعاقب السريع أنّ المراحل السابقة تتم في أوقات متقاربة. وأنّ مرحلة الانتقال إلى الخلق القريب من مرحلة الوضع تستغرق وقتًا أطول، بدلالة حرف (ثمّ) الذي يفيد الترتيب مع التراخي.

وقد شهد لإعجاز الآيات السابقة العديد من علماء الأجنة من غير المسلمين، ومن أهمهم «كيث مور» «Keith Moore» الذي يعد اليوم من أئمة علم الأجنة في الغرب، وهو ليس بمسلم، ويقدّم شهادته من منطلق الإقرار العلمي البحت، وصرّح بحقيقة الإعجاز القرآني في كتابه الأكاديمي الذي اعتُمد كمقرر في جامعات غربيّة تدرّس الطب: «الإنسان المتطوّر» «*The Developing Human*» (١٩٨٨م) حيث قال بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهندوس واليونان وفي التلمود: «لقد كان تطور العلوم التطبيقة بطيئًا في القرون الوسطى، ونحن نعلم القليل عن بعض النقاط الهامة المسجلة حول دراسات علم الأجنة في تلك الفترة. ولقد

[١٣٩٥] ابن حجر، فتح الباري، ١١/٤٨٠

ذُكر في القرآن (في القرن السابع الميلادي)، كتاب المسلمين المقدس، أنّ الإنسان يخلق من أمشاج إفرازي الذكر والأنثى. وردت عدة إحالات إلى خلق الإنسان من "نطفة". كما قرّرت أن الخلايا الناتجة تستقر في الرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمّت الإشارة أيضًا إلى أنّ شكل الجنين في الطور المبكّر يشبه العلقة. وبعد ذلك ذكر بأن الجنين يُشبه الشيء الممضوغ.» « Growth of science was slow during the medieval period and few high points of embryologic investigation undertaken during this time are known to us. It is cited in the Quran (seventh century AD) the Holy Book of the Muslims that human beings are produced from a mixture of secretions from the male and female. Several references are made to the creation of a human being from a *nutfa* (small drop). It also states that the resulting organism settles in the womb like a seed ٦ days after its beginning. Reference is also made to the leechlike appearance of the early embryo. Later the embryo is said to resemble a "chewed substance"» [١٣٩٦].

وكان قد كتب في مقدمة هذا الكتاب (طبعة ١٩٨٢م): «أذهلتني دقة التقريرات المسجّلة في القرن السابع بعد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة. ومع أني كنت على وعي بتاريخ علماء المسلمين العظيم في القرن العاشر، وبعض ما قدموه لعلم الطب، لم أكن على علم البتة بالحقائق الدينية والمعتقدات الواردة في القرآن والسنة. ومن المهم أن يتعلم الطلبة المسلمون وغيرهم معاني العبارات القرآنية حول تطور نشوء الإنسان، بناءً على المعرفة العلمية المعاصرة.»

« I was astonished by the accuracy of the statement that were recorded in the ٧th century AD before the science of embryology was established. Although I was aware of the glorious history of Muslim scientists in the ١٠th century AD and of some of their contributions to medicine, I knew nothing about the religious facts and beliefs contained in the Qur'an and Sunnah. It is important for Islamic and other students to understand the meaning of these Qur'anic

---

[١٣٩٦] Keith Moore, *The Developing Human: clinically oriented embryology*, Philadelphia: Saunders, ١٩٨٨ , p.٨

based on current scientific ،statements about human development knowledge»[١٣٩٧]

وصرّح في المؤتمر الطبي الذي عقد في «الدّمام» سنة ١٩٨١م: «إنه لشرف عظيم لي أن أساعد في شرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري. ومن الواضح لدي بأن التقريرات القرآنيّة **قد بلغت - قطعًا- محمداً من الله**؛ وذلك لأن كل تلك العلوم –تقريبًا- لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك. وهذا يثبت لي أنّ محمدًا هو قطعًا رسول من الله». وأثناء فترة الأسئلة سئل «مور»: «هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟»؛ فأجاب: «لا أجد إشكالًا في قبول ذلك».».[١٣٩٨]

في الخمر شفاء:

قال «بولس» في رسالته الأولى إلى «تيموثاوس» ٢٣/٥: «لا تشرب الماء فقط بعد الآن. وإنما خذ قليلا من الخمر مداويًا معدتك وأمراضك التي تعاودك كثيرا»

هذا قول لا سند له من علم، فإنّ للخمر أضرارًا كثيرة جدًا متلفة للبنيان الجسدي للإنسان، فضلًا عما تحدثه في أخلاقه وسلوكه من فساد، سواء أكان الشرب بكميات كبيرة أو صغيرة![١٣٩٩]

وقد جاء النص القرآني في تبشيع الخمر وتقبيحه قبح الميسر وعبادة الأصنام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

[١٣٩٧] المصدر السابق، طبعة ١٩٨١م، ص ١٠ (نقله؛ Muzaffar Iqbal, *Science and Islam*, (CT: Greenwood Publishing Group, ٢٠٠٧, p.١٦٣

[١٣٩٨] Muzaffar Iqbal, *Science and Islam*, p.١٦٤

[١٣٩٩] انظر الدراسة العلميّة الشرعيّة؛ محمد علي البار، الخمر بين الطب والفقه، جده: الدار السعودية.

تفلحُون﴾ [١٤٠٠]، وجاء الحديث النبوي الشريف حاسمًا في قوله: «إنه ليس بدواء ولكنّه داء.» [١٤٠١]، وأنّ «ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام.» [١٤٠٢]

النوم بسبب التهيج النفسي:

جاء في إنجيل لوقا ٢٢/٤٥ في الحديث عن الفترة السابقة مباشرة للقبض على المسيح، وقد كان فيها المسيح وتلاميذه في حالة خوف؛ لأنهم يرقبون محنة قادمة: «ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ، فوجدهم نائمين من الحزن.» .. تعليلُ إنجيل لوقا للنوم السريع [١٤٠٣] بـ«من الحزن» «απο της λυπης» (أبو تيس لوبيس)، خطأ علمي جلي؛ إذ إنّ الإنسان عند الخوف تفرز عنده غدة الكظر –التي تقع فوق الكلية– هرمون الأدرينالين، مما يحدث عنده حالة تنبّه، لا استرخاء ونوم. [١٤٠٤]

في مقابل ذلك، نجد أنّ القرآن الكريم قد عدّ النوم عند الخوف معجزة؛ لأنّ الأصل عند الخوف هو التنبّه والرعب لا النوم والأمن؛ فجاءت المعجزة بذلك في غزوة بدر خارقة للمألوف، مصادمة للأصل الطبيعي؛ قال تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ

[١٤٠٠] سورة المائدة / الآية (٩٠)

[١٤٠١] رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر، ح/ (١٩٨٤)

[١٤٠٢] رواه الأربعة، وصححه ابن حبّان.

[١٤٠٣] ناموا في أقل من ساعة من وصولهم البستان (مرقس ١٤/٣٧)!!

[١٤٠٤] Gerard J. Tortora and Sandra Reynolds Grabowski, *Principles of Anatomy and Physiology*, HarperCollins College Publishers, ٧th ed, pp.٥١١, ٥١٢, ٥٥٧

أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام﴾ [1405]

قال الشيخ «الطاهر بن عاشور»: «فإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله لأنه الذي قدر أن يناموا **في وقت لا ينام في مثله الخائف**، ولا يكون عامًّا سائرَ الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لِفائِدتهم.» [1406]

[1405] سورة الأنفال/ الآيات ٩-١١

[1406] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٥/٢٧٨

قصة يوسف القرآنية ..
والاقتباس المزعوم!

لما كان المنصّرون وعامة المستشرقين يرون أنّ الاقتباس القرآني من أسفار أهل الكتاب يَظهر أساسًا في مجال القصص باعتباره يتضمن من المعلومات والأخبار ما لا يُعلم إلا بالنقل أو الوحي الإلهي الذي ينفيه القوم عن القرآن؛ فإننا سنعرض في الصفحات التاليّة مقارنة مباشرة بين قصّة «يوسف» عليه السلام في القرآن الكريم وما يوازيها في سفر التكوين اليهودي النصراني (الفصول٣٧، ٣٩ — ٥٠) كمثال حي نابض بالتفاصيل ودقائق المسائل التي تُبِين عن تهافت قول المخالفين من المنصّرين والمستشرقين.

لن نجول بعيدًا عن نصوص الفريقين، وإنّما سنناقش النصوص كما وردت بلفظها، وننظر في أحداثها وأقوال أبطالها؛ لنتبيّن الفارق بين الروايتين، ومدى الامكانية العقليّة والتاريخيّة للاقتباس..

وتكمن أهميّة اختيار قصّة يوسف؛ في أنها جاءت بتفصيل شديد في القرآن الكريم، بل واستوعبت سورة قرآنيّة طويلة، كما أنّ المنصّرين قد جعلوها عمدة دعواهم في أمر الاقتباس.

وقد صدرت عدّة دراسات استشراقيّة في دراسة سورة يوسف ومقارنتها بما جاء في التوراة وبقيّة الكتابات اليهوديّة القديمة، لكن لم تكن عامة هذه الأبحاث خالصة لهذا الموضوع، وإنما صدرت أساسًا ضمن مواضيع أكبر. وصدرت في المقابل بعض الدراسات الخاصة بهذا الموضوع عينًا، ومنها:

Shalom Goldman, The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore

وهي أطروحة دكتوراه قدّمت في جامعة نيويورك، سنة ١٩٨٦م

Marc Steven Bernstein, *The Story of our Master Joseph: Intertextuality in Judaism and Islam*

وهي أطروحة دكتوراه قدّمت في جامعة كالفورنيا، سنة ١٩٩٢م

D. Kuntzlinger, *Die Suratu Jusufa*, *Kedem*, ١٩٠٧

I. Shapiro, *Die Haggadischen Elements im erzahlenden Teil des Korans*, *Berlin: Itzkowski*, ١٩٠٧

Marilyn R. Waldman, *New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an*, in *The Muslim World*, January ١٩٨٥, V. ٧٥, N. ١

وهو مقال قيّم في إثبات الاختلافات الكبيرة بين النصّ القرآني والنص الكتابي في سرد قصّة «يوسف» عليه السلام؛ بما ينفي أن تكون القصّة القرآنيّة مأخوذة من الكتاب المقدس.

وحتى نيسّر على القارئ تبيّن أوجه الإعجاز والنقاء القرآني في سورة يوسف لينكشف ضلال القول بالاقتباس المزعوم؛ فإننا سنقارن بين الروايتين من عدة نواح:

- الاختلافات في تفاصيل القصّة.
- تصحيح القرآن الكريم لأخطاء الرواية التوراتيّة.
- تلافي القرآن الكريم لأخطاء الرواية التوراتيّة.
- خلو الرواية القرآنيّة من تناقضات الرواية التوراتيّة.
- ارتباط الرواية القرآنيّة بحقيقتي التوحيد وعصمة النبوّة، على خلاف الرواية التوراتيّة.
- موافقة القرآن الكريم للمنطق الروائي المقبول، على خلاف الرواية التوراتيّة.
- الاختلاف البارز في فلسفة القصّة وعظتها بين الرواية القرآنيّة والرواية التوراتيّة.

والناظر في هذه الاختلافات يرى بنور الحقّ تمايز المصادر بين القرآن الكريم والتوراة اليهودية–النصرانية .. ولعلّ التفصيل والبيان يزيلان غبش الشبهة عن بصيرة المعارض:[١٤٠٧]

أولا:

تبدو قصة يوسف التوراتية مجرّد فصول في رواية كبرى، تتابع أحداثها وتتلاحق أنفاسها دون أن تصعد بالقارئ إلى الحقيقة العليا والرسالة الكبرى التي أفنى الأنبياء أعمارهم في الدعوة إليها؛ ألا وهي حقيقة التوحيد ونبذ الشرك .. فغاية القصة التوراتيّة قد اختُزلت في انتصار طفل مظلوم على إخوته الذين جاروا عليه وقلبوا له مِجَنَّ الأخوّة ..

وفي المقابل، يشير القرآن بجلاء إلى أنّ التوحيد هو محور حياة الأنبياء وجوهر دعوتهم ووقود حركتهم؛ إذ تُظهر الآيات القرآنيّة «يوسف» عليه السلام وهو في قلب المحنة وأتون محرقة السجن، ينصرف بمجامع قلبه إلى السجينين اللذين كانا معه، بعدما كسب قلبيهما بتفسيره لرؤيا كل منهما، إلى دعوتهما إلى توحيد ربّ العبيد بأسلوب القدوة الحيّة والمثال النابض، لا بالكلمات الجامدة المنمّقة؛ فقال :

﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[١٤٠٨]

ثانيا:

طولُ الرواية التوراتيّة[١٤٠٩] لقصة «يوسف» وكثرة الأسماء والتفصيل الروائي، أفقداها جانب

[١٤٠٧] استفدت بصورة كبيرة من المقارنة القيّمة التي أجراها د. «محمد بيومي مهران» بين القصة القرآنية والقصة التوراتية «ليوسف» عليه السلام (انظر؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢/١٠٩– ١٣٢).

[١٤٠٨] سورة يوسف/ الآيات (٣٧ – ٤٠)

[١٤٠٩] يبلغ طول الرواية التوراتيّة قرابة ثلاثة أضعاف القصّة القرآنيّة.

الحكمة والموعظة .. في حين يظهر أمر الوعظ والحكمة بجلاء في النصّ القرآني من خلال التركيز على أحداث معينة مخصوصة واقتناص مقاطع قصيرة من السيرة الطويلة وغياب الكلف بسرد الأسماء والأماكن والأزمنة .. وقد جاء التنبيه المباشر على هذه الحقيقة في عدد من آيات سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٤١٠]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [١٤١١]، ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [١٤١٢].

ثالثا:

غاب ذكر الآخرة بصورة تامة في القصّة التوراتيّة، وكأنّ الدنيا هي دار العمل والجزاء في نفس الآن، ولا عاقبة يُردّ إليها المرء .. في حين يتفرّد القرآن الكريم بذكر الآخرة وأنها مآل كلّ حيّ عامل: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [١٤١٣]

رابعا:

تظهر التوراة «يوسف» عليه السلام وله من العمر سبع عشرة سنة يرتكب فعلًا قبيحًا مؤذيًا لإخوته وموغرًا لصدر أبيهم عليهم؛ وهو أنّه كان ينقل سيئ أخبارهم إلى أبيهم: «وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم» [١٤١٤]، وقد دفع هذا الأمر بعض الأحبار إلى أن يقولوا في تفاسيرهم كلامًا شديدًا في ذمّ «يوسف»!! [١٤١٥] .. في حين تغيب هذه الصورة تمامًا عن القرآن الكريم؛

[١٤١٠] سورة يوسف/ الآية (١١١)

[١٤١١] سورة يوسف/ الآية (٣)

[١٤١٢] سورة يوسف/ الآية (٧)

[١٤١٣] سورة يوسف/ الآية (٥٧)

[١٤١٤] تكوين ٣٧/٢

[١٤١٥] انظر؛ Shalom Goldman, *The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*, p. ٨٦

وفي ذلك تأكيد لارتباط العصمة بالنبوة، والكمال الأخلاقي بالتبليغ عن ربّ العالمين؛ إذ النبوة في أصلها اجتباء ربّاني لمطهّرٍ بشري.

خامسا:

تذكر التوراة أنّ «يعقوب» هو الذي طلب من «يوسف» أن يذهب إلى إخوته الذين يرعون أغنامهم عند شكيم[١٤١٦] — والتي يحتمل أنها تل بلاطة شرق نابلس الحالية — بينما يقرّر القرآن الكريم أن إخوة «يوسف» هم الذين طلبوا من أبيهم أن يذهب «يوسف» معهم، لأنّ أباه كان يخشى عليه من حقدهم، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٤١٧]. فالنصّ القرآني متساوق مع فطنة الأب الحريص على ابنه، في حين أنّ النص التوراتي يعارض ما سبق من الرواية كما يصادم رجاحة عقل الأب الرؤوم!

سادسا:

يفهم من سفر التكوين أن «يهوذا» هو صاحب الكلمة في تقرير طريقة التخلّص من «يوسف» عليه السلام[١٤١٨]؛ فقد اقترح على إخوته أن يبيعوا «يوسف» للإسماعيليين بعشرين مثقالًا، في حين نرى في نفس السفر[١٤١٩] أنّ «رأوبين» هو صاحب الصوت الأعلى الذي اقترح إلقاءه في الجب ووافق الجميع على ذلك، وقد أخذه بعد ذلك التجّار المديانيون.[١٤٢٠]

[١٤١٦] تكوين ٣٧ / ١٢ - ١٦

[١٤١٧] سورة يوسف/ الآيتان (١١- ١٢)

[١٤١٨] ٣٧/٢٦-٢٨

[١٤١٩] ٣٧/ ٢١ -٢٤

[١٤٢٠] انظر؛ تكوين ٣٧/٢٨

والأمر كـذلك بالنسبة إلى بيعه إلى «فوطيفـار»؛ ففـي أوّل القصـة أنّ البـائعين هـم قـوم مـن مـدين [١٤٢١]، بينمـا هـم في آخرهـا مـن الإسمـاعيليين. [١٤٢٢] وقـد أقـرّ بهـذا التنـاقض التعليـق الكاثوليكي على ترجمة «*The New American Bible*» عند التعليق على ٣٧/ ٢١-٣٦؛ وقرّر أنّ تكوين ٣٧/ ٢٥-٢٨أ يعود إلى «المصدر اليَهَوِي» (وهو الذي ذكر أن «يهوذا» قد اقترح بيعه للإسماعيليين) في حين يعود تكوين ٣٧/ ٢١-٢٤ وتكوين ٣٧/ ٢٨ب-٣٦ إلى المصدر «الإلوهيمي». [١٤٢٣]

وليس في القرآن الكريم من هذا التناقض شيء!

سابعًا:

تظهر التوراة «يعقوب» عليه السلام وهو يصدّق كذب أبنائه بعد تآمرهم على أخيهم، ويأسه عقب المؤامرة: «وقال قميص ابني وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراسًا فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه، وناح على ابنه أيامًا كثيرة» [١٤٢٤].. في حين يشير القرآن الكريم إلى ارتياب «يعقوب» في بنيه عقب تنفيذ المؤامرة: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

[١٤٢١] تكوين ٣٧/ ٣٦

[١٤٢٢] تكوين ٣٩ / ١

[١٤٢٣] انظر؛ *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.٤٣

يتبنّى عامة النقّاد اليوم «النظريّة الوثائقيّة» «*Documentary Hypothesis*»؛ وهي ترجع أسفار «موسى» الخمسة إلى أربعة مصادر متمايزة في المنبت ومتداخلة عامةً داخل هذه الكتب، وهي: المصدر «اليهوي» والمصدر «الإلوهيمي» و«المصدر الكهنوتي»، والمصدر «التثنوي».(انظر؛ Richard Elliott Friedman, *Who Wrote the Bible?*, New York: Summit Books, ١٩٨٧) وهي نظريّة موفّقة في حديثها عن وجود مصادر مختلفة لمجموع النصوص، غير أنّ هذا التقسيم الرباعي لا دليل حاسم يشهد له. وأرجو أن يقوم لهذه المسألة ناقد مسلم لبحثها من منطلق قرآني يستخلص به الأصيل والدخيل و(الممكن)، لتأصيل نظريّة إسلاميّة في مصادر هذه النصوص.

[١٤٢٤] تكوين ٣٧/ ٣٣-٣٤

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.[١٤٢٥].. وهكذا هو قلب المؤمن إذا عمر بالإيمان وأشرقت فيه أنوار الصفاء؛ فهو يستشف بقلبه الصافي بعض ما لا تدركه الحواس، وذاك من كرم الربّ سبحانه يهبه لمن يشاء.

ثامنًا:

تذكر التوراة أن أبناء «يعقوب» قد أحضروا قميص أخيهم إلى أبيهم وعليه دم، ولم يذكروا كيف قتل[١٤٢٦]، في حين يشير القرآن إلى أنّ أبناء «يعقوب» قد ادّعوا صراحة أنّ الذئب قد قتل أخاهم[١٤٢٧]، وهذا أليق بحال إخوة يوسف في اعتذارهم لأنفسهم من الاقتصار على تقديم قميص أخيهم ملوثًا بالدم، خاصة أنّ تلك الأرض كانت فيها ذئاب سارحة؛ فقد قال لهم أبوهم فبل خروجهم «بيوسف»: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[١٤٢٨]

تاسعًا:

تذكر التوراة أنّ الجب الذي ألقى فيه يوسف هو بئر فارغة ليس فيها ماء، أمّا القرآن فيشير إلى عكس ذلك:﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ﴾.[١٤٢٩] وهذا هو المنطقي؛ إذ إنّ المسافرين يَرِدُون الآبار للتزوّد بالماء، ولا يقربون الآبار الجافة!

[١٤٢٥] سورة يوسف/ الآيتان (١٧ – ١٨)

[١٤٢٦] تكوين ٣٧ / ٣٢ – ٣٣

[١٤٢٧] سورة يوسف / الآيات (١٣ – ١٤، ١٧)

[١٤٢٨] سورة يوسف/ الآية (١٣)

[١٤٢٩] سورة يوسف/ الآية (١٩)، تكوين ٣٧ / ٢٤

عاشرا:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد بيع إلى القافلة المارة من طرف إخوته بعشرين قطعة من الفضة[١٤٣٠]، ويذكر عالم المصريات «جورج إبرز» «Georg Ebers»[١٤٣١] أنّ هذا المبلغ هو الثمن المفترض للعبيد في ذاك الزمان[١٤٣٢]، في حين يقرّر القرآن أن ثمن بيع «يوسف» كان قليلًا، وأنّ المشترين كانوا فيه من الزاهدين: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[١٤٣٣]، وهذا هو الحق؛ إذ إنّ إخوة «يوسف» هم الذين كانوا حريصين على بيع أخيهم، وهذا الحرص من البائع أدعى لأن يترك الجدال في الثمن، كما أنّ صغر سن الإخوة داع آخر أن يسعى المشترون إلى دفع مبلغ زهيد لا كالذي يدفع إلى التجّار، ثمّ إنّ «يوسف» كان صبيًّا صغيرًا غير جَلِد؛ فلا يدفع في من هو في مثل سنّه المبلغ الذي يدفع في الشاب الجَلِد.

الحادي عشر:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد نسي أباه وإخـــوته لما كان في مصر[١٤٣٤]، وفي ذلك قطع لحـبل

[١٤٣٠] انظر؛ تكوين ٢٨/٣٧

[١٤٣١] جورج إبرز (١٨٣٧م–١٨٩٨م): عالم مصريات ألماني. درّس اللغة المصرية القديمة والتاريخ المصري في جامعة ليبزغ.

[١٤٣٢] انظر؛ Georg Ebers، *Ägypten und die Bücher Moses*, p. ٢٩٣ (Quoted by, George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.٢٧٦)

[١٤٣٣] سورة يوسف/ الآية (٢٠)

[١٤٣٤] تكوين ٥١/٤١

الأمل في لقياهم .. في حين يقول القرآن الكريم إنّ الله جلّ وعلا قد أوحى إلى «يوسف» منذ أن بدأت المحنة بإلقائه في الجب، أنّه سيلقى إخوته مرّة أخرى: ﴿فَلَما ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[١٤٣٥] .. لقد كان الأمل في النجاة ورجاء رحمة الله في قلب العبد المخلَص «يوسف» ثابتًا مستقرًّا .. ولذلك قال «يوسف» في آخر القصّة: ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٤٣٦] .

الثاني عشر:

ذكرت التوراة أنّ من اشترى يوسف هو «فوطيفار **خصي** فرعون رئيس الشرطة»[١٤٣٧] .. وهذا ادّعاء مخالف للبداهة التاريخيّة؛ إذ كيف يكون «فوطيفار» خصي فرعون، ثم هو في نفس الوقت (١) رئيس الشرطة المصريّة (٢) وزوج إحدى جميلات مصر **!!؟** بل وتجعل التوراة حاشية القصر كلها من الخصيان، ومنهم رئيس السقاة ورئيس الخبازين**!!!؟**[١٤٣٨]

يبدو أنّ أثر السبي البابلي والبيئة التي عاش فيها اليهود هناك قد أثرا على تصورات مؤلفي التوراة لأحداث ذاك الزمان ..

وقد خلا القرآن من هذا الخبط التوراتي، فقد قال تعالى: ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[١٤٣٩]؛ مما يوحي في ذهن القارئ أنّ الرجل كان عقيمًا لا ولد له.

١٤٣٥ سورة يوسف/ الآية (١٥)

١٤٣٦ سورة يوسف/ الآية (٩٠)

١٤٣٧ تكوين ١/٣٩

١٤٣٨ تكوين ٤٠ /٢

١٤٣٩ سورة يوسف / الآية (٢١)

الثالث عشر:

تظهر التوراة نبيّ الله «يعقوب» وهو في أهون حال، **وأضعف إيمان**، ومنتهى التسخّط على قضاء الله وقدره؛ ما أن تدهمه المصيبة حتّى يخرّ صريع اليأس ويطفح قلبه ولسانه بالتسخط على أمر الله .. فهاهو سفر التكوين يقول عن «يعقوب» النبي عندما جيء له بقميص ابنه:

«فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة .

فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحًا الى الهاوية وبكى عليه أبوه.»[١٤٤٠]

أمّا «يعقوب» في القرآن، فهو قدوة لكلّ متصبّر على دكدكات الأيام وسهامها الجارحة .. فأنت لا تراه في مواقف الشدّة إلا **منيبًا إلى ربّه**، صلبًا لا ينحني أمام عصف الجائحة .. فهو القائل عندما فقد ابنه الأوّل : ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[١٤٤١]، وهو القائل عندما فقد الابن الثاني: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[١٤٤٢] لكنّه في التوراة يبدو في منتهى الوهن الإيماني حتى قبل وقوع الكارثة: «إذا أصابته أذية تنزلون شيبتي بشرّ إلى الهاوية»[١٤٤٣]**!!**

وتقول الناقدة «مارلين روبنسون ولدمان»[١٤٤٤] : «يختلف دور يعقوب في القرآن عنه في التوراة. يعتبر يعقوب في القرآن **المعين ليوسف والناصح له**، وقد ظهرت بشريّته مع حسن تصرّفه كعلامة على اتصاله بالله. وقد استطاع الآخرون أن يفهموا علامات الله من خلال حضوره هو وقدرته على قراءة هذه العلامات. يعقوب في الكتاب المقدس ليس هو رسول الله، ولا الناصح

[١٤٤٠] التكوين ٣٧/ ٣٤-٣٥

[١٤٤١] سورة يوسف/ الآية (١٨)

[١٤٤٢] سورة يوسف/ الآية (٨٣)

[١٤٤٣] تكوين ٤٢ / ٣٨، ٤٤ / ٣١

[١٤٤٤] مارلين روبنسون ولدمان (١٩٤٣م-١٩٩٦م): مستشرقة أمريكيّة يهوديّة. كانت عضوًا في عدة جمعيات علميّة كـ(الأكاديميّة الأمريكيّة للدين) و(الجمعيّة الأمريكيّة لدراسة الدين) و(المؤسسة الأمريكيّة للدراسات الإيرانيّة).

البصير ليوسف، وإنّما **يبدو بصورة أكبر كضحيّة للظروف**، معبرًا عن هذه الحال من خلال **واقعه النفسي والعاطفي**.»[١٤٤٥]

الرابع عشر:

يكشف القرآن الكريم أنّه لما أراد أبناء «يعقوب»–إثر عودتهم من مصر– أن يأخذوا أخاهم الذي بقي مع أبيهم، في رحلة ثانية، كان «يعقوب» عليه السلام مستعصمًا بحبل **التوكّل** على الله جلّ وعلا، **ثم** آمرًا لهم أن يتخذوا الأسباب المادية: ﴿فلما رَجعُوا إلى أبيهِمْ قالوا يَا أبَانا مُنِعَ مِنَّا الكيْلِ فأرْسِل مَعَنَا أخَانا نكْتَل وَإنَّا لهُ لحَافِظون قال هَل آمَنُكمْ عَليْهِ إلا كمَا أمِنتكمْ عَلى أخِيهِ مِن قبْل فاللهُ خيْرٌ حَافِظا وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمين . . . قال لنْ أرْسِلهُ مَعَكمْ حَتى تؤْتونِ مَوْثقا مِّنَ اللهِ لتأتُنَّنِي بهِ إلا أن يُحَاط بكمْ فلما آتوْهُ مَوْثِقهُمْ قال اللهُ عَلى مَا نقول وَكِيل وَقال يَا بَنِيَّ لا تدْخُلوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلوا مِنْ أبْوَابٍ مُّتفرِّقةٍ وَمَا أغْنِي عَنكم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إنِ الحُكمُ إلا للهِ عَليْهِ توَكلتُ وَعَليْهِ فليَتوَكل المُتوَكلون﴾[١٤٤٦]، في حين تبدو الصورة في التوراة عكس ذلك «فقال لهم أبوهم: «إن كان لابد من ذلك فافعلوا. وخذوا معكم هدية للرجل: واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وقليلا من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن والفستق واللوز. وخذوا معكم فضة أخرى، والفضة المردودة في أفواه عدالكم وأعيدوها. فلعل في الأمر سهوا. واستصحبوا معكم أيضا أخاكم وقوموا ارجعوا إلى الرجل. ولينعم عليكم الله القدير بالرحمة لدى الرجل، فيطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين أيضا. وأنا إن ثكلتهما، أكون قد ثكلتهما.»[١٤٤٧]؛ «فيعقوب» هنا متعلّق بالأسباب الماديّة غاية التعلّق؛ حتى إنّه يفصّل في أمر الهديّة غاية التفصيل، ثم يعقب ذلك بكليمات قليلات رجاء أن يجعل الله في قلب هذا

[١٤٤٥] Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,'* in *The Muslim World, January* ١٩٨٥, V. ٧٥, N. ١, p. ٦

[١٤٤٦] سورة يوسف/ الآيات (٦٣–٦٧)

[١٤٤٧] تكوين ٤٣/١١–١٤

الرجل (يوسف) الرحمة، ولاحِظ أنّ الرحمة المرجوة هنا هي من «يوسف»، أمّا الإله فعليه أن (يبذل) الأسباب لذلك!

الخامس عشر:

يبدو «يعقوب» عليه السلام في التوراة **فاقدًا للأمل،** خائر العزيمة مع ما أصابه من مصاب في ابنه: «قد أثكلتموني أولادي. يوسف مفقود، وشمعون مفقود، وها أنتم تأخذون بنيامين بعيدًا! كل هذه الدواهي حلت بي!»[١٤٤٨] «لن يذهب ابني معكم، فقد مات أخوه، وهو وحده باق. فإن ناله مكروه في الطريق التي تذهبون فيها، فإنكم تنزلون شيبتي بحزن إلى قبري»[١٤٤٩] ...في حين يظهر القرآن يعقوب عليه السلام **مترعًا بالأمل** رغم وخز الألم؛ لم ييأس من روح الله: ﴿**يَا بَنِيَّ اذهَبُوا فتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلا القوْمُ الكافِرُون**﴾[١٤٥٠]

السادس عشر:

يظهر القرآن «يوسف» عليه السلام من أوّل القصة إلى آخرها، وهو يتقلب بين أطباق المحن، صابرًا، ثابت الجنان .. فقد تصبّر «يوسف» عليه السلام بكلّ أنواع الصبر: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة . فكان في حركات قلبه وجوارحه مستسلمًا لأمر الله .. إنّها صورة مشبعة بالتوهّج الإيماني بما يتناسب مع أمر نبيّ مجتبى لتبليغ رسالة من ربّ العالمين ..

ويركّز القرآن في خاتمة القصة على موعظة بليغة، هي زاد المسافر على بساط المحن في هذه الدنيا؛ وهي أنّ الصبر عاقبته أحلى من الشهد وإن كان طريقه قد قُدَّ من الشوك.. وأعلى

[١٤٤٨] تكوين ٤٢/٣٦

[١٤٤٩] تكوين ٤٢/٣٨

[١٤٥٠] سورة يوسف/ الآية (٨٧)

درجات الصبر، هي «الصبر الجميل» حيث لا يبوح المبتلى بشكواه بل يسلم أمره ونفسه إلى ربّه.

وتغيب معالم الموعظة –أو تكاد– في الرواية التوراتية، لتتحوّل إلى أكوام من أحداث قديمة ساكنة، وتبدو صورة «يوسف» عليه السلام فيها غائمة الملامح الإيمانيّة؛ يكاد يقصر أمرها على الظهور الروائي دون التألّق الإيماني.

السابع عشر:

تذكر التوراة أنّ امرأة العزيز قد راودت «يوسف» عن نفسه، فلما فرّ منها وترك ثوبه «نادت أهل بيتها وقالت: «انظروا ما جرى؟ هذا العبراني الذي جاء به زوجي إلى البيت. شرع **يراودني عن نفسي**. دخل غرفتي وحاول اغتصابي، فصرخت بأعلى صوتي.»[١٤٥١]

خفّفت –أو قل: حرّفت– (ترجمة الحياة) هذا النص؛ إذ هو يقول على لسان امرأة العزيز «**לצחק בנו**» (لتَسحِق بانو) أي «ليراودنا» حيث الضمير المتصل في صيغة الجمع لا المفرد، وكما قال الناقد «جورج سبورل» «George Spurrell» في تعليقه على النص العبري لسفر التكوين؛ فإنّ امرأة العزيز أرادت هنا أن تقول إن «يوسف» راود جميع نساء البيت[١٤٥٢].. وهذا مشهد منكر في سياق القصة؛ إذ إنّ امرأة العزيز بهذا القول تفتح على نفسها باب الريبة، وتمنح زوجها فرصة أن يسأل النساء في البيت عن صحّة دعواها! كما أنّ نفس المقطع من القصّة مضطرب؛ إذ يزعم مرّة أنّه لم يكن أحد في البيت لما اختلت زوجة العزيز «بيوسف»[١٤٥٣] ويزعم في أخرى أنّ امرأة العزيز قد صرخت مستنجدة بمن في البيت.[١٤٥٤]

[١٤٥١] تكوين ١٤/٣٩

[١٤٥٢] انظر؛ George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.٢٨٤

[١٤٥٣] انظر؛ تكوين ١١/٣٩

[١٤٥٤] انظر؛ تكوين ١٤/٣٩

أمّا القرآن الكريم فيتجاوز هذه التناقضات بتقريره حقيقة الواقعة وأنّ امرأة العزيز لما كانت تراود «يوسف» عن نفسه، دخل العزيز؛ فقامت إليه حتى تدفع التهمة عن نفسها باتهام «يوسف» عليه السلام بإرادة الفاحشة بها، مبادرة زوجها بسؤال مباغت عن عقوبة من يؤذي أهله: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1455]

الثامن عشر:

القرآن الكريم وحده هو الذي يشير إلى أن الله —سبحانه وتعالى — قد أظهر براءة يوسف على يد شاهد من أهل امرأة العزيز نفسها، وذلك حين قال: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِين فلما رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[1456]، كما شهد النسوة اللائي قطعن أيديهن، ببراءته، بقولهن: ﴿ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾[1457]، بينما لم تذهب التوراة إلى أكثر من أنّ العزيز حين سمع بالقصة لم يزد عن «أن غضبه حمى فأخذ يوسف ووضعه في بيت السجن»[1458].

التاسع عشر:

يظهر القرآن «يوسف» عليه السلام في صورة المتوكّل على ربّه، المستجير به في كلّ أمره، والمنيب إليه في كلّ شأنه .. فهو يقول في تذلّل وخضوع واسترحام لمن بيده الأمر، بعد أن أحاطت بأقطار نفسه فتنة المرأة الراغبة فيه والمتسلطة عليه أثناء محنة العبوديّة لزوجها: ﴿ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[1459].. وهذا منتهى الإخلاص في الاستجارة بالقويّ العزيز.. وقد استجاب له من بيده الأمر: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ

[1455] سورة يوسف / الآية (٢٥)

[1456] سورة يوسف / الآيات (٢٦ – ٢٨)

[1457] سورة يوسف / الآية (٥١)

[1458] تكوين ٣٩/ ١٩ – ٢٠

[1459] سورة يوسف/ الآية (٣٣)

كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ [1460] ..

أمّا التوراة، فتغفل عن إبراز هذه المنقبة العظيمة، وكأنها قد خضعت لدفق الأحداث؛ فلا تملك أن تقف لحظات للعبرة والعظة ..

العشرون:

القرآن الكريم وحده هو الذي يشير إلى أن «يوسف» عليه السلام قد فضّل السجن على أن يقترف الفاحشة، وذلك حين خُيّر بين أن تنال المرأة منه ما تريد، أو أن تفتّح له أبواب السجن على مصراعيها لتبتلع أزهى سنوات عمره: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ [1461]

الواحد والعشرون:

أبرز القرآن براءة «يوسف» في جلاء، وتوقف لبعض الآيات لإظهار ذلك ولصرف الظنون الفاسدة عن هذا النبيّ الطاهر، وهو ما لم تسع التوراة إلى الاسترسال فيه أو التركيز عليه، وكأنّ براءة نبيّ يحمل إلى الناس رسالة الطهر بين قومه، ليست بذات بال ..

وقد انفرد القرآن دون التوراة بذكر اعتراف امرأة العزيز ببراءة الرجل الذي غمزته في عرضه أمام الناس: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِين﴾ [1462] .. وفي تصريح امرأة العزيز أيضًا ذكرى للمعرضين عن سبل السلام، وأنّ التوبة لا تغلق أبوابها، ولو كانت من الافتراء على نبيّ والتسبب في سجنه لسنين..

[1460] سورة يوسف/ الآية (٣٤)

[1461] سورة يوسف / الآيتان (٣٣ – ٣٤)

[1462] سورة يوسف/ الآيتان (٥١ – ٥٢)

الثاني والعشرون

قالت الناقدة «مارلين ر. ولدمان»: «إنّ أوضح حجّة للتوجّه المختلف للقرآن، هو دور القصّة الداخليّة (sub-plot) لزوجة السيّد في القصّة ككل، وما تكشفه من شخصيّة يوسف كرسول. تظهر هذه الحادثة أيضًا مخالفة القرآن الهائلة للرواية الكتابيّة، وتبيّن كيف أنّ القرآن يستعمل بطريقة مختلفة المادة المتاحة، مهما كان مصدرها. كنتيجة لما يظهره القرآن من استعمال لهذه القصة الداخليّة؛ يظهر يوسف أكثر اعتمادًا على الله من اعتماده على خطته الخاصة... تُظهر هذه القصّة في القرآن يوسف وهو ينقذ غيره، الزوجة، قبل إنقاذ نفسه، وهي بذلك تظهره على أنّه –بصورة أبلغ– أداة لله.»[١٤٦٣]

الثالث والعشرون:

جاء في وصف التوراة لحلم حاكم مصر: «ثم رأى سبع سنابل عجفاء قد لفحتها **الريح الشرقية** نابتة وراءها.»[١٤٦٤] . ذكر النقّاد أنّ الريح التي تهب في مصر فتجفف الثمر، هي رياح صحراوية **جنوبيّة**[١٤٦٥]، أمّا الرياح الشرقيّة فهي التي في فلسطين. ويكشف هذا الخطأ جهل من أضاف هذا النص بطبيعة بلاد مصر، وقد قال الناقد «جورج سبورل» إنّ الراوي هنا قد أشار إلى الريح المدمّرة في فلسطين (هوشع ١٣/١٥، يونان ٤/٨، حزقيال ١٧/١٠).[١٤٦٦]

ولم يتابع القرآن الكريم هنا التوراة في خطئها العلمي.

[١٤٦٣] Marilyn R. Waldman, *New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an, in The Muslim World, January* ١٩٨٥, V. ٧٥, N. ١, pp. ٩-١٠

[١٤٦٤] تكوين ٤١/٦

[١٤٦٥] انظر؛ Gordon Wenham, *Word Biblical Commentary, Volume* ٢: *Genesis* ١٦-٥٠, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨ , CD edition

[١٤٦٦] انظر؛ George Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, p.٢٩١

الرابع والعشرون:

تذهب التوراة إلى أن فرعون قد أرسل إلى «يوسف» في السجن من يستدعيه لتأويل رؤياه «فأسرعوا به من السجن، فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون»، وفسر له حلمه، ثم اقترح عليه أن يختار رجلًا بصيرًا وحكيمًا ليجعله على أرض مصر[١٤٦٧] .. وتبدو الصورة في القرآن الكريم[١٤٦٨] على غير ذلك، فصاحب «يوسف» الذي نجا من السجن هو الذي أشار على الملك أن يرسله إلى الصدّيق ليعرف منه تأويل رؤيا الملك، ولم يذهب «يوسف» إلى الملك، وإنما فسّر الحلم، بل وأشار بالحل الذي يمكّن البلاد من اجتياز هذه المحنة، وبشّر بعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، وهو ما يزال بعد سجينًا.[١٤٦٩]

الخامس والعشرون:

القرآن وحده هو الذي ذكر أنّ «يوسف» بعد أن فسر الحلم لملك مصر، ورسم له الطريق الصحيح للخروج من الأزمة بسلام، رفض في إباء وشمم أن يقبل المنصب الخطير الذي عرض عليه، حتى يتحقق الملك ورجاله — بل والناس جميعًا- من براءته ونزاهة عرضه، مما نسب إليه بشأن امرأة العزيز، ذاك الذي كان سببًا في أن يلبث في السجن بضع سنين، ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيم﴾[١٤٧٠]. ولما علم الملك حقيقة الأمر سرّ به، وأخرجه من السجن، عندئذ تقدّم الصديق في ثقة وثبات، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾[١٤٧١]، وهكذا يتحمل «يوسف» المسؤولية كاملة في صدق وشجاعة، وينّجح آخر الأمر في أن يرسي السفينة على مرفأ الأمن والسلامة[١٤٧٢]،

[١٤٦٧] تكوين ٤١ / ١٤ – ٣٦

[١٤٦٨] سورة يوسف/ الآيات (٤٥ – ٤٨)

[١٤٦٩] سورة يوسف/ الآية (٤٩)

[١٤٧٠] سورة يوسف / الآية (٥٠)

[١٤٧١] سورة يوسف/ الآية (٥٥)

[١٤٧٢] سورة يوسف / الآيات (٤٦ –٥٧)

والأمر عكس ذلك تمامًا في التوراة، فما أن يفسر الصدّيق الحلم للملك، وما أن يعرض الملك الأمر عليه، حتى يقبله فورًا.[١٤٧٣]

السادس والعشرون:

قالت الناقدة «مارلين ر. ولدمان» في الفارق بين القصّة القرآنيّة والأخرى الكتابيّة في ما يتعلّق بعمل مشيئة الله سبحانه في صناعة الأحداث وتحريكها: «الله حاضر حضورًا تامًّا في الرواية (القرآنيّة)؛ وبذلك يتأكد حضوره الكوني الكليّ. لما وُضع يوسف في الجب على يد إخوته، كشف الله له أنه سينبّئهم في يوم ما بما فعلوه. حتّى غيرة الإخوة بَدَت على أنّها علامة لأمر ما. لما قدّم الإخوة دليلًا مزوّرًا لما اقترفوه، استراب أبوهم في أمرهم ووضع ثقته في الله، قائلًا لهم إنّ الشياطين قد أغوتهم. المسافرون الذين وجدوا يوسف، حاولوا إخفاءه، لكن القرآن يذكّرنا أنّ الله يعلم ما يفعلون. يُذَكِّر الله السامع مرّة أخرى – لما استقرّ يوسف في بيت مشتريه– أنّه قد وضع يوسف في ذاك المكان وسيجعله بعد ذلك من المفلحين تبعًا لإرادته.»[١٤٧٤]

السابع والعشرون

جاء في التوراة أنه لما حصلت المجاعة لسبع سنوات: «جاءت كل الارض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحًا لأنّ الجوع كان شديدًا في كل الأرض»[١٤٧٥] ..

وهذه دعوى باطلة علميًا وتاريخيًا .. أما علميًّا فجليّ أنّ المؤلف ما كان يعرف أنّ مساحة اليابسة أكبر مما في ذهنه، ومن غير المعقول أن يسافر الناس من أقصى أوروبا أو أحد قطبي الأرض إلى مصر للحصول على طعام في أيام مجاعة؛ إذ فضلًا عن عدم وجود وسائل تواصل لمعرفة تخزين مصر للمؤونة أيام المسغبة، فإنّ الأقوام الذين اجتاحتهم المجاعة لا يمكنهم أن يسافروا شهورًا للحصول على الطعام من مصر لأنهم هم أصلًا لا يملكون مؤنة الرحيل شهورًا..

[١٤٧٣] تكوين ٤١ / ٣٧ – ٤٦

[١٤٧٤] Marilyn R. Waldman, *New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an, in The Muslim World, January* ١٩٨٥*, V.* ٧٥, N.١, p.١١

[١٤٧٥] تكوين ٤١/ ٥٧

ومن الناحية التاريخيّة، لا يثبت قطعًا أنّ الأرض كلها قد تعرضت للمجاعة في زمن «يوسف» عليه السلام.. ولم يقع القرآن –في المقابل– في هذا الخلل التاريخي المشين، ليبقى طاهرًا من رجس الافتراء على التاريخ.

الثامن والعشرون

جاء في التوراة: «حدثت مجاعة في جميع البلدان»[١٤٧٦]، لكنّ التوراة أضافت أنّ «يعقوب» قد قال لأبنائه : «خذوا معكم هدية للرجل: واملأوا أوعيتكم من خير جنى الأرض وقليلًا من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن والفستق واللوز.»[١٤٧٧] بما يدلّ على أنّ المجاعة لم تصبهم، في حين أظهر النص القرآني أنّ عائلة «يعقوب» كانت شبه معدمة: ﴿فلما دَخَلوا عَلَيْهِ قالوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِين﴾[١٤٧٨] فالإخوة في ضيق من الحال، وبضاعتهم ضعيفة القيمة (مزجاة).

التاسع والعشرين:

جاء في التوراة أنّه لما رد «يوسف» إخوته إلى مصر، وردّ إليهم ما دفعوه إليه، دون أن يعلموا، اكتشف واحد من الإخوة هذا الأمر **قبل الوصول** إلى أبيهم «يعقوب»: «وحين فتح أحدهم عدله في الخان ليعلف حماره، لمح فضته لأنها كانت موضوعة في فم العدل؛ فقال لإخوته: «لقد ردت إلي فضتي، انظروا ها هي في عدلي». فغاصت قلوبهم، وتطلع بعضهم إلى بعض مرتعدين وقالوا: «ما هذا الذي فعله الله بنا؟»[١٤٧٩]، غير أننا نقرأ بعد ذلك أنّ الإخوة جميعًا قد فوجئوا بالأمر **عندما عادوا** إلى أبيهم: «وإذ شرعوا في تفريغ عدالهم وجد كل واحد منهم فضته في

[١٤٧٦] تكوين ٤١/٥٤

[١٤٧٧] تكوين ٤٣/١١

[١٤٧٨] سورة يوسف/ الآية (٨٨)

[١٤٧٩] تكوين ٤٢/٢٧–٢٨

عدله، **وما إن** رأوا هم وأبوهم ذلك حتى استبد بهم الخوف.»[1480]، في حين تخلو الرواية القرآنيّة من هذا التناقض؛ إذ إنّها تذكر أنّ اكتشاف هذا الأمر كان مرّة واحدة، وبمحضر من الأب﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾[1481]

الثلاثون:

تزعم التوراة أنّ «يوسف» قد اشترى كل أرض مصر — من عليها وما عليها– للفرعون (وهو اصطلاح لم يكن قد استعمل في مصر بعد، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا) بعد أن امتلأت الأرض جوعًا[1482]، وهي دعوى ينفيها التاريخ.

إن جمهرة المؤرخين ترى أن الهكسوس لم يمدوا نفوذهم أبدًا إلى أبعد من القوصية[1483] جنوبًا، اللهم إلا في احتلال مؤقت قصير لإقليم «بي حتحور»، قام به «أبو فيس» — ربما آخر من حمل هذا اللقب — وليس هناك من دليل حقيقي على أن غيره من الهكسوس قد تم له هذا الأمر، أما أمر جبايتهم للضرائب من مصر العليا والسفلى على السواء، فموضع شك على الأقل، ذلك لأن وجهة النظر التي ترى احتلال الهكسوس للبلاد كلها، ليست سوى وهم قضى عليه النص الكبير للملك «كاموزا» الذي يتضمن في وضوح أن الغزاة لم يتقدموا إطلاقًا فيما وراء جبلين، والذي يشير إلى أنهم اضطروا بعد قليل إلى إرساء حدهم عند «خمون» (الأشمونين مركز ملوي).[1484]

[1480] تكوين ٤٢/ ٣٥

[1481] سورة يوسف/ الآية (٦٥)

[1482] تكوين ٤٧/ ١٣ — ٢٦

[1483] Pahor Labib, *Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten und ihr Sturz*, p, ١٨

[1484] د. محمد بيومي مهران، حركات التحرير في مصر القديمة، ص ١٤٣– ١٤٥

الواحد والثلاثون:

تظهر التوراة «يوسف» عليه السلام وكأنّه نقمة على المصريين ووبال عليهم؛ إذ قد استغل سنوات المجاعة **ليستعبد المصريين للحاكم ويأخذ منهم أرضهم له**[١٤٨٥]، كما أنه عندما دعا أباه وأهله وعدهم أن يعطيهم «خيرات أرض مصر»[١٤٨٦]؛ وكأنّ أهل البلد لا حقّ لهم في أرضهم.

يخلو القرآن من هذا الحديث العنصري في تحقير المصريين، ومن إضفاء هالة القداسة على الإسرائيليين.. فبعثة الأنبياء رحمة للناس ونعمة، لا وبال وشرّ.

الثاني والثلاثون:

زعمت التوراة أنّ «يوسف» عليه السلام كان يكرّر القسم بحياة فرعون[١٤٨٧]، وهو أمر يخالف مقام النبوة والعصمة .. ويزداد الأمر سوءًا إذا علمنا أنّ هذا الملك كان مشركًا .. وليس في القرآن من ذلك شيء!

الثالث والثلاثون:

يُبرز القرآن من خلال شخصية النبيين «يعقوب» و«يوسف» عليهما السلام جمال حسن الظن بالله عز وجل[١٤٨٨]، وقيمته في قلب المؤمن، وعذب جناه بعد مرّ الابتلاء .. فهذا «يعقوب» عليه السلام لا يملك لسانه إلا أن يقول بعد سنين طوال من فراق ابنه: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي

[١٤٨٥] تكوين ٤٧/ ٢٠

[١٤٨٦] تكوين ٤٥/ ١٨

[١٤٨٧] تكوين ٤٢/ ٩ – ١٦. وقد جاء الأمر في العهد الجديد (الإنجيل) بالمنع من الحلف أصلًا؛ متى ٥/ ٣٣–٣٧، يعقوب ٥/ ١٢!

[١٤٨٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.». رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «ويحذركم الله نفسه»، وقول الله تعالى: «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك»، ح/ (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحثّ على ذكر الله تعالى، ح/ (٢٦٧٥)

بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمِ﴾ [1489]، **وما حصر رجاءه في نجاة ابنه الثاني، بل كان ظنه بالله عظيمًا، فهو يرجو نجاة ابنه الثاني** الذي ظنّ أنه متهم بالسرقة، **وابنه الكبير** الذي ظلّ في مصر، **وابنه الأول** الذي غاب منذ سنين طويلة: ﴿عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [1490]. [1491].. وليس من ذاك شيء في التوراة.

الرابع والثلاثون:

تقول الناقدة «مارلين ر. ولدمان»: «يبدو الإله في الكتاب المقدس أكثر بعدًا منه في القرآن، وأقلّ تركيزًا في علاقته بيوسف، وأكثر تدخلًا في حياة كل الشخصيات الكثيرة، في حينّ أنّ الإله في القرآن يتدخّل في حياة رسوله ويوجهها بصورة دائمة، وتبقى الشخصيات الأخرى باهتة وأقل وضوحًا». [1492].. وهذا فارق مهم؛ لأنّه يظهر (غائيّة) القصّة القرآنيّة وارتباطها المباشر بتوجيه رسالة إيمانيّة محكمة إلى القارئ، وابتعادها عن هم التشويق السردي.

الخامس والثلاثون:

يظهر القرآن أنّ غاية المؤمن لا يمكن أن تكون إلا في طلب الراحة والنعيم في الجنّة؛ فهذا نبيّ الله «يوسف» عليه السلام يقول –وهو يعدد نعم الله سبحانه عليه–: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [1493].. وهذا مآل كلّ محسن: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُول

[1489] سورة يوسف/ الآية (٨٣)

[1490] سورة يوسف/ الآية (٨٣)

[1491] محمد صالح المنجد، ١٠٠ فائدة من قصة يوسف (نسخة إلكترونيّة)

[1492] Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,' in The Muslim World, January* ١٩٨٥, V. ٧٥, N. ١, p. ٥

[1493] سورة يوسف / الآية (١٠١)

﴿فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾[١٤٩٤] .. وتغيب هذه اللَفتةَ البديعَةَ عن التوراة !

السادس والثلاثون:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد قدّم الطعام إلى إخوته لما قَدِموا عليه، وأنّه قَدَّم لهم **الخمر**، وشرب «يوسف» منه معهم؛ حتّى سكروا جميعًا[١٤٩٥]، ولا أثر لهذا المنكر القبيح في القصّة القرآنيّة.

السابع والثلاثون:

تذكر التوراة أنّ «يوسف» قد أقام مناحة لمدة سبعة أيام على وفاة أبيه.[١٤٩٦] وهو أمر يعارض تجلّد الأنبياء، وصبرهم، ورضاهم بالقضاء والقدر؛ ولذلك لا نرى له ذكرًا في النصّ القرآني.

الثامن والثلاثون:

تزعم التوراة أنّ «يوسف» عليه السلام قد قارف الكذب صراحة؛ وذلك عندما قال لإخوته: «أنتم جواسيس، وقد جئتم لاكتشاف ثغورنا غير المحميّة»[١٤٩٧] وقد سجنهم لأجل ذلك ثلاثة

[١٤٩٤] سورة النساء/ الآية (٦٩)

[١٤٩٥] تكوين ٣٤/٤٣، النص العبري يقول «**וישתו וישכרו עמו**» (ويشتو ويشكرو عِمّو) «وشربوا وسكروا معه» وفد حاولت بعض الترجمات أن تترجم كلمة «وسكروا» إلى معنى آخر؛ وذاك أولًا: لا ينفي أنّ «يوسف» قد قدّم الخمر إلى أخوته، وأنهم شربوا هذا المسكر، وثانيًا: النص العبري يستقيم بصورة جليّة مع القول إنّ معناه هو أن الإخوة قد (سكروا مع أخيهم) وهو نفس المعنى الوارد في الترجمة السبعينيّة: « επιον δε και εμεθυσθησαν μετ' αυτου»، والترجوم الآرامي: «**ושתיו ורויו עמיה**» والبشيطا السريانيّة: «ܘܐܫܬܝܘ ܘܪܘܝܘ ܥܡܗ» والفولجات: « Biberuntque et inebriati sunt cum eo»، ثالثًا: الترجمات العربيّة (على غير عادتها) لم تتبع شذوذات بعض الترجمات الغربيّة، ووافقت المعنى الصحيح!

[١٤٩٦] انظر؛ تكوين ١٠/٥٠

[١٤٩٧] تكوين ٩/٤٢

أيام[1498]، واتهمهم بسرقة كأسه الفضيّة[1499] .. ولم يرد في القرآن الكريم شيء من ذلك.. أمّا ما فعله «يوسف» عليه السلام من استدراج إخوته حتى يتركوا له أحدهم بأن وضع أحد النفائس في رحله؛ فكما قال الإمام «أبو محمد ابن حزم»:

«وأما قول يوسف لإخوته: إنكم لسارقون، وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم، فقد صدق عليه السلام، لأنهم سرقوه من أبيه وباعوه .

ولم يقل عليه السلام إنّكم سرقتم الصواع، وإنما قال: نفقد صواع الملك، وهو في ذلك صادق؛ لأنه كان غير واجد له فكان فاقدًا له بلا شك»[1500] ..

كما يمكن أن يقال أيضًا إنّ القرآن يقول: ﴿ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[1501] فالمؤذّن غير «يوسف» عليه السلام، ويبدو أنّه لَم يطّلع عل خطة «يوسف» التي دَبّر أمرها سرًّا، فقال بما ظهر له من غياب صواع الملك لما همّ القوم بالانصراف[1502] .. علمًا أنّ التوراة نفسها قد شاركت القرآن في تقرير وضع «يوسف» لأحد ممتلكات الملك[1503] في بضاعتهم.

التاسع والثلاثون:

أشار التعليق الكاثوليكي على ترجمة «*The New American Bible*» تحت الفصل ٤٥/ ٩– ١٥ إلى أنّ نصّي تكوين ٤٦/ ٣١ و ٤٧/ ٥أ –وهما يعودان إلى المصدر اليَهَوِي – يذكران أنّ «يوسف» هو من استدعى باسمه أباه وإخوته إلى أرض مصر .. في حين أنّ نصّ

[1498] انظر؛ تكوين ٤٢/١٧

[1499] انظر؛ تكوين ٤٤/١–٦

[1500] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢/ ٢٩٧–٢٩٨

[1501] سورة يوسف/ الآية (٧١)

[1502] انظر؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ت/ عبد الرحمن اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ٤٠٢–٤٠٣

[1503] تذكر التوراة أنه أمر بوضع طاسة الفضة في رحل أخيه «بنيامين».

تكوين ٤٥/ ١٦-٢٠ –وهو يعود إلى المصدر الإلوهيمي-يذكر أنّ فرعون هو من قام بدعوة أهل «يوسف» للهجرة إلى مصر.

الأربعون:

ذكرت التوراة[١٥٠٤] أنّ «يوسف» عليه السلام قد سكن هو وإخوته أرض رعمسيس، وهذا خطأ تاريخي لأنّ كلمة «رعمسيس» لم تستعمل قبل الأسرة التاسعة عشر (١٣٠٨-١١٩٤ق.م) وليس منذ عصر الهكسوس (حوالي ١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م) أي عصر «يوسف» الصدّيق، عليه السلام[١٥٠٥]. وقد اعترف التعليق الكاثوليكي على الكتاب المقدس «*The New American Bible*» في تعليقه على تكوين ٤٧/١١ بهذه الزلّة التاريخية.[١٥٠٦]

الواحد والأربعون:

جاء في التوراة أنّ «يوسف» قد حلم أنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة له، وأنّه لما قصّ هذا الحلم على أبيه؛ انتهره أبوه، وقال له: «أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقًا أنني **وأمك** وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟»[١٥٠٧]، ويفهم من التوراة ذاتها أنّ أمّ «يوسف» قد توفيت قبل فترة طويلة من سَفر «يعقوب» وأبنائه إلى «يوسف» في مصر بعد أن صار ذا حظوة عند حاكمها[١٥٠٨].. وهنا تخطئ التوراة نفسها؛ إذ لا معنى لحلم «يوسف» النبي الذي هو في حقيقته رؤيا حق؛ مادام أنّ أمّه قد توفيت قبل أن يخرج من المحنة..

[١٥٠٤] تكوين ٤٧/ ١١

[١٥٠٥] د. محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣/ ١١١

[١٥٠٦] "The region of Rameses: ... The name Rameses, however, is an **anachronism**, since this royal name did not come into use before the end of the fourteenth century B.C., long after the time of Joseph." (*The New American Bible*, p.٥٤)

[١٥٠٧] تكوين ٣٧/١٠

[١٥٠٨] انظر؛ تكوين ٣٥/١٨

وفي المقابل، يظهر كمال القصّة القرآنيّة وتناسقها في هذا الموضع بعينه؛ إذ قد بدأت القصّة بقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1509] وختمت بقوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[1510] .. وهنا أصلح القرآن خطأ التوراة في مناقضتها لما دلّت عليه الرؤيا من بقاء أمّ «يوسف» حيّة حتّى تلقاه مُمَكّنًا في الأرض.

الثاني والأربعون:

القرآن الكريم وحده هو الذي يشير في ختام قصة «يوسف» مع أبيه وإخوته إلى تحقيق حلمه الأول: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[1511]

وهكذا تبدو القصة كتلة واحدة، تقود مقدمتها إلى خاتمتها، ويتصل أوّلها بآخرها، وهكذا أيضًا يتجلى صدق وعد الله لعباده الصالحين .. في حين تتجاهل التوراة ما ذكرته هي نفسها في بداية القصّة من أمر رؤيا «يوسف» عليه السلام.

الثالث والأربعون:

يفهم من تكوين ٤٤/٢٠: «ولد شيخوخة صغير» «**ילד זקנים קטן**» و٤٤/٢٢: «الغلام» «**הנער**» أنّ «بنيامين» كان طفلًا لما سافر مع إخوته إلى مصر، في حين يفهم من تكوين

[1509] سورة يوسف/ الآيتان (٣-٤)

[1510] سورة يوسف/ الآية (١٠٠)

[1511] سورة يوسف / الآيات (٩٩ — ١٠١)

٢١/٤٦ أنّه كان «لبنيامين» عشرة أولاد بعد فترة قصيرة من الحدث السابق، وقد أهملت الرواية القرآنيّة هذه الجزئيّة المتناقضة.

الرابع والأربعون:

جاء في تكوين ١٣/٥٠ أنّ «يعقوب» قد دفن في حقل المكفيلة، في حين يفهم من سفر أعمال الرسل ١٦/٧ أنّ «يعقوب» قد دفن في «شكيم»، وليس في القرآن هذا التفصيل المتناقض.

الخامس والأربعون:

جاء في تكوين ٢٨/٣٢ و١٠/٣٥ أنّ الربّ قد وعد «يعقوب» ألاّ يناديه «يعقوب» وإنّما أن يطلق عليه اسم «إسرائيل»، في حين جاء في تكوين ٢/٤٦ أنّ الربّ قد نادى «يعقوب»: «يعقوب! يعقوب!» .. وليس في القرآن الكريم من هذا التناقض شيء!

السادس والأربعون:

جاء في تكوين ٤/٤٦ وعد الربّ «يعقوب» أن يأخذه إلى مصر، ثم يردّه منها، في حين يفهم من تكوين ٢٨/٤٧-٢٩ أنّ «يعقوب» قد مات في مصر .. وليس في القرآن هذا التناقض!

السابع والأربعون:

جاء ذكر أولاد «بنيامين بن يعقوب» في قصّة «يوسف» في تكوين ٢١/٤٦ على أنّهم عشرة أولاد، في حين أنّ عددهم في سفر العدد ٣٨/٢٦-٤٠ أربعة، أمّا عددهم في أخبار الأيام الأوّل ٦/٧ فهو ثلاثة، ويبلغ عددهم في أخبار الأيام الأوّل ١/٨-٢ خمسة، والأغرب من ذلك أن هذه القوائم لا تشترك إلاّ في اسم واحد، هو «بالع»! وليس في القرآن الكريم شيء من هذا التناقض!

الثامن والأربعون:

جاء في تكوين ٢٧/٤٦ وخروج ٥/١ أنّ عدد أفراد عائلة «يعقوب» الذين سافروا معه إلى مصر يبلغ سبعين نفسًا، في حين يخبرنا سفر أعمال الرسل ١٤/٧ أنّ عددهم ٧٥ نفسًا، وليس في القرآن الكريم هذا ولا ذاك.

التاسع والأربعون:

جاء في تكوين ٣/٨٤ إخبار «يعقوبُ» «يوسفَ» أن الربّ قد تجلّى له سابقًا، في حين ينفي القرآن تجسّد الربّ أو ظهوره لخلقه في الدنيا!

الخمسون:

جاء في تكوين٥٠/٢-٥: «ثم أمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه. وقد استغرق ذلك أربعين يوما، وهي الأيام المطلوبة لاستكمال التحنيط. وبكى المصريون عليه سبعين يوما»، ويقول د. «محمد بيومي مهران»: «هذا في الواقع خطأ؛ ذلك لأنّ مدّة التحنيط إنّما كانت سبعين يومًا- وليس أربعين يومًا- على أرخص الأنواع، ولأفقر الناس، وأنّ هناك أنواعًا ثلاثة من التحنيط، وهي-إن اختلفت في المواد المستعملة، أو في كيفيّة التحنيط- فإنّها إنّما تتّفق جميعًا، على أنّ مدّة التحنيط إنّما كانت سبعين يومًا.»[١٥١٢]

الخلاصة : إنّ هذه الاختلافات البيّنة بين قصّة «يوسف» عليه السلام في القرآن الكريم ومقابلها في التوراة، لتظهر بوضوح وتقطع بيقين أنّ النصّ القرآني ليس مقتبسًا من التوراة، وأنّه وحي من ربّ العالمين؛ لأسباب عدّة ظهرت مما سبق، ولعلّنا نلخصها في:

١-خلوّ النصّ القرآني من الأخطاء التاريخية والعلميّة الواردة في النص التوراتي.

٢-خلو النصّ القرآني من التناقضات الواردة في النصّ التوراتي.

٣-تناسق الرواية القرآنية، ومراعاتها للمنطق التاريخي والروائي، في حين أنّ الرواية التوراتية جمعت إلى التذبذب، ذكرَ تفاصيل لا تتناسق مع المنطق التاريخي وحركة الأحداث داخل نفس القصة.

٤-تناسق الرواية القرآنية مع مجموع الحقائق الإسلامية؛ فهذه القصة تشكلّ قطعة متوائمة مع بقية البنية الإسلامية، في حين تتعارض الرواية التوراتية مع جوانب من مسلّمات اليهود والنصارى.

١٥١٢ محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣/٢٢٨-٢٢٩

٥-تشبّع النصّ القرآني بجملة من الحكم والمواعظ والحقائق الإيمانية، في حين لا يحتلّ هذا الأمر في النصّ التوراتي إلا حيزًا ضئيلًا مع ما فيه من تفاصيل تهدمه من الداخل.

٦-التقرير القرآني لعصمة الأنبياء، ومخالفة التوراة لذلك.

٨-محافظة القرآن على نظمه المعجز الذي فاق قدرة أئمة البيان في زمن الذروة مع مراعاة إيراد الأخبار التاريخيّة الدقيقة...

وقد خَلُصَت الناقدة «مارلين ر. ولدمان» في بحثها إلى القول: «**سأقول بعد المقارنة بين القصّتين إنّه رغم وجود تقارب شكلي كبير بينهما؛ إلا أنهما لا تسوقان القصّة بنفس الأسلوب من النواحي الموضوعيّة** (thematic) **واللاهوتيّة والأخلاقيّة... إنّهما تختلفان عن بعضهما من نواحي بدهيّة وأساسيّة.**»[١٥١٣]

[١٥١٣] Marilyn R. Waldman, *'New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an,' in The Muslim World, January* ١٩٨٥, V. ٧٥, N.١, p.٥

رمتني بدائها..

اقتباسات الكتاب المقدس

ليس يحسن بالعاقل أن يكتفي بعد هذه الرحلة الطويلة في أغوار شبهات المنصّرين أن ينصرف دون أن يكشف القناع بأكمله عن وجه الحقيقة؛ لتسفر في وضاءتها على الصورة النقيض من التي كانت عليها لما أُسبل ستر الزور على وجهها .. ولذلك حقّ علينا أن نرد سهم الإفك إلى من أرسله طائشًا، ونثبت التهمة .. ولكن .. في الأسفار المقدّسة للكنيسة وفي العقائد الثابتة فيها.

فاقرأ .. وتأمّل .. فقد أشرق الصبح!

أولا: أثر العقائد القديمة وثقافاتها في العهد القديم

بعيدًا عن أجواء الفكر (الشعبي) الذي تروّج له الكنائس العربيّة حيث تتقافز رجلا «أم الإله» يسوع فوق منارات الكنائس .. ويخرج المسيح من تحت اللحاف لينير قلب الشابة التائهة .. ويدخل من ثقب الباب كمعجزة لهذا القديس أو ذاك .. ويطير الربّ في (لَفّة) سريعة عند القُدّاس، والناس على الكراسي (يتأرجحون) فرحًا وهم يبصرونه على شكل حمامة[١٥١٤] !!! .. بعيدًا عن ذلك، تصدر المنصّات العلميّة (نغمات) تأباها آذان (المؤمنين الشعبويين) الذين (يتنططون) فرحًا للخرافات التي (تُكوى) بها آذانهم!

***

[١٥١٤] كلّ هذه (العجائب) الباردة(!)، شائعة إلى درجة (الإملال) في الكنائس التقليديّة في العالم العربي ..!

لقد استقرّ اليوم في الخطاب العلمي الأكاديمي في الجامعات الغربيّة المهتمة بدراسة النصرانيّة وأسفارها وعقائدها، أنّ العهد القديم يضم بين دفّتيه خرافات كثيرة وأساطير عريقة.

كان الجهد العلمي منصبًّا على دراسة الأسفار الخمسة الأولى التي تنسب إلى «موسى» عليه السلام. ويعتبر «يوليوس فلهاوزن» «Julius Wellhausen»[١٥١٥] أهم ناقد قضى على ألوهيّة هذه الكتب وألحقها (بالقصص الشعبي) بعد أنّ قدّم نظريّته المسمّاة (*The documentary hypothesis*)[١٥١٦] والتي اكتسحت الساحة العلميّة في الغرب، مقرّرة أنّ أسفار «موسى» – عليه السلام–الخمسة، ليست من تأليف هذا النبي، وإنّما تعود إلى مصادر أربعة:

المصدر اليهوي: كتب سنة ٩٥٠ ق.م في مملكة يهوذا. يستوعب نصف سفر التكوين ونصف سفر الخروج ومقاطع من سفر العدد. سمّي بالمصدر اليهوي لأنّ الربّ يُسمَّى فيه «يَهْوَه» «**יהוה**».

المصدر الإلوهيمي: كتب سنة ٨٥٠ ق.م في شمال مملكة إسرائيل. يستوعب ثلث سفر التكوين ونصف سفر الخروج ومقاطع من سفر العدد. سميّ بالمصدر الإلوهيمي لأنّ الربّ يُسمى فيه «إلوهيم» «**אלהים**».

المصدر التثنوي: كتب سنة٦٠٠ ق.م في القدس. يستوعب سفر التثنية. وفيه يسمى الربّ «يهوه إلهنا» «**יהוה אלהינו**». وهو لا يقتصر على سفر التثنية، بل يشمل كذلك سفر يشوع والقضاة والملوك.

المصدر الكهنوتي: كتب سنة ٥٠٠ ق.م من طرف الكهنة الهارونيين أثناء السبي البابلي.

ثم قام المحررون بدمج هذه المصادر الأربعة في بعضها البعض، لتتشكّل الأسفار الخمسة على صورتها المعروفة اليوم في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد قرابة ثمانية قرون من وفاة كاتبها الافتراضي «موسى» عليه السلام.

[١٥١٥] يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤م–١٩١٨م): لاهوتي. من أئمة الاستشراق والدراسات الكتابيّة. قدّم نظريته لـ«فرضيّة الوثائق» في كتابه: «مقدمة لتاريخ إسرائيل» «*Prolegomena zur Geschichte Israels*»، وفي الكتاب السابق له «تكوين الكتب الستة» «*Die Composition des Hexateuch*».

[١٥١٦] هو أهم من عرضها بوضوح وترتيب للمصادر، ولم يأت بها من فراغ، وإنما أكمل جهود النقاد السابقين، بترتيبها أساسًا. ولعظم دوره فيها، سميّت هذه النظريّة باسمه (*Wellhausen hypothesis*).

رغم أنّ نظريّة المصادر الأربعة قد لقيت مواجهة عنيفة في بدايتها، وطُرد عدد من المنافحين عنها من وظائفهم في الجامعات، إلاّ إنّه مع نهاية القرن التاسع عشر وجدت قبولًا كبيرًا من النقّاد البروتستانت، **والتحق بهم النقاد اليهود والكاثوليك –باستثناء (المحافظين منهم)– في منتصف القرن العشرين.**[١٥١٧]

ويؤكّد الناقدان المحافظان «ريموند ب. دلارد» «Raymond B. Dillard» و«ترمبر لنغمان» «Tremper Longman» أنّه **حتى النقاد الإنجيليين** –على ما فيهم من تعصّب– **يعترفون اليوم أنّ الأسفار الخمسة التي تنسب إلى «موسى» عليه السلام، تضمّ مواد سابقة «لموسى» عليه السلام، وأخرى لاحقة له!**[١٥١٨]

وقد اعترف الفاتيكان نفسه بهذه الحقيقة في الفقرة (٣٣) من المرسوم البابوي « *Encyclical Divino Afflante Spiritu*»[١٥١٩] (١٩٤٣م) حيث طلب من المفسرين الكاثوليك أن يستفيدوا من المناهج والدراسات الحديثة لمعرفة «**المصادر المكتوبة أو الشفهيّة** التي لجأ إليها (كتّاب الأسفار المقدّسة) »[١٥٢٠]

وقد أورد الأب اليسوعي (الكاثوليكي) «روبير بندكتي» اعترافات (صادمة!) في كتابه: «التراث الإنساني في التراث الكتابي، إشكاليّة الأساطير الشرقيّة القديمة في العهد القديم» – تغني عن كلّ حجة من الممكن أن نوردها، ومنها قوله:

[١٥١٧] انظر؛ Michael David Coogan, *The Old Testament: a very short introduction*, New York: Oxford University Press US, ٢٠٠٨, p.١٦

[١٥١٨] انظر؛ Raymond B. Dillard and Tremper Longman*, An Introduction to the Old Testament*, Michigan: Zondervan, ١٩٩٤ ,p.٤٧

[١٥١٩] معنى عنوان المرسوم «موحى من الروح الإلهية»، وقد أصدره البابا «بيوس الثاني عشر» إعلانًا عن مرحلة جديدة من الدراسات الكاثوليكيّة للكتاب المقدس، يُسمح فيها بالاستفادة الجزئية من المناهج والمعارف الحديثة.

[١٥٢٠] David A. Lysik, ed. *The Bible Documents: a parish resource*, Chicago: LiturgyTrainingPublications, ٢٠٠١, p.٢٢

«تتمتع مسألة الاتصالات الثقافية، التي تمت بين تراث الكتاب المقدس ودائرة الثقافات الشرقية القديمة، بأهمية كبرى لفهم العهدين القديم والجديد فهمًا صحيحًا وسليمًا. **لقد اكتشف دارسو ثقافات الشرق القديم منذ نيّف وقرن أن الثقافات المصرية والسومرية والبابلية الأشورية قد أسهمت إسهامًا هامًّا في تكوين آداب العهد القديم، وتشكّل بعض مفاهيمه ومقولاته وصياغة بعض تصوراته.** من هذا المنطلق، يُطرح السؤال بإلحاح حول كيفية علاقات تراث الكتاب المقدس وثقافات الشرق القديم. فقد لقي هذا السؤال أجوبة مختلفة. أثبت فريق من الكتاب أن الكتاب المقدس ملفّق من عناصر ثقافية مقتبسة من الشرق القديم، مما حدا بهم إلى اعتباره "سرقة" "ونهبًا" أدبيين. لم يصمد هذا الرأي أمام النقد العلمي الذي بيّن أصالة الخبرة الروحية التي ولّدت تراث العهد القديم وحافظت على هويته الثقافية خلال قرابة ألف سنة: من بزوغ الارهاصات الأولى للتقاليد الشرعية (في عصر موسى: القرن ١٣ ق. م.) إلى صياغة "كتب الشريعة الخمسة" النهائية على يد الفقيه عزرا (أوائل القرن ٤٠ ق. م.)، وذلك على الرغم من التفنن المدهش في ألوانه الأدبية. ثم وقف فريق آخر من رجال الفكر المسيحي موقف الدفاع عن أصالة "الكتاب الموحى" نافيًا نفيًا قطعيًّا إمكانية تأثره "بالثقافات الوثنية". **يمثل هذان الجوابان موقفين متطرفين، فهما لا يتعاملان مع الوقائع التاريخية تعاملًا موضوعيًا، بل يقفان منها موقفًا مسبقًا يصطبغ بصبغة أيديلوجية أو لاهوتية.**

لقد غدا من باب البديهيات أن الكتاب المقدس، في عهديه القديم والجديد، تعامل مع محيطه الثقافي فعّالًا، وأقام معه علاقات الأخذ والعطاء. وعليه فإن التراث الكتابي جزء لا يتجزأ من التراث الإنساني العام الذي تمثّل في الثقافات الشرقية القديمة.»[١٥٢١]

«ذكرنا آنفًا أن "الكتب الخمسة" ليست بنت لحظة عمل واحد، بل هي إنتاج تراث ثقافي روحي، **مما لم يعد ممكنًا أن ننسبه إلى شخصية مبدعة (موسى)**. فقد اكتشف النقد الأدبي، وراء نص الكتب الخمسة، **أعمالًا أدبية مختلفة ومؤلفين عدة، بل**

١٥٢١ روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، إشكالية الأساطير الشرقيّة القديمة في العهد القديم، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠م، ط٢، ص٦

مجموعات من المؤلفين. ويدلّنا النص نفسه على فروع التراث التي انصهرت في هذا العمل الأدبي.

ثمة أدلة مختلفة تكشف عن وجود فروع التراث هذه، منها الأسلوب عامة، واستعمال الألفاظ والمصطلحات والأسماء – مثلًا اسم الله ويهوه وإبراهيم- [١٥٢٢]، **والمفاهيم والمناهج اللاهوتية وما إلى ذلك**.»

وقال عن مؤلّف النص اليَهَوِي: «تعم فكرة الله الأوحد، رب السماء والأرض، فكر اليَهَوِي، إلا أنه لا يستطيع أن يعبّر عن هذا المفهوم الراقي لله، ليس هو مفكرًا لاهوتيًا، بل هو قصّاص بارع، يستعين بالفن القصصي كي يعبّر عن أفكار مجردة، فيصوّر الله بصورة الإنسان (تك ١٨/١-٣٣)، بل **لا يخشى أن يلتجئ إلى الأساطير البابلية** في حديثه عن الله (تك ٢/٤-٣/٢٤).» [١٥٢٣]

«اكتشف دارسو العهد القديم، منذ قرن ونيف، أن **أسفار هذا العهد تضمّ نصوصًا شتى تتسم بصفات أساطير الشرق القديم**، بل وأكثر من ذلك، فقد استعان مؤلفو روائعها **بنصوص أسطورية**.» [١٥٢٤]

«أما "تاريخ البدايات"[١٥٢٥]، فخلافًا عن ذلك لا يقبل التأريخ الدقيق ولا يحتوي معلومات موضوعية يمكننا التحقق منها بواسطة أدوات علم التاريخ النقدي. **ثم إنّه لا يتناسق وأحداث تاريخ الشرق القديم المعروفة، وكذلك لم يكتشف عالم آثاره في بلد من البلدان** ... إن هذا المفهوم (لتاريخ البدايات) **لم يصمد أمام العلوم النقدية**، والتمسك بهذا المفهوم يحملنا على تشويه مغزى «تاريخ البدايات» ومعناه اللاهوتي.» [١٥٢٦]

[١٥٢٢] المصدر السابق، ص ١٢-١٣

[١٥٢٣] المصدر السابق، ص ١٣

[١٥٢٤] المصدر السابق، ص ٢٤

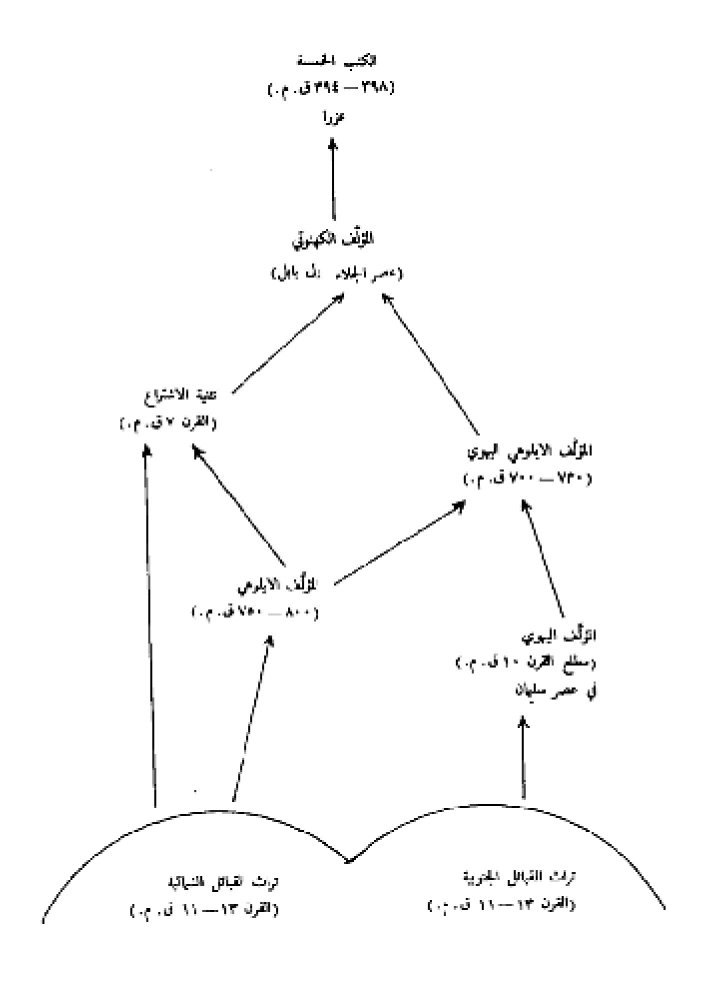
[١٥٢٥] ما يرويه سفر التكوين ١-١١

[١٥٢٦] المصدر السابق، ص ٢٥

«وحين دمج التراث "تاريخ البدايات" في تاريخ العهد القديم، **أي أدغم هذه القصة الأسطورية في إطار تاريخي وسياق أدبي شامل، جعل من القصة الأسطورية تأملًا لاهوتيًا وقصة فلسفية** يتساءل فيها عن معنى التاريخ اللاحق كله.» [١٥٢٧]

مصادر أسفار «موسى» الخمسة، كما قدّمها

الأب اليسوعي روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص٢١



[١٥٢٧] المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦

لم تسعف أحدث الدراسات –آخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين– الأسفار الخمسة من (محنة نظرية المصادر الأربعة) بل زادتها رهقًا، وزادت فيها النكاية؛ حتّى قال الناقد «دوغلاس ك. ستوارت» «Douglas K. Stuart» عند حديثه عن منهج «النقد المصدري» «*Source Criticism*» الذي يهتم في الدراسات الكتابيّة بالكشف عن المصادر التي اعتمدها المؤلّف أو المحرّر: «يطبّق هذا المنهج في الأغلب على الأسفار الخمسة الأولى، وبدرجة أقل على الأسفار التاريخيّة، وهو يحاول تبيّن الوثائق المكتوبة المتعددة التي استعملها المحرّر الأخير (للأسفار الخمسة الأولى مثلًا) لإنتاج العمل في تمامه. هذا المنهج النقدي كثيرًا ما ينظر إليه اليوم على أنّ الأبحاث قد تجاوزته؛ **لأنّ "المصادر" البشريّة للعهد القديم هي اليوم أشد تعقيدًا وأعسر على الكشف أو التمييز من بضعة وثائق مكتوبة.**»[١٥٣٨] ، وذلك رغم اعترافه أنّ نظريّة الوثائق الأربعة لازالت تلقى قبولًا عند المتخصصين في دراسات العهد القديم!

لقد «اتّسع الخرق على الراقع!»

إنّ تشتت نصوص الأسفار الخمسة بين مصادر متباعدة، بل ومتشاكسة، متعارضة، قد صار من مسلّمات النقد الحديث، وطويت صفحة نسبة هذه الأسفار كما هي اليوم إلى «موسى» عليه السلام.

ولا شك أنّ الباحث المسلم يوافق الدراسات الأكاديميّة الغربيّة قولها بتعدد مصادر هذه الكتب لأسباب ذكرها البحث الحديث، وأخرى حررها أئمتنا منذ كتاب «الفِصَل» للإمام «ابن حزم» بتقريرها تحريف هذه الأسفار. والتحريف كاشف عن يد دخيلة امتدت إلى النص زيادة أو حذفًا أو تبديلًا. ولا يعني ذلك أنّ الباحث المسلم يوافق النقاد الغربيين تفصيلات تقسيمهم للمصادر وتأريخها، فذاك أمر اجتهادي قابل للأخذ والرد عمومًا.

وقد قاد البحث في المصادر الشكليّة لهذه الأسفار إلى التفتيش عن المصادر الموضوعيّة لقصصها وأفكارها؛ وكانت النتيجة (كارثيّة) ناسفة لفكرة ربانية هذا النصوص المقدسة في مجملها؛ وفي

١٥٢٨ Douglas K. Stuart, *Old Testament Exegesis: a handbook for students and pastors*, Kentucky: Westminster John Knox Press, ٢٠٠١, ٣rd edition, p.١٢٢

ذلك يقول كتاب التعليق التاريخي على العهد القديم «*The IVP Bible Background Commentary: Old Testament*» إنّه: «**بالإمكان إظهار العديد من التوافقات بين أساطير الشرق الأدنى القديم ونصوص من العهد القديم ومفاهيم منه**.»[١٥٢٩]

وتعتبر شهادة مدخل سفر التكوين من الترجمة الفرنسيّة المسكونية للكتاب المقدس –وقد تبنته أيضًا ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة– خير ملخّص لما انتهى إليه النقد الأكاديمي الغربي في هذا الشأن: «لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس، وهم يروون بداية العالم والبشرية، أن **يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم**، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية. فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود **كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحِكَمية والليتورجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت**. ولا عجب في ذلك، عند من يعلم أن البلاد التي أقام فيها إسرائيل كانت منفتحة على المؤثرات الخارجية. وإلى جانب ذلك، كان شعب الله في تاريخه على صلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى.»[١٥٣٠]

وكان قد جاء في مقدمة الترجمة العربية للرهبانية اليسوعية –هذه الترجمة الرائجة بين النصارى العرب، والتي تنتصر للقول إنّ الكتاب المقدس كلمة الله!–: «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين عُرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم. ظل عدد كبير منهم **مجهولًا**، لكنهم، على كل حال، لم يكونوا منفردين، لأن **الشعب كان يساندهم**، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال، حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. **معظم** عملهم **مستوحى من تقاليد الجماعة**. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمنًا طويلًا بين الشعب وهي **تحمل آثار ردود فعل القرّاء**، في شكل **تنقيحات**

[١٥٢٩] John H. Walton, Victor Harold Matthews and Mark William Chavalas, *The IVP Bible Background Commentary: old testament*, IL: InterVasity press, ٢٠٠٠, p.٣٠

[١٥٣٠] ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص ٦٦

وتعليقات وحتى في شكل إعادة صيغة بعض النصوص إلى حد مهم أو قليل الأهمية. لا بل أحدثُ الأسفار ما هي أحيانًا إلا **تفسير وتحديث لكتب قديمة.**»[1031]

ويأتيك الآن التفصيل حتّى تنمحي غيمة الشك من سماء المرتاب، ويزداد الذين آمنوا (بخرافية كثير من هذه النصوص) إيمانًا.

قصص وعقائد مقتبسة:

- **خلق الكون:**

أقرّ **الحبر** «جولين مورنجشترن» «Julian Morgenstern»[1032] في كتابه «تفسير يهودي لسفر التكوين» «*A Jewish Interpretation of the Book of Genesis*»، –عند تعليقه على قصّة الخلق في الفصل الأول من سفر التكوين– بما جاء في هذه القصّة من أخطاء علميّة مكشوفة، وقال بوضوح في ردّ التأويلات البعيدة للأحبار في الهروب من الإشكالات العلميّة المطروحة هنا: «من الواضح أنّها لا تعدو أن تكون محاولات فاشلة لتفسير ما هو خطأ تاريخي جلي من طرف المؤلّف، وإن كانت دالة على التقوى وتبجيل (الكتاب) .» « it is clear that these are only unsuccessful though pious and reverential attempts to account for what is obviously an anachronism on the part of the author»[1033]

وعقّب بعد ذلك بقوله: «من الملاحظ هنا أن طلبة الدراسات الكتابية اليهود كثيرًا ما يفاجؤون، بل ويصدمون في البداية عندما تُقدّم لهم فكرة أنّ قصة الخلق هذه، وكذلك قصة الطوفان، وعدد من التقاليد والمعتقدات الكتابيّة الأخرى **إنما استعيرت من الأساطير البابلية وأدبها.**»[1034] في إقرار (عجيب) بخرافية هذه القصص ومصدرها الأسطوري!

[1031] ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص ٣٠

[1032] جولين مورنجشترن (١٨٨١م–١٩٧٦): حبر أمريكي. أستاذ الكتاب المقدس واللغات الساميّة، ورئيس كليّة الاتّحاد العبري.

[1033] Julian Morgenstern, *A Jewish Interpretation of the Book of Genesis*, Ohio: Union of American Hebrew Congregations, ١٩٢٠ p.٤٣

[1034] المصدر السابق، ص ٤٤

• الشيطان صاحب السلطان:

نصّ العديد من النقّاد على أنّ التصوّر اليهودي للشيطان متشبّع بالتصوّر المجوسي الذي يرى في قوى الشرّ كيانًا متسلطًا على الكون في علاقة تضاد موازية في القوة أو تكاد للإله الذي يمثّل قوّة الخير؛ فليس الشيطان مجرّد مخلوق منحرف عن الحق يغوي الناس، وإنّما هو كائن معاند للربّ ومشاكس له. وقد ذهب جمهور النقّاد إلى اقتباس اليهود من المجوس عددًا من مفاهيمهم عن الشيطان، ومنهم «هيوم» «Hume» و«مساني» «Masani» و«دوشزن–جويلمن» «Duchesne-Guillemin» و«نوس» «Noss» و«تساينر» «Zaehner».[1535]

وقد قال الناقد «ت. ك. شاين» «T. K. Cheyne»[1536] عن المجوسيّة: «معرفة هذه الديانة الأولى ضروريّة للتكوين الكامل للناقد المتخصص في العهد القديم ... لا عذر اليوم لدراسة ديانة العهد القديم دون مقارنتها بالزرادشتيّة. »[1537]، وهي شهادة معلنة للأثر العميق للمجوسيّة/الزرادشتيّة على أفكار العهد القديم!

• الملائكة أبناء الله:

جاء في تكوين ٦/١–٤: «وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم. فقال الرب: «لن يمكث روحي مجاهدا في الإنسان إلى الأبد. هو بشري زائغ، لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط». وفي تلك الحقب، كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم.»[1538]

[1535] انظر؛ Lloyd Applegate, *Zoroastrianism and Its Probable Influence on Judaism and Christianity*, in *Journal of Religion & Psychical Research*; Oct٢٠٠٠, Vol. ٢٣ Issue ٤, p١٥٩

[1536] توماس كلّي شاين (١٨٤١م–١٩١٥م): ناقد كتابي إنجليزي. درّس تفسير الأسفار المقدّسة في جامعة أوكسفورد. تميّز بدعوته إلى قراءة العهد القديم في ضوء المعطيات الأدبيّة والتاريخيّة والعلميّة.

[1537] Rustom Masani, *Zoroastrianism: The Religion of the Good Life* , p.٢٠ (عن المصدر السابق, ص١٩٥)

[1538] تكوين ٦/١–٤

ذهب اليهود في: تفسيراتهم الأقدم، ومخطوطات البحر الميت، والترجمة السبعينية —في قراءة[1039] – أنّ «أبناء الله» أو «أبناء الآلهة» «**בני-האלהים**» (بني هاإلوهيم) هنا هم الملائكـــة، وهو ما جاء أيضًا في مؤلّفات الكتّاب النصـــارى الأوائل ك «جستين» و«إيرانيوس» و«كلمنت السكندري» و«ترتليان» ...[1040]

ومن أهم ما يشهد على هذا التفسير، الكتاب المقدس نفسه، فقد جاء في سفر أيوب ٦/١: «**ויהי היום--ויבאו בני האלהים، להתיצב על יהוה; ויבוא גם השטן، בתוכם**» ومقابله في الترجمة العربيّة «الترجمة المشتركة» —وهي ترجمة اشترك في إعدادها عدد من الطوائف النصرانيّة—: «وجاء الملائكة يومًا للمثول أمام الرب، وجاء الشيطان أيضا بينهم.». لم يذكر النص العبري «الملائكة» «**המלאכים**» وإنما ذكر «أبناء الله» «**בני האלהים**»، وقد اختارت الترجمة المشتركة ما رأت أنّه دلالة السياق، على حساب المعنى الحرفي، وهو ما يعني أنّ «الملائكة» في الكتاب المقدس، هم: «أبناء الله»!

يبدو الاعتقاد أنّ الملائكة هم «أبناء الله» مشابهًا لما كان عليه عرب الجاهليّة من أنّ الملائكة «بنات الله»: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[1041]، ويبدو أنّ هذا التصوّر مأخوذ من الأساطير الكنعانيّة التي كانت ترى أنّ الملائكة «أبناء الله» كما أكّده الناقد «كلاوس فسترمان» «Claus Westermann»[1042] في تعليقه على سفر التكوين.[1043]

[1039] القراءة الشائعة هي «υιοι του θεου» «أبناء الله» وهناك شواهد على قراءة « αγγελοι του θεου» «ملائكة الله» (انظر: Archie T. Wright, *The Origin of Evil: the reception of Genesis ٦,١-٤ in early Jewish Literature*, Mohr Siebeck, ٢٠٠٥, p.٦٢)

[1040] انظر: Gordon J. Wenham, *Word Biblical Commentary, Volume ١: Genesis* ١-١٥, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨, CD edition

[1041] سورة الإسراء/ الآية (٤٠)

[1042] كلاوس فسترمان (١٩٠٩م–٢٠٠٠م): رُسِّم قسيسًا. درّس العهد القديم في جامعة هايدلبرغ. يعتبر من أئمة دراسات العهد القديم في القرن العشرين.

[1043] انظر: Claus Westermann, *Genesis ١-١١: a continental commentary*, tr. John J. Scullion, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٤, pp.٣٦٣-٣٨٣

• صراع الرب مع يعقوب:

«ثم قام في تلك الليلة وصحب معه زوجتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر بهم مخاضة يبوق، ولما أجازهم وكل ما له عبر الوادي، وبقي وحده، صارعه إنسان حتى مطلع الفجر. وعندما رأى أنه لم يتغلب على يعقوب، ضربه على حق فخذه، فانخلع مفصل فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال له: «أطلقني، فقد طلع الفجر». فأجابه يعقوب: «لا أطلقك حتى تباركني.» فسأله: «ما اسمك؟» فأجاب: «يعقوب». فقال: «لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل (ومعناه: يجاهد مع الله)، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت». فسأله يعقوب: «أخبرني ما اسمك؟» فقال: «لماذا تسأل عن اسمي؟» وباركه هناك. ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (ومعناه: وجه الله) إذ قال: «لأني شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيًّا.»[١٥٤٤]

كشف العديد من النقّاد أنّ هذه القصّة (البشعة) التي تتحدّث عن صراع «يعقوب» النبي مع «الله» ربّ العالمين —تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا– أصلها الأساطير الخرافيّة القديمة التي تتحدث عن صراع (البطل) مع الروح الشيطانيّة التي تحمي النهر، فتظهر ليلًا، وتختفي قبل إشراقة الصبح[١٥٤٥][١٥٤٦].

• شمشون الجبار:

«شمشون» «**שמשון**» بطل شعبي إسرائيلي ورد ذكره في سفر القضاة في العهد القديم. وهو يذكر في سياق استحكام العداوة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

تعتبر قصص «شمشون» اليوم مادة شائقة للقصص الساذجة التي تروى للأطفال حيث القوّة الخارقة، والبطولات الغرّة، وللنقّاد في نقاش أصل هذه الشخصيّة مذاهب متنوّعة؛ من أهمّها ربط هذه الشخصيّة بالإله الشمس؛ إذ إنّ أصل اسم «شمشون» من «**שמש**» (شمش) أي

[١٥٤٤] تكوين ٣٢/٢٤-٢٩

[١٥٤٥] لاحظ: «وقال له: «أطلقني، فقد طلع الفجر».»

[١٥٤٦] انظر؛ Eli Yassif, *The Hebrew Folktale: history, genre, meaning*, tr. Jacqueline S. Teitelbaum, Indianapolis: Indiana University Press, ١٩٩٩ , pp.١٢-١٤

شمس، وأصل اسم حبيبته «دليله» «**דלילה**» —في قولٍ– من كلمة «**לילה**» (ليله) أي «ليل»، ورغم أنّ الموسوعة اليهوديّة (*Encyclopedia Judaica*) لم تأخذ بهذا المذهب بإطلاقه إلاّ أنّها **اعترفت بوجود عناصر أسطوريّة في القصص البطوليّة** المرويّة عن «شمشون»، وذهبت إلى أنّ أصل القصّة هو إفراز **فولكلوري**، وأنّ ما ذكر فيها لا يعدو أن يكون من جنس «قصص المغامرات الجريئة للبطل الخارق ضد الأجنبي المعتدي.»[١٠٤٧]

ومن هذه القصص الشعبيّة التي لا يمكن أن تربط البتّة بالوحي الإلهي، وإنما بالخيال الشعبي للأمم القديمة:

«فانحدر شمشون ووالداه إلى تمنة حتى بلغوا كرومها، وإذا بشبل أسد يتحفز مزمجرًا للانقضاض عليه، فحل عليه روح الرب فقبض على الأسد وشقه إلى نصفين وكأنه جدي صغير، من غير أن يكون معه سلاح. ولم ينبئ والديه بما فعل.»[١٠٤٨]

«وانطلق شمشون واصطاد ثلاث مئة ثعلب وربط ذيلي كل ثعلبين معا ووضع بينهما مشعلا، ثم أضرم المشاعل بالنار وأطلق الثعالب بين زروع الفلسطينيين، فأحرقت حقول القمح وأكداس الحبوب وأشجار الزيتون.»[١٠٤٩]

«وعثر على فك حمار طري، تناوله وقتل به ألف رجل، ثم قال شمشون: «بفك حمار كومت أكداسا فوق أكداس، بفك حمار قضيت على ألف رجل.»[١٠٥٠]

«وذات يوم ذهب شمشون إلى غزة حيث التقى **بامرأة عاهرة فدخل إليها**. فقيل لأهل غزة: «قد جاء شمشون إلى هنا». فحاصروا المنزل وكمنوا له الليل كله عند بوابة المدينة، واعتصموا بالهدوء في أثناء الليل قائلين: «عند بزوغ الصباح نقتله» . وظل شمشون راقدا حتى

[١٠٤٧] *Encyclopedia Judaica*, ١٧/٧٥٠.

[١٠٤٨] القضاة ١٤/٥-٦

[١٠٤٩] القضاة ١٥/٤-٥

[١٠٥٠] القضاة ١٥/١٥-١٦

منتصف الليل، ثم هب **وخلع مصراعي بوابة المدينة**[1551] بقائمتيها وقفلها، ووضعها على **كتفيه وصعد** بها إلى **قمة** الجبل مقابل حبرون.»

وقد كان سرّ قوة هذا الرجل في خصلات شعره؛ فلما حُلقت؛ ذهبت قوّته**!!**[1552]

أسفار مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

• سفر الأمثال:

أثبت العديد من النقّاد أنّ سفر الأمثال ليس نتاج وحي سماوي، وإنّما هو انعكاس لحكمة المصريين والكنعانيين:

الحكمة المصريّة: تتالت الدراسات العلميّة الجادة، منذ صدور دراسة الناقد «أدولف إرمان»، لإثبات أنّ سفر الأمثال متأثّر بتعاليم «أمنموؤب»[1553] (١١٠٠ ق.م)، وقد حاول البعض إثبات التأثير العكسي من سفر الأمثال على تعاليم «أمنموؤب»، فلم يحالفهم النجاح، لأسباب عديدة، منها أنّ الدلائل تؤكد سبق هذه التعاليم لكتابة سفر الأمثال. وقد ذهب الناقد ««رومهلد» «Romheld» إلى أنّ أدب الحكمة الإسرائيليّة قد استعار من مصر ما أراد، لكنّ هذا الأدب ذهب مع ذلك إلى وجهته الخاصة التي أرادها.[1554]

[1551] القضاة ١٦/١-٣

[1552] انظر؛ القضاة ١٦/١٩-٢١

[1553] أمنموؤب (١١٠٠م): حكيم عاش في مصر، في أخميم. حفظت تعاليمه في ثلاثين فصلًا في قالب نصائح أب لابنه كيف يحيى حياة صالحة.

[1554] انظر؛ Roger Norman Whybray, *The Book of Proverbs: a survey of modern study*, Leiden: BRILL, ١٩٩٥, p.١٥

ولخص الناقد «دايف بلاند» «Dave Bland» مذاهب النقّاد في قوله: «هناك تقريبًا **اتفاق إجماعي** أنّ مجموعة الأمثال الواردة في ٢٢/١٧–٢٣/١١ قد تأثّرت بصورة ما بعمل الحكيم المصري المعروف بـ«أمنمؤوب».»[١٥٥٥]

الحكمة الشاميّة: دافع عدد من النقّاد عن الأثر الكنعاني الفينيقي على سفر الأمثال من ناحية الأسلوب، والألفاظ، والنحو، وكان اعتمادهم أساسًا على الأبحاث في التراث الأوغاريتي التي قام بها «س. أ. ك. ستوري» «C. I. K. Story».

وقد ذهب الناقد المحافظ «ويليام فوكسول ألبرايت» إلى أنّ **الأثر الأوغاريتي على سفر الأمثال أعمق من أن يحصر في اللغة والأسلوب.** وبيّن أنّ الحكمة المجسّدة في الأمثال ٢٢/٨–٣١ ، وفي الفصل التاسع أيضًا، مأخوذة من الأساطير الكنعانيّة، ومصدرها الإلهة الكنعانيّة «حُكمتو» التي هي ابنة الإله الأكبر «إل».[١٥٥٦]
ووسّع مدخل سفر الأمثال للترجمة الفرنسيّة المسكونية للكتاب المقدس –وقد تبنته أيضًا ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة– مصادر الاقتباس في قوله: «إنّ سفر الأمثال مجموعة قِطَع من **مختلف المصادر** والتواريخ، أو هو بالأحرى **مجموعة مجموعات**. إنه يعود إلى الفن الأدبي الذي كان مزدهرًا منذ زمن طويل في الهلال الخصيب وفي مصر، أي إلى الأدب الحِكَمي. هناك **أكثر من وجه شبه بين سفر الامثال وما يماثله في النصوص السومرية أو الأشورية البابلية أو الكنعانية أو الحثية أو المصرية**، فإن فيها معالجة لمواضيع واحدة بألفاظ واحدة، **وفيها أيضًا اقتباسات مباشرة**.[١٥٥٧] »
كلام (كرِستالي) .. ولا مزيد!

[١٥٥٥] Dave Bland, *Proverbs, Ecclesiastes and Songs of Songs*, Missouri: College Press, ٢٠٠٢, p.١٩

[١٥٥٦] انظر: Roger Norman Whybray, *The Book of Proverbs: a survey of modern study*, pp.١٧-١٨

[١٥٥٧] ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص ١٣١٥

• سفر الحكمة:

جاء في مدخل سفر الحكمة من الترجمة الفرنسيّة المسكونيّة للكتاب المقدس —وقد تبنته أيضًا ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة–: «إن واضع سفر الحكمة هو شاعر ومعلّم روحي أراد أن يضع مؤلفًا شخصيًّا طريفًا. ومع أنه **يستقي من ينابيع كثيرة**، فإنه يحترز من نقلها كما هي، بل **يدخلها بفطنة في كتابه**. وهكذا يتصرف في استعماله العهد القديم. فإن الشواهد المأخوذة من النصوص الكتابية السابقة قليلة عنده، مع أن كتابه تغذّيه معرفة وتأمل عميق لهذه النصوص (لا سيما التكوين والخروج وإشعيا والأمثال وابن سيراخ) التي يبدو أنه طالعها في الترجمة اليونانية السبعينية. **ونرى في القسم الأخير أثرًا واضحًا للمدراش**، وهو نوع من التفسير اليهودي للنصوص الكتابية، **يفسح المجال للتوسيعات الخيالية**.

والملاحظة نفسها تصح في الأدب والثقافة الهلينستية. فالكاتب يلجأ بتصرف إلى معارفه في ميادين الشعر والخطابة والعلوم اليونانية، ولا سيما الفلسفة. ويلاحظ القارئ، على سبيل الاستثناء، **تكرارًا يكاد يكون حرفيًا لهوميروس أو لأفلاطون** ورجوعًا على شيء من الدقة إلى أحد الشروح العلمية أو إلى إحدى النظريات الفلسفية. وتقع أحيانًا على مجرد تلميحات أو ذكريات غير واضحة.

لا عجب أن يكون الكاتب قد استوحى في آن واحد من مؤلفات كتابية سابقة **ومن مؤلفات يونانية**. فالبيئات الإسكندرية اليهودية تمتاز بهذه الطريقة. إن المواضيع والمعاني الكتابية هي الأساس لكل تفكير لاهوتي، ولكن كثيرًا ما يبحث فيها وتترجم ويوسع فيها بالاستعانة بالمعاني اليونانية. لا بد من التذكير بأن الكاتب يتوجّه من جهة أولى إلى قرّاء يهود نسوا أو كادوا ينسون العبرية وتشرّبوا، على مثال الكاتب، ثقافة هلّينستية، ومن جهة أخرى إلى قرّاء يونانيين يريد أن يقنعهم بتفوق الحكمة اليهودية. وهو يلجأ، في كل من الحالتين، إلى معانٍ يونانية ليجعل تراث إسرائيل الخاص في متناول قرائه. فاهتمامه بالتجديد أو بضم العناصر المأخوذة من حضارة أخرى أقل شأنًا عنده من قصده أن يكون، على وجه فعّال، شاهدًا أمينًا للتقليد اليهودي. فلا شك أن القارئ يلاحظ نبذ الكاتب لجميع صيغ عبادة

الأصنام والفلسفة المادية، أو مقاومته الشديدة للحتمية الفلكية وللأسرار الطقسية، ولا سيما الديونيسية منها.»[١٥٥٨]

إنّ هذا السفر الذي يقدّسه الكاثوليك والأرثودكس، قد رتع في أرض الثقافة اليونانيّة، وغيرها من الثقافات التي لم تستضئ بنور الوحي، وأخذ منها ما شاء .. وليس بعد الإقرار، فسحة للفرار!

• المزامير:

كان العالم الأمريكي الدكتور « جيمس هنري برستد» أول من أشار إلى المطابقة بين نشيد إخناتون والمزمور (١٠٤) من أسفار التوراة، ثم قام بعمل مقارنة بين النصين- المصري والعبراني- فخرج من بحثه أو أبحاثه- بأن ذلك لا يمكن أن يكون بسبب توارد الخواطر بحال من الأحوال وإنما المرجح أن العبرانيين إنما كانوا على علم بأنشودة «إخناتون» التي وضعها لإله الشمس.

ومن الراجح أن يكون الأصل المصري القديم لأنشودة «إخناتون» قد انتشر في فلسطين أو فينيقيا قبل ظهور المزامير العبرانية بزمن طويل، فقد انتهى «إخناتون» (١٣٦٧-١٣٥٠ ق. م) من إخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وقد حدث في أنشودة آتون تغيير عظيم، بعد أن ترجمت إلى بعض اللغات السامية من لغات آسيا الغربية، كاللغات الفينيقية أو الآرامية أو العبرية على الأرجح، على أنه بفحص الفقرات المشابهة لها في المزمور (١٠٤) يظهر لنا مدى الشبه بين الصورتين، لا من حيث مضمون أنشودة إخناتون فحسب، بل إننا كذلك، نجد هذا الشبه في تتابع الأفكار، وترتيبها الظاهري، الذي بقي في الرواية الآسيوية العبرية.[١٥٥٩]

• نشيد الإنشاد:

طرح النقّاد إشكالًا فيما يتعلّق بسفر نشيد الإنشاد، وهو: لماذا قدّس اليهود سفر نشيد الإنشاد إلى درجة اعتباره «قدس أقداس الأسفار» رغم اللغة الجنسيّة الحارة التي تهيمن عليه، وغياب أي ذكر للرب أو لأي معان دينيّة عامة في لفظه!

[١٥٥٨] ترجمة الرهبانيّة اليسوعية، ص ١٣٩٦

[١٥٥٩] محمد بيومي مهران، إسرائيل، ٣/٢٩٥-٢٩٦، مع تصرف يسير.

ولقد كانت أهم الإجابات هي أنّ هذا النوع من الشعر كان قد اخترق الثقافة اليهوديّة، ووجد له مكانًا في الذهنيّة الجماعيّة الإسرائيليّة، مما يسّر له أن يعتلي منصّة الخطاب الديني.

وقد رأى الناقد «مايكل فوكس» «Michael Fox» أنّ هذه المنظومة الشعريّة موازية لشعر الحب عند المصريين في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد المتميّز بالطابعين الشخصي والشهواني بين شاب وشابة حيث يستغرق كل منهما في التغزل بالمفاتن الجسديّة للآخر. وقد انتشر هذا الشعر بصورة واسعة بما يجيز أن يكون هو مصدر هذا النوع من الشعر الغزلي الإسرائيلي في هذا السفر.

وذهب الناقد «صاموئيل نوح كرامر» «Samuel Noah Kramer» الذي يعد رائد دراسة الثقافة السومريّة وأدبها، إلى أنّ مراسم الزواج المقدس في الشرق الأدنى القديم تمثّل خلفيّة سفر نشيد الإنشاد، وبيّن التشابه بين «إننا» و«تموز» وما جاء في نشيد الإنشاد من حيث اللغة التشبيهيّة والوصفيّة والإطار المكاني.[١٥٦٠]

تشريعات مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

تقول «دائرة المعارف الأمريكية» «*The Encyclopedia Americana*»: «تحتل شريعة حامورابي التي اكتشفت في سوسا في وقت مبكر من عام ١٩٠٢م على يد المستكشفين الفرنسيين وتحت إشراف «ج. دو مورجان»، أهمية خاصة بالنسبة للشريعة التوراتية. فهي مجموعة من القوانين صيغت بأمر من حامورابي، ملك بابل، الذي حكم عام ٢٢٥٠ ق.م تقريبًا. ومن المرجح أن أجزاء من هذا القانون تعود إلى فترات سبقت فترة حكم حامورابي. ولقد ظل هذا القانون فيما يبدو معمولًا به من غير أن يلحقه أي تغيير أساسي حتى الفترات المتأخرة من تاريخ بابل وأشور.

تظهر المقارنة بين هذا القانون والقوانين التوراتية **تشابهات كثيرة للغاية** ... التشابهات التفصيلية الكثيرة، متقاربة جدًا، **وتصل حتى إلى التشابه في الأسلوب**. في غالبية حالات التشابه، تتشابه مادة القانونين، لكن التفاصيل تختلف، فالأسفار التوراتية الخمسة **تتميز على نحو خاص بقسوة أشدُّ في العقاب**. في بعض الأحيان تعطي القوانين التوراتية تعليمًا

١٥٦٠ انظر؛ Rosemary Radford Ruether, *Goddesses and the Divine Feminine: a western religious history*, California: University of California Press, ٢٠٠٦, pp.٨٨-٨٩

يتناقض تناقضًا مباشرًا مع قوانين حامورابي، كما لو كانت الأخيرة في ذهن (المشرع التوراتي). من المهم أن نلاحظ أن جل هذه التشابهات هي مع كتاب العهد في سفر الخروج الذي ينظر إليه بوجه عام باعتباره أقدم تشريع، جنبًا إلى جنب مع الوصايا العشر، في الأسفار الخمسة ...
تظهر الحقائق بوضوح أنه ثمة صلة بين التشريع التوراتي وشريعة حامورابي.[١٥٦١]»

أضافت نفس الموسوعة أنّ المسألة ليست اقتباسًا مباشرًا حرفيًا، وإنما قد دخلت قوانين «حمورابي» في الثقافة اليهوديّة عند كتابة الأسفار الخمسة الأولى، فكان الكتّاب اليهود يستحضرون هذا النصوص عند صياغتهم للقوانين الواردة في الأسفار، باعتبارها وحيًا إلَهيًّا، مع شيء من التعديل.[١٥٦٢]

من التشريعات المقتبسة من الأمم الأخرى، التشريع (الغريب) الوارد في سفر التثنية ٢٥/٥-١٠ الذي ينص على أنّه إذا مات زوج ولم ينجب؛ ينبغي تزويج أرملته بأخيه، وأن يُنسب الولد الذي يكون ثمرة هذا الزواج إلى الأخ المتوفى، وهو ما جاء في الديانة الزرادشتيّة تحت اسم (الأبدال)، ومعنى الأبدال أنّ الرجل إذا حان أجله ولم يكن له ولد وكانت له زوجة؛ زوّجت هذه الزوجة إلى أقرب أقاربه، وينسب الولد الذي يولد من هذا الزواج إلى المتوفى صاحب التركة، وينبغي أن يبقى نسل الميت إلى آخر الزمان.[١٥٦٣]

نصوص مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:

- جاء في سفر الأمثال ٢١/٢: «الرب مطلع على حوافز القلوب». هذه الترجمة التي تقدّمها ترجمة «كتاب الحياة» محرّفة؛ إذ إنّ النص العبري يقول: «**ותכן לבות יהוה**» (وتوكين لبوت يهوه) أي «ويهوه (أي الله) وازن القلوب»، ولذلك جاءت ترجمة «الفاندايك» أصدق؛ إذ قالت: «والرب وازن القلوب»، ولعلّ ترجمة «كتاب الحياة» قد

١٥٦١ *The Encyclopedia Americana*, art. *Pentateuch*, New York: The Americana company, ١٩٠٤, V.١٢

١٥٦٢ انظر المصدر السابق

١٥٦٣ انظر؛ سهيل زكار، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٨م-٢٠٠٧هـ ، ص ٧٣

حرّفت النص فرارًا مما شاع أنّ وزن القلوب يوم القيامة هو معتقد مصري فرعوني عريق!
والصورة الأثريّة التاليّة توضح الأمر بجلاء حيث يوزن في ساحة الحساب قلب الميت في ميزان (على الشمال) في مقابل ريشة العدالة (اليمين)، ويقوم الإله «تحوت» —إله الحكمة– في أثناء ذلك بتدوين النتائج، فيما يقوم الشيطان الذي يبدو في شكل حيوان بمراقبة كل ذلك.[١٥٦٤]



ومن الطرائف في هذا المقام أنّ المنصّرين، وعلى رأسهم «تسديل» قد ادّعوا أنّ عقيدة وزن الأعمال يوم القيامة كما هي في القرآن، مأخذوة من الديانة المصريّة، فهي واردة في الكتاب المصري القديم «كتاب الموتى»[١٥٦٥]، رغمّ أنّ:

(١) الخلاف في التفاصيل بارز جدًا بين ما قررّه القرآن الكريم والسنة وبين ما أبدته العقيدة المصريّة.

(٢) لا يوجد أي رافد للحضارة المصريّة يصبّ في الجزيرة العربيّة في القرن السابع ميلاديًّا.

(٣) كانت العقيدة المصريّة القديمة قد اندثرت تمامًا زمن نزول القرآن، وتلاشت معالمها الدينية، وأصبحت لغتها لغزًا لا يفهمه أحد.

وفي المقابل نجد أنّ ما جاء في سفر الأمثال:

(١) يطابق بالحرف ما جاء في العقيدة المصريّة.

[١٥٦٤] انظر؛ Bruce K. Waltke, *The Book of Proverbs: chapters* ١-١٥, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٤, p.٣١

[١٥٦٥] انظر؛ St. Tisdall, *The Original Sources of the Qur'an*, p. ٢٠٢-٢٠٥

(٢) كتب في زمن كانت فيه العقيدة المِصريّة حيّة، ولغتها مشتهرة!
فهل بعد الحق إلا الضلال ..؟! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١٥٦٦]!!

- جاء في سفر ملاخي ٤/٢: «أما أنتم أيها المتقون اسمي فتشرق عليكم شمس البر حاملة في أجنحتها الشفاء»

يقول عالم المصريات «جيمس هنري بريستد» «James Henry Breasted»[١٥٦٧] إنّه من المعروف أنّ العدالة–فيما يرى المصريون– إنّما كانت ممثّلة في شخص الإلهة «ماعت» التي كان يعتقد القوم أنّها «بنت إله الشمس»، وبما أنّ شمس العدالة (أو البر) العبرانيّة قد وصفت بأنّ لها أجنحة؛ فلا يمكن أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى إله الشمس ذي الأجنحة، لأنّه لم يكن يوجد بين جميع التصوّرات العبرانيّة القديمة للإله «يهوه»، أي صورة تمثّله بأجنحة.
وقد دلّت الحفائر الحديثة في «السامرة» على أنّ هذه التصوّرات المصريّة لإله الشمس العادل كانت شائعة الانتشار في الحياة الفلسطينيّة، فقد عثر الحفّارون في خرائب قصر ملوك بني إسرائيل في «السامرة» على بعض ألواح من العاج منقوشة نقشًا بارزًا كانت تستعمل يومًا ما في التطعيم الزخرفي الذي كان يحلّى به أثاث الملوك العبرانيين، ومن بين تلك القطع قطعة نقشت عليها صورة إلهة العدالة «ماعت» يحملها إلى أعلى ملاك الشمس «هليوبوليس» في وضع نفهم منه أنّه كان على ما يظهر يقدّم تلك الصورة لإله الشمس، وتصميم الرسم مصري في كل نواحيه، إلا إنّ صناعته تدلّ بوضوح على أنّ نقشه من صنع أياد فلسطينيّة.

ومن ذلك يتضح أن الصنّاع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل تلك الرسوم المصريّة القديمة، وأنّ وجهاء العبرانيين الذين كانوا يجلسون عليها، كانوا ينظرون كل يوم إلى هذه الرموز التصويرية الدالة على إله الشمس المصري وهي تزيّن نفس الكراسي التي يجلسون

[١٥٦٦] سورة الحج/ الآية (٤٦)

[١٥٦٧] جيمس هنري بريستد (١٨٦٥م–١٩٣٥م): أركيولوجي أمريكي. من أعلام الدارسين للحضارة المصريّة القديمة. وقد درّس المصريات في جامعة شيكاغو.

عليها، ولم يكن إله الشمس صاحب الأجنحة المتأصلة في وادي النيل معروفًا عند العبرانيين بأنه إله عدالة فقط، بل كان كذلك معروفًا بأنه الإله الحامي لعباده، الرؤوف بهم، وقد أشارت المزامير العبرانية أربع مرات إلى الحماية الموجودة « تحت ظل أجنحتك»[١٥٦٨] [١٥٦٩].

كائنات أسطوريّة مقتبسة من تراث الأمم الأخرى:[١٥٧٠]

لعالم الرعب الخرافي حضور واضح في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي .. وقد ورثت النصرانيّة من اليهوديّة كتابها المقدس، وكثيرًا من تراثها، وأضافت إلى ذلك شيئًا من خرافات اليونان والرومان .. فاكتمل بذلك مسرح الخيال!

○ الغول:

إشعياء ٢١/١٣: «إنما تأوي إليها وحوش القفر وتعج بيوت خرائبها بالبوم، وتلجأ إليها بنات النعام، وتتواثب فيها **الماعز البرية**.» (ترجمة كتاب الحياة)

«ורבצו-שם ציים، ומלאו בתיהם אחים; ושכנו שם בנות יענה، ו<u>שעירים</u> ירקדו-שם»

كلمة «**שעירים**» هي جمع «**שעיר**». لغة: «الأشعر» اي كثير الشعر. وقد اعتقد اليهود منذ زمن مبكّر بسبب هذا النص وغيره أنّ الشياطين والأرواح الشريرة تأخذ شكل عنز وغيرها من

[١٥٦٨] «**בצל כנפיך**» (بتسيل كنافيكا): مزمور ٨/١٧، ٧/٣٦، ١/٥٧، ٧/٦٣.

[١٥٦٩] James Henry Breasted, *The Dawn of Conscience*, pp. ٣٦٠, ٣٦١ (نقله؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل ٣/ ٣١٤)

[١٥٧٠] استفدت في هذا الموضع من بحث الأستاذ محمد رفاعي: (علم الميثولوجيا يثبت تحريف الكتاب)، في حصره للكائنات الخرافيّة في الكتاب المقدس، وإن كنت قد أحلت إلى مراجع علميّة أخرى عند التحليل والتعليق على هذه النصوص.

الدواب، في الأماكن القفرة[١٥٧١]. إذ إنّ اليهود قد فهموا أنّ كلمة «**שעיר**» تعني شيطانًا كثيف الشعر.

أمّا بالنسبة للنصارى فقد فهم قديس الكنيسة «جيروم» أنّ هذه الكلمة تعني كائنًا نصفه الأول بشري والنصف الثاني ماعز. ويبدو أنّ الزعيم البروتستانتي «كالفن» فهم نفس الفهم من هذا السياق باعتماده كلمة «satyri» في ترجمته.[١٥٧٢]

وجمهور النقاد اليوم على القول إنّ هذا النص يتحدث عن كائن شيطاني مخيف كالذي تحدث عنه اليهود و«جيروم»[١٥٧٣].

وقد جاء النص في ترجمة «الأخبار السارة» صريحًا، واضحًا: «تتلاقى الوحوش وبنات آوى ويتنادى معز الوحش إليها. هناك تستقر **الغول** وتجد لنفسها مقامًا»[١٥٧٤]

[١٥٧١] انظر؛ Joseph Addison Alexander, *Commentary on Isaiah*, MI: Kregel Publications, ١٩٩٢, p.٢٨٤

[١٥٧٢] انظر المصدر السابق

[١٥٧٣] انظر المصدر السابق

[١٥٧٤] روى الإمام مسلم في صحيحه (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، ح/ ٢٢٢٢) أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا عدوى ولا صفر ولا غُول»، قال الإمام «ابن حجر» (الفتح، ١٥٩/١٠): «أما الغول: فقال **الجمهور**: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولًا، أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، وقد كثر في كلامهم: «غالته الغولة» أي أهلكته أو أضلته، فأبطل – صلى الله عليه وسلم – ذلك.»، ونسب أيضًا الإمام «النووي» هذا التفسير إلى جمهور العلماء (انظر؛ المنهاج، ٢١٦/١٤–٢١٧). وأما حديث «أبي أيوب» رضي الله عنه أنه كانت له سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ منه؛ فضعيف لسوء حفظ «ابن أبي ليلى»، كما أنّ الحديث الذي أخرجه «أحمد» وغيره: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» لا يصح للانقطاع بين «الحسن البصري» و«جابر بن عبد الله» رضي الله عنه (انظر؛ السلسة الضعيفة، ١٣٩/٣)، وفيما يتعلّق بحديث «لا صفر ولا غول ولكن السعالي» فهو مرسل لا يصح. وأمّا ظهور الجن في صور آدمية وغيرها فثبت في الروايات الصحيحة. وفرق شاسع بين خرافات العرب الجاهليين التي أثبتها الكتاب المقدس التي تقول بوجود «الشياطين التي تسكن القفار» وما تفرد به الكتاب



○الغولة (ليليت):

إشعياء ١٤/٣٤: «وتجتمع فيها الوحوش البرية مع الذئاب، **ووعل البر** يدعو صاحبه، وهناك تستقر **وحوش الليل** وتجد لنفسها ملاذ راحة.» (ترجمة كتاب الحياة)

«ופגשו ציים את-איים, ושעיר על-רעהו יקרא; אך-שם הרגיעה לילית, ומצאה לה מנוח»

يذكر هذا النص (الغول) (**שעיר**)، ومعه كائن خرافي آخر هو «**לילית**» (ليليت) .. هذا الكائن- بهذا الاسم- معروف في وثائق الحضارات القديمة، مثل النصوص السومرية التي تذكره -منذ القرن الثالث قبل الميلاد- على أنه «ليليتو»، ومن هذه الوثائق ما ورد عن ملحمة

المقدس من الحديث عن (الشيطان الماعزي) من جهة، وحقيقة الجن وملكاتهم من جهة أخرى، علمًا أنّ الكتاب المقدس يقرّ أيضًا بوجود الجن (انظر؛ اللاويين ٣١/١٩، ٦/٢٠، ٢٧/٢٠، تثنية ١١/١٨، ١صموئيل ٣/٢٨، ٧، ٨، ٩، ٢ الملوك ٦/٢١، ١الأيام ١٣/١٠، ٢الأيام ٦/٣٣).

جلجامش السومرية، وهو في قائمة الشياطين البابليّة. وقد تسلل إلى التراث اليهودي بعد ذلك.

هذا الاسم هو من الجذر السامي: ل-ي-ل، أي ليل. ولذلك ارتبط هذا الكائن الخرافي بالليل والخوف والرعب. وأبرز سماته إغواء الرجال وقتل الأطفال الصغار.[١٥٧٥]



○ الحصان وحيد القرن:

العدد ٢٢/٢٣: «الله أخرجهم من مصر، وقوتهم مثل قوة **الثور الوحشي**.»

«אל، מוציאם ממצרים--כתועפת ראם، לו»

[١٥٧٥] انظر؛ *Encyclopedia Judaica*, ١٣/١٧-١٩

أشهر ترجمة للعهد القديم العبري هي الترجمة اليونانيّة، وهي الترجمة السبعينيّة التي تمّت قبل ولادة المسيح بأكثر من قرنين، وقد وردت فيها كلمة «Μονόκερως» (منوكروس) مقابل الكلمة العبريّة «**ראם**»، والكلمة اليونانيّة دالة بذاتها على معناها؛ إذ هي تتكون من مقطعين (كروس) أي قرن، و(مُنو) أي واحد، واستعملت ترجمة الفولجات اللاتينيّة كلمة (Rhinocerotis)، وهي بنفس المعنى: وحيد القرن!

وقد وردت هذه الكلمة في أوّل ترجمة عربيّة للعهد القديم (ترجمة سعديا الفيومي): «كركدن»، وهو الاسم العربي للحصان وحيد القرن في الخرافات العربيّة.[١٥٧٦]



صورة من سقف معبد يهودي في بولندا، تعود الى القرن السادس عشر

المصدر

Sacred Monsters Mysterious and Mythical Creatures of Scripture Talmud and Midrash p.42

○ الحيّة لوياثان

إشعياء ١/٢٧: «في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم المتين **لوياثان** الحيّة الهاربة المتلوية، ويقتل التنين الذي في البحر.»

«**ביום ההוא יפקד יהוה בחרבו הקשה והגדולה והחזקה، על <u>לויתן</u> נחש ברח، ועל לויתן، נחש עקלתון; והרג את-התנין، אשר בים**»

[١٥٧٦] انظر؛ Natan Slifkin, *Sacred Monsters: Mysterious and Mythical Creatures of Scripture, Talmud and Midrash* , Zoo Torah, ٢٠٠٧ , p.٤٥

المزمور ١٤/٧٤: «أنت مزقت رؤوس **فرعون** (!!!) وجيشه، وجعلته قوتًا للحيوانات المتوحشة»

«**אתה רצצת, ראשי <u>לויתן</u>; תתננו מאכל, לעם לציים**»

المزمور ٢٦/١٠٤: «تجري فيه السفن، تمرح فيه **الحيتان** التي خلقتها»

«**שם, אניות יהלכון; <u>לויתן</u>, זה-יצרת לשחק-בו**»

أيوب ٨/٣: «ليلعنه السحرة الحاذقون في إيقاظ **التنين**»

«**יקבהו אררי-יום; העתידים, ערר <u>לויתן</u>**»

لماذا عرّبت الكلمة العبريّة الواحدة «**לויתן**» في الترجمة العربيّة الواحدة، إلى: «لوياثان» و«فرعون» و«حوت» و«تنين»!؟؟

السبب: محاولة الهروب من الاعتراف بحقيقة هذا الحيوان الخرافي الذي جاء في وصفه في التلمود غرائب (أعجب من الخيال). ويتجلّى التحريف أساسًا في استعمال كلمة «فرعون» مكان «لوياثان»، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ نصّ المزمور ١٤/٧٤ يكشف إحدى المعالم الكبرى لهذا الكائن الخرافي عند السومريين، وهو أنه تنين برؤوس متعددة!

وقد كشف المعجم اللاهوتي للعهد القديم، الشهير « *Theological Dictionary of the Old Testament*» جانب الاقتباس الذي مارسه اليهود من الحضارة الكنعانيّة القديمة وخرافاتها، بقوله: «بإمكاننا أن نقول تلخيصًا لما سبق أنّ لوياثان جزء من فكرة خرافيّة هدفها الأصلي تمجيد رب إسرائيل المحارب. ورغم أنّ العلاقة بين الحيّة السومريّة ذات الرؤوس السبعة ولوياثان الكنعاني تبقى غير مؤكدة، **إلا أنّ الشواهد الواضحة قائمة على إثبات العلاقة القريبة بين لوياثان الكتاب المقدس ولوياثان الكنعاني الذي ورد في النصوص الكنعانيّة. وهما ينبعان من أصل واحد**.»[١٥٧٧]

[١٥٧٧] G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren, and Heinz-Josef Fabry, eds. *Theological Dictionary of the Old Testament*, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٥, ٧/٥٠٩

أمّا الموسوعة اليهوديّة «*Encyclopedia Judaica*» فتقول إنّ «لوياثان» في الكتاب المقدس في صوره المختلفة: «يمثل أعداء الله الخارقين (supernatural). هذه العداوة تعكس مباشرة خرافة شائعة في المصادر ما قبل الكتابيّة حول صراع بين الخالق الإلهي وقوى البحر، منذ بداية العالم.»[١٥٧٨]

«قصد الكتاب المقدس أيضًا بالتنين واللوياثان الإشارة إلى الحيوانات التي قيل إنها ثارت ضد الخالق (في الزمن القديم)، وقد دمرها الخالق عند ذلك (مزمور ٧٤/١٣-١٤، انظر؛ إشعياء ٥١/١٠، أيوب ٣/٨، ٧/١٢) مثل الأساطير الأوغاريتيّة التي تمت الإشارة إليها سابقًا.»[١٥٧٩]

ولمن أراد الاستفاضة في البيان حول الكائنات البحريّة الخرافيّة في الكتاب المقدس وأصلها الكنعاني؛ فليقرأ كتاب «صراع الله مع التنين والبحر: أصداء أسطورة كنعانيّة في العهد القديم» «*God's conflict with the Dragon and the Sea: echoes of a Canaanite myth in the Old Testament*» (١٩٨٥م) لأستاذ دراسات العهد القديم في كليّة اللاهوت بجامعة أكسفورد «جون داي» «John Day»[١٥٨٠]، فإنّ استيعاب ما قيل عن هذه الأسطورة يحتاج مقامًا آخر غير الذي نحن فيه.[١٥٨١]

[١٥٧٨] *Encyclopedia Judaica*, ١٢/٦٩٦

[١٥٧٩] المصدر السابق، ١٢/٦٩٧

[١٥٨٠] أصل الكتاب، أطروحة دكتوراه للمؤلف «داي».

[١٥٨١] من المراجع العلميّة الأخرى التي يحسن بالقارئ أن ينظر فيها: K. Wakemann, *God's Battle With the Monster, A study in Biblical imagery*, Leiden, ١٩٧٣; J. H. Gronback, '*Baal's Battle with Yam, a canaanite creation* fight,' *Journal*



صورة (تدمير لوياثان) كما نقشها عوستاف دوري ١٨٦٥م
وفي الصورة رب الكتاب المقدس ولوياثان لحظة بداية هلاكه

- الثعبان الطائر:

إشعياء ١٤/٢٩: «تفرحي ياكل فلسطين، لأن القضيب الذي ضربك قد انكسر. فإن من أصل تلك الأفعى يخرج أفعوان، وذريته تكون **ثعبانا ساما طيارًا**»

«**אל-תשמחי פלשת כלך, כי נשבר שבט מכך: כי-משרש נחש יצא צפע, ופריו <u>שרף מעופף</u>**»

---

for the Study of the Old Testament ٣٣, ١٩٨٥: pp. ٢٧-٤٤; C. Westermann, *Genesis* ١-١١, tr. J. J. Scullion, London, ١٩٨٤, pp.٣٦٣-٣٨٣

إشعياء ٦/٣٠: «وحي من جهة بهائم الجنوب: في أرض شدة وضيقة منها اللبوة والأسد الأفعى **والثعبان السام الطيار**» (الفاندايك)

«משא, בהמות נגב: בארץ צרה וצוקה לביא וליש מהם, אפעה ו<u>שרף מעופף</u>»

يثبت هذان النصان وجود نوع من الثعابين يطير في الهواء!! وقد دقّق الناقد «أتّو كايزر» « Otto Kaiser»[١٥٨٢] في ترجمته؛ مختارًا عبارة «تنين طائر» «flying dragon» كمقابل للأصل العبري.[١٥٨٣]



[١٥٨٢] أتو كايزر (ولد سنة ١٩٢٤م): ناقد كتابي ألماني متخصص في دراسات العهد القديم والفلسفة المعاصرة. رَأَس دراسات العهد القديم في جامعة (ماربورغ). أصدر عددًا من المؤلفات الضخمة في لاهوت العهد القديم وشروح أسفاره.

[١٥٨٣] انظر؛ Otto Kaiser, *Isaiah ١٣-٣٩: a commentary*, Presbyterian Publishing Corp, ١٩٧٤, p.٤٩

ثانيا: أثر العقائد القديمة وثقافاتها في العهد الجديد وعقائد الكنيسة

شغل أمر التشابهات الهائلة بين النصرانيّة والأديان القديمة، الشرقيّة منها أساسًا، النقّاد في القرن التاسع عشر. وقد أفرز هذا الكشف–مع غياب ذكر المسيح في المصادر التاريخيّة المحايدة للقرن الأول ميلادي–، ظهور تيّار علمي ينكر وجود (مسيح الكنيسة) ابتداءً، ولا يرى فيه إلاّ خرافة مختلَقة لم تدبّ على الأرض يومًا.

ورغم أنّ هذا التيّار الرافض لتاريخيّة (المسيح) قد تقلّص حجمه، وأصبح الحديث عن (يسوع الخرافة) فكرة قد قلّ دعاتها وأتباعها، إلاّ أننا اليوم نعرف نظريّة أخرى يتبنّاها جلّ النقّاد وأعلامهم، وهي التمييز بين (يسوع التاريخي) (*The Jesus of History*) و(يسوع الإيمان) (*The Jesus of Faith*).[١٥٨٤]

ولازالت (التوافقات) بين نصوص العهد الجديد وعقائد الكنيسة من جهة والأديان القديمة من جهة أخرى، تمثّل رافدًا لهذا التوجّه الفكري الذي ينزع عن (يسوع الإنجيل والكنيسة) أصوله التاريخيّة الكبرى.

إنّ نفي (الملامح التاريخيّة الكبرى) (ليسوع الأناجيل والكنيسة) يعني صراحة نسبة عامة ما نسب إلى المسيح إلى (الاختلاق). وإنّ وضع الصورة (الدينيّة) للمسيح في إطارها التاريخي في فلسطين في بداية القرن الأوّل؛ قد كشف عن روافد خرافيّة وخلفيات اعتقاديّة وتصوّرات فلسفيّة ضاربة في أرض تلك البيئة التي أفرزت الشكل اللاهوتي (ليسوع).

وإنّ المكتبة الغربيّة التي تعجّ بالدراسات الخاصة بالمسيح وصورته، تعاني اليوم تيّارين متطرّفين، وبينهما مذهب وسط قد حكّم الحجّة واعتزى إلى البرهان التاريخي باعتدال.

[١٥٨٤] انظر ما قالته «ندوة يسوع» في هذه المسألة؛ Robert Funk, Roy Hoover and The Jesus Seminar, *The Five Gospels, what did Jesus really say?*, New York: HarperSanFrancisco, ١٩٩٧, pp.٥-٨

أمّا الطرف الأوّل؛ فهو الذي لا يرى في المسيح إلاّ تكرارًا حرفيًّا للأديان الوثنيّة السابقة، كالبوذيّة والهندوسيّة والمثرائيّة .. فكلّ ما نسبته الأناجيل والكنيسة إلى المسيح، ليس إلاّ نقلًا حرفيًا من كل الأساطير بصورة متطابقة تطابقًا مِسطريًّا، وهذا المذهب يتبنّاه اليوم غلاة الملاحدة، وعامتهم غير متخصصين في تاريخ الأديان، وعدد من هذه (التوافقات) غير صحيحة أصلًا؛ فهي إمّا مفتراة أو محوّرة لتشابه ما ورد عن المسيح في الأناجيل ودين الكنيسة. وقد أساء هؤلاء إلى كتبهم من وجهين؛ الوجه الأول: تشويههم كتاباتهم المشحونة بالأدلة القويّة والحاسمة لأثر العقائد الوثنيّة والأفكار الفلسفيّة، بزيادات لا دليل عليها، الوجه الثاني: استنباط عدد غير قليل من هؤلاء الكتاب من هذا (التطابق) أنّ كامل قصّة المسيح لا تخرج عن أن تكون قصّة أسطوريّة مفتراة، وأنّ المسيح «ابن مريم» ليس إلاّ أسطورة محضة لم تعرفها الأرض على الحقيقة!

ويغلو الطرف الثاني الذي يمثّله الكتّاب الدفاعيون النصارى في نفي حقيقة اقتباس النصرانيّة من الأديان والعقائد والفلسفات القديمة. وآفة دعواهم هي استغلال (مبالغات) السابقين لنفي كلّ التفاصيل التي ذكروها، كما أنّهم (دوغمائيين) إلى درجة (مَرَضِيّة) تشعر معها أنّهم لا يبالون بامتهان عقول القرّاء؛ إذ يتكلّفون في تقديم تفسيرات (ساذجة) لخرافات (فصيحة) في الأناجيل، حتّى لو كانت البداهة العقليّة والمنطق العلمي يجزمان ببطلانها. كلّ ذلك مع النفخ (العاطفي) في أصالة الأناجيل باعتماد المنهج السفسطي الذي ثبّته «كليف ستيبلز لويس» «Clive Staples Lewis»[١٥٨٥] و«جون وارويك مونتغمري» « John Warwick

[١٥٨٥] كليف ستيبلز لويس (١٨٩٨م-١٩٦٣م): أديب أيرلندي شهير. اعتبرت مجلة « *Christianity Today*» سنة ٢٠٠٠م كتابه «*Mere Christianity*» أهم كتاب في القرن العشرين. اشتهر بحجته (الساذجة) لإثبات ألوهية المسيح والتي أصبحت تسمى «Lewis's Trilemma»، وهي أن يقول المنصّر إلى من يدعوه إلى الإيمان بألوهيّة المسيح: عليك أن تؤمن بأن المسيح هو: مجنون أو كاذب أو ابن الله!!؟ دون أن يطرح احتمال أن يكون المسيح قد قال عن نفسه إنه نبي، أو أنّ الأناجيل لم تنقل كلامه بصورة دقيقة أو أمينة!

«Montgomery»[1586] و«جوش ماك دويل» «Josh McDowell»[1587]، وقد أُسلم اليوم قياده «لغاري هبرماس» «Gary Habermas»[1588]. وهو منهج يعيش خارج أسوار الدراسات العلميّة الجادة، ويقتات على ما يطلبه سوقُ (المؤمنين بعصمة الأناجيل والكنيسة)؛ ولذلك فعامة إصداراته تجاريّة بحتة، وإن (قعقعت) الحروف و(طنطنت).

إن القراءة الواعية لجيولوجيّة العهد الجديد والتكوين اللاهوتي للتصور المسيحاني ليكشفان وجود (طبقات) من العقائد الوثنيّة والبنى الفلسفيّة المستوردة من عطاءات زمن كتابة الأسفار وتأسيس الكنيسة (الأرثودكسيّة). وهذا أمر لا يمكن لقارئ منصف أن يردّه، دون أن نبالغ فنقول ليس في النصرانيّة شيء أصيل، وإنّ جميع مفرداتها من المنحول الدخيل! وهذا هو عين الاعتدال.

أمّا أدلّتنا على تشبّع النصرانيّة بأفكار السابقين وخرافاتهم، فكثيرة، متنوّعة .. فدعونا نبدأ الحديث من (أوّله) دون إسقاط، ولا إفراط، ولا إجحاف.

١- آباء الكنيسة يعترفون!

لقد كان أمر الاقتباس معروفًا عند الآباء، مشهورًا عند معارضيهم، وليس هو من محدثات القرن التاسع عشر –كما هي دعوى اعتذاريي الكنيسة!– ولا نتاج ثورة المعارف

[1586] جون وارويك مونتغمري (ولد سنة ١٩٣١م): متخصص في القانون. كاتب ومحاضر ومناظر في الدفاع عن النصرانيّة. مدير الأكاديميّة العالميّة للدفاعيات.

[1587] جوش ماك دويل (ولد سنة ١٩٣٩م): من أشهر الاعتذاريين (الشعبيين)، يعتمد في كتبه أسلوبًا تبسيطيًّا يجمع بين التدليس والمبالغة بما يرضي رغبات (عوام المتدينيين النصارى) الذين لا تستهويهم الدراسات الأكاديميّة الجادة. تُعرض مادة كتبه اليوم بصورة مكثّفة في كتابات المنصّرين العرب، ومن أهمها كتابات القمص «عبد المسيح بسيط».

[1588] غاري هبرماس (ولد سنة ١٩٥٠م): اعتذاري إنجيلي. مهتم بالفلسفة واللاهوت. له عناية خاصة بالدفاع عن تاريخيّة قيامة المسيح من الموت ونفي نسبتها إلى التراث الوثني القديم.

الأنثروبولوجيّة وكشوف الحضارات القديمة. **وهو يتكشّف من خلال دفاع آباء الكنيسة عن النصرانيّة باعتبارها لم تأت بجديد، وإنما هي تدعو إلى نفس جوهر عقائد الوثنيين!**

لقد بلغ يقين الآباء بالتشابه بين قصّة المسيح التي تقدمها الأناجيل والكنيسة، وقصّة إله اليونان «ديونيسوس» «Διόνυσος»[1089] و«مثرا» وغيرهما إلى أن يقول أحدهم –وهو «جستين» المولود في بداية القرن الثاني– **إنّ الشياطين لما علمت نبوءات العهد القديم حول المسيح؛ أرسلت «باخوس» قبله ليخدع الناس بما بينهما من تشابه!!** وذكر «جستين» بعد ذلك تشابهات كثيرة محاولًا من خلالها إقناع الإمبراطور أنّ **النصارى لم يأتوا بشيء جديد لم يعرفه الرومان.**[1090]

كان «جستين» على درجة عظيمة من الوضوح في إقراره، بل وحماسه للتشابه الغريب بين النصرانيّة والعقائد الوثنيّة للقرن الأوّل الميلادي، إلى درجة أنه قال في معرض رد الاعتراضات التي تساق لإثبات نكارة العقيدة النصرانيّة: «عندما نقول إنّ الكلمة التي هي المولود الأوّل لله، قد نتجت عن غير تواصل جنسي، وأنّ يسوع المسيح، معلّمنا، قد صلب ومات، وقام مرّة أخرى، وصعد إلى السماء؛ فإننا **لا نعرض شيئًا مختلفًا عمّا تؤمنون به في شأن من تعتقدون أنهم أبناء «جوبتر».**[1091]»

إنّها .. بلا ريب .. شهادة صحيحة .. صريحة .. فصيحة!

والإقرار .. يمنع من الفرار!

[1089] هذا هو اسمه اليوناني، ويسمّى في اللاتينيّة «Bacchus».

[1090] انظر؛ Justin, '*The First Apology*,' in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٠٣, ١/١٨١-٢٣٤

[1091] المصدر السابق، ١/١٦٩-١٧٠

ويزيدنا النقاد قناعة بالحقيقة السابقة؛ بقولهم:

«وبعد ذلك بمائة عام تقريبًا، منح لاهوتي نصراني آخر جل اهتمامه للمسألة ذاتها. أجاب أريجن القيصري الذي هو على الأرجح أكثر لاهوتيي عصره ثقافة، عن نقد وُجّه إلى المسيحيين كتبه فيلسوف يوناني آخر مجهول يسمى كلزوس (اشتهر حوالي عام ١٨٠ م). تفنيد أريجن لكلامه كلمة كلمة يجعلنا قادرين على تشكيل فكرة جيّدة عن محتوى حجج كلزوس. واحدة من اتهاماته الرئيسة هي التالية (بتصرف بسيط): «إن كنتم أيها المسيحيون تؤمنون بصحة قصص معجزات يسوع، إذا كنتم تؤمنون بميلاد المسيح الإعجازي، إذا كنتم تؤمنون بقصة قيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السماء، وما أشبه ذلك؛ فلماذا ترفضون الإيمان **بالقصص ذاتها** عندما يقال لكم إن فاعليها هم الآلهة المخلِّصون الآخرون: هيراكليز، أسكلبيوس، والتوأمان ابنا زيوس، وديونيسوس، وعشرات مثلهم آخرين يمكنني تسميتهم؟!»[١٥٩٢]

٢- أعداء النصرانية الأوائل يشهدون!

عايش عدد من الكتّاب في الإمبراطوريّة الرومانيّة ظهور أسفار العهد الجديد وتشكّل لاهوت الكنيسة، وقد وجدوا أنفسهم في مواجهة مع دعاة النصرانيّة (كما شكّلها «بولس»)، فكانت بينهما مساجلات كتابيّة وشفهيّة كثيرة على مدى القرون الأولى، قبل أن تُبيد الكنيسة معارضيها عن بكرة أبيهم عندما تمّ لها التمكين في الأرض.

تكشف هذه المساجلات –المحفوظة أساسًا في ردود كتّاب الكنيسة عليها بعد أن أعدمت أصولها– أنّ الكنيسة كانت متهمة من مخالفيها، وخاصة الوثنيين منهم، أنّها ليست دعوة جديدة في مضمونها، وإنّما هي صياغة جديدة للعقائد الوثنيّة الموجودة.

ولا ريب أنّ هذه التهمة غريبة على السمع لأنّ الأصل أن نقرأ أنّ الكتّاب الوثنيين قد اتهموا النصارى أنهم قد أتوا بدين جديد يسفّه أحلامهم ويخالف ما استقرّ عليه الأجداد من معتقد ..

[١٥٩٢] David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٤, ٢nd edition, p.٩

وإنّ في تهمةِ مماثلة النصرانيّة للموجود من عقائد الوثنيين؛ دلالة قويّة على صدق هؤلاء الكتّاب، بالإضافة إلى شهادة الواقع لصحّة قولهم.

وننقل هنا أشهر أقوالهم الصريحة:

- قال «فاوستس» «Faustus»[1093] في ما كتبه إلى قديس الكنيسة «أوغسطين»: «لقد وضعتم أغابي[1094] مكان قرابين الوثنيين، ومكان أوثانهم وضعتم شهداءكم الذين تعاملونهم بنفس تبجيل الوثنيين لأوثانهم. أنتم تسكّنون ظلال الموتى بالخمر والولائم، أنتم تحتفلون بالأعياد المقدّسة للأمميين، وتقويمهم، والانقلاب الشمسي الموسمي، كما حافظتم على أساليبهم دون تغيير. **لا يوجد شيء يميّزكم عن الوثنيين**، باستثناء أنّكم تحفظون مجامعكم بعيدًا عنهم.»[1095]

- قال الفيلسوف «أمونيوس ساكوس» «Ammonius Saccus»[1096]: «إذا فهمنا جيّدًا المسيحيّة والوثنيّة؛ (فسنعلم) أنّهما لا يختلفان عن بعضهما البعض في النقاط الأساسيّة، وإنّما يشتركان في الأصل الواحد، **وهما حقيقة واحدة وشيء واحد**.»[1097]

[1093] فاوستس (٣٥٠م–٤٠٠م): أسقف من الجزائر، مانوي المذهب. كان قديس الكنيسة «أوغسطين» قد التقاه –عندما كان هو أيضًا مانويًا– لسؤاله عن بعض الأمور التي استعصت على فهمه، غير أنّه بعد خروج «أوغسطين» من المانويّة ألّف في الرد عليه كتابه «ضد فاوستس» «*Contra Faustum*».

[1094] استعمل النصارى في القرون الأولى كلمة «أغابي» «ἀγάπη» التي تعني «حب» للدلالة على حبّ الإله الآب للخلق حتّى إنه قد أرسل ابنه الوحيد ليموت فداءً عنهم!

[1095] Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, New York: J. W. Bouton, ١٨٨٤, ٣rd edition, p.٤١١

[1096] أمونيوس ساكوس Ἀμμώνιος Σακκᾶς (القرن الثالث):مؤسس الأفلاطونيّة الجديدة.

- قال الفيلسوف اليوناني «كلزوس»[1098] إنّ النصرانيّة لا تضمّ غير ما اشترك فيه النصارى مع الوثنيين؛ **فلا جديد!**[1099]

٣- مماثلات واقتباسات:

أ- عقائد الوثنيين وقصصهم

تأليه المخلوق:

رغم وجود صلّة (شكليّة) مباشرة بين النصرانيّة واليهوديّة متمثّلة في مشاركة النصارى اليهود إيمانهم بأسفارهم المقدّسة وأنبيائهم، إلاّ أنّ العقيدة النصرانيّة قائمة في حقيقتها على تشرّب عقائد الأمم الشرقيّة والتنكّر لأصول عقديّة كثيرة استقرّت في الذهنيّة الإيمانيّة اليهوديّة؛ وأهمّها قبول فكرة (تألّه البشر) في صياغة حلوليّة تمزج اللاهوت الإلهي بالناسوت البشري.

وهذا قديس الكنيسة «جستين» يقول في معرض دفاعه عن النصرانية أمام الإمبراطور، إنّ الوثنيين ينبغي ألا يسخروا من المسيحيين لعبادتهم اللوغوس الذي كان «عند الله، وكان الله» وذلك لأنهم ارتكبوا الفعل ذاته.

يقول «جوستين»: «إذا كنّا نحن (المسيحيين) ننادي ببعض الآراء التي تشبه آراء الشعراء والفلاسفة الذين تمجّدونهم ... فلماذا نبغَض بغير حق أكثر من الآخرين؟» «ألا تدري كم من الأبناء نسب كتابكم إلى جوبتر: مركوري، الكلمة ومعلّم الكل ...» «وفيما يتعلق بابن الله،

[1097] المصدر السابق

[1098] كلزوس Κέλσος (القرن الثاني): فيلسوف يوناني ألّف كتابه «كلمة حق» «Λόγος Ἀληθής» في الرد على النصرانيّة. وقد حفظت لنا أجزاء من هذا الكتاب من خلال رد «أريجن» عليه في كتابه: «*Contra Celsum*». يبدو أنّ هذا الكتاب قد ألّف في العقد السادس أو السابع من القرن الثاني.

[1099] المصدر السابق

الذي نسميه يسوع، فإنّه وإن كان إنسانًا من ناحية ولادته، فإنّه يستحق أن يدعى ابن الله بسبب حكمته؛ لأنّ كلّ الكتّاب ينادون الله بأنّه أبو الإنس والآلهة. وإذا جزمنا أنّ كلمة الله قد ولدت من الله بطريق خاص، مختلف عن السبيل المألوف للتناسل، فليكن هذا الأمر، كما سبق ذكره، غير منكر بالنسبة لك باعتبارك تقول إنّ مركوري هو الكلمة الملائكيّة لله.»[١٦٠٠]

لقد كانت عقيدة تأليه المخلوقين شائعة ومستشرية في الأمم القديمة، بل وكان أباطرة روما أنفسهم كثيرًا ما يُؤلَّهون في حياتهم وبعد موتهم.

ويلخّص لنا الناقدان «ديفيد ر. كارتليدج»[١٦٠١] «David R. Cartlidge» و«ديفيد ل. دونجن» «David L. Dungan»[١٦٠٢] واقع البيئة التي ظهر فيها «عيسى» عليه السلام بقولهما: بقولهما: «عندما خرجت المسيحية إلى الوجود في عالم البحر المتوسط القديم، كان هناك بالفعل الكثير من الآلهة في السماء والكثير منها على الأرض، متبوّئين سدة العروش، والهياكل، والأضرحة المقدسة، والمزارات المقدسة. وكان الإنسان العادي، رجلًا وامرأة، في ذلك الوقت قد تعلّم أن يكون متسامحًا مع هذه التخمة في عدد الآلهة، فلكل واحد منهم وظيفة ما أو محراب يخصّه دون غيره من الآلهة.

كان من المألوف أن يتم تصنيف الآلهة في مجموعات وفق وظيفتها، وأن يخلع على إله الشفاء المصري اسم إله الشفاء اليوناني الذي يقوم بالوظيفة ذاتها، وهكذا. كان ثمة آلهة قديمة للأرض وللسماء وكذا للبحر، كان الناس يعبدونها منذ عهد أطول مما يستطيع الناس تذكّره، وآلهة شخصية وإلهات أحدث من سابقتها وأكثر منها عددًا، كانت تحتل أحدث الهياكل وأضخمها

١٦٠٠ Justin the Martyr, '*The First Apology*,' in *The Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٠٣ , ١/١٦٩

١٦٠١ ديفيد ر. كارتليدج: أستاذ الدين في كليّة ماريفيل في ولاية تنسي.

١٦٠٢ ديفيد ل. دونجن: أستاذ الدين في جامعة تنسي.

بنيانًا في مناطق قلب البلاد. بالإضافة إلى هذه الآلهة، كان هناك الأباطرة العظام وكذا الملوك والحكام الإقليميين من هذا النوع أو ذاك الذين كانت تُصرف إليهم مراتب مختلفة من الاحترام تتساوي مع ما للآلهة منه. كان هؤلاء من المحسوبين على «آلهة...على الأرض» الذين أشار إليهم بولس.»[١٦٠٣]

التثليث:

تستمدّ عقيدة التثليث في التشكيل الاعتقادي عند الآباء منطقيّتها من التصوّر الأفلاطوني الذي قدّم الخلفيّة الفلسفيّة لتأليه الابن من خلال الحديث عن الفصل التام بين الإله الأزلي والخلق المُحْدَث؛ مما استدعى وجود (الواسطة) التي تصِل المطلق بالمحدود، وهي (الكلمة) (اللوغوس) (λόγος)؛ فكانت هذه الثنائيّة هي التي قرّبت المسافة بين الكنيسة وعقائد الوثنيين المثلّثين؛ ولذلك قال اللاهوتي «أندروز نورتن» «Andrews Norton»[١٦٠٤] : «من الممكن تتبّع هذه العقيدة، واكتشاف مصدرها، ولكن ليس في الوحي المسيحي، وإنّما في الفلسفة الأفلاطونيّة التي كانت هي الفلسفة السائدة على مدى الفترات الأولى بعد ظهور النصرانيّة، وهي التي كان جميع كبار الكتاب النصارى -الآباء كما يُسمّون-، تلاميذها، بدرجة كبيرة أو صغيرة.»[١٦٠٥]

لقد قدّمت الفلسفة الأفلاطونيّة (المبرّر) الفلسفي لهذه العقيدة، أمّا المصدر (المباشر) (الجامد) الذي شكّل المِعِين الذي أخذت منه الكنيسة هذا المفهوم العقدي، فهو التصوّر الوثني الذائع بين الأمم القديمة عن الثالوث الإلهي الذي يعلو قبّة الإيماني الجماعي.

[١٦٠٣] انظر؛ David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. *Documents for the Study of the Gospels*, p.٥

[١٦٠٤] أندروز نورتن (١٧٨٦م-١٨٥٣م): لاهوتي أمريكي. من أئمة التيار النصراني التوحيدي في القرن التاسع عشر.

[١٦٠٥] Andrews Norton, *A Statement of Reasons for not Believing the Doctines of Trinitarians, Concerning the Nature of God and the Person of Christ*, Boston: American Unitarian Association, ١٨٧٠, p.٩٤

قال **القسيس** المؤرّخ «توماس موريس» «Thomas Maurice» في كتابه عن تراث الهند «*Indian Antiquities*» الذي استغرق سبعة مجلّدات: «هذا الموضوع الكبير والمهم، يستغرق جزءًا ضخمًا من هذا الكتاب، ولهفتي على تهيئة الرأي العام لتقبله، وجهودي التي بذلتها لتوضيح مسألة لاهوتية بالغة الغموض، أغرياني بأن أنبّه القارئ النزيه إلى أن الآثار المنظورة لهذه العقيدة قد أصبحت واضحة تمام الوضوح، ليس فحسب في المبادئ الثلاثة للاهوت الكلداني، وفي مثرا الفارسي ثلاثي الشكل، وفي الثالوث براهما وفشنو وشيفا في الهند– الذي أعلن بوضوح في الر«جيتا» قبل ميلاد أفلاطون بخمسمائة عام؛ بل وكذلك في ثالوث الروح الإلهية (*Numen Triplex*) في اليابان، وفي الكتابة المنقوشة على ظهر الميدالية الشهيرة التي عثر عليها في صحراء سيبيريا «إلى الإله الثالوثي» التي يمكن مشاهدتها في يومنا هذا في المقصورة الإمبراطورية الفخمة في سان بطرسبرج، وفي التانجا تانجا، أو الثلاثة في واحد، عند سكان أمريكا الجنوبية، وأخيرًا، بدون الإشارة إلى بقاياها في اليونان، في رمز الجناح والكرة والثعبان، المنقوش على معظم المعابد القديمة في صعيد مصر.»[١٦٠٦]

إنّ استشراء هذا المفهوم في الأمم التي نشأت الكنيسة في حضنها الجغرافي والعقدي والثقافي قد منع الاعتذاريين الكنسيين من جحد أسبقيّته بالكليّة، وإنّما اتخذوا أكثر من سبيل خلفي للهرب من حقيقة (الاقتباس)، ولكن زادتهم ردودهم رهقًا وأكّدت دفاعاتهم حقيقة التهمة.

لقد قالوا إنّ التثليث النصراني يختلف عن التثليث الوثني من وجهين: أولًا: التثليث الوثني يؤمن بوجود ثلاثة آلهة ، والنصرانيّة لا تقول بذلك!، وثانيا: التثليث الوثني يتمثّل في ثلاثة آلهة تعلو عددًا آخر من الآلهة الأدنى[١٦٠٧] .. وهو رد لا تخفي فيه نفسية (التائه) الباحث عن (مهرب)؛

١٦٠٦ Thomas Maurice, *Indian Antiquities*, London: W. Richardson, ١٨٠٠, ١/١٢٦-١٢٧

١٦٠٧ انظر؛ Jim Valentine and Eric Pement, '*Jehovah's Witnesses and the Doctrine of Salvation*,' in Norman Geisler and Chad Meister, eds.

إذ إنّ النصرانية تؤمن صراحة بثلاثة آلهة ؛ فهي تمنح كل واحد منها وظيفة مختلفة عن الآخرَين، وتنسب إليه أمورًا يستقل بها عن غيره، وهو عين القول بالآلهة المتعددة، غير أنّ الكنيسة لما وجدت نفسها مضطرة إلى الإيمان بالعهد القديم الذي ينصّ صراحة على وحدانيّة الربوبيّة، والإيمان أيضًا بما جاء في العهد الجديد في إثبات نفس العقيدة، قرّرت أن تعلن أنها تؤمن (بإله واحد مثلث الأقانيم[١٦٠٨])، وهو تفسير سفسطي لا معنى له، ولا يغيّر من حقيقة الإيمان بآلهة مثلثة الذوات شيئًا. أمّا الحديث عن الآلهة المثلثة التي تعلو بقيّة الآلهة، فهو لا يجدي من التفلّت من التهمة شيئًا[١٦٠٩] ؛ لأنّ هذا الأمر (١) لا يَثبت في جميع تلك الأديان. (٢) المسافة شاسعةٌ بين الآلهة المثلة والآلهة الأدنى، حتى كأنّ الآلهة الأدنى لا تحمل من الألوهيّة شيئًا. (٣) هذه الأديان الوثنيّة لم تُعرف بأنّها ديانات عشرات الآلهة، وإنما عرفت بأنها أديان تثليثيّة، في أدبياتها، وشعائرها، ومنحوتاتها؛ فكانت طبيعة التثليث هي التي تميّزها بصورة واضحة. يضاف إلى كلّ ذلك أنّ الكتاب المقدس ليس فيه قطعًا أيّة إشارة إلى التثليث تصريحًا ولا تلميحًا، والنصّ الوحيد المدّعى هنا قد أجمع النقّاد أنه مزيّف[١٦١٠]! وأوّل من استعمل كلمة (تثليث) هو

Reasons for Faith: Making a case for the Christian faith, Illinois: Good News Publishers, ٢٠٠٧, p.٣٣٠

[١٦٠٨] اخترع النصارى مصطلح «أقنوم» «υποστασις» (هيبوستاسيس) –وهو لغة يعني: «تحت القائم!!»–، للهروب من كلمة «ذات»، غير أنّ هذا اللعب بالألفاظ لا يغير من الحقيقة شيئًا؛ إذ هي ثلاث ذوات على الحقيقة.

[١٦٠٩] يستعمل اللاهوتيون الغربيون اليوم بلا حرج عبارة «three persons» «ثلاثة أشخاص» للتعبير عن (الثالوث المقدس).. أمّا النصارى العرب فإنهم يبتعدون عن هذه العبارة بصورة تامة خشية انكشاف تناقضهم العقدي!

[١٦١٠] نصّ ١يوحنا ٥/٧–٨: «في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة» « εν τω ουρανω ο πατηρ ο λογος και το αγιον πνευμα και ουτοι οι τρεις εν εισιν και τρεις εισιν οι μαρτυρουντες εν τη γη» غائب تمامًا عن المخطوطات اليونانيّة القديمة (انظر؛ Bruce Metzger, *A Textual Commentary on the Greek New Testament*, Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, ٢٠٠٠, ٢nd edtion, pp.٦٤٧-٦٤٩)

«ترتليان» (١٦٠م-٢٢٠م) باختلاقه هذا المصطلح للتعبير عن الثالوث الإلهي، في كتابه «ضد بركسياس»!

THE TRINITY.

"Say not there are three Gods, God is but One God."—(Koran.)

THE doctrine of the Trinity is the highest and most mysterious doctrine of the Christian church. It declares that there are *three* persons in the Godhead or divine nature — the Father, the Son, and the Holy Ghost — and that "these three are *one* true, eternal God, the same in substance, equal in power and glory, although distinguished by their personal propensities." The most celebrated statement of the doctrine is to be found in the Athanasian creed,[1] which asserts that:

"The Catholic[2] faith is this: That we worship *One* God as Trinity, and Trinity in Unity—neither confounding the persons, nor dividing the substance—for there is One person of the Father, another of the Son, and another of the Holy Ghost. But the Godhead of the Father, and of the Son, and of the Holy Ghost, *is all one;* the glory equal, the majesty co-eternal."

As M. Reville remarks:

"The dogma of the Trinity displayed its contradictions with true bravery. The Deity divided into *three* divine persons, *and yet* these *three* persons forming only *One* God; of these three *the first only* being self-existent, the two others *deriving their existence* from the first, *and yet* these three persons being considered as *perfectly equal;* each having his special, distinct character, his individual qualities, wanting in the other two, *and yet* each one of the three being supposed to possess the fullness of perfection—here, it must be confessed, we have the deification of the contradictory."[3]

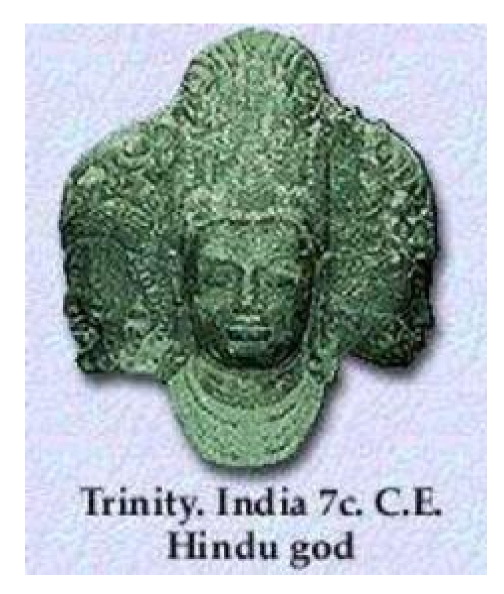
صفحة من كتاب (دوان): (خرافات الكتاب المقدس وما يماثلها في الأديان الأخـرى) وقد بدأ الفصـل الخاص بالتثليث بقوله تعـالى (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم، إنما الله إله واحد) سورة النساء/ ١٧١

the Father, the Word, and the Holy Ghost, and these three are one," is now admitted on all hands to be an interpolation into the epistle many centuries after the time of Christ Jesus. man's Ancient Faiths, vol. ii. p. 886. Taylor's Diegesis and Reber's Christ of Paul.)

[2] That is, the *true* faith.

[3] Dogma Deity Jesus Christ, p. 15.

368



نجم ميلاد المسيح

جاء في إنجيل متّى ٢/١–١٠: «وبعدما ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق، يسألون: «أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعًا في الشرق، فجئنا لنسجد له.»

ولما سمع الملك هيرودس بذلك، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلها. فجمع إليه رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم جميعًا، واستفسر منهم أين يولد المسيح. فأجابوه: «في بيت لحم باليهودية، فقد جاء في الكتاب على لسان النبي: وأنت يابيت لحم بأرض يهوذا، لست صغيرة الشأن أبدًا بين حكام يهوذا، لأنه منك يطلع الحاكم الذي يرعى شعبي إسرائيل!»

فاستدعى هيرودس المجوس سرًّا، وتحقق منهم زمن ظهور النجم. ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: «اذهبوا وابحثوا جيدا عن الصبي. وعندما تجدونه أخبروني، لأذهب أنا أيضًا وأسجد له.»

فلما سمعوا ما قاله الملك، مضوا في سبيلهم. وإذا النجم، الذي سبق أن رأوه في الشرق، يتقدمهم حتى جاء وتوقف فوق المكان الذي كان الصبي فيه. فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيما جدًا.»

هذه قصّة خرافيّة تكشف عن عقليّة (بسيطة) في فهمها للظواهر الكونيّة؛ حتّى إنها تحسب أنّ النجوم تولد في لحظة .. وأنّ حجمها صغير جدًّا .. وأنّ حركتها في السماء بطيئة .. وأنّه من اليسير على العين أن تبصر حركتها ووقوفها .. وأنّه من الممكن موازاة حركتها في السماء بالسير معها على الأرض .. وأنّه يسوغ علميًا أن يقال إنّها وقفت فوق بيت معيّن أو موضع محدّد في الأرض!!

لقد كانت الأمم السابقة، بل وكثير من عوام اليوم، يرون في حركة الأجرام السماويّة دلالة على أقدار الناس ومصائرهم.

وكان أمر علاقة ولادة (العظماء) كثيرًا ما يوصل بعلامات سماويّة بارزة ومثيرة، ومن أهمها ولادة نجم لامع في السماء يبصره الناس بوضوح.

وقد كان هذا الاعتقاد مستقرًّا في الثقافة الشعبيّة عند اليونانيين والرومان؛ قال «فردريك فرار» «Frederic Farrar»: «... حتّى اليونان والرومان كانوا دائمًا يعتبرون أنّ ميلاد الرجال العظماء ووفاتهم يرمز له بظهور أجرام سماويّة أو اختفائها، وقد استمر هذا الاعتقاد نفسه الى العصور الحديثة.»[١٦١١]

ويرى «جيكي» «Geikie» أنّ هذا الاعتقاد كان له حضور في عامة ثقافات البشر: «لقد كان هناك حقًّا اعتقاد ذائع في العالم أنّ الوقائع غير العاديّة، خاصة ميلاد رجل عظيم أو وفاته، ينبئ بها ظهور نجوم ومذنّبات، أو اقتران أفلاك سماويّة.»[١٦١٢][١٦١٣].

[١٦١١] Frederic Farrar, *The Life of Christ*, London: Cassell and Company, ١٨٩٤, pp.٢٢-٢٣

[١٦١٢] Geikie, *Life of Christ*, ١/١٤٤ (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, pp. ١٤٤-١٤٥)

[١٦١٣] قال القمّص «عبد المسيح بسيط» في مقاله: «هل المسيحيّة مقتبسة من البوذيّة؟!» في سياق دفعه تهمة أن تكون قصّة نجم ميلاد المسيح مأخوذة من البوذيّة –اخطاء الرسم واللغة منقولة كما هي من موقع القمّص–: «... ونجد ما يقرب من ذلك في سيرة أبن هشام حديث عن «نجم احمد الذي ظهر في السماء » حيث تقول في [رواية

حسان بن ثابت عن مولده صلعم] قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري. قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت، قال والله إني لغـلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له ويلك ما لك ؟ قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به. قال محمد بن إسحاق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت. ابن كم كان حسان بن ثابت مقدم رسول الله صلعم المدينة؟ فقال ابن ستين (سنة)، وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين. »

فهل يمكن لنا أن نسأل الأخوة المسلمين الذين يقولون بما قاله الملحدين عن المسيح وبوذا هذا السؤال؟ من أين اقتبس كاتب السيرة وراوة الحديث فكرة هذا النجم «نجم أحمد» من البوذي كما زعموا عن بوذا؟ أم من هذا الفكر الذي يتحدث عن أن لكل إنسان نجمه؟؟!!»

قلت: الإجابة، سهلة، وهي أنّ هذه القصّة التي وردت في سيرة ابن هشام، مصدرها راو كذّاب اختلقها، متأثّرًا بخرافات الأمم القديمة!

القمّص «عبد المسيح بسيط» لايزال يحرج نفسه بمنهجه (الصحفي) (الساذج) في تناول القضايا العلميّة الجادة؛ فهو يتصوّر أنّ كتب السيرة لا تضمّ غير الروايات الصحيحة، رغم أنّه لم يقل أحد من أهل العلم ذلك؛ إذ هي روايات مجمّعة، لا يحكم لها بالصحة إلاّ بعد أن تمتحن متنًا وسندًا، ومجرّد ورود الخبر في كتاب ما من كتب السيرة، لا يلزم منه ثبوته!! والرجل في حقيقته قمّاش ينقل من مواقع النت دون تمييز!

قصّة ظهور «نجم أحمد»، باطلة سندًا ومتنًا، وإن تكلّف البعض وجود أكثر من طريق لها!

أمّا سندًا؛ فقد وردت رواية «ابن إسحاق» بسند فيه (مبهمين): «من شئت من رجال قومي». ووردت بطرق أخرى فيها «الواقدي»، و«الواقدي» كما قال فيه الإمام «أحمد»: «كذّاب!»، ورواية الكذّاب هدر، لا تقوي إسنادًا، ولا تجبر خبرًا!

وأمّا متنًا؛ فالبشارة «بأحمد» قد وردت في الإنجيل لا في التوراة، ولا يعرف لليهود كتاب ديني يخبر عن ظهور «نجم أحمد»! كما أنّ مثل هذه الواقعة التي يفترض أن تكون مشهودة من كثير من أهل مكّة، لم ترو عن الكافة من الناس، بل ولا رويت بإسناد واحد صحيح!

«فنجم أحمد» المذكور ليس إلاّ خرافة أصلها وثني رويت عن كذّاب أو كذابين!

الميلاد في الإسطبل أو الكهف:

ورد عن الآباء كما نقلناه سابقًا أنّ المسيح قد ولد في إسطبل وكهف، ومصدر تحديد مكان الميلاد في الإسطبل هو لوقا ٢/٧ ، ومصدر قصة الميلاد في الكهف هو التراث الشفهي الذي قبلته الكنيسة منذ زمن مبكّر.

يحتل الكهف مكانة هامة في التراث الوثني القديم للآلهة المولودة (!) فهو مكان انطلاق السر، وحقيقة الوجود الإنساني[١٦١٤].

وقد ذكر آباء الكنيسة – «كترتليان» وغيره– أنّ الكهف الذي في بيت لحم والذي ولد فيه المسيح، كان الوثنيون يحتفلون فيه بميلاد مخلّصهم «أدونيس» باعتباره مكان ولادة إلههم ومكان ظهور أسراره[١٦١٥].

وقد قيل إنّ آلهة كثيرة قد ولدت في كهوف، كما نسب هذا الأمر أيضًا إلى عدد كبير من العظماء.[١٦١٦] وهي قصص مهما اختلِف في قدم بعضها، إلاّ أنّ في مجموعها دلالة على أنّ الأمم القديمة كانت تعرف قصص (آلهة) مولودة في كهف!

الملائكة التي ظهرت عند الميلاد:

جاء في لوقا ٢/١٣–١٤: «وفجأة ظهر مع الملاك جمهور من الجند السماوي، يسبحون الله قائلين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام؛ وبالناس المسرة!»»

[١٦١٤] انظر؛ Timothy Freke and Peter Gandy, *Jesus and the Lost Goddess: The secret teachings of the original Christians*, New York: Random House, Inc., ٢٠٠٢, pp.١٠٧-١٠٨

[١٦١٥] انظر؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.١٥٥

[١٦١٦] انظر المصدر السابق، ١٥٥–١٥٧

ظهور الكائنات السماويّة وابتهاج السماء، هي علامة شائعة في الأديان الوثنيّة، فقد جاء في «فشنو بورانا» ٥. ٣-أحد الكتب المقدّسة الهندوسيّة- أنّه لما ولدت «ديفاكي» «كرشنا» «كانت الآفاق مشرقة بالفرح، كأنّ ضوء القمر قد انتشر على كامل الأرض» «كانت الأرواح وحوريات السماء ترقص وتغني» و«في منتصف الليل ... أصدرت السحب أصواتًا ممتعة، وسكبت مطرًا من الزهور.»[١٦١٧]

وقال المؤرّخ «بلوتارك» الذي عاش في القرن الأول وبداية الثاني: «عند ميلاد أوزيريس، سمع صوت أنّ ربّ كلّ الأرض آت، وقال البعض إنّ امرأة تسمى بمغل، لما كانت تحمل الماء إلى هيكل أمون، في مدينة ثيبز، سمعت صوتًا يأمرها أن تعلن بصوت عال أنّ الإله الرحيم أوزيريس قد ولد.»[١٦١٨]

وقد تتبّع «أوتو رنك» «Otto Rank»[١٦١٩] في كتابه «أسطورة ميلاد البطل: تفسير نفسي للأسطورة» «*The Myth of the Birth of the Hero: a psychological interpretation of mythology*» ولادة المسيح كما في الأناجيل وفي الأديان والأساطير القديمة، فكان التشابه أوضح من أن ينكر، وأجلى من أن يُستر، ومنه هذه الجزئية.[١٦٢٠]

[١٦١٧] المصدر السابق، ص ١٤٧

[١٦١٨] المصدر السابق، ص ١٤٨

[١٦١٩] أوتو رنك (١٨٨٤م-١٩٣٩م): عالم نفس نمساوي. كان وطيد الصلة «بفرويد» قبل أن ينفصل عنه. له دراسات كثيرة في علم النفس، وعناية خاصة بالتحليل النفسي للأسطورة.

[١٦٢٠] انظر: Otto Rank, *The Myth of the Birth of the Hero: a psychological interpretation of mythology,* New York: The Journal of nervous and mental disease publishing company, ١٩١٤ , *p.* ٤٩

الساعون في قتل الوليد:

جاء في إنجيل متّى ٢/١٣-١٦: ««وبعدما انصرف المجوس، إذا ملاك من الرب قد ظهر ليوسف في حلم، وقال له: «قم واهرب بالصبي وأمه إلى مصر، وابق فيها إلى أن آمرك بالرجوع، فإن هيرودس سيبحث عن الصبي ليقتله. فقام يوسف في تلك الليلة، وهرب بالصبي وأمه منطلقا إلى مصر، وبقي فيها إلى أن مات هيرودس، ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: «من مصر دعوت ابني.»

وعندما أدرك هيرودس أن المجوس سخروا منه، استولى عليه الغضب الشديد، فأرسل وقتل جميع الصبيان في بيت لحم وجوارها، من ابن سنتين فما دون، بحسب زمن ظهور النجم كما تحققه من المجوس.»»

اتّفقت المصادر التاريخيّة الأولى على تجاهل هذه المجزرة الوهميّة، ولم يكن لها أن تتجاهل هذه القصّة لو صحّ حدوثها؛ لأنها ستكون من عظائم الأمور التي ارتكبها الحكام في تلك المنطقة الآهلة بالسكان[١٦٢١]. وقد تجاهل المؤرّخ الشهير «يوسيفوس» الذي عاش في القرن الأول ميلاديًّا وسجّل جرائم «هيرودس»، هذه المجزرة، رغم أنّه كان مهتمًّا بتشويه سمعة «هيرودس»[١٦٢٢]، وكفى بذلك حجّة على أنّها من نسج خيال مؤلّف إنجيل متّى!

[١٦٢١] جاء في الكتاب الأبوكريفي «استشهاد متّى» «*Martyrdom of Matthew*» الذي يعود إلى القرن السادس، أنّ عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف، وفي الليتورجيا البيزنطيّة بلغ العدد أربعة عشر ألفًا، وفي تقويم القديسين السوري بلغ أربعًا وستين ألفًا. (انظر؛ Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, New York: Doubleday, ١٩٩٣, pp.٢٠٥)

[١٦٢٢] انظر؛ S. Perowne, *The Life and Times of Herod the* Great, Nashville: Abingdon, ١٩٥٦, p. ١٥٢

وقد ذكر الكثير من النقاد[١٦٢٣] أنّ هذه القصّة هي اختلاق أريد منه تأكيد التشابه بين قصّة «موسى» و«يسوع»، وذلك باستحضار ما جاء في سفر الخروج ١/١٥-١٦: «ثم قال ملك مصر للقابلتين العبرانيتين المدعوتين شفرة وفوعة: «عندما تشرفان على توليد النساء العبرانيات راقباهن على كرسي الولادة، فإن كان المولود صبيًا فاقتلاه، وإن كان بنتًا فاتركاها تحيا» »

ويخبرنا الناقد الكاثوليكي **الأب** «ريموند براون» «Raymond Brown»[١٦٢٤] أنّ «هناك العديد من الروايات القصصية القديمة التي تتحدّث عن محاولة الحاكم الشرير قتل البطل الذي تمّ التنبؤ بميلاده. **لقد ظهرت هذه الروايات في الهند، وفارس، وبلاد ما بين النهرين، واليونان، وروما.**»[١٦٢٥]

تجربة الشيطان:

جاء في إنجيل متّى ٤/١-١١ تفصيل قصّة تجربة الشيطان للمسيح: «ثم صعد الروح بيسوع إلى البرية، ليجرب من قبل إبليس. وبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة، جاع أخيرًا، فتقدم إليه المجرب وقال له: «إن كنت ابن الله، فقل لهذه الحجارة أن تتحول إلى خبز!». فأجابه قائلا: «قد

[١٦٢٣] انظر: Robert Horton Gundry, *Matthew: A Commentary on his Handbook for a Mixed Church under Persecution*, ٢nd edition, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٤, p.٣٥, R. T. France, *The Gospel of Matthew*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٧, pp.٧٧-٧٨, Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, pp.٢١٤-٢١٧

[١٦٢٤] ريموند براون: (١٩٢٨م-١٩٩٨م) أمريكي كاثوليكي. ناقد كتابي. وصفه الكاردينال «ماهوني» بأنّه أكبر عالم كاثوليكي ظهر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. يعتبر تعليقه على إنجيل يوحنا –في مجلدين–أشهر مؤلفاته.

[١٦٢٥] Raymond Brown, *The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke*, pp.٢٢٧

وقد أحال إلى دراسة علميّة في هذا الموضوع: P. Saintyves, '*Le Massacre des Innocents ou la Persécution de l'Enfant predestine,*' in *Congrés d'Histoire du Christianisme*, ed. Paul Louis Couchoud ,Paris: Rieder, ١٩٢٨, ١/٢٢٩-٢٧٢

كتب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله!» ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على حافة سطح الهيكل، وقال له: «إن كنت ابن الله، فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه قد كتب: يوصي ملائكته بك، فيحملونك على أيديهم لكي لا تصدم قدمك بحجر!» فقال له يسوع: «وقد كتب أيضا: لا تجرب الرب إلهك!». ثم أخذه إبليس أيضا إلى قمة جبل عال جدا، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها، وقال له: «أعطيك هذه كلها إن جثوت وسجدت لي!» فقال له يسوع: «اذهب ياشيطان! فقد كتب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد!» فتركه إبليس، وإذا بعض الملائكة جاءوا إليه وأخذوا يخدمونه.»[١٦٢٦]

أشار اللاهوتي «لاردنر» «Lardner»[١٦٢٧] إلى أنّ العديد من آباء الكنيسة الأوائل قد رفضوا (قصة تجربة الشيطان) باعتبارها غير قابلة للتصديق.[١٦٢٨]

وللقصّة أصل ثابت في الخرافات القديمة، خاصة في البوذيّة؛ حتّى قال مؤلّف كتاب «يسوع وبوذا وكرشنا ولاو تزو: التعاليم المتوازية لأديان عالميّة أربعة» «*Jesus, Buddha, Krishna, Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions*»: «قصّة تجربة المسيح في البريّة هي تقريبًا نسخ حرفي من خرافة أسطورة بوذا.»![١٦٢٩]

[١٦٢٦] وردت القصّة أيضًا في مرقس ١/١٢-١٣ ولوقا ٤/١-١٣.

[١٦٢٧] نثانيل لاردنر (١٦٨٤م-١٧٦٨م): لاهوتي إنجليزي. يعتبر مؤسس الدراسات المعاصرة للأدبيات النصرانيّة المبكّرة.

[١٦٢٨] انظر؛ *Lardner's works*, ٨/٤٩١ (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.١٧٥)

[١٦٢٩] Richard Hooper, *Jesus, Buddha, Krishna and Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions* , AZ: Sanctuary Publications, Inc, ٢٠٠٨ , p.١

أمّا تحديد عدد أيام الصيام بأربعين يومًا وليلة، فلا يخفى أنّه مأخوذ من قصّة صوم «موسى» عليه السلام أربعين يومًا.[١٦٣٠]

الظلمة عند موت المسيح:

جاء في إنجيل متّى ٢٧/٤٥: «ومن الساعة الثانية عشرة ظهرا إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، حل الظلام على الأرض كلها.»

جاء في إنجيل مرقس ١٥/٣٣: «ولما جاءت الساعة الثانية عشرة ظهرا، حل الظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة بعد الظهر.»

جاء في إنجيل لوقا ٢٣/٤٤-٤٥: «ونحو الساعة السادسة، حل الظلام على الأرض كلها حتى الساعة التاسعة، وأظلمت الشمس.»

يشهد العلم بخرافيّة هذه القصّة لأنّه يستحيل علميًا أن تكسف الشمس[١٦٣١] في اليوم الذي حددته الأناجيل؛ إذ إنّ هذه الظاهرة لا يمكن أن تقع عندما يكون القمر مكتملًا.[١٦٣٢] كما أنّ الكسوف التام لا يمكن أن يتجاوز طوله بضع دقائق، لا كما زعمت الأناجيل![١٦٣٣]

[١٦٣٠] انظر؛ خروج ٣٤/٢٨

[١٦٣١] نصّ لوقا ٢٣/٤٥ في الأصول اليونانيّة يقول «του ηλιου εκλιποντος» (تو هيليو إكلِبونتوس) أي «كسفت الشمس» وهي القراءة الواردة في أفضل المخطوطات كالبرديّة ٧٥ والمخطوطة الفاتيكانيّة والسينائيّة، وقد غيّر النسّاخ هذا النص إلى «وأظلمت الشمس» أي «και εσκοτισθη ο ηλιος» (كاي إسكوتِسثي هو هيليوس) هروبًا من الخطأ العلمي المحقق (انظر؛ Raymond Brown, *The Death of the Messiah*, New York: Doubleday, ١٩٩٤, ٢/١٠٣٩), وقد رأيتَ كيف أنّ الترجمة العربية «كتاب الحياة» في المتن قد أخذت بهذه القراءة الضعيفة المحرّفة!

وقد شعر «أريجن» منذ زمن مبكّر بهذه (المعضلة العلميّة)، وحاول الزعم أنّ (القراءة الصحيحة) هي القراءة المحرّفة!! فقال: « dicimus ergo, quoniam Matthaeus et Marcus non dixerunt defectionem solis tunc factam fuisse, sed neque Lucas, secundum pleraque exemplaria habentia sic: »et erat hora fere sexta et tenebrae

ويشهد تراث الأمم السابقة عل شيوع هذه الخرافة في أدبياتهم عند ذكر هلاك كبرائهم ومعظّميهم ومقدّسيهم؛ فقد قال «فرار» «Farrar» إنّ القدماء من اليونان والرومان كانوا يعتقدون أنّ ميلاد العظماء أو وفاتهم تنبئ عنه علامات سماويّة.[١٦٣٤]

---

factae sunt super omnem terram usque ad horam nonam, et obscuratus est sol«. in quibusdam autem exemplariis non habetur: »tenebrae factae sunt et obscuratus est sol«; sed ita: »tenebrae factae sunt super omnem terram sole deficiente«. et forsitan ausus est aliquis (quasi manifestius aliquid dicere volens) pro: »et obscuratus est sol«, ponere: »deficiente sole«, aestimans quod non aliter potuissent fieri tenebrae nisi »sole deficiente«. Puto autem magis, quoniam insidiatores ecclesiae Christi mutaverunt hoc verbum, quoniam »tenebrae factae sunt sole deficiente«, ut verisimiliter evangelia argui possint secundum adinventiones volentium arguere ea» أي: «نقول حينئذ إن متى ومرقس لم يصرّحا بحدوث كسوف للشمس في ذلك الوقت. ولا قاله لوقا وفقًا لكثير من النسخ، والتي فيها «وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ.» مع ذلك في بعض النسخ لا وجود لعبارة «وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ»، بل «فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا وَكانت الشمس في كسوف». لعل شخصًا ما كانت تحدوه الرغبة في جعل العبارة أكثر وضوحًا تجرأ على وضع «وكانت الشمس في كسوف» في محل «وأظلمت الشمس»، ظانًّا أن الظلام لا يمكن أن يحدث إلا بسبب الكسوف. مع ذلك أؤمن إلى حد ما أن أعداء كنيسة المسيح السريين قد حرفوا هذه العبارة، جاعلين الظلمة تقع بسبب أن «الشمس كانت في كسوف»؛ لعل الأناجيل تكون عرضة للنيل منها على أرضية عقلانية بواسطة ألاعيب هؤلاء الذين كانوا يتمنون مهاجمتها.» (Origen, *Comm. ser. Matt.* ١٣٤)

[١٦٣٢] انظر؛ Frédéric Louis Godet, *A Commentary on the Gospel of St. Luke*, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٨٩, ٢/٣٣٦

[١٦٣٣] انظر؛ Eugen J. Pentiuc, *Jesus the Messiah in the Hebrew Bible*,New Jersey: Paulist Press, ٢٠٠٦ , p.١٧٥

[١٦٣٤] انظر؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.٢٠٧

وقال الناقد «جيمس ر. إدواردز» «James R. Edwards» في تلخيص الأمر من جميع جوانبه: «أَلِفَ القدماء روايات الحوادث الخارقة للطبيعة التي تصاحب وفاة الشخصيات الإنسانية اللامعة؛ فهذا الأدب الحاخامي يسجل روايات غريبة وخيالية بشأن حوادث وفاة الحاخامات المشهورين– بما في ذلك ظهور النجوم في وضح النهار، وبكاء التماثيل، والرعد المصحوب بالبرق، بل وحتى انشقاق بحيرة طبرية. على نحو مماثل، يسجل كاتبان رومانيان على الأقل أنه عند وفاة «يوليوس قيصر» أشرق نجم مذنب طوال سبعة أيام متتالية. هذه الأشياء ومعجزات مشابهة عادة ما كان ينظر إليها على أنها تأبينات سماوية تضفي شرفًا على النبيل المتوفى. بالنسبة لمرقس، مع ذلك، لم تكن العتمة التي حلت في منتصف النهار تأبينًا سماويًا، بل نذير شؤم وشر، على غرار كارثة الظلام التي خيمت على مصر عند إغلاظ الرب لقلب فرعون (خروج ١٠ / ٢١ – ٢٣) أو حتى ظلام الخراب قبل الخلق (تكوين ١/٢). لا يمكن تفسير الظلمة التي خيّمت عند الصلب تفسيرًا سليما بالظواهر الطبيعية: فالكسوف الشمسي لا يحدث عندما يكون القمر بدرًا في وقت الفصح؛ ولا هي عاصفة ترابية أثناء موسم الربيع المطير.»[١٦٣٥]

القائمون من الموت:

يعتبر أمر الإيمان بقيامة المسيح من الموت الأس الأعظم للإيمان النصراني[١٦٣٦]، حتّى قال «بولس»: «ولو لم يكن المسيح قد قام، لكان تبشيرنا عبثًا وإيمانكم عبثًا.»[١٦٣٧]

وقد ثبت من الدراسات الخاصة بالأديان القديمة، خاصة الشرق أوسطية، أنّ الشعوب التي عاشت في زمن قريب أو معاصر لعصر المسيح، قد عرفت آلهة كانت (تموت) ثم (تقوم من

[١٦٣٥] James R. Edwards, *The Gospel According to Mark*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٢, p.٤٧٥

[١٦٣٦] انظر في عرض هذه العقيدة ونقضها، كتابنا، قيامة المسيح بين الحقيقة والافتراء، مكتبة النافذة

[١٦٣٧] ١كورنثوس ١٥/١٤

الموت)، سواء أكان هذا الموت مرّة واحدة أو موسميًّا، وقد ثبت هذا الوصف لعدد كبير من الآلهة، كـ«تمّوز» و«بعل» و«ملقارت» و«أدونيس» و«إشمون».

ومن أهم الكتب -وأحدثها- التي فصّلت تاريخيًّا في هذه العقيدة عند الأمم القديمة، كتاب «لغز القيامة: «الآلهة التي تموت وتقوم» في الشرق الأدنى القديم» « *Riddle of Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East*» (٢٠٠١م) لـ «متنجر» «Metinger»[١٦٣٨]، وكانت خلاصة بحثه فيه، قوله: «الآلهة التي تموت وتقوم من الموت كانت معروفة في فلسطين في زمن (كتابة) العهد الجديد.»[١٦٣٩]

تحويل الخمر إلى ماء:

جاء في إنجيل يوحنا ٢/١-١١ أنّ المسيح قد حضر عرسًا، وقام فيه بأولى معجزاته، وهي تحويل الماء إلى خمر ليسكر الحاضرين (!!).

لا شكّ أنه من العجيب جدًّا أن تكون للمسيح معجزة من هذا النوع الشنيع؛ إذ إنّه قد جاء في أكثر من موضع من العهدين القديم والجديد ذم الخمر:

«الخمر مستهزئة، والمسكر صخاب، ومن يدمن عليها فليس بحكيم.»[١٦٤٠]

«ليس للملوك ياموئيل، ليس للملوك أن يدمنوا الخمر، ولا للعظماء أن يجرعوا المسكر لئلا يسكروا فينسوا الشريعة، ويجوروا على حقوق البائسين.»[١٦٤١]

[١٦٣٨] ترايجف ن. د. متنجر: أستاذ متقاعد للعهد القديم من جامعة (لوند) في السويد. درّس في عدد من الجامعات المختلفة كأستاذ زائر. عضو شرفي في الجمعيّة البريطانيّة لدراسات العهد القديم.

[١٦٣٩] Tryggve N. D. Mettinger, *Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East*, Stockholm: Almqvist & Wiksell International, ٢٠٠١, p.٢٢٠

[١٦٤٠] الأمثال ٢٠/١

[١٦٤١] الأمثال ٣١/٤-٥

«وأمر الرب هارون: لا تشرب أنت وأبناؤك خمرًا مسكرًا عند دخولكم لخدمتي في خيمة الاجتماع، لئلا تموتوا، وتكون هذه عليكم فريضة أبدية جيلا بعد جيل.»[١٦٤٢]

«وإياها أن تأكل من كل نتاج الكرمة أو تشرب خمرا أو مسكرا، أو تأكل طعاما محرما . لتحرص على إطاعة كل ما أوصيتها به»[١٦٤٣]

«وسوف يكون عظيما أمام الرب، ولا يشرب خمرا ولا مسكرا، ويمتلىء بالروح القدس وهو بعد في بطن أمه.»[١٦٤٤]

سيزول الاستغراب إذا قلنا بما نبّه عليه «فريدرش هولدرلن» «Friedrich Hölderlin» من التشابه الكبير بين «يسوع» و«ديونيسوس» إله الخمر، خاصة في كتابيه «*Brod und Wein*» و«*Der Einzige*»، وهو ما أكّده النقّاد المعاصرون كـ«مارتن هنجل» «Martin Hengel»[١٦٤٥] و«باري باول» «Barry Powell»[١٦٤٦] و«بيتر ويك» «Peter Wick»[١٦٤٧] ...

[١٦٤٢] لاويين ١٠/٩-٨

[١٦٤٣] القضاة ١٣/١٤

[١٦٤٤] لوقا ١/١٥

[١٦٤٥] بيتر هنجل (١٩٢٦م-٢٠٠٩م): ناقد ألماني متخصص في تاريخ الأديان.

[١٦٤٦] باري باول: أستاذ متقاعد من جامعة وسكنسن-مادسن. متخصص في «هومر» وتاريخ الكتابة. له كتاب «الأساطير التقليديّة» الذي نال شهرة كبيرة كمرجع تدريسي في الغرب.

[١٦٤٧] انظر دراسته: «من يسوع إلى ديونيسوس؟: مساهمة في (فهم) سياق إنجيل يوحنا» Peter Wick, '*Jesus gegen Dionysos? Ein Beitrag zur Kontextualisierung des Johannesevangeliums,' Biblica* ٨٥ (٢٠٠٤) pp. ١٧٩-١٩٨



رمز الصليب:

رغم ما شاع اليوم في الثقافة الشعبيّة من أنّ الصليب هو رمز نصراني خالص، يرمز إلى صلب معبود النصارى، إلاّ أنّ الحقيقة التاريخيّة تقول إنّ النصارى هم ورثة لتراث ديني قديم ظهر عند أمم كثيرة تمّ اعتبار الصليب فيه عنوانًا للتعبير عن فكرة دينيّة.

وقد اعترف بهذه الحقيقة الناقد النصراني، **الأسقف** «كولنصو» «Colenso»[١٦٤٨] في قوله: «منذ بداية الوثنيّة المنظّمة في العالم الشرقي إلى التأسيس النهائي للمسيحيّة في الغرب، كان الصليب دون شك أحد المعالم الرمزيّة **المشتركة والأهم قداسة**.»[١٦٤٩]

[١٦٤٨] جون ويليام كولنصو (١٨١٤م-١٨٨٣م): أسقف، ومنصّر، ولاهوتي، وناقد كتابي.

وجاء في كتاب «الحجة الأركيولوجية على تاريخ الكنيسة قبل قسطنطين» « *Ante pacem: Archaeological Evidence of Church Life Before Constantine*»: «علامة الصليب رمز عريق القدم، موجود **في كل الثقافات المعروفة**. تَفَلَّتَ معناه من الأنثروبولوجيين رغم أنّ استعماله في فن الجنائز من الممكن أن يكون علامة بيّنة على مدافعة الشيطان.»[١٦٥٠]

وكان «مينوسيوس فلكس» «Minucius Felix» —أحد أشهر الكتاب المدافعين الأوائل عن عقيدة الكنيسة– قد كتب في بداية القرن الثالث ردًّا على خصمه الوثني –في شكل حوار تخيّلي–: «نحن لا نعبد الصلبان ولا نرغب في ذلك. أنتم في الحقيقة من يخضع للآلهة التي هي من خشب، ومن يعبد **الصلبان** الخشبية ... إنّ أعلام جيوشكم ولافتاتكم وأعلام معسكراتكم ليست إلاّ **صلبانًا** مطليّة ومزيّنة؟ إنّ كؤوس النصر عندكم لا تقلّد فقط **الصلبان** في شكلها، وإنما أيضًا تقلّد شكل **إنسان مربوط بها**.»[١٦٥١] .. وهو ما يؤكد أن البيئة التي نشأت فيها النصرانيّة هي التي منحتها هذا الرمز!

لا تشهد الآثار النصرانيّة المبكّرة لقداسة رمز الصليب عند النصارى الأوائل؛ حتّى قال الكاتب الأصولي العميد «برجن» «Burgon»[١٦٥٢] : «**أنا أستشكل أمر أن يكون الصليب قد ظهر في أي مَعْلَم مسيحي للقرون الأربعة الأولى**.»[١٦٥٣]

[١٦٤٩] Colenso, *The Pentateuch Examined*, ٦/١١٨ (Quoted by Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.٣٠٩)

[١٦٥٠] Graydon F. Snyder, *Ante Pacem: Archaeological Evidence of Church Life before Constantine*, Macon: Mercer University Press, ٢٠٠٣, p.٦٠

[١٦٥١] Minucius Felix, '*Octavius*, xxix' in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner, ١٩٢٦: , ٤/١٩١

[١٦٥٢] جون ويليام برجن (١٨١٣م–١٨٨٨م): ناقد نصراني تقليدي، اشتهر بدفاعه عن عصمة الكتاب المقدس من الخطأ. كانت له عناية كبيرة بنصوص الآباء، خاصة المتعلّقة بشروح الأسفار المقدّسة.

وجاء في المعجم الكتابي «*The Anchor Bible Dictionary*» في مقال «الفن والهندسة (الفن المسيحي المبكر)»: «المشهد الهام (لصلب المسيح) والرمز الذي صحبه (الصليب) **لم يوجدا في الفن المسيحي المبكّر**. ربما كان أول مشهد لآلام المسيح موجودًا في تابوت للآلام في الفاتيكان قد نحت في منتصف القرن الرابع.»[١٦٥٤]

لم يكن الصليب هو رمز النصارى الأوائل، وإنّما كانت (السمكة) هي الرمز المقدس عندهم، وفي هذا يقول «فرّار» في كتابه «حياة المسيح كما يظهرها الفن» «*The Life of Christ as represented in Art*» –وهو دال كما في عنوانه، على صورة المسيح في الفن، منذ بداية النصرانيّة–: «من بين كلّ الرموز النصرانيّة المبكّرة، تبدو السمكة أكثرها ذيوعًا وتفضيلًا (عند النصارى الأوائل).»[١٦٥٥]

وليس الأمر في حقيقته قاصرًا على «الصليب»، وإنّما اقتبست النصرانيّة الكثير من رموزها من الوثنيّة، وقد بيّن ذلك «توماس إنمان» «Thomas Inman» في كتابه «*Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism*». وقد أورد فيه صورًا من آثار الأمم التالفة وعلّق عليها بما يكشف المشترك من الرموز بين النصرانيّة وثقافات الأمم الأخرى.[١٦٥٦]

وتحدّث «ويليام هاردويك» «William Hardwicke» عن الرموز التي اقتبسها النصارى من الأمم الأخرى، وأثبت أنّها: الصليب، والقلب المقدّس، والاسم المقدس المتداخل الحروف (sacred monogram)، والخروف، والسمكة، والمثلّث، والحمامة.[١٦٥٧]

[١٦٥٣] John Denham Parsons, *The Non-Christian Cross*, Echo Library, ٢٠٠٦ , p.٩٠

[١٦٥٤] *The Anchor Bible Dictionary*, New York: Doubleday, ١٩٩٢, ١/٤٦١

[١٦٥٥] Frederic Willaim Farrar, *The Life of Christ as Represented in Art*, New York: Macmillan, ١٨٩٤ , p.١١

[١٦٥٦] انظر؛ Thomas Inman, *Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism*, New York: Peter Eckler Publishing Company, ١٩١٥

[١٦٥٧] انظر؛ William Hardwicke, *The Evolution of Man: his religious systems and social customs*, London: Watts, ١٨٩٩, pp.٢٥٩-٢٦٦

HISTORY OF THE CROSS:

THE PAGAN ORIGIN,

AND

IDOLATROUS ADOPTION AND WORSHIP,

OF

THE IMAGE.

† † ✠

BY

HENRY DANA WARD, M.A.,
U.S.A.

كتاب في إثبات الأصل الوثني للصليب
الذي اتخذته الكنيسة رمزًا للنصرانيّة

JAMES NISBET & CO., 21 BERNERS STREET.
PHILADELPHIA:
CLAXTON, REMSEN, & HAFFELFINGER,
819 AND 821 MARKET STREET.
1871.



صورة لقوم عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهم يلبسون قلائد تتدلى منها صلبان

The girdle was sometimes highly ornamented; men as well as women wore earrings; and they frequently had a *small cross* suspended to a necklace, or to the collar of their dress. The adoption of this last was not peculiar to them; it was also appended to, or figured upon, the robes of the Rot-n-no; and traces of it may be seen in the fancy ornaments of the Rebo, showing that it was already in use as *early as the fifteenth century before the Christian era.* (Fig. 44.)

* Wilkinson, vol. i. p. 376.

الصلب والفداء:

رغم ما شاع اليوم من أنّ النصرانيّة هي دين (صلب المعبود)، فإنّ التاريخ يخبرنا أنّ (صلب المعبود) هو من مشترك الكثير من الديانات القديمة، ورغم أنّ الكثير من هذه الديانات تضمّ

أكثر من رواية عن موت هذا الإله، إلاّ أنّ ذيوع قصّة الصلب؛ كرواية وحيدة لموت الإله أو (المعظّم) أو إحدى روايات موته، يؤكّد أنّ (أسطورة الصلب) هي من المشترك الخرافي القديم في الأمم القديمة، وهو ما تشرّبته النصرانيّة في تراثها الديني.

وقد قال صاحبا كتاب «أسرار يسوع، هل كان "يسوع الأصلي" إلهًا وثنيًا؟» « *The Jesus Mysteries; was the 'original Jesus' a pagan God?*» في أمر «موت الآلهة»: «هناك اعتقاد عام بأن يسوع قد صلب على صليب، لكن الكلمة التي ترجمت باستعمال كلمة «صليب» في العهد الجديد تحمل عمومًا معنى «الوتد». فقد كان من عادة اليهود أن يعرضوا جثث هؤلاء الذين رجموا حتى الموت فوق دعامة، كتحذير لمن سواهم. في سفر أعمال الرسل، لا يقول بطرس إن يسوع قد صلب، بل «علّق على شجرة» وكذلك يفعل بولس في رسالته إلى أهل غلاطية. **يخبر فيرميكوس ماتيرنوس**[١٦٥٨] **، أحد آباء الكنيسة، أنه ضمن «أسرار أتيس» ربط تمثال إله مستأنس شابٍ فوق شجرة صنوبر. وكان أدونيس مشهورًا بأنّه «المعلق فوق الشجرة»**.

جاء في «أسرار ديونيسوس» أن قناعًا كبيرًا ذا لحية يمثل إلهًا مستأنسًا قد علّق على عمود خشبي. أعطي ديونيسوس تاجًا من اللبلاب، كما كان الأمر مع يسوع الذي مُنح وهو فوق صليبه تاجًا من الشوك. وكما ألبس يسوع رداءً أرجوانيًّا حينما كان الجنود الرومان يسخرون منه، كذلك فُعل بديونيسوس الذي ألبس هو الآخر رداءً أرجوانيا. وكان المبتدئون في مدينة إلفسينا يرتدون وشاحًا أرجوانيًا يغطي أجسامهم. أعطي يسوع قبل موته نبيذًا مخلوطًا بمرارة ليشربه. كان المحتفلون في طقوس ديونيسوس السرية يشربون النبيذ على نحو طقسي والمفسر الذي كان يمثل ديونيسوس نفسه أعطي مشروبًا مرًّا ليشربه.

١٦٥٨ يوليوس فيرميكوس ماتيرنوس Julius Firmicus Maternus (القرن الرابع): كاتب نصراني لاتيني. صاحب كتاب (حول أخطاء الأديان الدنسة) (*De errore profanarum religionum*) في التشنيع على العقائد المخالفة للنصرانيّة.

لقى يسوع حتفه إلى جوار لصين، أحدهما سيصعد معه إلى السماء، بينما سيذهب الآخر إلى الجحيم. حافز أسطوري مقابل نجده في الأسرار. هناك أيقونة متداولة تصور حاملي مشاعل كل منهما يقف إلى جوار الإله مثرا. أحد هذين الشخصين يشير بمشعله إلى أعلى، حيث يرمز إلى الصعود إلى السماء، والآخر يشير بمشعله إلى الأسفل، معبرًا بالرمز عن الانحدار إلى الجحيم. في «أسرار إلفسينا»[١٦٥٩] نجد أيضًا شخصين يحملان المشاعل ويشيران بمشعليهما إلى الأعلى وإلى الأسفل على التوالي، وكل منهما يقف إلى جوار ديونيسوس، لكنهما هذه المرة امرأتان. يُعتقد أنّ حاملا المشاعل في أسرار مثرا يمثّلان شكلًا مطوّرًا لنموذج الأخوين الأسطوريين اليونانيين كاستور وبولاكس الأقدم من الناحية الزمنية. في يومين متعاقبين، سيكون أحد الأخوين حيًّا والآخر ميتًا. فهما يمثلان الذات الأعلى والذات الأدنى اللتان لا يسعهما أن يكونا «على قيد الحياة» في نفس الوقت. عرف كاستور وبولاكس بأنهما ابنا الرعد، وهو اللقب الذي خلعه يسوع في إنجيل مرقس على اثنين من تلامذته، الأخوين يعقوب ويوحنا، من غير سبب يذكر!

في بعض الأساطير، غريم ديونيسوس، الذي يتمثل في الذات الأدنى لأحد المبتدئين، يموت موتة الإله الإنسان عوضًا عنه. في أسطورة باخوس، يشرع الملك بينثيوس في قتل ديونيسوس، لكنه نفسه يعلّق على شجرة. في أسطورة مماثلة موطنها صقلية، يصلب العدو اللدود لديونيسوس، الملك ليكورجوس...

اعترف جستين الشهيد في فصل من أحد كتبه كان يحمل في الواقع اسم «عقيدة الصلب عند أفلاطون»، بأن الفيلسوف الوثني قد نشر تعليمًا قبل قرون يقول فيه إن «ابن الله» قد وضع على الصليب في العالم.

كان الصليب رمزًا مقدسًا عند القدماء. فقد كانت أذرعه الأربعة تمثّل عناصر العالم المادي الأربعة– الأرض والماء والجو والنار. وقد حبس العنصر الخامس، الروح، في المادة عبر هذه العناصر الأربعة...

[١٦٥٩] أسرار إلفسينا: تطلق على عبادة الإلهة (دمتر) في إلفسينا اليونانية.

يبدو أنّه من المستبعد جدًّا أن يكون الثنائي أوزيريس وديونيسوس قد صورا وكأنهما يموتان الموتة نفسها التي ماتها يسوع، لكن هذا ما يشير إليه الدليل. **أرنوبيوس**[١٦٦٠]، **أحد آباء الكنيسة، أفزعه أن وجد أن المبتدئين في أسرار ديونيسوس يناولون بعضهم صليبًا مقدسًا**. على بعض صور المزهريات يتم إظهار صنم ديونيسوس وقد تدلى من فوق صليب. يصور تابوت حجري يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلاديين تلميذًا طاعنًا في السن يحمل الطفل المقدس ديونيسوس صليبًا كبيرًا. يصف عالم معاصر هذا الصليب بقوله إنه «إعلام بالمصير المأساوي النهائي» للطفل.

إلى الفترة نفسها يرجع تاريخ الطلسم غير العادي الذي يظهر شخصًا مصلوبًا قد تتسرع وتظن أنه يسوع، لكنه أوزوريس ديونيسوس. النقش الموجود أسفل هذا الشخص مكتوب فيه «أورفيوس باكيكوس» الذي يعني «أورفيوس يصبح باخوي». كان أورفيوس نبيًّا أسطوريًّا عظيمًا أرسله ديونيسوس الذي كان مبجلًا للغاية حتى إنه كان ينظر إليه باعتباره الإله المتأنس نفسه...

يصوّر الطلسم ديونيسوس وهو يحتضر بسبب الصلب، رامزًا بالموت الغامض للمبتدئ إلى طبيعته الأدنى وميلاده الثاني كإله.»[١٦٦١]

وقد اكتشف المنصّرون أنفسهم أنّ الكفارة الإلهية ذائعة عند الأمم الأخرى؛ فقد قال **الأب** «**هوك**»: «فكرة الفداء بالتجسد الإلهي، **عامة وشائعة**.»[١٦٦٢]

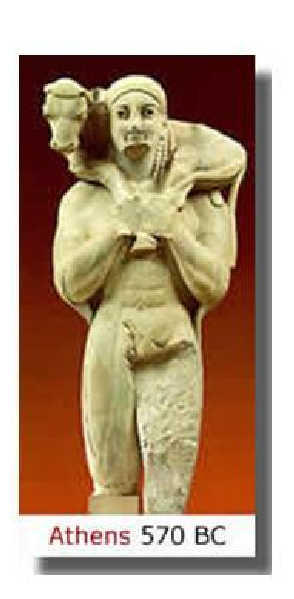
[١٦٦٠] أرنوبيوس الكافي Ἀρνόβιος ἐκ Σίκκης (توفي ٣٣٠): من منطقة الكاف بتونس. كاتب لاتيني نصراني، كانت له عناية بالكتب الدفاعيّة ضد المخالفين للنصرانيّة. القول إنّه يعدّ من آباء الكنيسة، فيه نظر، وإنّما هو من كتّاب الكنيسة الأوائل المتحمّسين لها.

[١٦٦١] Timothy Freke and Peter Gandy, *The Jesus Mysteries, was the 'original Jesus' a pagan God?*, pp.٥٠-٥١

[١٦٦٢] Huc, *Christianity in China*, ١/٣٢٦-٣٢٧ (Quoted by, Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, p.١٨٣)

وقال «توماس إنمان» «Thomas Inman»[١٦٦٣]: «إنّ كلمتي «الخلاص» و«المخلّص» قد استعملتا قبل ميلاد المسيح بفترة طويلة، ولازالتا شائعتين بين الذين لم يسمعوا البتّة بيسوع.»[١٦٦٤]

أثنيا 570 ق.م　　　　　　　　　　المسيح


Athens 570 BC


Jesus 4th century AD

أم الإله الممجدة:

غلا النصارى في «مريم» —عليها السلام– إلى درجة رفعها من حيث حقيقة الحال–وإن لم يكن بصريح المقال– إلى مرتبة الألوهيّة حتّى لقّبوها بـ «أم الإله» و«ملكة السماء»...

[١٦٦٣] توماس إنمان (١٨٢٠م– ١٨٧٦م): كانت له عناية بدراسة الأساطير القديمة، وقد ألّف فيها عددًا من الكتب.

[١٦٦٤] Thomas Inman, *Ancient Faiths Embodied in Ancient Names*, ٣/٦٥٢

وقد بيّن «إ. أ. وليس بودج» «E. A. Wallis Budge» في كتابه «آلهة مصر» « The Gods of Egypt» أنّ النصرانيّة كانت وريثة الديانة المصريّة في هذا الجانب، فقد حوّل المصريون «ولاءهم من إزوريس إلى يسوع الناصري، من غير عسر. وعلاوة على ذلك؛ فقد ربطت إزيس وابنها مباشرة بمريم العذراء وابنها ... منح آباء مصريون للكنيسة العذراءَ لقب «ثيوتوكوس» أي «أم الإله»، ناسين، في الظاهر، أنه **ترجمة دقيقة لـ«نتر موت»**، **وهو اسم قديم جداً لإزيس.**»[1665]

وقال الناقد «جيمس س. كورل» «James S. Curl»[1666] في كتابه «الإحياء المصري» «The Egyptian Revival»: «التشابه بين إزيس ومريم العذراء **كبير جدًّا ومتعدد الأوجه بما يصرفه عن أن يكون عرضيًّا.** حقيقة، **لا يوجد شكّ في أنّ عبادة إزيس كان أثرها عميقًا جدًّا في الأديان الأخرى، بما في ذلك النصرانيّة.** وكما أشار إلى ذلك الدكتور وتّ، فإنّه كلّما تعمقّنا في دراسة الطائفة الغامضة للإلهة إزيس؛ كلّما ظهرت لنا تلك الإلهة في تعبيرات تاريخيّة: كانت إزيس إلهة معروفة في المدن الكبرى لروما والإسكندريّة، وفي قرى بومبي وهركولانيوم، وفي الدول–المدن للعصر الهلنستي (٣٢٣– القرن الأول قبل الميلاد) في آسيا الصغرى، وعبر بلاد الغال، في الوقت الذي كان يوجد فيه معبد شهير لإزيس في المدن الرومانيّة. ما كان بالإمكان أن تنسى أو تزال من الوجود، ولا يتصور أن تزول من قلوب الناس وأفئدتهم في يوم من أيام القرن الخامس ميلاديًّا.

... لقد كانت تجسيدًا مقدسًا للأمومة، وعرفت مع ذلك بالعذراء العظيمة، وهو تناقض ظاهر سيصبح مألوفًا عند المسيحيين.»[1667]

[1665] E. A. Wallis Budge, *The Gods of Egypt*, ١/xv-xvi (Quoted by, D. M. Murdock, *Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection*, WA: Stellar House Pub, ,٢٠٠٩ ,p.١٢٠)

[1666] جيمس س. كورل: أستاذ متقاعد من جامعة كوين ببلفاست.

[1667] James S. Curl, The Egyptian Revival, pp.١٢-١٣ (Quoted by, D. M. Murdock, *Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection*, p.١٢١)

كما كان (لأم الإله) الممجّدة وجود في العديد من الديانات الوثنيّة القديمة الأخرى ممّا هو مفصّل في الكتب التي عنيت بهذا الموضوع.[١٦٦٨]

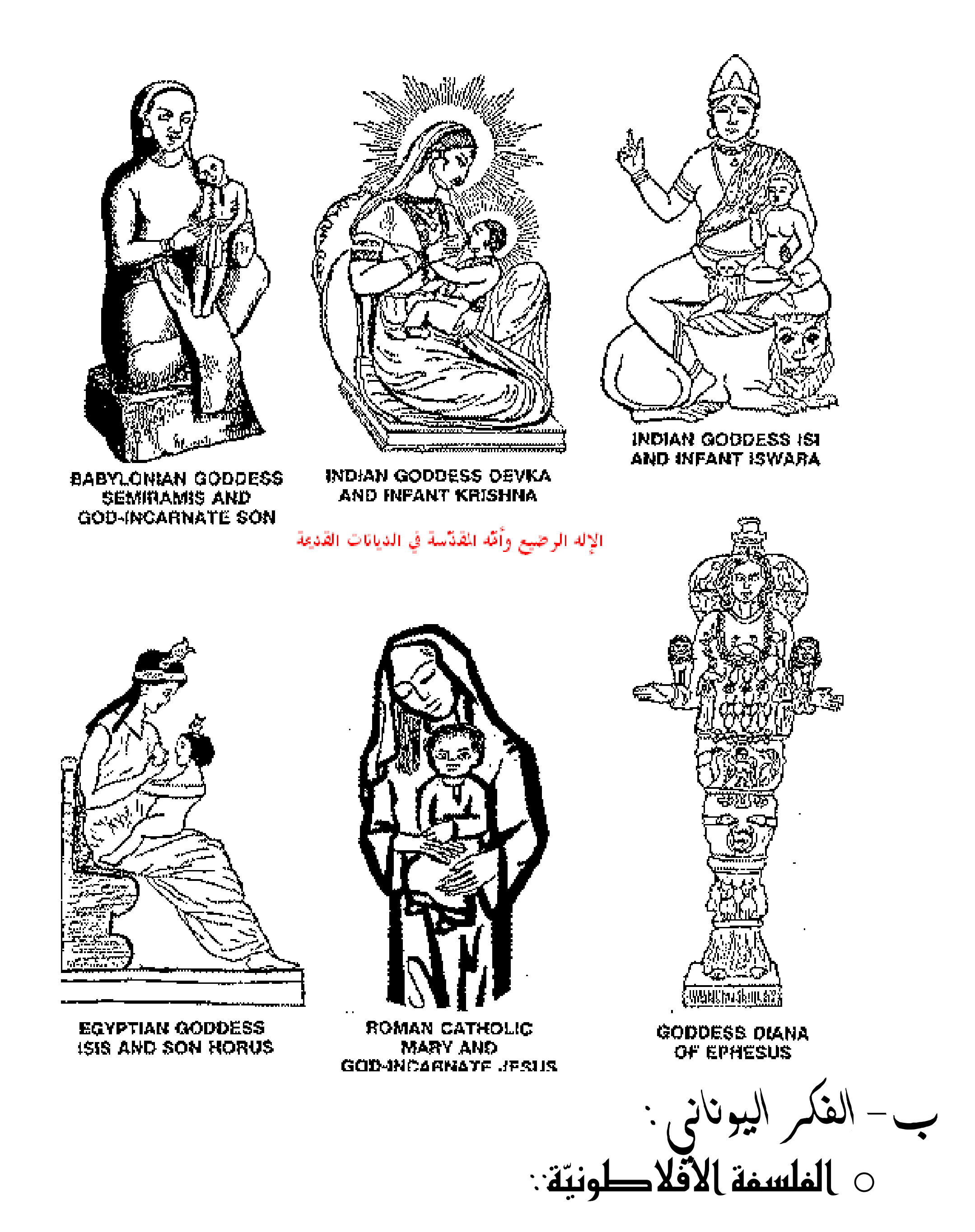
مريم وابنها



إزيس وابنها



[١٦٦٨] انظر في أسماء هذه الديانات الهنديّة والصينيّة وغيرها؛ Thomas William Doane, *Bible Myths and their Parallels in Other Religions*, pp. ٣٢٦-٣٣٨



الإله الرضيع وأمّه المقدّسة في الديانات القديمة

ب- الفكر اليوناني:

○ الفلسفة الأفلاطونيّة:

لم يقف الأمر عند اقتباس الأسفار المقدسة والكنيسة من عقائد السابقين، وإنّما اقتبست الأسفار والكنيسة أيضًا من الأفكار الفلسفيّة التي كان لها رواج في ذاك الزمان؛ حتّى قال المؤرّخ

«ديورنت» عن الفيلسوف «أفلاطون»: «لقد قبلت النصرانيّة كلّ سطر من كلامه.»[١٦٦٩] كما قال عن كنسية الإسكندريّة في القرن الثاني، وهي التي خرج منها «كلمنت» و«أريجن»، إنّها: «**زوّجت النصرانيّة للفلسفة اليونانيّة.**»[١٦٧٠]

لقد أحسّ آباء الكنيسة بوطأة الفكر الفلسفي اليوناني على المنظومة العقديّة النصرانيّة؛ فحاولوا أن يجدوا لذلك المبرّرات؛ «**فأكّد كلمنت على أنّ الفلسفة جاءت من الله، وأعطيت إلى اليونان لتكون معلّمة لهم، وذلك حتى يُستجلبوا إلى المسيح.**»!!؟[١٦٧١]

أمّا «أوغسطين» فسلك فجًّا آخر عندما زعم أنّ «أفلاطون» قد زار مصر أيام النبي «إرمياء»، ومنه أخذ الحكمة (!)، وأنّه من الأرجح أنّ الفلاسفة هم من أخذوا من أنبياء بني إسرائيل الفلسفة!![١٦٧٢]

قديس الكنيسة «أوغسطين» هو الذي قال عمّا قرأه في الفلسفة الأفلاطونيّة: «لقد قرأت هناك أنّ الله الكلمة ولد من غير لحم ودم، لا من مشيئة الإنسان، ولا من مشيئة الجسد، وإنما من مشيئة الله.»[١٦٧٣] مقرًا أنّ أصل هذه العقيدة موجود في الفلسفة اليونانيّة!

١٦٦٩ Will Durant and Ariel Durant, *The Story of Civilization: Caesar and Christ, a History of Roman and of Christianity from their beginnings to A.D.* ٣٢٥, Simon and Schuster, ١٩٣٥, ٣/٦١١

١٦٧٠ المصدر السابق, ٦١٣/٣

١٦٧١ Arthur Cushman McGiffert, *A History of Christian Thought,* New York: Scribner's. ١٩٣٢, ١/١٨٣

١٦٧٢ انظر؛ St Augustine, '*On Christian Doctrine*,' in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٨٧, ٢/٥٤٩

١٦٧٣ Augustine, *The Confessions*, tr. J. G. Pilkington, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٦ , p.١٥٤

وقد أصاب اللاهوتي الشهير «أدولف هرناك» «Adolf Harnack»[١٦٧٤] عندما قال: «عبر قبول معتقد (الكلمة) في اللاهوت المسيحاني كعقيدة مركزيّة في الكنيسة؛ أصبحت عقيدة الكنيسة، حتى بالنسبة لغير رجال الدين، **عميقة الجذور في أرض الثقافة اليونانية**.»[١٦٧٥]

○ الحكمة اليونانيّة:

لم يقتصر العطاء اليوناني بالنسبة للعهد الجديد على الأفكار والرؤى الفلسفيّة، وإنّما ظهر جليًّا في النقل الحرفي لمقولات كتّاب يونان، بما يظهر عمق تأثير الفكر اليوناني الغربي على رسالة المسيح التي ظهرت في فلسطين الشرقيّة.

أهم هذه النصوص اليونانيّة التي نُقلت بالحرف في العهد الجديد، هي:

- أعمال الرسل ١٧/٢٨: «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم: نحن أيضا ذريته**!**»

  نص «لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد»: من الشاعر «إبمنيدس» «*Epimenides*».

  نص «نحن أيضا ذريته»: من الشاعر «أراتوس» «Aratus».[١٦٧٦]

- أعمال الرسل ٢٦/١٤: «فسقطنا كلنا على الأرض. وسمعت صوتًا يناديني باللغة العبرية قائلا: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ يصعب عليك أن ترفس المناخس.»

«المناخس»، جمع «منخس» وهو الآلة التي يستعملها الفلاح لدفع الثور بنخسه في دبره حتى يسير إلى حيث يريد صاحبه. وقول «بولس» في حديثه عن (هدايته!)، إنّ المسيح قد ظهر له

[١٦٧٤] أدولف هرناك (١٨٥١م–١٩٣٠م): مؤرّخ كنسي وأبرز لاهوتي في آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. عرف بتأكيده على نفي أصالة «الإيمان الرسولي» معتبرًا إياه صناعة يونانيّة.

[١٦٧٥] Adolf Harnack, *Outlines of the History of Dogma*, tr. Edwin Knox Mitchell, New York: Funk & Wagnalls, ١٨٩٣, p.١٩٤

[١٦٧٦] انظر؛ Bruce Barton, *Acts*, Ill: Tyndale House Publishers, Inc., ١٩٩٩, p.٣٠٥

وقال له: «... لا تستطيع أن ترفس مناخس»، هو في حقيقته استحضار للمثل الذي شاع عند اليونانيين والرومان في التعبير عن عاقبة العناد، بصورة الثور الهائج الذي يأبى أن يطيع صاحبه فيرفس الأداة التي ينخسه بها مِن ورائِه في دبره؛ فيؤذي نفسه!

يقول الناقد المحافظ «ج. س. هوسن» «J. S. Howson»[1677]: «الصورة المجازيّة «من الصعب أن ترفس مناخس» كانت من الصور المفضّلة في العالم الوثني ... لقد استُعملت بصورة مكثّفة من طرف الكتّاب اليونانيين والرومانيين. إننا نجدها في أعمال «بندر» «Pindar» و«أيسخايلوس» «AEschylus» و«أوربدس» «Euripides» وأيضًا «بلوتوس» «Plautus» و«ترونس» «Terence». لم ترد هذه الكلمات في أيّة مجموعة من الأمثال اليهوديّة المعروفة.»[1678]

- ٢بطرس ٢/٢٢: «وينطبق على هؤلاء ما يقوله المثل الصادق: «عاد الكلب إلى تناول ما تقيأه، والخنزيرة المغتسلة إلى التمرغ في الوحل!»»

جاء في هامش ترجمة «The New American Bible»: «المثل الثاني مصدره مجهول، أمّا الأوّل فيظهر في سفر الأمثال ٢٦/١١.»[1679]

- ١كورنثوس ١٥/٣٣: «لا تنقادوا إلى الضلال: إن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة!»

ردّ قديس الكنيسة «جيروم» هذا النصّ إلى الكاتب التمثيلي اليوناني «مننـدر» «Menander».[1680]

[1677] ج. س. هوسن: عميد شستر.

[1678] Philip Schaff, ed. *A Popular Commentary on the New Testament*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٨٠, ٢/٣٥٢

[1679] *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.٣٧٢

- أعمال الرسل ٢٠/٣٥: «وقد أظهرت لكم بوضوح كيف يجب أن نبذل الجهد لنساعد المحتاجين، متذكرين كلمات الرب يسوع، إذ قال: الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ!»»

نصّ: «الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ» لا وجود له في الأناجيل، وإنّما هو مقتبس من التراث اليوناني الذي استقى منه مؤلّف أعمال الرسل الكثير من أفكاره، وقد أشار عدد من النقاد إلى أنّ نصّ «الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ» « μακαριον εστιν μαλλον διδοναι η λαμβανειν» الذي ورد في أعمال الرسل هو اقتباس عكسي من كلام المؤرخ اليوناني «ثوكيديديس» الذي ورد في سياق الإدانة: «الأخذ أولى من العطاء» « λαμβανειν μαλλον η διδοναι»![١٦٨١]

E- اقتباس العهد الجديد من الكتب المزيفة:

استدلّ المنصّرون بالتشابه الموجود بين ما جاء في القرآن الكريم والكتب اليهوديّة والنصرانيّة غير المقدّسة، لردّ ربّانيّة القرآن الكريم، وقد سبق بيان تدليسهم. وقد أخفى القوم في المقابلِ حقيقةَ اقتباس كتبهم من الأسفار المزيّفة .. وبين يديك الآن التفصيل:

أ- الاقتباس من الكتب المنحولة:

أصبحت قضيّة اقتباس العهد الجديد من الكتب اليهوديّة المنحولة –مباشرة أو ضمنًا–، قضيّة مسلّمة عند النقاد الموضوعيين، حتّى قال «كريغ أ. إفنز» «Craig A. Evans»: «في السنوات

١٦٨٠ انظر؛ Anthony C. Thiselton, *The First Epistle to the Corinthians: a commentary on the Greek Text*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٠, p.١٢٥٤

١٦٨١ انظر؛ I. Howard Marshall and David Peterson, eds. *Witness to the Gospel: the Theology of Acts*, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٨ , p.٥١٨

الأخيرة، خاصة منذ عشرين سنة مضت حيث تمّ نشر مجلدي كتاب «العهد القديم المنحول» بتحرير شارلزورث، ازداد النقاد المتخصصون في العهد الجديد انتباهًا إلى أهميّة الكتابات المنحولة، لتفسير العهد الجديد.»[١٦٨٢]

- **سفر ١ أخنوخ:**

تعريف: السفر الأوّل لأخنوخ هو كتاب منحول ينسب إلى «أخنوخ» أحد أجداد «نوح» عليه السلام.

التشابه:

- يهوذا ١٤/١٥: «عن هؤلاء وأمثالهم، تنبأ أخنوخ السابع بعد آدم، فقال: «انظروا إن الرب آت بصحبة عشرات الألوف من قديسيه، ليدين جميع الناس، ويوبخ جميع الأشرار الذين لا يهابون الله بسبب جميع أعمالهم الشريرة التي ارتكبوها وجميع أقوالهم القاسية التي أهانوه بها والتي لا تصدر إلا عن الخاطئين الأشرار غير الأتقياء!»

المصدر:

سفر ١ أخنوخ ٩/١: «هاإنّه يأتي مع عشرة آلاف من قدّيسيه حتّى ينفّذ الحكم على الكل، وليحطّم الأشرار، ويدين كلّ جسد على كلّ ما عمله من شر اقترفه بسوء، وكلّ قول قبيح قاله الخطاة الأشرار ضدّه.»

قرّر النقّاد أنّ «يهوذا» كان يحيل إلى السفر المنحول «١أخنوخ»، وقد حاول الدفاعيون النصارى التفلّت من هذه الحقيقة بدعوى أنّ النقل عن هذا السفر لا يعني القول بقداسته[١٦٨٣]. وهذه دعوى مردودة من وجهين:

[١٦٨٢] Craig A. Evans, *Ancient Texts for New Testament Studies: a guide to the background Literature*, p.٧٠

الوجه الأوّل: نقل «يهوذا» عن هذا السفر خبرًا غيبيًا لا يعرف إلاّ بواسطة الوحي، وليس هو موافقة له في قضيّة عقليّة أو قاعدة أخلاقيّة عامة، كما أنّ هذا التطابق في هذا الخبر الغيبي لم يرد في صورة (الموافقة) دون إحالة إلى مصدر بعينه، وإنما ورد بتخصيص النقل عن هذا السفر بعينه.

الوجه الثاني: من آباء الكنيسة من كان يرى قداسة هذا السفر، ومنهم «ترتليان» الذي اقتبس في كتبه أكثر من مرّة من سفر «١أخنوخ» (في: *De Idololatria*, ١٥, De *Cultu Foeminarum*, ٢. ١٠) وصرّح في إحدى المرّات أنّه وإن كان هذا السفر مرفوضًا من اليهود فإنّ ذلك ربما يعود إلى عجز اليهود عن تصوّر نجاته من الطوفان. وقال إنّه ربما حصل «نوح» على نسخة هذا السفر من أسلافه، أو استطاع إعادة كتابته مرّة أخرى من خلال الوحي، كما كان الأمر مع «عزرا» الذي أعاد كتابة التوراة. وأضاف أنّ ورود الاقتباس من هذا السفر في رسالة يهوذا يقطع كلّ شك حول أصالته.[١٦٨٤]

ولم يتفرّد «ترتليان» بالقول بقداسة سفر «١أخنوخ» بل شاركه عدد من الآباء مثل «كلمنت السكندري» و«إيرانيوس»[١٦٨٥] و«أثناغوراس»[١٦٨٦]، كما شهدت رسالة برنابا ٤/١٦[١٦٨٧] لنفس الأمر. ولا تزال الكنيسة الأثيوبيّة إلى اليوم ترى قداسته.[١٦٨٨]

١٦٨٣ انظر مثلًا؛ Ron Rhodes, *Commonly Misunderstood Bible Verses: Clear Examinations for the Difficult Passages*, Oregon: Harvest House Publishers, ٢٠٠٨, p.٢٨١

١٦٨٤ انظر؛ John Kaye, *The Ecclesiastical History of the Second and Third Centuries*, Cambridge: University Press, ١٨٢٦, p.٣٠٦

١٦٨٥ إيرانيوس Εἰρηναῖος (١٣٠م-٢٠٢م): أحد آباء الكنيسة. أسقف ليون في القرن الثاني. له مؤلّفات في الدفاع عن النصرانيّة.

١٦٨٦ أثناغوراس (القرن الثاني): فيلسوف ولاهوتي عرف بدفاعه عن النصرانيّة.

ومن **الطريف** هنا أنّ مؤلّف سفر أخنوخ١ قد حرّف هذا النص بعض الشيء ليوافق غرضه (المسيحاني)؛ فقد قارن الناقد «جيمس هـ. تشارلزورث» «James H. charlesworth» بين: النص اليوناني لاقتباس رسالة يهوذا، والجزء المتاح من النص العبري المكتشف ضمن مخطوطات مغاور قمران؛ والترجمة الأثيوبيّة القريبة جدًا من الأصل الآرامي[١٦٨٩]؛ وخلص إلى أنّ مؤلّف رسالة يهوذا قد حرّف الأصل:

(١) استعملت الترجمة الأثيوبيّة كلمة «هو» دلالة على مجيء «الله»، في حين استعمل مؤلّف رسالة يهوذا كلمة «كيريوس» «κυριος» أي «رب» دلالة على مجيء المسيح، وقد كان عليه استعمال كلمة «ثيوس» «θεος»!

(٢) غيّر النص الآرامي «مع ربوات القديسين» «**[רבו]את קדישו[הי]**» الوارد في مخطوطة قمران[١٦٩٠] إلى «مع ربوات[١٦٩١] قدّيسيه» «εν αγιαις μυριασιν αυτου»[١٦٩٢]!

[١٦٨٧] رسالة برنابا Επιστολή Βαρνάβα: كتاب ديني كان معروفًا بين النصارى في القرن الثاني ميلاديًّا، وهو موجود بالكامل في المخطوطة السينائيّة. من النصارى الأوائل من كان يؤمن بقداسته وأنه جزء من أسفار العهد الجديد (وهو غير إنجيل برنابا).

[١٦٨٨] انظر؛ James C. VanderKam, '١ *Enoch, Enochic Motifs, and Enoch in Early Christian Literarure*,' in James C. VanderKam and William Adler, eds. *The Jewish Apocalyptic Heritage in Early Christianity*, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٦ , pp.٣٣-٦٠

[١٦٨٩] الخلاف قائم بين النقاد حول تحديد اللغة الأصليّة بين الآراميّة والعبريّة، ويذهب النقاد الأثيوبيون إلى أنّ اللغة الأثيوبيّة هي الأصل.

[١٦٩٠] Florentino Garcia Martinez and Eibert J. C. Tigchelaar, *The Dead Sea Scrolls Study Edition*, Michigan: Wm. B. Eerdmans, ٢٠٠٠ , ١/٤١٢

لقد اقتبس مؤلّف رسالة يهوذا (المقدّسة!) نصًا من سفر منحول .. ثم حرّفه .. فلم يذر للكتّاب الدفاعيين النصارى مهربًا من الإقرار بحقيقة بشريّة هذه الرسالة!

- الرؤيا ٨/٨: «ولما نفخ الملاك الثاني في بوقه، ألقي في البحر ما يشبه جبلًا عظيمًا مشتعلًا، فصار ثلث البحر دمًا.»

المصدر:

١٣/١٨: «ورأيت هناك سبعة نجوم كبيرة، كجبال كبيرة تحترق.»

قال الناقد «روبرت هنري تشارلز» «Robert Henry Charles»: «منظر الجبل الذي يحترق ربما هو مأخوذ من «١أخنوخ» ١٣/١٨: ιδον επτα αστερας ως ορη μεγαλα καιομενα. الموازي أَوضَحْ في أخنوخ ٣/٢١: εκει τεθεαμαι επτα των αστερων ... ερριμμενους εν αυτω ομοιους ορεσιν μεγαλοις και εν πυρι καιομενοις»[١٦٩٣]

وقال الناقد «كريستوفر أ. ديفيز» «Christopher A. Davis»: «استعار يوحنا الرمز من نص «١أخنوخ» ١٣/١٨ الذي يصف ملائكة الشر أنّها ك «جبال محترقة» محفوظة في السجن حتى يوم الحساب.»[١٦٩٤]

- **صعود موسى**:

تعريف: يعرف هذا الكتاب أيضًا باسم «عهد موسى»، وهو كتاب يهودي منحول يتضمن ما ادُّعي أنها نبوءات سريّة أوحاها «موسى» «ليشوع».

[١٦٩١] عرّب الأصل اليوناني إلى: (ربوات) و(ألوف) في الترجمات العربيّة للعهد الجديد.

[١٦٩٢] انظر؛ James H. charlesworth, *The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament*, P.A: Trinity Press International, ١٩٩٨, pp.٧٣-٧٤

[١٦٩٣] Robert Henry Charles, *A Critical and Exegetical Commentary on the Revelation of St. John*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٢٠, ١/٢٣٤

[١٦٩٤] Christopher A. Davis, *Revelation*, Missouri: College Press, ٢٠٠٠, p.٢١٤

التشابه:

يهوذا ٩: «فحتى ميخائيل، وهو رئيس ملائكة، لم يجرؤ أن يحكم على إبليس بكلام مهين عندما خاصمه وتجادل معه بخصوص جثمان موسى، وإنما اكتفى بالقول له: «ليزجرك الرب!»»

المصدر:

قال «أريجن» في كتابه «*De principiis*»: «وصِفت الحيّة في سفر التكوين أنّها قد أغوت حوّاء، وهي التي جاء في العمل المسمّى صعود موسى- وهو رسالة صغيرة أشار إليها يهوذا الرسول في رسالته- أنّ رئيس الملائكة ميخائيل لما تخاصم مع الشيطان حول جسد موسى، قال إنّ الحيّة قد أوحي إليها من الشيطان، وهي سبب مخالفة آدم وحواء.»[١٦٩٥]. كما أشار إلى نفس الأمر كل من «كلمنت السكندري» و«ديديموس الضرير»[١٦٩٦][١٦٩٧]. وصرّح قديس الكنيسة السريانيّة البابا «ساويرس الأنطاكي»[١٦٩٨] أنّ «يهوذا» قد اقتبس هنا من سفر منحول.[١٦٩٩]

- **عهد لاوي:**

تعريف: كتاب يهودي منحول يضم وصايا أبناء يعقوب الاثنى عشر عند موتهم.

[١٦٩٥] Origen, '*De Principiis*,' in *Ante-Nicene Fathers*, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٢٦،٤/٣٢٨

[١٦٩٦] ديديموس الضرير (٣١٣م-٣٩٨م): لاهوتي شهير من الإسكندريّة. له عدد كبير من المؤلّفات المتنوعة، من أهمها تعليقاته على أسفار الكتاب المقدس.

[١٦٩٧] انظر؛ Montague Rhodes James, *The Lost Apocrypha of the Old Testament*, California: Book Tree, ٢٠٠٦, p.٤٣

[١٦٩٨] ساويرس الأنطاكي (٤٦٥م-٥٣٨م): بابا أنطاكية، وأحد أهم لاهوتيي الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة.

[١٦٩٩] انظر؛ James H. charlesworth, *The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament*, p.٧٧

التشابه:

٢كورنثوس ٢/١٢: «أعرف إنسانًا في المسيح، خطف إلى السماء الثالثة قبل أربع عشرة سنة: أكان ذلك بجسده؟ لا أعلم؛ أم كان بغير جسده؟ لا أعلم. الله يعلم!»

المصدر:

الفصل الثاني من «عهد لاوي» حيث انتقل «لاوي» من السماء الأولى، إلى الثانية، وقيل له إنّه سيدخل الثالثة حيث الرب.

وقد أشارت العديد من المصادر العلميّة إلى أنّ الحديث عن ثلاث سماوات هو أمر **مميّز** «لعهد لاوي»، وهو ما أشار إليه بعد ذلك مؤلّف الرسالة الثانيّة إلى كورنثوس، رغم أنّ الغالب عند اليهود هو الحديث عن سبع سماوات لا ثلاث.[١٧٠٠]

- حياة آدم وحواء:

تعريف: سفر يهودي منحول، يعرف في ترجمته اليونانيّة باسم «رؤيا موسى». وهو يتحدث عن طرد «آدم» و«حواء» من الجنّة.

التشابه:

٢كورنثوس ١٤/١١: «ولا عجب! فالشيطان نفسه يظهر نفسه بمظهر ملاك نور.»

المصدر:

١/٩: «ثمانية عشر يومًا مرّت، ثم غضب الشيطان وحوّل نفسه إلى لمعان الملائكة وانصرف إلى نهر دجلة، إلى حواء، فوجدها تبكي.»

جاء في سلسلة التفسير الكاثوليكي العصري الشهيرة «*Sacra Pagina*»: «الإحالة إلى تغيير الشيطان شكله إلى شكل ملاك، أو الاكتساء بلمعان الملاك، موجودان في «رؤيا موسى» ١٧/١–٢ و«حياة آدم وحواء» ١/٩.»[١٧٠١]

[١٧٠٠] انظر مثلًا؛ *Saint Joseph Edition of the New American Bible*, p.٢٨٠

وجاء في التفسير المحافظ «*Life Application Bible Commentary*»: «رغم أنّ العهد القديم لا يصف الشيطان على أنّه ملاك نور، فإنّ الكتابات اليهوديّة تفعل ذلك. ربّما كان بولس يفكّر في القصص المضمّنة في «حياة آدم وحواء» و«رؤيا موسى» عندما كتب هذا العدد.»[١٧٠٢]

- **رؤيا إيليا:**

تعريف: سفر رؤيا إيليا، هو سفر منحول تمّت صياغته على أنّه وحي من جبريل، وتوجد له نسختان اليوم، الأولى هي مقاطع من ترجمة قبطيّة، والأخرى عبريّة.

التشابه:

١كورنثوس ٩/٢: «لما صلبوا رب المجد! ولكن، وفقًا لما كتب: «إن ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر قد أعده الله لمحبيه!» »

المصدر:

يقول «جون إدغار ماك فداين» «John Edgar McFadyen»: «لا يوجد مقطع في العهد القديم يطابق حرفيًا الكلمات التي سيقت هنا.»[١٧٠٣]

وقد ذكر كل من «أريجن» في تعليقه على متّى ٩/٢٧، و«أوثاليوس»[١٧٠٤]، وآخرين أنّ النص مقتبس من «رؤيا إيليا»[١٧٠٥].

[١٧٠١] Jan Lambrecht, *Second Corinthians*, (*Sacra Pagina*, Volume ٨), Minnesota, Liturgical Press, ١٩٩٩ , p.١٧٨

[١٧٠٢] Bruce B. Barton, ١ *and* ٢ *Corinthinas* (*The Application Bible Commentary*), Tyndale House Publishers, Inc., ١٩٩٩ , p.٤٣٦

[١٧٠٣] John Edgar McFadyen, *The Epistles to the Corinthians and Galatians*, New York: A. S. Barnes, ١٩٠٩, p.٢٢

[١٧٠٤] أوثاليوس (القرن الخامس): أسقف سولكا. من أهم أعماله كتبه في دراسة العهد الجديد.

التشابه:

أفسس ١٤/٥: ‹‹لذلك يقول: ‹‹استيقظ أيها النائم، وقم من الأموات، فيضيء لك المسيح!››››

المصدر:

نسب قديس الكنيسة ‹‹إبيفانيوس السالاميسي››[١٧٠٦] هذا الاقتباس الوارد في أفسس ١٤/٥ إلى رؤيا إيليا.[١٧٠٧]

- **الكتاب السري لإرمياء:**

تعريف: كتاب منحول فيه شبه كبير بسفر باروخ الرابع حتّى قيل إنهما من مصدر واحد. وقد وصلنا مكتوبًا باللغة العربيّة بالحرف السرياني، ويرجّح أنّ اليونانيّة هي لغته الأصليّة.

التشابه:

متّى ٩/٢٧: ‹‹عندئذ تمّ ما قيل بلسان النبي إرمياء القائل: «وأخذوا الثلاثين قطعة من الفضة، ثمن الكريم الذي ثمنه بنو إسرائيل.››

[١٧٠٥] انظر؛ James Hastings, eds. *A Dictionary of the Bible*, Edinburgh: T. & T. CLARK, ١٩٠١, ١/٦٩٢

[١٧٠٦] إبيفانيوس السالاميسي (٣٢٠م-٤٠٣م): أحد آباء الكنيسة. أسقف سلمي. له عناية بالردود على الفرق (المهرطقة) بعد مجمع نيقية.

[١٧٠٧] انظر؛ Epiphanius, *Haer.* ٤٢,١٢,٣ (mentioned by, John Muddiman, *A Commentary on the Epistle to the Ephesians*, London: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٦, , p.٢٤٢)

المصدر:

قال «أريجن» في مقالته الخامسة والثلاثين في تعليقه على إنجيل متّى إنّ هذا النص مقتبس من الكتاب السري لإرمياء.[١٧٠٨] وذكر قديس الكنيسة «جيروم» أنّ أحد أفراد فرقة الناصريين (*Nazarenes*) أراه نسخة عبريّة لإرمياء الأبوكريفي فيها هذه النبوءة.[١٧٠٩]

- **كتاب توبة ينيس ويمبريس:**

تعريف: كتاب يهودي منحول يروي قصّة ساحرين اثنين.

التشابه:

٢تيموثاوس ٣/٨: «ومثلما قاوم (الساحران) ينيس ويمبريس موسى، كذلك أيضًا يقاوم هؤلاء الحق؛ أناس عقولهم فاسدة، وقد تبين أنهم غير أهل للإيمان.»

المصدر:

يقول التراث اليهودي: «ينيس» و«يمبريس» اسمان لأعظم ساحرين من السحرة الذين وقفوا أمام «موسى» عليه السلام كما هو مذكور في سفر الخروج (٧/١١، ٨/٧).

لا يعرف هذان الاسمان إلاّ من خلال التراث اليهودي، ولا ذكر لهما في العهد القديم؛ فقد وردا في «كتاب توبة ينيس ويمبريس». وقد ذكر «أريجن» في تعليقه على متّى ٢٧/٨ أنّ «بولس»

١٧٠٨ انظر؛ Louis Ellies du Pin and William Wotton, *A New History of Ecclesiastical Writers*, London: Abel Swalle and Tim. Childe, ١٦٩٣ , ١/٣٢

١٧٠٩ انظر؛ Adam Clark, *The New Testament of our Lord and Saviour Jesus Christ*, Philadelphia: Thomas Cowperthwait, ١٨٤٤, p.١٣٣

قد اقتبس كلامه في رسالته الثانية إلى تيموثاوس من هذا السفر[١٧١٠]. ولهذين الاسمين ذكر واسع في أكثر من موضع من التراث اليهودي خارح التناخ، وفي كتابات الوثنيين.

- **كتب أخرى:**

  - لما كان اقتباس مؤلّف رسالة يعقوب ٤/٥: «هل الروح الذي حل في داخلنا يغار عن حسد؟» لا أثر له في العهد القديم رغم أنّه قد مهد له بقوله: «الكتاب يقول» «η γραφη λεγει»[١٧١١]؛ فقد ذهب عدد كبير من النقاد إلى أنّ أصله سفر غير قانوني، واختلفوا في اسم هذا السفر؛ فقيل «سفر ألداد وميداد» المفقود، وقيل «سفر أخنوخ»، وقيل «رؤيا موسى»[١٧١٢]، وقيل غير ذلك.

  - ذكر «أريجن» أنّ ما جاء في متّى ٣١/٢٣ و٣٥/٢٣ هو اقتباس من «كتب أبوكريفيّة».

وقد أحسن الناقد «ويليام أدلر» «William Adler» في مقاله «السودوبجرافا في الكنيسة المبكّرة» «*The Pseudepigrapha in the Early Church*» القول في تلخيص موقف «أريجن» –

[١٧١٠] انظر؛ Origen, Comm. Matt. ١٠,١٨,٦٠ (Quoted by, William Adler, '*The Pseudepigrapha in the Early Church*,' in Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. *The Canon Debate*, Massachusetts, Hendrickson Publishers, ٢٠٠٢ , p.٢٢٠)

[١٧١١] قال الناقد «رالف ب. مارتن» «Ralph P. Martin»: «ليس هناك شك أنّه يقتبس من مصدر ما ... في كلّ الحالات الأخرى في العهد الجديد التي نقرأ فيها «η γραφη λεγει»؛ فإنّ هذه الصيغة تقدّم إحالة مباشرة للأسفار أو إشارة إليها.» (Martin Ralph, *Word Biblical Commentary, Volume* ٤٨: *James*, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨ , CD edition)

[١٧١٢] انظر المصدر السابق

وهو من أقرب الآباء الأعلام من زمن تأليف أسفار العهد الجديد- من حقيقة اقتباس الأسفار (القانونيّة) من الأسفار (المنحولة): «**قال أريجن إنّ يسوع نفسه كان أحيانًا يقتبس من الأسفار الأبوكريفية ومن التقاليد السرية الخاصة باليهود**. لفت أريجن في مواضع عدة انتباه قرائه إلى أن شجب يسوع للفريسيين كان يتضمن اتهامات يصعب توثيقها من الأسفار المصدّق عليها رسميًّا ضمن الكتاب المقدس اليهودي؛ فتعليمه عن قتل الأنبياء (متّى ٢٣ / ٣١) واستشهاد زكريا (مت ٢٣ / ٣٥)، لابد أنّهما- لذات السبب- قد اقتُبسا من كتاب كان رائجًا ضمن «الأسفار الأبوكريفيّة».

بعض الكتابات المنحولة أثبتت أهميتها في تفسير تعاليم يسوع؛ فالرواية التي تتناول الملاك يعقوب/إسرائيل الواردة في «صلاة يوسف» -والتي هي سفر من الأسفار الأبوكريفا المتداولة-، أوضحت معنى كلمات يسوع الواردة في إنجيل يوحنا وجعلتها أكثر مصداقية (pistikoteros). ولذلك السبب، كما أريجن يقول، يحسن بنا ألا نتعامل معها بازدراء. أن ننكر على المفسرين المسيحيين اطلاعهم على هذه المصادر يعني أن نحرمهم من معلومات إضافية هامة لا تقدر بثمن في توضيح الفقرات الأخرى الغامضة أو التي لا يدعمها سند أو دليل في الكتاب المقدس.»[١٧١٣]

ب- الاقتباس من الكتب المجهولة

اقتبس العهد الجديد نصوصًا من كتب مقدّسة، لكننا لا نجد أثرًا لهذه النصوص في أسفار الكتاب المقدس، مما يعني أنها نصوص مزيّفة؛ إذ إنّ النصارى لا يعرفون أسفارًا مقدسة خارج الكتاب المقدس:

- يوحنا ٣٨/٧: «وكما قال الكتاب، **فمن آمن بي تجري من داخله أنهار ماء حي**.»

[١٧١٣] William Adler, '*The Pseudepigrapha in the Early Church*,' in Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. *The Canon Debate*, p.٢٢٠

- ١كورنثوس ٩/١٠: «أم يقول ذلك كله من أجلنا؟ نعم، فمن أجلنا قد كتب ذلك، **لأنه من حق الفلاح أن يفلح برجاء، والدراس أن يدرس برجاء، على أمل الاشتراك في الغلة.»**

- ٢كورنثوس ٤/٦: «فإن الله ، الذي أمر أن يشرق نور من الظلام، هو الذي جعل النور يشرق في قلوبنا، لإشعاع معرفة مجد الله المتجلي في وجه المسيح.»

هذه الترجمة التي قدّمتها ترجمة «الحياة» العربيّة، محرفة؛ والقصد منها إخفاء دلالة النص على أنّه اقتباس نص من مصدر مجهول:

النص اليوناني: οτι ο θεος ο ειπων εκ σκοτους φως λαμψει ος ελαμψεν εν ταις καρδιαις ημων προς φωτισμον της γνωσεως της δοξης του θεου εν προσωπω χριστου

النص يقول: «الذي قال» «ο ειπων» دلالة على الاقتباس، ثم مباشرة أورد الكلام المقتبس: «ليشرق من الظلمة نور.»

وفي البشيطا السريانيّة نفس المعنى: «**ܡܛܠ ܕܐܠܗܐ ܗܘ ܕܐܡܪ ܕܡܢ ܚܫܘܟܐ ܢܘܗܪܐ ܢܕܢܚ...**» «مِطُل دَالَاهَا هُو دِامَر دمِن خِشُوكَا نُوهرَا نِدنَخ...»».

- أفسس ٥/١٤: «لأن الذي يكشف كل شيء هو النور. لذلك يقال: «**استيقظ أيها النائم، وقم من بين الأموات، فيشرق عليك نور المسيح**»»

- ١تيموثاوس ٥/١٨: «لأن الكتاب يقول: «**لا تضع كمامة على فم الثور وهو يدرس الحبوب**»، **وأيضا**: «**العامل يستحق أجرته**»»

نصّ: «العامل يستحق أجرته» لا أثر له في العهد القديم، علمًا أنّ رسائل «بولس» هي أقدم نصوص كتبت في العهد الجديد، فلا يمكن أن تكون الإحالة إلاّ إلى العهد القديم أو أسفار أخرى ظنّها «بولس» مقدّسة أو تراث حسبه مقدسًا!؟

- يعقوب ٤/٥: «أتظنون أن الكتاب يتكلم عبثًا! هل الروح الذي حل في داخلنا يغار عن حسد؟»

(ميّعت) ترجمة «كتاب الحياة» النص هنا لتخفي دلالته على اقتباس نص لا وجود له في العهد القديم.

النص اليوناني:

«η δοκειτε οτι κενως η γραφη λεγει προς φθονον επιποθει το πνευμα ο κατωκισεν εν ημιν»

وترجمته الحرفيّة: «أتظنون أنّ الكتاب قال باطلًا: «**الروح التي جعلها تسكننا تنحو إلى الغيرة.**»

والاقتباس واضح في التراجم الإنجليزيّة المعاصرة:

The New American Bible: Or do you suppose that the scripture speaks without meaning when it says، "The spirit that he has made to dwell in us tends toward jealousy"?

وقد جاء في هامش هذه الترجمة أنّ معنى النص الذي اقتبسه «يعقوب» «صعب» «difficult»؛ لأنّه لا وجود له في أي من المخطوطات المتاحة للكتاب المقدس![١٧١٤]

The New Revised Standard Version: Or do you suppose that it is for nothing that the scripture says، 'God yearns jealously for the spirit that he has made to dwell in us'?

[١٧١٤] انظر: *Saint Joseph Edition The New American Bible*, p.٣٦٠

The New International Version: Or do you think Scripture says without reason that the spirit he caused to live in us envies intensely?

***Young's Literal Translation*:** Do ye think that emptily the Writing saith، 'To envy earnestly desireth the spirit that did dwell in us،'

The New American Standard Bible: Or do you think that the Scripture speaks to no purpose: "He jealously desires the Spirit which He has made to dwell in us"?

كلمة في الختام

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[١٧١٥]

[١٧١٥] سورة البقرة/ الآية (١٣٥)

المراجع والمصادر

المراجع العربية

١. ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ت/ عبد الرحمن المعلمي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م

٢. ابن إسحاق، **سيرة ابن إسحاق**، ت/ محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د.ت

٣. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت/محمود الطناجي وطاهر أحمد زاوي، الحلبي، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م

٤. أحمد أبيش، **التلمود، كتاب اليهود المقدس**، دار قتيبة، ٢٠٠٦م

٥. أحمد البنعلي، **مجموعة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي**، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م

٦. أحمد عبد الغفور عطار، **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، مكة المكرمة: ١٤٠١هـ، ١٩٨١م

٧. أحمد عبد الوهاب، **الإسلام والأديان الأخرى**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، د.ت

٨. أحمد شاكر، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم**، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ط٢

٩. أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ت/ محمد إسماعيل ومسعد السعدني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م

١٠. أكرم ضياء العمري، **مرويات السيرة النبوية، بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين**، نسخة الكترونية

١١. أكرم ضياء العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م

١٢. الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٥هـ

١٣. البخاري، **الجامع الصحيح**، الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ط٢

١٤. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ت/ عادل مرشد، عمّان: دار الإعلام، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

١٥. ألبير بايه، **أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجيّة**، ت/عادل العوا، دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٧م

١٦. الألوسي، **روح المعاني**، ت/محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م

١٧. البغوي، **معالم التنزيل**، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

١٨. بكر أبو زيد، **معجم المناهي اللفظيّة**، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م

١٩. البهوتي، **كشاف القناع**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ

٢٠. البيهقي، **السنن الكبرى**، ت/ محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ط٣

٢١. ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، مصر: مطبعة المدني، د.ت

٢٢. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

٢٣. ابن تيمية، **منهاج السنة**، ت/ محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ

٢٤. ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ت/محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، د.ت

٢٥. **ترجمة الرهبانيّة اليسوعية**، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م

٢٦. عبد الجليل شلبي، **مفتريات المبشرين على الإسلام**، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢

٢٧. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي**، القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

٢٨. ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ت/ علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ ، ط١

٢٩. ابن حجر، **لسان الميزان**، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

٣٠. ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نحبة الفكر**، ت/ عبد الله الرحيلي، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

٣١. ابن حزم، **إحكام الأحكام**، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤هـ

٣٢. ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ت/ محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، د.ت

٣٣. حسن ظاظا، **الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه**، معهد البحوث والدراسات العربيّة، ١٩٧١م

٣٤. حسن ظاظا، **الساميون ولغاتهم**، دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٢

٣٥. حسن ظاظا، **اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة**، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

٣٦. ابو الحسن الندوي، **النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن**، القاهرة: المختار الإسلامي، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ط٤

٣٧. أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

٣٨. الخازن، **تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل**، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

٣٩. خالد كبير علال، **أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط، حول القرآن ونبيّ الإسلام**، دار المحتسب، نسخة إلكترونيّة

٤٠. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ت/ عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٤١. عبد الراضي محمد عبد المحسن، **الغارة التنصيريّة على أصالة القرآن الكريم**، نسخة إلكترونية

٤٢. ربحي كمال، **دروس اللغة العبريّة**، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ط٣، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م

٤٣. عبد الرحمن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ت/ عبد الرحمن اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

٤٤. عبد الرحمن بدوي، **دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه**، تعريب/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العالميّة للكتب والنشر، ١٩٩٩م

٤٥. رشدي البدراوي، **موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟**، نسخة إلكترونيّة

٤٦. روبير بندكتي، **التراث الإنساني في التراث الكتابي، إشكالية الأساطير الشرقيّة القديمة في العهد القديم**، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠م، ط٢

٤٧. الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٤٨. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩١٩٨م

٤٩. ابن سعد، **الطبقات الكبير**، ت/ علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م

٥٠. أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م

٥١. سلوى بالحاج صالح، **المسيحية العربية وتطوراتها؛ من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م، ط٢

٥٢. سهيل زكار، **التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام**، دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٨م، ٢٠٠٧هـ

٥٣. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ط٣٤

٥٤. ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت: دار المعرفة، د.ت

٥٥. السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ت/عبد الله التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، د.ت

٥٦. شنودة الثالث، **سنوات مع أسئلة الناس، أسئلة عقيديّة ولاهوتيّة**-ب، القاهرة: ٢٠٠١

٥٧. شوقي أبو خليل، **الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشّرين**، دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م

٥٨. الشوكاني، **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر، د.ت

٥٩. صموئيل يوسف خليل، **المدخل إلى العهد القديم**، القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م ، ط٢
٦٠. الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت
٦١. الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت
٦٢. الطبري، **تفسير الطبري**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ
٦٣. الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤٢٦م، ٢٠٠٥م
٦٤. عباس محمود العقاد، **المجموعة الكاملة لمؤلّفات الأستاذ عباس محمود العقاد**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨م
٦٥. ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م
٦٦. العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ت/ علي محمد اليحياوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت
٦٧. ابن العربي، **أحكام القرآن**، ت/ محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر، د.ت
٦٨. ابن عطيّة الأندلسي، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت/عبد السلام محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م
٦٩. عفيف عبد الفتاح طباره، **روح الدين الإسلامي**، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٩٣م، ط٢٨
٧٠. علي الريس، **تحريف مخطوطات الكتاب المقدس**، نسخة إلكترونيّة
٧١. علي علي منصور، **مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**، بيروت: دار الفتح، ١٣٩٠هـ،١٩٧٠م
٧٢. عمر سليمان الأشقر، **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، عمان: دار النفائس، ١٤١٤هـ، ١٩١٤م، ط٢
٧٣. عمر سليمان الأشقر، **الرسل والرسالات**، الكويت: مكتبة الفلاح، ط٤، ١٩٨٩م-١٤١٠هـ
٧٤. القاضي عياض، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**، ت/ طه عبد الرؤوف سعد وخالد بن محمد بن عثمان، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م
٧٥. العيني، **عمدة القاري**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت
٧٦. عبد الفتاح محمد وهيبة، **جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع**، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٧٧. ابن قتيبة، **غريب الحديث**، ت/ عبد الله الجبوري، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ

٧٨. قحطان الدروي، **أميّة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م

٧٩. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م

٨٠. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م

٨١. ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت

٨٢. ابن القيم، **بدائع الفوائد**، ت/ هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م

٨٣. ابن القيم، **زاد المعاد**، ت/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م

٨٤. ابن كثير، أحمد شاكر، **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت

٨٥. ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٨٦. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: مؤسسة الريّان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ط٢

٨٧. عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلاميّة**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ط١٥

٨٨. القسطلاني، **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، ت/ صالح الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط٢

٨٩. لؤي فتوحي وشذى الدركزلي، **التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكّر**، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م

٩٠. المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت

٩١. محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلّاق، **ضعيف تاريخ الطبري**، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

٩٢. محمد بيومي مهران، **إسرائيل**، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، ١٩٩٩

٩٣. محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخيّة في القرآن الكريم**، بيروت: دار النهضة العربيّة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط٢
٩٤. محمد جمال الدين الفندي، **الإسلام وقوانين الوجود**، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢م
٩٥. محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، بيروت: دار النفائس، ط٦، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
٩٦. محمد صالح المنجد، **١٠٠ فائدة من قصة يوسف**، نسخة إلكترونيّة
٩٧. محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، الكويت: دار القلم، د.ت
٩٨. محمد عبد الله دراز، **بحوث ممهدة في دراسة الأديان**، الكويت: دار القلم، د.ت
٩٩. محمد عبد الله دراز، **دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظريّة في القرآن**، ت/عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
١٠٠. محمد عبد الله دراز، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ت/ محمد عبد العظيم علي، الكويت: دار القلم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م
١٠١. محمد عبد الله الشرقاوي، **في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات**، بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٢
١٠٢. محمد علي البار، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، دمشق: دار القلم، ١٩٩٠م
١٠٣. محمد عمارة، **الإسلام في عيون غربيّة**، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م
١٠٤. محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، دمشق: دار الرشيد، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط٣
١٠٥. المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق/ بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م
١٠٦. المسعودي، **التنبيه والأشراف**، ت/ م. ج. دو غوج، ليدن: بريل، ١٨٤٣م
١٠٧. معاذ عليّان، **عبادة مريم في المسيحيّة والظهورات المريميّة**، القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٩
١٠٨. ابن معين، **تاريخ ابن معين، رواية الدوري**، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ
١٠٩. ابن مفلح، **الآداب الشرعيّة**، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م

١١٠. مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبويّة في ضوء المصادر الأصليّة**، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م

١١١. مسلم، **المسند الصحيح**، الرياض: دار المغني، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م

١١٢. المناوي، **فيض القدير**، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م

١١٣. منقذ السقار، **هل العهد القديم كلام الله**، نسخة الكترونية

١١٤. موشيه مردخاي تسوكر، **التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة**، ت/أحمد محمود هويدي، القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م

١١٥. موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، دار الكندي، ط٢

١١٦. ناصر القفاري، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، عرض ونقد، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ط٢

١١٧. ابن النديم، **الفهرست**، بيروت: دار المعارف، د. ت

١١٨. ابن هشام، **السيرة النبويّة**، ت/ عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٣

١١٩. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ت/ عبد الله محمد الدرويش، بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م

١٢٠. أبو الوليد الباجي، **رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب أبي الوليد الباجي عليها**، ت/ محمد عبد الله الشرقاوي ،القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦م

١٢١. أبو الوليد الباجي، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ت/ عبد المجيد التركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، ط٣

١٢٢. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م

١٢٣. يني ميماريس، **كتالوج المخطوطات العربية المكتشفة حديثًا بدير سانت كاترين المقدس بطور سيناء**، أثينا: الهيئة القومية اليونانية للبحوث، ١٩٨٥م

المقالات العربية

١. إبراهيم عوض، **المخزاة الجعيطيّة في كتابة السيرة النبويّة**، مقال إلكتروني

٢. قسطاس إبراهيم النعيمي، **قصص الأنبياء**، مقال إلكتروني

٣. محمد بن عبد الله العوشن، **تحقيق دعوى ردّة عبيد الله بن جحش**، مجلّة البيان، السنة السابعة عشرة، العدد ١٨٢، شوال ١٤٢٣هـ ، ديسمبر ٢٠٠٢م

٤. محمد خليفة حسن، **دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد «الكتاب المقدس»**، منشور ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقيّة، السعوديّة: ١٤٢٧م-٢٠٠٦هـ

٥. مسلم محمد جودت اليوسف، **شبهة إنكار أميّة الرسول الكريم والرد عليها**، مقال إلكتروني

٦. ناصر الدين الألباني، **حادثة الراهب المسمى (بحيرا) حقيقة لا خرافة**، مجلة التمدن الإسلامي، ٢٥

القواميس والموسوعات العربية

١. بنيامين حداد، **الميزان، معجم الأصول اللغويّة المقارنة سرياني-عربي**، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

٢. حازم علي كمال الدين، **معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربيّة**، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م

٣. الرازي، **مختار الصحاح**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

٤. زغلول النجار، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، الأرض، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م

٥. سليمان بن عبد الرحمن الذييب، **المعجم النبطي، دراسة تحليليّة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطيّة**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

٦. عمر صابر عبد الجليل، **المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات الساميّة، دراسة إيتمولوجيّة في ضوء علم اللغات الساميّة المقارن**، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقيّة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م

٧. **قاموس الكتاب المقدس**، نسخة إلكترونية

٨. ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، د.ت

٩. يعقوب أوجين منا، **قاموس كلداني عربي**، بيروت: مركز بابل، ١٩٧٥م

١٠. عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية**، نسخة إلكترونية

المراجع الإنجليزية

١. Abraham Geiger, ***Judaism And Islam***, New York: Ktav Publishing House Inc, ١٩٧٠

٢. Adam Clark, ***The New Testament of our Lord and Saviour Jesus Christ***, Philadelphia: Thomas Cowperthwait, ١٨٤٤

٣. Adam Clarke, ***The Holy Bible, Containing the Old and the New Testament***, New York: Phillips & Hunt, ١٨٢٣

٤. Adolf Harnack, ***Outlines of the History of Dogma***, tr. Edwin Knox Mitchell, New York: Funk & Wagnalls, ١٨٩٣

٥. Alan F. Segal, ***Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West***, New York : Doubleday, ٢٠٠٤

٦. Alexander Roberts and James Donaldson, eds. ***Apocryphal Gospels, Acts and Revelations***, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٠

٧. Albert Hourani, ***Islam in European Thought***, New York: Cambridge University Press, ١٩٩١

٨. Alfred Hiatt, ***The Making of Medieval Forgeries: false documents in fifteenth-century England***, University of Toronto Press, ٢٠٠٤

٩. Alfred Plummer, ***The International Critical Commentary, A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to St. Luke***, New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٩٦

١٠. Andrews Norton, ***A Statement of Reasons for not Believing the Doctines of Trinitarians, Concerning the Nature of God and the Person of Christ***, Boston: American Unitarian Association, ١٨٧٠

١١. Ann Christys, ***Christians in Al-Andalus, ٧١١-١٠٠٠***, Richmond: Curzon Press, ٢٠٠٢

١٢. ***Ante Nicene Fathers***, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, ١٨٨٥ , ١٩٠٣, ١٩٢٦

١٣. Anthony C. Thiselton, ***The First Epistle to the Corinthians: a commentary on the Greek Text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٠
١٤. Archie T. Wright, ***The Origin of Evil: the reception of Genesis ٦,١-٤ in early Jewish Literature,*** Mohr Siebeck, ٢٠٠٥
١٥. Arthur A. Just, ed. ***Ancient Christian Commentary on Scripture, Luke***, IL: Intervasity Press, ٢٠٠٣
١٦. Arthur Charles Hervey, ***The Genealogies of our Lord and Saviour Jesus Christ***, Cambridge: Macmillan, ١٨٥٣
١٧. Arthur Cushman McGiffert, ***A History of Christian Thought,*** New York: Scribner's, ١٩٣٢
١٨. Arthur Jeffery, ***Foreign Vocabulary of the Qur'an***, Oriental Institute Baroda, ١٩٣٨
١٩. Arthur Vööbus, ***Early Versions of the New Testament*** **:** ***Manuscript Studies,*** Stockholm, ١٩٥٤
٢٠. Augustine, ***The Confessions***, tr. J. G. Pilkington, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٦
٢١. Avery Cardinal Dulles, ***A History of Apologetics***, San Francisco: Ignatius Press, ٢٠٠٥
٢٢. B. Harris Cowper, ***The Apocryphal Gospels and Other Documents Relating to the History of Christ***, Edinburgh: Williams and Norgate, ١٨٧٠, ٣rd edition
٢٣. Bart Ehrman, ***Lost Christianities: the Battle for Scripture and the Faiths We Never Knew***, Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٣
٢٤. Bart Ehrman, ***Lost Scriptures, Books that did not Make it into the New Testament***, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٣
٢٥. Bart Ehrman, ***Peter, Paul, and Mary Magdalene: the Followers of Jesus in History and Legend***, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٦
٢٦. Bernard Grossfeld, ***The Two Targums of Esther*****,** ***translated, with Apparatus and Notes***, Minnesota: The Liturgical Press, ١٩٩١
٢٧. Bernard Lewis, ***The Jews of Islam***, New Jersey: Princeton University Press, ١٩٨٤
٢٨. Brian M. Fagan, ***From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing***, New York : Oxford University Press, ٢٠٠٦
٢٩. Brooke Foss Westcott, ***An Introduction to the Study of the Gospels***, Cambridge: MacMillan, ١٨٨١, ٦th edition

٣٠. Bruce B. Barton, ١ ***and*** ٢ ***Corinthinas*** **(*The Application Bible Commentary*)**, Tyndale House Publishers, Inc., ١٩٩٩
٣١. Bruce Barton, ***Acts***, Ill: Tyndale House Publishers, Inc., ١٩٩٩
٣٢. Bruce K. Waltke, ***The Book of Proverbs: chapters*** ١-١٥, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٤
٣٣. Bruce Metzger, ***A Textual Commentary on the Greek New Testament***, Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, ٢٠٠٠, ٢nd edtion
٣٤. Bruce Metzger, ***The Bible in Translation***, Grand Rapids: Baker Academic, ٢٠٠١
٣٥. Bruce Metzger, ***the Early Versions of the New Testament: their origin, transmission, and Limitations***, Oxford: Oxford University Press, ١٩٧٧
٣٦. Burton Mack, ***Who Wrote the New Testament?,*** New York: HarperCollins, ١٩٩٥
٣٧. Carl Friedrich Keil, ***Manual of historico-critical introduction to the canonical Scriptures of the Old Testament***, tr. George C. M. Douglas, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٧٠
٣٨. Carol Bakhos, ***Ishmael on the Border: rabbinic portrayals of the first arab***, SUNY Press, ٢٠٠٦
٣٩. Christine J. Haven, ***Conveyance of Eternal love***, Lulu.com, ٢٠٠٧
٤٠. Christopher A. Davis, ***Revelation***, Missouri: College Press, ٢٠٠٠
٤١. Claus Westermann, ***Genesis*** ١-١١***: a continental commentary***, tr. John J. Scullion, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٤
٤٢. C. G. Weeramantry, ***Islamic Jurisprudence: An International Perspective***, Basingstoke u.a. : Macmillan, ١٩٨٨
٤٣. Daniel C. Harlow, ***The Greek Apocalypse of Baruch (***٣ ***Baruch) in Hellenistic Judaism and Early Christianity***, Leiden: Brill, ١٩٩٦
٤٤. D. C. Parker, ***An Introduction to the New Testament Manuscripts and their Texts***, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٨
٤٥. D. M. Murdock, ***Christ in Egypt: the Horus-Jesus Connection***, WA: Stellar House Pub. ,٢٠٠٩
٤٦. Dave Bland, ***Proverbs, Ecclesiastes and Songs of Songs***, Missouri: College Press, ٢٠٠٢
٤٧. David A. Lysik, ed. ***The Bible Documents: a parish resource***, Chicago: LiturgyTrainingPublications, ٢٠٠١
٤٨. David M. Goldenberg, ***The Curse of Ham: race and slavery in early Judaism, Christianity, and Islam***, Princeton University Press, ٢٠٠٣

٤٩. David R. Cartlidge and David L. Dungan, eds. ***Documents for the Study of the Gospels***, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٤, ٢nd edition

٥٠. Donald A. Hagner, ***Word Biblical Commentary, Volume ٣٣a: Matthew ١-١٣***, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨, CD edition

٥١. Diane Watt, ed. ***Medieval Women in their Communities***, Toronto: University of Toronto Press, ١٩٩٧

٥٢. Douglas K. Stuart, ***Old Testament Exegesis: a handbook for students and pastors***, Kentucky: Westminster John Knox Press, ٢٠٠١, ٣rd edition

٥٣. Durham, John I., ***Word Biblical Commentary, Volume ٣: Exodus***, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨.

٥٤. E. Theodore Mullen, ***The Divine Council in Canaanite and Early Hebrew Literature***, Scholars Press, ١٩٨٠

٥٥. E. W. Brooks, '***John of Ephesus. Lives of the Eastern Saints*** (I),' in *Patrologia Orientalis*, Paris: Firmin-Didot, ١٩٢٣

٥٦. Eberhard Nestle, ***Introduction to the Textual Criticism of the Greek New Testament***, New York, Williams and Norgate, ١٩٠١

٥٧. Edgar Hennecke, ***New Testament Apocrypha***, ed. Wilhelm Schneemelcher, tr. R. McL. Wilson, Philadelphia: The Westminster Press, ١٩٦٣

٥٨. Edward Said, ***Orientalism***, London: Pantheon Books, ١٩٧٨

٥٩. St Ephrem the Syrian, ***The Fathers of the Church, St. Ephrem the Syrian, selected prose works*****,** tr. Edward G. Mathews and Joseph P. Amar, D.C : Catholic Univ. of America Press, ١٩٩٤

٦٠. Elaine Pagels, ***The Gnostic Paul: Gnostic exegesis of the Pauline letters***, Continuum International Publishing Group, ١٩٩٢

٦١. Eli Yassif, ***The Hebrew Folktale: history, genre, meaning***, tr. Jacqueline S. Teitelbaum, Indianapolis: Indiana University Press, ١٩٩٩

٦٢. Emmet John Sweeney, ***The Genesis of Israel and Egypt***, Algora Publishing, ٢٠٠٨

٦٣. Ernst Würthwein, ***The Text Of The Old Testament***, Tr. Erroll F. Rhodes, Michigan: William B Eerdmans Publishing Company, ١٩٥٥

٦٤. Eugen J. Pentiuc, ***Jesus the Messiah in the Hebrew Bible***, New Jersey: Paulist Press, ٢٠٠٦

٦٥. Eusebius, ***The History of the Church***, tr. Arthur Cushman McGiffert, K.S.: Digireads, ٢٠٠٥

٦٦. Florentino Garcia Martinez and Eibert J. C. Tigchelaar, ***The Dead Sea Scrolls Study Edition***, Michigan: Wm. B. Eerdmans, ٢٠٠٠
٦٧. Frederic Farrar, ***The Life of Christ***, London: Cassell and Company, ١٨٩٤
٦٨. Frédéric Louis Godet, ***A Commentary on the Gospel of St. Luke***, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٨٩
٦٩. Frederic Willaim Farrar, ***The Life of Christ as represented in Art***, New York: Macmillan, ١٨٩٤
٧٠. Frederick G. Kenyon, ***Our Bible and The Ancient Manuscripts***, London: Eyre and Spottiswoode, ١٨٩٨, ٣rd edition
٧١. G. H. Parke-Taylor, ***Yahweh: the Divine Name in the Bible,*** Ontario: Wilfrid Laurier University Press, 1975
٧٢. G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren and Heinz-Josef Fabry, eds. ***Theological Dictionary of the Old Testament***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٧٤
٧٣. G. Johannes Botterweck, Helmer Ringgren, and Heinz-Josef Fabry, eds. ***Theological Dictionary of the Old Testament***, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٥
٧٤. Gabriel Said Reynolds, ed., ***The Qur'an in its Historical Context***, New York: Routledge, ٢٠٠٧
٧٥. Gabriel Sawma, ***The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated and Misread : the Aramaic Language of the Qur'an***, N.J: Gabriel Sawma, ٢٠٠٦
٧٦. Geoffrey Parrinder, ***Jesus in the Qur'an***, Oxford: Oneworld Publications, ١٩٩٦
٧٧. George James Spurrell, ***Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis***, Oxford: Clarendon Press, ١٨٨٧
٧٨. George Trumbull Ladd, ***The Doctrine of Sacred Scripture***, New York: Charles Scribners's Sons, ١٨٨٣
٧٩. George W. Stimpson, ***A Book about the Bible***, New York: Harper & Brothers, ١٩٤٥, ٤th edition
٨٠. Gerard Stephen Sloyan, ***The Crucifixion of Jesus: History, Myth, Faith***, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٥
٨١. Gerhard Von Rad, ***Genesis: A Commentary***, Philadelphia: Westminster John Knox Press, ١٩٧٢, ٣rd edition
٨٢. Gordon J. Wenham, ***Word Biblical Commentary, Volume ١: Genesis ١-١٥***, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨, CD edition

٨٣. Graig Evans, ***Ancient Texts for New Testament Studies, A guide to the Background Literature***, Massachusetts: Hendrickson Publishers, ٢٠٠٥
٨٤. Graydon F. Snyder, ***Ante Pacem: Archaeological Evidence of Church Life before Constantine***, Macon: Mercer University Press, ٢٠٠٣
٨٥. Hans-Josef Klauck, ***Apocryphal Gospels: an introduction***, tr. Brian McNeil, New York: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٣
٨٦. Hamza Mustafa Njozi, ***The Sources of the Qur'an, a critical review of the authorship theories***, Riyadh: International Islamic Publishing House, ٢٠٠٥
٨٧. H. Freedman Ba and Maurice Simon, eds. ***The Midrash Rabbah, translated into English with notes***, London: The Soncino Press
٨٨. H. L. Strack and G. Stemberger, ***Introduction To The Talmud And Midrash***, tr. Markus Bockmuehl, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٦
٨٩. Hava Lazarus-Yefeh, ***Interwined Worlds, medieval Islam and Bible criticism***, New Jersey: Princeton University Press, ١٩٩٢
٩٠. Heidi J. Hornik and Mikeal Carl Parsons, ***Illuminating Luke: the public ministry of Christ in italian renaissance and baroque painting***, MI: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٥
٩١. Hikmat Kachouh, ***The Arabic Versions of the Gospels, The Manuscripts and their Families***, manuscript
٩٢. Holtzmann Oskar, ***The Life of Jesus***, tr. J. T. Bealby and Maurice A. Canney, London: Adam and Charles Black, ١٩٠٤
٩٣. Herbert G. May and Bruce M. Metzger, eds. ***The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha***, New York: Oxford University, ١٩٧٣
٩٤. Howard Marshall and David Peterson, eds. ***Witness to the Gospel: the Theology of Acts***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٨
٩٥. Howard Marshall, ***The Gospel of Luke: a commentary on the Greek text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٧٨
٩٦. Ibn Warraq, ed. ***What the Koran Really Says: Language, Text, and Commentary***, NY: Prometheus Books, ٢٠٠٢
٩٧. Ibn Warraq, ***Why I am not a Muslim***, New York: Prometheus Books, 1995
٩٨. Ira Maurice Price, ***The Ancestry of Our English Bible***, Philadelphia: The Sunday School Times Company, ١٩٢٠, ٧th Edition

٩٩. Irfan Shahid, ***Byzantium and the Arabs in the Sixth Century***, Washington: Dumbarton Oaks, ٢٠٠٢
١٠٠. Isaac Taylor, ***Ancient Christianity and the Doctrines of the Oxford Tracts,*** Philadelphia: Herman Hooker, ١٨٤٠
١٠١. Israel P. Loken, ***Esther, Loken Expositional Commentary,*** Xulon Press, ٢٠٠٧
١٠٢. J. K. Elliott, ***The Apocrypahl Jesus, Legends of the Early Church***, Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٨
١٠٣. J. K. Elliott, ***The Apocryphal New Testament***, Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٥
١٠٤. Jacob Lassner, ***Demonizing the Queen of Sheba: boundaries of gender and culture in Postbiblical Judaism and medieval Islam***, Chicago : University of Chicago Press, ١٩٩٣
١٠٥. Jacob Neusner, ***Genesis Rabbah***, Georgia: Scholars Press, ١٩٨٥
١٠٦. Jacob Neusner, ed. ***The Talmud of the Land of Israel***, Chicago: The University of Chicago, ١٩٨٩
١٠٧. Jacob Neusner, Alan J. Avery-Peck, and William Scott Green, eds. ***The Encyclopaedia of Judaism***, Leiden: Brill, ٢٠٠٥, ٢nd edition
١٠٨. Jacob Neusner, ***The Reader's Guide to the Talmud***, Leiden: Brill, ٢٠٠١
١٠٩. Jacob Neusner, ***A Theological Commentary to the Midrash: Genesis Rabbah***, Maryland: University Press of America, ٢٠٠١
١١٠. James C. VanderKam, ***The Book of Jubilees***, Sheffield: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠١
١١١. James C. VanderKam and William Adler, eds. ***The Jewish Apocalyptic Heritage in Early Christianity***, Minneapolis: Fortress Press, ١٩٩٦
١١٢. James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. ***Eerdmans Commentary on the Bible***, Michigan: W.B. Eerdmans, ٢٠٠٣
١١٣. James H. charlesworth, ***The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament***, P.A: Trinity Press International, ١٩٩٨
١١٤. James R. Edwards, ***The Gospel According to Mark***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٢
١١٥. Jan Lambrecht, ***Second Corinthians***, (*Sacra Pagina*, Volume ٨), Minnesota: Liturgical Press, ١٩٩٩
١١٦. Jaroslav Černý, ***A Community of Workmen at thebes in the Ramesside period,*** Cairo: IAFO, ٢٠٠١
١١٧. Norman Geisler and Chad Meister, eds. ***Reasons for Faith: Making a case for the Christian faith***, Illinois: Good News Publishers, ٢٠٠٧

١١٨.J. M. Rodwell, ***The Koran***, London: J.M. Dent & Sons, ltd., ١٩١٣
١١٩.Joel B. Green, Scot McKnight and I. Howard Marshall, ***Dictionary of Jesus and the Gospels***, IL: InterVasity, ١٩٩٢
١٢٠. John C. Reeves, ***Trajectories in Near Eastern apocalyptic: a postrabbinic Jewish apocalypse reader*** , Atlanta: Society of Biblical Literature, ٢٠٠٥
١٢١. ***Nicene and Post-Nicene Fathers***, New York: The Christian Literature Company, 1888, 1890
١٢٢. John Denham Parsons, ***The Non-Christian Cross***, Echo Library, ٢٠٠٦
١٢٣. John Dominic Crossan, ***The Historical Jesus: The Life of a Mediterranean Jewish Peasant***, San Francisco: Harper Collins, ١٩٩١
١٢٤.John Dominic Crossan, ***Who Killed Jesus***, New York: Harper Collins, ١٩٩٦
١٢٥. John E. Remsberg, ***The Christ Myth- A critical review and analysis of the evidence of his existence***, NuVision Publications, LLC, ٢٠٠٧
١٢٦.John Edgar McFadyen, ***The Epistles to the Corinthians and Galatians***, New York: A. S. Barnes, ١٩٠٩
١٢٧. John H. Walton, Victor Harold Matthews and Mark William Chavalas, ***The IVP Bible Background Commentary: old testament***, IL: InterVasity press, ٢٠٠٠
١٢٨. John Hick, ***The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age***, London: Westminster John Knox Press, ٢٠٠٦
١٢٩.John Kaye, ***The Ecclesiastical History of the Second and Third Centuries***, Cambridge: University Press, ١٨٢٦
١٣٠.John Muddiman, ***A Commentary on the Epistle to the Ephesians***, London: Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٦
١٣١. John Paul II, ***Crossing the Threshold of Hope***, ed. Vittorio Messori, New York: Random House, ١٩٩٥
١٣٢. Jon D. Levenson, ***Esther, A Commentary***, London: Westminster John Knox, ٢٠٠٤
١٣٣. Jon Manchip White, ***Everyday Life in Ancient Egypt***, Courier Dover Publications, ٢٠٠٣
١٣٤. Joseph Addison Alexander, ***Commentary on Isaiah***, MI: Kregel Publications, ١٩٩٢
١٣٥.Joseph Blenkinsopp, ***Ezra-Nehemiah: A Commentary***, Pennsylvania: The Westminster Press, ١٩٨٨

١٣٦. Joseph Fitzmyer, ***A Christological Catechism: New Testament Answers, new revised and expanded edition***, New York: Paulist Press, ١٩٩١
١٣٧. Joseph Fitzmyer, ***First Corinthians, A New Translation with Introduction and Commentary***, London : Yale University Press, ٢٠٠٨
١٣٨. Joseph Ratzinger (Pope Benedict xvi), ***The God of Jesus Christ: meditations on the triune God***, tr. Brian McNeil, San Francisco: Ignatius Press, ٢٠٠٨
١٣٩. Julian Morgenstern, ***A Jewish Interpretation of the Book of Genesis***, Ohio: Union of American Hebrew Congregations, ١٩٢٠
١٤٠. Julius A. Bewer, ***A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, A Critical and Exegetical Commentary on Jonah***, New York: Charles Scribner, ١٩١٢
١٤١. Karen Armstrong, ***Muhammad: a biography of the prophet***, New York: HarperCollins, ١٩٩٣ , p.٨٨
١٤٢. Karen L. King, ***What is Gnosticism?***, Cambridge: Harvard University Press, ٢٠٠٣
١٤٣. Keith Moore, ***The Developing Human: Clinically oriented embryology***, Philadelphia: Saunders, ١٩٨٨
١٤٤. Kenneth Kitchen, ***Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II***, Warminster: Aris & Phillips, ١٩٨٢
١٤٥. Kristen E. Kvam, Linda S. Schearing and Valarie H. Ziegler, eds. ***Eve and Adam: Jewish, Christian, and Muslim readings on Genesis and gender***, IN: Indiana University Press, ١٩٩٩
١٤٦. Kurt Aland, Matthew Black, Bruce Metzger and Allen Wikgren, eds. ***The New Testament in Greek and English***, New York: American Bible Societ, ١٩٦٦
١٤٧. Land, ***Anecdota Syriaca***, Lugduni Batavorum , ١٨٦٢
١٤٨. Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. ***The Canon Debate***, Massachusetts: Hendrickson Publishers, ٢٠٠٢
١٤٩. Louis Ellies du Pin and William Wotton, ***A New History of Ecclesiastical Writers***, London: Abel Swalle and Tim. Childe, ١٦٩٣
١٥٠. Louis Jacobs, ***A Jewish Theology***, New Jersey: Behrman House, ١٩٧٣
١٥١. Lynette R. Muir, ***The Biblical Drama of Medieval Europe***, New York: Cambridge University Press, ٢٠٠٣

١٥٢.M. Maher, ***Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction And Notes***, Minnesota: The Liturgical Press, ١٩٩٢
١٥٣.Magne Saebo, ***Hebrew Bible, Old Testament: the history of its interpretation, the middle ages***, Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, ٢٠٠٠
١٥٤. Maria Rosa Menocal, Raymond P. Scheindlin and Michael Anthony Sells, eds. ***The Literature of Al-Andalus***, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٠
١٥٥.Marc Steven Bernstein, ***The Story of our Master Joseph: Intertextuality in Judaism and Islam***, manuscript
١٥٦. Martin Ralph P., ***Word Biblical Commentary, Volume ٤٨: James***, Dallas, Texas: Word Books, ١٩٩٨, CD edition
١٥٧.Marvin R. Vincent, ***Word Studies in the New Testament***, Virginia: MacDonald Publishing
١٥٨. Matthew Black and William A. Smalley, eds. ***On language, Culture, and Religion: In Honor of Eugene A. Nida***, Paris: Mpiton, ١٩٧٤
١٥٩. Maurice Bucaille, ***Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt***, Tokyo: NTT Mediascope, ١٩٩٤
١٦٠. Maurice Bucaille, ***Mummies of the Pharaohs, modern medical invesigations***, New York: St. Martin's Press, ١٩٩٠
١٦١. Meira Polliack, ***The Karaite Tradition of Arabic Bible Translation***, Leiden: Brill, ١٩٩٧
١٦٢. Michael David Coogan, ***The Old Testament: a very short introduction***, New York: Oxford University Press US, ٢٠٠٨
١٦٣. Mohamed Ghounem, ***٢٠٠+ Ways the Quran Corrects the Bible: How Islam Unites Judaism and Christianity***, CT : Multi-National Muslim Committee, ٢٠٠٤
١٦٤. Montague Rhodes james, ***The Apocryphal New Testament***, Oxford: Clarendon Press, ١٩٨٥
١٦٥. Montague Rhodes James, ***The Lost Apocrypha of the Old Testament***, California: Book Tree, ٢٠٠٦
١٦٦. Natan Slifkin, ***Sacred Monsters : Mysterious and Mythical Creatures of Scripture, Talmud and Midrash*** , Zoo Torah, ٢٠٠٧
١٦٧. ***Nicene and Post-Nicene Fathers***, New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٨٧
١٦٨. Norman Daniel, ***Islam and the West,*** Oxford: Oneworld, ١٩٩٣
١٦٩. Norman Habel, ***The Book of Job: a commentary***, Philadelphia: Westminster John Knox Press, ١٩٨٥

١٧٠. Oliver Leaman, ***The Qur'an***, New York, Routledge, ٢٠٠٦
١٧١. Oskar Skarsaune, ***In the Shadow of the Temple: Jewish Influences on Early Christianity***, IL:InterVarsity Press, ٢٠٠٢
١٧٢. Otto Kaiser, ***Isaiah ١٣-٣٩: a commentary***, Presbyterian Publishing Corp, ١٩٧٤
١٧٣. Otto Rank, ***The Myth of the birth of the hero: a psychological interpretation of mythology,*** New York: The Journal of nervous and mental disease publishing company, ١٩١٤
١٧٤. Paul Foster, ed. ***The Non-Canonical Gospels,*** New York: T&T, ٢٠٠٨
١٧٥. Paul Tice, ***Jumpin' Jehovah: Exposing the Atrocities of the Old Testament God***, CA: Book Tree, ٢٠٠٧
١٧٦. Philip Schaff, ed. ***A Popular Commentary on the New Testament***, New York: Charles Scribner's Sons, ١٨٨٠
١٧٧. R. T. France, ***The Gospel of Matthew***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٧
١٧٨. Raymond B. Dillard and Tremper Longman, ***An Introduction to the Old Testament***, Michigan: Zondervan, ١٩٩٤
١٧٩. Raymond Brown, ***The Birth of the Messiah, a commentary on the Infancy narratives in the gospels of Matthew and Luke***, New York: Doubleday, ١٩٩٣
١٨٠. Raymond Brown, ***The Death of the Messiah***, New York: Doubleday, ١٩٩٤
١٨١. Reinhart Dozy, ***Spanish Islam: a history of the muslims in Spain***, tr. Francis Griffin Stokes, London: Chatto & Windus, ١٩١٣
١٨٢. Reuven Firestone, ***An Introduction to Islam for Jews***, Philadelphia: Jewish Publication Society, ٢٠٠٨
١٨٣. Richard Barrett, ***A Synopsis of Criticism Upon those Passages of the Old Testament in which Modern Commentators have Differed from the Authorized Version***, London: Longman, ١٨٤٧
١٨٤. Richard Elliott Friedman, ***Who Wrote the Bible?***, New York: Summit Books, ١٩٨٧
١٨٥. Richard Hooper, ***Jesus, Buddha, Krishna and Lao Tzu: The Parallel Sayings: The Common Teachings of Four World Religions*** , AZ: Sanctuary Publications, Inc, ٢٠٠٨
١٨٦. Richard Hooper, ***The Crucifixion of Mary Magdalene: The Historical Tradition of the First Apostle and the Ancient Church's Compaign to Suppress it***, AZ: Sanctuary Publications, ٢٠٠٥

١٨٧. Richard James Horatio Gottheil, ***A Christian Bahira Legend***, New York: ١٩٠٣

١٨٨. Richard Wilson, ***New Testament Manuscripts by Type of Manuscripts***, CD version (BibleWorks)

١٨٩. Robert Funk, Roy Hoover and The Jesus Seminar, ***The Five Gospels, what did Jesus really say?*,** New York: HarperSanFrancisco, ١٩٩٧

١٩٠. Robert Henry Charles, ***A Critical and Exegetical Commentary on the Revelation of St. John***, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٢٠

١٩١. Robert Horton Gundry, ***Matthew: A Commentary on his Handbook for a Mixed Church under Persecution***, ٢nd edition, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٤

١٩٢. Robert Miller, ***Born Divine, the Births of Jesus and other Sons of God***, California: Plebridge Press, ٢٠٠٣

١٩٣. Roger Norman Whybray, ***The Book of Proverbs: a survey of modern study***, Leiden: Brill, ١٩٩٥

١٩٤. Roland H. Worth, ***Alterrnative Lives of Jesus: noncanonical accounts through the early middle ages,*** North Carolina: McFarland, ٢٠٠٣

١٩٥. Ron Cameron, ed. ***The Other Gospels: non Canonical Gospel Texts***, London: Westminster John Knox Press, ١٩٨٢

١٩٦. Ron Rhodes, ***Commonly Misunderstood Bible Verses: Clear Examinations for the Difficult Passages***, Oregon: Harvest House Publishers, ٢٠٠٨

١٩٧. Rosemary Radford Ruether, ***Goddesses and the Divine Feminine: a western religious history***, California: University of California Press, ٢٠٠٦

١٩٨. Samuel Marinus Zwemer, ***The Muslim Doctrine of God: an essay on the character and attributes of Allah according to the Koran and Orthodox tradition***, New York: Young People's Missionary Movement, ١٩٠٥

١٩٩. S. Fisch, ***Midrash Haggadol on the Pentateuch***, Manchester University Press ND, ١٩٤٠

٢٠٠. S. Perowne, ***The Life and Times of Herod the Great***, Nashville: Abingdon, ١٩٥٦

٢٠١. Saint John of Damascus, '***The Fount of Knowledge***,' in ***The Fathers of the Church, St. John of Damascus Writings***, tr. Frederic H. Chase, CUA Press, ٢٠٠٠

٢٠٢. ***Saint Joseph Edition of the New American Bible***, California: Benziger Publishing, ١٩٧٠
٢٠٣. Samuel Berman, ***Midrash Tanhuma-Yelammedenu: An English Translation Of Genesis And Exodus From The Printed Version Of Tanhuma-Yelammedenu With An Introduction, Notes, And Indexes***,New Jersey: KTAV, ١٩٩٦
٢٠٤. Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, ***Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism***, Maryland: Scarecrow Press, ٢٠٠٢
٢٠٥. ***Select Works of S. Ephrem the Syrian***, tr. J. B. Morris, Oxford: John Henry Parker, ١٨٤٧
٢٠٦. Shalom Goldman, ***The Joseph Story in Jewish and Islamic Lore*** , manuscript
٢٠٧. Shmuel Safrai and others, ed. ***The Literature of the Sages:Midrash and Targum, Liturgy, Poetry, Mysticism, Contracts, Inscriptions, Ancient Science and the Languages of Rabbinic Literature***, Minnesota: Fortress Press, ٢٠٠٦
٢٠٨. Sidney Greidanus, ***Preaching Christ from the Old Testament: a contemporary hermeneutical method***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٩
٢٠٩. Sidney Griffith, ***The Church in the Shadow of the Mosque, Christians and Muslims in the World of Islam***, N. J.: Princeton University Press, ٢٠٠٨
٢١٠. St. Jerome, ***Commmentary on Matthew***, tr. Thomas P. Scheck, CUA Press, ٢٠٠٨
٢١١. St. Tisdall, ***The Original Sources of the Qur'an***, London: Society For The Promotion Of Christian Knowledge, ١٩١١
٢١٢. Stephen M. Wylen, ***The Seventy Faces of Torah: the Jewish way of reading the sacred Scriptures***, New Jersey: Paulist Press, ٢٠٠٥
٢١٣. Stevan Davies, ***The Infancy Gospels of Jesus: Apocryphal Tales From the Childhoods of Mary and Jesus***, Vermont: SkyLight Paths Publishing, ٢٠٠٩
٢١٤. Stephen J. Shoemaker, ***Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption***, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٢
٢١٥. Stevan L. Davies, ***The Gospel of Thomas***, Massachusetts: Shambhala Publications, ٢٠٠٢

٢١٦. Steven Daniel Sacks, ***Midrash and Multiplicity: Pirke De-Rabbi Eliezer and the Renewal of Rabbinic Interpretive Culture***, Berlin: Walter de Gruyter, ٢٠٠٩
٢١٧. Stuart B. Schwartz, ***Implicit Understandings***, New York: Cambridge University Press, ١٩٩٤
٢١٨. Susannah Heschel, ***Abraham Geiger and the Jewish Jesus***, Chicago: University of Chicago Press, ١٩٨٨
٢١٩. Tal Ilan, ***Mine and yours are hers: retrieving Women's History from Rabbinic Literature***, Leiden: Brill, ١٩٩٧
٢٢٠. Thomas Hartwell Horne, ***An Introduction to the Critical Study and Knowledge of the Holy Scriptures***, New York: R. Carter & Brothers, ١٨٥٢
٢٢١. Thomas Inman, ***Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism***, New York: Peter Eckler Publishing Company, ١٩١٥
٢٢٢. Thomas Maurice, ***Indian Antiquities***, London: W. Richardson, ١٨٠٠
٢٢٣. Thomas Rosén, ***The Slavonic translation of the apocryphal Infancy Gospel of Thomas***, Uppsala: Almqvist & Wiksell Int., ١٩٩٧
٢٢٤. Thomas William Doane, ***Bible Myths and their Parallels in Other Religions***, New York: J. W. Bouton, ١٨٨٤, ٣rd edition
٢٢٥. Timothy Freke and Peter Gandy, ***Jesus and the Lost Goddess: The secret teachings of the original christians***, New York: Random House, Inc., ٢٠٠٢
٢٢٦. Tony Chartrand-Burke, ***The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission***, Ph.D. thesis, University of Toronto, ٢٠٠١ (manuscript)
٢٢٧. Tryggve N. D. Mettinger, ***Resurrection: "Dying and Rising Gods" in the Ancient Near East***, Stockholm: Almqvist & Wiksell International, ٢٠٠١
٢٢٨. W. Gunther Plaut, David E. Stein, ***The Torah: A Modern Commentary***, New York: Union for Reform Judaism, ٢٠٠٥
٢٢٩. W.F. Albright, ***Archaeology and the religion of Israel***, Baltimore: Johns Hopkins, 1942, 1953
٢٣٠. W.F. Albright, **F*rom the Stone Age to Christianity***, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, ١٩٤٠
٢٣١. Wahiduddine Khan, ***God Arises***, New Delhi: Goodword Books, ٢٠٠١
٢٣٢. Will Durant and Ariel Durant, ***The Story of Civilization: Caesar and Christ, a History of Roman and of Christianity from their beginnings to A.D. ٣٢٥***, Simon and Schuster, ١٩٣٥

٢٣٣. Lee Martin McDonald and James A. Sanders, eds. ***The Canon Debate***, Massachusetts, Hendrickson Publishers, ٢٠٠٢
٢٣٤. William David Davies and Dale C. Allison, ***Matthew*** ١-٧, Continuum International Publishing Group, ٢٠٠٤
٢٣٥. John Nolland, ***The Gospel of Matthew: a commentary on the Greek Text***, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, ٢٠٠٥
٢٣٦. William F. Albright and C. S. Mann, ***Matthew, new translation with introduction and commentary***, New York: Doubleday, ١٩٧١
٢٣٧. William Hardwicke, ***The Evolution of Man: his religious systems and social customs***, London: Watts, ١٨٩٩
٢٣٨. William Henry Pinnock, ***An Analysis of New Testament History***, Cambridge: J. Hall & Son, ١٨٥٤, ٤th edition
٢٣٩. William Muir, ***The life of Mahomet and history of Islam, to the era of the Hegira,*** London: Smith, Elder, ١٨٦١
٢٤٠. William Muir, ***The Mohammedan Controversy, Biographies of Mohammed***, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٩٧
٢٤١. Yoel Natan, ***Moon-o- Theism: Religion of a War and Moon God Prophet***, Yoel Natan, ٢٠٠٦
٢٤٢. Z. R. El-Naggar, ***The Geological Concept of Mountains in the Qur'an***, Cairo: Al-Falah Foundation, ١٤٢٤/٢٠٠٣

القواميس والموسوعات الإنجليزية

٢٤٣. Archie Hobson, ***The Oxford Dictionary of Difficult Words***, New York: Oxford University Press, ٢٠٠٤
٢٤٤. Barbara G. Walker, ***The Woman's Encyclopedia of Myths and Secrets***, New York: HarperCollins, ١٩٨٣
٢٤٥. Carolo brockelmann, ***Lexicon Syriacum***, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٨٩٥
٢٤٦. Cecil Roth and Geoffrey Wigoder, eds. ***The New Standard Jewish Encyclopedia***, New York: Doubleday, ١٩٧٠
٢٤٧. Charles Morris, ed. ***Winston's Cumultative Encyclopedia***, Chicago: J. C. Winston, ١٩١٥

٢٤٨. Charlotte Elisheva Fonrobert and Martin S. Jaffee, eds. ***The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature***, Cambridge: Cambridge University Press, ٢٠٠٧

٢٤٩. Craig A. Evans and Stanley E. Porters, eds. ***Dictionary of New Testament Background***, Leicester: Intervasity Press, ٢٠٠٠

٢٥٠. David E. Aune, ***The Westminster Dictionary of the New Testament and Early Christian Literature and Rhetoric***, London: Westminster John Knox Press, ٢٠٠٣

٢٥١. Dennis McKinsey, ***The Encyclopedia of Biblical Errancy***, N.Y: Prometheus Books, ١٩٩٥

٢٥٢. ***Encyclopedia Judaica***, Detroit: Thomson Gale, ٢٠٠٦, ٢nd edition

٢٥٣. Cyril Glasee, ***The Concise Encyclopedia of Islam***, San Francisco: Harper and Row, ١٩٨٩

٢٥٤. David B. Abraham Al-Fasi, ***Kitab Jami' Al-Alfaz***, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, ١٩٣٦

٢٥٥. Geoffrey W. Bromiley, ed. ***The Encyclopedia of Christianity***, Tr. Erwin Fahlbusch, Michigan, Wm. B. Eerdmans Publishing, ١٩٩٩

٢٥٦. George Arthur Buttrick and other, eds. ***The Interpreter's Dictionary of the Bible***, New York: Abingdon Press, ١٩٦٢

٢٥٧. H. A. R. Gibb and J. H. Kramers, ***Shorter Encyclopaedia of Islam***, New York: Cornell University Press, ١٩٠٥

٢٥٨. James Hastings, eds. ***A Dictionary of the Bible***, New York: C. Scribner's sons,١٩١١

٢٥٩. James Hastings, ed. ***A Dictionary of the Bible***, Edinburgh: T. & T. Clark, ١٩٠١

٢٦٠. James Hastings, ed. ***Encyclopaedia of Religion and Ethics***, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩١٩

٢٦١. Jane Dammen McAuliffe, eds. Encyclopaedia of the Qur'an, Leiden: Brill, ٢٠٠١

٢٦٢. J. Payne-Smith, ***A Compendious Syriac Dictionary***, Oxford: Clarendon Press, ١٩٥٧
٢٦٣. Lavinia Cohn-Sherbok and Dan Cohn-Sherbok, ***Dictionary of Judaism***, Curzon Press, ١٩٩٥
٢٦٤. Louis Costaz, ***Syriac-French-English-Arabic Dictionary***, Beyrouth: Dar El-Machreq, ٢٠٠٢
٢٦٥. Marcus Jastrow, ***A Dictionary of the Targumim, The Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature***, London: Luzac, ١٩٠٣
٢٦٦. Martin Theodoor Houtsma, ed. ***E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam,* ١٩١٣-١٩٣٦**, Leiden: Brill, ١٩٨٧
٢٦٧. Mircea Eliade, eds. ***The Encyclopedia of Religion***, New York: Macmillan Publishing Company, ١٩٨٧
٢٦٨. P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel and W. P. Heinrichs, eds. ***Encyclopaedia of Islam***, Brill Online, ٢٠١٠
٢٦٩. Peter M. J. Stravinskas, ***Catholic Dictionary***, Indiana: Our Sunday Visitor Publishing, ٢٠٠٢
٢٧٠. Phil. D. Wigoder and others, eds. ***The Encyclopedia of Judaism***, New York: Macmillan Publishing Company, ١٩٨٩
٢٧١. R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. ***The Oxford Dictionary of the Jewish Religion***, New York: Oxford University Press, 1997
٢٧٢. Richard P. McBrien, eds. ***The HarperCollins Encyclopedia of Catholicism***, New York: HarperCollins, ١٩٩٥
٢٧٣. ***The Catholic Encyclopedia***, New York: The Universal Knowledge Foundation, INC., ١٩١٣
٢٧٤. ***The Jewish Encyclopedia***, Ktav, ١٩٢٥
٢٧٥. ***The Universal Jewish Encyclopedia***, New York: University Jewish Encyclopedia, ١٩٤٢
٢٧٦. Walter A. Elwell, ed. ***Evangelical Dictionary of Theology***, Michigan: Baker Book House, ١٩٨٤

٢٧٧. Watson E. Mills, eds. ***Mercer Dictionary of the Bible***, Mercer University Press, ١٩٩٠
٢٧٨. The Way International research team, ed. ***The Concordance to the Peshitta version : of the Aramaic New Testament***, Ohio : American Christian Press, ١٩٨٥
٢٧٩. ***The World Book Encyclopedia***, Chicago: World Book, ٢٠٠١
٢٨٠. William Gesenius, ***A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament***, tr. Edward Robinson, ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, ١٩٠٧
٢٨١. William Ricketts Cooper, ***An Archaic Dictionary***, London: S. Bagster and Sons, ١٨٧٦
٢٨٢. William Smith and Henry Wace, eds. ***A Dictionary of Christian Biography, Literature, Sects and Doctrines***, London: John Murray, ١٨٨٠
٢٨٣. William Smith and John Mee Fuller, ***A Dictionary of the Bible***, London: John Murray, ١٨٩٣

ترجمات الكتاب المقدس

٢٨٤. *The American Standard Version*
٢٨٥. *The Amplified Bible*
٢٨٦. *The Darby Translation*
٢٨٧. *The English Standard Version*
٢٨٨. *The King James Version*

مقالات الدوريات العلمية الإنجليزية

١. ***Agendas for the Study of Midrash in the Twenty-First Century***, Williamsburg, Va.: College of William and Mary, ١٩٩٩
٢. Carol Bakhos, '***Abraham Visits Ishmael: A Revisit***,' in *Journal for the Study of Judaism* ٣٨ (٢٠٠٧)

٣. Chaim Milikowsky, '***On the Formation and Transmission of Bereshit Rabba and the Yerushalmi: Questions of Redaction, Text-Criticism and Literary Relationships***,' in *The Jewish Quarterly Review*, New Series, Vol. ٩٢, No. ٣/٤ (Jan. - Apr., ٢٠٠٢)

٤. David M. Freidenreich, '***The Use of Islamic Sources in Saadiah Gaon's Tafsir of the Torah***,' in *The Jewish Quarterly Review*, XCIII, Nos, ٣-٤ (January-April, ٢٠٠٣)

٥. David S. Margoliouth, '***Is Islam a Christian Heresy?,***' in *The Moslem World*, V.٢٣, Jan.١٩٣٣

٦. Edmond Power, ***Studies: An Irish Quarterly Review***, Vol. ٢, No. ٧ (Sep., ١٩١٣)

٧. Frank Hugh Foster, '***Reply to professor Margoliouth's Article, Jan, ١٩٣٣***,' in *The Moslem World*, Volume ٢٣, April١٩٣٣

٨. Ghada Osman, '***Pre-Islamic Arab Converts to Christianity in Mecca and Medina: An Investigation into the Arabic Sources***,' in *Muslim World*, ٠٠٢٧٤٩٠٩, Jan٢٠٠٥, Vol. ٩٥, Issue ١

٩. Hava Lazarus-Yafeh, '**Some Neglected Aspects of Medieval Muslim Polemics against Christianity**,' in *The Harvard Theological Review*, Vol. ٨٩, No. ١ (Jan., ١٩٩٦)

١٠. Jeffrey L. Rubenstein, ***From Mythic Motifs to Sustained Myth: The Revision of Rabbinic Traditions in Medieval Midrashim***, in *The Harvard Theological Review*, Vol. ٨٩, No. ٢ (Apr., ١٩٩٦)

١١. Joshua Finkel, '***Old Israelitish Tradition in the Koran***,' in *Proceedings of the American Academy for Jewish Research*, Vol. ٢ (١٩٣٠ - ١٩٣١)

١٢. Leigh N. B. Chipman, '***Adam and the Angels: An Examination of Mythic Elements in Islamic Sources***,' in *Arabica*, T. ٤٩, Fasc. ٤ (Oct., ٢٠٠٢)

١٣. Marilyn R. Waldman, '***New Approaches to 'Biblical' Materials in the Qur'an***,' in *The Muslim World*, January ١٩٨٥, V. ٧٥, N.١

١٤. Mary Dzon, '***Cecily Neville and the Apocryphal Infantia salvatoris in the Middle Ages***,' *Mediaeval Studies* ٧١ (٢٠٠٩)

١٥. Michael Philip Penn, '***Monks, Manuscripts, and Muslims: Syriac Textual changes in Reaction to the Rise of Islam***,' in *Hugoye: Journal of Syriac Studies*, Vol. ١٢,٢

١٦. N. A. Stillman, '***The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations***,' *Journal Of Semitic Studies*, ١٩٧٤

١٧. M. Stuart, '***Inquiry Respecting the Origianl Language of Matthew's Gospel, and the Genuinness of the First Two Chapters of the Same…***' , in *The American Biblical Respository*, New York: Gould and Newman, ١٨٣٨

١٨. P. A. Nordell, '***The Origin and the Formal Contents of the Talmud***,' in *The Hebrew Student*, Vol. ٢, No. ١ (Sep., ١٨٨٢)

١٩. Paul Foster, '***The Protevangelium of James***,' in *The Expository Times*, Volume ١١٨, Number ١٢

٢٠. Samir Johna, '***Hunayn ibn-Ishaq: A Forgotten Legend***,' in *American Surgeon*, ٠٠٠٣١٣٤٨, May٢٠٠٢, Vol. ٦٨, Issue ٥

٢١. Samuel Zwemer, '***The 'Illiterate' Prophet, Could Mohammed Read and Write?***,' in *The Moslem World*, V.١١, October, ١٩٢١, No.٤

٢٢. Sidney Griffth, '***Disputing with Islam in Syriac: The Case of the Monk of Bêt Hãlê and a Muslim Emir,'*** in *Hugoye: Journal of Syriac Studies* Vol. ٣ (No¨١)

٢٣. Sidney Griffith, '***The Gospel in Arabic: An Enquiry Into Its Appearance In The First Abbasid Century***,' in *Oriens Christianus,* ١٩٨٥, Volume ٦٩

٢٤. Sidney Griffth, '***Jews and Muslims in Christian Syriac and Arabic texts of the ninth century***,' in *Jewish History*, Volume ٣, Number ١, March, ١٩٨٨

٢٥. Sidney H. Griffith, '***Theodore Abū Qurrah's Arabic Tract on the Christian Practice of Venerating Images***,' in *Journal of the American Oriental Society*, Vol. ١٠٥, No. ١, Jan. - Mar., ١٩٨٥

٢٦. Stephen J. Shoemaker, ***Christmas in the Qur'an: The Qur'anic Account of Jesus' Nativity and Palestinian Local Tradition,'*** in *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* ٢٨ (٢٠٠٣)

٢٧. Suleiman A. Mourad, '***From Hellinism to Christianity and Islam: The Origin of the Palm-tree Story Concerning Mary and Jesus in the***

Gospel of Pseudo-Matthew and the Qur'an,' in *Oriens Christianus* ٨٦ (٢٠٠٢)

٢٨. Willard Gurdon Oxtoby, '***Reviewed work*: *Louis Cheikho et Son Livre "Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam," Étude Critique*** **by Camille Hechaïmé**,' in *Middle East Journal*, Vol. ٢٣, No. ١ (Winter, ١٩٦٩)

مقالات فريق *(Islamic-Awarness)*[١٧١٦]

١. Khâlid al-Khazrâjî and others, ***Is The Bible Really The Source Of The Qur'ân?***
٢. Khâlid al-Khazrâjî and others, ***The Prophet's Wives Teaching the Bible?***
٣. M S M Saifullah & Abdullah David, ***Raḥmānān (RḤMNN) - An Ancient South Arabian Moon God?***
٤. M S M Saifullah and Abdullah David, ***On Pirke De-Rabbi Eli`ezer As One Of The Sources Of The Qur'an***
٥. M S M Saifullah, Elias Karim, `***Abdullah David & Qasim Iqbal, Historical Errors Of The Qur'an: Pharaoh & Haman***
٦. M S M Saifullah, Mansur Ahmed and Elias Karim, ***On the Sources of the Story of Cain and Abel in the Qur'an***
٧. M S M Saifullah & Imtiaz Damiel, ***Comments On Geiger & Tisdall's Books On The 'Sources' Of The Qur'ân***
٨. M S M Saifullah, ***The Story Of Abraham And Idols In The Qur'an And Midrash Genesis Rabbah***
٩. M S M Saifullah, ***Is The Qur'anic Surah Of Joseph Borrowed From Jewish Midrashic Sources?***

[١٧١٦] فريق عمل علمي مسلم، ينشر مقالات جادة على موقعه الخاص على النت، جلّها في مناقشة المنصرين والمستشرقين.

المراجع الفرنسية

١. Armand Abel, '*L'Apocalypse de Bahira et la notion islamique de Mahdi*,' in *Annuaire de L'Institut de Philologies et d'Histoire Orientales* ٣(١٩٥٣) ١-١٢

٢. Eusèbe, ***Histoire ecclésiastique***, Paris: Alphonse Picard, ١٩٠٥

٣. François Bovon et Pierre Geoltrain, ***Écrits Apocryphes Chrétiens***, Paris: Gallimard, ١٩٩٧

٤. Jan Gijsel, ***Libri de Nativitate Mariae, Pseudo-Matthaei Evangelium textus et commentarius***, Turnhout: Brepols, ١٩٩٧

٥. Jaques Berque, ***Relire le Coran***, Paris: Albin Michel, ١٩٩٣

٦. Jacques J. Clère, ***Les Chauves d'Hathor***, Leuven: Peeters Publishers, ١٩٩٥

٧. Joze Krasovec, ed. ***Interpretation der Bible***, England : Sheffield Academic Press, ١٩٩٨

٨. ***Journal Asiatique***, Juilet- aout, ١٩٠٤

٩. ***La Bible de Jerusalem***, Éditions du Cerf, ١٩٧٣

١٠. ***La Bible de Semeur***

١١. Louis Leblois, ***Les Bibles et les Initiateurs Religieux de L'Humanite***, Paris, Librairie Fischbacher, ١٨٨٨

١٢. ***Marie et la Sainte Famille: Les Recits Apocryphes Chretiens***, Paris: Mediaspaul Editions, ٢٠٠٦

١٣. Maurice Bucaille, ***Moise et Pharaon***, ed. Seghers, ١٩٩٥

١٤. Michel Nicolas, ***Etudes sur les évangiles apocryphes***, Paris: Libr. Michel levy, ١٨٦٦

١٥. Migne, ed. , ***Dictionnaire des Apocryphes***, Paris: J.-P Migne, ١٨٥٦

١٦. ***Patrologia Orientalis***, Paris: Firmin-Didot, ١٩٢٣

١٧. Pierre Prigent, ***L'image dans le judaïsme du IIe au VIe siècles***, Labor et Fides, ١٩٩١

١٨. Tor Andrae, ***Mahomet, sa Vie et sa Doctrine***, Paris: Adrien-Maisonneuve, ١٩٤٥

١٩. Tor Andrea, ***Les Origines de L'Islam et le Christianisme***, Paris: Adrien-Maisonneuve, ١٩٥٥

المراجع الألمانيّة

Abraham Geiger, *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?*, Leipzig: M.W. Kaufmann, ١٩٠٢

المراجع الإيطالية

Mario E. Provera, ***Il Vangelo arabo dell'Infanzia: secondo il ms. laurenziano orientale (n. ٣٨٧)***, Gerusalemme: Franciscan Print, ١٩٧٣

المراجع اليونانية

١. ***Patrologiæ cursus completus***, Apud Garnier Fratres et J.-P. Migne Successores, ١٨٦٢

٢. S. Justin, ***Philosophi et Martyris cum Tryphone Judaeo Dialogus***, ed. W. Trollope, Cambridge: J. Hall, ١٨٤٦

٣.

المراجع السريانية

١. Agnes Smith Lewis, ***A translation of the four Gospels from the Syriac of the sinaitic palimpsest***, London: Macmillan and Co., ١٨٩٤

٢. F Crawford Burkitt, ***Evangelion da-Mepharreshe : the Curetonian Version of the four gospels, with the readings of the Sinai palimpsest***

and the early Syriac patristic evidence, Cambridge: University Press, ١٩٠٤

٣. George Anton Kiraz, ***Comparative Edition of the Syriac Gospels Aligning the Sinaiticus, Curetonianus, Peshitta and Harklean Versions***, Leiden : E.J. Brill, ١٩٩٦

كتب أخرى للمؤلف

المرأة بين اشراقات الاسلام و افتراءات المنصرين

رد تفصيلي على كتاب القمص مرقس عزيز "المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام"



الحجاب .. شريعة الله في الإسلام واليهوديّة والنصرانيّة

رد تفصيلي على شبهات العالمانيين حول الحجاب في الإسلام، توثيق مباشر لأقوال أهل الكتاب في إثبات ربّانية هذه الشريعة من الكتب المقدسة والأحبار وآباء الكنيسة ...

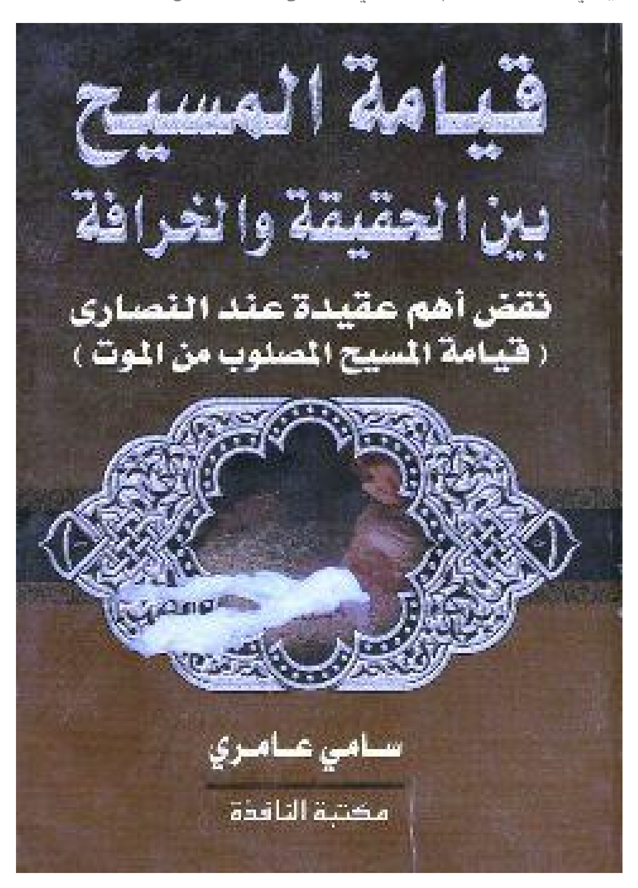




ساهي عاهري

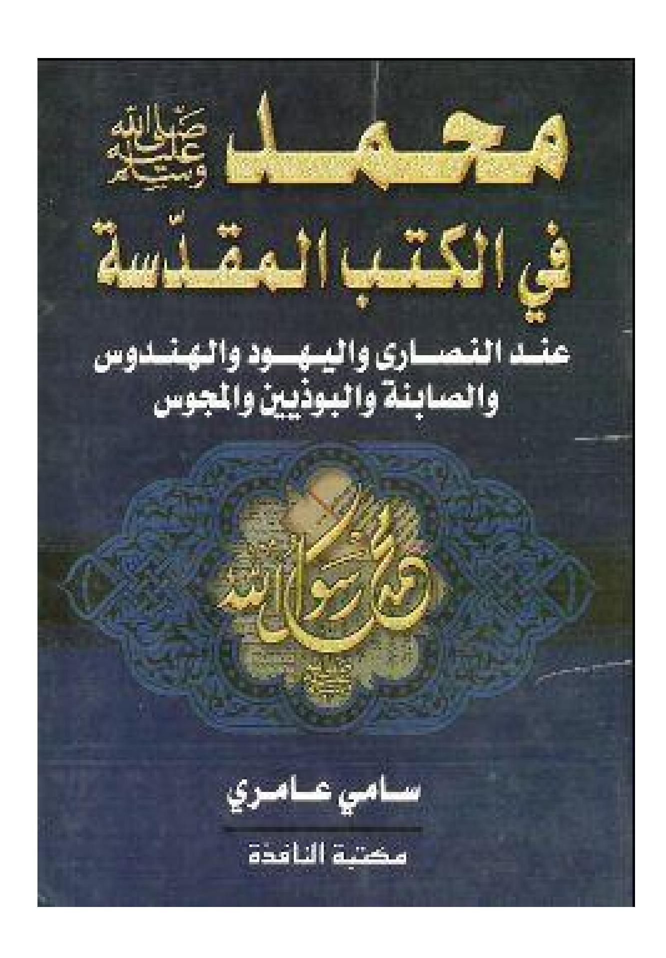
قيامة المسيح من الموت .. حقيقة أم خرافة؟

رد علمي تفصيلي على أشهر كتاب في المكتبة النصرانيّة العربيّة في إثبات أهم عقيدة نصرانيّة .. وجولة في كتابات كبار اللاهوتيين الغربيين في أحدث دراساتهم النقديّة في موضوع (قيامة المسيح من الموت): عقيدة، ونصًا، وتاريخًا ...



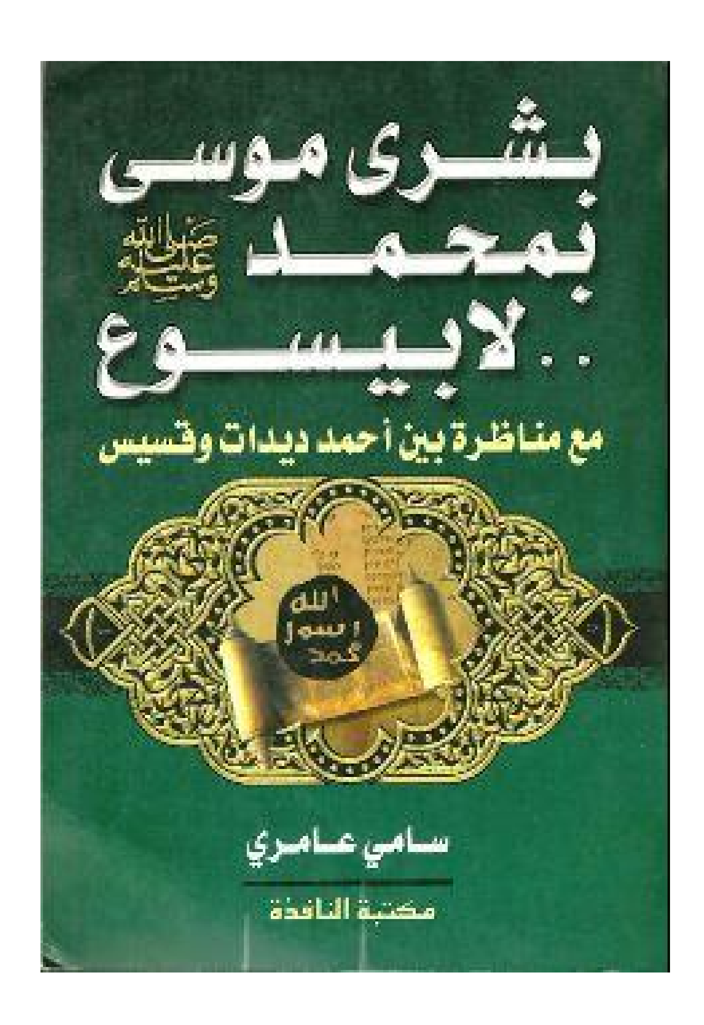
محمد صلى الله عليه وسلّم في الكتب المقدسة

أوّل كتاب باللغة العربيّة في بحث البشارة بالرسول صلّى الله عليه وسلّم في الكتب المقدسة للنصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس. في أكثر من أربعمائة صفحة



بشرى موسى عليه بمحمد صلى الله عليه وسلّم لا بيسوع

تعريب لكتاب الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، ودفع تفصيلي لاعتراضات المنصرين عليه



{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ}
(البقرة274)

حوّل مشاعرك المحبوسة في صدرك, إلى **فعل** .. انقلها من دائرة الشعور المجرّد إلى أرض الواقع؛ عملاً نابضًا بالخير ..

لا تلعن الظلام ألف مرّة .. وإنما أوقد شمعة ..



ما الذي ترجوه من تبرّعك؟

* أن تنال ما نال الصحابي أبي قتادة رضي الله عنه:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((حفظك الله كما حفظت رسوله)) (رواه أحمد)

إنّ مساهمتك في الدفع عن عرض رسول الله صلّى الله عليه وسلم افتراءات الكتّاب والمؤسسات التي تروّج الأباطيل ضد سيرته العطرة, وترميه بكل المنكرات التي ظلت تتردد في الشرق والغرب على

مدى أربعة عشر قرنًا, لهي تعبير صريح عن غيرتك على هذا النبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم وحرصك على عرضه الشريف.



* نصحك لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين, بذبك عن عقائد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وقرآنه الكريم:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((الدين النصيحة ... لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (رواه مسلم) .. قال الإمام (النووي) رحمه الله: ((هذا حديث عظيم لشأن ، **وعليه مدار الإسلام**، وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه ، بل **المدار على هذا وحده**.))



* أن تجعل تبرعك صدقات جارية إلى يوم البعث:

هذه التبرعات موجهة أساسًا لإعداد الكتب وعامة المواد العلميّة والمواقع الدعويّة **من مبتدئها إلى منتهاها** .. وهي من العلم النافع الذي ينتفع به المرء بعد موته .. فكل صدقة ينقطع أمرها بعد حين إلا قليل, ومن ذلك نشر العلم النافع, فإنه يبقى ما بقي ذاك العلم بين الناس .. وقد أفتت (اللجنة الدائمة للإفتاء) بهذا الأمر في قولها: ((طباعة الكتب المفيدة التي ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم هي من الأعمال الصالحة التي يثاب الإنسان عليها في حياته، ويبقى أجرها ويجري نفعها له بعد مماته، ويدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم – فيما صح عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مَاتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا من ثلاثةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. رواه الإمام مسلم في(صحيحه) والترمذي والنسائي والإمام أحمد))



* أن تنال أجرًا أعظم من كل متاع دنيوي:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (متفق عليه)



* أن تنقذ أبناء المسلمين من فتنة التنصير:

إنّ الكنائس في الغرب والشرق تبذل قصارى جهدها لإدخال أبناء المسلمين في دينها, وتبذل لذلك مليارات الدولارات من التبرعات الفرديّة وتبرّعات المؤسسات, مع عشرات آلاف المتفرّغين لهذه الدعوة في جميع قارات الأرض .. فأين أنت من نصرة ملّة التوحيد؟!



* أن تثبّت المؤمنين على إيمانهم, وتزيدهم ثقة بأنّهم على الدين الحق:

الإصدرات العلميّة لهذه المؤسسة الدعويّة تبغي تقوية بناء الإيمان في نفوس المسلمين بردّ الشبهات وإثبات صدق نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم وإعجاز القرآن الكريم وكمال السنّة النبويّة.



* أن تبلّغ هذا الدين إلى العالم, كما أمرت:

قال صلّى الله عليه وسلّم : ((بلّغوا عنّي ولو آية.)) (رواه البخاري)



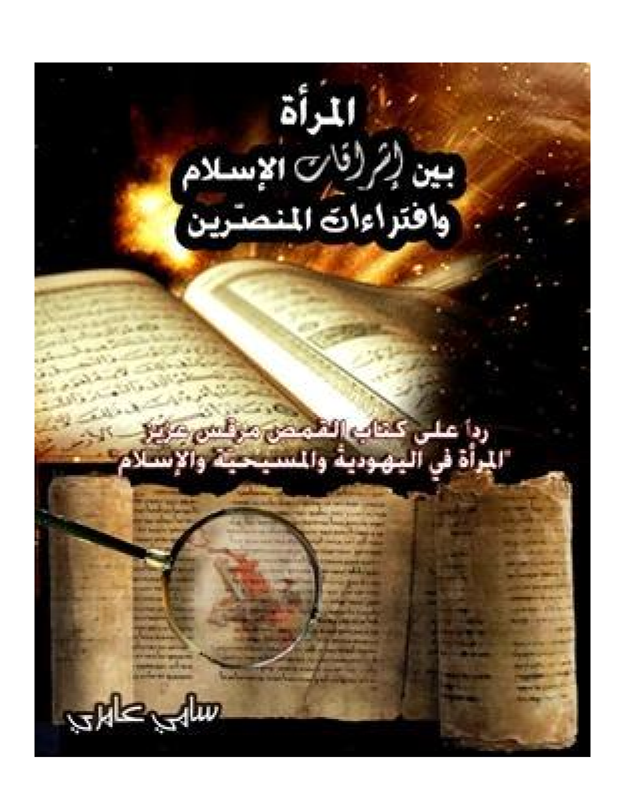
شبهات المنصّرين حول مقام المرأة في الإسلام .. كثيرة .. وفاحشة ..

هنا تجد بحثًا في أكثر من ثمانمائة صفحة في إظهار بطلانها وكشف زيفها بما يغنيك عن الكثير من الجهد في البحث عن ردود عليها

هنا

للقراءة والتنزيل

http://arcri.org/woman/



هل تعلم أنّ (الحجاب) فريضة ربّانية في ديانة يهود اليوم .. وفي ديانة نصارى اليوم؟

هل تعرف كيف ترد على شبهات العالمانيين العرب حول الحجاب كفريضة وقيمة؟

نقول موثّقة من أهم الكتب الدينيّة .. مع مراجعة النصوص في لغاتها الأصليّة ..

هنا..

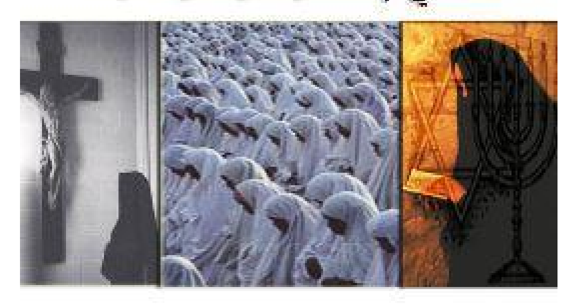
للقراءة والتنزيل:

/http://arcri.org/hijab

الحجاب

شريعة الله

في الإسلام واليهودية والنصرانية



سامي عامري

****